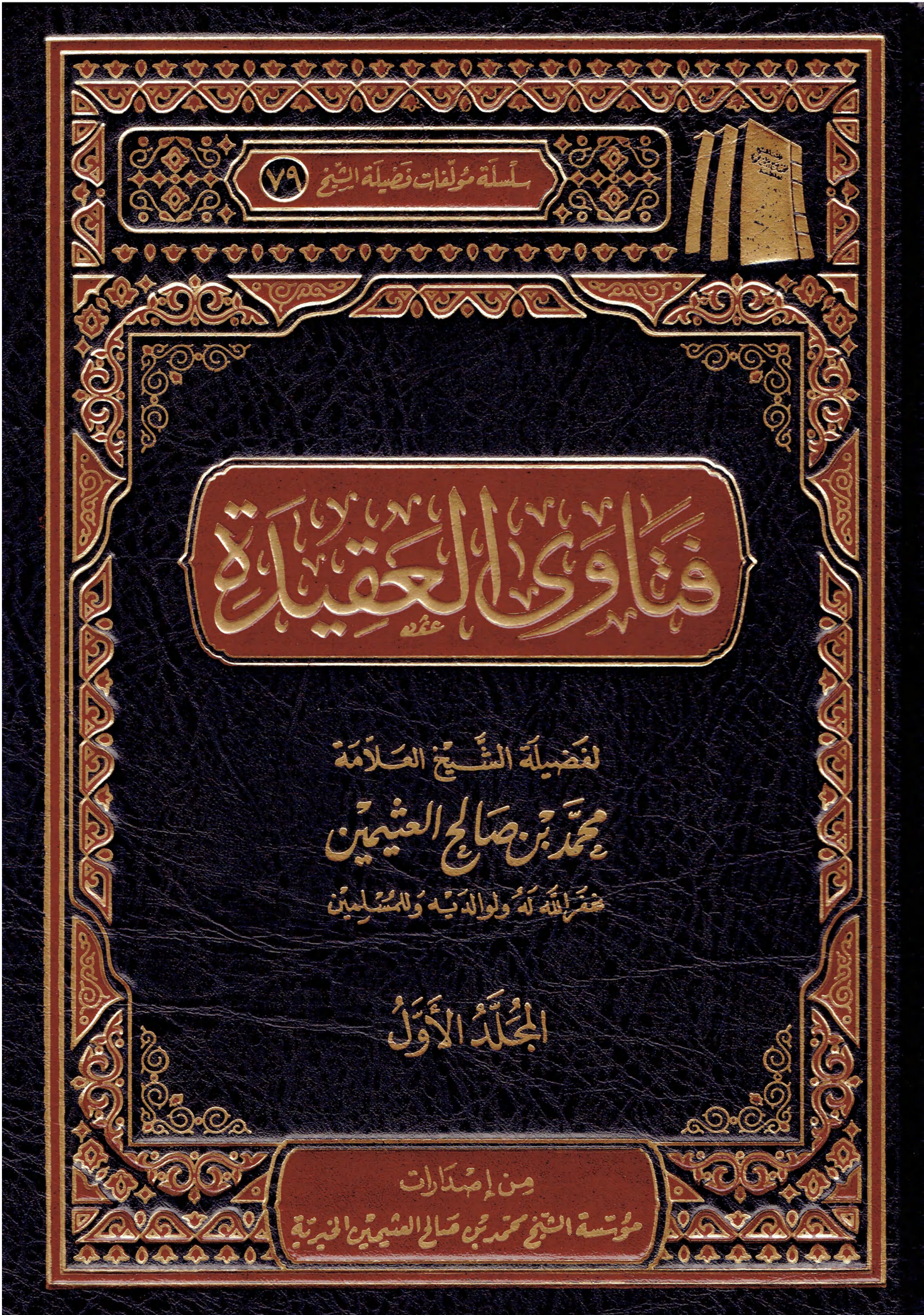
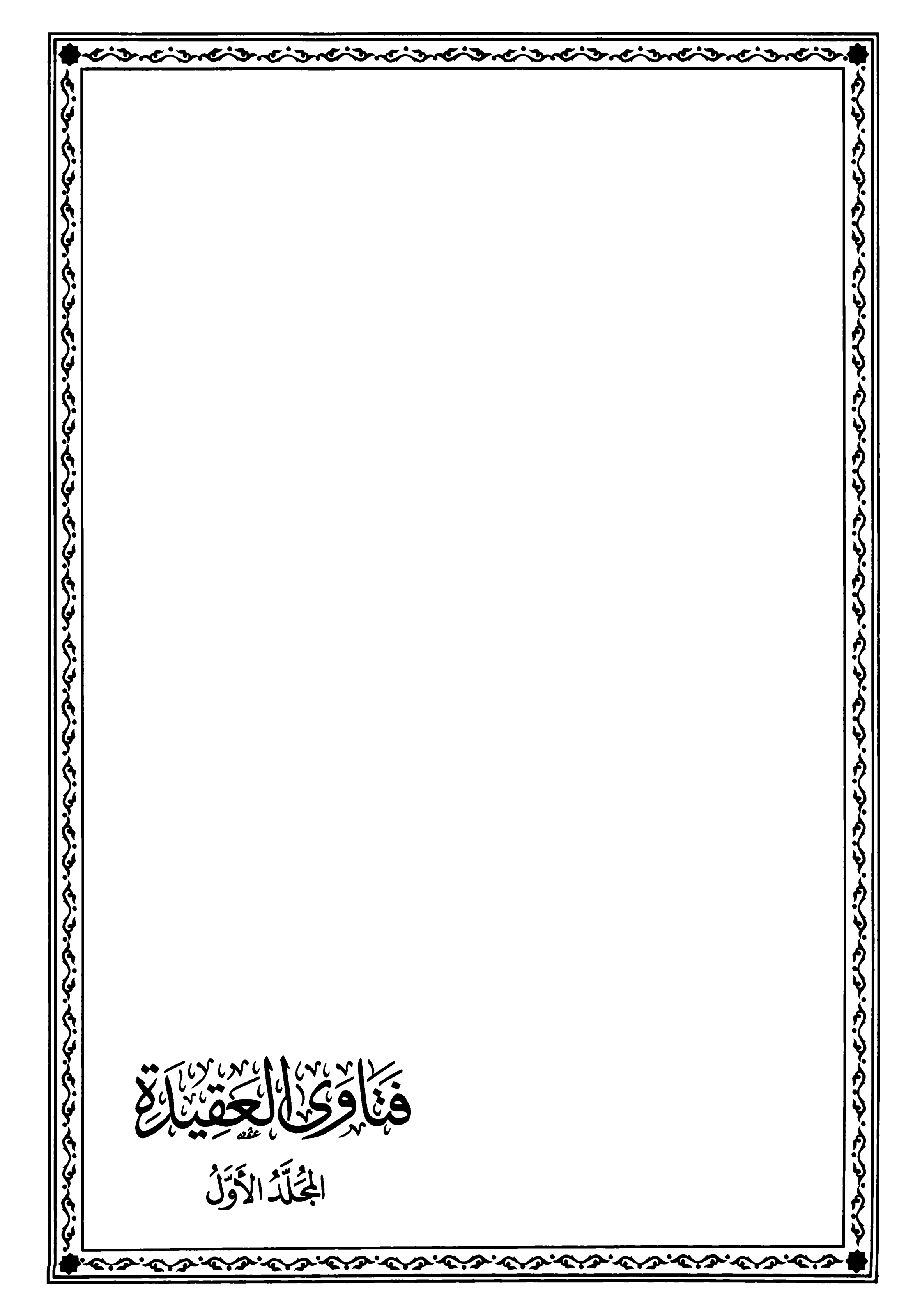
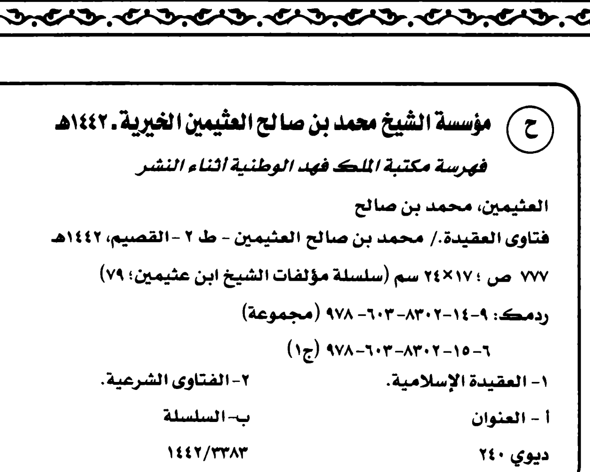

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ ٧٩
فتاوى العقيدة
لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين
المجلد الأول
من إصدارات
مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية



فتاوى العقيدة

المجلد الأول



ح مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العثيمين، محمد بن صالح

فتاوى العقيدة./ محمد بن صالح العثيمين - ط ٢ - القصيم، ١٤٤٢هـ

٧٧٧ ص ؛ ١٧×٢٤ سم (سلسلة مؤلفات الشيخ ابن عثيمين؛ ٧٩)

ردمك: ٩-١٤-٨٣٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-١٥-٨٣٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

١- العقيدة الإسلامية. ٢- الفتاوى الشرعية.

أ - العنوان ب- السلسلة

ديوي ٢٤٠ ١٤٤٢/٣٣٨٣

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٣٣٨٣

ردمك: ٩-١٤-٨٣٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

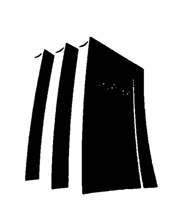
٦-١٥-٨٣٠٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

الطبعة الثانية

١٤٤٢هـ

يُطلب الكتاب من:

مُؤَسَّسَةِ ٱلشَّيْخ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ العُثَيْمِين الخَيْرِيَّة



المملكة العربية السعودية

القصيم - عنيزة - ٥١٩١١ ص . ب : ١٩٢٩

هاتف : ٠١٦/٣٦٤٢١٠٧ - ناسوخ : ٠١٦/٣٦٤٢٠٠٩

جـوّال : ٠٥٥٣٦٤٢١٠٧ - جـوّال المبيعات : ٠٥٠٠٧٣٣٧٦٦

www.binothaimeen.net

info@binothaimeen.com

الموزع المعتمد و الحصري في جمهورية مصر العربية

دار الدُّرَّة الدولية للطباعة و التوزيع

١٣٥ شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - الحي الثامن - بجوار مدارس المنهل الخاصة .

هاتف و فاكس : ٢٢٧٢٠٥٥٢ - محمول : ٠١٠١٠٥٥٧٠٤٤

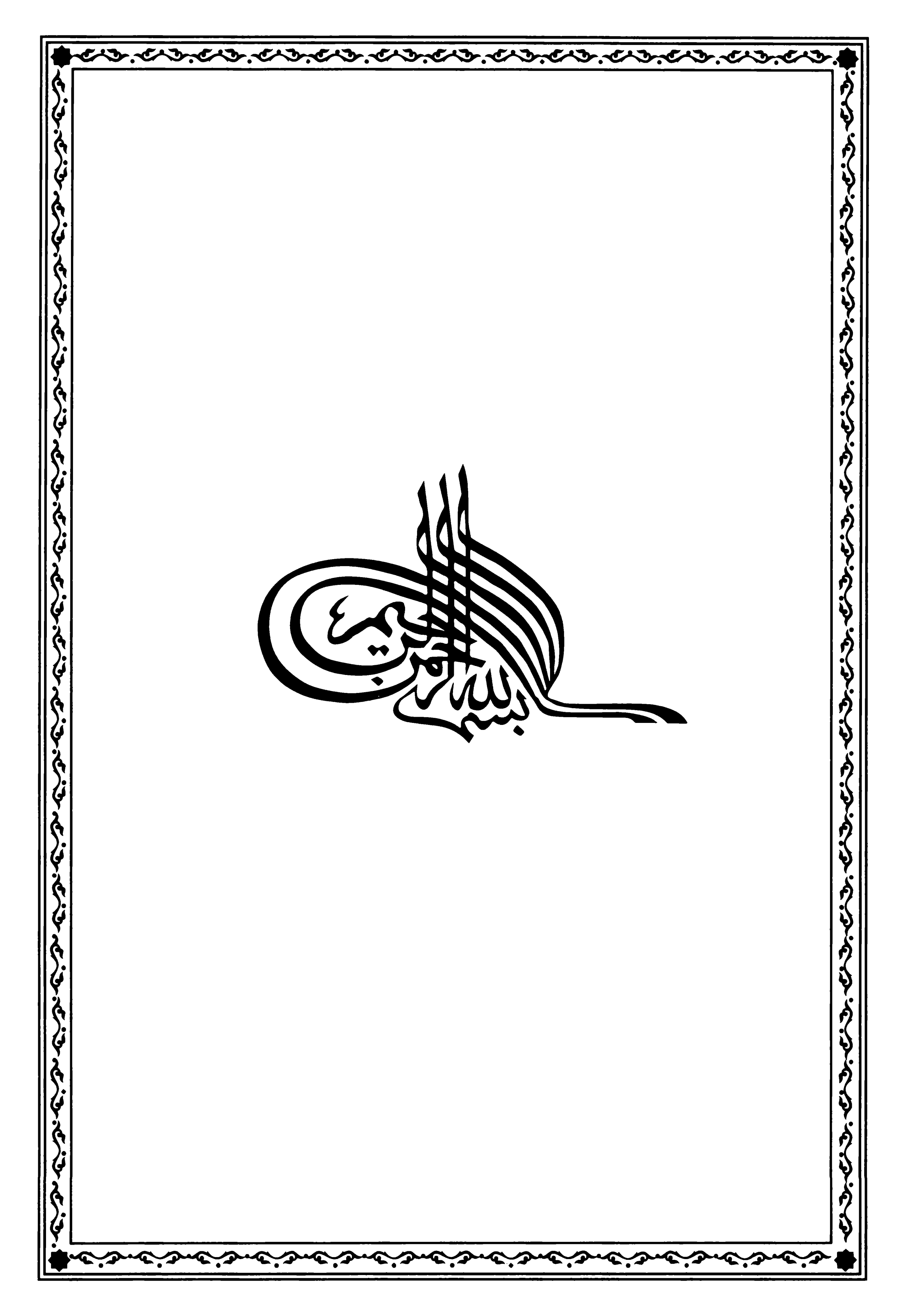
سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٧٩)

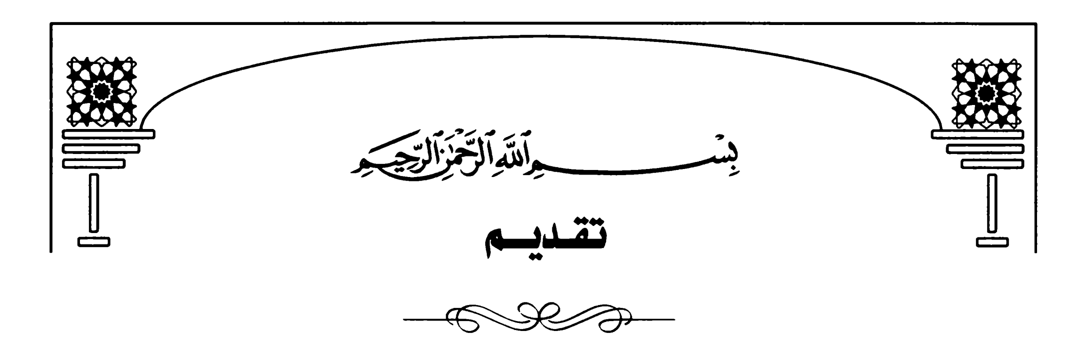
فتاوى العقيدة

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

المجلد الأول

من إصدارات
مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية


بسم الله الرحمن الرحيم



تقديم

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُهُ ونَسْتعينُه ونَسْتغفرُه، ونَعوذُ بالله مِن شُرور أَنْفُسنا ومِن سيِّئات أعمالِنا، مَن يَهْده اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فَلا هادِيَ له، وأَشْهَد أن لا إلَهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ لَه، وأَشْهَد أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، أرسلَه اللهُ بالهُدَى ودِين الحقِّ؛ فبلَّغَ الرِّسالةَ، وأدَّى الأمانةَ، ونَصَح الأمَّةَ، وجاهَد في الله حَقَّ جِهادِه، حتَّى أتاهُ اليقينُ، فصَلواتُ اللهِ وسلامُه عليهِ وعلَى آلِه وأصحابِه ومَن تَبِعهم بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّين.

أمَّا بعدُ: فبفَضلٍ منَ الله تَعالَى لَم تكُنِ الجُهودُ العِلْميَّةُ الموفَّقةُ لصاحبِ الفَضيلةِ شَيخِنا العلَّامة الوالدِ/ محمَّدِ بنِ صالحٍ العُثَيْمين -رحِمَهُ اللهُ تعالَى- محصُورةً في مجالاتِ التَّعليمِ والتَّأليفِ والدَّعوةِ إلَى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والخَطابةِ والوَعْظ والإرْشاد والنُّصحِ والتَّوْجِيه وإلقاءِ المحاضَراتِ وعَقْد اللِّقاءاتِ والمُشاركةِ في النَّدواتِ والمُؤْتمراتِ فحَسْبُ، بلْ كانَ لَهُ -رحِمَهُ اللهُ تَعالَى- أَعمالٌ مُثمِرَةٌ ونَشاطٌ مَلْحوظٌ مُباركٌ في تَحْريرِ الفَتاوَى وتَدْوِينها والإجابةِ علَى الأسئلةِ والاستِفْسارات المتنوِّعة، واعتمدَت تِلك الفتاوَى علَى التَّأصِيل واتِّباعِ الدَّلِيل وصِحَّة استِنْباط الأَحْكامِ، كَما اتَّسَمتْ بشُمُوليَّةِ مَوْضوعاتِها ودِقَّة مسائِلِها وتَقْسِيماتِ أجْزائِها وتَحرِّيها للصَّوابِ، وتَقريبِ مُحتواها ومَضْمُونِها بأُسْلوبٍ مُميَّزٍ وعِباراتٍ واضحةٍ، حتَّى كتَبَ اللهُ لَها بفَضْله العَظِيم

جَلَّوَعَلَا القَبُولَ الواسِعَ لدَى النَّاسِ، فأَخذُوا بِها واطمأَنُّوا لتَرْجِيحاتِها واختِياراتِها الفِقْهيَّة.

وكانَ صاحبُ الفَضِيلة الشَّيخِ العلَّامة الوالِد -رحِمَهُ اللهُ تَعالَى- حَريصًا علَى نَشْر تِلكَ الفتاوَى وإخراجِها لِتَعْميمِ النَّفع بها، فصدَرَت أوائلُها مجْموعةً معَ الرَّسائل عامَ ١٤١١هـ فِي سِلسِلةِ مجلداتٍ مُتتابعةٍ، بذَلَ فيها جهْدَهُ المشكورُ فِي جمْعها وتَرْتيبِها وتَصنيفِ مَوْضوعاتِها فَضيلةُ الشَّيخ/ فَهْد بنُ ناصِرِ السُّليمان -أَثابَهُ اللهُ تَعالَى- ولَا تَزالُ إصداراتُها تَتوالَى حتَّى تَكمُل فصولُها بعونِ الله وتَوفِيقِه.

واستِجابةً لطَلَب القُرَّاء الكِرامِ فِي إِفْرادِ فَتاوَى صاحِبِ الفَضِيلةِ الشَّيخِ العلَّامة الوالد -رحِمَهُ اللهُ تَعالَى- في إِصدارٍ مُوحَّدٍ تَيْسيرًا لاقتِنائِها وتَسهيلًا لِانْتشارِها والظَّفرِ بمَزِيدِ الانتِفاعِ بِها تَسعَى مُؤسَّسةُ الشَّيخِ مُحمدِ بنِ صالحِ العُثَيمِين الخَيريَّةُ -بعَوْنِ الله تَعالَى وتَوْفِيقه- لِتَحْقيقِ هَذا الهدَفِ المنشُودِ، فتَنشُرُ هذِهِ الفَتاوَى تِباعًا فِي إصدارٍ مُفرَدٍ مُوحَّد بإذْنِ الله تَعالَى، وَفْقًا لِلقواعِدِ والتَّوْجيهاتِ التِي قرَّرها صاحبُ الفَضِيلةِ شيخُنا الوالدُ -رحِمَهُ اللهُ تَعالَى- لِإخْراجِ تُراثِه العِلْميِّ.

وقَدْ يَلحظُ القارِئُ الكَريمُ تَكْرارًا لِبعضِ المسائِلِ فِيهَا، وهَذا لَا يَخْلُو مِنَ الفَوائدِ المرجُوَّةِ، فقَدْ يكُونُ المضمُونَ مُجْملًا، وقَد يُصاغ بطَريقةٍ مُختلفةٍ في مَوضعٍ آخرَ ويُضافُ إِلَيْهِ زوائدُ فِي الدَّليلِ أوِ التَّعليلِ أوِ الشَّرحِ؛ وَفْقًا للنَّهْج الذِي كانَ يَسِير علَيْهِ -رحِمَهُ اللهُ تَعالَى- فِي تَقْريراتِهِ العِلْميَّة حَسبَ المقامِ.

أمَّا مَصادرُ تِلكَ الفَتاوَى فهِيَ مُتعدِّدةٌ، فمِنهَا مَا كانَ مُحرَّرًا بقَلَمِهِ -رحِمَهُ اللهُ تَعالَى- ومِنها مَا صدَرَ جَوابًا لِأَسْئلةِ المستمِعِينَ لإذاعَةِ المملكَةِ العَربيَّةِ السُّعودِيَّةِ

وخَاصةً عبرَ البَرْنامجِ الشَّهيرِ (**نُورٌ عَلَى الدَّرْب**) مِن إذاعَةِ القُرآنِ الكَريمِ، أَوْ جوابًا لأسئلَةِ القُرَّاءِ فِي المجلَّاتِ والصُّحُف، أَوِ الحاضِرينَ فِي الدُّروسِ واللِّقاءاتِ والمحاضراتِ العامَّةِ أَوِ استِفْساراتٍ مُتنوِّعةٍ عامَّةٍ يَتلقَّاها مُباشرةً مِن عامَّةِ النَّاسِ.

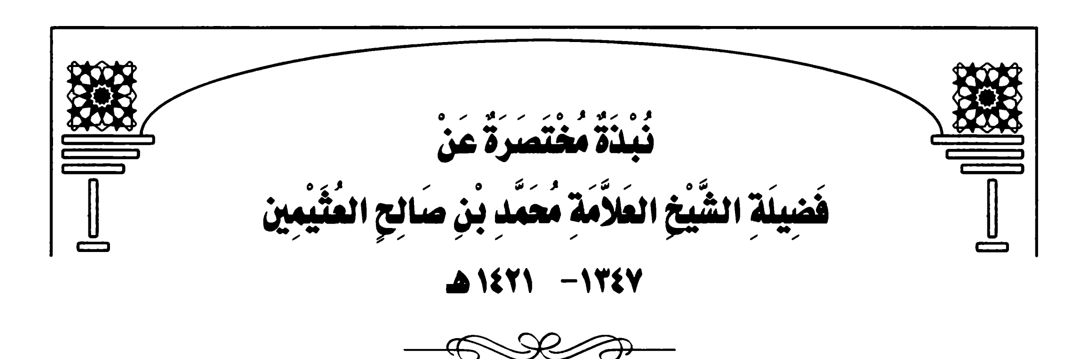
نَسْأل اللهَ تعالَى أن يَجْعل هَذا العَمَلَ خالصًا لِوجهِه الكَريمِ؛ مُوافِقًا لَمرْضاتِه، نافِعًا لعِبادِه، وأنْ يَجزِيَ فَضِيلةَ شيخِنا عَنِ الإسلامِ والمسلِمينَ خَيْرَ الجَزَاء، ويُضَاعِفَ لهُ المثُوبَةَ والأَجْرَ، ويُعْلِيَ دَرَجَتَهُ في المَهْدِيِّينَ، إِنَّه سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ، وَصَلَّى اللهُ وسلَّم وبارَكَ علَى عبدِه ورَسولِه، خاتَمِ النَّبِيِّينَ، وإِمامِ المُتَّقِينَ، وسيِّدِ الأَوَّلِينَ والآخِرينَ، نبيِّنَا محمَّدٍ، وعلَى آلِه وأَصْحابِه والتَّابعينَ لهُمْ بإِحْسانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّين.

القِسْمُ العِلْمِيُّ

فِي مُؤَسَّسَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ العُثَيْمِين الخَيْرِيَّةِ

١٠ صفر ١٤٤٢هـ





١٣٤٧- ١٤٢١هـ

نَسَبُهُ وَمَوْلِدُهُ:

هُو صاحِبُ الفضِيلةِ الشَّيخُ العالِمُ المحقِّق، الفَقِيه المفسِّر، الوَرِع الزَّاهد، مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ آل عُثَيْمِين مِنَ الوهبَةِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ.

وُلد فِي ليلةِ السَّابعِ والعِشرينَ مِن شَهرِ رمَضانَ المبارَك، عامَ (١٣٤٧هـ) فِي عُنَيْزَةَ -إِحدَى مُحافَظات القَصِيم- فِي المملَكةِ العَربيَّةِ السُّعُوديَّةِ.

نَشْأَتُهُ العِلْمِيَّةُ:

أَلحقَهُ والدُه -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- لِيتعلَّمَ القُرآنَ الكَريمَ عندَ جَدِّه مِن جِهةِ أُمِّه معلِّم القُرآنِ الشَّيْخ عَبْد الرَّحمن بن سُلَيْمان الدَّامِغ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، ثمَّ تعلَّم الكِتابةَ، وشيئًا مِن الحِسابِ، والنُّصُوص الأَدبيَّة؛ فِي مدرسةِ الأُستاذ عَبْدالعزيزِ بن صالِحِ الدَّامِغ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، وذلكَ قبلَ أنْ يَلْتَحِقَ بمَدْرسة معلِّم القُرآنِ الشَّيْخ عليِّ بنِ عَبْدالله الشّحيتان -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- حيثُ حَفِظَ القُرآنَ الكَريمَ عندَه عن ظَهْرِ قَلْبٍ ولـمَّا يتجاوز الرَّابعةَ عَشْرَةَ مِن عُمُرِه بَعْدُ.

وبتَوْجيهٍ مِن والدِهِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أَقْبَلَ علَى طلَب العِلم الشَّرعيِّ، وكانَ

فضيلةُ الشَّيْخِ العلَّامةُ عَبْدُ الرَّحمن بنُ ناصرٍ السّعْديُّ[١] -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- يُدرِّس العُلوم الشَّرعيَّة والعَربيَّة فِي الجامِع الكَبير بعُنَيْزَةَ، وقَد رَتَّب اثنَيْنِ مِن طَلَبته الكِبار[٢] لِتَدريسِ المُبتدِئينَ مِنَ الطَّلَبة، فانضَمَّ الشَّيْخُ إلَى حَلقةِ الشَّيْخ محمَّدِ بنِ عَبْد العزيزِ المطوّع -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- حتَّى أَدْرَكَ مِنَ العِلم -فِي التَّوْحِيد، والفِقه، والنَّحو- ما أَدْرَكَ.

ثُمَّ جَلَس فِي حَلقة شَيْخِه العلَّامَة عَبْد الرَّحمن بنِ ناصرٍ السّعْديِّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، فدرَس عليه فِي التّفسِير، والحَديث، والسِّيرة النَّبويَّة، والتَّوحِيد، والفِقه، والأُصول، والفَرائِضِ، والنَّحْو، وحَفِظَ مُخْتَصراتِ المُتُونِ فِي هذِهِ العُلُوم.

ويُعَدُّ فضيلةُ الشَّيْخ العلَّامَة عَبْدُ الرحمن بنُ ناصرٍ السّعْديُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

---

(١) ترجم له الكثيرون، وقد كان على جانب كبير من العلم الغزير والأخلاق الفاضلة وسعة الأفق والعناية البالغة بالتدريس والتأليف، فألّف في التوحيد، والتفسير، والفقه، والحديث، والأصول، والآداب، وغيرها، توفي -رحمه الله تعالى- عام (١٣٧٦هـ).
انظر ترجمته في: علماء نجد خلال ثمانية قرون للبسَّام (٣/ ٢١٨-٢٧٣)، روضة الناظرين للقاضي (١/ ٢١٩).

(٢) **هما الشَّيْخان:**

١- الشَّيخ محمد بن عَبْد العزيز المطوَّع.
لازم شيخه عبد الرحمن السعدي ملازمةً طويلةً، حتى صار أكبر تلامذته، وتولى القضاء بعنيزة، توفي -رحمه الله تعالى- عام (١٣٨٧هـ).
انظر ترجمته في: علماء نجد خلال ثمانية قرون للبسَّام (٦/ ٧٨)، روضة الناظرين للقاضي (٢/ ٢٩١).

٢- الشَّيخ علي بن حمَد الصالحي.
لما رأى شيخه عبد الرحمن السعدي منه المثابرة في التحصيل، أمره أن يجلس لتدريس الصغار من الطلبة، توفي -رحمه الله تعالى- عام (١٤١٥هـ).
انظر ترجمته في: علماء نجد خلال ثمانية قرون للبسَّام (٥/ ١٨٠).

هُو شيخَه الأوَّلَ؛ إِذْ أخذ عَنْهُ العِلْمَ -مَعْرفةً وطَرِيقةً- أَكْثَرَ ممَّا أخذ عَنْ غَيرِهِ، وتَأَثَّر بمَنْهجِه وتَأصِيلِه، وطَريقةِ تَدْريسِه، واتِّباعِه لِلدَّليل.

وعِندَما كانَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرحمن بنُ عليِّ بن عودانَ[١] -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- قاضيًا فِي عُنَيْزَةَ قرَأ عليه فِي عِلم الفَرائضِ، كما قَرأ عَلَى الشَّيْخ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَفِيفِي[٢] -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي النَّحو والبَلاغَة أثناءَ وُجودِه مُدَرِّسًا فِي تِلكَ المَدِينة.

ولَمَّا فُتِحَ المَعْهَدُ العِلْمِيُّ فِي الرِّياضِ أَشارَ عليه بعضُ إِخْوانِه[٣] أنْ يَلْتَحِقَ بِهِ، فاستَأْذَنَ شيخَه العلَّامةَ عَبْدَ الرَّحمنِ بنَ ناصرٍ السّعْدِيَّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، والتَحق بالمَعْهَدِ عامَيْ (١٣٧٢-١٣٧٣هـ).

ولقَدِ انتفعَ -خلالَ السَّنتَيْن اللَّتَيْن انتظَم فِيهما فِي مَعهدِ الرِّياضِ العِلْمِيِّ- بالعُلماءِ الَّذِين كانوا يُدرِّسونَ فِيه حِينذَاكَ، ومِنْهُمُ: العلَّامَةُ المُفَسِّرُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الأَمِين الشّنْقِيطِيُّ[٤]، والشَّيْخُ الفَقِيـه عَبْدُ العـزيزِ بنُ ناصرِ بنِ رشيـدٍ[٥]، والشَّيْخُ

---

(١) توفي -رحمه الله تعالى- عام (١٣٧٤هـ).

انظر ترجمته في: علماء نجد خلال ثمانية قرون للبسَّام (٣/ ١٣٠)، روضة الناظرين للقاضي (١/ ٢١٥).

(٢) ولد في مصر، وتلقى تعليمه في الجامع الأزهر، وقدم إلى المملكة عام (١٣٦٨هـ)، ودرَّس في مناطق شتَّى من المملكة، ثم اختير عضوًا بهيئة كبار العلماء، توفي -رحمه الله تعالى- عام (١٤١٥هـ).

انظر ترجمته في: علماء نجد خلال ثمانية قرون للبسَّام (٣/ ٢٧٥).

(٣) هو الشَّيْخ علي بن حمد الصَّالحي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-.

(٤) نشأ وتعلَّم في شنقيط من بلاد موريتانيا، ثم قدم إلى المملكة للحج عام (١٣٦٧هـ)، وتولى التدريس في المعهد العلمي بالرياض، ثم بالمسجد النبوي والجامعة الإسلامية، واختير عضوًا بهيئة كبار العلماء، توفي -رحمه الله تعالى- عام (١٣٩٣هـ).

انظر ترجمته في: علماء نجد خلال ثمانية قرون للبسَّام (٦/ ٣٧١).

(٥) نشأ في الرَّسِّ إحدى محافظات القصيم، ثم انتقل إلى الرياض، ودرَّس بالمعهد العلمي، وتوجه

المُحدِّثُ عَبْدُ الرحمنِ الإِفْرِيقِيُّ[(١)] -رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى-.

وفِي أَثْناءِ ذَلكَ اتَّصلَ بسَماحةِ الشَّيْخِ العلَّامةِ عَبْدِ العزيزِ بنِ عَبْدِ الله بنِ بَازٍ[(٢)] -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، فقرَأ عليه فِي المسجِد: مِن صَحِيح البُخارِيِّ، ومِن رَسائِل شَيخِ الإسلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ؛ وانتفَع به فِي عِلم الحَدِيث، والنَّظر فِي آراءِ فُقهاءِ المَذَاهِب والمُقارَنةِ بينَها، ويُعدُّ سماحةُ الشَّيْخِ عَبْدُ العزيزِ بنُ بازٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- هو شَيْخَهُ الثَّانِي فِي التَّحْصِيلِ والتَّأَثُّرِ بِهِ.

ثُمَّ عَادَ إِلَى عُنَيْزَةَ عامَ (١٣٧٤هـ)، وصارَ يَدْرُسُ علَى شَيْخِهِ العلَّامةِ عَبْدِ الرَّحمنِ بنِ ناصرٍ السّعْدِيِّ، ويُتابعُ دِراسَتَهُ انتِسَابًا فِي كُلِّيَّةِ الشَّرِيعَةِ بالرِّياض، الَّتِي أَصْبَحَتْ جُزْءًا مِنْ جامِعَةِ الإِمامِ مُحَمَّدِ بنِ سُعُودٍ الإِسْلامِيَّةِ، حتَّى نالَ الشَّهادَةَ العالِيَةَ.

= للوعظ والإرشاد والتدريس بالمسجد الحرام والمعهد العلمي بمكَّة المكرمة، توفي -رحمه الله تعالى- عام (١٤٠٨هـ).

انظر ترجمته في: علماء نجد خلال ثمانية قرون للبسَّام (٣/ ٥٣١).

(١) نشأ في بلاد مالي بأفريقيا، ثم قدم للحج، وجاور بمكة والمدينة، وطلب العلم على علماء المسجد النبوي، ودرَس بدار الحديث بالمدينة النبوية، وعُين مُدرِّسًا بها، توفي -رحمه الله تعالى- عام (١٣٧٧هـ).

(٢) ترجم له الكثيرون، وأفردوا ترجمته في مؤلفات عديدة، تولى قضاء الخَرْج، ثم انتقل إلى الرياض للتدريس في المعهد العلمي ثم كلية الشريعة، إلى أن عُين نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ثم رئيسًا لها، ثم مفتيًا عامًّا للمملكة العربية السعودية، ورئيسًا لهيئة كبار العلماء، توفي -رحمه الله تعالى- عام (١٤٢٠هـ).

انظر ترجمته في: روضة الناظرين للقاضي (٣/ ١٤٤).

تَدْرِيسُهُ:

تَوَسَّمَ فِيهِ شَيْخُهُ عَبْدُ الرَّحمنِ بنُ ناصرِ السّعْدِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- النَّجابَةَ وسُرْعَةَ التَّحْصِيلِ العِلْمِيِّ فشَجَّعَهُ عَلَى التَّدرِيسِ وهُوَ ما زالَ طَالِبًا فِي حَلقتِه، فبَدَأَ التَّدرِيسَ عامَ (١٣٧٠هـ) فِي الجامِعِ الكَبيرِ بعُنَيْزَةَ.

ولَمَّا تخرَّجَ فِي المَعْهَدِ العِلْمِيِّ فِي الرِّياضِ عُيِّنَ مُدَرِّسًا فِي المَعْهَدِ العِلْمِيِّ بعُنَيْزَة عامَ (١٣٧٤هـ).

وفِي سَنَةِ (١٣٧٦هـ) تُوُفِّيَ شَيْخُهُ العلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحمنِ بنُ ناصرِ السّعْدِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فتَوَلّى بعدَه إمامَةَ الجامِعِ الكَبيرِ فِي عُنَيْزَةَ، وإمامَةَ العِيدَيْنِ فِيها، والتَّدْرِيسَ فِي مكتبةِ عُنَيْزَةَ الوَطَنيَّةِ التَّابعةِ لِلجامِعِ؛ وهِي التِي أَسَّسَها شيخُه -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- عامَ (١٣٥٩هـ).

وَلَمَّا كَثُرَ الطَّلبةُ، وصارَتِ المكتبةُ لا تَكْفِيهم؛ بدَأ فَضيلتُه -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- يُدرِّسُ فِي المسجِدِ الجامِعِ نَفْسِهِ، واجتمَعَ إِلَيْهِ الطُّلَّابُ وتَوافَدُوا مِنَ المملكَةِ وغيرِها؛ حتَّى كانُوا يَبْلُغونَ المِئاتِ فِي بعضِ الدُّرُوسِ، وهؤلاءِ يَدْرُسُونَ دِراسَةً جادَّةً بِهَدَفِ التَّحصيلِ العِلمِيِّ، ولَيسَ لِمُجرَّدِ الاستِماعِ. وبَقِيَ عَلَى ذَلكَ -إمامًا وخَطيبًا ومُدرِّسًا- حتَّى وفاتِهِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-.

بَقِيَ الشَّيْخُ مُدرِّسًا فِي المَعْهَدِ العِلْمِيِّ مِن عامِ (١٣٧٤هـ) إلَى عامِ (١٣٩٨هـ) عندَما انتقَلَ إلَى التَّدرِيسِ فِي كُلِّيَّةِ الشَّرِيعَةِ وأُصُولِ الدِّينِ بِالقَصِيمِ، التَّابِعَةِ لجامِعةِ الإمامِ مُحَمَّدِ بنِ سُعُودِ الإِسلامِيَّةِ، وظَلَّ أُستاذًا فِيها حتَّى وفاتِه -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-.

وكانَ يُدرِّسُ فِي المسجِد الحَرامِ والمسجِد النَّبَويِّ، فِي مَواسِم الحَجِّ ورمَضانَ والإجازاتِ الصَّيْفِيَّة، مُنذُ عامِ (١٤٠٢هـ) حتَّى وفاتِهِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-.

وَللشَّيْخِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أُسلوبٌ تَعْليمِيٌّ فَريدٌ فِي جَودتِهِ ونَجاحِهِ، فهُو يُناقِشُ طُلَّابَهُ ويَتقبَّلُ أسئِلَتَهُم، ويُلقِي الدُّرُوسَ والمُحاضَراتِ بِهِمَّةٍ عالِيَةٍ ونَفْسٍ مُطْمَئنَّةٍ واثِقَةٍ، مُبْتَهِجًا بنَشْرِهِ لِلعِلْمِ وتَقْريبِهِ إلَى النَّاسِ.

آثارُه العِلْمِيَّةُ:

ظَهَرَتْ جُهُودُهُ العَظِيمةُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- خِلالَ أَكْثَرَ مِن خَمسِينَ عامًا مِنَ العَطاءِ والبَذْلِ فِي نَشْرِ العِلْمِ والتَّدْرِيسِ والوَعْظِ والإِرْشادِ والتَّوْجِيهِ وإِلْقاءِ المُحاضَراتِ والدَّعْوةِ إلَى اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

ولقَدِ اهتَمَّ بالتَّأْليفِ، وتَحريرِ الفَتاوَى والأَجْوبة، التِي تَميَّزَتْ بالتَّأصِيلِ العِلْمِيِّ الرَّصِينِ، وصدَرتْ لَهُ العَشَراتُ مِنَ الكُتُبِ والرَّسائِلِ والمُحاضَراتِ والفَتاوَى والخُطَبِ واللِّقاءاتِ والمَقالاتِ، كَما صدَرَ لَهُ آلافُ السَّاعاتِ الصَّوْتيَّةِ التِي سَجَّلَتْ مُحاضَراتِه وخُطَبَهُ ولِقاءاتِهِ وبرامِجَهُ الإذاعِيَّةَ ودُرُوسَهُ العِلْميَّةَ؛ فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، والشُّرُوحاتِ المُتميِّزَةِ لِلحَديثِ الشَّريفِ والسِّيرَةِ النَّبويَّةِ، والمُتُونِ والمَنْظُوماتِ فِي العُلُومِ الشَّرْعيَّةِ والنَّحْويَّةِ.

وَإنفاذًا لِلقَواعِدِ والضَّوابِطِ والتَّوْجِيهاتِ التِي قَرَّرها فَضيلتُهُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- لِنَشْرِ مُؤَلَّفاتِه، ورَسائِلِه، ودُرُوسِه، ومُحاضراتِه، وخُطبِه، وفَتاواهُ، ولقاءاتِه؛ تَقُوم مُؤَسَّسةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ صالِحِ العُثَيْمِين الخَيْرِيَّةُ -بعَوْنِ اللهِ تعالى وتَوْفِيقِه- بواجِبِ وشَرَفِ المَسْؤُوليَّةِ لإِخْراجِ كافَّةِ آثارِهِ العِلْمِيَّةِ والعِنايَةِ بِها.

وبِناءً علَى تَوْجِيهاتِه -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أُنْشِئَ لَهُ مَوقِعٌ خاصٌّ علَى شَبَكَةِ المَعْلُوماتِ الدَّوْلِيَّةِ[1]، مِن أَجْلِ تَعْمِيمِ الفائِدَةِ المَرجُوَّةِ -بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى-، وتَقدِيمِ جَمِيعِ آثارِهِ العِلْمِيَّةِ مِنَ المُؤَلَّفاتِ والتَّسْجِيلاتِ الصَّوْتِيَّةِ.

أَعْمالُه وجُهُودُهُ الأُخْرَى:

إِلَى جانِبِ تِلكَ الجُهُودِ المُثْمِرَةِ فِي مَجالاتِ التَّدْرِيسِ والتَّأْلِيفِ والإِمامَةِ والخَطابَةِ والإِفْتاءِ والدَّعْوةِ إِلَى اللهِ -سبحانه وتَعَالَى- كانَ لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ أَعمالٌ كَثِيرةٌ مُوَفَّقَةٌ مِنْهَا:

- عُضوًا فِي هَيْئة كِبارِ العُلماء فِي المَمْلكةِ العربيَّةِ السُّعوديَّة، مِن عام (١٤٠٧هـ) حتَّى وفاته.
- عضوًا فِي المَجْلِس العِلمِيِّ بجامِعةِ الإمامِ مُحَمَّدِ بنِ سُعُودٍ الإسلاميَّةِ، فِي العامَيْنِ الدِّرَاسِيَّيْنِ (١٣٩٨-١٤٠٠هـ).
- عضوًا فِي مَجْلِسِ كُلِّيَّةِ الشَّرِيعةِ وأُصُولِ الدِّينِ، بفَرْعِ جامِعةِ الإمامِ مُحَمَّدِ بنِ سُعُودٍ الإسلاميَّةِ فِي القَصِيمِ، ورَئِيسًا لقِسْمِ العَقِيدةِ فِيها.
- وفِي آخِرِ فَترةِ تَدرِيسِهِ بالمَعْهَدِ العِلْمِيِّ شارَكَ فِي عُضويَّةِ لجْنَةِ الخِطَطِ والمَناهِجِ لِلمَعاهِدِ العِلْمِيَّةِ، وأَلَّفَ عَدَدًا مِنَ الكُتُبِ المُقَرَّرَةِ فِيهَا.
- عُضوًا فِي لجْنَةِ التَّوْعِيَةِ فِي مَوْسِمِ الحَجِّ، مِن عام (١٣٩٢هـ) حتَّى وفاته -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، حيثُ كانَ يُلقِي دُرُوسًا ومُحاضراتٍ فِي مكَّة والمَشاعِر، ويُفْتِي فِي المَسائِلِ والأَحكامِ الشَّرعيَّة.

---

(١) www.binothaimeen.net

- تَرأَّسَ جَمعيَّةَ تَحفيظِ القُرْآنِ الكَريمِ الخَيريَّةَ فِي عُنَيْزَةَ مُنْذُ تَأْسِيسِها عامَ (١٤٠٥هـ) حتَّى وفاتِه.
- أَلقَى مُحاضراتٍ عَديدةً داخِلَ المملكةِ العربيَّةِ السُّعوديَّةِ علَى فِئاتٍ مُتنوِّعةٍ مِنَ النَّاسِ، كَمَا أَلقَى مُحاضراتٍ عَبْرَ الهاتِفِ علَى تَجمُّعاتٍ ومَراكِزَ إسلاميَّةٍ فِي جِهاتٍ مُختلفةٍ مِنَ العالَمِ.
- مِن عُلماءِ المملكةِ الكِبارِ الذِين يُجيبُونَ علَى أَسئلةِ المُسْتفسِرينَ عن الأَحكامِ والمسائِلِ؛ عَقِيدةً وشَريعةً وسُلوكًا، وذَلكَ عَبْرَ البَرَامِجِ الإِذاعيَّةِ فِي المملكةِ العَربيَّةِ السُّعُوديَّةِ، وأَشهرُها بَرْنامَجُ (**نُورٌ عَلَى الدَّرْبِ**) مِن إذاعةِ القرآنِ الكريمِ في المَمْلَكةِ العَربيَّةِ السُّعُوديَّةِ.
- نَذَرَ نَفْسَهُ لِلإجابَةِ علَى أَسئلةِ السَّائِلِينَ؛ مُهاتَفةً ومُكاتَبةً ومُشافَهةً.
- رَتَّبَ لِقاءاتٍ عِلميَّةً مُجَدْوَلَةً، أُسْبُوعيَّةً وشَهْريَّةً وسَنَويَّةً.
- شارَكَ فِي العَدِيد مِنَ المُؤتَمَراتِ التِي عُقِدَت فِي المملكةِ العربيَّةِ السُّعُوديَّةِ.
- ولأَنَّه يَهتمُّ بالسُّلُوكِ التَّربويِّ والجانِبِ الوَعْظِيِّ اعتنَى بتَوْجِيهِ الطُّلَّابِ وإِرشادِهِم إلَى سُلُوكِ المَنْهَجِ الجَادِّ فِي طَلَبِ العِلْمِ وتَحْصِيلِه، وعَمِلَ علَى استِقْطابِهِمْ والصَّبْرِ علَى تَعْلِيمِهِمْ وتَحمُّلِ أَسئلتِهِمُ الكثيرةِ المتنوِّعةِ، والاهتمامِ بأُمُورِهِمْ.
- ولِلشَّيخِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى- أَعمالٌ عَديدةٌ فِي مَيادِينِ الخَيرِ وأَبوابِ البِرِّ ومَجالاتِ الإِحْسانِ إلَى النَّاسِ، والسَّعْيِ فِي حَوائِجِهِمْ وكِتابَةِ الوَثَائِق والعُقُودِ بَيْنَهُمْ، وإِسداءِ النَّصِيحَةِ لهُمْ بِصِدْقٍ وإِخلاصٍ.

مَكَانَتُهُ العِلْمِيَّةُ:

يُعَدُّ فضيلةُ الشَّيْخِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ الذِينَ وَهَبَهُمُ اللهُ -بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ- تَأْصِيلًا وَمَلَكَةً عَظِيمَةً فِي مَعرِفَةِ الدَّلِيلِ واتِّبَاعِهِ واستِنْبَاطِ الأَحْكامِ والفَوائِدِ مِنَ الكِتابِ والسُّنَّةِ، وسَبْرِ أَغْوارِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ مَعَانِيَ وإِعْرابًا وبَلاغَةً.

وَلِمَا تَحَلَّى بِهِ مِن صِفاتِ العُلَماءِ الجَلِيلةِ، وأَخلاقِهِمُ الحَمِيدَةِ، والجَمْعِ بَيْنَ العِلْمِ والعَمَلِ؛ أَحَبَّهُ النَّاسُ مَحَبَّةً عَظِيمَةً، وقَدَّرَهُ الجَمِيعُ كُلَّ التَّقديرِ، ورَزَقَهُ اللهُ القَبُولَ لَدَيْهِمْ، واطْمَأَنُّوا لِاخْتِيارَاتِهِ الفِقْهِيَّةِ، وأَقْبَلُوا علَى دُرُوسِهِ وفَتاواهُ وآثارِهِ العِلْمِيَّةِ، يَنْهَلُونَ مِنْ مَعِينِ عِلْمِهِ، ويَسْتَفِيدُونَ مِنْ نُصْحِهِ ومَواعِظِهِ.

وقَدْ مُنِحَ جائِزَةَ المَلِك فَيْصَل -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- العَالَمِيَّةَ لِخِدْمَةِ الإِسلامِ عامَ (١٤١٤هـ)، وجاءَ فِي الحَيْثِيَّاتِ التِي أَبْدَتْها لَجْنَةُ الاخْتِيارِ لَمْنحِهِ الجائِزَةَ مَا يَأْتِي:

- أَوَّلًا: تَحَلِّيهِ بِأَخْلاقِ العُلَماءِ الفاضِلَةِ التِي مِنْ أَبْرزِها: الوَرَعُ، ورَحابَةُ الصَّدْرِ، وقَوْلُ الحَقِّ، والعَمَلُ لَمِصْلحةِ المُسلِمِينَ، والنُّصحُ لِخَاصَّتِهِم وعامَّتِهِم.
- ثانِيًا: انتِفاعُ الكَثِيرِينَ بعِلْمِهِ؛ تَدْرِيسًا وإِفتاءً وتَأْلِيفًا.
- ثالِثًا: إِلقاؤُهُ المُحاضَراتِ العامَّةَ النَّافِعةَ فِي مُختلَفِ مَناطِقِ المملكةِ.
- رابِعًا: مُشاركتُه المُفِيدةُ فِي مُؤتَمَراتٍ إسلاميَّةٍ كَثيرةٍ.
- خامِسًا: اتِّباعُه أُسلوبًا مُتميِّزًا فِي الدَّعْوةِ إِلَى اللهِ بالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنةِ، وتَقْدِيمُهُ مَثَلًا حَيًّا لِمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ؛ فِكْرًا وسُلُوكًا.

عَقِبُهُ:

لَهُ خَمْسَةٌ مِنَ البَنِينَ، وثَلاثٌ مِنَ البَنَاتِ، وبَنُوهُ هُمْ: عَبْدُ الله، وعَبْدُ الرَّحْمَن، وإِبْرَاهِيمُ، وعَبْدُ العَزِيزِ، وعَبْدُ الرَّحِيم.

وَفَاتُهُ:

تُوُفِّيَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي مَدِينَةِ جدَّةَ، قبيلَ مغربِ يومِ الأَرْبعاءِ، الخامِسَ عشَرَ مِنْ شَهْرِ شَوَّال، عامَ (١٤٢١هـ)، وَصُلِّي عَلَيه مِنَ الغَدِ فِي المسجِدِ الحَرَام بَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ، ثُمَّ شَيَّعَتْهُ تِلكَ الآلافُ مِنَ المُصَلِّينَ والحُشُودِ العَظِيمَةِ فِي مَشاهِدَ مُؤَثِّرَةٍ، ودُفِنَ فِي مَقبرةِ العَدْلِ بمَكَّةَ المُكَرَّمَةِ.

وبَعْدَ صَلاةِ الجُمُعةِ مِنَ اليَوْمِ التَّالي صُلِّي عَلَيه صَلاةَ الغائِبِ فِي جَمِيعِ مُدُنِ المملكةِ العربيَّةِ السُّعُوديَّةِ.

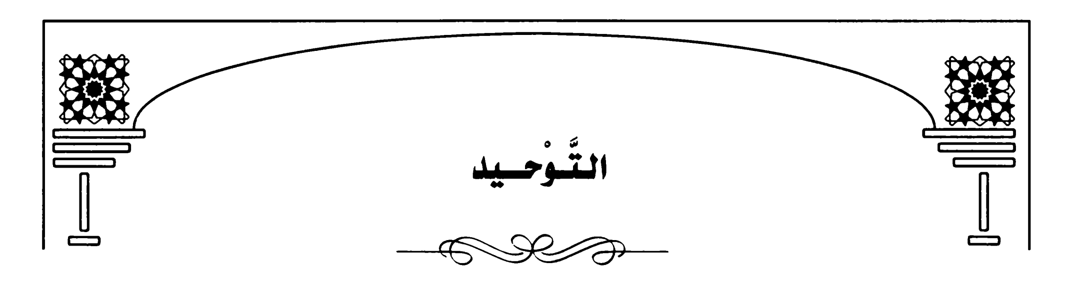
رَحِمَ اللهُ شَيْخَنا رَحْمَةَ الأَبرارِ، وأَسْكَنَهُ فَسِيحَ جَنَّاتِهِ، ومَنَّ عَلَيهِ بمِغْفِرَتِهِ ورِضْوَانِهِ، وجَزَاهُ عمَّا قَدَّم لِلإِسْلامِ والمُسلِمِينَ خيرَ الجَزَاءِ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ ورَسُولِهِ، خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وإمامِ المُتَّقِينَ، وسيِّدِ الأَوَّلِينَ والآخِرينَ، نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِهِ وأَصْحَابِهِ والتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

القِسْمُ العِلْمِيُّ

فِي مُؤَسَّسَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ العُثَيْمِين الخَيْرِيَّةِ





التَّوْحيد

س(١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن تعريف التَّوْحيد وأنواعه؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: التَّوْحيد لغة: «مصدر وحَّد يُوحِّد، أي: جعَل الشيء واحدًا» وهذا لا يتحقَّق إلا بنفيٍ وإثبات، نفي الحكم عما سِوى الموحَّد، وإثباته له، فمثلًا نَقول: إنه لا يَتمُّ للإنسان التَّوْحيدُ حتى يَشهَد أن لا إله إلا الله، فيَنفي الأُلوهية عما سِوى اللهِ عَزَّوَجَلَّ ويُثبِتها لله وحدَه.

وذلك أنَّ النفيَ المحضَ تعطيلٌ مَحْضٌ، والإثبات المحض لا يَمنَع مشاركة الغير في الحكم، فلو قلت مثلًا: «فلان قائم» فهنا أثبتَّ له القيام لكنَّك لم توحِّده به؛ لأنَّه مِن الجائز أن يُشارِكه غيره في هذا القيام، ولو قلت: «لا قائمَ» فقد نَفيت نفيًا محضًا ولم تُثبِت القيام لأحد، فإذا قلت: «لا قائمَ إلا زيدٌ» فحينئذٍ تكون وحَّدت زيدًا بالقيام حيث نفيتَ القيام عمَّن سِواه، وهذا هو تحقيق التَّوْحيد في الواقع، أي أن التَّوْحيد لا يكون توحيدًا حتى يَتضمَّن نفيًا وإثباتًا.

وأنواع التَّوْحيد بالنسبة لله عَزَّوَجَلَّ تَدخُل كلها في تَعريف عامٍّ وهو «إفرادُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بما يَختصُّ به».

وهي حسب ما ذكره أهل العلم ثلاثة:

الأوَّل: تَوْحيد الرُّبُوبيَّة.

الثَّاني: تَوْحيد الأُلُوهِيَّة.

الثَّالث: تَوْحيد الأَسْماء والصِّفات.

وعلِموا ذلك بالتتبُّع والاستقراء والنظر في الآيات والأحاديث، فوجدوا أن التَّوْحيد لا يَخرُج عن هذه الأنواع الثلاثة فنوَّعوا التَّوْحيد إلى ثلاثة أنواع:

الأول: تَوْحيد الرُّبُوبيَّة: وهو «إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالخَلْق والمُلْك والتَّدبير» وتفصيلُ ذلك:

أولًا: بالنسبة لإفراد الله تعالى بالخَلْق: فالله تعالى وحدَه هو الخالق لا خالق سِواه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر:٣]، وقال تعالى مبيِّنًا بُطلان آلهة الكفار: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧]. فالله تعالى وحدَه هو الخالق، خَلَق كل شيء فقدَّره تقديرًا، وخَلْقه يَشمَل ما يَقع مِن مَفعولاته، وما يَقَع مِن مَفعولات خَلْقه أيضًا، ولهذا كان مِن تَمام الإيمان بالقَدَر أن تُؤْمِن بأنَّ اللهَ تعالى خالقٌ لأفعال العباد كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

ووجه ذلك: أن فِعْل العبد من صِفاته، والعبد مَخلوق لله، وخالِق الشيء خالِق لصفاته.

ووجه آخر: أن فِعْل العبد حاصل بإرادة جازمة وقدرة تامَّة، والإرادة والقُدرة كِلتاهما مَخلوقتان لله عَزَّوَجَلَّ وخالق السبب التامِّ خالق للمُسبَّب.

فإن قيل: كيف نَجمَع بين إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالخَلْق مع أن الخَلْق قد يَثبُت لغير الله كما يدلُّ عليه قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً

﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤]، وقول النبي ﷺ في المُصوِّرين: «**يُقالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**»[1]؟

فالجواب على ذلك: أن غير الله تعالى لا يَخلُق كخَلْق الله، فلا يُمكِنه إيجادُ مَعدوم، ولا إحياءُ ميت، وإنما خَلْق غير الله تعالى يكون بالتغيير وتحويل الشيء مِن صفة إلى صفة أخرى وهو مَخلوق لله عَزَّوَجَلَّ فالمُصور مثلًا إذا صور صورة فإنه لم يُحدِث شيئًا، غايةُ ما هنالك أَنَّه حوَّل شيئًا إلى شيء، كما يُحوِّل الطين إلى صورة طير أو صورة جَمَل، وكما يُحوِّل بالتلوين الرُّقعة البيضاء إلى صورة ملونة، فالمِداد مِن خَلْق الله عَزَّوَجَلَّ والورقة البيضاء مِن خَلْق الله عَزَّوَجَلَّ هذا هو الفرق بين إثبات الخَلْق بالنسبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ وإثبات الخَلْق بالنسبة إلى المَخلوق، وعلى هذا يَكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُنفرِدًا بالخَلْق الذي يَختصُّ به.

ثانيًا: إفراد الله تعالى بالمِلك: فالله تعالى وحده هو المالك كما قال الله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون:٨٨]، فالمالك المِلك المُطلَقَ العامَّ الشاملَ هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده، ونسبة المِلك إلى غيره نسبة إضافية فقد أَثبَت الله عَزَّوَجَلَّ لغيره المِلك كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ [النور:٦١]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [المؤمنون:٦]، إلى غير ذلك مِن النُّصوص الدالَّةِ على أن لغير الله تعالى مِلْكًا، لكن هذا المِلْك ليس

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب التجارة فيما يُكره لبسه للرجال والنساء، رقم (٢١٠٥)، ومسلم: كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، رقم (٢١٠٧/٩٦) من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

كمِلْك الله عَزَّوَجَلَّ فهو مِلك قاصِر، ومِلك مُقيَّد، مِلك قاصر لا يَشمَل، فالبيت الذي لزَيدٍ لا يَملِكه عَمرٌو، والبيت الذي لعَمرٍو لا يَملِكه زيد، ثُمَّ هذا المِلك مُقيد بحيث لا يَتصرَّف الإنسانُ فيما مَلك إلا على الوجه الذي أَذِن اللهُ فيه، ولهذا نهى النبي ﷺ عن إِضاعة المال(١)، وقال الله تَبَارَكَوَتَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء:٥]، وهذا دليل على أن مِلْك الإنسان قاصِر ومِلك مُقيَّد، بخِلاف مِلك الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى فهو مِلك عام شامِل ومِلك مُطلَق يَفعَل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى ما يَشاء، ولا يُسأَل عما يَفعَل وهم يُسأَلون.

ثالثًا: التدبير فالله عَزَّوَجَلَّ مُنفرِد بالتدبير، فهو الذي يُدبِّر الخلق ويُدبِّر السَّموات والأرض، كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]. وهذا التدبير شامل لا يَحول دونَه شيء ولا يُعارِضه شيء، والتدبير الذي يَكون لبعض المَخلوقات كتَدبير الإنسان أَمواله وغِلمانه وخَدَمَه وما أشبه ذلك هو تَدبير ضَيِّق مَحدود، ومُقيَّد غير مُطلَق.

فظهر بذلك صِدق صِحة قولنا: «إن تَوْحيد الرُّبُوبيَّة هو: إفراد الله بالخَلْق والمِلْك والتدبير».

النوع الثَّاني: تَوْحيد الأُلُوهِيَّة: وهو «إفراد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بالعِبادة» بألَّا يَتَّخِذ الإنسان مع الله أحدًا يَعبُده ويَتقرَّب إليه كما يَعبُد الله تعالى ويَتقرَّب إليه، وهذا النوع مِن التَّوْحيد هو الذي ضلَّ فيه المُشرِكون الذين قاتلهم النبي ﷺ، واستباح

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب قوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾، رقم (١٤٧٧)، ومسلم: كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، رقم (٥٩٣/ ١٢) من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

دِماءَهم وأموالهم وأرضَهم ودِيارهم، وسبى نِساءَهم وذُرِّيَّتهم، وهو الذي بُعِث به الرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام، وأُنزِلت به الكُتُب مع أخوَيْه: تَوحِيدي الرُّبُوبيَّة والأَسْماء والصِّفات.

لكن أكثر ما يُعالِج الرُّسُل أقوامهم على هذا النوع من التَّوْحيد -وهو تَوْحيد الأُلُوهِيَّة- بحيث لا يَصرِف الإنسان شيئًا مِن العبادة لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا لَملك مُقرَّب، ولا لنبيٍّ مُرسَل، ولا لوليٍّ صالِح، ولا لأي أحَد مِن المَخلوقِين؛ لأن العبادة لا تَصحُّ إلا لله عَزَّوَجَلَّ، ومَن أخلَّ بهذا التَّوْحيد فهو مُشرِكٌ كافر، وإن أقرَّ بتوحيد الرُّبُوبيَّة، وبتوحيد الأَسْماء والصِّفات.

فلو أن رجلًا من الناس يُؤمِن بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الخالق المالك المُدبِّر لجميع الأمور، وأنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المُستحِقُّ لِما يَستَحِقُّه مِن الأَسْماء والصِّفات، لكن يَعبُد مع الله غيره لم يَنفَعْه إقراره بتَوحيد الرُّبُوبيَّة والأَسْماء والصِّفات.

فلو فُرِض أن رجلًا يُقِرُّ إقرارًا كاملًا بتَوحيد الرُّبُوبيَّة وتوحيد الأَسْماء والصِّفات، لكن يَذهَب إلى قَبْر فيعبُد صاحِبه أو يَنذُر له قُربانًا يَتقرَّب به إليه، فإن هذا مُشرِك كافر خالد في النار، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

ومِن المعلوم لكل مَن قرأ كِتاب الله عَزَّوَجَلَّ أن المُشرِكين الذين قاتلهم النبي ﷺ، واستحلَّ دماءهم وأموالَهم، وسَبَى نِساءهم وذُرِّيَّتهم، وغنِم أرضهم كانوا مُقرِّين بأن الله تعالى وحده هو الربُّ الخالق لا يَشكُّون في ذلك، ولكن لما كانوا يَعبُدون معه غيره صاروا بذلك مُشرِكين مُباحِي الدم والمال.

النوع الثَّالث: تَوْحيد الأَسْماء والصِّفات: وهو «إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما سمَّى الله به نفسه، ووصَف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وذلك بإِثبات ما أثبته مِن غير تَحرِيف، ولا تَعطيل، ومِن غير تكييف، ولا تَمثِيل». فلا بُدَّ مِن الإيمان بما سمَّى الله به نفسه ووصَف به نفسه على وجه الحقيقة لا المَجاز، ولكن مِن غير تكييف، ولا تَمثِيل.

وهذا النوع مِن أنواع التَّوْحيد ضلَّ فيه طوائِفُ مِن هذه الأُمَّة مِن أهل القِبلة الذين يَنتسِبون للإسلام على أوجهٍ شتَّى:

مِنهم: مَن غلا في النفي والتَّنزِيه غُلوًّا يَخرُج به مِن الإسلام.

ومِنهم: مُتوسِّط.

ومِنهم: قريب مِن أهل السُّنَّة.

ولكن طريقة السَّلف في هذا النوع مِن التَّوْحيد هو: أن يُسمَّى الله ويُوصَف بما سمَّى ووَصَف به نفسه على وجه الحقيقة، لا تَحرِيف، ولا تَعطيل، ولا تكييف، ولا تَمثِيل.

مثال ذلك: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سمَّى نفسه بالحي القيوم، فيَجِب علينا أن نُؤمِن بأن الحي اسم مِن أَسْماء الله تعالى ويَجِب علينا أن نُؤمِن بما تَضمَّنه هذا الاسم مِن وَصْف، وهي الحياة الكاملة التي لم تُسبَق بعَدَم ولا يَلحَقها فَناء. وسمَّى الله نفسَه بالسَّميع، فعَلينا أن نُؤمِن بالسميع اسمًا مِن أَسْماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبالسَّمْع صِفة مِن صِفاته، وبأَنَّه يَسمَع، وهو الحُكْم الذي اقتَضاه ذلك الاسم وتلك الصفة، فإن سَميعًا بلا سَمْع، أو سَمْعًا بلا إِدراك مَسموعٍ، هذا شيء مُحال، وعلى هذا فقِسْ.

مثال آخر: قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]، فهنا قال الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ فأثبتَ لنفسه يَدينِ مَوصوفتَينِ بالبَسْط -وهو العطاء الواسع- فيَجِب علينا أن نُؤمِن بأن لله تعالى يَدين اثنتَين مَبسوطتَين بالعطاء والنِّعَم.

ولكن يَجِب علينا ألا نُحاوِل بقلوبنا تَصوُّرًا، ولا بأَلسِنتِنا نُطقًا أن نُكيِّف تلك اليدين، ولا أن نُمثِّلها بأيدي المَخلوقِين؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ويَقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣]، ويَقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦]، فمَن مَثَّل هاتين اليَدين بأَيدي المَخلوقِين فقد كذَّب قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، وقد عَصى اللهَ تعالى في قوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل:٧٤]، ومَن كيَّفهما وقال: هما على كيفية مُعيَّنة أيًّا كانت هذه الكيفيةُ، فقد قال على الله ما لا يَعلَم، وقَفَا ما ليس له به عِلْم.

ونَضرِب مِثالًا ثانيًا في الصِّفات: وهو استِواء الله على عرشه، فإن الله تعالى أثبتَ لنَفسه أنَّه استوى على العرش في سَبعة مَواضِع مِن كتابه كلُّها بلَفْظ ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ وبلفظ ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وإذا رجَعنا إلى الاستواء في اللغة العربية وَجدْناه إذا عُدِّي بـ(على) لا يَقتضِي إلا الارتفاعَ والعلوَّ، فيَكون مَعنى قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وأمثالها في الآيات: أنَّه علا على عرشه عُلُوًّا خاصًّا غير العُلوِّ العامِّ على جميع الأكوان، وهذا العُلوُّ ثابِت لله تعالى على وجه الحقيقة، فهو

عالٍ على عرشه علوًّا يَليق به عَزَّوَجَلَّ لا يُشبِه عُلوَّ الإنسان على السرير، ولا عُلوَّه على الأنعام، ولا عُلوَّه على الفُلْك الذي ذَكَره الله في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف:١٢-١٤]. فاستواء المَخلوق على شيء لا يُمكِن أن يُماثِله استواء الله على عرشه؛ لأن الله ليس كمِثله شيء.

وقد أخطأ خطأً عظيمًا مَن قال: إن مَعنى استوَى على العرش: استولى على العرش؛ لأن هذا تَحريف للكلِم عن مَواضِعه، ومُخالِف لما أَجمَع عليه الصحابة رضوان الله عليهم والتابِعون لهم بإحسان، ومُستلزِم للوازمَ باطلةٍ لا يُمكِن لمُؤمِن أن يَتفوَّه بها بالنسبة لله عَزَّوَجَلَّ والقرآن الكريم نَزَل باللغة العربية بلا شكٍّ كما قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣]، ومُقتَضى صيغة «استوى على كذا» في اللغة العربية: العلوُّ والاستقرار، بل هو مَعناها المُطابِق للفظ.

فمَعنى استوى على العرش أي: علا عليه علوًّا خاصًّا يَليق بجلاله وعَظَمته، فإذا فُسِّر الاستِواء بالاستيِلاء فقد حَرَّف الكلِم عن مَواضعه، حيث نَفى المَعنى الذي تَدُلُّ عليه لغةُ القرآن -وهو العُلوُّ- وأثبتَ مَعنًى آخَرَ باطلًا.

ثم إن السَّلف والتابعين لهم بإحسانٍ مُجمِعون على هذا المَعنى؛ إذ لم يَأتِ عنهم حرف واحد في تَفسيره بخلاف ذلك، وإذا جاء اللفظ في القرآن والسُّنَّة ولم يَرِد عن السَّلف تَفسيره بما يُخالِف ظاهره فالأصل أنهم أَبقَوه على ظاهره واعتقدوا ما يَدُلُّ عليه.

فإن قال قائل: هـل وَرَد لَفـظٌ صريحٌ عنِ السَّلَف بأنهـم فسَّروا (استوى) بـ(علا)؟

قلنا: نعَم، ورَد ذلك عن السَّلف، وعلى فرْض ألَّا يَكون ورَد عنهم صريحًا فإن الأصل فيما دَلَّ عليه اللفظ في القرآن الكريم والسُّنَّة النبويَّة أنَّه باقٍ على ما تَقتضِيه اللغة العربية مِن المَعنى؛ فيَكون إثبات السَّلف له على هذا المَعنى.

أما اللوازم الباطلة التي تَلزَم مَن فسَّر الاستِواء بالاستِيلاء فهي:

أولًا: أن العرش قبل خَلْق السَّموات والأرض ليسَ مِلكًا لله تَعالى؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤].

وعلى هذا فلا يَكون الله مُستوليًا على العَرش قبل خلْق السَّموات ولا حينَ خَلْق السَّموات والأرض.

ثانيًا: أنَّه يَصِحُّ التعبير بقولنا: إن الله استَوى على الأرض، واستَوى على أي شيء مِن مَخلوقاته، وهذا بلا شكٍّ ولا ريبٍ مَعنًى باطِلٌ لا يَليق بالله عَزَّوَجَلَّ.

ثالثًا: أنَّه تَحريف للكلِم عن مَواضعه.

رابعًا: أنَّه مُخالِف لإجماع السَّلف الصالح رِضوان الله عليهم.

وخلاصة الكلام في هذا النَّوع -تَوْحيد الأَسْماء والصِّفات-: أنَّه يَجِب علينا أن نُثبِت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأَسْماء والصِّفات على وجه الحقيقة مِن غير تَحرِيف، ولا تَعطيل، ولا تَكيِيف، ولا تَمثِيل.



س(٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل الإيمان هو التَّوْحيدُ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: التَّوْحيد: «إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بما يَختصُّ به ويَجِب له». والإيمان: هو «التصديق المُتضمِّن للقَبول والإِذعان».

وبينهما عموم وخصوص؛ فكلُّ مُوحِّد مُؤمِن، وكل مُؤمِن مُوحِّد بالمَعنى العامِّ.

ولكن أحيانًا يَكون التَّوْحيد أخصَّ مِن الإيمان، والإيمان أخصَّ مِن التَّوْحيد. والله أعلم.

س(٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل الإيمانُ هو التَّوْحيدُ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الإيمان والتَّوْحيد شيئان متغايرانِ وشيئان متَّفقان، فالتَّوْحيد هو: إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بما يستحقه ويختص به من الرُّبُوبيَّة والأُلُوهِيَّة والأَسْماء والصِّفات، ولهذا قال العُلَماء رَحِمَهُمُاللَّهُ: إن التَّوْحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- توحيد الرُّبُوبيَّة.

٢- وتوحيد الأُلُوهِيَّة.

٣- وتوحيد الأَسْماء والصِّفات.

وأن هذه الأقسامَ جاءت في قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، فقوله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يَعني: تَوْحيد الرُّبُوبيَّة، وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ يعني: تَوْحيد

الألُوهِيَّة، وقوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ يعني تَوْحيد الأَسْماء والصِّفات. وهذا التقسيمُ للإيمان في الواقع؛ لأن الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ يَتضمَّن الإيمان بِربوبِيَّته وأُلوهِيَّته وأسمائه وصفاته.

وعلى هذا فالمُوحِّد لله مُؤمِن به، والمُؤمِن بالله مُوحِّد له، لكن قد يَحصُل خلل في التَّوْحيد أو في الإيمان فينقُصان، ولهذا كان **القول الراجِح**: إن الإيمان يَزيد ويَنقُص في حقيقته وفي آثاره ومُقتضَياته، فالإنسان يَجِد مِن قَلْبه أحيانًا طُمأنينة بالغة كأنَّما يُشاهِد الغائب الذي كان يُؤمِن به، وأحيانًا يَحصُل له شيء مِن قِلَّة هذا اليَقين الكامل، وإذا شئت أن تَعرِف أن اليَقين يَتفاوَت فاقرأ قول الله تعالى عن إبراهيم خليله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [البقرة:٢٦٠]، كما أنَّه أيضًا يَزيد بآثاره ومُقتضَياته، فإن الإنسان كُلَّما ازداد عَملًا صالحًا ازداد إيمانه حتى يَكون مِن المُؤمِنين الخُلَّص.

| س(٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: كيف يُحقِّق المسلم التَّوْحيدَ لله عَزَّوَجَلَّ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: يُحقِّق التَّوْحيد بإخلاص شهادة أن لا إله إلا الله، أي: لا مَعبود حقٌّ إلا الله عَزَّوَجَلَّ، فكل ما عُبِد مِن دون الله فهو باطل، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

ويُحقِّق التَّوْحيد بتوحيد الاتِّباع، وذلك بالتَّمسُّك بسُنَّة النبي ﷺ، وألَّا يَحيد عنها يَمينًا ولا شِمالًا، وألا يَتقدَّمها إقبالًا ولا يَتأخَّر عنها إدبارًا.

س(٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن تحقيق تَوْحيد الأُلُوهِيَّة والعبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: يُحقِّق التَّوْحيدَ بالإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، وأن تَكون عبادته لله تعالى وحده لا يُرائِي فيها ولا يُحابي فيها، وإنما يَعبُد الله مُخلِصًا له الدِّينَ، هذا بالنسبة للعبادة، كذلك أيضا بالنسبة للرُّبوبية، فلا يَعتمِد إلا على الله ولا يَستعِين إلا بالله، قال النبي ﷺ لابن عمِّه وهو عبد الله بن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: **«يَا غُلامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجاهَكَ، إذا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ»**(١).

وعليه أن يَسأل اللهَ دائمًا الثَّباتَ على الحقِّ وعلى التَّوْحيد، فإن كثيرًا مِن الناس وإن كان معه أصل التَّوْحيد لكن يَكون هناك أشياءُ مُنقِصة، وأَضرِب لك مثلًا شائعًا عند الناس يَتهاوَنون به، وهو الاعتِماد على الأسباب، فإن مِن المَعلوم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدَّر للأشياء أَسبابًا، فالمَرَض قَدَّر الله للشفاء مِنه أسبابًا، والجهل قَدَّر الله تعالى للتَّخلُّص مِنه أسبابًا، والأولاد قدَّر الله لهم أسبابًا، وهلمَّ جرًّا.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢٩٣)، والترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح.

فبعض الناس يَعتمِد على السبب، فتَجِده إذا مَرِض يَتعلَّق قلبه تَعلُّقًا كُلِّيًّا بالمُستشفى وأطبائه، ويَذهَب وكأن الشفاء بأيديهم، ويَنسى أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جعل هؤلاءِ أسبابًا قد تَنفَع وقد لا تَنفَع، فإن نَفَعت فبفَضْل الله وتَقديره، وإن لم تَنفَع فبِعَدْل الله وتقديره، فلا يَجوز أن يَنسى الإنسان المُسبِّب ويَتذكَّر السبب، ونحن لا نُنكِر أن السببَ له تأثيرٌ في المُسبَّب، لكن هذا التأثير إنما كان بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَى في السَّحرة: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢].

فالمُهمُّ: أن تَحقيق التَّوْحيد هو تَعلُّق القلب بالله تَبَارَكَوَتَعَالَى خوفًا وطمَعًا، وتَخصيص العبادة له وحدَه لا شريكَ له جلَّ وعلَا.

س(٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن شِرك المُشرِكين الذين بُعث فيهم النبي ﷺ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: بالنسبة لشِرْك المُشرِكين الذين بُعِث فيهم النبي ﷺ فإنه ليس شِركًا في الرُّبُوبيَّة؛ لأن القرآن الكريم يَدُلُّ على أنهم إنما كانوا يُشرِكون في العبادة فقط.

أما في الرُّبُوبيَّة فيُؤمِنون بأن الله وحدَه هو الرَّب، وأنَّه مُجيبُ دعوة المُضطرِّين، وأنَّه هو الذي يَكشِف السُّوء، إلى غير ذلك مما ذكَر الله عنهم مِن إقرارهم بربوبية الله عَزَّوَجَلَّ وحدَه.

ولكنهم كانوا مُشرِكين بالعبادة يَعبُدون غير الله معه، وهذا شِرْك مُخرِج عن

المِلَّة؛ لأن التَّوْحيد هو عبارة -حَسَب دلالة اللفظ- عن جَعْل الشيء واحدًا، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له حقوق يَجِب أن يُفرَد بها، وهذه الحقوق تَنقسِم إلى ثلاثة أقسام:

١- حقوق مِلك.

٢- حقوق عِبادة.

٣- حقوق أَسْماء وصِفات.

ولهذا قسَّم العُلَماء التَّوْحيد إلى ثلاثة أقسام: تَوْحيد الرُّبُوبيَّة، وتوحيد الأَسْماء والصِّفات، وتوحيد العبادة.

فأما تَوْحيد الرُّبُوبيَّة: فهو إفراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالخَلْق والمِلْك والأَمْر، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤].

فالخَلْق والأَمْر -وهو التَّدبير- هو الرُّبُوبيَّة، وهو مُختصٌّ بالله عَزَّوَجَلَّ، فلا خالق إلا الله، ولا مالك ولا مُدبِّر إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

وأما تَوْحيد الأَسْماء والصِّفات: فهو إفراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأسمائه وصفاته، بحيث يُؤمِن العبد بما أثبتَ الله لنَفسِه في كتابه أو أَثبَته له رسوله ﷺ مِن الأَسْماء والصِّفات على الوجه الذي أراد الله ورسوله ﷺ، وعلى الوجه اللائِق به مِن غير إثبات مَثيل له؛ لأن إثباتَ المَثيل لله تعالى شِرْك به.

وأما تَوْحيد العبادة: فهو إفراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالعبادة، بمَعنَى أن تَعبُد الله مُخلِصًا له الدِّينَ؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:١١]. فالمُشرِكون إنما أشركوا في هذا القِسم -قِسْم العِبادة- حيث كانوا يَعبُدون مع الله غيرَه، وقد قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦]. أي: في عِبادته.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

وقال تعالى في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون:١-٦].

وقولي: «في سورة الإخلاص» يَعني: إخلاص العمل، فهي سورة إخلاص العَمل، وإن كانت تُسمَّى سورة (الكافرون) لكنها في الحقيقة سورة إخلاصٍ عمليٍّ، كما أن سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ سورة إخلاصٍ عمليٍّ وعقيدةٍ. والله المُوفِّق.





مصادر التَّلَقي

س(٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عمَّن يَرى أن أحاديثَ الآحاد لا تَثبُت بها العقيدةُ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: جوابنا على مَن يَرى أن أحاديث الآحاد لا تَثبُت بها العقيدة لأنها تُفيد الظنَّ، والظنُّ لا تُبنَى عليه العقيدة أن نَقول:

هذا رأي غير صوابٍ؛ لأنَّه مَبنِيٌّ على غير صواب، وذلك مِن عدة وجوهٍ:

١- القول بأن حديث الآحاد لا يُفيد إلا الظنَّ ليس على إطلاقه، بل في أخبار الآحاد ما يُفيد اليَقين إذا دلَّتِ القرائن على صِدْقه، كما إذا تَلقَّتْه الأُمَّة بالقبول مثل حديثِ عمرَ بنِ الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[1]؛ فإنه خبَر آحاد، ومع ذلك فإننا نَعلَم أن النبي ﷺ قاله، وهذا ما حقَّقه شيخ الإسلام ابنُ تيميَّة[2] والحافِظُ ابنُ حجر[3] وغيرهما.

٢- أن النبي ﷺ يُرسل الآحاد بأُصول العقيدة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإرساله حُجَّة مُلزِمة، كما بَعَث معاذًا إلى اليمن[4]، واعتبَر بَعثَه

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، رقم (١)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنيَّة...**»، رقم (١٩٠٧/ ١٥٥)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: الفتاوى الكبرى (٥/ ٨١).

(٣) ينظر: فتح الباري (٣/ ٢٣٣).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم (١٣٩٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم (١٩/ ٢٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

حجَّة ملزِمة لأهل اليمن بقَبوله.

٣- إذا قلنا بأن العقيدة لا تَثبُت بأخبار الآحاد أَمكَن أن يُقال: والأحكام العمَلية لا تَثبُت بأخبار الآحاد؛ لأن الأحكام العمَلية يَصحَبها عقيدة أن الله تعالى أَمَر بهذا أو نهى عن هذا، وإذا قُبِل هذا القولُ تَعطَّل كثير مِن أحكام الشريعة، وإذا رُدَّ هذا القول فلْيُرَدَّ القولُ بأن العقيدة لا تَثبُت بخبر الآحاد؛ إذْ لا فَرْق كما بيَّنَّا!.

٤- أن الله تعالى أَمَر بالرجوع إلى قول أهل العِلْم لَمن كان جاهلًا فيما هو مِن أَعظَم مَسائل العقيدة -وهي الرسالة-، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، وهذا يَشمَل سُؤال الواحد والُمتعدِّد.

والحاصل: أن خبر الآحاد إذا دلَّت القَرائِن على صِدقه أفاد العِلْم وثَبَتَتْ به الأحكام العَمَلية والعِلْمية، ولا دَليلَ على التفريق بينهما، ومَن نَسَب إلى أحد مِن الأئمة التفريق بينهما فعَليه إثبات ذلك بالسند الصحيح عنه، ثم بيان دليله الُمستَنِد إليه.

س(٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هـل يَجوز للمسلم أن يَقتنِـي الإنجيل؛ ليَعرفَ كلامَ الله لعَبده ورسوله عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا يَجوز اقتِناء شيء مِن الكتُب السابقة على القرآن مِن إنجيل أو توراة أو غيرهما لسَبَبَين:

السَّبب الأوَّل: أنَّ كل ما كان نافِعًا فيها فقد بَيَّنه الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن الكريم.

السَّبب الثَّاني: أن في القرآن ما يُغنِي عن كلِّ هذه الكتُب؛ لقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [آل عمران:٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة:٤٨]، فإن ما في الكتب السابقة مِن خير موجودٌ في القرآن.

أما قول السَّائل: إنه يُريد أن يَعرِف كلام الله لعَبْده ورسوله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإن النافع مِنه لنا قد قَصَّه الله في القرآن فلا حاجةَ لبحث في غيره، وأَيضًا فالإنجيل المَوجود الآن مُحرَّف، والدليل على ذلك أنها أربعة أَناجِيلَ يُخالِف بَعضُها بعْضًا وليست إنجيلًا واحدًا، **إِذَنْ**: فلا يُعتَمد عليه.

أما طالب العِلْم الذي لديه عِلْم يَتمكَّن به مِن مَعرِفة الحق مِن الباطل فلا مانِع مِن مَعرِفته لها؛ لردِّ ما فيها مِن الباطل وإقامة الحُجَّة على مُعتنِقيها.

س(٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن أُصول أهل السُّنَّة والجماعة في العقيدة وغيرها مِن أمور الدِّين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: قاعدة أهل السُّنَّة والجماعة في العقائد وغيرها مِن أُمور الدِّين، هو التَّمسُّك التامُّ بكِتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وما عليه الخلفاء الراشِدون مِن هَدْي وسُنَّة؛ لقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١]، ولقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:٨٠]، ولقول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ

﴿ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧]، وهذا وإن كان في قِسمة الغنائم فهو في الأُمور الشرعية مِن بابِ أَولى.

ولأن النبي ﷺ كان يَخطُب الناس يوم الجمعة، فيقول: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيرَ الحَدِيثِ كِتابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ**»(١).

ولقوله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْها بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**»(٢).

والنصوص في هذا كثيرة، فطريق أهل السُّنَّة والجماعة ومِنهاجهم هو التَّمسُّك التامُّ بكِتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وسُنَّة الخلفاء الراشِدين المَهدِيِّين مِن بَعده، ومِن ذلك أنهم يُقيمون الدِّين ولا يَتفرَّقون فيه؛ امتِثالًا لقَوْل الله تَعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣].

وهم وإن حَصَل بَينَهم مِن الخِلاف ما يَحصُل مما للاجتهاد فيه مَساغ، فإن هذا الخِلاف لا يُؤدِّي إلى اختِلاف قُلوبهم؛ بل تَجِدُهم مُتآلِفين مُتحابِّين وإن حصَل مِنهم هذا الاختِلاف الذي طرِيقه الاجتِهاد.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٧/ ٤٣)، والنسائي: كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة، وهذا لفظه، رقم (١٥٧٨) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٢٦)، وأبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧)، والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه: كتاب المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم (٤٢)، من حديث العرباض ابن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(١٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل نُسِختِ التوراةُ والإنجيلُ والكتُبُ المُتقدِّمة بالقرآن؟ وما حُكْم قِراءتها للعالِم للاطِّلاع؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الكتُب السابقة مَنسوخة بالقرآن الكريم؛ لقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨]، فكلمة: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ تَقتضِي أن القرآن الكريم حاكم على جميع الكتُب السابقة، وأن السُّلطة له، فهو ناسخ لجميع ما سبقه مِن الكتُب.

وأما قراءة الكتُب السابقة: فإنْ كان للاهتِداء بها والاسترِشاد فهو حرام ولا يَجوز؛ لأن ذلك طعْن في القرآن والسُّنَّة، حَيثُ يَعتقِد هذا المُسترشِد أنها -أي: الكتُب السابقة- أكملُ ممَّا في القرآن والسُّنَّة.

وإن كان الاطلاع عليها ليَعرِف ما فيها مِن حقٍّ فيَرُدَّ به على مَن خالفوا الإسلام فهذا لا بأسَ به، وقد يَكون واجِبًا؛ لأن مَعرِفة الداء يُمكِن بها تَشخيصُ المَرَض ومُحاولة شِفائه، أما مَن ليس عالمًا ولا يُريد أن يَطَّلع ليَرُدَّ فهذا لا يُطالِعها.

إِذَنْ: فأقسام الناس فيها ثلاثة:

١- مَن طالَعها للاسترِشاد بها، فهذا حرام ولا يَجوز؛ لأنَّه طعْن في كِتاب الله وسُنَّة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- ومَن طالعها ليَعرِف ما فيها مِن حقٍّ فيَرُدَّ به على مَن تَمَسَّكوا بها وتَركوا الإسلام، فهذا جائز، بل قد يَكون واجِبًا.

٣- ومَن طالَعها لمُجرَّد المُطالَعة فقط لا لِيَهتدِيَ بها ولا ليَرُدَّ بها، فهذا جائز، لكن الأولى التَّباعُد عن ذلك؛ لئلا يُخادِعه الشيطان بها، وأرى مِن الواجِب على مَن رأى هذه الكتُبَ أن يُحرِقها.

س(١١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما حُكْم قِراءة الكتُب السماوية مع عِلْمنا بتَحرِيفها؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أولًا: يَجِب أن نَعلَم أَنَّه ليس هناك كِتاب سماويٌّ يُتعبَّد لله بقراءته، وليس هناك كِتاب سماويٌّ يَتعبَّد الإنسان لله تعالى بما شَرَع فيه إلا كتابًا واحدًا، وهو القرآن، ولا يَحِلُّ لأَحَد أن يُطالِع في كتُب الإنجيل ولا في كتُب التوراة، وقد رُوِي عن النبي ﷺ أَنَّه رأى مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحيفة مِن التوراة فغضِب وقال: «**أَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ؟**»[1] والحديث وإن كان في صِحَّته نَظَر، لكن الصحيح أَنَّه لا اهتِداء إلا بالقرآن.

ثم هذه الكتُب التي بأيدي النصارى الآن أو بأيدي اليهود قد حَرَّفوا فيها وبَدَّلوا وغَيَّروا، فلا يُوثَق أن ما في أيديهم هي الكتُب التي نَزَّلها الله عَزَّوَجَلَّ، ثم إن جميع الكتُب السابقة مَنسوخة بالقرآن فلا حاجة لها إطلاقًا.

نعم، لو فُرِض أن هناك طالبَ عِلْم ذا غَيرةٍ في دِينه وبَصيرة في عِلْمه وقام بمُطالعة كتُب اليهود والنصارى مِن أجل أن يَرُدَّ عليهم مِنها فهذا لا بأس أن يُطالِعها لهذه المَصلَحة، وأَمَّا عامَّة الناس فلا.

ولهذا أرى مِن الواجِب على كل مَن رأى مِن هذه الكتُب شيئًا أن يُحرِقه، فالنصارى -عليهم لعنة الله إلى يوم القيامة- صاروا يَبُثُّون في الناس في هذه الأزمنة المُتأخِّرةَ ما يَدَّعونه إنجيلًا على شَكْل المصحف تمامًا، فتَجِده مَشكولًا على وجه صَحيح، وبفَواصِلَ كفواصلِ السُّور، والذي لا يَعرِف المصحف -كرجُل

---

(١) أخرجه الإمام أحمد -بمعناه- (٣/ ٣٨٧) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٧٣-١٧٤): فيه مُجالِد بن سعيد، ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما.

مسلِم ولكنه لا يَقرَأ- إذا رأى هذا ظنَّ أنَّه القرآن، وكلُّ هذا مِن خُبثِهم ودَسِّهم على الإسلام، فإذا رأيتَ -أخي المسلم- مِثل هذا فبادِرْ بإِحراقه، فإنه يَكون لك أَجرٌ؛ لأن هذا مِن باب الدِّفاع عن الإسلام والتعاوُن على البرِّ والتقوى.

س(١٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: مَن وَجَد كتُب النصارى هل يُحرِقها أم يَدفعُها للنصارى؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: كأن السَّائل يُريد أنَّه وجَد نُسخًا مِن الإنجيل وأَشكَل عليه هل يُحرِقها أو يَدفَعها للنصارى الذين يَدَّعون أنهم مُتَّبِعون لعيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والذي أرى أنَّه يَجِب عليه إِحراقها، وأنَّه لا يَحِلُّ له أن يُعطيَها النصارى.

س(١٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل يَجوز تِلاوة الإنجيل لشَخْص يَتلو القرآنَ أيضًا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: تِلاوة غير القرآن الكريمِ مِن الكتُب السابقة تُقسَم إلى قسمين:

أحدهما: أن يَكون التالي عالِمًا بالشريعة، ويَقرأها ليُقيم الحُجَّة على مُعتنِقيها بصِدق ما جاء به الإسلام، فالقراءة وسيلة إلى أمْر مَحمود فتكون مَحمودة.

والقِسم الثَّاني: أن تكون القراءة من عاميٍّ لا يَعرِف ويَقصِد الاهتِداء بهذه الكتب، فهذه حرام عليه؛ لأنَّه لا يَجوز أن يَسترشِد بالكتب السابقة، وعنده القرآن

الكريم الذي قال الله عنه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨]، فلا يجوز الاهتِداء بغير ما جاء به النبي ﷺ.

س(١٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: رجل قرأ في كتاب مَسيحيٍّ فيه: أن المَسيحَ ابنُ الله تعالى، مع عِلْم هذا الرجل بأن هذا كلامُ كفرٍ، فهل يَلحَقه إِثْم في قراءته؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا الكتاب الذي ذَكَره السَّائل لم يَتبيَّن أنَّه الإنجيل أو غيره، وعلى كل حالٍ: فإن الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل قراءتها على ثلاثة أَوجُه:

أحدها: أن يَقرأَها للاستِرشاد بها والاستِفادة منها، فهذا لا يَجوز؛ وذلك لأن في القرآن والسُّنَّة ما يُغنِي عنها.

الثَّاني: أن يَقرأَها ليَعرِفَ ما فيها مِن حقٍّ فيُلزِم به مُتَّبِعِيها، ويُبيِّن خطأَهم في مُخالفة ما جاء به محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: فهذا لا بأس به، بل هو مَطلوب: إما وجوبًا، وإما استِحبابًا.

الثَّالث: أن يَقرأَها لِـمُجرَّد المُطالعة فقط؛ ليَعرِف ما عندهم، وليس يُريد أن يَسترشِد بها أو يَهتدِي بها عن القرآن والسُّنَّة، ولا أن يَرُدَّ على مُتَّبِعِيها باطلَهم: فالأولى ألا يَقرأَ فيها؛ لأنَّه يَخشى أن يَتأثَّر بها ويَجعَلها مَصدرًا لرَشاده وهِدايته.





أهل السُّنَّة والجماعة

س(١٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: مَن هم أهل السُّنَّة والجماعة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أَهل السُّنَّة والجماعة همُ: الذين تمسَّكوا بالسُّنَّة، واجتَمعوا عليها، ولم يَلتَفِتوا إلى سِواها، لا في الأُمور العِلْمية العَقَدية، ولا في الأُمور العَمَلِيَّة الحُكْمية؛ ولهذا سُمُّوا أهلَ السُّنَّة؛ لأنَّهم مُتمسِّكون بها، وسُمُّوا أهل الجماعة؛ لأنهم مُجتَمِعون عليها.

وإذا تَأمَّلت أحوال أهل البِدعة وَجدتَهم مُختَلِفين فيما هم عليه مِن المِنهاج العَقَدي أو العَمَلي، مما يَدُلُّ على أنهم بَعيدون عن السُّنَّة بقَدْر ما أَحْدثوا مِن البِدعة.

س(١٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: في بعض دروس التاريخ الإسلامي بَعضُ المَوضوعات التي تُؤدِّي إلى بُغْض بَعْض الصحابة رضوان الله عليهم، فما قولكم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ما قاله السَّائل صحيح، فإن التاريخ في الحقيقة يُزوَّر ويُشَوَّه حَسب ما تكون الدولة، فهو خاضِعٌ -مع الأسف- للدولة بحيث تُوجِّهه حيثما تُريد، وخاضِعٌ كذلك لبَعض الأفكار التي تَجتَرِئ على الكذِب وتَستسِيغه في جانب ما تدعو إليه وتَهدِف إليه.

ولِذلك نَرى في كثيرٍ مِن كتُب التاريخ أشياءَ مُشوَّهة إن كانت صِدقًا، وكثيرًا مِنها مُزوَّرة مَكذوبة، لا سِيَّما فيما جرى بين الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ مما هم فيه مَعذورون؛ لأنهم مُجتَهِدون، ومَن أصاب مِنهم له أجران، ومَن أخطأ فله أجر، وخطؤه مَغفور.

فيَجِب على المَرْء أن يَحذَر مِن مِثل هذه الكتب المُزوَّرة أو المُشوَّهة بزيادة أو نَقْص، لا سيَّما إذا كان يَشعُر بأن هذا الكِتاب مَثَلًا يُسِيء إلى الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في تَشوِيه حَياتهم ومُجتَمعاتهم؛ لأن القَدْح في الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ليس قَدْحًا في الصحابة أنفسهم فقط؛ بل هو قَدْح فيهم وقَدْح في رسول الله ﷺ وقَدْح في الشريعة وقَدْح في الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ لأنَّه إذا صار القَدْح في الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كان ذلك قَدْحًا في الشريعة؛ لأنهم هم وَسيلة النَّقْل، فهمُ الذين نَقَلوا إلينا شريعة الله وسُنَّة نبيه محمَّد ﷺ، فإذا كانوا مَحَلَّ قَدْح وعَيْب فكيف نَثِقُ بالشريعة التي بَين أيدينا وهي جاءت عن طريقهم؟!

وإذا كان قدحًا في الصحابة صار قَدْحًا في النبي ﷺ؛ لأنهم أصحابه وأَحبابه وناصِروه على أعدائه، والقَدْح في الصاحب قَدْح في المَصحوب، وإذا كان قَدْحًا في الصحابة صار قَدْحًا في الله عَزَّوَجَلَّ، فكيف يُقال: إن الله تعالى اختار لنبيِّه ﷺ -وهو أفضل خَلْقه- مِن مِثل هؤلاء الأصحاب الذين هم مَحَلُّ القَدْح والسبِّ والعَيْب؟!

إِذَنْ: فالقَدْح في الصحابة قَدْح في الله وفي رسوله ﷺ وفي شريعته، والأمر أمر عظيم، وكتُب التاريخ قد يَكون بعضُها تَناوَل هذا الأمر مما يَكون دالًّا عَلى القَدْح في الصحابة: إمَّا تَصريحًا، وإمَّا تَلميحًا، فلْيَحْذَرِ المُؤمِن مِن مِثل هذه التواريخ التي تُضلُّه، والله المستعان.

س(١٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن الحقِّ الواجِب على المُسلِمين تُجاه صحابة رسول الله ﷺ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الواجب على المُسلمين محبَّتهم واحترامُهم، والذَّود عن أعراضهم، والسكوت عما جرى بينهم مِن القِتال، واتِّهام مَن سبَّهم بالنِّفاق، وذلك لأنَّه لا أحَدَ يَجرُؤُ على سَبِّ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ إلا مَن غمَره النفاق -والعِياذ بالله-، وإلا فكَيف يسبُّ الصحابة وقد قال النبي ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١)؟ وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي**»(٢)؛ ثم إنَّ سبَّ الصحابة قَدْح في الصحابة وقَدْح في الشريعة وقَدْح في الرسول ﷺ وقَدْح في حِكْمة الله عَزَّوَجَلَّ.

أما كَونه قَدْحًا للصحابة فواضح.

وأما كونه قَدْحًا في الشريعة؛ فلأن الذين نَقلوا إلينا الشريعة همُ الصحابة، وإذا كان ناقلُ الشريعة على الوصف الذي يَسبُّهم به من سَبَّهم لم يَبقَ للناس ثقة بشريعة الله؛ لأن بَعْض مَن يَسُبُّ الصحابة يَصِفهم بالفجور والكُفْر والفُسوق -والعياذ بالله-، ولا يُبالي أن يَسُبَّ هذا السبَّ على أشرف الصحابة أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم (٢٦٥٢)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٣/ ٢١٢) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذًا خليلًا**»، رقم (٣٦٧٣)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، رقم (٢٥٤١/ ٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وأما كونه قَدْحًا برسول الله ﷺ فلأن الصاحِب على حَسب حال صاحبه بالنسبة لاعتبارهم ومَعرفة قَدْره؛ ولذلك تَجِد الناس إذا رأوا هذا الشخصَ صاحبًا لفاسِق نَقَص اعتبارُه عِندهم، وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»(١). وفي الحِكْمة المَشهورة المَنظومة(٢):

عَنِ المَرْءِ لا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ... فَكُلُّ قَرِينٍ بِالمُقَارِنِ يَقْتَدِي

وأَمَّا كونُه طَعْنًا في حِكمةِ الله، فنَقولُ: هل مِنَ الحِكمة أن يَختار الله لأشرَفِ خَلْقه محمد ﷺ هؤلاء الأصحابَ الذين هم مَحَلُّ القَدْح والسَّبِّ؟! واللهِ لَيس هذا مِن الحِكمة.

س(١٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: لماذا سُمِّيَت أزواج النبي بأمَّهات المُؤمنين؟ وجزاكم الله عنَّا خيرَ الجزاء.

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: سُمِّيت بأمَّهات المُؤمنين من باب الاحتِرام والتعظيم، وليس يَترَتَّب على هذه الأُمُومة شيء مِن تَحريم أو تحليل سِوى احترامِهن والترضِّي عنهن، فيَجِب على المسلمين احترامُهن لأنَّهن أُمَّهاتُهم، وأما تحريم نِكاحِهن بعد رسول الله ﷺ فذلك من باب تَعظيم حُرمة النبي ﷺ حيث لا تَحِلُّ أزواجه لمن بعده أبدًا.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد: (٢/ ٣٠٣)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم (٤٨٣٣)، والترمذي: كتاب الزهد، رقم (٢٣٧٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) البيت لطرفة بن العبد، ينظر: «ديوانه» (ص:١٣٢)، ونسبه ابن أبي الخطاب في جمهرة أشعار العرب (ص:٣٩٤)، وأبو عبيد في الأمثال (ص:١٧٩) لعدي بن زيد.

ولهذا جَعَل الشارِع أربعة أشهر وعَشَرة أيام لَمن تُوفِّي عنها زوجها احترامًا لحق الزوج الميت، فإن ذلك لا شك أنَّه من باب حُقوق الميت، ويدل على هذا أن المَرأة تتربَّص أربعة أشهرٍ وعشرًا، سواء كانت مِن ذوات الحيض أم من الآيسات، ولا يَرِد على هذا أن الحامِل تَنتَهِي عِدَّتها إذا مات زوجها بوَضْع الحمل ولو في أقلَّ مِن أربعة أشهر؛ لأنَّنا نقول: لمَّا انقضت العِدَّة انفصلت مِن الزوج وبانت منه فلم يَبقَ للزوج تَعلُّق بهذا؛ فلهذا تَنقضِي العدَّة بوضْع الحَمْل.

س(١٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن افتراق أُمَّة النبي محمَّد ﷺ بعد وفاته؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أخبر النبي ﷺ فيما صحَّ عنه أن اليهود افترَقوا على إحدى وسبعين فرقةً، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقةً، وأن هذه الأُمَّة ستَفترِق على ثلاثة وسبعين فرقةً، وهذه الفِرَق كلها في النار إلا واحدة، وهي ما كانت على مِثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه[1]، وهذه الفِرْقة هي الفِرْقة الناجية التي نَجَت في الدُّنيا مِن البِدَع، وتنجو في الآخرة مِن النار، وهي الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة التي لا تَزال ظاهرةً قائمةً بأمر الله عَزَّوَجَلَّ.

وهذه الفِرق الثلاث والسبعون -التي واحدة منها على الحقِّ والباقي على الباطل- قد حاول بَعضُ الناس أن يُعدِّدها، وشعَّب أهل البِدَع إلى خَمس شُعَب،

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٥): حديث صحيح مشهور.

وجعل من كل شُعْبة فروعًا ليصلوا إلى هذا العدد الذي عيَّنه النبي ﷺ، ورأى بعض الناس أن الأولى الكفُّ عن التعداد؛ لأن هذه الفرقَ ليست وحدها هي التي ضَلَّت؛ بل قد ضَلَّ أناس ضلالًا أكثر مما كانت عليه من قَبْل، وحدَثت بعد أن حُصِرت هذه الفرق باثنتين وسبعين فرقةً، وقالوا: إن هذا العَدَد لا يَنتَهي ولا يُمكِن العلمُ بانتهائه إلا في آخِر الزمان عند قيام الساعة، فالأَوْلى أن نُجمِل ما أجمله النبي ﷺ ونقول: إن هذه الأُمَّة ستَفتَرِق على ثلاث وسبعين فرقةً كلُّها في النار إلا واحدة، ثم نَقول: كلُّ مَن خالف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه فهو داخل في هذه الفِرَق، وقد يكون الرسول ﷺ أشار إلى أُصول لم نَعلَم مِنها الآن إلا ما يَبلُغ العَشَرة، وقد يَكون أشار إلى أصول تَتضمَّن فروعًا كما ذهب إليه بعض الناس، فالعِلْم عند الله عَزَّوَجَلَّ.

س(٢٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن أبرز خصائص الفِرْقة الناجية؟ وهل النقْص مِن هذه الخصائص يُخرِج الإنسان مِن الفرقة الناجية؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أبرز الخصائص للفرقة الناجية هي التمسُّك بما كان عليه النبي ﷺ في العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملة، فهذه الأمور الأربعة تَجِد الفرقة الناجية بارزة فيها:

ففي العقيدة: تَجِدها مُتمسِّكة بما دَلَّ عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من التَّوْحيد الخالص في أُلُوهِيَّة الله، وربوبيته، وأسمائه وصفاته.

وفي العبادات: تجد هذه الفرقة متميزة في تمسكها التام وتطبيقها لما كان عليه

النبي ﷺ في العبادات في أجناسها، وصفاتها، وأقدارها، وأزمنتها، وأمكنتها، وأسبابها، فلا تجد عندهم ابتداعًا في دين الله؛ بل هم مُتأدِّبون غاية الأدب مع الله ورسوله ﷺ، فلا يَتقدَّمون بين يديِ الله ورسوله ﷺ في إدخال شيء مِن العبادات لم يَأذَن به الله.

وفي الأخلاق: تَجدُهم كذلك مُتميِّزين عن غيرهم بحسب الأخلاق؛ كمحبة الخير للمسلمين، وانشِراح الصدر، وطلاقة الوجه، وحُسْن المَنطِق، والكرم، والشجاعة، إلى غير ذلك مِن مَكارِم الأخلاق ومَحاسِنها.

وفي المعاملات: تَجِدُهم يُعامِلون الناس بالصدق والبيان اللذين أشار إليهما النبي ﷺ في قوله: «**البَيِّعانِ بِالخِيارِ ما لَمْ يَتفَرَّقا، فَإِنْ صَدَقا وَبَيَّنَا بُورِكَ لهُما في بَيْعِهِما، وَإِنْ كَذَبا وَكَتَما مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِما**»[1].

والنَّقْص من هذه الخصائص لا يُخرِج الإنسان عن كونه مِن الفِرْقة الناجية، لكنْ لكلٍّ درجاتٌ مما عملوا، والنقص في جانب التَّوْحيد رُبَّما يُخرِجه عن الفِرْقة الناجية، مِثل الإخلال بالإخلاص، وكذلك في البِدَع رُبَّما يَأتي ببِدَع تُخرِجه عن كونه مِن الفِرْقة الناجية.

أمَّا في مَسألة الأخلاق والمعاملات فلا يَخرُج الإخلال بهما مِن هذه الفِرْقة وإن كان ذلك يَنقُص مَرتبته.

وقد نَحتاج إلى تَفصيل في مَسألة الأخلاق، فإنَّ مِن أهم ما يَكون مِن الأخلاق اجتِماع الكلِمة والاتِّفاق على الحقِّ الذي أوصانا به الله تعالى في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب إذا بيَّن البيِّعان ولم يكتما ونصحا، رقم (٢٠٧٩)، ومسلم: كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان، رقم (١٥٣٢/ ٤٧)، من حديث حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣].

وأخبر أنَّ الذين فرَّقوا دِينهم وكانوا شِيعًا أن مُحمدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بريءٌ منهم، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]. فاتِّفاق الكلِمة وائتِلاف القلوب مِن أبرز خصائص الفِرْقة الناجية -أهل السُّنَّة والجماعة-، فهُم إذا حصل بَينَهم خِلاف ناشِئ عن الاجتِهاد في الأمور الاجتِهادية لا يَحمِل بعضَهم على بعض حِقدًا، ولا عداوة، ولا بَغضاء، بل يَعتقِدون أنَّهم إِخوة حتَّى وإن حَصَل بينهم هذا الخلاف، حتى إن الواحد مِنهم لَيُصلِّي خلف مَن يَرى أنَّه ليس على وُضوء ويَرى الإمام أنَّه على وضوء، مِثل أن الواحد مِنهم يُصلِّي خلف شخص أَكَل لحْم إبل، وهذا الإمام يَرى أنَّه لا يَنقُض الوضوء، والمأموم يَرى أنَّه يَنقُض الوضوء، فيرى أن الصلاة خلف ذلك الإمام صحيحة وإن كان هو لو صلاها بنفسه لرأى أن صلاته غير صحيحة، كل هذا لأنهم يَرون أن الخِلاف الناشئَ عنِ اجتِهادٍ فيما يَسوغ فيه الاجتِهاد ليس في الحقيقة بخِلاف؛ لأن كلَّ واحِد مِن المُختلِفين قد تَبِع ما يَجِب عليه اتِّباعه مِن الدَّليل الذي لا يَجوز له العُدول عنه، فهم يَرون أن أخاهم إذا خالَفَهم في عملٍ ما اتِّباعًا للدليل هو في الحقيقة قد وافَقَهم؛ لأنَّهم هم يَدْعون إلى اتِّباع الدليل أينما كان، فإذا خالفهم مُوافقةً لدليل عنده، فهو في الحقيقة قد وافقهم؛ لأنَّه تمشَّى على ما يَدعون إليه ويَهدون إليه مِن تحكيم كتاب الله وسُنَّةِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولا يَخفَى على كثير مِن أَهْل العِلْم ما حصل مِن الخِلاف بين الصحابة رِضوان الله عليهم في مِثل هذه الأمور، حتى في عهد النبي ﷺ، ولم يُعنِّف أحدًا مِنهم، فإنه

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما رَجَع مِن غزوة الأحزاب وجاءه جِبريلُ وأشار إليه أَن يَخرُج إلى بني قريظةَ الذين نَقَضوا العَهْد، فنَدَب النبيُّ ﷺ أصحابه فقال: «**لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ العَصْرَ إلا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**»[1]. فخرجوا مِن المَدينة إلى بَني قُرَيْظةَ وأَرْهَقَتْهم صلاةُ العصر.

فمِنهم: مَن أَخَّر صلاة العصر حتَّى وصَل إلى بني قريظةَ بعد خُروج الوقت؛ لأن النبي ﷺ، قال: «**لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ العَصْرَ إلا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**».

ومِنهم: مَن صلَّى الصلاة في وقتها، وقال: إن الرسول ﷺ أراد مِنَّا المُبادرة إلى الخروج، ولم يُرِد مِنَّا أن نُؤخِّر الصلاة عن وَقْتها، وهؤلاء هم المُصِيبون، ولكن مع ذلك لم يُعنِّف النبي ﷺ أحدًا مِن الطائِفَتَين، ولم يَحمِل كلُّ واحِد على الآخر عَداوةً أو بَغضاءَ بسبب اختلافهم في فَهْم هذا النصِّ.

لذلك أَرى أن الواجب على المسلمين الذين يَنتسِبون إلى السُّنَّة أن يَكونوا أُمَّةً واحدة، وألا يَحصُل بَينهم تَحزُّب؛ هذا يَنتمِي إلى طائفة، والآخر إلى طائفة أخرى، والثَّالث إلى طائفة ثالثة، وهكذا، بحيثُ يَتناحَرون فيما بَينهم بأَسِنَّة الأَلسُن، ويَتعادَون ويَتباغَضون مِن أجل اختِلاف يَسوغ فيه الاجتِهادُ، ولا حاجة إلى أن أُخصَّ كلَّ طائفة بعَيْنها، ولكن العاقِل يَفهَم ويَتبَيَّن له الأمر.

فأرى أنَّه يَجِب على أهل السُّنَّة والجماعة أن يَتَّحدوا، حتَّى وإن اختَلفوا فيما يَختَلفون فيه فيما تَقتضِيه النصوصُ حسب أفهامهم، فإن هذا أمرٌ فيه سَعة

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب صلاة الخوف، باب صلاة الطالب والمطلوب راكبًا وإيماء، رقم (٩٤٦)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو، رقم (١٧٧٠/ ٦٩) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

-ولله الحمد-، والمُهِمُّ ائتِلاف القلوب واتِّحاد الكلِمة، ولا ريبَ أن أعداء المسلمين يُحِبُّون مِن المسلمين أن يَتفرَّقوا، سواء كانوا أعداءً يُصرِّحون بالعداوة، أو أعداءً يَتظاهَرون بالوَلاية للمُسلِمين أو للإسلام وهم ليسوا كذلك، فالواجب أن نَتميَّز بهذه المَيزة التي هي مَيزة للطائفة الناجية، وهي الاتِّفاق على كلِمة واحدة.

س(٢١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عَن المُراد بالوَسَط في الدِّين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الوَسَط في الدِّين ألا يَغلو الإنسان فيه فيَتجاوَز ما حدَّ الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يُقصِّر فيه فيَنقُص عمَّا حدَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

الوسط في الدِّين أن يَتمسَّك بسِيرة النبي ﷺ، والغلُوُّ في الدِّين أن يَتجاوزَها، والتَّقصيرُ ألا يَبلُغها.

مِثال ذلك: رجلٌ قال: أَنا أُرِيد أن أَقوم الليلَ ولا أنام كلَّ الدهر؛ لأن الصلاة مِن أفضل العبادات، فأُحِبُّ أن أُحيِيَ الليلَ كلَّه صلاة، فنقول: هذا غالٍ في دِين الله، وليس على حقٍّ، وقد وقَع في عهد النبي ﷺ مِثل هذا؛ اجتَمع نَفَر فقال بعضهم: أنا أَقوم ولا أَنام. وقال الآخر: أنا أَصوم ولا أُفطِر. وقال الثَّالث: أَنا لا أَتزوَّج النِّساء. فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**ما بالُ أَقْوامٍ يَقولونَ كَذا وَكَذا! أَنا أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَقُومُ وَأَنامُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّساءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[(١)] فهؤلاءِ غَلَوا في الدِّين وتَبرَّأ مِنهم الرَّسول ﷺ؛ لأنَّهم رَغِبوا عن سُنَّته ﷺ التي فيها صَوْم وإفطار، وقِيام ونَوْم، وتَزَوُّج نِساءٍ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم (٥٠٦٣)، ومسلم: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، رقم (١٤٠١/ ٥) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَمَّا المُقصِّر: فهو الذي يَقول: لا حاجة لي بالتَّطوُّع، فأنا لا أَتطوَّع وآتِي بالفَريضة فقط، ورُبَّما أَيضًا يُقصِّر في الفرائض، فهذا مُقصِّر.

والمُعتدِل: هو الذي يَتمشَّى على ما كان عليه الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وخُلفاؤه الراشِدون.

مِثال آخَرُ: ثلاثة رِجال أمامهم رجُل فاسِق، أَحدُهم قال: أَنا لا أُسلِّم على هذا الفاسِق، وأَهجُره، وأَبتعِد عنه، ولا أُكَلِّمه.

والثَّاني يَقول: أنا أَمشي مَع هذا الفاسق، وأُسلِّم عليه، وأَبَشُّ في وجهه، وأَدعوه عِندي، وأُجيب دَعوتَه، وليس عِندي إلا كرجُل صالِح.

والثَّالث يَقول: هذا الفاسق أَكرهه لِفسْقه، وأُحِبُّه لإيمانه، ولا أَهجُره إلا حيثُ يَكون الهَجرُ سببًا لإصلاحه، فإنْ لم يَكن الهجر سببًا لإصلاحه بلْ كان سببًا لازدِياده في فِسقِه فأنا لا أَهجُرُه.

فنَقول: الأَوَّل مُفرِطٌ غالٍ -مِن الغُلوِّ- والثَّاني مُفرِّط مُقصِّر، والثَّالِث مُتوسِّط.

وهكذا نَقول في سائر العبادات ومُعاملات الخَلْق: الناس فيها بَين مُقصِّر، وغالٍ، ومُتوسِّط.

ومِثالٌ ثالث: رَجل كان أسيرًا لامرأته تُوجِّهه حيث شاءت، لا يَرُدُّها عن إِثم، ولا يَحثُّها على فَضيلة، قد مَلَكت عَقلَه، وصارَت هي القوَّامة عليه.

ورَجُل آخرُ عِنده تَعسُّف وتَكبُّر وتَرفُّع على امرأته لا يُبالِي بها، وكأنها عنده أقلُّ مِن الخادِم.

ورجل ثالِث وَسَط يُعامِلها كما أَمَر الله ورسوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٢٨]، «**لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْها خُلُقًا رَضِيَ مِنْها خُلُقًا آخَرَ**»(١). فهذا الأَخير مُتوسِّط، والأَوَّل غالٍ في مُعامَلة زَوجته، والثَّاني مُقصِّر، وقِسْ على هذا بَقيةَ الأَعمال والعِبادات.

س(٢٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما المُراد بالتَّوسُّط في الدِّين، أو الوَسَطيَّة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: المُراد بالتَّوسُّط في الدِّين أو الوَسَطيَّة: أن يَكون الإنسان بَين الغالي والجافي، وهذا يَدخُل في الأمور العِلْمية العَقَدِية، وفي الأمور العَمَلِية التَّعبُّدية.

فمثلًا: في الأمور العَقَدية انقَسَم الناس فيما يَتعلَّق بأَسْماء الله وصِفاته إلى ثلاثة أقسام: طرَفان ووَسَط.

فطَرَفٌ غلا في التَّنزيه: فنَفى عَنِ الله ما سَمَّى ووَصَف به نَفْسه.

وقِسْم غَلا في الإِثْبات: فأَثبَت لله ما أَثبَتَه الله لنَفْسه مِن الأَسْماء والصِّفات، لكن باعْتِقاد المُماثلة.

وقِسم وسَط: أثبت لله تعالى ما أَثبته لنَفْسه مِن الأَسْماء والصِّفات، لكن بدونِ اعتِقاد المُماثَلة، بل باعتِقاد المُخالَفة، وأن الله تعالى لا يُماثِله شيء مِن مَخلوقاته.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم (١٤٦٩/ ٦١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مثال الأول: في الذين غَلَوْا في التَّنزِيه الذين يَقولون: إِن الله تَعالى لا يُوصَف إلا بِصفات مُعيَّنة حدَّدوها، وادَّعوا أن العَقْل دَلَّ عليها، وأن ما سِواها لا يَثبُت؛ لأن العقل بزَعْمهم لم يَدُلَّ عليها.

فمثلًا: أَثبَتوا صِفة الإرادة لله، وقالوا: إن الله تَعالى مُرِيد، لكِنَّهم نَفَوا صِفة الرحمة عنه، وقالوا: مَعنى الرحمة: الإحسانُ أو إرادةُ الإحسان، وليست وَصْفًا في الله عَزَّوَجَلَّ؛ فتَجِد أن هؤلاءِ أَخطؤوا حيث نَفَوا ما وَصَف الله به نَفسَه؛ بل نَفَوا ما كانت دَلالة العَقْل فيه أظهرَ مِن دَلالة العقل على ما أَثبَتوه، فإنَّ إِثباتَهم للإرادة بالطريق العَقلِيِّ، أَنَّهم قالوا: إِن تَخصيص المَخلوقات بما تَختَصُّ به، مِثل: هذه سماءٌ، وهذِه أَرضٌ، وهذه بَعير، وهذه فرَس، وهذا ذَكَر، وهذه أُنثى، هذا التَّخصيص يَدُلُّ على إِرادة الخالِق أَنَّه أراد أن يَكون الشيءُ على هذا فكان.

فنَقول لهم: إن دَلالة نِعَم الله عَزَّوَجَلَّ ودَفْعَ نِقَمِه تَدُلُّ على الرحمة أكثرَ ممَّا يَدُلُّ التخصيص على الإرادة، ولكن مع ذلك نَفَوُا الرحمة وأَثبَتوا الإِرادة بِناءً على شُبْهة عَرَضَت لهم.

القسم الثَّاني: الذين غَلَوا في الإِثبات وهُم أَهل التَّمثيل قالوا: نُثبِت لله عَزَّوَجَلَّ الصِّفات لكن على وَجْهٍ مُماثِل للمَخلوق. وهؤلاءِ ضَلُّوا وغَفَلوا عن قول الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى:١١].

والقِسم الثَّالث: الوَسَط قالوا: نُثبِت لله كلَّ ما أَثبَته لنَفْسه في كِتابه أو فيما صَحَّ عن رسوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مِن الأَسْماء والصِّفات مع اعتِقاد عدم المُماثَلة، وأن ما يَثبُت للخالق مِن ذلك مُخالِف لما يَثبُت للمَخلوق، فإن ما يَثبُت للخالِق أَكمَل وأَعلى، كما قال تَعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [النحل:٦٠].

وما ذكرنا هو في الأمور العَقَدية.

أمَّا ما يَتعلَّق بالأعمال البَدنية: فمِن الناس مَن يَغلو فيَزيد ويُشدِّد على نفسه، ومِن الناس مَن يَتهاوَن ويُفرِّط فيُضيِّع شيئًا كثيرًا، وخَير الأمور الوسَط.

وأما ضابط الوسَط: فما جاءت به الشريعة، فإن ما جاءت به الشريعة فهو وسَط، وما خالف الشريعة فلَيس بوَسَط؛ بل هو مائِل إمَّا للإفراط، وإمَّا إلى التَّفريط.

وقد ذَكَر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العقيدة الواسِطية خمسة أصول بيَّن فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ أهل السُّنَّة فيها وَسَط بين طوائفِ المُبتدَعة[1]، فيا حَبَّذا لو أن السَّائل رَجَع إليها؛ لما فيها مِن الفائدة.

| س(٢٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل يُقال للصحابة عند ذكرهم: رحمهم الله؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نحن نَقول: رضِي الله عن كُلِّ مُؤمِن، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]. لكن مِن المعروف عِند أهل العِلْم تَخصيص الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بقولهم فيهم: «رضِي الله عنهم» ومَن بعد الصحابة مِن التابعين إلى زَمنِنا هذا يَقولون: «رحِمهم الله» وإن كان بَعضُ العُلَماء يُقال عنهم: «رضِي الله عنهم»

(١) ينظر: شرح العقيدة الواسطية لفضيلة شيخنا العلَّامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/ ٦٣)، وما بعدها.

كالأئمَّة الكِبار كالإمام أحمد، قال الإمامُ أحمد رضي الله عنه، قال الإمامُ الشافعيُّ رضِي الله عنه، قال الإمامُ أبو حنيفةَ رضِي الله عنه، قال الإمام مالكٌ رضِي الله عنه، لكن عامَّة المَعروف بين أهل العلم أَن التَّرضِّي يَكون للصحابة، والتَّرحُّم يَكون لَمن بَعدَهم، وإذا كان هذا هو المَعروفَ المصطلحَ عليه عند عامَّة العُلَماء فإن الإنسان إذا تَرضَّى عن شخص مِن غير الصحابة أَوْهَم السامِعَ بأن هذا الشخصَ مِن الصحابة، فيَنبغِي أن يُجتَنَب ذلك، أو أن يُقال: قال فلانٌ وهو مِن التابِعِين رضِي الله عنه، قال فلان وهو من تابعِي التابِعين رضِي الله عنه؛ حتَّى لا يَظُنَّ أَحَد أن هذا مِن الصحابة.





الإيمان والإسلام

س(٢٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن تَعرِيف الإسلام والفَرْق بينه وبين الإِيمان؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الإسلام بالمعنى العامِّ هو: «التَّعبُّد لله تَعالى بما شَرَعه مِن العِبادات التي جاء بِها رَسوله، مُنذ أن أَرسَل الله الرُّسُل عليهم الصلاة والسلام إلى أن تَقومَ الساعة» فيَشمَل ما جاء به نُوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن الهُدى والحَقِّ، وما جاء به مُوسى، وما جاء بِه عِيسى، ويَشمَل ما جاء به إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إمامُ الحُنفاء، كما ذَكَر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذلك في آياتٍ كَثيرةٍ تدُلُّ على أن الشرائِعَ السابقةَ كُلَّها إِسلامٌ لله عَزَّوَجَلَّ.

والإسلام بالمعنى الخاصِّ بعد بَعثة النبيِّ ﷺ يَختصُّ بما بُعِث به محمد ﷺ؛ لأن ما بُعِث به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَسَخَ جميعَ الأديان السابقة فصار مَنِ اتَّبَعه مُسلِمًا، ومَن خالَفه لَيسَ بمُسلم؛ لأنَّه لم يَستسلِم لله بل استسلم لهَواه، فاليهود مُسلِمون في زمن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والنصارى مُسلِمون في زمن عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأمَّا حين بُعِث محمد ﷺ فكَفَروا به فلَيْسوا بمُسلِمين.

ولهذا لا يَجوز لأحَد أن يَعتَقِد أن دِين اليهود والنصارى الذين يَدينون به اليوم دِين صَحيح مَقبول عند الله مُساوٍ لدِين الإسلام؛ بل مَنِ اعتَقَد ذلك فهو كافر خارج عن دِين الإسلام؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

وهذا الإسلام الذي أَشار الله إليه هو الإسلام الذي امْتَنَّ الله به على محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأُمَّته، قال الله تَعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]. وهذا نَصٌّ صَريحٌ في أنَّ مَن سِوى هذه الأُمَّة بعد أن بُعِث محمدٌ ﷺ لَيْسوا على الإسلام، وعلى هذا فما يَدينون اللهَ به لا يُقبَل مِنهم ولا يَنفَعهم يومَ القِيامة، ولا يَحِلُّ لنا أن نَعتَبِره دِينًا قائمًا قَويمًا؛ ولهذا يُخطِئ خَطَأً كبيرًا مَن يَصِف اليَهود والنصارى بقوله: إِخوة لنا، أو أن أَديانَهم اليوم قائِمة؛ لما أَسلفناه آنِفًا.

وإذا قلنا: إن الإسلام هو التَّعبُّد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما شَرَع، شَمِل ذلك الاستِسلامَ له ظاهِرًا وباطِنًا، فيَشمَل الدِّينَ كلَّه عقيدةً وعملًا وقولًا.

أمَّا إذا قُرِن الإسلام بالإِيمان فإن الإسلام يَكون: الأعمال الظاهرة مِن نُطْق اللسان وعَمَل الجوارِح.

والإيمان: الأَعمال الباطِنة مِن العَقيدة وأعمال القلوب، ويَدُلُّ على هذا التَّفرِيق قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤]. وقال تَعالى في قِصة لوط: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات:٣٥]. فإنه فَرَّق هنا بَين المُؤمنين والمُسلِمين؛ لأنَّ البَيت الذي كان في القَرْية بَيت إسلامِيٌّ في ظاهِره إذ إِنَّه يَشمَل امرأَةَ لُوط التي خانَته بالكُفْر وهي كافِرة، أمَّا مَن أُخرِج مِنها ونجا فإنَّهم المُؤْمِنون حَقًّا الذين دَخل الإِيمان في قُلوبهم، ويَدُلُّ لِذلك -أي: للفَرْق بينَ الإسلامِ والإيمانِ عِند اجتِماعِهما- حديثُ عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه أن جبريلَ سأل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن الإسلام والإيمان؟ فقال له النبي ﷺ: «**الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ**

أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصومُ رَمَضانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ». وقال في الإيمان: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[1].

فالحاصِل أن الإسلام عِند الإطلاق يَشمَل الدِّين كُلَّه ويَدخُل فِيه الإِيمان، وأنَّه إذا قُرِن مع الإيمان فُسِّر الإسلام بالأعمال الظاهرة مِن أقوال اللسان وعَمَل الجوارِح، وفُسِّر الإيمان بالأعمال الباطِنة مِنِ اعتقادات القُلوب وأَعمالها.

س(٢٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن تَعريفِ الإيمان عِند أهل السُّنَّة والجماعة، وهل يَزِيد ويَنقُص؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الإيمانُ عِند أهل السُّنَّة والجماعة هو «الإِقرارُ بالقَلْب، والنُّطْق باللسان، والعَمَل بالجَوارِح». فهو يَتضمَّن الأُمور الثلاثة:

١- إقرارٌ بالقَلْب.

٢- نُطقٌ باللسان.

٣- عمَلٌ بالجوارِح.

وإذا كان كذلك فإنه سوف يَزيد ويَنقُص، وذلك لأن الإِقرار بالقَلْب يَتفاضَل، فلَيس الإقرار بالخبر كالإقرار بالمُعايَنة، وليس الإقرار بخَبر الرجل كالإقرار بخَبَر الرَّجُلين وهكذا؛ ولهذا قال إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام، رقم (٨/ ١).

كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٠].

فالإيمان يَزيد مِن حيثُ إقرارُ القلب وطُمأنِينَتُه وسُكونُه، والإِنسان يَجِد ذَلك مِن نَفسِه فعِندما يَحضُر مجِلسَ ذِكْر فيه مَوعظة وذِكْر للجنة والنار يَزداد الإيمان، حتَّى كأنَّه يُشاهِد ذلك رَأْيَ العَين، وعِندما تُوجَد الغَفلة ويَقوم مِن هذا المَجلِس يَخِفُّ هذا اليَقينُ في قلبه.

كذلك يَزداد الإيمان مِن حيثُ القولُ؛ فإن مَن ذَكَر اللهَ عَشْرَ مَرَّات ليس كَمَن ذَكَر الله مِئة مَرَّة، فالثَّاني أَزيَدُ بكَثير.

وكَذلك أَيضًا مَن أتى بالعِبادة على وَجْهٍ كامِل يَكون إيمانه أَزيدَ ممَّن أَتى بها على وجهٍ ناقِصٍ.

وكَذَلك العَمَل، فإن الإنسانَ إذا عَمِل عملًا بجوارِحه أَكثرَ مِن الآخر صار الأكثر أَزيدَ إيمانًا مِن الناقِص، وقد جاء ذلك في القرآن والسُّنَّة -أَعنِي: إثباتَ الزيادة والنقصانِ-:

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١].

وقال تَعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٥].

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**ما رَأَيْتُ مِنْ ناقِصاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ**

أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحازِمِ مِنْ إِحْداكُنَّ»[(١)]. فالإيمان إِذَنْ: يَزيد ويَنقُص.

ولكن ما سَبب زِيادة الإيمان؟

للزيادة أَسباب:

السبب الأَوَّل: مَعرِفة الله تَعالى بأَسمائِه وصِفاته، فإن الإِنسان كُلَّما ازْداد مَعرِفة بالله وبأَسمائه وصِفاته ازْداد إِيمانًا -بلا شكٍّ-؛ ولهذا تَجِدُ أهل العِلْم الذين يَعلَمون مِن أَسْماء الله وصِفاته ما لا يَعلَمه غَيرُهم تَجِدُهم أَقوى إِيمانًا مِن الآخَرين مِن هذا الوجه.

السبب الثَّاني: النَّظَر في آيات الله الكونِية والشرعية، فإن الإنسان كُلَّما نظَر في الآيات الكونية التي هي المَخلوقات ازداد إِيمانًا، قال تَعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢٠-٢١].

والآيات الدالَّة على هذا كَثيرةٌ، أعنِي: الآياتِ الدالَّةَ على أن الإنسان بتَدبُّره وتَأمُّله في هذا الكَوْن يَزداد إيمانه.

السبب الثَّالث: كثرة الطاعات، فإن الإنسانَ كُلَّما كَثُرَت طاعاته ازداد بذَلك إِيمانًا، سواء كانت هذه الطاعات قَوليَّةً، أَم فِعلِيَّةً، فالذِّكرُ يَزيدُ الإِيمان كمِّيةً وكَيفيَّةً، والصلاة والصوم والحج تَزِيد الإيمانَ -أَيْضًا- كميَّةً وكَيفيَّةً.

أمَّا أَسبابُ النُّقصانِ فهِي على العكس مِن ذلك:

فالسبب الأَوَّل: الجَهْل بِأَسْماء الله وصِفاتِه يُوجِب نقْص الإيمان؛ لأن الإنسان

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، رقم (٣٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، رقم (٨٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إذا نَقَصت مَعرِفته بأَسْماء الله وصِفاته نَقَص إيمانه.

السبب الثَّاني: الإِعراض عَن التَّفكُّر في آيات الله الكَونيَّةِ والشرعيَّة، فإنَّ هذا يُسبِّب نقْص الإيمان، أو على الأقلِّ رُكودَه وعدَمَ نُموِّه.

السبب الثَّالث: فِعْل المَعصية، فإن للمَعصية آثارًا عظيمةً على القلب وعلى الإِيمان؛ ولذلك قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(١) الحديثَ.

السبب الرابع: تَرْك الطاعة، فإن تَرْك الطاعة سَبب لنَقْص الإيمان، لكن إن كانتِ الطاعة واجِبةً وتَركها بلا عُذْر، فهو نَقصٌ يُلام عليه ويُعاقَب، وإن كانت الطاعة غيرَ واجِبة، أو واجبةً لكن تَرَكَها بعُذْر، فإنه نَقْصٌ لا يُلام عليه، ولهذا جَعَل النبي ﷺ النساء ناقصاتِ عَقْل ودِين، وعلَّل نُقصانَ دِينها بأنها إذا حاضَت لم تُصَلِّ ولم تَصُم، مع أنها لا تُلام على تَرك الصلاة والصيام في حال الحَيض، بل هي مأمورة بذلك، لكن لما فاتَها الفِعلُ الذي يَقوم به الرجُل صارت ناقِصةً عنه مِن هذا الوجهِ.



(١) أخرجه البخاري: كتاب المظالم، باب النهبى بغير إذن صاحبه، رقم (٢٤٧٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، رقم (٥٧/ ١٠٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٢٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كيفَ نَجمَع بين حديثِ جِبريلَ الذي فَسَّر فيه النبي ﷺ الإيمانَ بـ«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[(١)]. وحديثِ وفْد عبدِ القَيْس الذي فسَّر فيه النبي ﷺ الإيمان بـ«شَهادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَإِقامِ الصَّلاةِ، وَإِيتاءِ الزَّكاةِ، وَأَداءِ الخُمُسِ مِنَ الغَنِيمَةِ»[(٢)]؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: قبلَ الإجابة على هذا السؤالِ أَوَدُّ أن أَقول: إِن الكِتاب والسُّنَّة لَيسَ بَيْنهما تَعارُض أبدًا، فلَيْس في القرآن ما يُناقِض بَعضُه بَعْضًا، وليس في السُّنَّة الصحيحة عَن رسول الله ﷺ ما يُناقِض بعضُه بَعضًا، وليسَ في القرآن ولا في السُّنَّة ما يُناقِض الواقع أَبدًا؛ لأنَّ الواقع واقِعُ حقٍّ، والكتاب والسُّنَّة حقٌّ، ولا يُمكِن التَّناقُض في الحقِّ.

وإذا فَهِمْتَ هذه القاعدةَ انحلَّت عنك إِشكالاتٌ كثيرةٌ، قال الله تَعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]. فإذا كان الأَمْر كذلك فأَحادِيثُ النبي ﷺ، لا يُمكِن أن تَتناقَض، فإذا فسَّر النبي ﷺ الإيمانَ بتَفسير، وفسَّره في مَوضِع آخَر بتَفسير آخَر يُعارِض في نَظرِك التفسيرَ الأَوَّل، فإنك إذا تَأَمَّلتَ لم تَجِدْ مُعارضةً، ففي حديثِ جبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قسَّم النبي ﷺ الدِّين إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأَوَّل: الإسلام.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام، رقم (٨/ ١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة وفضلها، باب قول الله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ﴾، رقم (٥٢٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، رقم (١٧/ ٢٣)، من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، بنحوه.

القسم الثَّاني: الإيمان.

القسم الثَّالِث: الإحسان.

وفي حَديث وَفْد عَبد القَيس لَمْ يَذكر إلا قِسمًا واحدًا وهو الإسلام. فالإسلام عِند الإطلاق يَدخُل فيه الإيمان؛ لأنَّه لا يُمكِن أن يَقوم بشَعائر الإسلام إلا مَن كان مُؤْمِنًا، فإذا ذُكِر الإسلام وَحْدَه شَمِل الإيمان، وإذا ذُكِر الإِيمان وَحْده شَمِل الإسلام، وإذا ذُكِرا جميعًا صار الإيمان يَتعلَّق بالقلوب، والإسلام يَتعلَّق بالجَوارِح، وهذه فائدة مُهمَّة لطالِب العِلْم.

فالإسلام إذا ذُكِر وحده دخل فيه الإيمان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]. ومِن المَعلوم أن دِين الإسلام عَقيدةٌ وإيمانٌ وشرائعُ، وإذا ذُكِر الإيمان وَحدَه دخَل فيه الإسلام، وإذا ذُكِرا جميعًا صار الإيمان ما يَتعلَّق بالقلوب، والإسلام ما يَتعلَّق بالجَوارِح؛ ولهذا قال بعضُ السَّلَف: «الإسلام عَلانيةٌ، والإِيمان سِرٌّ»؛ لأنَّه في القلب؛ ولذلك رُبَّما تَجِدُ مُنافِقًا يُصلِّي ويَتصدَّق ويَصوم، فهذا مُسلِم ظاهرًا غيرَ مؤمن، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨].

س(٢٧): سُئِل فَضيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كيف نَجمَع بين أن الإيمان هو «الإيمانُ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» وقول النبيِّ ﷺ: «الإِيمانُ بِضْعٌ وَسَبْعونَ شُعْبَةً...»[1] إلخ؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، رقم (٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، رقم (٣٥/ ٥٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

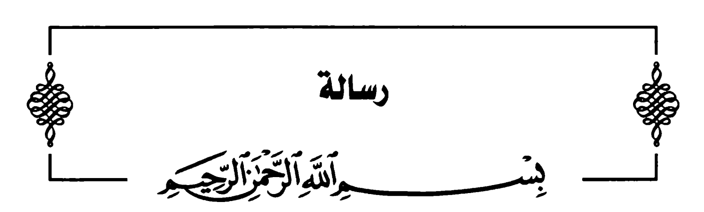
فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الإيمان الذي هو العقيدة أصوله سِتَّة، وهي المَذكورة في حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، حينما سأل النبي ﷺ، عنِ الإيمان فقال: «**الإِيمانُ أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ وَمَلائِكتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[1].

وأما الإيمان الذي يَشمَل الأعمال، وأنواعَها، وأَجناسَها، فهو بِضعٌ وسَبعون شُعْبةً؛ ولهذا سَمَّى الله تعالى الصلاة إيمانًا في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣]. قال المُفسِّرون: إيمانكم يَعني: صلاتَكم إلى بيت المقدس؛ لأن الصحابة -رِضوان الله عليهم- كانوا قبل أن يُؤْمروا بالتَّوجُّه إلى الكَعبة كانوا يُصلُّون إلى المَسجِد الأقصى[2].



(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام، رقم (٨/ ١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان، رقم (٤٠)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، رقم (٥٢٥/ ١١١)، من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



فضيلة الشيخ/ محمد بن صالح العُثَيْمِين وفَّقه الله.

السلامُ عَليكم ورحمةُ الله وبركاته... أما بعد:

فقد حكى غيرُ واحد إجماعَ السَّلف على أن الإيمان قول وعمَل ونيةٌ، ويَزيدُ ويَنقُص. قال الإمام أحمد: «إن الإيمان قولٌ وعمَل ونِية وتَمسُّك بالسُّنَّة، ويَزيد ويَنقُص»[(١)]. وهم بهذا يُخالِفون بعضَ الفِرَق كالمُرجئة، القائِلين: إِن الأعمال لا تَدخُل في مُسمَّى الإيمان، وأنَّه لا يَزيد ولا يَنقُص. وهم أصناف كما ذَكَر شيخ الإسلام ابنُ تيميَّة[(٢)]. فماذا يُسمَّى مَن آمَن بقلبه -صدَّق- ونطَق بلسانه بالشهادَتين، ولم يَعمَل شيئًا مِن الصالحات بجوارِحه؟ هل يُسمَّى مُؤمِنًا ناقصَ الإيمان فقط؟

لأنَّه أَتى بأصْل الإيمان ونطَق باللسان، وإنما أَخلَّ بالأعمال، والإخلال بها كالنَّقْص مِنها؟ ويَكون مِن أهل القِبْلة المأْمورِين بالكَفِّ عَنْهم، كما قال الإمام أَحَمد: «... والكفُّ عن أهل القِبْلة، ولا نُكفِّر أَحدًا مِنهم بذَنْب، ولا نُخرِجه مِن الإسلام بعَمل، إلا أن يَكون في ذلك حَديث، فيُروى الحديث كما جاء، ونُصدِّقه ونَقبَله»[(٣)].

---

(١) ينظر: طبقات الحنابلة لأبي يعلى الفراء (١/ ٥٥)، وينظر: العلل للإمام أحمد رواية المرُّوذي وغيره رقم (٤٢٤)، والمسائل للإمام أحمد لابن هانئ رقم (١٨٩٤، ١٨٩٥).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ١٩٥).

(٣) ينظر: رسالة السنة (ص:٧٢).

وقال البيهقيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ القول في مُرتَكِب الكبائِر. قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]: بلا عُقوبة، وقد يُعاقِب بَعضَهم على ما اقتَرَف مِن الذُّنوب، ثُمَّ يَعفو عنه، ويَدخُل الجَنَّة بإيمانه. أم هل يُسمَّى كافِرًا الكُفْرَ الأكبرَ؟ لأنَّه أَخَلَّ بجُزء مِن أَجزاء الإيمان الشرعيِّ، التي لا يَكون مُؤمِنًا الإيمانَ الواجِبَ إلا بها. فمَن أَخَلَّ بالأَعمال فلَم يَأْتِ بشَيء مِنها، فليس بمُؤْمِن[1]، كما قال مُحمدُ بنُ الحُسين الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلموا -رحِمنا الله تَعالى وإيَّاكم- أن الذي عليه عُلَماء المسلمين: أن الإيمان واجِب على جميع الخلْق، وهو تَصديق بالقلْب، وإقرار باللسان، وعمَل بالجوارِح، ثم اعلَموا: أنَّه لا تُجزِئ المَعرِفة بالقَلْب والتَّصدِيق، إلا أن يَكون مَعه الإيمان باللسان نُطْقًا، ولا تُجزِئ مَعرِفةٌ بالقَلب ونُطْق باللسان حتى يَكون عَمَل بالجَوارِح، فإذا كَمَلت فيه هذه الثلاثُ الخِصالُ كان مُؤْمنًا. دَلَّ على ذلك الكِتاب والسُّنَّة وقول عُلَماء المسلمين»[2].

المرجوُّ التَّكَرُّم بالإجابة بالتَّفصيل في ذلك، والإحالة إلى بَعض المَراجِع، وتحديد الصفحات -إن تَيسَّر- سائِلين اللهَ أن يَنفَع بعِلْمكم، وأن يَجزِيَكم عنَّا وعن طلاب العِلْم خير الجزاء في الدنيا والآخرة، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) ينظر: الاعتقاد (ص:١٨٦).
(٢) ينظر: الشريعة (٢/ ٦١١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

مَن أَنكَر شيئًا ممَّا يَجِب الإيمان به وهي أُصول الإيمان السِّتَّة فهو كافِر كُفْرًا أَكبرَ، إلا أن يَكون ذلك بتَأْويل سائِغ يُعذَر به، مثل: بعض ما يَكون في البَرْزخ أو بعد قِيام الساعة.

وأَمَّا العمَل فهو نوعان: فِعْل وتَرْك.

فأَمَّا الفِعْل: فإن قام الدليل على أَنَّه كُفْر أكبر فهو هو، كالسجود للصنَم، وإن قام الدليل على أنَّه كُفْر أَصغرُ فهو كفْر أصغرُ، كقِتال المؤمن.

وأما التَّرْك: فقد قال عبد الله بن شَقيق: كان أصحابُ النبي ﷺ لا يَرَون شيئًا مِن الأعمال تَركُه كُفْر إلا الصلاة(١).

وإذا شَكَكنا في أن المُراد بالكفْر الأصغر أو الأكبر حُمِل على الأَوَّل (الأصغر)؛ لأَنَّه هو المُتيقَّن، والأصل عدم خُروج المُسلم مِن الإسلام.

هذا والله يَحفظُكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبه محمد الصالح العُثَيْمِين

في ٢٥/ ٢/ ١٤٢١هـ



(١) أخرجه الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، رقم (٢٦٢٢).

س(٢٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن مَعنى قول النبي ﷺ: «إِنَّ الإِيمانَ لَيَأْرِزُ إِلى المَدِينَةِ كَما تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِها»؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا الحديث يَقول فيه الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ الإِيمانَ لَيَأْرِزُ إِلى المَدِينَةِ كَما تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِها**»[١]. و«**يَأْرِزُ**» بكَسر الراء ويَجوز فيها الفتح والضمُّ، ومَعنى «يَأْرِزُ» يَرجِع ويَثبُت في المَدينة كما أن الحية إذا خَرَجت مِن جُحْرها رَجَعت إليه. وهذا إشارة مِن النبي ﷺ إلى أن هذا الدِّين سَوف يَرجِع إلى المدينة بعد أن تَفسُد البُلدان الأخرى، كما أن الحية تَخرُج وتَنتَشِر في الأرض ثُمَّ بعْد ذلك تَرجِع إلى جُحْرِها.

وفيه -أيضًا- إشارة إلى أن الإسلام كما انطلَق مِن المَدينة فإنَّه يَرجِع إليها أيضًا، فإن الإسلام بقُوَّته وسُلطته لم يَنتَشِر إلا مِن المدينة وإن كان أَصله نابعًا في مكة، ومكةُ هي المَهبِط الأَوَّل للوَحْي، لكن لم يَكُن للمُسلِمين دَولة وسُلطان وجِهاد إلا بَعد أن هاجَروا إلى المَدينة؛ فلهذا كان الإسلام بسُلطَته ونُفوذه وقُوَّته مُنتَشِرًا مِن المدينة، وسيَرجِع إليها في آخِر الزمان.

وقال بعض أهل العِلْم: إن هذا إشارة إلى أَمْر سَبَق، وأن المعنى أن الناس يَفِدون إلى المدينة ويَرجِعون إليها؛ ليَتَلقَّوا مِن رسول الله ﷺ الشريعةَ والتعاليم الإسلامية.

ولكن المعنى الأوَّل هو ظاهر الحديث، وهو الصحيح.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل المدينة، باب الإيمان يأرز إلى المدينة، رقم (١٨٧٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، رقم (١٤٧/ ٢٣٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٢٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل يُشهَد للرجل بالإيمان بمُجرَّد اعتِياده المساجد كما جاء في الحديث؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نعم، لا شكَّ أن الذي يَحضُر الصلوات في المساجد حُضوره لذلك دليلٌ على إيمانه؛ لأنَّه ما حمَله على أن يَخرُج مِن بَيتِه ويَتكلَّف المَشيَ إلى المَسجِد إلا الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ.

وأما قول السَّائل: «كما جاءَ في الحديث» فهو يُشير إلى ما يُروَى عن النبي ﷺ: «**إذا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتادُ المَساجِدَ فَاشْهَدوا لَهُ بِالإِيمانِ**»[1]. ولكن هذا الحديثَ ضعيفٌ لا يَصِحُّ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

س(٣٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن هذا التَّقسيم للإيمان هل هو صَحيح أو لا؟ «الإِيمان خَمسةٌ: إيمان مَطبوع وهو إيمان الملائكة، وإيمان مَعصوم وهو إيمان الأنبياء، وإيمان مَقبول وهو إيمان المُؤمِنين، وإيمان مَردود وهو إيمان المُنافِقين، وإيمان مَوقوف وهو إيمان المُبتدِعة»؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أقول في هذا التقسيم: إنه ليس بصحيح، لا مِن أجل التَّقسيم؛ لأن التَّقسيم قد يَكون صحيحًا في أَصله، ولا مُشاحَّة في الاصْطِلاح والتقسيم، لكنه ليس بصحيح في حدِّ ذاته فإن المُنافِقين قد نَفى الله الإيمانَ عنهم في القُرآن

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم (٢٣٧٨)، وابن ماجه: كتاب المساجد والجماعات، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، رقم (٨٠٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
قال الألباني في السلسلة الضعيفة (٤/ ١٧٨): حديث ضعيف.

فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨]. وإيمان البَشَر مَطبوعون عليه لولا وُجود المانِع المُقاوِم. قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**كُلُّ مَوْلودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبواهُ يُهَوِّدانِهِ، أَوْ يُنَصِّرانِهِ، أَوْ يُمَجِّسانِهِ**»(١).

صحيح أن الملائكة لا يَعصون اللهَ ما أَمَرهم، وصحيح أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يُمكِن أن يَرتَدُّوا بعد إيمانهم، ولكن التَّقسيم الثَّانيَ غيرُ صحيح، وهو أنَّه جَعَل الملائكة مَطبوعِين على الإيمان دون البَشَر، والبَشَر -كما تَقدَّم- قد طُبِعوا على الإيمان بالله وتَوحِيده، وخَيرٌ مَن ذلك أن نَرجِع إلى تَقسيم السَّلف الصالح؛ لأَنَّه هو التَّقسيم الذي يَكون مطابقًا للكتاب والسُّنَّة والإجماع عليه، وهو أن الإيمان قول باللسان، وعَمَل بالأَرْكان، واعتِقاد بالجَنان.

س(٣١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن رَجُل يُوسْوِس له الشيطان بوَساوِس عظيمة فيما يَتعلَّق بالله عَزَّوَجَلَّ وهو خائِف مِن ذلك جدًّا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ما ذُكِر من جهة مُشكِلة السَّائل التي يَخاف مِن نَتائِجها، أَقول له: أَبشِر بأَنَّه لن يَكون لها نَتائِج إلا النتائج الطيِّبة؛ لأن هذه وَساوِسُ يَصول بها الشيطان على المُؤمِنين؛ ليُزَعْزِع العقيدة السليمة في قلوبهم، ويُوقِعهم في القلق النفسي والفِكْري ليُكدِّر عليهم صَفوَ الإيمان؛ بل صَفْو الحياة إن كانوا مُؤْمِنِين.

وليست حاله بأوَّلِ حالٍ تَعرِض لأهل الإيمان، ولا هي آخرَ حالٍ؛ بل ستَبقَى

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلَّى عليه، رقم (١٣٥٨)، ومسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم (٢٦٥٨/ ٢٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ما دام في الدنيا مُؤْمِن، ولقد كانت هذه الحال تَعرِض للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء أُناس مِن أصحاب رسول الله ﷺ إلى النبي ﷺ، فسألوه: إنَّا نَجِد في أَنفُسنا ما يَتعاظَم أَحَدُنا أن يَتكلَّم به؛ فقال: «**أَوَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟**» قالوا: نَعم. قال: «**ذاكَ صَرِيحُ الإِيمانِ**»(١). رواه مسلم، وفي الصحيحَينِ عنه أيضًا أن النبي ﷺ قال: «**يَأْتِي الشَّيْطانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذا؟ مَنْ خَلَقَ كَذا؟ حَتَّى يَقولُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟! فَإِذا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ**»(٢).

وعن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ جاءَه رَجُل فقال: إِنِّي أُحدِّث نَفسي بالشيء لأن أكونَ حُمَمَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ؟ فقالَ النبي ﷺ: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي رَدَّ أَمْرَهُ إِلَى الوَسْوَسَةِ**»(٣). رواه أبو داودَ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الإيمان: والمُؤمِن يُبتَلى بوَساوِس الشيطان، بوَساوِس الكُفْر التي يَضيق بها صدرُه؛ كما قالت الصحابة: يا رسول الله، إن أحدَنا ليَجِد في نفسه ما لأنْ يَخِرَّ مِن السماء إلى الأرض أحبُّ إليه مِن أن يَتكلَّم به؛ فقال: «**ذاكَ صَرِيحُ الإِيمانِ**». وفي رواية: ما يَتعاظَم أن يَتكلَّم به. قال: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الوَسْوَسَةِ**». أي: حُصول هذا الوِسواس مع هذه الكراهة العظيمة له، ودفعه عن القَلْب هو مِن صريح الإيمان، كالمُجاهِد الذي جاءَه العَدُوُّ فدافَعه حتى غلَبه، فهذا عظيم الجِهاد، إلى أن قال: «ولهذا يُوجَد عِند

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقول مَن وجدها، رقم (١٣٢/ ٢٠٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، رقم (٣٢٧٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، رقم (١٣٤/ ٢١٤).

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في رد الوسوسة، رقم (٥١١٢).

طُلاب العِلْم والعِبادة مِن الوَساوِس والشُّبُهات ما ليس عند غيرِهم؛ لأَنَّه -أي: الغير- لم يَسلُكْ شَرْع الله ومِنهاجَه؛ بل هو مُقبِل على هَواه في غَفلة مِن ذِكْر رَبه، وهذا مَطلوب الشيطان بخِلاف الُمتوجِّهين إلى رَبِّهم بالعِلْم والعِبادة، فإنه عَدوُّهم يَطلُب صدَّهم عن الله تعالى» اهـ. المقصود مِنه ذكره في (ص:١٤٧) من الطبعة الهندية.

فأقول لهذا السَّائل: إذا تَبيَّن لك أن هذه الوَساوِس مِن الشيطان فجاهِدْها وكابِدْها، واعْلَمْ أنها لن تَضرُّكَ أبدًا مع قِيامِك بواجِب الُمجاهدة والإعراض عنها، والانتِهاء عن الانسِياب وراءها، كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَجاوَزَ عَنْ أُمَّتِي ما وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُها ما لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَتَكَلَّمْ**»(١). مُتَّفَق عليه.

وأنت لو قيل لك: هل تَعتقِد ما تُوسوِس به؟ وهل تَراه حقًّا؟ وهل يُمكِن أن تَصِف الله سبحانه به؟ لقُلتَ: ما يكون لنا أن نَتكلَّم بهذا، سُبحانك هذا بُهتان عظيم، ولأَنكَرتَ ذلك بقلبكَ ولسانكَ، وكنتَ أبعدَ الناس نُفورًا عنه، **إِذَنْ**: فهو مُجرَّد وَساوِس وخَطَرات تَعرِض لقَلبكَ، وشِباكُ شَرَكٍ مِن الشَّيطان الذي يَجرِي مِنِ ابن آدَمَ مَجرَى الدمِ؛ ليُرْدِيك ويَلبِس عليك دِينَك.

ولذلك تَجِد الأشياء التافِهة لا يُلقِي الشيطان في قلبِكَ الشكَّ فيها أو الطَّعن، فأنت تَسمَع مثلًا بوجود مُدن مُهمَّة كبيرة مَملوءة بالسكان والعُمران في المشرق والمغرب ولم يَخطُر ببالكَ يومًا مِن الأيام الشكُّ في وجودها أو عَيبها بأنها خَراب

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العتق، باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه، رقم (٢٥٢٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب، رقم (١٢٧/ ٢٠١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ودَمار لا تَصلُح للسُّكنى، وليس فيها ساكن، ونحو ذلك، إذ لا غرَض للشيطان في تَشكُّك الإنسان فيها، ولكن الشيطان له غرَض كبير في إفساد إيمان المُؤْمِن، فهو يَسعى بخَيله ورَجْله ليُطفِئ نور العِلم والهداية في قلبه، ويُوقِعه في ظُلمة الشكِّ والحيرة، والنبي ﷺ بيَّن لنا الدواء الناجِع الذي فيه الشفاء، وهو قوله: «**فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ**»[1]. فإذا انتهى الإنسان عن ذلك واستمرَّ في عِبادة الله طلَبًا ورَغبة فيما عِند الله زال ذلك عنه بحَوْل الله، فأَعْرِضْ عن جَميع التقديرات التي تَرِد على قلبِكَ في هذا الباب وها أنت تَعبُد الله وتَدعوه وتُعظِّمه، ولو سَمِعت أحدًا يَصِفه بما تُوسْوِس به لقَتَلْتَه إن أَمكنكَ، إِذَنْ: فما تُوسوِس به ليس حقيقةً واقعةً، بل هو خواطرُ ووساوِسُ لا أَصْل لها، كما لو انفَتَح على شَخْص طاهِر الثَّوب قد غَسَل ثوبه لحِينه ثم أَخَذ الوَهْمُ يُساوِره: لعله تَنجَّس، لعله لا تَجوز الصلاة به، فإنه لا يَلتَفت إلى هذا.

ونصيحتي تَتلخَّص فيما يَأتي:

١- الاستعاذة بالله، والانتهاء بالكُلِّية عن هذه التَّقديرات كما أَمَر بذلك النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- ذِكْر الله تَعالى وضَبْط النفْس عنِ الاستمرار في هذه الوَساوِس.

٣- الانْهِماك الجِدِّيُّ في العبادة والعمَل؛ امتِثالًا لأَمْر الله، وابتِغاءً لمَرضاتِه، فمَتى التَفتَّ إلى العِبادة التفاتًا كليًّا بجِدٍّ وواقِعيَّة نَسِيتَ الاشتِغال بهذه الوساوِس -إن شاء الله-.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، رقم (٣٢٧٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، رقم (١٣٤/ ٢١٤).

٤- كَثرة اللجوء إلى الله والدعاء بمُعافاتِك مِن هذا الأمر.

وأَسأَلُ اللهَ تعالى لك العافيةَ والسلامةَ مِن كُلِّ سوء ومَكروه.

س(٣٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن شخص يُوسوِس إليه الشيطان بهذا السؤال: «مَن خَلَق اللهَ؟» فهل يُؤثِّر ذَلك عليه؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا الوِسْواس لا يُؤثِّر عليه، وقد أَخبَر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن الشيطان يَأتي إلى الإنسان فيَقول: مَن خَلق كذا؟ ومن خَلق كذا؟ إلى أن يَقول: مَن خلَق الله؟! وأَعلَمنا رسول الله ﷺ بالدواء الناجِع، وهو أن نَستَعيذ بالله مِن الشيطان الرجيم ونَنتَهِي عن هذا[1].

فإن طَرَأ عليك هذا الشيءُ وخَطَر ببالِكِ فقُل: أَعوذ بالله مِن الشيطان الرجيم، وانتَهِ عنه، وأَعرِض إِعْراضًا كُليًّا، وسيَزول بإِذْن الله.

س(٣٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل يَجِب على الكافر أن يَعتَنِق الإسلامَ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: يَجِب على كل كافر أن يَعتنِق دِين الإسلام ولو كان نَصرانيًّا أو يَهوديًّا؛ لأن الله تعالى يَقول في الكتاب العزيز: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، رقم (٣٢٧٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، رقم (١٣٤/ ٢١٤).

ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٨]. فواجِب على جميع الناس أن يُؤمِنوا برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إلا أن هذا الدِّينَ الإسلامي مِن رَحمة الله عَزَّوَجَلَّ وحِكمته أَنَّه أباح لغير المسلمين أن يَبقَوا على دِيانتهم بشرط: أن يَخضَعوا لأحكام المُسلِمين، فقال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:٢٩].

وفي صحيح مسلم من حديث بُرَيدة أن النبي ﷺ كان إذا أَمَّر أميرًا على جيش أو سَرِيَّة أَمَرَهُ بتقوى الله وبمَن معه مِن المُسلِمين خيرًا وقال: «**ادْعُهُمْ إِلَى ثَلاثِ خِصالٍ -أَوْ: خِلالٍ-، فَأَيَّتَهُنَّ أَجابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ**»(١). ومِن هذه الخِصال أن يَبذُلوا الجِزية.

ولهذا كان القولُ الراجِحُ مِن أقوال أَهلِ العِلْم: أن الجزية تُقبَل مِن غير اليهود والنصارى.

فالحاصِل: أن غير المُسلِمين يَجِب عليهم إمَّا الدُّخول في الإسلام، وإمَّا الخُضوعُ لحُكَّامِ الإسلام، والله المُوفِّق.



(١) أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، رقم (١٧٣١/ ٣).

س (٣٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كيف يُمكِن الجَمْع بين الأحاديث الآتية: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ بِيَدِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ»[(١)]. وفي مُسنَد الإمام أحمد عن لَقيط بن صَبِرة: قلْتُ: يا رَسولَ الله أَينَ كان رَبُّنا قبلَ أن يَخلُق خَلْقَه؟ قال: «كان في عِمايَةٍ...»[(٢)]، وحديث: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمُ»[(٣)].

فظاهِر هذه الأحاديث مُتعارِض في أيِّ المَخلوقات أسبقُ في الخلْق، وكذلك ما جاء أن أَوَّل المَخلوقات هو محمد رسول الله ﷺ[(٤)]؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذه الأحاديث مُتَّفِقة مُؤتَلِفة وليست بمُختَلِفة، فأَوَّل ما خَلَق الله من الأشياء المعلومة لنا هو العَرْش، واستوى عليه بعد خَلْق السَّموات، كما قال تَعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:٧].

وأمَّا بالنسبة للقَلَم فلَيْس في الحديث دليل على أن القلم أَوَّل شَيء خُلِق، بل

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾، رقم (٣١٩١) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١١)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة هود، رقم (٣١٠٩)، وابن ماجه: كتاب المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٨٢).

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في القدر (٤٧٠٠)، والترمذي: كتاب القدر، رقم (٢١٥٥)، وفي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ﴿نٓ﴾ (٣٣١٩).

(٤) من ذلك ما روي عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء. قال: «يا جابر، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره». ذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٣٠٢)، وعزاه لعبد الرزاق في مصنفه. ولم أجده فيه، وينظر: تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق للشيخ محمد أحمد بن عبد القادر الشنقيطي رحمهم الله.

مَعنى الحديث أنَّه في حِين خَلَق القَلَم أَمَره الله بالكتابة، فكتَب مَقادِير كل شيء.

وأما محمد ﷺ فهو كغيره مِن البَشَر، خُلِق مِن ماء أبيه عبد الله بن عبد المطلب، ولم يَتميَّز على البشر مِن حيث الخِلْقة، كما قال عن نفسه: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ**»(١)، فهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَجوع، ويَعطَش، ويَبرد، ويُصيبه الحرُّ، ويَمرَض، ويَموت، فكل شَيء يَعتَرِي البشرية مِن حيث الطبيعة البشرية، فإنه يَعتَرِيه، لكنه يَتميَّز بأنَّه يُوحَى إليه وأنَّه أهل للرسالة كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

| س(٣٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما حُكْم مَنْ أَخلَّ برُكنٍ واحدٍ مِن أركان الإيمان؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إذا أَخلَّ برُكْن مِن أركان الإيمان السِّتَّة جَحْدًا وتَكذيبًا فهو كافر.

وأمَّا إذا كان عَن تَأْوِيل، كالذين أَنكروا مَسائِلَ في باب القَدَر فهذا لا يَكفُر؛ لأنَّه مُتأَوِّل، لكن أحيانًا يَكون التأويل بَعيدًا، وأحيانًا يَكون التأويل قريبًا، وفي هذا تَفصيل عند أهل العِلْم.



(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب التوجه إلى القبلة، رقم (٤٠١)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم (٥٧٢/ ٨٩) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س (٣٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن الفَرْق بين الإسلام والإيمان والإحسان، ومَن قام بالإسلام وتَرَك واحدًا مِن أركانه، هل يَكفُر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الفرق بين هذه الثلاثة بيَّنه النبي ﷺ حين سأله جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عنِ الإسلام والإيمان والإحسان، فقال له: «**الإِسْلامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ**» وسأله عن الإيمان فقال: «**أَنْ تُؤمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، فسأله عن الإحسان فقال: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[1]. هذا هو الفَرْق.

وأما مَن تَرَك واحِدًا مِن أركان الإسلام ففيه تفصيل:

فمَن تَرَك الشهادَتَين ولم يَشهَد أن لا إله إلا الله ولا أن محمدًا رسول الله فهو كافِر مُرتَدٌّ بإجماع المُسلِمين، ومَن أتى بالشهادَتَين لكن تَرَك الصلاة فهو كافِر على القول الراجِح والأدلة على ذلك كثيرة.

وأمَّا مَن تَرَك الزكاة، أو الصيام، أو الحَجَّ فإنه لا يَكفُر على القول الراجح؛ لقول عبد الله بنِ شقيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كانَ أَصْحابُ النَّبِيِّ ﷺ لا يَرَونَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمالِ تَرْكُه كُفْر غيرَ الصَّلاةِ»[2].

وأمَّا الإيمان: فأَركانه سِتَّة، وإذا أَنكَر واحدًا مِنها كَفَر، فلو لَمْ يُؤمِن بالله فهو كافِر، أو لم يُؤْمِن بالمَلائِكة فهو كافِر، وكذلك لو لم يُؤمِن برُسُله، أو باليوم الآخر،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، رقم (٥٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، رقم (٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، رقم (٢٦٢٢).

أو بالقَدَر فهو كافِر.

وأما الإحسان فهو كَمال إن أَتى به الإنسان فلا شكَّ أَنَّه أكملُ، فعِبادَته لله كأَنَّه يَراه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قال النبي ﷺ، وهذه العِبادة -أي: عبادة الإنسان ربَّه كأَنَّه يَراه- عبادةُ طَلَب وشَوْق، وعِبادة الطَّلَب والشَّوْق يَجِد الإنسان مِن نَفْسه حاثًّا عليها؛ لأَنَّه يَطلُب هذا الذي يُحبُّه، فهو يَعبُده كأَنَّه يَراه، فيَقصِده ويُنِيب إليه ويَتقَرَّب إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فالإحسان كمال وفَضْل، والله المُوفِّق.

س(٣٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كيف يَعلَم الشخص أَنَّه وصَل إلى درجة الإيمان؟ وهل يَعلَم الإنسان إذا كان إِيمانه قويًّا أو ضَعيفًا؟ وما حُكْم قول القائل: أَنا مُؤمِن وإيماني قويٌّ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الإيمان أَعلى مَرتَبةً مِن الإسلام، والإنسان يَعلَم أَنَّه مُؤمِن بما يَكون في قلبه مِن الإقرار الجازِم بما يَجِب الإيمان به، وهو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقَدَر خيرِه وشرِّه، وبما يَكون لهذا الإيمان مِن النتائج وهي الإنابة إلى الله عَزَّوَجَلَّ بفِعْل الطاعات، والتوبة إليه مِن المَعاصي، ومَحبَّة الخير للمُؤمِنين، ومَحبَّة النصر للإسلام، وغير ذلك مِن مُوجِبات الإيمان التي تَدُلُّ دلالةً واضِحةً على أن الإنسان مُؤمِن.

ويُمكِن العِلْم بأن الإنسان مُؤْمِن بأن يُطبِّق أحواله وأعماله على ما جاءت به السُّنَّة، مِثل قوله ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[١].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب بنفسه، رقم (١٣)،

فلْيَنظُر هل هـو يُحِبُّ لأخيه ما يُحِبُّ لنَفْسـه، أو يُحِبُّ أن يَستَأْثِـر على أخيه ولا يَهتَمَّ بشَأْنه، أم ماذا؟ وليُطبِّق ذلك أيضًا على نفسه في المعاملة: هل هو ناصِح في مُعاملته لإخوانه أو غاشٌّ لهم؟ لأن النبي ﷺ قال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قالوا: لَمن يا رَسولَ الله؟ قال: «**للهِ، وَلِكِتابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(١). وثبَت عنه ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا**»(٢).

فلْنَنْظُر إلى هذا، ولنَنْظُر أيضًا هل هو حَسَن الجِوار بجِيرانه أو على خِلاف ذلك؟ لأن حُسْن الجِوار مِن علامات الإيمان، قال النبي ﷺ: «**وَاللهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لا يُؤْمِنُ، مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»(٣). وقال ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ**»(٤) إلى غير ذلك مِن الأحاديث التي يَعرِف بها الإنسان ما عِنده مِن الإيمان قوَّة وضَعفًا، فالإنسان العاقِل البَصير يَزِن إيمانه بما يَقوم به مِن طاعة الله، واجتِناب مَعصِيته، ومَحبَّة الخير لنَفْسِه وللمسلمين.

وأما قَوْل القائل: أنا مُؤْمِن وإيماني قوي: فهذا إن قاله على سبيل التَّزكية لنفسه فقد أَساءَ؛ لقول الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢].

= ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، رقم (٤٥/ ٧١) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٥٥/ ٩٠) من حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب مَن غشنا فليس منَّا، برقم (١٠١/ ١٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، رقم (٦٠١٦)، من حديث أبي شريح الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، رقم (٦٠١٩)، من حديث أبي شريح الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإن قاله على سبيل التَّحدُّث بنِعمة الله وتَشجيع غيره على تَقوية إيمانه فلا حرَجَ عليه في ذلك، ولا بأس به.

والإنسان يَعرِف قوَّة الإيمان كما ذكرنا آنفًا بآثاره التي تَترتَّب عليه، ومتى قَوِي إيمانه صار الإنسان كما أنَّه يُشاهِد عِلْم الغَيْب الذي أَخبَر الله عنه، بحيثُ لا يَكون عنده أدنى شكٍّ فيما أخبر الله به ورسوله ﷺ مِن أُمور الغَيْب.

س(٣٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما الفرقُ بين الإسلام والإيمان؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الإسلام والإيمان يُذكَران جميعًا، ويُذكَر أحدهما مُنفرِدًا عن الآخر، فإذا ذُكِرا جميعًا اختلَف معناهما وكان الإيمان للأعمال الباطنة، والإسلام للأعمال الظاهرة، ودليل ذلك حديثُ عمرَ بنِ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين جاء جِبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسأله عن الإسلام، فقال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيم الصَّلاةَ، وتُؤْتِي الزَّكاةَ، وتَصومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ الحَرَامَ**» ثم سأله عن الإيمان، فقال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**الإيمانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[1].

ففرق بين الإيمان والإسلام، فجعل الإسلام هي الأعمال الظاهرة التي هي قول اللسان وعَمَل الجوارح، وجعل الإيمان الأعمال الباطنة التي هي إقرار القلب واعتِرافه وإيمانه؛ ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ عن الأعراب: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام، رقم (٨/ ١).

تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٤]. فجَعَل الله تعالى الإيمان في القلب، وبيَّن في هذه الآية الكريمة أن الإيمان أَعلى رُتبةً مِن الإسلام؛ لأن الإسلام يَكون مِن المُنافِق ومِن المُؤمِن حَقًّا، وفي هذه الحال نَقول: إن الإيمان أعلى مَرتبةً مِن الإسلام.

أما إذا أُفرِد أحدهما عن الآخَر فإنهما يَكونان بمَعنًى واحِد، فقول الإنسان: أنا مُؤمِن، كقوله: أنا مُسلِم، ولا فرقَ، ولكن إذا قال: أنا مُؤمِن، فإنه يَجِب عليه أن يَكون الباعِث له على هذه المَقالة التَّحدُّث بنِعَم الله عَزَّوَجَلَّ، أو الإخبار المَحْض المُجرَّد، لا أن يَكون الحامِل له على ذلك تَزكية نفسه، وإعجابُه بها، وافتخارُه على غيره، فإن ذلك مِن الأمور المُحرَّمة.

س(٣٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما الفرق بين الإسلام والإيمان؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الإسلام والإيمان كلِمتان تَتَّفِقان في المعنى إذا افترَقا في اللفظ.

بمعنى: أنَّه إذا ذُكِر أحدهما في مكان دون الآخر فهو يَشمَل الآخر، وإذا ذُكِرا جميعًا في سياق واحد صار لكل واحد مِنهما مَعنًى، فالإيمان إذا ذُكِر وحده شَمِل كلَّ الإسلام: مِن شرائعه، ومُعتَقَداته، وآدابه، وأخلاقه، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]. وكذلك الإسلام إذا ذُكِر هكذا مُطلَقًا فإنه يَشمَل كلَّ مَن قام بشرائِع الإسلام مِن مُعتَقَدات وأعمال وآداب وغيرها.

فإذا قِيل: إيمان ومُؤمِن بدون قول الإسلام معه، فهو شامل للدِّين كُلِّه.

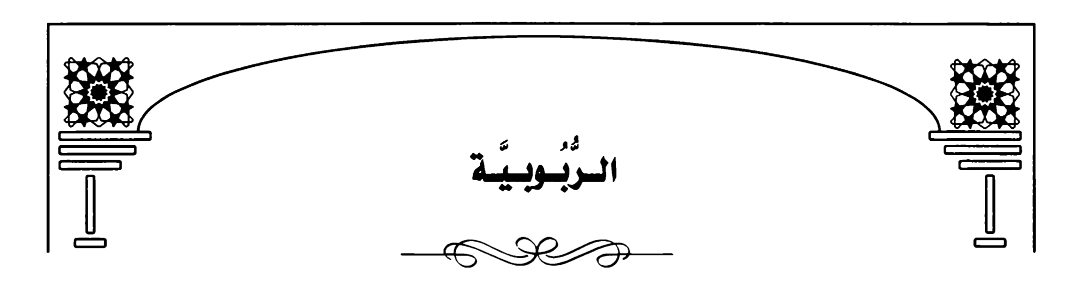
أما إذا قيل: إسلام وإيمان في سياق واحد، فإن الإيمان يُفسَّر بأعمال القلوب وعقيدتها، والإسلام يُفسَّر بأعمال الجوارح؛ ولهذا قال النبي ﷺ في جوابه لجبريل: «**الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ...**» إلى آخِر أَركان الإسلام، وقال في الإيمان: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ...**»[1] إلى آخِر أَركان الإيمان المَعروفة، ويَدُلُّ على هذا الفرق قوله تَعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٤].

وهذا يَدُلُّ على الفرق بين الإسلام والإيمان، فالإيمان يَكون في القلب، ويَلزَم مِن وجوده في القلب صلاحُ الجوارِح؛ لقول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ القَلْبُ**»[2]. بخِلاف الإسلام، فإنه يَكون في الجوارِح، وقد يَصدُر مِن المُؤمِن حَقًّا، وقد يَكون مِن ناقِص الإيمان، فهذا هو الفرْق بينهما، وقد تَبيَّن أَنَّه لا يُفرَّق بينهما إلا إذا اجتَمعا في سياق واحِد، وأما إذا انفَرَد أحدهما في سِياق فإنه يَشمَل الآخَر.



(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام، رقم (٨/ ١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم (٥٢)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم (١٥٩٩/ ١٠٧)، من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



الربوبية

س(٤٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: عن حُكم مَن يَدَّعي عِلم الغَيْب؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: الحُكم فيمَن يَدَّعي عِلْم الغَيْب أنَّه كافِر؛ لأنَّه مُكذِّب لله عَزَّوَجَلَّ قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥]، وإذا كان الله عَزَّوَجَلَّ يَأمُر نبيَّه مُحمدًا ﷺ أن يُعلِن للمَلأ أنَّه لا يَعلَم مَن في السَّموات والأرض الغَيْبَ إلا الله، فإن مَنِ ادَّعى عِلْم الغَيْب فقد كذَّب الله عَزَّوَجَلَّ في هذا الخبر.

ونَقول لهؤلاء: كيف يُمكِن أن تَعلَموا الغَيْب والنبي ﷺ لا يَعلَم الغَيْب؟! هل أنتم أَشرفُ أَمِ الرَّسولُ ﷺ؟ فإن قالوا: نحن أشرفُ مِنَ الرسول؛ كفروا بهذا القول، وإن قالوا: هو أَشرَف، فنَقول: لماذا يُحجَب عنه الغَيْب وأنتم تَعلَمونه؟! وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن:٢٦-٢٧]، وهذه آية ثانية تَدُلُّ على كُفْر مَنِ ادَّعَى عِلْم الغَيْب، وقد أَمَر الله تعالى نبيَّه ﷺ أن يُعلِن للملأ بقوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام:٥٠].



س(٤١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كيف نُوفِّق بَين عِلْم الأطبَّاء الآن بذُكورة الجنين وأُنوثَته، وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان:٣٤]، وما جاء في تَفسير ابنِ جَرير عن مُجاهِدٍ أن رَجلًا سأل النبي ﷺ عمَّا تَلِدُ امرأتُه، فأَنزَل الله الآية، وما جاء عن قتادة -رحمه الله تعالى-[١]؟ وما المُخصِّص لعُموم قوله تعالى: ﴿مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: قبل أن أَتكلَّم عن هذه المَسألة أُحِبُّ أن أُبيِّن أنَّه لا يُمكِن أن يَتعارَض صريح القرآن الكريم مع الواقِع أبدًا، وأنَّه إذا ظهَر في الواقِع ما ظاهِرُه المُعارضة؛ فإمَّا أن يَكون الواقِع مُجرَّد دَعوَى لا حقيقةَ له؛ وإمَّا أن يَكون القرآن الكريم غَيرَ صريح في مُعارَضته؛ لأن صريح القرآن الكريم وحقيقتَه في الواقع كِلاهما قَطعِيٌّ، ولا يُمكِن تَعارُض القَطعِيَّيْن أبدًا.

فإذا تَبيَّن ذلك فقد قِيل: إنهم الآن تَوصَّلوا بواسِطة الآلات الدقيقة للكشف عمَّا في الأرحام، والعِلْم بكونه أُنثى أو ذَكَرًا، فإن كان ما قِيل باطلًا فلا كلامَ، وإن كان صِدقًا فإنه لا يُعارِض الآية، حيثُ إن الآية تَدُلُّ على أَمْر غَيبيٍّ هو مُتعلِّق بعِلْم الله تعالى في هذه الأمور الخمسة، والأمور الغَيْبيَّة في حال الجنين هي: مِقدار مُدَّته في بطن أُمِّه، وحياته، وعَمَله، ورِزْقه، وشقاوته أو سعادته، وكونه ذَكَرًا أم أنثى، قبل أن يُخلَّق، أما بعد أن يُخلَّق، فليس العِلْم بذُكورته أو أُنوثته مِن عِلْم الغَيْب؛ لأنَّه بتَخليقه صار مِن عِلْم الشهادة، إلا أنَّه مُستَتِر في الظُّلمات الثلاثة، التي لو أُزيلت لتُبيِّن أَمرَه، ولا يَبعُد أن يَكون فيها خَلَق الله تعالى مِن الأشعة أَشعَّة قَويَّة تَخترِق

(١) ينظر: تفسير ابن جرير (١٨/ ٥٨٤-٥٨٥).

هذه الظلمات حتى يَتبيَّن الجنين ذَكَرًا أم أنثى. وليس في الآية تَصرِيح بذِكْر العِلْم بالذكورة والأُنوثة، وكذلك لم تَأتِ السُّنَّة بذلك.

وأما ما نَقَله السَّائِل: عن ابن جرير عن مُجاهِد أن رَجلًا سأل النبي ﷺ عما تَلِدُ امرأته؛ فأَنزَل الله الآية. فالمَنقول هذا مُنقطِع؛ لأن مُجاهِدًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن التابِعين.

وأما تفسير قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيُمكِن أن يُحمَل على أن اختِصاص الله تعالى بعِلْمه ذلك إذا كان لم يُخلَّق، أما بعد أن يُخلَّق فقد يَعلَمه غيره. قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تَفسير آية لقمان: وكذلك لا يَعلَم ما في الأرحام ممَّا يُريد أن يَخلُقه تعالى سِواه، ولكن إذا أَمَر بكونه ذَكَرًا أو أُنثى أو شَقيًّا أو سعيدًا علِم الملائكة المُوكَّلون بذلك ومَن شاء مِن خَلْقه[1] اهـ.

وأما سُؤالُكم عن المُخصِّص لعُموم قوله تَعالى: ﴿مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾.

فنَقول: إن كانت الآية تَتناوَل الذُّكورة والأُنوثة بعد التخليق فالمُخصِّص الحسُّ والواقِع، وقد ذكر عُلَماء الأصول: أن المُخصِّصات لعموم الكِتاب والسُّنَّة إما النَّصُّ، أو الإِجماع، أو القِياس، أو الحِسُّ، أو العقْل، وكلامهم في ذلك مَعروف.

وإذا كانتِ الآية لا تَتناوَل ما بعد التَّخليق وإنَّما يُراد بها ما قَبله، فليس فيها ما يُعارِض ما قِيل من العِلْم بذُكورة الجَنين وأُنوثته.

والحمد لله أنَّه لم يُوجَد -ولن يُوجَد- في الواقِع ما يُخالِف صريح القرآن الكريم، وما طَعَن فيه أعداء المسلمين على القرآن الكريم مِن حدوث أمور ظاهرُها

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (١١/ ٨٢).

مُعارَضة القرآن الكريم، فإنما ذلك لقُصور فَهمِهم لكِتاب الله تعالى أو تَقصيرهم في ذلك لسُوء نِيَّتهم، ولكن عِند أهل الدِّين والعِلْم مِن البَحث والوصول إلى الحقيقة ما يَدحَض شُبهة هَؤلاء، ولله الحمد والمِنَّة.

والناس في هذه المَسألة طرَفان ووسط:

فطرَف: تمسَّك بظاهر القرآن الكريم الذي ليس بصريح، وأَنكَر خِلافه من كل أمر واقِع مُتيقَّن، فجَلَب بذلك الطعن إلى نفسه في قصوره أو تقصيره، أو الطعن في القرآن الكريم، حيث كان في نَظَره مُخالِفًا للواقِع المُتيقَّن.

وطرف: أَعرَض عمَّا دَلَّ عليه القرآن الكريم وأَخَذ بالأمور المادِّية المَحضَة، فكان بذلك مِن المُلحِدِين.

وأما الوَسَط: فأخذوا بدلالة القرآن الكريم وصَدَّقوا بالواقع، وعلِموا أن كُلًّا مِنهما حقٌّ، ولا يُمكِن أن يُناقِض صريحُ القرآن الكريم أمرًا مَعلومًا بالعيان، فجَمَعوا بين العمَل بالمَنقول والمَعقول، وسلِمت بذلك أديانهم وعقولهم، وهدَى الله الذين آمنوا لما اختلَفوا فيه مِن الحقِّ، والله يَهدِي مَن يَشاءُ إلى صِراطٍ مُستقِيم.

وفَّقَنا الله وإخوانَنا المُؤمِنين لذلك، وجعَلَنا هُداةً مُهتدِين، وقادةً مُصلحِين، وما تَوفِيقي إلا بالله، عليه تَوكَّلتُ، وإليه أُنيبُ.

س(٤٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: ما الحُكْمُ في رَجُل يَقول: «لولا تَحزِين الناس لأَخبَرتُ كلَّ إنسان باليوم الذي يَموت فيه»؟ وما نَصيحتُكم لمَن يُصدِّق هذا الرَّجُل؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: مَنْ صدَّق هذا الرجُل فقد كفَر بما أُنزِل على محمد ﷺ؛ لأَنَّه صَدَّق بأمر يُناقِض قولَ الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]. ومَعلوم أن وَقتَ مَوت الإِنسان غَيبيٌّ لا يَعلمُه إلا الله عَزَّوَجَلَّ، فإِنِ ادَّعى عِلْمه فهو كاذِب، فالرجل الذي يَدَّعي أَنَّه يَعلَم مَتى يَموت الناس كاذِب بِلا شكٍّ، ومَن يُصدِّقه كافِر؛ لقوله تَعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

ونَصيحتي لمَن يُصدِّق هذا الرجل أن يَتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ مِن تَصدِيقه، وأن يَعتقِد أَنَّه رَجلٌ كذَّاب خُرافيٌّ، لا يجوز أن يُصدَّق بما يَدَّعيه مِن عِلْم الغَيْب.

* * *

س(٤٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن دَوَران الأرض؟ ودَوَران الشمس حول الأرض؟ وما تَوجِيهُكم لمَن أُسنِد إليه تَدرِيس مادَّة الجُغرافيا، وفيها أن تَعاقُب الليل والنهار بسبَب دَوَران الأرض حول الشمس؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: خُلاصة رَأينا حول دوران الأرض أَنَّه مِن الأمور التي لم يَرِد فيها نفيٌ ولا إثباتٌ لا في الكِتاب ولا في السُّنَّة، وذلك لأن قوله تَعالى: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ [النحل:١٥] ليس بصريح في دورانها، وإن كان بَعْض الناس قدِ استَدَلَّ بها عليه؛ مُحْتجًّا بأن قوله تَعالى: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ يَدُلُّ على أن للأرض حركةً، لولا هذه الرواسي لاضطَرَبَت بمَن عليها.

وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا﴾ [غافر:٦٤] ليس بصَريح في انتِفاء دورانها؛ لأنها إذا كانت محفوظةً مِن الـمَيَدان في دورانها بما أَلقَى الله فيها

مِن الرواسي صارت قرارًا، وإن كانت تَدور.

أما رأينا حول دوران الشمس على الأرض الذي يَحصُل به تَعاقُب الليل والنهار: فإنَّنا مُستمسِكون بظاهر الكتاب والسُّنَّة مِن أن الشمس تَدور على الأرض دورانًا يَحصل به تعاقب الليل والنهار، حتى يَقوم دليل قطعيٌّ يَكون لنا حُجَّةً بصَرْف ظاهر الكتاب والسُّنَّة إليه -وأَنَّى ذلك-، فالواجب على المُؤمِن أن يَستمسِك بظاهر القرآن الكريم والسُّنَّة في هذه الأمور وغيرها.

ومِن الأدلَّة على أن الشمس تَدور على الأرض دورانًا يَحصُل به تعاقُب الليل والنهار قوله تَعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف:١٧]. فهذه أربعة أفعال أُسنِدت إلى الشمس ﴿طَلَعَت﴾، ﴿تَّزَاوَرُ﴾، ﴿غَرَبَت﴾، ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾؛ ولو كان تَعاقب الليل والنهار بدوران الأرض لقال: وترى الشمس إذا تَبيَّن سطحُ الأرض إليها تَزاوَرَ كَهفُهم عنها، أو نحو ذلك.

وثبَت عن النبي ﷺ أنَّه قال لأبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين غرَبت الشمس: «**أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟**» فقال: الله ورسول أعلم. قال: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ وَتَسْجُدُ تَحْتَ العَرْشِ وَتَسْتَأْذِنُ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَأَنَّهَا تَسْتَأْذِنُ فَلا يُؤْذَنُ لَهَا، وَيُقَالُ: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(١).

فَفِي هذا إِسناد الذهاب والرُّجوع والطلوع إليها، وهو ظاهِر في أن الليل والنهار يَكون بدوران الشمس على الأرض.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر بحسبان، رقم (٣١٩٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١٥٩/ ٢٥٠).

وأما ما ذكَره عُلَماء الفَلَك العَصرِيُّون: فإنه لم يَصِلْ عِندنا إلى حدِّ اليَقين، فلا نَدَعُ مِن أَجلِه ظاهرَ كِتاب رَبِّنا وسُنَّة نبيِّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ونَقول لمَن أُسنِد إليه تَدرِيس مادَّة الجُغرافيا: يُبيِّن للطلبة أن القرآن الكريم والسُّنَّة كِلاهما يَدلُّ بظاهره على أن تَعاقُب الليل والنهار إنما يَكون بدوران الشمس على الأرض، لا بالعكس.

فإذا قال الطالِب: أَيُّهما نَأخُذ به أظاهِر الكِتاب والسُّنَّة، أم ما يَدَّعِيه هؤلاءِ الذين يَزعُمون أن هذه مِن الأمور اليَقينِيَّات؟

فجوابه: أنَّا نَأخُذ بظاهر الكِتاب والسُّنَّة؛ لأن القرآن الكريم كلامُ الله تَعالى الذي هو خالِق الكون كلِّه، والعالم بكل ما فيه مِن أعيان وأحوال، وحركة وسُكون، وكلامه تَعالى أَصدَق الكلام وأَبيَنه، وهو سُبحانه أَنزَل الكِتاب تِبيانًا لكل شيء، وأخبرَ سبحانه أنَّه يُبيِّن لعِباده لئلا يَضلُّوا، وأما السُّنَّة فهي كلام رسول رب العالَمين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو أعلم الخَلْق بأحكام ربِّه وأفعاله، ولا يَنطِق بمِثْل هذه الأمور إلا بِوَحْيٍ مِن الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّه لا مَجال لتَلَقِّيها من غير الوحيِ، وفي ظنِّي -والله أعلم- أنَّه سيَجيء الوقت الذي تَتَحطَّم فيه فكرة عُلَماء الفلك العصريِّين كما تَحطَّمَت فِكرة دارْوِين حول نَشأة الإنسان.

| س(٤٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عرَفنا مِن القرآن الكريم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خَلَق سبع سموات ومِن الأَرْض مِثلَهن، ولكن ما البُعد بَينَ كل سماء؟ وما سُمْكُ كل سماء؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الجواب على ذلك أن نَقول: السَّموات -كما ذَكَر السَّائل- سبع، جَعَلهن الله تعالى طِباقًا، وجعل بينَهنَّ مَسافاتٍ، ويَدُلُّ لذلك حديث المِعراج الثابِت في الصحيحين وغيرهما: «أنَّ جِبرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَعَلَ يَعْرُجُ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ سَماءٍ إِلَى سَماءٍ، وَيَسْتَفْتِحُ عِنْدَ دُخُولِ كُلِّ سَماءٍ، حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى السَّماءِ السابِعَةِ، وَبَلَغَ ﷺ مَوْضِعًا سَمِعَ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلامِ، وَوَصَلَ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى»(١).

وكذلك الأَرَضون هي سبع، كما يُشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢].

والمِثلية هنا ليست في الصِّفة؛ لأن ذلك مِن المَعلوم بالضرورة، ولكنها مِثلية في العدد، ويُؤيِّد ذلك ما ثَبَت في الصحيحين مِن قول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**»(٢). وهذا يَدُلُّ على أن الأَرَضين مُتطابِقة أيضًا، وأن بَعضَها تحت بَعْض.

وأما بُعد ما بين كُلِّ سماءٍ والأخرى، فقد ورَد في ذلك حديثٌ عن رسول الله ﷺ «**أَنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَ سَماءٍ وَسَماءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ، وَأَنَّ كَثَافَةَ كُلِّ سَماءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ**»(٣) والعِلْم عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، رقم (٣٤٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات، رقم (١٦٣/ ٢٦٣) من حديث ابن عباس، وأبي حبة الأنصاري، في أثناء حديث أنس عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المظالم، باب إثم من ظلم شيئا من الأرض، رقم (٢٤٥٣)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض، رقم (١٦١٢/ ١٤٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحديد، رقم (٣٢٩٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

| س(٤٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن دوران الشمس حول الأرض؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ظاهِر الأدلَّة الشرعية تُثبِت أن الشمس هي التي تَدور على الأرض، وبِدَورتها يَحصُل تَعاقُب الليل والنهار على سَطْح الأرض، ولَيس لنا أن نَتجاوَز ظاهِر هذه الأدِلَّة إلا بدليل أَقوى مِن ذلك يَسوغ لنا تَأوِيلها عن ظاهِرها.

ومِن الأدِلَّة على أن الشمس تَدور على الأرض دَورانًا يَحصُل به تَعاقُب الليل والنهار ما يَلي:

١- قال الله تَعالى عن إبراهيم في مُحاجَّته لَمن حاجَّه في ربِّه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة:٢٥٨]. فكون الشمس يُؤتَى بها مِن المَشرِق دليل ظاهر على أنها التي تَدور على الأرض.

٢- وقال أيضًا عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٧٨]. فجعل الأُفول مِن الشمس لا عَنْها، ولو كانَتِ الأرض التي تَدور لقال: «فلَمَّا أُفِل عنها».

٣- قال تَعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف:١٧]. فجعل الازْوِرار والقَرْض مِن الشمس، وهو دليل على أن الحركة مِنها، ولو كانت مِن الأرض لقال: يَزاوَر كَهفُهم عَنها، كما أن إضافة الطلوع والغروب إلى الشمس يَدُلُّ على أنها هي التي تَدور وإن كانت دَلالتها أقلَّ مِن دَلالة قوله: ﴿تَّزَٰوَرُ﴾، و: ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾.

٤- وقال تَعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء:٣٣]. قال ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: يَدورون في فَلَكة كفَلَكة المِغْزَل[1]. اشتَهَر ذلك عنه.

٥- وقال تَعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف:٥٤]. فجَعَل الليل طالبًا للنهار، والطالب مُندَفِع لاحِقٌ، ومِن المَعلوم أن الليل والنهار تابِعان للشمس.

٦- وقال تَعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [الزمر:٥]. فقوله: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ أي: يُديره عليه ككَور العِمامة، دليل على أن الدوران مِن الليل والنهار على الأرض، ولو كانت الأرض التي تَدور عليهما لقال: «يُكوِّر الأرض على الليل والنهار». وفي قوله: ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ المُبيِّن لما سبقه دليل على أن الشمس والقمر يَجرِيان جَرْيًا حِسِّيًّا مَكانِيًّا؛ لأن تَسخِير المُتحرِّك بحَرَكته أظهر مِن تَسخِير الثابت الذي لا يَتحرَّك.

٧- وقال تَعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس:١-٢]. ومَعنى ﴿تَلَىٰهَا﴾: أتى بَعْدها، وهو دليل على سَيْرهما ودَوَرانهما على الأرض، ولو كانت الأرض التي تَدور عليهما لم يَكُنِ القمر تاليًا للشمس، بل كان تاليًا لها أحيانًا، وتاليةً له أحيانًا؛ لأن الشمسَ أرفعُ منه، والاستِدلال بهذه الآية يَحتاج إلى تَأمُّل.

٨- وقال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ

(١) ينظر: تفسير ابن جرير (١٩/ ٤٤٠).

ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٣٨-٤٠]. فإضافة الجَرَيان إلى الشمس وجَعْله تقديرًا مِن ذي عِزَّة وعِلْم يَدُلُّ على أنَّه جَرَيان حقيقي بتَقدِير بالِغ، بحيث يَترتَّب عليه اختِلاف الليل والنهار والفُصول. وتقدير القمر مَنازِلَ يَدُلُّ على تَنقُّله فيها، ولو كانَتِ الأرض التي تَدور لكان تَقدير المَنازل لها مِن القمر لا للقمر، ونَفيُ إدراك الشمس للقمر، وسبق الليل للنهار يَدُلُّ على حَرَكة اندِفاع مِن الشمس والقمر والليل والنهار.

٩- وقال النبي ﷺ لأبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد غرَبت الشمس: «**أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبَ فَتَسْجُدُ تَحْتَ العَرْشِ فَتَسْتَأْذِنُ فَيُؤْذَنُ لَـهَا، فَيُوشِكُ أَنْ تَسْتَأْذِنَ فَلا يُؤْذَنَ لَـهَا، فَيُقَالُ لَـهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»[1]. أو كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. مُتَّفَق عليه. فقوله: «**ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا**» ظاهِر جدًّا في أنها تَدور على الأرض، وبدَورانها يَحصُل الطلوع والغروب.

١٠- الأحاديث الكثيرة في إضافة الطلوع والغروب والزوال إلى الشمس، فإنها ظاهِرة في وقوع ذلك مِنها لا مِن الأرض عليها، ولعل هناك أَدلَّةً أُخرى لم تَحضُرْني الآنَ، ولكن فيما ذَكَرْتُ فتح بابٍ، وهو كافٍ فيما أَقصِد. والله المُوفِّق.



(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر بحسبان، رقم (٣١٩٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١٥٩/ ٢٥٠).

س(٤٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ذُكِر أن للأَرض حَرَكتَين، فهل هناك آيات تَدُلُّ على ذلك؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: البحث في هذا مِن فُضول العِلْم، وليس مِن الأمور العَقَدِية التي يَجِب على الإنسان أن يُحقِّقها ويَعمَلَ بما تَقتضِيه الأدلَّة، ولهذا لم يُبيِّن هذا الأمر في القرآن الكريم على وجهٍ صريح لا يَحتَمِل الجَدَلَ.

فمِن الناس مَن يَقول: إن للأرض حَرَكتَين: حَرَكة تَختلِف بها الفصول، وحركة أخرى يَختَلِف بها الليل والنهار، ويَقول: إن قول الله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٥] يَدُلُّ على ذلك.

ووجه الدَّلالة عنده: أن نفي الـمَيَدان دليل على أصل الحركة؛ إذ لو لم يَكُن أصل الحركة مَوجودًا لكان نفي الـمَيَدان لغوًا مِن القول لا فائدةَ مِنه.

ويَقول: إن هذا دالٌّ على كمالِ قُدْرة الله أن تَكون هذه الأرض -وهي هذا الجِرم الكَبير- تَتحرَّك بدون أن تَميدَ بالناس وتَضطَرِب، مع أن الله عَزَّوَجَلَّ إذا شاء حَرَّكها فحَصَلت الزلازِل والخُسوفات.

ومِن العُلَماء مَن يَقول: إن الأرض لا تَتحرَّك، بل هي ثابِتة؛ لقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك:١٦]. أي: تَضطَرِب. ولقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة:٢٢]. ولأن الله تعالى جَعَل الأرض قَرارًا يَقَرُّ الناس عليها، وهذا يُنافِي أن تَكون لها حركة، وأيًّا كان هذا أو هذا فإن إشغال النفس بمِثْل ذلك ليس فيه كبيرُ فائدةٍ.

فيُقال: إن كانت تَتحرَّك وهي في هذا القرار التامِّ فهذا دليل على تَمامِ قُدرة الله عَزَّوَجَلَّ؛ وإن كانت لا تَتحرَّك فالله تعالى هو الذي خَلَقها وجَعَلَها ساكنة لا تَتحرَّك.

لكن الشيء الذي أَرَى أنَّه لا بُدَّ مِنه هو: أن نَعتَقِد أن الشمس هي التي تَدور على الأرض، وهي التي يَكون بها اختِلاف الليل والنهار؛ لأن الله تعالى أضاف الطلوع والغروب إلى الشمس فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف:١٧].

فهذه أربعة أفعال أُضِيفَت كلُّها إلى الشمس: (إذا طَلَعَت) (وإذا غَرَبَت) (تَزاوَرُ) (تَقْرِضُ)، والأصل أن الفعل لا يُضاف إلا إلى فاعِله أو مَن قام بهذا الفِعل، فلا يُقال: مات زيد. ويُراد: مات عَمرٌو. ولا يُقال: قام زَيدٌ. ويُراد: قام عَمرٌو. فإذا قال الله: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت﴾ ليس المعنى: أن الأرض دارَت حتَّى رأينا الشمس؛ لأنَّه لو كانتِ الأرض هي التي تَدور وطلوع الشمس يَختَلِف باختِلاف الدوران ما قِيل: إن الشمس طَلَعَت، بل يُقال: نحن طَلَعنا على الشمس، أو: الأرض طَلَعَت على الشمس.

وكذلك قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في قِصَّة سُليمان: ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص:٣٢]. أي: الشمس تَوارَت بالحِجاب، ولم يَقل: حتَّى تَوارَى عنها بالحِجاب، وقال النبي ﷺ لأَبِي ذَرٍّ عِند غروب الشمس: «**أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ فَتَسْجُدُ تَحْتَ**

العَرْشِ»[١]. فأضاف الذهاب إلى الشمس، فظاهِر القرآن والسُّنَّة أن اختِلاف الليل والنهار يَكون بدوران الشمس على الأرض، وهذا هو الذي يَجِب أن نَعتَقِده، ما لم يُوجَد دليل حِسِّيٌّ قاطِع يُسوِّغ لنا أن نَصرِف النصوص عن ظواهِرها إلى ما يُوافِق هذا النص القاطِع؛ وذلك لأن الأصل في أخبار الله تَعالى ورسوله ﷺ أن تَكون على ظاهِرها حتَّى يَقوم دَليل قاطِع على صَرْفها عن ظاهرها؛ لأننا يوم القيامة سنُسأَل عمَّا تَقتَضِيه هذه النُّصوص بحَسَب الظاهر، والواجب علينا أن نَعتَقِد ظاهِرَها، إلا إذا وُجِد دليل قاطِع يُسوِّغ لنا أن نَصرِفها عن هذا الظاهِر.

س(٤٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل مِن المُمكِن أن يَعيش الإنسان فوق سَطح القمر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا يُمكِن عيش الآدميِّ إلا على الأرض، لقوله تَعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف:٢٥]. ووجه الدَّلالة مِن هذه الآية هو: أن قوله تَعالى: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ الجارُّ والمَجرور مَعمولٌ للفِعل ﴿تَحْيَوْنَ﴾، والمَعمول حَقُّه أن يَكون بعد العامِل، فإذا قُدِّم كان ذلك دليلًا على الحَصْر، كما نَصَّ على ذلك عُلَماء البلاغة والأصول، حيث قالوا: تَقدِيم المَعمول يَدُلُّ على الحَصْر.

والحَصْر هو: إثبات الحُكْم في المَذكور ونفيه عما عَداه، وعلى هذا فمَعنَى قوله تَعالى: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ أي: لا تَحيَون إلا فيها. وهذا دليل ظاهِر على أنَّه لا تُمكِن الحياة فوقَ سَطْح القمر ولا غيره مِن الكواكب.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر بحسبان، رقم (٣١٩٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١٥٩/ ٢٥٠)..

ومِمَّا يَدُلُّ على هذه القاعِدة -أعني: أن تَقدِيم المَعمول يَدُلُّ على الحَصْر-: أن الأمور التي يُطلَب فيها تَوْحيد الله ذُكِرَت مَرَّة بطريق الحَصْر بالنفي والاستثناء. ومَرَّة بطَرِيق تَقديم المَعمول، فدل هذا على أن تَقديم المَعمول بمَنزلة النفي والاستثناء، انظرْ إلى قوله تَعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]. تَجِدِ الحَصْر بطَرِيق النفي والاستِثْناء، وانظُرْ إلى قوله تَعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ [الحج:٣٤]، وقوله تَعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥]، تَجِدِ الحَصْر بطريق تَقدِيم المَعمول، وكِلاهما على حَدٍّ سَواءٍ.

وإذا تَبيَّن لك أن الآية الكَريمة دالَّة على أنَّه لا حياة ولا موت إلا في الأرض تَبيَّن لك مُعجِزة القرآن العظيم، حيثُ أَثبتَ العِلْم الحَديث الفَلَكِي أَنَّه لا تُمكِن الحياة على سطح القمر، كما نَصَّ على ذلك عُلَماء الفلَك وأَيَّدوه بالأدلَّة الطبيعية. وتبيَّن لك أن مُحاوَلة مَن حاول مِن بني آدم الحياة على سطحه أو سطح غيره مِن الكواكب، أنها مُحاولة ستَبوء بالفَشَل بكُلِّ حال، وأَنَّه مُستحِيل أن يَحيَوا على القمر حياتهم في الأرض.

ونحن -ولله الحمد- نَرى أَنَّه مِن الفخر العظيم أن نَجِد في القرآن ما يُبرِهن لنا عن مُستقبَل هذه المُحاوَلة، ونرى أنهم لو رَجَعوا إليه لسلِموا من هذا التعَب العظيم والنَّفقات الباهظة في غير فائدة إذا كان قَصْدهم الحياة والعَيْش في الكواكب.

ومما يَدُلُّ على أَنَّه لا يُمكِن الحياة على سَطح الكواكب قوله تَعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأعراف:٢٤]. فقوله تَعالى: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ حقُّه أن يَقَع بعد قوله: ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾؛ لأَنَّه إِمَّا حال مِنه أو مَعمول له، وكِلاهما حقُّه التَّأخِير،

فلمَّا تَقدَّم دَلَّ على أن المُستَقَرَّ في الأرض، فأمَّا قوله تَعالى: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ فالمُراد به: الموت أو القِيامة، كما نصَّ على ذلك المُفسِّرون، وليس المراد به: إلى حين تَقدِرون على الخروج مِنها إلى الكواكب؛ لأن الخِطاب للعُموم، ولا يُمكِن عمومَ الناس أن يَنتَقِلوا كُلُّهم إلى الكواكب.

س(٤٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: كيفَ عرَف العُلَماء أن القمر مُستَمِدٌّ نورَه مِن الشمس؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: يَستَدِلُّون بأمرين: أحدُهما قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء:١٢]. حيث فَسَّر علي بن أبي طالب وابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومُجاهِد رَحِمَهُ اللَّهُ آية الليل بالقمر[١].

والثَّاني: أنَّه لو كان مُضِيئًا بنفسه لكان ضَوؤه لا يَختَلِف كسائِرِ الكواكب المُضيئة بنَفسها، فلمَّا كان يَختَلِف مِن كونه كالعُرْجون القَديم إلى أن يَكون بَدرًا، وبالعكس، دَلَّ ذلك على أنَّه غَير مُضِيء، وإنَّما ضَوؤه مِن الشمس؛ لأنَّه كُلَّما ازدادت مُقابَلته لها ازداد نوره.



(١) ينظر: تفسير ابن جرير (١٤/ ٥١٥-٥١٧).

س(٤٩): **سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: قال الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان:٣٤]، **فهل هذه الأمور ممَّا استأْثَر الله بعِلْمها؟**

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا رَيبَ أن هذه الأمور الخمسة هي مَفاتِح الغَيْب التي لا يَعلَمها إلا الله تعالى، كما صَحَّ ذلك عن النبي ﷺ(١)، ولكن ذلك لا يُنافِي أن يُطْلِع الله على عِلْمه مَن شاء مِن خَلْقه، فإن هذه الأمور التي هي ممَّا اختَصَّ الله بعِلْمه قد يَطَّلِع عليها بعض خَلْقه، كما قال تَعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن:٢٦-٢٧]. وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]. أي: لا يَعلمون شيئًا ممَّا يَعلَمه ولا يُحيطون به إلا بما شاء.

س(٥٠): **سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: قال الله تَعالى -وهو أصدق القائلين-:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢]. **هل يُفهَم مِن هذه الآية أن الأرَضِين سبع؟**

وماذا قال العُلَماء في ذلك بعد أن اتَّضَح أن الأرض كُروية؟ وهل هناك أَرَضون لا صِلة لها بهذه الأرض؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾، رقم (٤٦٢٧) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الفقرة الأولى: المِثلية التي ذَكَرها الله تَعالى في قوله تَعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ هي المِثلية في العدد لا في الكَيفية، وعلى هذا فتكون الآية دالَّةً على أن الأرَضِين سبع كما دَلَّ على ذلك أَيضًا صريح أحاديثَ مِن السُّنَّة مِثل الحديث الثابت في الصحيحين مِن قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَنَّ مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ اللهُ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**»[(١)].

وأمَّا ما قاله العُلَماء في ذلك بعد أن اتَّضَح أن الأرض كُروية الشكْل، فليس لديَّ كتب تُمكِّنُني مِن الإحاطة بما قالوه، لكن عَلينا أن نَفهَم بصورة عامة أن كل قَول يَعود على إبطال شيء مِن دَلالة النصِّ على عدد الأَرَضين فإنَّه قول مَردود، أمَّا فيما يَعود على صِفتها وكيفيتها، فإن ظاهِر الحديث يَدُلُّ على أَنَّها أَرَضون طبقاتٌ بَعضُها فوق بعض.

وقد صَرَّح بذلك ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في التفسير وفي البداية والنهاية[(٢)]، وذَكَر أن عُلَماء الهيئة اخْتَلفوا هل بَين تِلك الطبقات خَلاء أو أنها مُتراكِمة بلا فاصِل على قولين، قال: والظاهر أن بَينَهما مَسافة، واستدلَّ بالآية المَذكورة في السؤال، وذكر بَعض العُلَماء خلافًا هل أهل الأَرْض الثَّانية يُشاهِدون السماء أم لا؟

فعلى القول الأول: تَكون الأرض واحِدة مَبسوطة، وهو مَحكِيٌّ عن ابنِ عبَّاس مِن طريق أبي صالِح عنه[(٣)] أنها سَبع أرَضِين مُنبسِطة، ليس بعضُها فوقَ بعض،

(١) أخرجه البخاري: كتاب المظالم، باب إثم من ظلم شيئا من الأرض، رقم (٢٤٥٣)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض، رقم (١٦١٢/ ١٤٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٤٤-٤٦)، البداية والنهاية (١/ ٣٩-٤٢).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١٨/ ١٧٦).

تُفرِّق بينها البِحار، وتُظِلُّ جميعَهم السماءُ.

وهذه الرواية عنِ ابن عبَّاس يُمكِن أن يُقال: إن ظاهرَها أن سبع الأرَضِين هي عبارة عن سبع القارَّات، وقد حكى لي بَعْض الناس عن الشيخ عبدالرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن سبع الأرَضين هي القارَّات السبع.

أما على القول الثَّاني: وهو أن أهل الأرض الثَّانية لا يُشاهِدون السماء، فإن الأرَضين تَكون مُتطابِقة واحدةً فوقَ الأُخرى.

هذا وقد خَطَّأَ ابنَ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَن زَعَم: أن الأرَضين السبع هِي الأَقاليم السبعة، والله أَعلَم.

الفقرة الثَّانية: القرآن يَدُلُّ على أن هُناكَ أَرَضِين سَبعًا، وكونها مُماثِلة للسماء يَدُلُّ على انفِصال بعضها عن بعض كما هو الحال في السَّموات.

أما كون بعضِها في جوف بعض أو بائِنًا عنه، ففيه القولان المُشار إليهما في الفقرة الأولى، والله أعلم.

س(٥١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: هل هناك خَلْق قبل آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟ وهل هناك خَلْق في الأرض قبل آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نعم هناك مَخلوقات قبل آدمَ كالعَرْش والكُرسِي والملائكة والشيطان، ودليل ذلك ظاهِر، حيث أَمَر الله تعالى الملائكة بالسُّجود لآدمَ إذا خَلَقه، وأَخبرَهم بخَلْقه قبل ذلك: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١

فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [ص:٧١-٧٤].

أما هل هُناك خَلْق في الأرض قبْل آدَم؟

فهذا مَوضِع خِلاف بين العُلَماء، والظاهِر -والله أعلم- أَنَّها لا تَخلو مِن ساكِن قبل آدَم.



س(٥٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: الفَلَكِيُّون يَرَون أن الأَرْضَ تَدور، فهل هناك دليل شرعي يُثبِت ذلك؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ليس لهم دليل شَرعي على ذلك، وقولهم: «إن الأرض تَدور، والشمس ثابتة» فالجملة الأخيرة خلاف المُشاهد وخلاف الشرْع، قال الله تَعالى نَقْلًا عن إبراهيم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ﴾ [البقرة:٢٥٨]. وقال تَعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس:٣٨]. وقال فيها وفي القمر: ﴿كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان:٢٩]. وقال النبيُّ ﷺ لأبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لـمَّا غَربت الشمس: «**أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟**» الحديثَ، وهو في الصحيح[1].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر بحسبان، رقم (٣١٩٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١٥٩/ ٢٥٠).

س(٥٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل هناك نجوم تَسقُط مِن السماء لما سمعه بعض الناس في إحدى الليالي الماضية؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا يُمكِن أن تَسقُط النجوم، ولو سَقَط نجم مِن أصغر النجوم لأَباد الأرض كُلَّها، وإنما الذي يَتساقَط مِنها شُهُب تَحتَرِق في الجو، فإذا وَصَلت الغِلاف الأرضي تَحجَّرت واصْطَدَمت بها فأَحدَثت دَويًّا هائِلًا وحَفْرًا عَميقًا.

يقول صاحِب دائرة المعـارف الحديثة: «الشهب، أو النَّيازك، أو الرجـم، أو الكواكب المنقضَّة: أَجرام سَماوِيَّة مُضيئة مُتحرِّكة في الفضاء في سرعة عظيمة، يُقدَّر بَعضُها بما لا يَقِلُّ عن ثلاثين مِيلًا في الثَّانية، ويُسمَع له دويٌّ هائِل يَضطَرِب له الجو، وقد تَصحَبها سُحُب مِن الدُّخَان.

أما الرجم: فهي نَوع مِن الشُّهُب تُشاهَد في هَيئة أَجسام صَخرِية تَسقُط إلى الأرض، بعد رَوَغان الشُّهب في الفَضاء، وقد تَصِل زِنة الرجم إلى أَربَعين طِنًّا، ولشدة اندِفاعها تَغوص في باطِن الأرض إلى مَسافة بَعيدة، وهي مُركَّبة مِن العناصِر المَعدنية المَعروفة كالكالسيوم والحديد» اهـ مُلخَّصًا. والله أعلم، وصلَّى الله على نَبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كَتَبه محمد الصالح العُثَيْمِين

في ١١/ ٤/ ١٣٨٥هـ.



س(٥٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كيف نُجِيب مَن سَأَلَنا عَن كُروِيَّة الأرْض مِن الدِّين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نُجِيب مَن سَأَلَنا عن كُروية الأرض مِن الدِّين بأن الأَرض كُروية بدَلالة القرآن، والواقع، وكلام أهل العِلْم.

أمَّا دَلالة القرآن: فإن الله يَقول: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [الزمر:٥].

والتَّكوير: جَعْل الشيء كالكور مِثل كَور العِمامة، ومِن المَعلوم أن الليل والنهار يَتعاقَبان على الأرض، وهذا يَقتَضي أن تَكون الأرض كُروية؛ لأَنَّك إذا كَوَّرت شيئًا على شيء، وكانت الأرض هي التي يُتكوَّر عليها هذا الشيء لزِم أن تَكون الأرض التي يَتكوَّر عليها هذا الشيءُ كرويةً.

وأما دَلالة الواقِع: فإن هذا قد ثَبَت، فإن الرجُل إذا طار مِن جُدَّة مثلًا مُتَّجِهًا إلى الغرب خرج إلى جُدَّة مِن الناحية الشرقية إذا كان على خَطٍّ مُستقيم، وهذا شيء لا يَختلِف فيه اثنان.

وأَمَّا كلام أَهل العِلْم: فإنهم ذَكَروا أَنَّه لو مات رجُل بالمَشرِق عند غروب الشمس، ومات آخَر بالمَغرِب عند غروب الشمس وبينهما مَسافة، فإن مَن مات بالمَغرب عند غُروب الشمس يَرِث مَن مات بالمَشرِق عِند غُروب الشَّمس إذا كان مِن وَرَثَته، فدلَّ هذا على أن الأرض كُروية؛ لأنها لو كانت الأرض سَطحِية لزم أن يَكون غُروب الشمس عنها مِن جَميع الجهات في آنٍ واحد، وإذا تَقرَّر ذلك فإنه لا يُمكِن لأَحَد إنكارُه، ولا يُشكِل على هذا قوله تَعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ

خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ [الغاشية:١٧-٢٠]؛ لأن الأرض كبيرة الحجم، وظُهور كُرويَّتها لا يَكون في المَسافات القريبة، فهي بحَسَب النظر مُسطَّحة سَطْحًا لا تَجِد فيها شَيئًا يُوجِب القلق على السكون عليها.

ولا يُنافِي ذلك أن تَكون كُرويَّة؛ لأنَّ جِسمَها كبير جدًّا، ولكن مَع هذا ذكروا أنها ليست كُرويَّة مُتساوية الأطراف، بل إنها مُنبعِجة نحو الشمال والجنوب، فهم يَقولون: إنها بَيضاويَّة. أي: على شكل بَيضة في انبِعاجِها شَمالًا وجَنوبًا.





الشهـادتــان

س(٥٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن الشهادَتَين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الشهادَتان «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله» هما مِفتاح الإسلام ولا يُمكِن الدُّخول إلى الإسلام إلا بهما؛ ولهذا أَمَر النبي ﷺ معاذَ بنَ جَبَل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حين بَعثَه إلى اليمن أن يَكون أولُّ ما يَدعوهم إليه شهادةَ أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله(١).

فأمَّا الكلمة الأولى: «شهادة أن لا إله إلا الله» فأن يَعترِف الإنسان بلسانه وقلبه بأن لا مَعبود حَقٌّ إلا الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن إِلَه بمَعنى: مَألوه، والتألُّه: التَّعبُّد.

والمعنى: أنَّه لا مَعبود حَقٌّ إلا الله وحْده، وهذِه الجملة مُشتَمِلة على نَفيٍ وإثبات.

أما النفي: فهو «لا إله».

وأما الإثبات: ففي «إلا الله».

و«الله» لفظ الجلالة بدَل مِن خبر «لا» المَحذوف، والتقدير «لا إله حَقٌّ إلا الله»، فهو إِقرار باللسان بعد أن آمَن به القلب بأنَّه لا معبود حق إلا الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا يَتضمَّن إخلاصَ العِبادة لله وحْده ونفي العِبادة عمَّا سِواه.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم (١٣٩٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم (١٩/ ٢٩) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وبتَقدِيرنا الخَبَر بهذه الكلِمة «حق» يَتبَيَّن الجواب عن الإشكال الذي يُورِده كثير مِن الناس، وهو: كيف تَقولون: لا إله إلا الله، مع أن هناك آلهةً تُعبَد مِن دُون الله، وقد سَمَّاها الله تَعالى آلِهة، وسَمَّاها عابِدها آلهةً، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾ [هود:١٠١]. وقال تَعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء:٣٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [القصص:٨٨]. وقوله: ﴿لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗا﴾ [الكهف:١٤]. فكيف يُمكِن أن نَقول: لا إله إلا الله، مع ثُبوت الأُلُوهِيَّة لغَير الله عَزَّوَجَلَّ؟ وكيف يُمكِن أن نُثبِت الأُلُوهِيَّة لغير الله عَزَّوَجَلَّ والرُّسُل يَقولون لأقوامهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩]؟

والجواب على هذا الإشكال: يَتبيَّن بتَقدير الخبَر في «لا إله إلا الله» فنَقول: هذه الآلهة التي تُعبَد مِن دون الله هي آلهة، لكنها آلهة باطِلة ليست آلهة حَقَّةً، وليس لها مِن حَقِّ الأُلُوهِيَّة شيء، ويَدُلُّ لذلك قوله تَعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [لقمان:٣٠]. ويَدُلُّ لذلك أَيضًا قوله تَعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾ [النجم:١٩-٢٣]. وقوله تَعالى عن يوسفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾ [يوسف:٤٠]. إِذَنْ: فمَعنى «لا إله إلا الله»: لا مَعبودَ حَقٌّ إلا اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فأمَّا المَعبودات سِواه فإن أُلوهيَّتها التي يَزعُمها عابِدها ليست حقيقية، أي: أُلُوهِيَّة باطِلة، بل الأُلُوهِيَّة الحقُّ هي أُلُوهِيَّة الله عَزَّوَجَلَّ.

أما مَعنى شهادة «أن محمدًا رسول الله»: فهو الإقرار باللسان والإيمان بالقَلْب بأن محمد بن عبد الله القرشيَّ الهاشِميَّ رسول الله عَزَّوَجَلَّ إلى جميع الخَلْق مِن الجِنِّ والإنْس، كما قال الله تَعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨]. وقال تَعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

ومُقتَضى هذه الشهادة أن تُصدِّق رسول الله ﷺ فيما أَخبَر، وأن تَمتَثِل أَمرَه فيما أَمَر، وأن تَجتَنِب ما عنه نَهَى وزَجَر، وألا تَعبُد الله إلا بما شَرَع، ومُقتَضى هذه الشهادة أَيضًا ألا تَعتَقِد أن لرَسول الله ﷺ حَقًّا في الرُّبُوبيَّة وتَصرِيف الكون، أو حَقًّا في العِبادة، بل هو ﷺ عَبْد لا يُعبَد، ورسولٌ لا يُكذَّب، ولا يَملِك لنفسِه ولا لغيره شيئًا مِن النَّفْع أو الضَّرِّ إلا ما شاءَ الله، كما قال اللهُ تَعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام:٥٠]. فهو عَبْد مَأمور يَتَّبِع ما أُمِر به.

وقال الله تَعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن:٢١-٢٢]. وقال سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨]. فهذا مَعنى شهادة «أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله».

وبهذا المَعنى تَعلَم أنَّه لا يَستَحِقُّ العِبادة لا رسول الله ﷺ، ولا مَن دونه مِن

المَخلوقِين، وأن العبادة لَيست إلا لله تَعالى وحْده: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]. وأن حَقَّه ﷺ، أن تُنزِّله المَنزِلة التي أَنزَله الله تَعالى إيَّاها، وهو أنَّه عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه.

س(٥٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: كيف كانَت «لا إله إلا الله» مُشتَمِلة على جميع أَنواع التَّوْحِيد؟ وهل «لا إله إلا الله» كَلِمة الحَق؟ وما مَعنَى النَّفي والإثبات فيها؟ وهل يَجوز تَرجمة كلِمة «لا إله إلا الله» بغير العربية؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هي تَشمَل جميع أنواع التَّوْحيد كلها؛ إما بالتَّضمُّن، وإمَّا بالالتِزام، وذلك أن قَول القائل: «أشهد أن لا إله إلا الله» يَتبادَر إلى الذِّهن أن المُراد بها تَوْحيد العِبادة -الذي يُسمَّى تَوْحيد الأُلُوهِيَّة-، وهو مُتضمِّن لتوحيد الرُّبُوبيَّة؛ لأن كل مَن عبَد الله وحده فإنه لن يَعبُده حتى يَكون مُقِرًّا له بالرُّبُوبيَّة، وكذلك مُتضمِّن لتوحيد الأَسْماء والصِّفات؛ لأن الإنسان لا يَعبُد إلا مَن عَلِم أنَّه مُستحِقٌّ للعِبادة؛ لما له مِن الأَسْماء والصِّفات؛ ولهذا قال إبراهيم لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم:٤٢]. فتَوحِيد العبادة مُتضمِّن لتَوحِيد الرُّبُوبيَّة وتَوحيد الأَسْماء والصِّفات.

وأمَّا هل «لا إله إلا الله» كلِمة الحق؟

فنَقول: كلمة «لا إله إلا الله» هي كلمة الحقِّ، وهي كلمة التَّوْحيد، ولا يُمكِن التَّوْحيد إلا بنفي وإثبات: نفي الحُكْم عمَّا سِوى المُوحَّد، وإثباته للمُوحَّد، وذلك أن النفيَّ المَحْضَ تَعطيل مَحض، والإثبات المَحض لا يَمنَع المشاركة، فإذا قلت:

«لَيسَ في البيت قائِم» فقد نَفيت أن يَكون في البيت قائم، فلا قِيام في البيت مِن أحد. وإذا قُلتَ: «زيد قائِم في البيت» فقد أثبَتَّ قيامَ زيد في البيت، لكن هذه الكلمة لا تَمنَع أن يَكون في البيت قائِم آخرُ غير زيد. وإذا قلت: «ليس في البيت قائم إلا زيد» فقد أثبَتَّ القِيام لزيد ونَفَيتَه عن غيره.

وعلى هذا تَجري كلِمة «لا إله إلا الله»، فإن فِيها إثباتَ الأُلُوهِيَّة لله وحده، ولكن ما هذه الأُلُوهِيَّة؟

هذه الأُلُوهِيَّة هي الأُلُوهِيَّة الحقُّ، وليستِ الأُلُوهِيَّة الباطلة المَزعومة؛ ولهذا تَعيَّن أن يَكون في الكلام مَحذوف تَقدِيره (حقٌّ) أي: لا إله حَقٌّ إلا الله، وهذا المَحذوف هو خبرُ (لا).

ومَن قال: إن هذا هو التَّقدِير، فقد قال كَلِمة الحَقِّ، ولم يَقُلْ كلِمة الكُفْر، لكن مَن قال: «لا إله إلا» باللغة الإنجليزية ثُمَّ قال: «الله» باللغة العربية فليس بمُصيب، والذي نَرى أن يَنطِق بـ«لا إله إلا الله» باللغة العربية ثُمَّ يُترجِم مَعناها باللغة الأخرى الإنجليزية أو غيرها؛ لتَبقَى كلِمة الحقِّ والإخلاص كما جاءت في الكِتاب والسُّنَّة لفظًا ومعنًى، ويَنطِق بها غير العربي باللغة العربية إذا أراد أن يُسلِم حسَب استطاعته. أما لو نَطَق بـ«لا إله إلا» بغَير العربية ثُمَّ قال: «الله» بالعربية لكانت شهادته فيما يَظهَر (الله) فقط، وهذا لا مَعنى له.

ويَنبغِي -بل يَجِب- أن يُبيّن عند شَرح كلمة الحق أن المحذوف مِن الجملة هو (حق) ليَعرِف المُخاطَب أن معناها: لا إله حقٌّ إلا الله؛ لقوله تَعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

وحذْف كلمة: «حقٌّ» مِن التَّرْجَمة لا بأس به كما أنها مَحذوفة في الأصل العربي، لكن يُبيِّن عند الشرح أن المعنى: لا إله حَقٌّ إلا الله. ومَن قال: إن حَذفَها كُفْر فقَدْ أخطأَ خَطأً فاحِشًا وخالف الكِتاب والسُّنَّة.

أما الكِتاب: فقد قالَ الله تَعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨]. وقال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد:١٩].

وأما السُّنَّة: فقد قالَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**»(١). فأنت تَرى أنَّه لَيس فيها ذِكْر المُقدَّر، ولو كان ذِكْرُه واجِبًا وتَرْكُه كُفْرًا لبَيَّنَ الله ذَلك في كِتابه وبَيَّنه رسوله ﷺ في سُنَّته.

وخلاصة القَوْل:

أولًا: أن كلِمة الإخلاص «لا إله إلا الله» تَتضمَّن نَفيًا وإثباتًا، فهي مُركَّبة مِن نَفي وإثباتٍ: نَفي الأُلُوهِيَّة عما سِوى الله، وإثباتها لله وحْده.

ثانيًا: خَبَر: (لا) فيها مَحذوف تَقديرُه: «حَقٌّ» فيَكون تَقدير الجملة: لا إلهَ حَقٌّ إلا الله.

ثالثًا: لا يَلزَم ذِكْر هذا المَحذوف؛ لأن الله تَعالى ذَكَر هذه الكلمةَ في القرآن بدون ذِكْره، وكذلك جاءت في السُّنَّة.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «**بني الإسلام على خمس**»، رقم (٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم (١٦)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

رابعًا: عند شرْح الكَلِمة يَذكُر المَحذوف؛ تَبْيينًا للمَعنَى وتَفهيمًا للمُخاطَب عند الحاجة.

خامسًا: إذا تُرجِمت هذه الكلِمة إلى لُغة أُخرى غير العربية فإن ذُكِر المَحذوف غير لازِم في التَّرجَمة، كما أَنَّه غَيرُ لازِم في الأصل العربيِّ، إلا أَنَّه عِنْد الشرْح يُذكَر؛ تَبيينًا للمَعنَى وتَفهِيمًا للمُخاطَب عند الحاجة.

س(٥٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: عن قَول بَعْض الناس: إن مَعنَى «لا إله إلا الله» إخراجُ اليَقين الفاسِد على الأشياء، وإدخال اليَقين الصادِق على الله؛ أَنَّه هو الضارُّ والنافِع والمُحْيِي والمُمِيت، وكل شيء لا يَضُرُّ ولا يَنفَع، وأن الله هو الذي وَضَع فيه الضرَّ والنَّفعَ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: قول هذا القائل قول ناقِص، فإن هذا المَعنَى مِن مَعانِي «لا إله إلا الله»، ومَعناها الحقيقي الذي دَعا إليه رسول الله ﷺ، وكَفَر به المُشرِكون: أَنَّه لا مَعبود حَقٌّ إلا الله، فالإله بمَعنى: مَفعول، وتَأتِي فِعال بمَعنى: مَفعول، وهذا كثير، ومِنه فِراش بمَعنى مَفروش، وبِناء بمَعنى مَبنِيّ، وغِراس بمَعْنى مَغروس، فإله بمَعنى مَألوهٍ، أي: الذي تَألَهُه القلوب وتُحبُّه وتُعظِّمه، ولا يَستحِقُّ هذا حقًّا إلا اللهُ. فهذا مَعنى «لا إله إلا الله».

وقد قسَّم العُلَماء التَّوْحيد إلى أقسام ثلاثة: رُبوبية، وأُلُوهِيَّة، وأَسْماء وصِفات.

فتَوْحِيد الرُّبُوبيَّة هو: إفراد الله سُبحانه بالخَلْق والمِلْك والتَّدْبير.

وتَوحيد الأُلُوهِيَّة هو: إفراد الله سبحانه بالعبادة.

وتَوحيد الأَسْماء والصِّفات هو: إفراد الله بما يَجِب له مِن الأَسْماء والصِّفات، بأن نُثبِتها لله تَعالى على وجْه الحقيقة، مِن غَير تَحرِيف، ولا تَعطيل، ولا تَكْييف، ولا تَمْثِيل.

وقد يَقول البعض: إن هذا التقسيم للتوحيد بِدعة.

ولكن نَقول: بتَتبُّع النصوص الواردة في التَّوْحيد وجَدْناها لا تَخرُج عن هذه الأقسام الثلاثة، والاستِدلال المَبنيُّ على التَّتبُّع والاستِقراء ثابِت حتَّى في القرآن، كما في قَوله تَعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:٧٧-٧٨]. والجواب: لا هذا ولا هذا. ولهذا قالَ تَعالى: ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ [مريم:٧٩].

وبعضُ المُتكلِّمين قالوا: التَّوْحيد أن تُؤمِن أن الله واحِد في أَفعاله لا شَريك له، واحِد في ذاته لا جُزءَ له، واحِد في صفاته لا شَبيه له، وهذا تَقسيم قاصِر.

س(٥٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: عن أَوَّل واجِب على الخَلْق؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: أَوَّل واجِب على الخَلْق هُو أَوَّل ما يُدعَى الخَلْقُ إليه، وقَدْ بَيَّنه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لمُعاذِ بنِ جَبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين بَعَثه لليمن، فقال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهادَةَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**»[1]. فهَذا أَوَّل واجِب عَلى العِباد أن يُوحِّدوا اللهَ عَزَّوَجَلَّ وأن يَشهَدوا

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم (١٣٩٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم (١٩/ ٢٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

لرَسوله ﷺ بالرِّسالة. وبتَوْحيدِ الله عَزَّوَجَلَّ والشَّهادة لرَسوله ﷺ يَتحقَّق الإخلاص والمُتابعة اللذان هُما شَرْطٌ لقَبول كُلِّ عبادة.

س(٥٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل مَن قالَ: «لا إله إلا الله» بدون أن يَعمَل أيَّ عَمَل يَدخُل الجنة؛ لأَنَّه يُوجَد حَديثٌ فيها مَعناه يَقول ﷺ: «وَعِزَّتِي وَجَلالِي لأُخْرِجَنَّ مِنَ النَّارِ كُلَّ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ»[1]؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: كلِمة «لا إله إلا الله» كلِمة عظيمة، لَوْ وُزِنت بها السَّموات والأرض لرَجَحَت بِهِنَّ.

ومَعناها: لا مَعبودَ حَقٌّ إلا الله، فكُلُّ ما يُعبَد مِن دون الله فهو باطِل؛ لقَول الله تَعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]. والعِبادة لا تَختَصُّ بالرُّكوع أو السجود، يَعنِي: أن الإنسان قد يَعبُد غيرَ الله دُون أن يَركَع له ويَسجُد، ولكن يُقدِّم مَحبَّته على مَحبَّة الله، وتَعظيمه على تَعظيم الله، ويَكون قوله أَعظَم في قَلبه مِن قول الله؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ؛ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ**»[2]. فجَعَل للدِّينار عبْدًا، وللدِّرْهم عبْدًا، وللخميصة عبْدًا -والخميصة: الكِساء-، مع أن

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب كلام الرب عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، رقم (٧٥١٠) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، رقم (٢٨٨٦، ٢٨٨٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هؤلاء لا يَعبُدون الدِّرهَم والدِّينار، لا يَركَعون له ولا يَسجُدون له، لكنَّهم يُعظِّمونه أكثرَ مِن تَعظيم الله عَزَّوَجَلَّ.

وإلى هذا يُشير قَولُه تَعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]. فهذه الكلِمة كلِمة عظيمة، فيها البراءة مِن كلِّ شِرْك وإخلاص الأُلوهِيَّة والعِبادة لله عَزَّوَجَلَّ، فلو قالها بلِسانه وقلْبه فهو الذي قالها حَقًّا.

ولهذا قال أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: يا رسول الله، مَن أَسعَدُ الناس بشَفاعَتكَ؟ قال: «**مَنْ قالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، خالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»(١). وفي حديث عِتبانَ بنِ مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»(٢). فلا بدَّ مِن الإِخلاص.

وأما مَن قالها بلِسانه دون أن يُوقِن بها قلْبه فإنها لا تَنفَعه؛ لأن المُنافِقين يَذكُرون الله ويَقولون: لا إله إلا الله، كما قال تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢]. ويَشهَدون للنبي ﷺ كما قالَ الله تَعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١]. فلم تَنفَعْهم شَهادة أن لا إله إلا الله، ولا شهادة أن محمدًا رسول الله؛ لأنَّهم لم يَقولوا ذلك عن قَلْب وإخلاص.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، رقم (٤٢٥)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة لعذر، رقم (٣٣/ ٢٦٣).

فمَن قال هذه الكلمةَ دون إخلاصٍ فإنَّها لا تَنفَعُه ولا تَزيدُه مِنَ الله تَعالى إلا بُعْدًا، فنَسأَلُ الله لنا ولإِخواننا المُسلِمين الإيقانَ بها والعَمَل بمُقتَضاها، إنه على كُلِّ شَيءٍ قَدير.

س(٦٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: يَقول بَعض الناس: قولوا: «لا إله إلا الله» تَدخلوا الجنة بِدون عَمَل؛ لأن رسول الله ﷺ يقول: «مَن قال: لا إله إلا الله، دَخَل الجَنَّة»[1] فهل قَولُهم على صواب؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لَيسوا على صواب، فإن المُراد بقوله: «لا إله إلا الله» أن يَقولها الإنسان بِلسانه مُعتقِدًا مَدلولها بقلبه، عاملًا بمُقتَضاها؛ ولهذا لو قال الإنسان: «لا إله إلا الله» وجَحَد حرفًا واحدًا مِن القرآن لكان كافرًا ولم تَنفَعْه «لا إله إلا الله».

ومَن قال: «لا إله إلا الله» وترَكَ الصلاة مَثلًا كان كافرًا ولم تَنفَعه «لا إله إلا الله»، لكن مَن قال: «لا إله إلا الله» وكانت آخِر كلامه فإنه سيَقولها مُخلِصًا لله بها، وهو في هذه الحال لا يَستطيع أن يَعمَل أكثر مِن ذلك، فتكون مُدخِلة له الجنة.



(١) أخرجه البخاري: كتاب اللباس، باب الثياب البيض، رقم (٥٨٢٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، رقم (٩٤/ ١٥٤) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٦١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: مَن يَنطِق بالشهادة قبل موته هل يَدخُل في قول الرسول ﷺ: «مَنْ كانَ آخِرُ كَلامِهِ مِنَ الدُّنْيَا: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ»[1]؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إذا قال: «لا إله إلا الله» عِند مَوته مُوقِنًا بها قلبه فإنه يَدخُل في الحديث، ولكن ليَعلَم أن النصوص العامة فيمَن يَدخُل الجنة أو يَدخُل النار لا تُطبَّق على شخص بعَينه إلا بدليل.

فمثلًا: قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«مَنْ كانَ آخِرُ كَلامِهِ مِنَ الدُّنْيَا: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ»** إذا عَلِمنا أن هذا الرجل كان آخر كلامه مِن الدنيا «لا إله إلا الله» فنحن نَقول: يُرجَى أن يَكون مِن أهل الجنة، فالمُعيَّن لا تَجزِم له، وإنما قُلْ: **«يُرجَى»** إذا كان في خير، أو: **«يُخشَى»** إذا كان في شر؛ لأَنَّه يُفرَّق بين العموم والخصوص، فنحن نَشهَد ونَعلَم ونُوقِن بأن كل مُؤمِن في الجنة، فهل نَشهَد لكل مُؤمِن بعينه أَنَّه في الجنة؟

والجواب: لا نَشهَد.

لكننا إذا عَلِمنا أَنَّه مُؤمِن نَرجو له أن يَكون داخلًا في الجنة، نُؤمِن بأن الله تَعالى يُحِبُّ المُؤمنين ويُحِبُّ المُحسِنين، فلو رأينا رَجُلًا يُحسِن ورأينا رَجُلًا مُؤمِنًا يَقوم بالواجبات ويَترُك المُحرَّمات، فهَلْ نَشهَد أن الله يُحِبُّه؟

فالجواب: لا نَشهَد؛ لأن التَّعيين غير التَّعميم.

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الجنائز، باب التلقين، رقم (٣١١٦)، والنسائي في الكبرى رقم (١٠٩٠٧)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله، رقم (٣٧٩٦)، واللفظ لأبي داود من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولكن نَقول: نَشهَد لكل مُؤمِن أن الله يُحِبُّه، ونَرجو أن يَكون هذا الرجل بعينه ممَّن يُحبُّه الله عَزَّوَجَلَّ، وقد أشار البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه إلى نحو هذا فقال: «باب: لا يُقال: فلانٌ شَهيد»، وإن كان قُتِل في سبيل الله فلا تَقُل: إنه شهيد، واستَدَلَّ لذلك بقول النبي ﷺ: «مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ -وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ- إِلَّا إِذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ جاءَ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ»[١]. فقوله ﷺ: «وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ» إشارةٌ إلى أنك لا تَشهَد للشخص المُعيَّن، بل قُلِ: الله أعلم.

وخطَب أمير المؤمنين عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقال: إنَّكم تَقولون: فُلانٌ شَهيد، فلانٌ شَهيد، وما أدراك؟ لعلَّه فعَل كذا وكذا، ولكن قولوا: مَن مات فِي سَبيل الله أو قُتِل فهو شَهيد[٢]؛ ففَرَّق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بين التَّعيين والتَّعمِيم.



س(٦٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى: قَرأتُ في كتاب رِياض الصالحين للمُحدِّث الحافِظ مُحيي الدين أبي زكريا ابنِ شَرَف النَّووي أحاديثَ كثيرةً، ومِنها حديثُ: «مَنْ كانَ آخِرُ كَلامِهِ لا إِلَهَ إِلا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ»[٣]، وحديثُ: «مَا مِنْ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا يقول فلان شهيد، عقب حديث رقم (٢٨٩٧) تعليقًا، وفي: باب من يجرح في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، رقم (٢٨٠٣)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، رقم (١٨٧٦/ ١٠٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه النسائي: كتاب النكاح، باب القسط في الأصدقة، رقم (٣٣٤٩).

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب الجنائز، باب التلقين، رقم (٣١١٦)، والنسائي في الكبرى رقم (١٠٩٠٧)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله، رقم (٣٧٩٦)، واللفظ لأبي داود من حديث معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلاثَةٌ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ إِلا أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ»[(١)]، وحديث: «مَنْ عَالَ ثَلاثَ بَنَاتٍ، فَأَدَّبَهُنَّ، وَزَوَّجَهُنَّ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ فَلَهُ الجَنَّةُ»[(٢)]. وقال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ إِلا بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ اليَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»[(٣)]، فما وجه الجمْعِ بين هذه الأحاديث التي تَدلُّ على دُخول الجنة، والأحاديث التي تَدُلُّ على دُخول النار لِمَن عمِل أعمالًا أخرى مع قِيام صاحبها بالأعمال المُوجِبة لدخول الجنة. أفتوني بهذه المَسألة؛ لأنني في حَيْرة، جزاكم الله عنِّي خَيرَ الجزاء؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذه المَسألة التي ذَكَرها السَّائل مَسألة مُهِمَّة، وهي مَوضِع إشكال كما ذَكَر السَّائل؛ لأن الأحاديث التي تُرتِّب دُخول الجنة على هذه الأعمال يُعارِضها أحاديثُ كثيرة تَدُلُّ على دُخول النار لِمَن عمِل أعمالًا أخرى مَع قِيام صاحبها بهذه الأعمال المُوجِبة لدخول الجنة.

فجوابنا على هذه النصوص سواء مِن القرآن أو مِن السُّنَّة أن يُقال: إن ذكر بعض الأعمال التي تَكون سببًا لدخول الجنة ما هو إلا ذِكْر للسبب، وكذلك بَعض الأحاديث التي فيها أن بعض الأعمال سبب لدُخول النار يُقال فيها: إنما هي ذِكْر

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، رقم (١٢٤٨) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في فضل مَن عال يتيمًا، رقم (٥١٤٧)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات، رقم (١٩١٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد، باب فضل الصوم في سبيل الله، رقم (٢٨٤٠)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه، رقم (١١٥٣/ ١٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

للسبب فقط، ومِن المعلوم أن الأحكام لا تَتِمُّ إلا بتَوَفُّر أسبابها وشُروطها وانتِفاء مَوانِعها، فهذه الأعمال المَذكورة في الأحاديث التي ساقها السَّائل هي سبب لدخول الجنة، لكن هذا السبب قد يَكون له مَوانِعُ.

مِثال ذلك: قوله ﷺ: «**مَنْ كانَ آخِرُ كَلامِهِ مِنَ الدُّنْيَا: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ**»[1]. فنَقول: هذا الحديث يَنطبِق على مَن قالها على سَبيل اليَقين والصِّدْق.

أما إذا قالها على سَبيل النِّفاق -وهو بَعيد أن يَقولها على سبيل النِّفاق في هذه الحال- فإنها لا تَنفَعه.

ومثال آخر: قوله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ كَانُوا سِتْرًا لَهُ مِنَ النَّارِ**»[2]. هذا الحديث ذَكَر سَببًا مِن أسباب الوِقاية مِن النار، لكن قد يَكون هناك مَوانِعُ تَمنَع نُفوذ هذا السَّبب، وهي: الأعمال التي تكون سببًا لدُخول النار، وإن هذه المَوانِع وتِلك الأسباب تَتَعارَضان ويَكون الحُكْم لأَقواهُما.

فالقاعِدة: أنَّ ما ذُكِر مِن الأعمال مُرتَّبًا عليه دُخول الجَنّة فليس على إطلاقه، بل هو مُقيَّد بالنُّصوص الأخرى التي تُفيد أن هذا لا بُدَّ له مِن انتِفاء المَوانِع.

ونَضرِب لذلك مَثَلًا: أن رجلًا مِن الناس كافِر ومات له ثلاثة مِن الولد لم يَبلُغوا الحُلُم وصبر. فهل نَقول: إن هذا الكافِر يَدخُل الجنَّة ولا يَدخُل النار؟

فالجواب: لا يَكون صبره سببًا لدُخوله الجنة؛ لأَنَّه كافر.

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الجنائز، باب التلقين، رقم (٣١١٦)، والنسائي في الكبرى رقم (١٠٩٠٧)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله، رقم (٣٧٩٦)، واللفظ لأبي داود من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين، رقم (١٣٨١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كذلك يُقال في الأحاديث التي ورَدَت في عقوبة آكِل الربا، وآكِل مال اليتيم، وفي قَتْل النفس، وغيرها، مما ورَدت فيه ذِكر العقوبة بالنار، فهذه الأحاديث مُقيَّدة بما إذا لم يُوجَد أسباب أو موانِعُ قوية تَمنَع مِن نُفوذ هذا الوعيد، فإذا وُجِدت مَوانِع تَمنَع مِن نُفوذ هذا الوَعيد فإنَّها تَمنَع مِنه؛ لأن القاعدة كما أَسلفنا: أن الأمور لا تَتِمُّ إلا بتَوَفُّر أسبابها وشُروطها وانتِفاء مَوانِعها. والله أَعلَم.

س(٦٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: ما هي شُروط كلِمة التَّوْحيد «لا إله إلا الله»؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: قبل أن نَذكُر شروط كلمة التَّوْحيد نَقول في مَعناها: أنها: «لا مَعبودَ حقٌّ إلا الله» فكل ما عُبِد مِن دون الله مِن مَلِك، أو نبي، أو ولي، أو شجر، أو حَجَر، أو شمس، أو قمر، فهو باطِل؛ لقوله تَعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]. هذا مَعنى هذه الكلِمة العظيمة.

وهي مَبنيَّة على رُكنين: نفي وإثبات: نفي الأُلُوهِيَّة عمَّا سِوى الله، وإثباتها لله، وبهذا يَتحقَّق التَّوْحيد. أي: باجتِماع النفي والإثبات يَتحقَّق التَّوْحيد.

ووجه ذلك: أن النفيَ المَحْض الذي لا يَقترِن بإثبات نَفي مَحْض فهو عدم، وأن الإثبات المَحْض الذي لا يَقتَرِن بالنفي إثبات لا يَمنَع المُشارَكة، فلا يَتحقَّق التَّوْحيد إلا بنَفي الحُكْم عمَّا سِوى ما أثبت له، وإثباته لمن أثبت له، وهذان الرُّكنان هما الأصل.

أما شروطها: فلا بُدَّ أن تَكون صادِرة عن يَقين وعِلْم: يَقين لا شكَّ معه، وعِلْم لا جَهْل معه، ولا بُدَّ لها مِن شروط لاستِمرارها، كالعمَل بمُقْتضاها حسب ما تَقتَضيه الشريعة، وأما مُجرَّد القول باللسان بدون اعتِقاد وإيقان فإن ذَلك لا يَنفَع.

س(٦٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن كيفية تَحقيق شهادة أن «لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله» قَولًا وعَمَلًا واعتِقادًا، بحيث يَضمَن مَن قالها الفوزَ بالجنة والنجاة مِن النار؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: تحقيق شهادة: «أن لا إله إلا الله» يَكون أولًا: بفَهم مَعناها، ثم العمَل بمُقتَضى هذا العِلْم.

فمَعنى «لا إله إلا الله» أي: لا مَعبود حَقٌّ إلا الله، وليس مَعناها: لا إله مَوجود إلا الله، بل المَعنَى: لا إله حَقٌّ إلا الله؛ لأن مِن المَخلوق ما عُبِد مِن دون الله وسُمِّي إلَهًا، كما قال تَعالى: ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾ [هود:١٠١]، وقال تَعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء:٢٢]، وقالَ المُشرِكون: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾ [ص:٥]، لكن هذه الآلهة ليست حقًّا؛ بَل هِي باطِل؛ لقولِ الله تَعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]، وإذا كان لا مَعبود حَقٌّ إلا الله وجَب على الإنسان أن يَجعَل العِبادة كُلَّها عَقيدة، وقولًا، وعَمَلًا لله تَعالى وحده، وإذا كان هذا مَعنى لا إله إلا الله فلا يُمكِن أن يُحقِّقها الإنسان حتى يَعمَل بمُقتَضاها، فلا يَعبُد إلا الله، ولا يَتذَلَّل ولا يَخضَع لأحد على وجه التَّعبُّد والتَّقرُّب والإنابة

إلا لله عَزَّوَجَلَّ، ومِن مُقتَضى شهادة: «أن لا إله إلا الله»: ألا يُعبَد الله إلا بما شَرَع؛ لأن الله هو الإله الحق، وما سِواه فهو الباطِل.

وعلى هذا فلا يُعبَد الله إلا بما شَرَع على أَيدِي الرُّسُل عليهم الصلاة والسلام، ولا بُدَّ أيضًا في تَحقيق شهادة: «أن لا إله إلا الله»: مِن الكُفْر بما سِوى الله عَزَّوَجَلَّ مِن الآلهة، حتى يَتحقَّق للعَبْد الاستِمساك بالعروة الوُثقى.

قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]. وقال الله تَعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]. فلا بُدَّ لتَحقيق شهادة أن لا إله إلا الله مِن اجتِناب الطاغوت، وهو: كل ما عُبِد مِن دون الله عَزَّوَجَلَّ.

س(٦٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هناك مَن يَقول بأن شروط «لا إله إلا الله» السبعة أو الثمانية التي وُضِعَت لا يَصِحُّ أن نُسمِّيَها شُروطًا؛ لأن الشرط ما يَلزَم مِن عَدَمه العدَم ولا يَلزَم مِن وُجوده وُجود، فهذه الشروط تَلزَم كُلَّ إِنسان، ومتى اختَلَّ واحِد مِن هذه الشروط اختَلَّت هذه الشروط، وقيل: بأن الأصحَّ أن يُقال: مِن لوازِم لا إله إلا الله؛ لأن اللازِم مِثْل الشروط، فما رأيكم في ذلك مَأجورِين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: رأَينا في هذا أن النبي ﷺ بيَّن أَعظمَ بيانٍ حين سأله أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَن أَسْعَدُ الناسِ بشَفاعَتِكَ يا رَسولَ اللهِ؟ قال: «**مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ**

خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»[١] فإذا قال الإنسان: لا إله إلا الله خالِصًا مِن قلْبه وقام بلَوازِم هذه الشهادة العظيمة فإنه مُسلِم، وأمَّا مَن قالها غير مُخلِص في قَلْبه كالمُنافِقِين الذين يَقولونها اتِّقاء ورِياء فإنها لا تَنفعُهم، ومَن قالها ولم يَلتزِم ببعض الشرائع فإن قوله إيَّاها ناقِص بلا شَكٍّ؛ لأن تَرْكَه بعضَ شرائِع الإسلام يُضعِف تَوحِيده، ورُبَّما يَنتفِي عنه التَّوْحِيد كُلُّه حسَب ما تَقتضِيه الأدِلَّة الشرعية.

س(٦٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: يُوجَد في بعض كِبار السِّنِّ مَنْ يَجهَل مَعنى كَلِمة التَّوْحيد لا إله إلا اللهُ، فهل يَكونون مُسلِمين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الذين يَقولون: «لا إله إلا الله» يَجِب عليهم أن يَعرِفوا مَعناها، وأنه: لا مَعبود حَقٌّ إلا الله، وأن كلَّ ما يُعبَد مِن دون الله فهو باطِل؛ لقول الله تَعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]. ولا بُدَّ في قائِل كلِمة التَّوْحيد: «لا إله إلا الله» أن يَقولها بلسانه نُطقًا لا بقَلْبه فقَطْ، وأن يَقولَها طائِعًا مُختارًا، ويُشتَرَط -أيضًا- أن يَقوم بما تَقتَضِيه هذه الكلمة العظيمة، ومِن أهمِّ ما يَقوم به الصلاة؛ لأن مَن تَرَك الصلاة فهو كافِر، ولو قال: لا إله إلا الله، ثُمَّ إن هذه الكلِمة إذا قالَها الإنسان وهو يَفهَم مَعناها فإنها تَستلزِم أن يَقوم بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن مَعنَى: «لا إله إلا الله» لا مَعبودَ بِحَقٍّ إلا الله، وهذا يَقتضِي أن يَعبُد هذا الإلهَ الحَقَّ على الوجه الذي أُمِر به مُخلِصًا له الدِّينَ، مُتَّبِعًا لخاتَم النبيِّين محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم (٩٩).

س(٦٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: كلمة الإخلاص لها شروط وأركان، فإذا لم يَأتِ بها المُسلِم كاملةً فهل يَكون قد أدَّى حقيقتَها؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: كلمة الإخلاص هي قول: «لا إله إلا الله»، ولا يَكفِي أن يَقولها القائل بلسانه؛ لأن المُنافِقِين يَقولون ذلك بأَلسِنَتهم كما ذَكَر حالَهم اللهُ جل وعلا في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢]. فلا بدَّ أن يَكون الإنسان مُعتقدًا لمَعناها بقَلبه، مُؤمِنًا بها، قائمًا بما تَقتَضِيه هذه الكلمةُ العظيمةُ، وهو: التَّعبُّد لله وَحْده لا شريكَ له، فلا يُشرِك معه في عبادتِه مَلَكًا مُقرَّبًا، ولا نَبيًّا مُرسَلًا، ولا سُلطانًا حاكِمًا، ولا غير ذلك مِن مَخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال الله تَعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

ولهذا جاءت الشريعة الإسلامية بالتَّكفير في أمور تَقَع ممَّن قال: «لا إله إلا الله» مِثل: كُفْر تارِك الصلاة، فإن مَن تَرَك الصلاة كسَلًا وتَهاوُنًا فإنه يَكفُر، كما دَلَّ على ذلك الكتاب والسُّنَّة وكلامُ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ والنَّظَر الصحيح، وهذه مُناسبة لما وَعَدْنا به سابِقًا مِن أننا سنَتكلَّم بإِسهاب عن حُكْم تارِك الصلاة، حيث بَيَّنَّا فيما سبَق أن كُفْر تارِك الصلاة تَهاوُنًا وكَسَلًا هو مُقتَضى دَلالة الكتاب والسُّنَّة وأقوال الصحابة والنظَر الصحيح، وأن ما خالف ذلك لا يَخلو مِن واحد مِن أمور خَمسة: إمَّا ألا يَكون فيه دَلالة أصلًا، وإمَّا أن يَكون وقَع مِن قوم مَعذورِين بجَهلِهم، وإما أن يَكون مُقيَّدًا بقَيْد يَمتنِع معه أن يَترُك الصلاة، وإما أن يَكون ضعيفًا، وإما أن يَكون عامًّا لكنه مَخصوص بأدلَّة تكفير تارِك الصلاة.

وبَيَّنَّا -أَيْضًا- فيما سبَق بأن المُراد بتَرْك الصلاة تَركُها بالكلية، وأما مَن كان يُصلِّي ويخلي -أي: أنَّه يُصلِّي أحيانًا ويَدَع أحيانًا- فإنه لا يَكفُر، ونحن الآن نَسوق ما تَيسَّر لنا مِن الأَدلَّة الدالَّة على كُفْر تارِك الصلاة، فمِن ذلك قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن المُشرِكين: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:٥]. فإن هذه الآية الكريمة شَرَطت لثُبوت الأُخوَّة في الدِّين مِن المُشرِكين ثلاثة شروط:

الشرط الأوَّل: أن يَتوبوا مِن الشِّرْك.

والشرط الثَّاني: أن يُقِيموا الصلاة.

والشرط الثَّالث: أن يُؤتوا الزكاة.

ومِن المَعلوم أن ما رُتِّب على شَرطٍ فإنَّه يَتخلَّف بتَخلُّف هذا الشرط، فإذا لم يَتوبوا، ولم يُقيموا الصلاة، ولم يُؤتوا الزكاة فليسوا إخوانًا لنا في الدِّين، ولا تَنتَفي الأُخوَّة الدِّينية إلا بكُفرٍ مُخرِج عن الإيمان، أما مُجرَّد المَعاصي -وإن عَظُمت- إذا لم تَصِل إلى حَدِّ الكُفْر فإنَّها لا تُخرِج الإنسان مِن الإيمان، ودليل ذلك -أي: دَليل أن المَعاصي لا تُخرِج مِن الإيمان وإن عَظُمت- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَىۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة:١٧٨]. فجَعَل اللهُ القاتِل والمَقتول أخوَين، مع أن القاتِل أَتى ذنبًا عَظيمًا توعَّد الله عليه بوعِيد شديد في قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:٩-١٠]. فأثبت الله الأُخوَّة بين الطائفتَين المُقتتِلتَين وبين الطائفة المُصلِحة بينهما، مع أن قِتال المُؤمِن مِن أعظم الذنوب، فإذا تبَيَّن أن الأُخوَّة الإيمانية لا تَنتَفِي بكبائِر الذنوب التي دون الكُفْر فإن انتِفاءَها يَدُلُّ على أن مَن حَصَل مِنه ما يُوجِب هذا الانتِفاء دليل على أنَّه كافر.

فإن قال قائِل: ما تَقولون فيمَن تاب مِن الشِّرْك وأقام الصلاة ولم يُؤْتِ الزكاة، أَتُكفِّرونه كما تَقتضِيه الآية أم لا تُكفِّرونه؟

قلنا: لا نُكفِّره؛ لأن لدينا مَنطوقًا يَدُلُّ على أنَّه ليس بكافِر، والمَنطوق عِند العُلَماء مُقدَّم على المَفهوم، هذا المَنطوق ما رواه مُسلِم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إلا إذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ صُفِحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ، فِي يَوْم كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبادِ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ: إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**»(١) فإن هذا الحديث يَدُلُّ على أن مَن لَم يُؤَدِّ الزكاة لا يَكفُر؛ لأن قوله: «**ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ: إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**» دَليل على أنَّه قد يَدخُل الجَنَّة، ولا يُمكِن أن يَدخُل الجنة مع كُفْره، وعلى هذا فيَبقى القَيد في التوبة مِن الشِّرك وإِقام الصلاة قَيدًا مُعتَبرًا لا مُعارِض له، بخِلاف قوله: «وآتوا الزكاة» فإن مَفهومه عُورِض بمَنطوق

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم (٩٨٧/ ٢٤).

الحديث الذي ذكَرت، فحِينَئِذٍ لا يَكون تَرْك الزكاة والبُخْل بها مُكفرًا مُخرِجًا عن الإسلام، على أن مِن العُلَماء مَن قال: إن تارِكَ الزكاة الذي لا يُؤدِّيها كافِر، وهو رِواية عن الإمام أحمدَ بنِ حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، ولكن الذي تَقتَضِيه الأدِلَّة أنَّه لا يَكفُر، ونحن -بحول الله- لا نَعدو ما دَلَّت الأَدلَّة عليه سلبًا ولا إيجابًا.

وأما دَلالَة السُّنَّة على كُفْر تارِك الصلاة، ففيما رَواه مُسلم عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: **«بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ -أَوِ الكُفْرِ- تَرْكُ الصَّلاةِ»**[2] فجَعَل تَرْكَ الصلاة هو الحدَّ الفاصِل بين الكُفْر وبين الإيمان، أو بين الشِّرْك وبين الإيمان، ومِن المَعلوم أن الحدَّ فاصِل بين مَحدودَين لا يَدخُل أَحدُهما في الآخر.

ويَدُلُّ لهذا أن لَفْظَ الحديث: **«بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ -أَوِ الكُفْرِ- تَرْكُ الصَّلاةِ»** فقال: **«وَالكُفْر»** ولم يَقل ﷺ: تَرْك الصلاة كُفْر، حتى يُمكِن أن يُحمَل على كفْر دون كُفْر، ولكنه عرَّفه بـ(أل) الدالَّة على حقيقة الكُفْر، وقد أَشار إلى هذا الفَرْق شيخ الإسلام ابن تَيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه اقتِضاء الصراط المُستقِيم[3].

أما الحديث الثَّاني فهو ما رَواه أهل السُّنَن عن بُريدة بنِ الحُصَيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: **«العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»**[4] فجعل

---

(١) ينظر: المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين لأبي يعلى الفراء (١/ ٢٢١-٢٢٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم (١٣٤/ ٨٢).

(٣) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢١١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٤٦)، والترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، رقم (٢٦٢١)، والنسائي: كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، رقم (٤٦٣)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، رقم (١٠٧٩). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

النبي ﷺ الحَدَّ الفاصِل بين المُسلِمين والكُفَّار هو الصلاة، ومِن المعلوم أن الحد يُخرِج كُلَّ محدود عن دُخوله في الآخر.

أما كلام الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فقد حَكى إجماعهم على كُفْر تارِك الصلاة عبدُ الله ابنُ شَقيق رَحِمَهُٱللَّهُ، وهو تابِعيٌّ مَشهور قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يَرَوْن شَيئًا مِن الأعمال تَرْكُه كُفْر غير الصلاة»[1] وقد حكَى إجماع الصحابة على كُفْر تارِك الصلاة إِسحاقُ بنُ راهَوَيه[2] الإمام المَشهور، وحكاه غيره أيضًا.

وأَمَّا النَّظَر الصحيح: الذي يَقتَضِي أن تارِك الصلاة كافِر كُفْرًا أكبرَ مُخرِجًا عن المِلَّة، فإنه لا يُمكِن لمُؤمِن -بل لا يُمكِن لمَن في قَلْبه أَدنَى مِثقال حَبَّة مِن خَرْدل مِن إيمان- أن يَعلَم شأنَ الصلاة وعِظَمها ومَنزِلَتها عِند الله عَزَّوَجَلَّ ثم يُحافِظ على تَرْكها، هذا مِن المُحال أن يَكون في قلبه شَيء مِن الإيمان، وعلى هذا نَقول: إن مِن كان في قلبه أدنى مِثقال حَبَّة مِن خَرْدَل إيمان لا يُمكِن أن يَترُك الصلاة تَرْكًا مُطلقًا وهو يَعلَم ما لَها مِن المَنزِلة العظيمة في دِين الإسلام.

وأما الأَدِلَّة التي استَدلَّ بها مَن قال: إنه لا يَكفُر، فقد أَشَرْنا إلى أنَّها لا تَخلُو مِن واحِد مِن خَمسة أُمور، كما صَدَّرْنا ذلك في كلامِنا هذا، وإذا تَبيَّن قِيام الدليل السالِم عن المُعارِض المُقاوِم فإنه يَجِب الأَخْذ بمُقتَضاه، وإنَّنا حين نَحكُم بالكُفْر على مَن دَلَّت الأدِلَّة على كُفرِه لم نَتجاوَز ولم نَتعَدَّ؛ لأن الحُكْم بالتَّكفير أو عدَم التَّكفِير إلى الله عَزَّوَجَلَّ، كما أن الحُكْم بالتَّحليل والتَّحريم والإيجاب والاستِحباب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولا لَوْم على الإنسان إذا أَخَذ بما تَقتَضِيه الأدِلَّة في أي حُكْم مِن

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، رقم (٢٦٢٢).
(٢) ينظر: تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (٢/ ٩٢٩).

الأَحكام، وعلى كُلِّ مُؤمِن أن يَأخُذ بما تَقتَضيه الأدلَّة مِن أَي وَصْف كان ولأي مَوصوف كان، وألا يَجعَل النزاعَ سببًا مُوجِبًا للتَّخلِّي عن مَدلول الكِتاب والسُّنَّة وغيرِهما مِن الأَدِلَّة؛ لقول الله تَعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]. وقال تَعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:١٠].

فإن قال قائِل: إذا قُلْتَ بتكفير تارِك الصلاة حصَل في ذلك ارتباك وتَشويش وتَكفير لكثير مِن الناس.

فالجواب عن ذلك أن نَقول: إِنَّنا إذا قُلنا بمُقتَضى الأدِلَّة الشرْعيَّة فإنه لن يَكون مِن جَرَّاءِ ذلك إلا ما فيه الخير والصلاح؛ لأن الناس إذا علِموا أن تَرْك الصلاة كُفْر مُخرِج عن المِلَّة ورِدَّة كُبرى فإنهم لن يَتجرَّؤُوا على تَرْك الصلاة، بل سيَكون ذلك حافِزًا لهم على القيام بها على الوجه المَطلوب مِنهم، ولكنَّنا إذا قُلنا: إنه ليس بكُفْر، وإنما هو فِسْق، فإنَّهم يَتهاوَنون بها أكثرَ ممَّا قلنا لهم ذلك: إنه كُفْر، ونحن لا نَقول: إنه كُفْر. مِن أجل أن نَحُثَّ الناس على فِعل الصلاة، ولكننا نَقول: إنه كُفْر، مِن أجل دَلالة الكِتاب والسُّنَّة وأقوال الصحابة على ذلك.

وأما قول هذا القائِل الذي يَقول: إنَّك إذا حَكَمْت بكُفْر تارِك الصلاة فإنَّك بهذا تُوقِع الإِرْباك والتَّذبذب، وتُخرِج كثيرًا مِن الناس عن المِلَّة الإسلامية.

أقول: ما قول هذا القائِل إلا كقول مَن قال: إنك إذا قَطَعْت يدَ السارِق أَصبَح نِصْف الشعب مَقطوعًا؛ لأنَّنا نَقول لهذا: إِنَّك إذا قَطَعْت يدَ السارِق فسيَقِلُّ السُّرَّاق قِلَّة كبيرة؛ لأن السارِق إذا علِم أن يَدَه ستُقطَع فإنه لن يُقدِم على السرقة، وما مَثَل هذا وهذا إلا كمَثَل مَن يَقول: إنك إذا قَتَلْت القاتِل المُستَحِقَّ للقَتْل

قِصاصًا فإنك تُضيف إلى قَتْل الأوَّل رَجُلًا آخَر، وهذا يُضاعِف عَدَد المَقتولِين، فإننا نَقول: إن هذه المَقولة مَقولة باطِلة، أَبطَلها الله في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٩]. فإن القاتِل إذا عَلِم أَنَّه إذا قتَل عَمْدًا يُقتَل لن يُقدِم على القَتْل، فحينَئِذٍ يَقِلُّ القَتْل عَمْدًا وعُدوانًا.

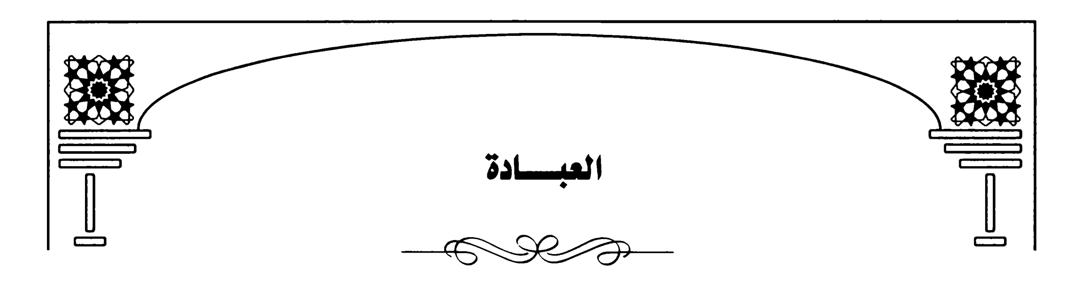
والمُهمُّ -كل المُهِم-: أَنَّه يَجِب على الإنسان العالِـم المُتَّقِي لله عَزَّوَجَلَّ أن يَكون مُتمشِّيًا مع الدليل حيثما كان إيجابًا وسَلبًا، وإصلاح الحال على الله عَزَّوَجَلَّ الذي شَرَع هذا الذي أَقدَم عليه المُفتِي أو الحاكم، والله عَزَّوَجَلَّ لم يَشرَع لعباده إلا ما فيه صَلاحهم وسَعادتهم وفَلاحُهم في الدنيا والآخِرة، ولا يُمكِن أبدًا أن يَشرَع لعِباده ما فيه مَفسَدة راجِحة على مَصلَحة، كما قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة:٢١٩]. وأنت إذا حَكَمت على الناس بمُقتَضى شريعة الله لا بمُقتَضى واقِعهم فإن الواقِع سوف يَتغَيَّر حتَّى يَتحوَّل إلى مُراد الله عَزَّوَجَلَّ في عِباده فيما شَرَعه لهم.

| س(٦٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: إذا لَـم يَأْتِ المُسلِم بشُروط «لا إله إلا الله» كامِلةً فهل يَكون قد أدَّى حَقيقتها؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا يُؤدِّي حقيقة كلِمة التَّوْحيد -«لا إله إلا الله»- مَنْ لم يَأْتِ بشُروطها ومُقتَضَياتها اللازِمة، فليس المُراد مِن كلِمة الإخلاص -وهي: «لا إله إلا الله»- قولها باللسان، بَل لا بُدَّ أن يَقولها بلِسانه مُعتقِدًا لَمدلولها بقَلبه قائمًا بما تَقتَضِيه مِن واجبات وشروط وأركان تَقدَّم ذِكرُها[1].

---

(١) انظر الفتاوى السابقة (٥٦، ٥٧، ٥٨).



س(٦٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عنِ الحِكْمـة مِن خَلْـق الجن والإنس؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: قبل أن أَتكلَّم عن هذا السؤال أُحِبُّ أن أُنبِّهَ على قاعدة عامَّة فيما يَخلُقه الله عَزَّوَجَلَّ وفيما يَشرَعه.

وهذه القاعِدة مَأخوذة مِن قوله تَعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم:٢]، وقوله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:٢٤]، وغيرهما مِن الآيات الكثيرة الدالَّة على إثبات الحِكْمة لله عَزَّوَجَلَّ فيما يَخلُقه وفيما يَشرَعه، أي: في أحكامه الكونية، وأحكامِه الشرعية، فإنه ما مِن شَيء يَخلُقه الله عَزَّوَجَلَّ إلا وله حِكمة سواء كان ذلك في إيجاده أو في إِعْدامه، وما مِن شيء يَشرَعه الله تَعالى إلا لحِكمة سَواء كان ذلك في إيجابه أو تَحريمه أو إباحته، لكن هذه الحِكَم التي يَتضمَّنها حُكْمه الكوني والشرعي قد تَكون مَعلومة لنا، وقد تَكون مَجهولة، وقد تَكون مَعلومة لبَعض الناس دون بَعض حسب ما يُؤْتِيهمُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِن العِلْم والفَهْم.

إذا تَقرَّر هذا فإنَّنا نَقول: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَق الجن والإنس لحِكْمة عَظيمة وغاية حَميدة، وهي: عِبادته تَبَارَكَ وَتَعَالَى، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]. وقال تَعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥]. وقال تَعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾

[القيامة:٣٦]. إلى غير ذَلك مِن الآيات الدالَّة على أن الله تَعالى حِكمةً بالغةً مِن خَلْق الجن والإنس، وهي عِبادته.

والعِبادة هي: «التَّذلُّل لله عَزَّوَجَلَّ مَحبَّةً وتَعظيمًا بفِعل أوامره واجتِناب نَواهِيه، على الوجه الذي جاءت به شَرائِعه». قال الله تَعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥]. فهذه الحِكْمة مِن خَلْق الجن والإنس، وعلى هذا فمَن تَمَرَّد على ربِّه واستكبَر عن عِبادَته فإنه يَكون نابِذًا لهذه الحِكمة التي خَلَق الله العِباد مِن أَجلِها، وفِعله يَشهَد أن الله خَلَق الخَلْق عَبثًا وسُدًى، وهو وإن لم يُصرِّح بذلك لكن هذا هو مُقتَضى تَمرُّده واستِكباره عن طاعة ربه.

س(٧٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن مَفهوم العبادة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: العِبادة لها مفهوم عامٌّ، ومفهوم خاصٌّ.

فالمَفهوم العامُّ: هي «التَّذلُّل لله مَحبةً وتعظيمًا بفعل أوامره واجتناب نواهيه، على الوجه الذي جاءت به شرائعه».

والمَفهوم الخاصُّ: يَعني: تَفصيلها، قال فيه شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هي «اسم جامِع لكل ما يُحبُّه اللهُ ويَرضاه مِن الأقوال، والأَعمال الظاهِرة والباطنة: كالخوف، والخشية، والتَّوكُّل، والصلاة، والزكاة، والصيام، وغير ذلك مِن شَرائع الإسلام»[1].

وقد يَكون قَصْد السَّائل بمَفهوم العِبادة ما ذكَره بعض العُلَماء مِن أن العبادة

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

إما عِبادة كونية، أو عِبادة شرعية، يعني: أن الإنسان قد يَكون مُتَذلِّلًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَذَلُّلًا كونيًّا وتَذلُّلًا شرعيًّا.

فالعِبادة الكونية تَشمَل المُؤمِن والكافر، والبَرَّ والفاجِر؛ لقوله تَعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]. فكل مَن في السَّموات والأرض فهو خاضِع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَوْنًا، فلا يُمكِن أَبدًا أن يُضادَّ الله أو يُعارِضه فيما أراد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالإرادة الكونية.

وأما العِبادة الشرعية: فهي التَّذلُّل له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَرْعًا، فهذه خاصة بالمُؤمِنين بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى القائمين بأَمْره، ثم إن مِنها ما هو خاص أخص كعُبودية الرُّسُل عليهم الصلاة والسلام، مِثل قوله تَعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١]. وقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة:٢٣]. وقوله: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [ص:٤٥]. وغير ذلك مِن وَصْف الرُّسُل عليهمُ الصلاة والسلام بالعُبوديَّة.

والعابِدون بالعُبوديَّة الكونية لا يُثابون عليها؛ لأنهم خاضِعون لله تَعالى شاؤوا أم أَبَوا، فالإنسان يَمرَض ويَفقُر ويَفقِد محبوبه مِن غير أن يَكون مُريدًا لذلك، بل هو كارِه لذلك، لكن هذا خُضوع لله عَزَّوَجَلَّ خُضوعًا كونيًّا.



س(٧١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل يَجوز للإنسان أن يَدعوَ على نفسه بالموت؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: دعاء الإنسان على نفسه بالموت حرام ولا يَجوز؛ لأن النبي ﷺ

يقول: «**لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتُ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ**»[1]. فعلى الإنسان أن يَصبِر ويَحتَسِب وأن يَسأل الله الهِداية والثبات، وإذا كان مُصابًا بضُرٍّ فلْيَسأَلِ الله العافية، فإن الأَمْر كُلَّه لله. واللهُ وليُّ التَّوفيق.

س(٧٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما حُكْم قول: فلان غَفَر الله له إن شاء الله؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا بأْس مِن قول: «فلان غَفَر الله له إن شاء الله»؛ وذلك لأن هَذه الجملة تُفيد الرجاء وليست خبرًا، إذ إن الخَبَر بهذه الصيغة لا يَجوز؛ لأنَّه خبر عن أَمْر غَيبي لا يَعلَمه إلا الله، فلا يَجوز الإخبار بأن الله غَفَر لفلان، أو رحِم فلانًا، أو ما أشبَهَ ذلك؛ لأن هذا لا يُعلمُ إلا بطريق الوَحْيِ، ولا وحْيَ بعد مَوت رسول الله ﷺ، ولكن هذه الجُملة يُقصَد بها الرجاء أي: أَرْجو -إن شاء الله- أن يَغفِر الله لفلان.

س(٧٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن قَول الإنسان في دُعائه: «إن شاء الله»؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا يَنبغِي للإنسان إذا دعا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يَقول: «إن شاء الله» في دُعائه، بل يَعزِم المَسألة، ويُعظِم الرغبة؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا مُكرِه له،

(١) أخرجه البخاري: كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، رقم (٥٦٧١)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به، رقم (٢٦٨٠/ ١٠) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر:٦٠]. فوعَد بالاستِجابة، وحينئذٍ لا حاجة إلى أن يُقال: إن شاء الله؛ لأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إذا وفَّق العبد للدعاء فإنه يُجيبه إما بمَسألَته، أو بأن يَرُد عنه شرًّا، أو يَدَّخِرها له يَوم القيامة، وقد ثبَت عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، وَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لا مُكْرِهَ لَهُ**»(١).

فإن قال قائل: ألم يَثبُت عن النبي ﷺ أنَّه كان يَقول للمريض: «**لا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ**»(٢)؟

قُلنا: بلى، ولكن هذا يُظهِر أنَّه ليس مِن باب الدعاء، وإنما هو مِن باب الخبر والرجاء وليس دُعاءً، فإن الدُّعاء مِن آدابه أن يَجزِم به المَرء. والله أَعلَم.



س(٧٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن الجمع بين قول النبي ﷺ: «لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، وَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لا مُكْرِهَ لَهُ»(٣) وقوله: «ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ العُرُوقُ،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له، رقم (٦٣٣٩)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب العزم بالدعاء ولا يقل: إن شئت، رقم (٢٦٧٩/ ٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦١٦) من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له، رقم (٦٣٣٩)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب العزم بالدعاء ولا يقل: إن شئت، رقم (٢٦٧٩/ ٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ»(١)؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الحديث الأول صحيح، وفي لفظ: «**إِنَّ اللهَ لا يَتَعاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**»(٢). وهذه الصيغة التي نَهى عَنها رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِر لِي إِن شِئْتَ» تُشعِر بمَعانٍ فاسدة:

مِنها: أن أحدًا يُكْرِه الله.

ومِنها: أن مَغفِرة الله ورحْمته أمر عظيم لا يُعطيه الله لك؛ ولذلك قال ﷺ: «**فَإِنَّ اللهَ لا يَتَعاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**». وأَنت لو سَأَلت رَجُلًا مِن الناس فقلت: أَعطِني مليون ريال إن شِئت. فهذا يَتعاظَمه، ولذلك قلتَ له: إن شِئت. وكذلك فهو مُشعِر بأنك مُستَغنٍ عن عَطية المَسؤول، فإن أعطاك وإلا فلا يَهمَّك؛ ولهذا نَهى رسول الله ﷺ عن قول: «إن شِئت».

أما ما جاء في الحديث الثَّاني مِن قول: «**إن شاء الله**» فهي أخفُّ وقْعًا مِن قول: إن شئت؛ لأن القائل قد يُريد بها التبرُّك لا التعليق.

فوجه الجمع أن التعبير بـ«إن شاء الله» أهون مِن «إن شئت».

ويَرِدُ على ذلك أن هذا يُفيد أن قول: «إن شاء الله» مَنهِيٌّ عنه، لكن دون قول: «إن شئت». فكيف يَكون مَنهيًّا عنه ثُمَّ يَقوله النبي ﷺ، كما في الحديث الثَّاني الذي ذَكَره السَّائل؟ وإن كان فيه نَظَر مِن حيث الصحة، لكن ثبَت في الحديث الصحيح

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الصوم، باب القول عند الإفطار، رقم (٢٣٥٧)، والنسائي في الكبرى رقم (٣٣١٥) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب العزم بالدعاء ولا يقل: إن شئت، رقم (٨/٢٦٧٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أن النبي ﷺ كان إذا عاد مَريضًا يقول: «**لا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ**»[١]. وهذه الجملة وإن كانت خَبرية فمَعناها طَلبي. والجواب أن هذه الجملة مَبنيَّة على الرجاء لأن يَكون المَرَض طَهورًا مِن الذَّنْب، وهذا كما في حديث: «**وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ**». فهو على الرجاء.

س(٧٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما المُراد بقول النبي ﷺ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلا الجَنَّةُ»[٢]؟

فَأَجَابَ بقَوْلِهِ: اختُلف في المُراد به على قولين:

القول الأول: أن المُراد لا تَسألوا أَحَدًا مِن المَخلوقِين بوَجه الله، فإذا أردت أن تَسأل أَحدًا مِن المَخلوقِين لا تَسألْه بوجه الله؛ لأنَّه لا يُسأل بوجه الله إلا الجنةُ، والخَلْق لا يَقدِرون على إعطاء الجنة، فإذنْ لا يُسألون بوجه الله مُطلقًا.

القول الثَّاني: أنَّك إذا سألت اللهَ فإن كان الجنة وما يَستلزِم دُخولها فاسأَل بوَجْه الله، وإن كان مِن أمور الدنيا فلا تَسأَلْ بوَجْه الله، فأُمور الآخرة تُسأل بوجه الله كقولك مَثَلًا: أَسأَلُك بوجهك أن تُنجِيَني مِن النار.

والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ استَعاذ بوجه الله لـما نَزَل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**» ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦١٦) من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة بوجه الله تعالى، رقم (١٦٧١) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:٦٥] قال: «هَذِهِ أَهْوَنُ وَأَيْسَرُ»(١).

ولو قِيل: إنه يحتَمِل المَعنيَين جميعًا لكان له وجْهٌ.



س(٧٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: لماذا يدعو الإنسان ولا يُستَجاب له؟ والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الحمد لله رب العالمين، وأُصلِّي وأُسلِّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وأسأل الله تَعالى لي ولإخواني المسلمين التوفيق والصواب عَقيدةً، وقولًا، وعملًا، يَقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]. ويَقول السَّائِل: إنه دعا الله عَزَّوَجَلَّ ولم يَستجِب الله له، فيَستشكِل هذا الواقع مع هذه الآية الكريمة التي وعد الله تَعالى فيها مَن دعاه بأن يَستجِيبَ له، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يُخلِف المِيعاد.

والجواب على ذلك: أن للإجابة شُروطًا لا بدَّ أن تَتحقَّق، وهي:

الشرط الأوَّل: الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ بأن يُخلِص الإنسان في دُعائه فيَتَّجِه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بقلب حاضِر صادق في اللجوء إليه، عالم بأنَّه عَزَّوَجَلَّ قادِر على إجابة الدعوة، مُؤمِّلٌ الإجابةَ مِن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، رقم (٤٦٢٨) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الشرط الثَّاني: أن يَشعُر الإنسان حالَ دُعائه بأنَّه في أَمسِّ الحاجة -بل في أَمَسِّ الضرورة- إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأن الله تَعالى وحده هو الذي يُجِيب دَعوةَ المُضطرِّ إذا دَعاه ويَكشِف السوء، أما أن يَدعو الله عَزَّ وَجَلَّ وهو يَشعُر بأنَّه مُستغنٍ عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وليس في ضَرورة إليه، وإنما يَسأل هكذا عادة فقط، فإن هذا ليس بحَرِيٍّ بالإجابة.

الشرط الثَّالث: أن يَكون مُتجَنِّبًا لأكل الحرام؛ فإن أَكلَ الحرام حائِل بين الإنسان والإجابة، كما ثَبَت في الصحيح عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ**». فقال تَعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢]. وقال تَعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون:٥١]. ثُمَّ ذكَر النبي ﷺ الرَّجُل يُطِيل السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيهِ إِلَى السَّماءِ: يا رَبِّ، يا رَبِّ. وَمَطْعَمُهُ حَرامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرامٌ، وَغُذِّيَ بِالحَرامِ، قال النبي ﷺ: «**فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ**»[(١)]. فاستبعَد النبي ﷺ أن يُستَجاب لهذا الرجل الذي قام بالأسباب الظاهرة التي بها تُستَجْلَب الإجابة، وهي:

أولًا: رَفْع اليدين إلى السماء، أي: إلى الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأَنَّه تعالى في السماء فوق العرش، ومَدُّ اليَدِ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ مِن أسباب الإجابة، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في المسند: «**إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، رقم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب الدعاء، رقم (١٤٨٨)، والترمذي:

ثانيًا: هذا الرجل دعا الله تَعالى باسم الرب «يا رب، يا رب»، والتَّوسُّل إلى الله تَعالى بهذا الاسم مِن أسباب الإجابة؛ لأن الرب هو الخالِق المالِك المُدبِّر لجميع الأمور، فبِيَده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مَقاليد السَّموات والأرض؛ ولهذا تَجِد أكثرَ الدعاء الوارِد في القرآن الكريم بهذا الاسم: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ [آل عمران:١٩٣-١٩٥] الآيات. فالتَّوسُّل إلى الله تَعالى بهذا الاسم مِن أسباب الإجابة.

ثالثًا: هذا الرجل كان مُسافِرًا والسفر غالبًا مِن أسباب الإجابة؛ لأن الإنسان في السفر يَشعُر بالحاجة إلى الله عَزَّوَجَلَّ والضرورة إليه أكثرُ مما إذا كان مُقيمًا في أهله. و«أشعث أغبر» كأنَّه غير مَعنِيٍّ بنفسه، كأن أهم شيء عنده أن يَلتَجِئ إلى الله ويَدعوه على أيِّ حال كان هو، سواء كان أشعثَ أغبرَ أم مُترفًا، والشعث والغبر له أثر في الإجابة كما في الحديث الذي روِي عن النبي ﷺ، أن الله تَعالى يَنزِل إلى السماء الدنيا عَشية عرفة يُباهي الملائكة بالواقِفين فيها يقول: «**أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**»[1].

= كتاب الدعوات، رقم (٣٥٥٦)، وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء، رقم (٣٨٦٥) من حديث سلمان الفارسي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٥)، وابن خزيمة رقم (٢٨٣٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٦٥) بنحوه من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

هذه الأسباب لإجابة الدعاء لم تُجْدِ شيئًا؛ لكون مَطعَمه حرامًا، ومَلبَسه حرامًا، وغُذِّي بالحرام، قال النبي ﷺ: «**فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ**». فهذه الشروط لإجابة الدعاء إذا لم تَتوافر فإن الإجابة تَبدو بَعيدة، فإذا تَوافَرت ولم يَستجِب الله للداعي، فإنما ذلك لِحِكْمة يَعلَمها الله عَزَّوَجَلَّ ولا يَعلَمها هذا الداعي، فعَسى أن تُحِبُّوا شيئًا وهو شَرٌّ لكم، وإذا تمَّت هذه الشروط ولم يَستَجِب الله عَزَّوَجَلَّ فإنه إمَّا أن يَدفَع عنه مِن السوء ما هو أعظم، وإما أن يَدَّخِرها له يوم القيامة فيُوفِّيه الأجر أكثر وأكثر؛ لأن هذا الداعي الذي دعا بتَوفُّر الشروط ولم يُستَجب له ولم يُصرَف عنه مِن السوء ما هو أعظم، يَكون قد فعَل الأسباب ومُنع الجواب لِحكمة، فيُعطَى الأجرَ مَرَّتين: مَرَّة على دُعائه، ومرَّة على مُصِيبته بعَدم الإجابة، فيُدَّخَر له عِند الله عَزَّوَجَلَّ ما هو أعظم وأكمل.

ثم إنَّ المُهم أيضًا ألا يَستبطِئَ الإنسانُ الإجابةَ؛ فإن هذا مِن أسباب مَنْع الإجابة أيضًا، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «**يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ**». قالوا: كيف يَعجَل يا رسول الله؟ قال: «**يَقُولُ دَعَوْتُ وَدَعَوْتُ وَدَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي**»[1]. فلا يَنبغِي للإنسان أن يَستبطِئ الإجابة فيَستَحْسِر عن الدعاء ويَدَع الدعاء، بل يُلِحَّ في الدعاء، فإن كل دعوة تَدعو بها الله عَزَّوَجَلَّ فإنها عِبادة تُقرِّبك إلى الله عَزَّوَجَلَّ وتَزيدُك أجرًا، فعليكَ يا أخي بدُعاء الله عَزَّوَجَلَّ في كل أُمورك العامة والخاصة، الشديدة واليَسيرة، ولو لم يَكُن مِن الدُّعاء إلا أنَّه عِبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لكان جَديرًا بالمَرء أن يَحرِص عليه. والله المُوفِّق.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، رقم (٦٣٤٠)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل...، رقم (٢٧٣٥/ ٩٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٧٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هناك أَدعية يَتَناقَلها بعض الطلاب فيما بَينهم على سَبيل الطُّرفة والضَّحِك، بحيث يُخصِّصون لمُدرِّس كل مادة دُعاءً خاصًّا. فما حُكْم هذا العمل؟

ومِن الأمثلة:

دُعاء مُدرِّس اللغة العربية: اللهم اجعَلْني فاعِلًا للخير، ومَرفوعًا عنِ الشر.

دعاء مُدرِّس الرياضيات: اللهم اجعلْني مُستَقِيمًا في حياتي، ولا تَجعَل الدنيا حادَّة عليَّ.

دعاء مُدرس الجيولوجيا: اللهم أَبعِدني عنِ العوامِل المُؤثِّرة في النفوس، واجعلني في حبِّك بركانًا، ولكَلِمتك زِلزالًا، واجعَلني مِن مَعدِن صُلْب وصَخْر قوي، واجعل لي صلابة عالية؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: دعاءُ الله تَعالى عِبادةٌ يَتقرَّب بها العبد إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ لقوله تَعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

ولا يَحِلُّ للمسلم أن يَتَّخِذ دُعاء الله تَعالى هُزُؤًا يُتندَّر به ويُتنطَّع به، فإن هذا خَطر عظيم وخَطأ جسيم.

والواجب على العبد إن كان صادقًا في دُعاء ربِّه أن يَدعوَ الله عَزَّوَجَلَّ بأدب وصِدْقٍ افتِقارًا إليه، وأن يَدعوَ الله بما يَحتاجه مِن أمور دِينه ودُنياه على الوجه الذي جاءت به السُّنَّة.

أما هذه الصيغ التي ذَكَرها السَّائل ففيها عدة مَحاذِير:

الأوَّل: أنها تُقال على سَبيل التَّنَدُّر والتَّنَطُّع وقد قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعونَ**»(١). قالها ثلاثًا.

الثَّاني: أنها لا تَنُمُّ عن داعٍ يَعتبِر نفسه مُفتقِرًا إلى الله تعالى يَدعوه دعاءَ خائِفٍ راجٍ.

الثَّالث: أن بَعضَها يَحمِل مَعانيَ فاسدةً أو مَعانيَ أشبَهَ ما تكون باللغْو، كما في دُعاءِ مُدرِّس الجيولوجيا.

ونَصيحتي لهؤلاء أن يَتَّقوا الله ويَخافوا مَقامه، وألا يَتَّخذوا آيات الله هُزوًا، وأن يَعلَموا أن مَقامَ الربِّ عظيم، لا يُخاطَب جل وعلا بمِثْل هذه الكلمات السخيفة المُتكلَّفة، نَسأل الله لنا ولهم الهِداية.

س(٧٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن مَعنى الإخلاص؟ وإذا أراد العبد بعِبادته شَيئًا آخر فما الحُكْم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الإخلاص لله تَعالى معناه: «أن يَقصِد المَرء بعِبادته التَّقرُّب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والتَّوصُّل إلى دار كَرامته».

وإذا أراد العَبْد بعِبادته شيئًا آخر ففيه تَفصيل حسب الأقسام التالية:

القسم الأول: أن يُرِيد التقرُّب إلى غير الله تَعالى في هذه العبادة، ونيل الثَّناء عليها مِن المَخلوقِين، فهذا يُحبِط العمَل، وهو مِن الشِّرْك. وفي الصحيح مِن حديث

(١) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم (٢٦٧٠/ ٧)من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ تَعالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[1].

القسم الثَّاني: أن يَقصِد بها الوصول إلى غَرَض دُنيَوي كالرئاسة، والجاه، والمال، دون التَّقرُّب بها إلى الله تَعالى، فهذا عَمَله حابِط لا يُقرِّبه إلى الله تعالى؛ لقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [هود:١٥-١٦].

والفَرْق بين هذا والذي قبله:

أن الأوَّل: قَصَد أن يُثْنَى عليه مِن قِبَلِ أنَّه عابِد لله تَعالى.

وأما هذا -الثَّاني-: فلم يَقصِد أن يُثنَى عليه مِن قِبَل أنَّه عابِد لله، ولا يَهُمه أن يُثنِي الناس عليه بذلك.

القسم الثَّالث: أن يَقصِد بها التقرُّب إلى الله تعالى، والغرض الدنيوي الحاصل بها مثل: أن يَقصِد مع نية التعبُّد لله تَعالى بالطهارة تَنشِيط الجسم وتَنظِيفه، وبالصلاة تَمرين الجسم وتَحريكه، وبالصيام تَخفيف الجسم وإزالة فَضَلاته، وبالحج مُشاهَدة المشاعر والحُجَّاج، فهذا يَنقُص أجر الإخلاص، ولكن إن كان الأغلب عليه نِيَّة التعبُّد فقد فاته كمالُ الأجر، ولكن لا يَضرُّه ذلك باقتِراف إثمٍ أو وِزر؛ لقوله تَعالى في الحُجَّاج: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [البقرة:١٩٨].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم (٢٩٨٥/ ٤٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإن كان الأغلب عليه نية غَير التَّعبُّد فليس له ثواب في الآخِرة، وإنما ثوابه ما حصَّله في الدنيا، وأخشى أن يَأثَم بذلك؛ لأَنَّه جعل العبادة التي هي أعلى الغايات وَسيلةً للدنيا الحقيرة، فهو كمَن قال الله فيهم: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة:٥٨].

وفي سُنن أبي داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجُلًا قال: يا رسول الله، رجُل يُريد الجهاد وهو يُريد عرَضًا من عرَض الدنيا، فقال النبي ﷺ: «**لا أَجْرَ لَهُ**»(١). فأعاد ثلاثًا، والنبي ﷺ يقول: «**لا أَجْرَ لَهُ**».

وفي الصَّحيحَين عن عُمر بنِ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**مَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»(٢).

وإن تَساوَى عِنده الأَمران فلم تَغلِب نية التَّعبُّد ولا نية غير التَّعبُّد فمَحَل نظَر.

والأقرب: أَنَّه لا ثَواب له كمَن عمِل لله تعالى ولغيره.

والفرق بين هذا القِسم والذي قبله: أن غَرَض غير التَّعبُّد في القسم السابق حاصِل بالضَّرورة، فإرادته إرادة حاصِلة بعمَله بالضرورة، وكأَنَّه أراد ما يَقتضِيه العمَل مِن أمر الدنيا.

فإن قيل: ما هو المِيزان لكون مَقصودِه في هذا القسم أَغلبُه التَّعبُّد أو غير التَّعبُّد؟

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد، باب في الرمي، رقم (٢١١٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، رقم (١)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّة**...»، رقم (١٩٠٧/ ١٥٥)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قلنا: المِيزان أنَّه إذا كان لا يَهتَمُّ بما سِوى العِبادة -حصَل أم لم يَحصُل- فقد دَلَّ على أن الأَغلَب نِيَّة التَّعبُّد، والعكس بالعكس.

وعلى كل حال فإن النية -التي هي قول القلب- أَمرُها عظيم وشأنها خطير، فقد تَرتَقِي بالعبد إلى درجة الصِّدِّيقين، وقد تَرُدُّه إلى أسفلِ السافِلِين، قال بعض السَّلَف: «ما جاهدْتُ نفسي على شيء مُجاهَدَتها على الإخلاص». فنَسأل الله لنا ولكم الإخلاص في النية، والصلاح في العمَل.

س(٧٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن قول مَن يَذكُر في دعائه: «الله لا يَمتحنا أو الله لا يَبتَلِينا» فما حُكْم ذلك؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: المِحنة والابتِلاء مَعناهما مُتقارِب، وتكون في الخير، وتكون في الشر، قال الله تَعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥]. وقال تَعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١].

ولكن الدعاءَ بقَولِ: «اللهم لا تَمتَحِنَّا أو لا تَبْلُونا» إنَّما يُرِيد القائِل بهذا الدعاء: الامتِحان في الشر والابتِلاء في الشر، ولا حرج أن يَقول الإنسان: «اللهم لا تَمتَحِنَّا» بهذا المعنى، أو: «اللهم لا تَبلونا» بهذا المعنى؛ لأن الإنسان يَسأَلُ الله ألا يَبتَلِيَه بالشر خوفًا مما إذا وقع الشر لم يَستطِعِ الخلاصَ مِنه.



س(٨٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: قسَّم أهل العِلْم الدعاء إلى قِسمين: دعاء عِبادة، ودعاء مَسألة، فماذا يُقصَد بكل مِنهما؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: يُريد العُلَماء رَحِمَهُمُ اللهُ بتَقسيم الدعاء إلى قِسمَين -دعاء مَسألة، ودعاء عِبادة- ما ذكره الله تَعالى في قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

فدُعاء المَسألة: أن تَسأَلَ اللهُ تَعالى حاجاتِك بأن تَقول: ربِّ اغفِرْ لي، وارْحمْني، وارزُقنِي، وعافني، واجبُرْني، وما أشبهَ ذلك.

ودعاء العِبادة: أن تَتعبَّد لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بما شَرَع، فتُصلِّي، وتُزكِّي، وتَصوم، وتَحجُّ، وتَفعَل الخير؛ لأن هذا الذي يَتعبَّد لله ما قَصَد إلا رِضوان الله وثَوابه، فهو داع لله تَعالى بلسان الحال له، لا بلِسان المَقال، على أن بَعضَ هذه العِبادات التي يَتعبَّد بها تَتضمَّن دُعاء المسألة كالصلاة مثلًا، ففي الصلاة يَقول المُصلِّي: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] في الجلسة بين السجدتَين، وهذا دعاء مَسألة.

ويَقول: ربِّ اغفر لي، وهذا دُعاء مَسألة.

ويَقول في التَّشهُّد: «السلامُ عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عِباد الله الصالِحين، اللهم صلِّ على محمد، اللهم بارِكْ على محمد، أعوذ بالله مِن عذاب جَهنَّم...» وهذا كلُّه دُعاء مَسألة.

فالفرق بَينَهما: أن دُعاء المَسألة أن يَسأل اللهَ تَعالى شيئًا مُباشَرة، سواء سَأَله حصول مَطلوب، أو سأله النَّجاة مِن مرهوب، ودعاء العِبادة: أن يَتعبَّد لله تَعالى بما شَرَع؛ رجاء ثوابه جل وعلا، وخوفًا مِن عقابه، هذا هو مَعنى تَقسيم أهل العِلْم

رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وقد عَلِمنا أن الدعاء نفسَه عِبادة كما يَدُلُّ عليه قوله تَعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]. ولم يَقُلْ: «عن دعائي»، وهذا يَدُلُّ على أن الدعاء عِبادة.

وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]. ودُعاء الله تَعالى بأسمائه الحسنى يَتضمَّن سُؤاله بها، مثل: يا غفورُ اغفِرْ لي، يا رَحيمُ ارحَمْني، ويَتضمَّن التَّعبُّد لله تَعالى بمُقتَضاه، فإذا عَلِمنا أنَّه غفور عمِلنا ما يكون سَببًا للمغفرة، وإذا عَلِمنا أنَّه رحيم عمِلنا ما يَكون سببًا للرحمة، وإذا علِمنا أنَّه رزَّاق عمِلنا ما يَكون سببًا للرزق، وهلمَّ جرًّا.

| س(٨١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن مَذهَب أهل السُّنَّة والجماعة في الرجاء والخوف؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: اختَلف العُلَماء هل يُقدِّم الإنسان الرجاء أو يُقدِّم الخوف على أقوال:

فقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنبَغي أن يَكون خوفه ورَجاؤه واحدًا، فلا يُغلِّب الخوف ولا يُغلِّب الرجاء». قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأيُّهما غلَب هلك صاحبه»[1]. لأنَّه إن غلَّب الرجاء وقع الإنسان في الأمن مِن مَكْر الله، وإن غَلَّب الخوف وقَع في القُنوط مِن رحمة الله.

وقال بعض العُلَماء: «يَنبغِي تَغليب الرجاء عند فِعْل الطاعة، وتَغليب الخوف عند إرادة المَعصية»؛ لأنَّه إذا فَعَل الطاعة فقد أتى بمُوجِب حُسْن الظن، فيَنبغي أن

---

(١) ينظر: المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٤٧).

يُغلِّب الرجاء وهو القَبول، وإذا هـمَّ بالمعصية أن يُغلِّب الخوف؛ لئلا يَقَع في المَعصية.

وقال آخرون: «يَنبغي للصحيح أن يُغلِّب جانب الخوف، وللمريض أن يُغلِّب جانب الرجاء»؛ لأن الصحيح إذا غَلَّب جانب الخوف تَجنَّب المعصية، والمريض إذا غَلَّب جانب الرجاء لقِيَ الله وهو يُحسِن الظن به.

والذي عندي في هذه المسألة: أن هذا يَختَلِف باختلاف الأحوال، وأنَّه إذا خاف إذا غلَّب جانب الخوف أن يَقنَط مِن رحمة الله وجَب عليه أن يَرُدَّ ويُقابِل ذلك بجانب الرجاء، وإذا خاف إذا غلَّب جانب الرجاء أن يَأمَن مَكْر الله فليَرُدَّ ويُغلِّب جانب الخوف، والإنسان في الحقيقة طبيب نفسه إذا كان قلبه حيًّا، أما صاحب القلب الميِّت الذي لا يُعالِج قلبه ولا يَنظُر أحوال قلبه فهذا لا يُهِمُّه الأمر.

س(٨٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: يَرِدُ في دعاء البعض قولهم: «اللهم إنَّنا لا نَسألُك ردَّ القضاء، ولكن نَسألُك اللُّطْف فيه» فما حكم هذا الدعاء؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا نَرى هذا الدعاء، بل نَرى أنَّه مُحرَّم وأنَّه أعظم مِن قول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللهم ارْحَمْني إِنْ شِئْتَ**»(١)؛ وذلك لأن الدعاء مما يَرُدُّ الله به القضاء، كما جاء في الحديث: «**لا يَرُدُّ**

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له، رقم (٦٣٣٩)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب العزم بالدعاء ولا يقل: إن شئت، رقم (٨/٢٦٧٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الْقَضَاءَ إِلا الدُّعَاءَ»[1]. والله عَزَّوَجَلَّ يَقضِي الشيء ثم يَجعَل له مَوانِع، فيَكون قاضيًا بالشيء وقاضيًا بأن هذا الرجل يَدعو فيُرَدُّ القضاء، والذي يَرُدُّ القضاء هو الله عَزَّوَجَلَّ.

فمثلًا: الإنسان المَريض، هل يَقول: اللهم إنِّي لا أَسأَلُك الشفاء، ولكني أَسأَلُك أن تُهوِّن المَرض؟

والجواب: أنَّه لا يَدعو بذلك، بل يَقول: اللهم إني أَسأَلُك الشفاء، فيَجزِم بطلب المَحبوب إليه دون أن يَقول: «يا ربِّ أَبْقِ ما أَكره، لكن الطُف بي فيه»، والله عَزَّوَجَلَّ هو أَكرَم الأكرمين وأَجود الأجوَدِين، وهو القادِر على أن يَرُدَّ عنك ما كان أَراده أولًا بسبب دُعائِك.

فلهذا نَحن نَرى: أن هذه العبارة مُحرَّمة، وأن الواجِب أن نَقول: اللهم إني أَسأَلُك أن تُعافِيَني، وأن تَشفِيَني، أو أن تَرُدَّ عليَّ غائبي، وما أشبه ذلك.

* * *

س(٨٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما رأْيُكم بقول الداعي في دعائه: اللهُمَّ لا تُعامِلنا بعَدْلكَ، بل عامِلْنا بعَفوكَ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الأولى أن يَقول: اللهم عامِلْنا بعفوك وفضلكَ، وأن يَدَعَ قوله: «اللهم لا تُعامِلْنا بعَدلِكَ»؛ لأنَّه لا داعيَ لها، وإلا فمِن المَعلوم أن الله لو عامَل الناس بعَدْله لأهلكهم جميعًا، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، رقم (٢١٣٩) من حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل:٦١]. ثم إن الله تَعالى لو عامَل الإنسان بعَدْله لكانت نِعمة واحدة تَستوعِب جميع أعماله التي عمِلها، بل لكانت أعماله الصالحة التي عمِلها نعمة مِن الله تَستحِقُّ المُكافأة والشُّكْر، كما قيل[1]:

إِذا كانَ شُكْرِي نِعْمَةَ اللهِ نعمةً ... عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ

فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إِلا بِفَضْلِهِ ... وَإِنْ طَالَتِ الأَيَّامُ وَاخْتُصِرَ العُمْرُ

فلا داعيَ أن يَقول الداعي: «اللهم لا تَعاملنا بعَدْلِك، ولكِن عامِلنا بفَضلِك»، بل نَقول: قل: اللهُمَّ عامِلنا بفَضلِك، ولا تُعامِلنا بسُوء أفعالِنا؛ فإنك ذو الفَضْل العَظِيم، ونَحن ذَوُو الإساءة، ونَستَغْفِرك اللهُم ونَتوبُ إليك.

س(٨٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن إخلاص النِّيَّة في العَمَل؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إخلاص النية في العَمَل هو: أن يَتَناسَى الإنسان كل ما سِوى الله، وألا يَكون الحامِل له على هذه العبادة إلا امتِثال أَمْر الله عَزَّوَجَلَّ، وإرادة ثَوابه، وابتِغاء وجهه عَزَّوَجَلَّ، وأن يَتَناسَى كل شيء يَتعلَّق بالدنيا في هذه العِبادة، فلا يَهتَم بالناس أرأوه أم لم يَرَوْه، أَسمِعوه أم لم يَسمَعوه، ولا يُبالِي بهم أَثْنوا عليه أم قَدَحوا فيه، وكذلك أيضًا مِن أسباب الإخلاص أن يَكون الإنسان حين قِيامه بالعِبادة مُستَحضِرًا لأَمْر الله عَزَّوَجَلَّ بها، ومُستحضِرًا لاتِّباع الرسول ﷺ فيها.

---

(١) البيتان لمحمود الوراق، ينظر: الفاضل للمبرد (ص:٩٥).

مِثال ذلك: رجُل قام يَتوَضَّأ للصَّلاة، فهنا نَقول: أولًا استَحضِر أنَّك إنما توَضَّأتَ امتِثالًا لأَمْرِ الله عَزَّوَجَلَّ، كأنَّك الآن تَقرَأ قولَ الله تَعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [المائدة:٦]. كأنَّكَ بوُضوئِك تَقول: سَمْعًا وطاعة، فتَجِد بهذا حلاوة ولذَّة وحبًّا للطهارة؛ لأن الله أَمَرَك بها، ثم استَحْضِرْ أنك في هذا العمل مُتَّبع لرسول الله ﷺ، كأنما رسول الله ﷺ أمامك وأنت تَتْبَعه في هذا الوضوء، وبهذا يَتحقَّق لك الثواب والأَجْر للإخلاص والمُتابَعة، وبذَلكَ تُحقِّق شهادةَ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

س(٨٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن إخلاص العبادة لله جَلَّوَعَلَا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الإخلاص شرْط في جميع العبادات، فلا تَصحُّ العبادة مع الإشراك بالله تَبَارَكَوَتَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠]. وقالَ الله تَعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥]. وقال الله تَعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر:٢-٣]. وفي الحديث الصحيح القُدُسيِّ أن النبي ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم (٢٩٨٥/ ٤٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

والإخلاص لله في العِبادة مَعناه: ألا يَحمِل العَبدَ إلى العِبادة إلا حُبُّ الله تَعالى وتَعظيمه ورَجاءُ ثوابه ورِضوانُه؛ ولهذا قالَ الله تَعالى عن محمد رسول الله ﷺ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا﴾ [الفتح:٢٩]، فلا تُقبَل العِبادة إذا كان الإنسان يُرائِي بها عبادَ الله، فيَقوم بها مِن أَجْل أن يَراه الناس، فيَقولوا: ما أَتقَى فُلانًا، وما أَعبَدَ فُلانًا لله، وما أَشبَه هذا، فهذا لا تُقبَل مِنه العِبادة إذا كان الحامل عليها رُؤية الناس، أو ما أَشبَه ذلك مما يُنافِي الإخلاص.

ومما يَجِب التَّنبيه عليه: في النية في الحج فنَقول: يَجِب على الحُجاج الذين يَؤُمُّون البيت الحرام أن يُخلِصوا نِيَّتَهم لله عَزَّوَجَلَّ، وألا يَكون غَرَضهم أن يُشاهِدوا العالَمَ الإسلامي، أو أن يَتَّجِروا، أو أن يُقال: فلان يَحُجُّ كل سَنة، وما أشبه ذلك، ولا حرَج على الإنسان أن يَبتَغِي فضلًا مِن الله بالتجارة وهو آمٌّ للبيت الحرام؛ لقول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [البقرة:١٩٨]، وإنَّما الذي يُخِلُّ بالإخلاص ألا يَكون له قَصْد إلا الاتِّجار والتَّكسُّب، فهذا يَكون ممَّن أراد الدنيا بعمَل الآخرة، وهذا يُوجِب بُطلان العمَل أو إنقاصه نَقْصًا شديدًا، قال الله تَعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى:٢٠].

س(٨٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل يَجوز للإنسان أن يَستعِيذ بكلِماتِ الله؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نعم، يَجوز ذلك؛ لأن كلِمات الله مِن صِفاته؛ ولهذا استَدَلَّ العُلَماء بقَول النبي ﷺ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»(١). استَدلُّوا بهذا الحديث على أن كَلام الله مِن صِفاته غير مَخلوق؛ لأن الاستِعاذة بالمَخلوق لا تَجوز، ولو كانتِ الكلِمات مَخلوقة ما أَرشَد النبيُّ ﷺ إلى الاستِعاذة بها.

س(٨٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل اتِّخاذ الأسباب يُنافِي التَّوكُّل؟ فبعض الناس إبَّان حَرْب الخليج اتَّخَذ الأسباب وبَعضُهم تَركها وقال: إنه مُتوكِّل على الله؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الواجب على المُؤمِن أن يُعلِّق قَلبه على الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يَصدُق الاعتِماد عليه في جَلْب المَنافع ودَفْع المَضارِّ، فإن الله وَحْده هو الذي بيَده ملكوت السَّموات والأرض، وإليه يُرجَع الأمرُ كله، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٢٣]. وقال موسى لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يونس:٨٤-٨٦].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، رقم (٢٧٠٨/ ٥٤) من حديث خولة بنت حكيم رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

وقال الله تَعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٠]. وقالَ تَعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٣]. فالواجِب على المُؤمِن أن يَعتمِد على ربه ربِّ السَّموات والأرض ويُحسِن الظنَّ به.

ولكن يَفعَل الأسباب الشرعية والقدَرية الحِسِّية التي أَمَر الله تَعالى بها؛ لأن أَخْذ الأسباب الجالبة للخير المانِعة مِن الشر مِن الإيمان بالله تَعالى وحِكمته، ولا تُنافي التَّوكُّل، فها هو سَيِّد المُتوكِّلين محمد رسول الله ﷺ كان يَتخِذ الأسباب الشرعية والقدرية، فكان يُعوِّذ نفسه عند النوم بالإخلاص والمُعَوِّذتَين[١]، وكان يَلبَس الدروع في الحروب[٢]، وخندق على المدينة حين اجتَمع أحزاب الشِّرك حولها حماية لها[٣]، وقد جَعَل الله تَعالى ما يَتَّقي به العبد شرورَ الحروب مِن نِعمه التي يَستحِقُّ الشكْر عليها، فقال عن نَبيِّه داود: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء:٨٠]. وأَمَر الله داودَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يُجيد صُنعها ويَجعَلها سابِغة؛ لأنها تَكون أقوى في التَّحصين.

وعلى هذا فإن أهل البلاد القريبة مِن مَواقِع الحرب التي يُخشَى أن يُصيبَها مِن آثاره ليس عليهم حَرَجٌ في الاحتِياط باستِعمال الكمامات المانِعة مِن تَسرُّب

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات، رقم (٥٠١٧) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد، باب في لبس الدروع، رقم (٢٥٩٠) من حديث السائب بن يزيد عن رجل، وابن ماجه: كتاب الجهاد، باب السلاح، رقم (٢٨٠٦) من حديث السائب بن يزيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد، باب التحريض على القتال، رقم (٢٨٣٤) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الغازات المُهلِكة إلى أبدانهم، والتحصينات المانِعة مِن تَسرُّبه إلى بُيوتهم؛ لأن هذا مِن الأسباب الواقية مِن الشرِّ المُحصِّنة مِن البأس، ولا حرَج عليهم أن يَدَّخروا لأنفسهم مِن الأطعمة وغيرها ما يَخافون أن يَحتاجوا إليه فلا يَجِدوه، وكُلَّما قوِيت الخشية مِن ذلك كان طلب الاحتِياط أقوى. ولكن يَجِب أن يَكون اعتِمادهم على الله عَزَّوَجَلَّ فيَستَعمِلوا هذه الأسباب بمُقتَضى شَرْع الله وحِكْمته على أنها أسبابٌ أذِن الله لهم فيها، لا على أنها الأصل في جلْب المَنافِع ودَفْع المَضارِّ، وأن يَشكُروا الله تَعالى حيث يَسَّر لهم مِثل هذه الأسباب وأذِن لهم بها.

والله أَسأَلُ أن يَقِيَنا جميعًا أسباب الفِتَن والهلاك، وأن يُحقِّق لنا ولإخواننا قُوَّة الإيمان به، والتَّوكُّل عليه، والأخذ بالأسباب التي أذِن بها على الوجه الذي يَرضَى به عنَّا، إنَّه جَواد كَريم. وصلَّى الله وسلم على نَبِيِّنا محمد وعلى آله وصحْبه أجمعين.

س(٨٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما حَقيقةُ التَّوكُّل على الله؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: حَقيقةُ التَّوكُّل على الله عَزَّوَجَلَّ: بتَفويض الأُمور إلى الله عَزَّوَجَلَّ كما قالَ الله تَعالى عن مُؤْمِن آل فرعون ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر:٤٤]. فيُفوِّض الإنسان أَمْره إلى الله، ويَصدُق في الاعتِماد عليه في جلْب المَنافِع ودَفْع المَضارِّ، ويَثِق في الله عَزَّوَجَلَّ وبوَعدِه، ويَفعَل الأسباب الشرعية والحِسِّية التي أَمَر الله بها.

ومَنِ اعتَمد على الله تَعالى على هذا الوصف فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حسْبُه وكافيه؛ لقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]. والمُصلِّي يُقرُّ بالتَّوكُّل

على الله -أو بما يَتضمَّنه- في كُل صَلاة، فيَقرَأ في كُل صلاة قَوله تَعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]. والاستِعانة تَستَلزِم تَفويض الأمر إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّه ليس لنا حَول ولا قُوة ولا قُدْرة على العبادة إلا بمَعونة الله، ثم فَعَل الأسباب المُوصِّلة إلى المَقصود شرعيَّة كانت أم حِسِّيَّةً.

فمَن قال: أنا أَعتمِد على الله وأتوكَّل عليه في حُصول الولد، ولم يَتزوَّج كان كاذبًا في تَوكُّله، فلا بدَّ أن يَتزوَّج، والزواج هو الوَسيلة الشرعية لحصول الولد.

ومَن قال: أنا أَعتمِد على الله، وأَلقى نفسَه في النار، أو ألقى نفسه في اليَمِّ وهو لا يَعرِف السباحة.

فنقول: أنت كاذب، لا بُدَّ أن تَفعَل الأسباب الواقِية مِن الغَرَق؛ ولهذا كان سيِّد المُتوكِّلين محمد ﷺ يَأخُذ بالأسباب الحِسِّية مع صِدْق تَوكُّله على الله، فكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الحرب يَلبَس دِرعًا مِن حديد يَقيه ﷺ السهامَ والحِراب، ورُبَّما لبِس دِرْعَين زيادة في الوقاية كما فعَل ذلك يوم أُحُد[1]، فلا بدَّ مِن فِعْل الأسباب النافِعة، شرعيةً كانت أم قَدَريَّة حسيَّةً، مِن أجل حصول المَقصود مِن الاعتماد على الله عَزَّوَجَلَّ.



(١) أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد، باب في لبس الدروع، رقم (٢٥٩٠) من حديث السائب بن يزيد عن رجل، وابن ماجه: كتاب الجهاد، باب السلاح، رقم (٢٨٠٦) من حديث السائب بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٨٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كيف يَكون الإنسان مُتوَكِّلًا على الله؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: يَكون الإنسان مُتوَكِّلًا على الله بأن يَصدُق الاعتِماد على ربِّه عَزَّوَجَلَّ، بحيثُ يَعلَم أنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي بيَده الخير وهو الذي يُدبِّر الأمور، ولقد قالَ النبي ﷺ لعبد الله بنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ**»[(١)]. فبِهذه العَقيدة يَكون الإنسان مُعتمِدًا على ربه جَلَّ وَعَلَا لا يَلتفِت إلى مَن سِواه.

ولكن حقيقة التَّوكُّل لا تُنافِي فِعْل الأسباب التي جَعَلها الله تَعالى سببًا، بل إن فِعْل الأسباب التي جَعَلها الله سببًا سَواء كانت شَرعيَّةً أم حِسِّيةً هي مِن تَمام التَّوكُّل، ومِن تَمام الإيمان بحِكْمة الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله تَعالى قد جَعَل لكل شيءٍ سببًا، وهذا النبي ﷺ -وهو سيِّد المُتوكِّلين- كان يَلبَس الدروع في الحرب، ويَتَوَقَّى البرْد، ويَأكُل ويَشرَب لإبقاء حياته ونمو جسمه، وفي غزوة أحد ظاهَر بين دِرْعَين[(٢)]. أي: لبس دِرْعَين.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢٩٣)، والترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد، باب في لبس الدروع، رقم (٢٥٩٠) من حديث السائب بن يزيد عن رجل، وابن ماجه: كتاب الجهاد، باب السلاح، رقم (٢٨٠٦) من حديث السائب بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهؤلاء الذين يَزعُمون أن حقيقة التَّوكُّل بتَرْك الأسباب والاعتِماد على الله عَزَّوَجَلَّ هم في الواقع خاطِئون، فإن الذي أَمَر بالتَّوكُّل عليه له الحِكمة البالغة في تقديره وفي شَرْعِه، قد جَعَل للأمور سببًا تَحصُل به.

ولهذا لو قال قائل: أنا سأتوكَّل على الله تَعالى في حُصول الرِّزق، وسأَبْقى في بيتي فلا أبحث عن الرِّزق.

قلنا: إن هذا ليس بصَحيح، وليس تَوكُّلًا حَقيقيًّا، فإن الذي أَمَرك بالتَّوكُّل عليه هو الذي قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:١٥].

ولو قال قائِل: أنا سأَتَوكَّل في حُصول الولد أو في حُصول الزَّوجة، ولم يَشرَع في طلب الزوجة وخِطبتها، لعدَّه الناس سَفيهًا، ولكان فِعله هذا مُنافيًا لما تَقتَضيه حِكمة الله عَزَّوَجَلَّ.

ولو أن أحدًا أكل السّمَّ وقال: إنِّي أَتوكَّل على الله تَعالى في ألا يَضُرَّني هذا السّمُّ، لكان هذا غيرَ مُتوكِّل حقيقة؛ لأن الذي أَمَرنا بالتَّوكُّل عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي قال لنا: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٢٩]. ففِعْل الأسباب التي جَعَلها الله تَعالى أسبابًا لا يُنافِي كمال التَّوكُّل به، بل هو مِن كَماله، وأن التَّعرُّض للمُهلِكات لا يُعَدُّ مِن تَوكُّل الإنسان على الله، بل هو خِلاف ما أَمَر الله عَزَّوَجَلَّ به.



س (٩٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: ما حُكم التَّعلُّق بالأسباب؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: التَّعلُّق بالأسباب أقسام:

القِسْم الأوَّل: ما يُنافِي التَّوْحيد في أصله، وهو أن يَتعلَّق الإنسان بشَيء لا يُمكِن أن يَكون له تَأثير، ويَعتمِد عليه اعتِمادًا كامِلًا مُعْرِضًا عن الله.

مِثاله: تَعلُّق عُبَّاد القَبور بمن فيها عند حلول المَصائب. وهذا شِرْك أَكبَر مُخرِج عنِ المِلَّة، وحكم الفاعل ما ذَكَره الله تَعالى بقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

القِسْم الثَّاني: أن يَعتمِد على سبب شَرعيٍّ صحيح مع غَفلته عن المُسبِّب وهو الله تَعالى، فهذا نَوع مِن الشِّرْك، ولكن لا يُخرِج مِن المِلَّة؛ لأَنَّه اعتَمَد على السبب ونَسِي المُسبِّب وهو الله تعالى.

القسم الثَّالث: أن يَتعلَّق بالسبب تَعلُّقًا مُجرَّدًا لكونه سَببًا فقط، مع اعتِماده الأصلي على الله، فيَعتَقِد أن هذا السبب مِن الله، وأن الله لو شاء قَطَعه ولو شاء لأبقاه، وأَنَّه لا أثر للسبب في مَشيئة الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا لا يُنافِي التَّوْحيد لا أصلًا ولا كمالًا.

ومع وجود الأسباب الشرعيَّة الصحيحة يَنبَغي للإنسان ألا يُعلِّق نفسه بالسبب، بل يُعلِّقها بالله، فالمُوظَّف الذي يَتعلَّق قلبه بمُرتَّبه تَعلُّقًا كامِلًا مع الغفلة عن المُسبِّب -وهو الله- فهذا نوع مِن الشِّرْك، أما إذا اعتَقد أن المُرتَّب سبب والمُسبِّب هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهذا لا يُنافِي التَّوكُّل، والرسول ﷺ كان يَأخُذ بالأسباب مع اعتِماده على المُسبِّب وهو الله عَزَّوَجَلَّ.

س(٩١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن حُكْم الرُّقية؟ وعن حُكْم كِتابة الآيات وتَعلِيقها في عُنُق المريض؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الرُّقية على المريض المصاب بسِحر أو غيره مِن الأمراض لا بأس بها إن كانت مِن القرآن الكريم أو مِن الأدعية المُباحة، فقد ثَبَت عن النبي ﷺ أنَّه كان يَرقِي أصحابه، ومِن جُملة ما يَرقِيهم به: «**رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ فَاجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجَعِ**»(١). فيَبرَأ.

ومِن الأَدعِية المَشروعة قوله ﷺ: «**بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، وَاللهُ يَشْفِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حاسِدٍ اللهُ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ**»(٢). ومِنها ما أرشد إليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِن أن يَضَع الإنسان يده على الألم الذي يُؤلِمه مِن بَدَنه فيقول: «**أَعُوذُ بِاللهِ وَعِزَّتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**»(٣). إلى غير ذلك مما ذكَره أهل العِلْم مِن الأحاديث الوارِدة عنِ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما كتابة الآيات والأذكار وتَعليقها فقَدِ اختَلف أهل العِلْم في ذلك:

فمِنهم مَن أجازه.

ومِنهم مَن مَنَعه.

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الطب، باب كيف الرقى، رقم (٣٨٩٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٨٠٩) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، رقم (٢١٨٦/ ٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء، رقم (٢٢٠٢/ ٦٧) من حديث عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والأقرب: المَنع مِن ذلك؛ لأن هذا لم يَرِدْ عن النبي ﷺ، وإنما الوارِد أن يُقرَأ على المَريض، أما أن تُعلَّق الآيات أوِ الأدعية على المَريض في عُنُقه، أو في يده، أو تحت وِسادَته، وما أشبهَ ذلك، فإن ذلك مِن الأمور المَمنوعة على القول الراجِح؛ لعدم وُرودها، وكل إنسان يَجعَل مِن الأمور سببًا لأَمرٍ آخر بغَير إذْن مِن الشَّرْع فإن عمَله هذا يُعَدُّ نوعًا مِن الشِّرْك؛ لأنَّه إثْبات سَبب لم يَجْعَله الله سَببًا.

س(٩٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل الرُّقْية تُنافِي التَّوكُّل؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: التَّوكُّل هو: صِدق الاعتِماد على الله عَزَّوَجَلَّ في جَلْب المَنافِع ودَفْع المَضارِّ مع فِعْل الأسباب التي أَمَر الله بها، وليس التَّوكُّل أن تَعتمِد على الله بدون فِعْل الأسباب، فإن الاعتِماد على الله بدون فعل الأسباب طَعْن في الله عَزَّوَجَلَّ وفي حِكْمته تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ لأن الله تَعالى رَبَط المُسبَّبات بأسبابها.

وهنا سؤال: مَنْ أعظمُ الناس توكُّلًا على الله؟

والجواب: هو الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهل كان يَعمَل الأسباب التي يَتَّقِي بها الضَّرَر؟

الجواب: نعم، كان إذا خَرَج إلى الحرب يَلبَس الدروع ليَتوَقَّى السهام، وفي غزوة أُحُد ظاهَر بَين دِرْعَين[1]، أي: لِبس دِرْعَين، كل ذلك استِعدادًا لما قد يَحدُث، ففِعل الأسباب لا يُنافِي التَّوكُّل إذا اعتَقَد الإنسان أن هذه الأسباب مُجرَّد أسباب

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد، باب في لبس الدروع، رقم (٢٥٩٠) من حديث السائب بن يزيد عن رجل، وابن ماجه: كتاب الجهاد، باب السلاح، رقم (٢٨٠٦) من حديث السائب بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فقط لا تَأثِير لها بإذْن الله تَعالى، وعلى هذا فالقِراءة: قِراءة الإنسان على نفْسه، وقراءته على إخوانه المَرْضى، لا تُنافِي التَّوكُّل، وقد ثَبَت عن النبي ﷺ أنَّه كان يَرقِي نفسه بالمُعوِّذات[(١)]، وثَبَت أنَّه كان يَقرَأ على أصحابه إذا مَرِضوا[(٢)]. والله أعلَم.

س(٩٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل التداوِي بالحلال يُنافِي التوكُّل؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا يُنافِي التوكُّل إذا كان المُتداوِي مُعتَمِدًا على الله تَعالى في شفاء مَرضه، ولكنه تَداوَى مُعتقِدًا أن الأمر بيد الله وأن هذا الدواء سَببٌ للشِّفاء امتَنَّ الله به، وقد أمر النبي ﷺ بالتَّداوِي، ونهَى عن التداوِي بحَرام[(٣)].

س(٩٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن حُكْم تَعليق التمائِم والحجب؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذه المَسألة -أَعنِي: تَعليق الحجب والتمائِم- تَنقسِم إلى قِسمَين:

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات، رقم (٥٠١٧) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المرضى، باب دعاء العائد للمريض، رقم (٥٦٧٥)، ومسلم: كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، رقم (٢١٩١/ ٤٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة، رقم (٣٨٧٤)، من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

القسم الأول: أن يَكون المُعلَّق مِن القُرآن، وقدِ اختَلَف في ذلك أهل العِلْم سَلفًا وخَلفًا:

فمِنهم مَن أجاز ذلك، ورأى أنَّه داخل في قوله تَعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢]. وقوله تَعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ ﴾ [ص:٢٩]، وأن مِن بَركَته أن يُعلَّق ليَدفَع به السوء.

ومِنهم مَن مَنع ذلك وقال: إن تَعليقها لم يَثبُت عنِ النبي ﷺ أنَّه سَبب شَرعيٌّ يُدفَع به السوء أو يُرفَع به، والأصل في مِثل هذه الأشياء التوقيف، وهذا القول هو الراجِح، وأنَّه لا يَجوز تَعليق التمائِم ولو مِن القرآن الكريم، ولا يَجوز أيضًا أن تُجعَل تحت وِسادة المَريض، أو تُعلَّق في الجدار، وما أشبهَ ذلك، وإنما يُدعَى للمَريض ويُقرَأ عليه مُباشرة، كما كان النبي ﷺ يَفعَل.

القسم الثَّاني: أن يَكون المُعلَّق مِن غير القرآن الكريم مما لا يُفهَم مَعناه، فإنه لا يَجوز بكل حال؛ لأنَّه لا يَدرِي ماذا يَكتُب، فإن بعض الناس يَكتُبون طلاسِم وأشياء مُعقَّدة وحروفًا مُتداخِلة ما تَكاد تَعرِفها ولا تَقرَؤُها، فهذا مِن البِدَع وهو مُحرَّم ولا يَجوز بكل حال. والله أعلَم.



س(٩٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: جاء في الحديث: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ»[1]. ما هي التِّوَلَة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: التِّولةُ: شَيء يَصنعونه يَزعُمون أنَّه يُحبِّب المَرأة إلى زوجها، والزوج إلى امرأته، وقريب مِن ذلك ما يُسمَّى بالدِّبْلة، فالزوج يَكتُب اسم امرأته في خاتَمه، والزوجة تَكتُب اسم زوجها في خاتَمها، ويدَّعون أنهما -أي: الزَّوجَين- يَحصُل بفِعْلهما هذا الأُلْفة بينهما، وأنَّه لو خلَع هذه الدِّبلة أو خَلَعَتْها فمَعناه الفِراق.

فإذا قال قائِل: ما هي الوَسيلة إلى أن يُحِبَّ الرجُل زَوجَته، والمرأة زوجها؟

فنَقول: الوسيلة على ذلك بيَّنها الله بقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩]. فإذا عاشَر كلُّ إنسان زوجته بالمَعروف، وهي كذلك حصَلت المَحبَّة والأُلفة والحياة الزوجيَّة السعيدة.

س(٩٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن حُكْم النَّفْث في الماء؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: النَّفْث في الماء على قِسمَين:

القِسْم الأوَّل: أن يُراد بهذا النَّفثِ التَّبرُّك بريق النافِث، فهذا لا شَكَّ أنَّه حرام ونَوع مِن الشِّرْك؛ لأن رِيق الإنسان ليسَ سَببًا للبركة والشفاء، ولا أحَدَ يُتَبَرَّك بآثارِه إلا محمد ﷺ، أما غيره فلا يُتبرَّك بآثاره، فالنبي ﷺ يُتبرَّك بآثاره في

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الطب، باب في تعليق التمائم، رقم (٣٨٨٣)، وابن ماجه: كتاب الطب، باب تعليق التمائم، رقم (٣٥٣٠) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

حياته وكذلك بعد مماته إذا بقِيَت تلك الآثار، كما كان عِند أُم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا جُلْجُل مِن فضة فيه شَعَرات مِن شَعْر النبي ﷺ يَستشفِي بِها المَرضَى[١]. فإذا جاء مَريض صَبَّت على هذه الشَّعَرات ماءً، ثُم حرَّكتْه ثم أَعطَتْه الماء، لكن غَيرُ النبي ﷺ لا يَجوز لأَحَد أن يَتبرَّك برِيقه، أو بعرَقه، أو بثَوْبه، أو بغير ذلك، بل هذا حَرام ونَوع مِن الشِّرْك، فإذا كان النَّفْث في الماء مِن أَجْل التَّبرُّك برِيق النافِث فإنه حرام ونَوع مِن الشِّرْك؛ وذلك لأن كل مَن أثبت لشيء سَببًا غيرَ شرعي ولا حِسِّيٍّ فإنه قد أتى نَوعًا مِن الشِّرْك؛ لأَنَّه جعل نفسه مُسبِّبًا مع الله، وثبوت الأسباب لمُسبباتها إنما يُتلقَّى مِن قِبَل الشرع؛ فلذلك كل مَن تَمسَّك بسبب لم يَجعَلْه الله سببًا، لا حِسًّا ولا شَرعًا، فإنه قد أَتى نَوعًا مِن الشِّرْك.

القِسْم الثَّاني: أن يَنفُث الإنسان بريق تلا فيه القرآن الكريم مِثل: أن يَقرَأ الفاتحة -والفاتحة رُقية، وهي مِن أعظَم ما يُرقَى به المريض- فيَقرأ الفاتحة ويَنفُث في الماء، فإن هذا لا بأس به، وقد فعله بَعض السَّلف، وهو مُجرَّب ونافِع بإذن الله، وقد كان النبي ﷺ يَنفُث في يديه عند نومه بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، فيَمسَح بهِما وجْهَه ومَا اسْتَطاع مِن جَسَده[٢]، صلوات الله وسلامه عليه، والله المُوفِّق.



---

(١) أخرجه البخاري: كتاب اللباس، باب ما يذكر في الشيب، رقم (٥٨٩٦) من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات، رقم (٥٠١٧) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

س(٩٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: جاء في الفتوى السابقة أن التَّبرُّك برِيق أحَدٍ غير النبي ﷺ حرام، ونَوع مِن الشِّرْك، باستِثناء الرقية بالقُرآن؛ حيث إن هذا يُشكِل مع ما جاء في الصحيحين مِن حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ كان يَقول في الرقية: «بِسْمِ اللهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا»[1] فنَرجو مِن فضيلتكم التَّكرُّم بالتَّوضِيح؟

فأَجَابَ بِقَوْلِهِ: ذكَر بعض العُلَماء أن هَذا مَخصوص برَسول الله ﷺ وبأرْض المَدينة فقط، وعلى هذا فلا إِشكال.

ولكن رأى الجُمهور أن هذا ليس خاصًّا برسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولا بأرض المدينة، بل هو عامٌّ في كل راقٍ وفي كل أرض، ولكِنه ليس من باب التبرُّك بالريق المُجرَّدة، بل هو رِيق مَصحوب برُقية وتُرْبة للاستِشفاء وليس لمُجرَّد التَّبرُّك. وجوابنا في الفَتوى السابقة هو التَّبرُّك المَحضُ بالريق، وعليه فلا إِشكال لاختِلاف الصورتين.

س(٩٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن رجل يَأخُذ الأجرة على الكِتابة مما يُعلَّق في الرقية، فهل يَجوز ذلك؟

فأَجَابَ بِقَوْلِهِ: يَنبَغي أن نَعرِف حُكْم الخطوط التي تُعلَّق، فإن السَّلف اختَلفوا فيها:

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ رقم (٥٧٤٥)، ومسلم: كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين رقم (٢١٩٤)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فمِنهم: مَن مَنَع مِنها كابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيرِه، فعلى هذا لا تَجوز كتابَتها؛ لأنها إعانة على مُحرَّم، لا بعِوَض ولا بغير عِوَض.

ومِن السَّلف: مَن أَجازَها إذا كانت مِن القرآن أو الأدعية المُباحة، وعلى هذا القول فيَجوز أَخْذ الأُجرة عليها؛ لأن الأُجرة في مُقابلة عمَله وقِيمة الحِبْر والقرطاس ونحوه.

حرِّر في ٥/ ٥/ ١٣٨٥هـ.



| س(٩٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: هل تَجوز كِتابة بعضِ آيات القرآن الكريم «مِثل آية الكرسيِّ» على أواني الطعام والشراب لغَرَض التَّداوِي بها؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: يَجِب أن نَعْلَم أن كِتاب الله عَزَّوَجَلَّ أعز وأجل مِن أن يُمتَهن إلى هذا الحدِّ ويُبتذَل إلى هذا الحَد، كيف تَطيب نفس مُؤمِن أن يَجعَل كِتاب الله عَزَّوَجَلَّ وأعظم آيةٍ في كِتاب الله -وهي آية الكرسيِّ- أن يَجعلَها في إناء يَشرَب فيه ويُمتَهن ويُرمَى في البيت ويَلعَب به الصِّبيان؟! هذا العمَل لا شكَّ أنَّه حرام، وأنَّه يَجِب على مَن عِنده شيء مِن هذه الأواني أن يَطمِس هذه الآيات التي فيها، بأن يَذهَب بها إلى الصانِع فيَطمِسها، فإن لم يَتمكَّن مِن ذلك فالواجِب عليه أن يَحفُر لها في مَكان طاهِر ويَدفِنَها، وأما أن يُبقِيَها مُبتَذلة مُمتَهنة يَشرَب بها الصِّبيان ويَلعَبون بها فإن الاستِشفاء بالقرآن على هذا الوجه لم يَرِد عن السَّلَف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.



س(١٠٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن حُكْم لُبْس السوار لعلاج الروماتيزم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: اعْلَم أن الدواء سَبب للشفاء، والمُسبِّب هو الله تعالى، فلا سَبب إلا ما جعَله الله تَعالى سببًا، والأسباب التي جَعَلها الله تَعالى أسبابًا نوعان:

النوع الأوَّل: أسباب شرعية، كالقرآن الكريم والدعاء، كما قال النبي ﷺ في سورة الفاتحة: «**وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ**»(١) وكما كانَ النبي ﷺ يَرقِي المَرضى بالدعاء لهم فيَشفِي الله تعالى بدُعائه مَن أراد شِفاءه به.

النوع الثَّاني: أسباب حسِّيَّة، كالأدوية المادِّيَّة المَعلومة عن طريق الشرْع كالعسل، أو عن طريق التَّجارِب مِثل: كثير مِن الأدوية.

وهذا النوع لا بدَّ أن يَكون تأثيره عن طريق المُباشَرة لا عن طريق الوهم والخيال، فإذا ثبَت تَأثِيره بطريق مُباشِر محَسوس صحَّ أن يُتَّخَذ دواء يَحصُل به الشفاء بإذن الله تَعالى، أما إذا كان مجُرَّد أوهام وخَيالات يَتوهَّمها المَريض فتَحصُل له الراحة النفسية بِناءً على ذلك الوَهم والخيال ويَهون عليه المَرَض، وربما يَنبَسِط السرور النفسي على المَرَض فيَزول، فهذا لا يَجوز الاعتِماد عليه ولا إثبات كونه دواءً؛ لئلا يَنساب الإنسان وراء الأوهام والخيالات؛ ولهذا نُهِي عن لُبْس الحلقة والخيط ونحوهما لرفْع المَرَض أو دَفْعه؛ لأن ذلك ليس سَببًا شرعيًّا ولا حسِّيًّا، وما لم يَثبُت كونه سببًا شرعيًّا ولا حسِّيًّا لم يَجُز أن يُجعَل سببًا، فإن جَعْلَهُ سببًا نَوع مِن مُنازَعة الله تعالى في مُلكه وإشراك به حيث شارَكَ اللهَ تعالى في وضْع الأسباب

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإجارة، باب ما يعطى في الرقية، رقم (٢٢٧٦)، ومسلم: كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية، رقم (٢٢٠١)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لُمسبَّباتها، وقد تَرجَم الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذه المَسألة في كتاب التَّوْحيد بقـوله: «باب مِن الشِّرْك لُبْس الحلقـة والخيط ونحـوهما لدَفْـع البلاء أو رَفْعه».

وما أظن السوار الذي أعطاه الصَّيدلي لصاحِب الروماتيزم الذي ذُكِر في السؤال إلا مِن هذا النوع؛ إذ ليس ذلك السوار سَببًا شرعيًّا ولا حسِّيًّا تُعلَم مُباشَرته لمَرَض الروماتيزم حتى يُبرِئه، فلا يَنبَغِي للمُصاب أن يَستعمِل ذلك السوار حتَّى يَعلَم وجهَ كونه سببًا، والله المُوفِّق.

س(١٠١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما معنى حُسْنُ الظنِّ بالله؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: حُسنُ الظن بالله: أن الإنسان إذا عمِل عمَلًا صالحًا يُحسِن الظن بربه أنَّه سيَقبَل مِنه: إذا دعا الله عَزَّوَجَلَّ يُحسِن الظن بالله أنَّه سيقبَل مِنه دُعاءه ويَستجِيب له، وإذا أَذنَب ذَنْبًا ثم تاب إلى الله ورجَع من ذلك الذَّنْب فيُحسِن الظن بالله أنَّه سيَقبَل توبته، إذا أَجرى الله تعالى في الكون مَصائِبَ يُحسِن الظنَّ بالله وأنَّه جل وعلا إنما أَحدَث هذه المَصائبَ لِحكَم عظيمة بالغة، فيُحسِن الظن بالله في كُلِّ ما يُقدِّره الله عَزَّوَجَلَّ في هذا الكون، وفي كل ما شَرَعه الله تَعالى على لسان رَسوله ﷺ بأنَّه خير ومَصلحة للخَلْق، وإن كان بعض الناس لا يُدرِك هذه المَصلَحة ولا يُدرِك تِلك الحِكْمة مما شَرَع، ولكن علينا جميعًا التسليم بقَضاء الله تَعالى شرْعًا وقدَرًا وأن نُحسِن به الظن؛ لأنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أهل الثَّناء والمَجد.



س(١٠٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: بعض النِّساء إذا أُصيبَت بتكة (ضيق نفس) عَلَّقت على رقبَتها آياتٍ قرآنية فهل يَجوز لها ذَلك؟ وما رَأْيُكم في الكِتابة على الحزاة وما شابهها؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إذا كان المُعلَّق مِن القرآن أو الأدعية المُباحة فلا بأس به إذا لم يَحصُل امْتِهان له، وبعض السَّلف يَكرَه ذلك مُطلقًا.

وأما الكِتابة على الحزاة[1] ونحوها فليس به بَأس، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الهَدْي: يكتب عليه: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ بحَوْل الله وقُوَّته[2].



(١) هو مرض جلدي.

(٢) ينظر: زاد المعاد (٤/ ٣٥٨).



الأَسْماء والصِّفات

س(١٠٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عـمَّا يَتعلَّمه طلبة المدارس في بعض البلاد الإسلامية مِن أن مَذهَب أهل السُّنَّة هو: «الإيمان بأَسْماء الله تَعالى وصِفاته، مِن غير تَحرِيف، ولا تَعطـيل، ولا تَكيِيف، ولا تَمـثِيل». وهل تَقسِيم أهل السُّنَّة إلى قسمين: مَدرسة ابن تيميَّة وتلاميذه، ومدرسة الأشاعِرة والماتريدية تَقسيم صحيح؟ وما مَوقف المسلم مِن العُلَماء المُؤَوِّلِين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا شكَّ أن ما يَتعلَّمه الطلبة في المدارس مِن أن مَذهَب أهل السُّنَّة هو: «الإيـمان بأَسْماء الله تَعالى وصِفـاته، مِن غير تَحرِيف، ولا تَعطـيل، ولا تَكيِيف، ولا تَمثِيل». هو المُطابِق للواقِع بالنسبة لمَذهَب أهل السُّنَّة، كما تَشهَد بذلك كتُبهم المُطوَّلة والمُختَصرة، وهو الحق المُوافِق لما جاء في الكِتاب والسُّنَّة وأقوال السَّلف، وهو مُقتَضى النظر الصحيح والعَقْل الصريح، ولسنا بصَدَد سَرْد أفراد الأدلَّة في ذلك؛ لعدم طلَبه في السؤال، وإنما نُجِيب على ما طلب، وهو تَقسيم أهل السُّنَّة إلى طائِفَتَين في مَدرَسَتَين:

إحداهما: مَدرسة ابن تيميَّة وتلاميـذه، المـانِعين لصرْف النصـوص عـن ظواهِرها.

الثَّانية: مَدرسة الأشـاعِرة والماتريدية، المُوجِبين لصرْفهـا عن ظواهِرهـا في أَسْماء الله وصِفاته.

فنَقول: مِن المَعلوم أن بين هاتين المَدرَستَين اختِلافًا بَيِّنًا في المِنهاج فيما يَتعَلَّق بأَسْماء الله وصِفاته.

فالمدرسة الأولى: يُقرِّر مُعلِّموها وُجوب إبقاء النصوص على ظواهِرها فيما يَتعلَّق بأَسْماء الله وصِفاته، مع نَفْي ما يَجِب نفيه عن الله تَعالى مِن التمثِيل أو التكْيِيف.

والمدرسة الثَّانية: يُقرِّر مُعلِّموها وُجوب صَرْف النصوص عن ظواهِرها فيما يَتعلَّق بأَسْماء الله وصِفاته.

وهذان المِنهاجان مُتغايِران تمامًا، ويَظهَر تَغايُرهما بالمِثال التالي:

قال الله تَعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]. وقال فيما حكاه عن مُعاتَبة إبليسَ حين أبى أن يَسجُد لآدمَ بأمْر الله: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]. فقدِ اختَلَف مُعلِّمو المَدرَستَين في المُراد باليدين اللتَين أثبتَهما الله تَعالى لنفسه.

فقال أهل المَدرَسة الأُولى: يَجِب إبقاء مَعناهما على ظاهِره، وإثبات يَدَين حقيقِيَّتَين لله تَعالى على وجهٍ يَليقُ به.

وقال أهل المَدرَسة الثَّانية: يَجِب صَرْف مَعناهما عن ظاهِره، ويَحرُم إِثبات يَدَين حقِيقيَّتَين لله تَعالى، ثم اختَلَفوا في المُراد بهما هل هو القوة أو النِّعْمة.

وبهذا المِثال يَتبيَّن أن مِنهاجَي أهل المَدرَستَين مُختَلِفان مُتغايِران، ولا يُمكِن بعد هذا التَّغايُر أن يَجتَمِعا في وصْف واحد، هو «أهل السُّنَّة».

إِذَنْ: فلا بدَّ أن يَختَصَّ وصْف أهل السُّنَّة بأحدهما دون الآخَر، فلْنَحْكُم بينهما

بالعدْل، ولنَعْرِضْهما على مِيزان القِسْط، وهو كِتاب الله تَعالى وسُنَّة رسوله ﷺ، وكلام الصحابة، والتابعين لهم بإحسان مِن سلَف الأُمَّة وأئمَّتها.

وليس في هذا المِيزان ما يَدُلُّ بأيِّ وجْه مِن وجوه الدَّلالة: المُطابقة، أو التَّضمُّن، أو الالْتِزام -صَريحًا أو إشارةً- على ما ذهَب إليه أهل المدرسة الثَّانية، بل في هذا المِيزان ما يَدلُّ دلالةً صريحة، أو ظاهِرة، أو إشارة على ما ذهَب إليه أهل المدرسة الأولى.

وعلى هذا فيَتعَيَّن أن يَكون وصْف أهل السُّنَّة خاصًّا بِهم لا يُشارِكهم فيه أهل المدرسة الثَّانية؛ لأن الحُكْم بمُشارَكتِهم إيَّاهُم جَوْر وجَمْع بَين الضِّدَّين، والجور مُمتَنِع شرْعًا، والجَمْع بين الضِّدَّين مُمتَنِع عقلًا.

وأما قَول أهل المَدرَسة الثَّانية: (المُؤَوِّلين) لا مانِع مِن تأويل أَسْماء الله وصِفاته؛ إذا لم يَتعارَض هذا مع نصٍّ شَرْعيٍّ.

فنَقول: مُجرَّد صَرْف اللفظ عن ظاهِره بلا دليل شرعي مُخالِف للدليل، وقولٌ على الله تَعالى بلا عِلْم، وقد حَرَّم الله تَعالى ذلك في قوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣]. وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٦]. وهؤلاء المُؤَوِّلون لأَسْماء الله تَعالى وصِفاته ليس لهم عِلْم مَأثور فيما أَوَّلوها إليه، ولا نظرٌ مَعقول، سِوى شُبَه يَحتجُّون بها يُناقِض بعضُها بَعضًا، ويَلزَم عليها مِن النَّقْص في ذات الله تَعالى وصِفاته ووحيه أكثر مِمَّا زَعَموه مِن النَّقْص في إثباتها على ظاهِرها، وليس هذا مَوضِعَ البَسْط في ذلك.

وإنما المَقصود بيان أن وصْف (أهل السُّنَّة) لا يُمكِن أن يُعطَى لطائِفَتَين يَتغايَر مِنهاجُهما غاية التغايُر، وإنما يَستَحِقُّه مَن كان قوله مُوافِقًا للسنة فقط، ولا ريبَ أن أهل المَدرسة الأولى (غير المُؤَوِّلين) أحق بالوصْف المَذكور مِن أهل المدرسة الثَّانية (المُؤَوِّلين) لَمن نظَر في مِنهاجَيْهما بعِلْم وإنْصاف، فلا يَصِحُّ تَقسِيم أهل السُّنَّة إلى الطائِفَتَين، بل هم طائفة واحدة.

وأما احتِجاجهم بقول ابنِ الجَوزيِّ في هذا الباب، فنَقول: أقوال أهل العِلْم يُحتَجُّ لها، ولا يُحتَجُّ بها، فليس قول واحِد مِن أهل العِلْم بحُجَّة على الآخَرِين.

وأما قَولهم: إن الإمام أَحمَدَ أَوَّلَ في حديث: «**قُلُوبُ بَنِي آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ**»[1]. وحديث: «**الحَجَرُ الأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِي الأَرْضِ**»[2]. وقوله تَعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤].

فنَقول: لا يَصِحُّ عن الإمام أحمدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه تَأَوَّل الحَدِيثَين المَذكورَين، قال شَيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفَتاوى (ص٣٩٨ ج٥) مِن مجموع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما ما حكاه أبو حامد الغزاليُّ مِن أن أحمد لم يَتأَوَّل إلا في ثلاثة أشياء: «**الحَجَرُ الأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِي الأَرْضِ**»، و«**قُلُوبُ العِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ**»، و«**إِنِّي أَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمَنِ مِنْ قِبَلِ اليَمَنِ**»[3]، فهذه

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، رقم (٢٦٥٤)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (١/ ٥٥٧)، وأبو الشيخ في طبقات المحدثين (٢/ ٣٦٦)، والخطيب البغدادي في تاريخه (٧/ ٣٣٨)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. وقد أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٣٩) رقم (٨٩١٩)، والأزرقي في تاريخ مكة (١/ ٣٢٣)، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا موقوفًا.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٥٤١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الحكاية كذِب على أحمد، لم يَنقلها أحَد عنه بإسناد، ولا يُعرَف أَحَدٌ مِن الصحابة نُقِل ذلك عنه» اهـ.

وأما قوله تَعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤] فإن الإمام أحمد لم يَتأوَّلْها وإنما فسَّرها ببَعْض لوازِمها -وهو العِلْم- ردًّا على الجهميَّة، الذين فسَّروها بخِلاف المُراد بها، حيث زَعَموا أنها تَقتَضِي كون الله تَعالى في كل مَكان بذاته -تَعالى الله عن قولهم-، فبَيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن المَعيَّة هنا بمعنى: الإحاطة بالخَلْق التي مِن جُملَتِها العِلْم بهم، وذلك أن المَعيَّة لا تَقتَضِي الحلول والاختِلاط؛ بل هي في كل مَوضِع بحَسَبه؛ ولهذا يُقال: سقاني لبنًا مَعه ماء. ويقال: صلَّيت مع الجماعة. ويقال: فلان مَعَه زوجته.

ففي المِثال الأول: اقتَضَتِ المَزْج والاختِلاط.

وفي الثَّاني: اقتَضَتِ المُشارَكة في المكان والعمل بدون اختِلاط.

وفي الثَّالث: اقتَضَتِ المُصاحَبة، وإن لم يَكُن اشتِراك في مكان أو عَمَل، وإذا تَبيَّن أن مَعنى المَعيَّة يَختَلِف بحسب ما تُضاف إليه، فإن مَعيَّة الله تَعالى لخَلْقه تَختَلِف عن مَعيَّة المَخلوقِين لِمثلهم، ولا يُمكِن أن تَقتَضِي المَزْج والاختِلاط أو المشاركة في المَكان؛ لأن ذلك مُمتَنِع على الله عَزَّوَجَلَّ؛ لثُبوت مُبايَنَته لخَلْقه وعُلُّوه عليهم. وعلى هذا يَكون مَعنا وهو على العرش فوق السَّموات؛ لأَنَّه مُحيط بنا عِلْمًا، وقُدْرة، وسُلطانًا، وسَمْعًا، وبَصَرًا، وتَدبيرًا، وغير ذلك مما تَقتَضِيه رُبوبيَّته، فإذا فَسَّرها مُفسِّر بالعِلْم لم يَخرُج بها عن مُقتَضاها، ولم يَكُن مُتأوِّلًا إلا عند مَن يَفهَم مِن المَعيَّة المُشارَكة في المكان، أو المَزْج والاختِلاط على كل حال. وقد سَبَق أن هذا ليس بمُتَعيِّن في كل حال.

هذا بالنسبة لما نُقِل عن الإمام أحمدَ في تَأوِيل هذه النصوص الثلاثة.

أما بالنظر لها مِن حيث هي، فقد تَقدَّم قريبًا أنَّه لا تَأوِيل في الآية الكريمة إذا فَسَّرها مُفسِّر بالعمل؛ لأَنَّه تَفسير لها ببَعْض مُقتَضياتها، لا نقل لها عن المَعنَى الذي تَقتَضِيه.

وأما حديث «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلُّهَا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يَصْرِفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**». فقد رواه مُسلِم في صحيحه في كتاب القدَر في الباب الثَّالث مِنه (رقم ١٧ ص٢٠٤٥)، وليس فيه تَأوِيل عِند أهل السُّنَّة والجَماعة حيث يُؤمِنون بما دَلَّ عليه مِن إثبات الأصابع لله تَعالى على الوجه اللائق به، ولا يَلزَم مِن كون قُلوبِنا بينَ أُصبُعين مِنْها أن تُماسَّ القلْب، فإن السحاب مُسخَّر بين السماء والأرض ولا يَمَسُّ السماء ولا الأرض، فكذلك قلوب بني آدم بين أُصبُعَين مِن أَصابِع الرحمن ولا يَستَلزِم ذلك المُماسَّة.

وأما حديث: «**الحَجَرُ الأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِي الأَرْضِ**»[1]. فقد قال فيه شَيخ الإسلام ابن تَيميَّة في الفتاوى (ص٣٩٨ ج٦) مِن مجموع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد رُوِي عن النبي ﷺ بإسناد لا يَثبُت، والمَشهور إنما هو عن ابن عبَّاس. قال: «**الحَجَرُ الأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِي الأَرْضِ، فَمَنْ صافَحَهُ وقَبَّلَهُ فَكَأَنَّما صَافَحَ اللهَ وَقَبَّلَ يَمِينَهُ**». وفي (ص٤٤ ج٣) من المجموع المذكور: «صريح في أن الحَجَر الأسود ليس هو صِفة الله ولا نَفْس يَمينِه؛ لأَنَّه قال: «يَمِينُ اللهِ فِي الأَرْضِ»

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (١/ ٥٥٧)، وأبو الشيخ في طبقات المحدثين (٢/ ٣٦٦)، والخطيب البغدادي في تاريخه (٧/ ٣٣٨)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وقد أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٣٩) رقم (٨٩١٩)، والأزرقي في تاريخ مكة (١/ ٣٢٣)، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا موقوفًا.

فقيَّده في الأرض، ولم يُطلِق فيقول: يمين الله، وحُكْم اللفظ المُقيَّد يُخالِف المُطلَق».
وقال: «فَمَنْ قَبَّلَهُ وصافَحَهُ فَكَأَنَّمَا صَافَحَ اللهَ وَقَبَّلَ يَمِينَهُ»، ومَعلوم أن المُشبَّه غير المُشبَّه به» اهـ.

قلت: وعلى هذا فلا يَكون الحديث مِن صِفات الله تَعالى التي أُوِّلت إلى مَعنًى يُخالِف الظاهِر، فلا تَأوِيل فيه أصلًا.

وأما قَولهم: إن هناك مَدرَسَتَين: إحداهما مدرسة ابن تيميَّة، فيُقال: نِسبة هذه المدرسة إلى ابن تيميَّة تَوهُّم أنَّه لم يُسبَق إليها، وهذا خطأ؛ فإن ما ذَهَب إليه ابن تيمية هو ما كان عليه السَّلف الصالح وأئمَّة الأُمَّة، فليس هو الذي أحدث هذه المَدرسة كما يُوهِمه قول القائل الذي يُريد أن يُقلِّل مِن شأنها، والله المُستَعان.

وأما مَوقِفنا مِن العُلَماء المُؤَوِّلين فنَقول: منْ عُرِف مِنهم بحُسْن النية وكان له قَدَم صِدْق في الدِّين واتِّباع السُّنَّة، فهو مَعذور بتَأْوِيله السائغ، ولكن عُذره في ذلك لا يَمنَع مِن تَخطِئة طريقته المُخالِفة لما كان عليه السَّلف الصالح مِن إجراء النصوص على ظاهِرها، واعتِقاد ما دلَّ عليه ذلك الظاهِر مِن غير تَكييف ولا تَمْثِيل، فإنه يَجِب التفريق بين حُكْم القول وقائِله، والفِعل وفاعله، فالقول الخَطأ إذا كان صادِرًا عن اجتِهاد وحُسْن قَصْد لا يُذَمُّ عليه قائِله، بل يَكون له أجر على اجتِهاده؛ لقول النبي ﷺ: **«إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»**[1]. مُتَّفق عليه.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاعتصام، باب أجر الحاكم إذا اجتهد، رقم (٧٣٥٢)، ومسلم: كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد، رقم (١٧١٦)، من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأما وصْفه بالضَّلال، فإن أُرِيد بالضلال الضلال المُطلَق الذي يُذمُّ به المَوصوف، ويُمقَت عليه، فهذا لا يَتوجَّه في مِثل هذا المُجتَهِد الذي عُلِم مِنه حُسْن النية وكان له قَدَمُ صِدْق في الدِّين واتِّباع السُّنَّة.

وإن أُريد بالضَّلال مُخالَفة قوله للصواب مِن غير إشعار بذَمِّ القائل فلا بَأْس بذلك؛ لأن مِثل هذا ليس ضَلالًا مُطلقًا؛ لأَنَّه مِن حيث الوسيلة صواب، حيث بَذَل جُهْده في الوصول إلى الحقِّ، لكِنَّه باعْتِبار النتيجة ضلال، حيث كان خِلافَ الحقِّ.

وبهذا التفصيل يَزول الإشكال والتَّهويل، والله المُستَعان.



س(١٠٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن عقيدة أَهْل السُّنَّة والجماعة في أَسْماء الله وصفاته؟ وعن الفَرْق بين الاسم والصفة؟ وهل يَلزَم مِن ثبوت الاسم ثبوت الصفة؟ ومن ثبوت الصفة ثبوت الاسم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في أَسْماء الله وصفاته هي إثبات ما أَثبَته الله لنفْسه مِنَ الأَسْماء والصِّفات من غير تَحريف، ولا تَعطِيل، ولا تَكيِيف، ولا تَمثِيل.

والفرق بين الاسم والصفة: أن الاسم: ما سُمِّيَ الله به.

والصفة: ما وُصِف الله به. وبينهما فرْق ظاهر.

فالاسم: يُعتبَر علَمًا على الله عَزَّوَجَلَّ مُتضمِّنًا للصفة.

ويَلزَم مِن إثبات الاسم إثبات الصفة. مِثاله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل:٢٠] (غفور) اسم يَلزَم مِنه المغفرة، و(رحيم) يَلزَم مِنه إثبات الرحمة.

ولا يَلزَم مِن إثبات الصفة إثبات الاسم، مِثل الكلام لا يَلزَم أن نُثبِت له اسم المُتكلِّم، بِناءً على ذلك تَكون الصِّفات أوسَع؛ لأن كل اسم مُتضمِّن لصِفة، وليس كل صفة مُتضمِّنة لاسم.

س(١٠٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل أَسْماء الله تعالى محصورة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أَسْماء الله ليست محَصورة بعدَد مُعيَّن، والدليل على ذلك قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ**». إلى أن قال: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ**»[1]. وما استَأثَر الله به في عِلْم الغَيْب لا يُمكِن أن يُعلَم به، وما لَيس مَعلومًا ليس محَصورًا.

وأما قوله ﷺ: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[2]. فليس مَعناه أنَّه ليس له إلا هذه الأَسْماء، لكن مَعناه أن مَن أَحصَى مِن أسمائه هذه التِّسعة والتِّسعِين فإنه يَدخُل الجنة، فقوله: «**مَنْ أَحْصَاهَا**» تَكميل للجُملة الأولى، وليست استِئْنافِيَّة مُنفصِلة، ونَظير هذا قول العرب: عِندِي مِئة فرَس أعددْتُها للجِهاد في

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري: كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط، رقم (٢٧٣٦)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، رقم (٦/٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سبيل الله. فليس مَعناه أَنَّه ليس عِنده إلا هذه المِئة، بل هذه المِئة مُعَدَّة لهذا الشيء.

وقد نَقَل شَيخ الإسلام ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ اتِّفاق أهل المَعرِفة في الحديث على أن عَدَّها وسَرْدها لا يَصِحُّ عن النبي ﷺ[1] اهـ. وصَدَق رَحِمَهُ اللَّهُ؛ بدليل الاختِلاف الكبير فيها، فمَن حاوَل تَصحِيح هذا الحديث قال: إن هذا أمر عظيم؛ لأنها تُوصِّل إلى الجنة، فلا يَفوت على الصحابة أن يَسأَلوه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن تَعيِينها، فدَلَّ هذا على أنَّها قد عُيِّنت مِن قبلِه ﷺ. لكن يُجاب عن ذلك: بأنَّه لا يَلزَم، ولو كان كذلك لكانَت هذه الأَسْماءُ التِّسعةُ والتِّسعِين مَعلومةً أشدَّ مِن عِلْم الشمس، ولنُقِلت في الصحيحين وغيرهما؛ لأن هذا مما تَدعو الحاجة إليه وتُلِحُّ بحِفظه، فكيف لا يَأتِي إلا عن طريق واهية وعلى صور مُختلِفة؟ فالنبي ﷺ لم يُبيِّنها لِحكمة بالِغة، وهي أن يَطلُبها الناس ويَتَحرَّوها في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ؛ حتى يَتبَيَّن الحريص مِن غير الحريص.

وليس مَعنى إحصائها أن تُكتَب في رِقـاع ثُمَّ تُكرَّر حتى تُحفَظ، ولكن معنى ذلك:

أولًا: الإحاطة بها لفظًا.

ثانيًا: فَهمُها مَعنًى.

ثالثًا: التَّعبُّد لله بمُقتَضاها، ولذلك وجهان:

الوجه الأول: أن تَدعو الله بها؛ لقوله تَعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]. بأن تَجعلَها وَسيلة إلى مَطلوبك، فتَختار الاسم المُناسِب لَمطلوبِك، فعند سؤال المَغفِرة تَقول: يا غفورُ، اغفِرْ لي. وليس مِن المُناسِب أن تَقول: يا شديدَ

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٨٠).

العِقاب، اغفِرْ لي. بل هذا يُشبِه الاستهزاء، بل تَقول: أَجِرْني مِن عِقابك.

الوجه الثَّاني: أن تَتعرَّض في عِبادتكَ لما تَقتضِيه هذه الأَسْماء، فمُقتَضى الرَّحيم الرحمة، فاعمَلِ العمَل الصالح الذي يَكون جالِبًا لرحمة الله، هذا هو مَعنى إحصائها، فإذا كان كذلك فهو جَدير لأن يَكون ثَمَنًا لدخول الجنَّة.

س(١٠٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن أقسام صِفات الله تعالى باعتِبار لُزومها لذاته المُقدَّسة وعدم لُزومها؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: تَنقسِم صِفات الله تَعالى باعتِبار لُزومها لذاته المُقدَّسة وعَدم لُزومِها إلى ثلاثة أقسام:

القِسْم الأوَّل: صِفات ذاتية.

القِسْم الثَّاني: صفات فِعليَّة.

القِسْم الثَّالث: صِفات ذاتية فِعلية باعتِبارَين.

فأما الصِّفات الذاتية: فيُراد بِها الصِّفات اللازمة لذاته تَعالى التي لم يَزَل ولا يَزال مُتَّصِفًا بها، مِثل الحياة، والعِلْم، والقُدرة، والعِزَّة، والحِكْمة، والعَظَمة، والجَلال، والعُلُو، ونحوها من صفات المَعاني، وسُمِّيَت ذاتية للزومها للذات، ومِثل اليَدين، والعَينَين، والوجه، وقد تُسمَّى هذه بالصِّفات الخَبَرية.

وأما الصِّفات الفِعْلية فهي: التي تَتعلَّق بمَشيئَتِه، وليسَت لازِمة لذاته لا باعتِبار نَوْعها، ولا باعتِبار آحادِها، مِثل الاستِواء على العرش، والنُّزول إلى السماء الدُّنيا،

والمَجِيء للفَصْل بين العِباد يوم القيامة، فهذه الصِّفات صفات فِعلية تَتعلَّق بمَشيئته، إن شاء فَعَلها، وإن شاء لم يَفْعَلها، وهي صفات حادِثة في نوعها وآحادِها، فالاستِواء على العَرْش لم يَكُن إلا بَعدَ خَلْق العَرش، والنزول إلى السماء الدنيا لم يَكُن إلا بعد خَلْق السماء، والمَجيء يوم القيامة لم يَكُن قبل يَوم القيامة.

وأما الصِّفات الذاتية الفِعْلية فهي: التي إذا نَظَرت إلى نَوعها وجَدْت أن الله تَعالى لم يَزَل -ولا يَزال- مُتَّصِفًا بها، فهي لازِمة لذاته، وإذا نَظَرْت إلى آحادِها وجَدْت أنها تَتعلَّق بمَشيئتِه وليست لازمةً لذاته، ومَثَّلوا لِذلك: بكلام الله تَعالى، فإنه باعتِبار نَوعه مِن الصِّفات الذاتية؛ لأن اللهَ لم يَزَلْ -ولا يَزال- مُتكلِّمًا، فكلامه مِن كَماله الواجِب له سبحانه، وباعتِبار آحاد الكلام -أَعنِي: باعتِبار الكلام المُعيَّن الذي يَتكلَّم به سُبحانه مَتى شاء- مِن الصِّفات الفِعليَّة؛ لأَنَّه كان بمَشِيئته سُبحانه.

وصَرَّح بالقِسمَين الأَوَّلَين في التَّنبيهات السَّنِيَّة على العقيدة الواسِطيَّة (ص: ٢٠) للشيخ ابن رشيد.

وقد أَشار إلى نَحوٍ مما ذَكَرنا في فتاوى شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، جمع الشيخ ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص: ١٥٠- ١٦٠ من المجلد ٦).

س(١٠٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن عُلوِّ الله تعالى؟ وعن قول مَن يَقول: إنه عنِ الجِهات الستِّ خالٍ، وإنه في قَلْب العَبْد المُؤمِن؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: مَذهَب السَّلف -رِضوان الله عليهم- أن الله تَعالى بذاته فَوْق عِباده، وقد قال الله تَعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ

بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى:١٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور:٥١-٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦]. وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

فإذا تَبيَّن أن طريقة المُؤمنين عند التنازُع هي الرجوعُ إلى كِتاب الله تَعالى وسُنَّة رسوله ﷺ، والسمْع والطاعة لهما، وعدم الخِيار فيما سِواهما، وأن الإيمان لا يَكون إلا بذلك، مع انتِفاء الحرج وتَمام التسليم، فإن الخُروج عن هذا الطريق مُوجِب لما قال الله تَعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

وعلى هذا فإن المُتأمِّل في هذه المَسألة -مَسألة عُلوِّ الله تعالى بذاته على خَلْقه- بعد رَدِّها إلى كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ، يَتبيَّن له أن الكتاب والسُّنَّة قد دَلا دلالة صَريحة بجميع وجوه الدَّلالة على عُلوِّ الله تعالى بذاته فوق خَلْقه، بعبارات مُختَلِفة منها:

١- التصريح بأن الله تَعالى في السماء، كقوله تَعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك:١٧]. وقوله ﷺ في رُقيَة المريض:

«رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ...»(١) إلى آخر الحديثِ، رواه أبو داود.

وقوله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ إِلا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا**»(٢).

٢- التصريح بفَوقِيَّته تَعالى، كقَوله تَعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]. وقوله تَعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠]. وقوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَـمَّا قَضَى الخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**»(٣).

٣- التصريح بصعود الأشياء إليه، ونُزولها مِنه، والصُّعود لا يَكون إلا إلى أعلى، والنُّزول لا يَكون إلا مِن أعلى، كقوله تَعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]. وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]. وقوله تَعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥]. وقوله تَعالى في القرآن الكريم: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]. والقرآن كلام الله تَعالى، كما قال سُبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]. وإذا كان القرآن الكَريم كلامه وهو تَنزيلٌ مِنه دَلَّ ذلك على عُلُوِّه بذاته تَعالى. وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ فَيَقُولُ مَنْ**

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الطب، باب كيف الرقى، رقم (٣٨٩٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٨٠٩) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها، رقم (١٤٣٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، رقم (٧٤٢٢)، ومسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، رقم (٢٧٥١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يَدْعُونِي»(١). إلى آخر الحديث، وهو صحيح ثابت في الصحيحين وغيرهما. وفي حديث البراء بنِ عازِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ علَّمه ما يَقول إذا أَوَى إلى فِراشه، ومِنه: «**آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**»(٢).

٤- التصريح بوَصْفه تَعالى بالعُلُوِّ، كما في قوله تَعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١]. وقوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]. وقول النبي ﷺ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**»(٣).

٥- إشارة النبي ﷺ إلى السماء حين يُشهد الله تَعالى في مَوقِف عرفة ذلك المَوقف العظيم، الذي شهِد فيه النبيَّ ﷺ أكبرُ جَمْع مِن أمته، حين قال لهم: «**أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟**» قالوا: نَعَم، قال: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**». يَرفَع أُصبُعه إلى السماء ويَنكُتُها إلى الناس(٤). وذلك ثابت في صحيح مسلم مِن حديث جابر، وهو ظاهِر في أن الله تعالى في السماء، وإلا لكان رَفْعه إيَّاها عبَثًا.

٦- سؤال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ للجارِية حين قال لها: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قالت: في السماء. قال: «**أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»(٥). رواه مسلم في حديث طويل عن مُعاويةَ بنِ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١١٤٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء، رقم (٢٤٧)، ومسلم: كتاب الذكر، باب ما يقول عند النوم، رقم (٢٧١٠)، من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم (٧٧٢)، من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) أخرجه مسلم: كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧)، من حديث معاوية ابن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحَكَم السُّلَمي رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، وهو صريح في إثبات العُلُوِّ الذاتي لله تعالى؛ لأن «أين» إنما يُستَفهم بها عن المكان، وقد أقرَّ النبي ﷺ هذه المَرأةَ حين سألها: «**أَيْنَ اللهُ؟**» فأقرَّها على أنَّه تَعالى في السماء، وبيَّن أن هذا مُقتَضى الإيمان حين قال: «**أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**».

فلا يُؤمِن العبد حتَّى يُقرَّ ويَعتقِد أن الله تعالى في السماء.

فهذه أنواع مِن الأدلَّة السمعيَّة الخبَرِية مِن كِتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ، تَدُلُّ على عُلُوِّ الله تَعالى بذاته فَوقَ خَلْقه، أما أفراد الأدلَّة فكَثيرة لا يُمكِن حَصْرها في هذا المَوضِع، وقد أَجمَع السَّلف الصالح رِضوان الله عليهم على القول بمُقتَضى هذه النُّصوص، وأَثبَتوا لله تَعالى العُلوَّ الذاتي، وهو أنَّه سبحانه عالٍ بذاته فوقَ خَلْقه، كما أَنَّهم مُجمِعون على إثبات العُلوِّ المَعنوِيِّ له، وهو عُلوُّ الصِّفات، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧]. وقال تَعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]. قال تَعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٤]. وقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] إلى غير ذلك مِن الآيات الدالَّة على كَماله في ذاتِه وصِفاته وأَفعالِه.

وكما أن عُلُوَّ اللهِ تَعالى الذاتي دَلَّت عليه نُصوص الكِتاب والسُّنَّة وإجماع السَّلف، فقد دَلَّ عليه العقل والفِطرة.

أما دَلالة العَقْل: فيُقال لا ريبَ أن العُلُوَّ صِفة كمالٍ، وأن ضِدَّه صِفة نَقْص، والله تَعالى قد ثَبَت له صِفات الكمال فوَجَب ثُبوت العُلُوِّ له تَعالى، ولا يَلزَم على إثباته له شيء مِن النَّقْص، فإنَّا نَقول: إن عُلوَّه تَعالى ليس مُتضَمِّنًا لكون شيء مِن

مَخلوقاتِه مُحيطًا به، ومَن ظنَّ أن إِثبات العُلُوِّ له يَستَلزِم ذلك فقد وهِم في ظنِّه، وضَلَّ في عَقله.

وأَمَّا دَلالة الفِطرة عَلى عُلُوِّ الله تَعالى بِذاته: فإن كل داعٍ لله تَعالى -دُعاء عِبادة، أو دعاء مسألة- لا يَتَّجِه قلبه حين دُعائه إلا إلى السماء؛ ولذلك تَجِده يَرفَع يده إلى السماء بمُقتَضى فِطرته، كما قال ذلك الهَمَذاني لأبي المعالي الجويني: «ما قال عارِف قطُّ: يا رَب. إلا وَجَد مِن قَلْبه ضَرورةً بطَلَب العُلُوِّ». فجعل الجُويني يَلطِم على رأسه ويَقول: «حيَّرَني الهمذانيّ، حيَّرَني الهمذانيّ». هكذا نُقِل عنه، سواء صَحَّت عنه أم لم تَصِحَّ، فإن كل أَحَد يُدرِك ذلك.

وفي صحيح مسلم مِن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ ذَكَر الرَّجُل يَمُدُّ يَديه إلى السماء، يا ربِّ، يا رَبِّ... إلى آخر الحديث[1]. ثم إنك تَجِد الرجل يُصلِّي وقلبه نَحو السماء، لا سيَّما حين يَسجُد. ويَقول: «سُبحان ربِّي الأعلى»؛ لأَنَّه يَعلَم أن مَعبوده في السماء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأما قَولهم كما جاء في السؤال: «إن الله تَعالى عن الجهات السِّتِّ خالٍ»، فهذا القول على عُمومه باطل؛ لأَنَّه يَقتَضِي إِبطال ما أَثبتَه الله تعالى لنَفْسه، وأثبتَه له أَعلَم خَلقِه به وأَشدُّهم تَعظيمًا له، وهو رسول الله محمد ﷺ، مِن أَنَّه سبحانه في السماء التي هي في جِهة العُلُوِّ، بل إن ذلك يَقتَضِي وَصف الله تَعالى بالعَدم؛ لأن الجهاتِ الستَّ هي: الفوق، والتَّحْت، واليمين، والشِّمال، والخَلْف، والأمام، وما مِن شيء مَوجود إلا تَتعلَّق به نِسبة إِحدى هذه الجِهات، وهذا أَمْر مَعلوم ببَداهة

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، رقم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

العُقول، فإذا نُفِيَت هذه الجهاتُ عن الله تعالى لزِم أن يَكون مَعدومًا، والذِّهن وإن كان قد يَفرِض مَوجودًا خاليًا مِن تَعلُّق هذه النِّسَب به، لكن هذا شيء يَفرِضه الذِّهْن، ولا يُوجَد في الخارج.

ونحن نُؤمِن ونَرى لِزامًا على كل مُؤمِن بالله أن يُؤمِن بعُلوِّه تعالى فوق خَلْقه، كما دَلَّ على ذلك الكِتاب والسُّنَّة، وإجماع السَّلَف، والعقل، والفِطرة، كما قرَّرناه مِن قَبْل.

ولكننا مع ذلك نُؤمِن بأن الله تَعالى مُحيط بكل شَيء، وأنَّه لا يُحيط به شيء مِن مَخلوقاته، وأنَّه سُبحانه غَنِيٌّ عَن خَلْقه، فلا يَحتاج لشيء مِن مَخلوقاته.

ونَحن نَرى أَيضًا أنَّه لا يَجوز لمُؤمِن أن يَخرُج عما يَدُلُّ عليه الكتاب والسُّنَّة لقَول أحَد مِن الناس كائنًا مَن كان، كما أَسلَفنا الأدلَّة على ذلك في أول جوابنا هذا.

وأما قَولهم كما جاء في السؤال: «إنَّ اللهَ تَعالى في قَلْب المُؤمِن».

فهذا لا دَليل عليه مِن كِتاب الله تَعالى، ولا سُنَّة رسوله ﷺ، ولا كلام أحدٍ مِن السَّلَف الصالح فيما نَعلَم، وهو أيضًا على إطلاقه باطل فإنَّه إن أُرِيد به أن الله تَعالى حالٌّ في قلْب العبد فهو باطل قَطعًا، فإن الله تعالى أعظم وأَجَلُّ مِن ذلك، ومِن العجائب -والعجائبُ جَمَّة- أن يَنفِر شخص مما دَلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة مِن كونِ الله تعالى في السماء، ثم يَطمئِنُّ بما لم يَدُلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة مِن زَعمِه أن الله تَعالى في قلب المُؤْمِن؛ إذ ليس في الكتاب والسُّنَّة حرْف واحِد يدُلُّ على ذلك.

وإن أُرِيد بكون الله تَعالى في قلب العَبْد المُؤمِن أنَّه دائمًا يَذكُر ربه في قلبه، فهذا حَقٌّ، ولكِن يَجِب أن يُعبَّر عنه بِعبارة تَدُلُّ على حَقيقته ويَنتَفِي عَنها المَدلول

الباطِل، فيُقال -مثلًا-: إن ذِكْر الله تَعالى دائمًا في قلب العبد المُؤمِن.

ولكن الذي يَظهَر مِن كلام مَن يَتكلَّم بها أنَّه يُريد أن يَستَبدِلها عن كون الله تَعالى في السماء، وهي بهذا المَعنى باطِلة كما سبَق.

فلْيَحذَرِ المُؤمِن مِن إنكار ما دَلَّ عليه كِتاب الله وسُنَّة رَسوله ﷺ، وأجمع عليه السَّلف، إلى عِبارات مُجمَلة غامِضة تَحتَمِل مِن المَعاني الحقَّ والباطِلَ، ولْيَلْتَزِم سَبيل السابقين الأولين مِن المهاجرين والأنصار، حتى يَدخُل في قوله الله تَعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

جَعَلنا الله وإيَّاكم مِنهم، ووَهَب لنا جَميعًا مِنه رحمة، إنَّه هو الوهَّاب.



س(١٠٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن قول بعض الناس إذا سُئِل «أَينَ اللهُ»؟ قال: «اللهُ في كُلِّ مَكان» أو «موجود»، فهل هذه الإجابة صحيحة على إطلاقها؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذه إجابة باطِلة لا على إطلاقها ولا تَقييدها، فإذا سُئل: أَينَ الله؟ فلْيَقُلْ: «في السماء»، كما أجابت بذلك المَرأة التي سأَلها النبي ﷺ «**أَيْنَ اللهُ؟**» قالت: في السماء[1].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧)، من حديث معاوية ابن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأما من قال: «مَوجود» فقط فهذا حَيدة عن الجواب ومُراوغة منه.

وأما مَن قال: «إِنَّ اللهَ في كُلِّ مَكانٍ» وأراد بذاته فهذا كُفْر؛ لأَنَّه تَكذيب لما دَلَّت عليه النصوص، بل الأدلَّة السمعية، والعقلية، والفِطرية مِن أن الله تَعالى عليٌّ على كُل شَيء وأَنَّه فَوق السَّموات مُستوٍ على عرشه.

س(١٠٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن تَوضيح ما جاء في كِتاب «عَقيدة أهل السُّنَّة والجَماعة». مِن قول فَضيلتِكم: «ومن كانَ هذا شأْنُه كانَ مع خَلْقه حقيقة، وإن كان فَوْقهم على عَرْشه حقيقة»؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: قولنا: «ومَن كانَ هذا شَأْنُه كان مع خَلْقه حقيقة، وإن كان فوقهم على عرشه حقيقة». نُريد بذلك أن هذه الآية كغَيرها مِن آيات الصِّفات يُراد بها حقيقة مَعناها، مع تَنزيه الله تعالى عمَّا لا يَليق به مِن كونه مُختلِطًا بخَلْقه، بل هو سبحانه على عرشه بائِن مِن خَلْقه.

وحقيقة المَعيَّة لا تَستلزِم الاختِلاط؛ ولهذا تَقول العرب: «ما زِلنا نَسير والقَمَر مَعنا»، مع أن القمر في السماء، ولا يَفهَم أحَد مِن ذلك أن القمر في الأرض، فالرب جل وعلا أَعظَم وأجل، فهو مَع خَلْقه وإن كان في السماء على عرشه، لا يُمكِن أن يَكون مُختلِطًا بخَلْقه، كما قرَّر ذلك شيخ الإسلام ابنُ تيميَّة في العقيدة الواسِطية، حيث قال[1]: «وكلُّ هذا الكلام الذي ذكَره الله -مِن أنَّه فَوقَ العَرْش وأنَّه مَعَنا- حَقٌّ على حَقيقته لا يَحتاج إلى تَحريف».

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٩٩).

وقال قَبْل ذلك[1]: «وليس مَعنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أنَّه مُختَلِط بالخَلْق، فإن هذا لا تُوجِبه اللغة، بل القَمَر آية مِن آيات الله مِن أصغر مَخلوقاته، وهو مَوضوع في السماء، وهو مَعَ المُسافر وغير المُسافر أينما كان» اهـ. كلامه.

وبهذا التقرير عُلِم أن الله تَعالى مع خَلْقه حقًّا، وإن كان بذاته فوق عَرْشه، ولا تَناقُض بين هذا وهذا.

وبه أيضًا بطَل احتِجاج أهل التأويل مِن الأشعرية وغيرهم على أهل السُّنَّة، حيث قالوا لأهل السُّنَّة: لِـمَ تُنكِرون علينا التأويل فيما نُؤوِّله مِن آيات الصِّفات وأحاديثها بصَرْفها عن حقيقتها، وأنتم تُؤوِّلون نصوص المَعيَّة وتَصرِفونها عن حقيقتها؟

س(١١٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عمن يَقول: بأن الله كان ولا مكان، وهو مُنزَّه عن الجهات الستِّ: الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب، وفوق، وتحت؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: عُلُوُّ الله عَزَّوَجَلَّ على خَلْقه ثابت بالكتاب، والسُّنَّة، والإجماع، والعقل، والفِطرة، فأَدلَّته مُتنوِّعة، فكل الأَدلَّة المُمكِنة في إثبات الشيء تَدُلُّ على أن الله تَعالى فوق عباده.

أما الأَدلَّة على ثبوت عُلُوِّ الله على خَلْقه مِن القرآن: كقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨].

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٢).

وقوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل:٥٠]. وقوله تَعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:٥]. إلى غير ذلك مِمَّا لا يُحصَى كَثرةً، وكذلك الآيات الدالَّة على أن الأشياء تَصعَد إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر:١٠]. وقوله تَعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج:٤]. وكذلك الآيات الدالَّة على أن الشيء يَنزِل مِن عنده، كما قال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [السجدة:٥]. والآيات في هذا كثيرة جدًّا.

وأما السُّنَّة: فقد دلَّت بجميع أنواعها على عُلُوِّ الله تَعالى بالقول، والفعل، والإقرار: فالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقول في سجوده: «**سُبْحانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**»(١). وخطب الناس في يوم عرفة وقال: «**هَلْ بَلَّغْتُ؟**» قالوا: نعم، فأشار إلى السماء يَقول: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**»(٢). وسأل ﷺ الجارية: «**أَيْنَ اللهُ؟**» فقالت: في السماء. قال: «**أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»(٣). فاجتمع مِن السُّنَّة القول، والفعل، والإقرار على عُلُوِّ الله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّه فوق كل شيء.

وأما الإجماع: فقد أَجمَع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأَئمَّة الهُدى مِن بعدهم على أن الله تَعالى فوق كل شيء، ولم يَرِد عنهم حرف واحد في نفي عُلُوِّ الله عَزَّوَجَلَّ، بل كانوا مُجمِعين على أن الله تَعالى فوق كل شيء.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم (٧٧٢)، من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧)، من حديث معاوية ابن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأما العقل: فإن كل إنسان يَعلَم بعَقله أن العُلو صِفة كمال، وأن الرب عَزَّوَجَلَّ له صِفة الكمال المُطلَق، فإذا كان العُلُوُّ صِفة كمال فإن فَوات العُلُوِّ صِفة نَقْص، والله عَزَّوَجَلَّ مُنزَّه عنِ النَّقْص، فوجب أن يُثبَت له العلو؛ لأنَّه صِفة كمال.

وأما الفطرة: فما مِن أحَد يَقول: يا رب، إلا ويَتَّجِه قلبه حال دُعائه إلى السماء، وتَجِد الداعي يَرفَع يَديه إلى السماء، ولو سألت الدَّاعِين لله عَزَّوَجَلَّ: أين يُوجِّهون أيديَهم؟ هل يُوجِّهونها إلى الأرض، أو إلى السماء، أو إلى اليمين، أو إلى الشمال؟

والجواب -**بلا شَكٍّ**-: إنَّهم يُوجِّهونها جميعًا إلى السماء، وهذا أمر فِطري لا يَختلِف فيه اثنان، إلا مَن أجالَته الشياطين عن الفطرة وأَنكَر هذا الأمر الذي فُطِر عليه الخَلْق، وإذا كان كذلك فإنَّنا نَقول: إن الله كان عَزَّوَجَلَّ ولم يَكن شيء قَبله، فهو الأَوَّل الذي ليس قَبْله شيء، وكان عاليًا عَزَّوَجَلَّ قبل أن يَخلُق العَرْش، ولما خلق السَّموات والأرض استَوى على العرش، كما قال تَعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس:٣]. فكان استِواء الله على عرشه بعد خَلْقه.

وهنا نَقول: استِواء الله على عرشه حين خَلَق السَّموات والأرض تَدُلُّ الآية الكريمة أَنَّه لم يَكُن، أما قَبْل ذلك فالله أعلم، وأما بعد خَلْق السَّموات والأرض فإن الآية تَدُلُّ على أن الله استوى على عرشه.

وأما قول: «إن الله تعالى مُنزَّه عن الجهات الست» فهذا غاية التعطيل -والعِياذ بالله-؛ لأن قول القائل: إن الله ليس فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا شمال، ولا أمام، ولا خلف، فإن هذا هو العَدَم المَحض والتعطيل المَحض، أين يَكون؟!

وإذا قلنا: إن الله تعالى في جهة العُلُو -العُلُو الذي ليس فوقه شيء- فليس في هذا مِن نَقْص في حق الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن العُلُو على جميع المَخلوقات ليس فيه شيء مِن المَخلوقات يُمكِن أن نَقول: إنه مُحاذٍ لله عَزَّوَجَلَّ، بل كل شيء مِن المَخلوقات فإن الله عَزَّوَجَلَّ فوقه، ولا يُحاذِي الله عَزَّوَجَلَّ شيئًا مِن مَخلوقاته، وعين النقْص في إثبات مِثل ذلك.

وأين الوجود إذا قلنا: إن الله تعالى خالٍ مِن الجهات الست؟

الجواب: نَقول: إنه لا يُمكِن لجهة أن تُحيط بالله؛ لأن الله تَعالى مُحيط بكلِّ شيء، ولا يُحيط به شيء مِن مَخلوقاته، فإذا كان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فوق كل شيء فإن ما فوق الأشياء ليس أمرًا وُجوديًّا حتى نَقول: إن هذا يَقتضِي أن يُشارِك المَخلوق الخالق في عُلُوه عَزَّوَجَلَّ، والواجب على الإنسان أن يُؤمِن إيمانًا قطعيًّا بأن الله تَعالى فوق كل شيء، وأنَّه العلي الأعلى، وأنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له العلو المُطلق: عُلوُّ الذات، وعُلُوُّ الصِّفات؛ بدلالة الكتاب، والسُّنَّة، والإجماع، والعقل، والفِطرة على ذلك، كما أسلفنا ذكر ذلك.

س(١١١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: يَقول الله تَعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ والآية الأخرى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فمِن الناس مَن يَقول بأن الله مَوجود في السماء، والبعض يَقول بأن الله مَوجود في كل مكان؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذه مسألة عظيمة مُهمة، وذلك أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وصف نَفسَه بأنَّه العلي، وأنَّه الأعلى، وأنَّه القاهِر فوق عِباده، وأن الأمور تَتنزَّل مِن عِنده،

وتَعرُج إليه، وأنَّه في السماء، وكل هذا يَدُلُّ على عُلُوه جل وعلا، وأنَّه فوق كل شيء.

وأما قوله تَعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤]. فالمراد بذلك: الأُلُوهِيَّة لا ذات الرب عَزَّوَجَلَّ، فقوله تَعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ فالمُراد بذلك أن أُلُوهِيَّته ثابِتة في السماء وفي الأرض، كقول القائل: فلان أمير في المدينة وفي مكة، مع أنَّه في إحداهما وليس فيهما جميعًا، وإنما المُراد: إمارته ثابتة في المدينة وفي مكة، فالله تعالى إلهُ مَن في السماء وإلهُ مَن في الأرض، وأما هو نفسه جل وعلا فوق سمواته على عرشه، وعلى هذا فلا مُنافاة بين هذه الآية وبين قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

ومعنى قوله تَعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ أي: أَنَّه علا على العرْش؛ لأن استوى في اللغة العربية إذا عُدِّيَت بـ(على) صار مَعناها: العلُو، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف:١٢-١٣] أي: لتَعلوا على ظهوره ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: عَلَوْتم عليه، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُستَوٍ على العرش، أي: عالٍ عليه.

وهذا العُلُو ليس هو العلوَّ العامَّ لجميع المَخلوقات، بل هو عُلُوٌّ خاصٌّ مُختَصٌّ بالعرش؛ ولهذا يُقال: استوى على العرش، ولا يُقال: استوى على السماء، ويُقال: علا على العرش، و: علا على السماء، فالاستِواء على العرش عُلُوٌّ خاص ليس هو العلوَّ العامَّ لجميع المَخلوقات، وقد أخطأ وضَلَّ مَن فسَّر الاستِواء هنا بالاستِيلاء والمِلك، وخطؤه مِن عدة وجوه:

الوجه الأوَّل: أنَّه مُخالِف لمُقتَضى اللغة العربية، فلم تَأْتِ استَوى على كذا بمَعنى: استَولى عليه في اللغة العربية، وكلام العرب بين أَيدينا لا نَعلَم أن مِنهم

مَن عبَّر عن الاستِيلاء بالاستِواء أبدًا، فأما ما قيل[(١)]:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مُهْرَاقِ

فإنا نُطالِب أولًا: بصِحَّة النَّقل عن شاعِر عرَبي مِن العرَب الخُلَّص، ولا يُمكِن لأحَد أن يُثبِت ذلك، ثم على فَرْض أنَّه ثبَت عن شاعر عربِي مِن العرَب الخُلَّص فإن هنا قرينةً تَمنَع أن يَكون المُراد بذلك العُلُو على العراق، لأن الرجُل لا يُمكِن أن يَعلُوَ على العِراق عُلوًّا ذاتيًّا، وحينَئِذٍ يَكون المُراد به العُلُوَّ المَعنوي، وهو الاستِيلاء، أما عُلُو الله تَعالى نفسه على عَرْشه فلا مانِع منه لا عقلًا ولا سمعًا.

ثانيًا: أن نَقول: إن تَفسير الاستِواء بالاستِيلاء مُخالِف لما كان عليه السَّلف الصالِح ومَن تَبِعهم بإحسان؛ فإنهم مُجمِعون على أن استَوى على العرش بمَعنى: علا عليه، ولم يَأتِ عن أَحَد مِنهم حَرْف واحد يَدُلُّ على أنهم فسَّروا الاستِواء بالاستِيلاء، ومَعلوم أن مُخالفة طريقة السَّلف ضَلال وخُروج عن جماعة الحقِّ.

ثالثًا: أنَّه يَلزَم على تَفسيره ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]: استَولى عليه أن يَكون العرش قبل هذا مِلكًا لغير الله، وأن الله تَعالى بالمُعالجة حصَل عليه مِن غيره، وهذا لازِم باطِل جد البطلان.

رابعًا: أننا إذا فسَّرنا استوى بـ(استَولى)، لجاز أن نَقول: إن الله استَوى على الأرض، وعلى الإنسان، وعلى الجَمَل، وعلى السفينة، وعلى كل شيء؛ لأن الله تَعالى مُستولٍ على كل شيء ومالِك له، ومَعلوم أنَّه لا أَحَد يُسوِّغ أن يَقول القائل: إن الله استَوى على الإنسان أو على الأرض أو ما أشبه ذلك.

(١) البيت للشاعر النصراني الأخطل؛ ديوانه (٤/ ٣٩٠). وينظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ٢٤١).

خامسًا: إن الذين فسَّروه بالاستيلاء مُضطرِبون ومُختَلِفون، واضطراب أهل القول فيه يَدُلُّ على عدم رسوخه وعدم صحَّته، وعلى هذا فلا يَحِلُّ لأَحَد أن يُفسِّر قولَ الله تَعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. أو قوله تَعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:٥٤]. بأن المَعنى: استَولى عليه؛ مِن أجل هذه الوجوه التي ذكَرناها، فالاستِواء على العرش يَلزَم مِنه العُلُو المُطلَق على جميع المَخلوقات، وأن الله تَعالى عالٍ بنفسه على جميع المَخلوقات، ولا يُعارِضه ما ذكَره السَّائل مِن قوله تَعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤]؛ لما ذكرنا في صدْر الجواب.

ونظير هذه الآية -أعني: قولَه تَعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٌ﴾- قولُه تَعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ﴾ [الأنعام:٣]، فقال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ وليس المَعنى أنَّه نفسَه في السَّموات وفي الأرض، ولكِن المَعنَى أن أُلوهِيَّته ثابِتة في السماء وفي الأرض.

وليَعلَم أنَّ اعتِقادَ أن الله تَعالى نفسه في كل مَكان اعتِقادٌ باطل، لو شعَر الإنسان بلَوازمه الباطلة ما تَفوَّه به؛ لأنَّه يَلزَم مِن هذا القول أن يَكون الله تَعالى في كل مَكان مِن الأماكن الطيِّبة والأماكن الخبيثة، بل للزِم مِنه أن يَكون الله تَعالى في أجواف الحيوانات، وأجواف الناس، وما أشبه ذلك، ثم يَلزَم مِن هذا أحد أمرين:

إما أن يَتعَدَّد بتَعدُّد الأمكنة.

وإما أن يَكون مُتجزِّئًا؛ بعضُه هنا وبعضُه هناك.

وكل هذا لوازِم فاسِدة تَصوُّرها كافٍ في رَدِّها وإفسادها، ومَن قال: إن الله تعالى نفسَه في كل مكان فهو ضالٌّ مُبتَدِعٌ، ما قَدَر اللهَ حقَّ قَدْره، ولا عرف عظَمته جَلَّ وَعَلَا، وكيف يَكون في كل مكان وهو الذي قد وسِع كرسيُّه السَّموات والأرض:

﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:٦٧]. فلْيَتَّقِ الله قائِل هذا، ولْيَتُبْ إلى ربه قبل أن يُدرِكه الموت على هذه العقيدة الفاسدة، ويَلقى ربه على خُبْث العقيدة وفساد الطويَّة، نَسأَل الله السلامة.

س(١١٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن تَفسير استِواء الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه بأنه: عُلُوُّه تَعالى على عرشه على ما يَليق بجلاله؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: تفسير استِواء الله تَعالى على عرشه بأنه: عُلُوُّه تَعالى على عرشه على ما يَليق بجلاله، هو تَفسير السَّلَف الصالح. قال ابن جرير[1] إمام المُفسِّرين في تفسيره: «مِن مَعاني الاستِواء: العُلُوُّ والارتِفاع، كقول القائل: استَوى فُلان على سريره، يَعني: عُلُوَّه عليه». وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]: «يَقول جل ذِكْره: الرحمن على عرشه ارتفع وعلا»[2] اهـ. ولم يُنقَل عن السَّلف ما يُخالفه.

ووجهه: أن الاستِواء في اللغة يُستَعمل على وجوه:

الأول: أن يَكون مُطلقًا غير مُقيَّد فيَكون مَعناه الكمال، كقوله تَعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾ [القصص:١٤].

الثَّاني: أن يَكون مَقرونًا بالواو فيَكون بمَعنى التَّساوِي، كقولهم: استَوى الماء والعتَبة.

(١) ينظر: تفسير ابن جرير (١/ ٤٣٠).
(٢) ينظر: تفسير ابن جرير (١٨/ ٢٧٠).

الثَّالث: أن يَكون مَقرونًا بـ(إلى) فيَكون بمَعنى القَصْد، كقوله تَعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [فصلت:١١].

الرابع: أن يَكون مَقرونًا بـ(على) فيَكون بمَعنى العُلوِّ والارتِفاع، كقوله تَعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

وذهَب بعض السَّلف إلى أن الاستِواء المَقرون بـ(إلى) كالمَقرون بـ(على) فيَكون مَعناه الارتِفاع والعلو، كما ذَهَب بعضهم إلى أن الاستِواء المَقرون بـ(على) بمَعنى الصعود والاستِقرار.

وأما تَفسيره بالجُلوس فقد نَقَل ابن القيِّم في الصواعِق (٤/ ١٣٠٣) عن خارجةَ بنِ مصعب في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ قوله: «وهل يَكون الاستِواء إلا الجلوس» اهـ. وقد ورَد ذِكْر الجلوس في حديث أخرجه الإمام أحمد عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرفوعًا. والله أعلم.

س(١١٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما هي أنواع الاستواء في لغة العرب؟ وكيف نُثبِت لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صِفة الاستِواء؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الاستِواء في اللغة العربية يَأتِي لازِمًا، ويَأتِي مُتعدِّيًا إلى المَعمول بحرف الجر، ويَأتِي مَقرونًا بواو المَعيَّة، فهذه ثلاثة وجوه للاستِواء.

أما الأوَّل: وهو أن يَأتِي مُطلَقًا غير مُقيَّد بالمَعمول ولا واو المَعيَّة، فإنه يَكون بمَعنى: الكمال، ومِنه قوله تَعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص:١٤]. أي: كمَل، ومِنه قول الناس في لُغتِهم العاميَّة (استوى الطعام)، أي: كمَل نُضجُه.

الوجه الثَّاني: أن يَأتي مَقرونًا بواو المَعية، فيكون بمَعنى التَّساوِي، كقولهم: استَوى الماء والخشبة، أي: تَساويا.

والثَّالث: أن يَأتي مُعدًّى بحرف الجر، فإن عُدِّيَ بـ (على) صار مَعناه العُلو والاستِقرار.

وإن عُدِّيَ بـ (إلى) فقدِ اختَلف المُفسِّرون فيه:

فمِنهم مَن يَقول: إنه بمَعنى الارتِفاع والعُلو.

ومِنهم مَن يَقول: إنه بمَعنى القَصْد والإرادة، مِثال ما عُدِّي بـ (على) قوله تَعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]. وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. وقد ورَد ذلك في سبعة مَواضِعَ في القرآن الكريم، ومثال المُعدَّى بـ(إلى) قوله تَعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت:١١]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٩]؛ ولذلك اختَلف المُفسِّرون في الاستِواء هنا:

فبعضهم قال: مَعناها علا إلى السماء.

ومِنهم مَن قال: مَعناها قصَد وأراد، وعلى كل فاستِواء الله على العرْش مِن الصِّفات الثابتة التي يَجِب على المُؤْمن أن يُؤمِن بها، وهو أن الله تَعالى استوى على عرشه، أي: علا عليه عُلوًّا خاصًّا، ليس كعُلوِّه على سائر المَخلوقات، بل هو عُلوٌّ خاصٌّ بالعرش، كما قال تَعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر:١٥]. ولكن هذا الاستِواء ليس مَعلومًا لنا في كيفيَّته؛ لأن كيفيَّته لا يُمكِن الإحاطة بها، ولم يُخبِرنا الله عنها ولا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولهذا لما سُئِل الإمام مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قوله تَعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]: كيف استَوى؟ فأَطرَق برأسه حتى علاه العرَق، ثم قال: «الاستواء غَير مَجهول، والكيف غير مَعقول، والإيمان به واجِب، والسؤال عنه بِدْعة»[1].

ونحن نَعلَم مَعنى الاستِواء ونُؤمِن به ونُقِرُّه، وهو: أَنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علا على عرْشه، واستوى عليه عُلوًّا واستِقرارًا يَليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكنَّا لا نَعلَم كيفيَّة هذا الاستِواء، فالواجب علينا أن نُمسِك عن الكيفية، وأن نُؤمِن بالمَعنَى.

وأما قول مَن قال: إن مَعنى ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: استَولى عليه، فهذا قول لا يَصِحُّ، وهو مُخالِف لما كان عليه السَّلف الصالح، ولما تَدُلُّ عليه هذه الكلِمة في اللغة العربية، فلا يُعوَّل عليه، بل هو باطِل، ولو كان مَعنى ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: استَولى للزِم أن يَكون الله تَعالى مُستولِيًا على شيء دون شيء، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُستولٍ على كل شيء، وللزِم أن يَكون العرش قبل هذا ليس مِلكًا لله؛ بل مِلكًا لغيره، ثم استَولى عليه مِن غيره، وهذه مَعانٍ باطِلة لا تَليق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

س(١١٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن قول مَن يَقول: إن الله مُستَوٍ على عرشه بطريقة رَمزيَّة كما بُيِّن كثير مِن أشياء الجنة للبشر في لُغتهم كي يَفهموها ويُدرِكوا مَعانِيَها؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لو تَأمَّل المُتكلِّم الكلام وأعطاه حَقَّه مِن التَّأمُّل لعلِم أن القرآن المُبين ليس فيه شيء تكون مَعانيه رَمزيَّة، فإن الرموز مُخالِفة لبيان القرآن الكريم،

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٦).

بعيدة عن دَلالاته، كيف وقد قال الله عنه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى﴾ [النحل:٨٩]. وقال تَعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت:٣]. وقال في وصْفه: ﴿حم ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:١-٣]. وقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس:٦٩]. فكيف يَكون هذا القرآن العظيم الذي نَزَل تِبيانًا لكل شيء، وفُصِّلت آياته، ووصَفه مَن أنزله بأنَّه مُبِين، وأنَّه جَعَله قرآنًا عربيًّا مِن أجل عَقْله وفَهْمه، أَقول: كيف يَكون ما هذا شأْنه ووصفُه رموزًا في أعظم المَطالب وهي صِفات الله عَزَّوَجَلَّ؟!!

إذا كُنَّا نَمنَع مَنْعًا باتًّا الدَّلالات الرمْزيَّة في الأحكام التَّكليفيَّة التي مُتعلَّقها أعمال العباد التي قد يَسوغ الاجتِهاد في بعضها حسبَما تَقتضِيه الشريعة، فكيف نُسوِّغ لأنفسنا أن نَعمَل بالدَّلالات الرمزية في الأخبار المَحضَة التي لا مَجال للرأي فيها بوَجْه مِنَ الوجوه، لا سيَّما ما يَتعلَّق بأَسْماء الله وصفاته؟

إننا لو سَوَّغنا ذلك لأنفسنا لتَلاعب الناس في كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وصار كل واحد مِن الناس أو كل طائفة مِن الناس تَدَّعي أن هذه الآية أو هذا الحديث رَمْز لكذا وكذا، فتَبطُل الشريعة بهذا المعيار عَقيدةً ومَنهجًا.

ولا أَدرِي هل يُمكِن لقَدمِ مُؤْمِن أن تَثبُت في الدنيا أو إذا لاقى ربَّه يوم القيامة على دعوى أن في كلام الله تَعالى ما دَلالته رمزية، وقد أخبر الله تعالى عنه أنَّه جعله قُرآنًا عربيًّا لنَعقِله ونَفهَمه على مُقتَضى اللسان العربي الذي نَزَل به؟

إِذَنْ: يَجِب علينا أن نَفهَم كلام الله تَعالى على مُقتَضى اللسان العربي، وقد عُلِم مِن ذلك اللسانِ العرَبيِّ أن الاستِواء إذا تَعدَّى بـ(على) كان مَعناه: العُلُوَّ والارتفاعَ.

لكن يَجِب أن نَفهم فيما يَتعلَّق باستِواء الله تَعالى على عرشه أَمرين:

أحدهما: أن استِواءه على عرشه ليس كاستِواء الإنسان على الفُلْك والأنعام والسُّرُر؛ لقوله تَعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ولأنَّه لا يُمكِن أن تَكون صِفات الخالِق كصِفات خَلْقه؛ لتَبايُن ما بَين الخالق والمَخلوق.

ثانيهما: أنا لا نَعلَم كيفيَّة استوائه؛ لقوله تَعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، ولأن الله تَعالى أخبرنا عن استِوائه ولم يُخبِرنا عن كيفيَّته، والغائب المُخبَر عنه لا تُعلم كيفيَّته إلا بمُشاهَدته، أو مُشاهدة نَظيره، أو الخبر الصادِق عنه؛ ولهذا لما سُئل مالك إمامُ دار الهِجرة عن قوله تَعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] قال: «الاستِواء غيرُ مجهول، والكيف غيرُ مَعقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بِدعة»[1]. فبيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الاستِواء مَعلوم؛ حيث نفى جَهْله -وهو: العُلُوُّ والارتِفاع-، وأن الكيف لا يُدرَك بالعقل، وإنما يُدرَك بالسمع، ولم يَرِد به فيَبقَى مجهولًا، وأن الإيمان بالاستِواء واجِب على حسَب مُراد الله تَعالى، سواء فهِمنا كيفيَّته أم لم نَفهَمها، وأن السؤال عنه -أي: عن الكيف- بِدعة؛ لأنَّه مِن سِمات أهل البِدَع، ولأنَّه لم يَسبِق السؤال عنه مِن الصحابة رِضوان الله عليهم الذين هم أَحرَص الناس على سلامة العقيدة وتَصحيحها وفهْم كلام الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا هو القول الحقُّ الصحيح في استِواء الله تَعالى على عرشه وفي بَقيَّة صِفاته، أن تَجرِي على ظاهِر الخِطاب المَفهوم بمُقتَضى اللسان العربي، لكن بِدون تَكيِيف ولا تَمثِيل.

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٦).

فإن قال قائل: إذا فسَّرْتمُ استِواء اللهَ على عرشه بعُلُوِّه عليه وارتِفاعه لزِمكم أن تَقولوا: إنه مُسْتَوٍ على كل شيء، كما أنَّه عالٍ على كل شيء.

فالجواب على ذلك: أن هذا ليس بلازِم لنا؛ لأن الاستِواء على الشيء أَخصُّ مِن مُطلَق العُلُوِّ عليه، فهو عُلوٌّ خاصٌّ بما يَكون عليه الاستِواء؛ ولهذا فسَّره بعض السَّلف بالاستِقرار.

وقوله: «كما بُيِّن كثير مِن أشياء الجنة للبَشر في لغتهم؛ كي يَفهموها ويُدرِكوا مَعانيَها». فهذا حق، ولكن هل يَقول أحَد: إن قوله تَعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:٦٨] لا يَدُلُّ على أن في الجنَّتَين فاكهةً ونخلًا ورمانًا، وإنما يَدُلُّ على أن فيهما شيئًا رَمَزَ إليه بفاكهة ونخل ورمان. أو يَقول: إن في الجَنَّتين فاكهة ونخلًا ورُمَّانًا على وجه الحقيقة، ولكن لا تُماثِل ما في الدنيا مِن النخل والرمَّان والفاكهة.

فإن قال بالأوَّل: لم يَكُن للتعبير بالفاكهة والنخل والرمَّان فائِدة أصلًا؛ إذِ الرمز إلى المُراد بهذه الثلاثة أو غيرها سواء.

وإن قال بالثَّاني: فهو حق؛ لأن في الجنة فاكهةً ونخلًا ورمانًا، لكن لا يُماثِل ما في الدنيا؛ لقوله تَعالى في الحديث القدسي: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»(١).

وهكذا نَقول في استِواء الله على عرشه: إنه حَق على ما تَقتضِيه اللغة العربية، لكن لا يُماثِل استِواء المَخلوقِين؛ لما سَبَق مِنِ انتِفاء التَّماثُل بينهما سمْعًا وعقْلًا.



(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، رقم (٣٢٤٤)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، رقم (٢٨٢٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(١١٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: قُلْتُم -حفِظكم الله- في استِواء الله على عرشه: «إنَّه عُلوٌّ خاصٌّ على العَرْش يَليق بجلال الله تَعالى وعظَمته» فنأمَل التَّكرُّم مِن فضيلتِكم بإيضاح ذلك؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: قولنا في استواء الله تَعالى على عرشه: «إنه عُلو خاصٌّ على العرش يَليق بجَلال الله تَعالى وعظمته» نُريد به أنَّه عُلو يختصُّ به العرش، وليس هو العلوَّ العامَّ الشامِل لجميع المَخلوقات؛ ولهذا لا يَصِحُّ أن نَقول: استَوى على المَخلوقات، أو على السماء، أو على الأرض، مع أنَّه عالٍ على ذلك، وإنما نَقول: هو عالٍ على جميع المَخلوقات، عالٍ على السماء، عالٍ على الأرض، ونحو ذلك، وأمَّا العرش فنَقول: إن الله تَعالى عالٍ على عرشه، ومُستوٍ على عرشه، فالاستِواء أَخصُّ مِن مُطلَق العُلُوِّ؛ ولهذا كان استِواء الله تَعالى على عرشه مِن صِفاته الفِعْلية المُتعلِّقة بمَشيئته، بخِلاف عُلُوِّه؛ فإنه مِن صفاته الذاتية التي لا يَنفَكُّ عنها.

وقد صَرَّح بمِثل ما قلنا شيخ الإسلام ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح حديث النزول (ص ٥٢٢/ مج ٥) مَجموعَ الفتاوَى جمع ابن قاسم: «فإن قِيل: فإذا كان إنما استَوى على العرْش بعد أن خلَق السَّموات والأرض في سِتة أيام؛ فقبْل ذلك لم يَكُن على العرش؟ قيل: الاستواءُ عُلُوٌّ خاصٌّ، فكل مُستَوٍ على شيء عالٍ عليه، وليس كل عالٍ على شيء مُستَويًا عليه؛ ولهذا لا يُقال لكل ما كان عاليًا على غيره: إنه مُستَوٍ عليه، واستَوى عليه. ولكن كل ما قِيل فيه: استَوى على غيره، فإنه عالٍ عليه» اهـ. المَقصود مِنه وتَمامه فيه.

وأما قولنا: «يَليق بجلاله وعظمته» فالمُراد به أن استِواءه على عرشه كسائر صِفاته يَليق بجَلاله وعَظمته، ولا يُماثِل استِواء المَخلوقِين، فهو عائد إلى الكيفية

التي عليها هذا الاستِواء؛ لأن الصِّفات تابِعة للمَوصوف، فكما أن الله تَعالى ذاتًا لا تُماثِل الذوات، فإن صِفاتِه لا تُماثِل الصِّفات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] ليس كمثله شيء في ذاته ولا صِفاته؛ ولهذا قال الإمام مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الاستِواء حين سُئِل: كيف استَوى؟ قال: «الاستِواء غير مجهول، والكيف غير مَعقول، والإيمان به واجِب، والسؤال عنه بِدْعة»(١). وهذا مِيزان لجميع الصِّفات، فإنها ثابِتة لله تَعالى كما أَثبَتها لنفسه على الوجه اللائق به، مِن غير تَحرِيف، ولا تَعطِيل، ولا تَكيِيف، ولا تَمْثِيل.

وبهذا تَبيَّن فائِدة القول بأن الاستِواء على العرش عُلُو خاصٌّ على العرش مُختَصٌّ به؛ لأن العُلوَّ العامَّ ثابِت لله عَزَّوَجَلَّ قبل خَلْق السَّموات والأرض، وحين خَلَقهما، وبعد خَلْقهما؛ لأنَّه مِن صِفاته الذاتية اللازِمة، كالسمع، والبصر، والقُدرة، والقُوَّة، ونحو ذلك، بخِلاف الاستِواء.

س(١١٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن صحة حديث «لَوْ دَلَّيْتُمْ بِحَبْلٍ إِلَى الأَرْضِ السَّابِعَةِ لَوَقَعَ عَلَى اللهِ»(٢) وما مَعناه؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا حديث اختَلف العُلَماء في تصحيحه، والذين قالوا: إنه صحيح يَقولون: إن مَعنَى الحديث: لو أَدلَيتم بحَبْل لوَقَع على الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله تَعالى مُحيط بكُلِّ شيء، فكُل شيء هو في قبضة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكل شيء فإنه

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٦).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب من تفسير سورة الحديد، رقم (٣٢٩٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

لا يَغيب عن الله تَعالى؛ حتى إنَّ السَّمواتِ السبعَ والأَرَضِين السبعَ في كفِّ الرحمن عَزَّوَجَلَّ كخَرْدلة في يَدِ أَحدِنا، يَقول الله تَعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧].

ولا يُمكِن بأيِّ حال مِن الأحوال أن يَكون دالًّا على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كل مكان، أو على أن الله تَعالى في أسفل الأرض السابعة، فإن هذا مُمتَنِع شَرْعًا، وعَقلًا، وفِطْرة؛ لأنَّ عُلُوَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد دَلَّ عليه كِتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ، والإجماع، والعقل، والفِطرة.

فمِنَ الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]. وقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١]. والآيات في هذا كثيرة جِدًّا في كِتاب الله، فكل آية تَدُلُّ على صعود الشيء إلى الله، أو رَفع الشيء إلى الله، أو نُزول الشيء مِن الله، فإنها تَدُلُّ على عُلُوِّ الله عَزَّوَجَلَّ.

وأَمَّا السُّنَّة: فإنَّها مُتواتِرة على عُلُوِّ الله عَزَّوَجَلَّ، والسُّنَّة دَلَّت على عُلُوِّ الله عَزَّوَجَلَّ مِن قول الرسول ﷺ، وفِعله، وإقراره. قال النبي ﷺ: «**أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»(١). فهذا قولٌ مِنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَدُل على عُلو الله عَزَّوَجَلَّ. وخطب النبي ﷺ في أُمَّته يوم عرَفة فقال لهم: «**أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟**» قالوا: نعم. فرفَع إِصبَعه إلى السماء يَقول: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**»(٢). فهذا فِعلٌ مِنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَدُلُّ على عُلُوِّ الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ (٤٣٥١)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وإقـراره حين سأل الجاريـة: «أَيْنَ اللهُ؟» قالت: في السماء. قـال: «**أَعْتِقْـهَا فَإِنَّـهَا مُؤْمِنَةٌ**»(١).

وأمَّا الإجماع: فقد أَجمَع الصحابة والتابِعون لهم بإحسان مِن أئمَّة هذه الأُمَّة وعُلَمائها على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فوق كل شيء، ولم يُنقَل عنهم حرف واحِد أن الله ليس في السماء، أو أنَّه مُختَلِط بالخَلْق، أو أنَّه لا داخِل العالَم ولا خارَجه، ولا مُتَّصِل، ولا مُنفصِل، ولا مُباين، ولا مُحاذٍ، بلِ النُّصوص عَنهم كلُّها مُتَّفِقة على أن الله تَعالى في العُلُو وفوق كل شيء.

أما العَقل: فقد دَلَّ على عُلو الله بأن نَقول: هل العُلو صفة كَمال أو السُّفل؟ الجواب: بالعلو، والله عَزَّوَجَلَّ قد قال في كِتابه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]. فكُل وصْف أَكمَل فهُو لله عَزَّوَجَلَّ، وإذا كان العَقْل يَدُلُّ على أن العُلو كَمال وجَب أن يُثبَت العُلو لله عَزَّوَجَلَّ، وتقرير ذلك أن يُقال: إن الله عَزَّوَجَلَّ إما أن يَكون في الأعلى، أو في الأسفل، أو في المُحاذي، ففي الأسفل مُستحيل لنَقصه، وفي المُحاذي مستحيل أيضًا لنقصه؛ لأنَّه يَلزَم أن يَكون مُساويًا للمَخلوق، فلم يَبقَ إلا العُلو، فالله عالٍ فوق كل شيء.

أما الفِطرة: فإن كل إنسان مَفطور على أن الله تَعالى في السماء، تَجِد الإنسان يَقول: يا الله، ويَتَّجِه إلى السماء، فما يَجِد في قلبه ضرورة إلا إلى العُلو.

إذن فنَحن نَقول: إن الله تَعالى فوق كل شيء، وإذا كان فوقَ كُل شيء فإنه لا يُمكِن أن يَكون المُراد بهذا الحديث: «**لَوْ دَلَّيْتُمْ بِحَبْلٍ إِلَى الأَرْضِ السَّابِعَةِ لَوَقَعَ**

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧)، من حديث معاوية ابن الحكم السلمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

عَلَى اللهِ»[(١)] أنَّ الله في الأرض!

فإن قِيل: هل قوله تَعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٨٤]. يَقتضِي أن الله في الأرض كما هو في السماء؟

فالجواب: لا؛ لأن الله تَعالى يُخبِر عن الأُلُوهِيَّة، ولا يُخبِر عن مكانه أنَّه في السماء والأرض، لكن يُخبِر أنَّه إله في السماء وإله في الأرض، كما تَقول: فلان أمير في مكة وأمير في المدينة.

فالمعنى: أن إمارته ثابِتة في مكة وفي المدينة، وإن كان هو قَطعًا في أَحَد البلدين وليس فيهما جَميعًا. فهذه الآية تَدل على أن أُلُوهِيَّة الله ثابتة في الأرض وفي السماء، وإن كان هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في السماء.

| س(١١٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: سمِعنا إجابة عن سؤال: أين الله؟ فأُجِيب بأنَّه في السماء، واستَشهد المُجِيب على ذلك بآيات مِن القرآن الكريم مِنها قوله تَعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فنرْجو زِيادة الإيضاح؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: يَجِب على المُؤْمِن أن يَعتَقِد أن الله تعالى في السماء، كما ذَكَر الله ذلك عن نفسه في كتابه، حيث قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك:١٦-١٧]. وكما شَهِد بذلك رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حين أَقرَّ الجارِيةَ

(١) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب من تفسير سورة الحديد، رقم (٣٢٩٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

التي سألها: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قالت: في السماء، قال: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»(١).

وكما أشار إلى ذلك ﷺ في أعظم مجمع مِن أُمَّته يوم عرفة، حين خَطَب الناس خُطْبته الشهيرة فقال: «**أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟**» قالوا: نعم. قال: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**»(٢) وجعل يَرفَع أُصبَعه إلى السماء ويَنكُتها إلى الناس.

فهذا دَليل مِن القرآن ومِن السُّنَّة على أن الله في السماء.

وكذلك دليل العقل: أن الله في السماء فإن السماء عُلو، والعُلو صِفة كمال، والرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد ثبَت له صِفة الكمال، فكان العلُوُّ مِن كماله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فثبَت له ذلك عقلًا.

كذلك في الفطرة: فإن الناس مَفطورون على أن الله تَعالى في السماء؛ ولهذا يَجِد الإنسان مِن قلبه ضرورة لطلَب العُلُو حينما يَسأَل الله شيئًا، حينما يَقول: يا رب. فإنه لا يَجِد في قلبه التِفاتًا يَمينًا ولا يسارًا ولا أسفل، وإنما يَتَّجِه قلبه إلى العُلو بمُقتَضى الفطرة التي سَلِمَت مِنِ اجتِيال الشياطين، وما مِن أَحَد يُصلِّي فيَقول في سجوده: «سُبحانَ ربِّيَ الأعلى» إلا وهو يَشعُر بأن الله تَعالى في السماء.

وقدِ انعَقَد إجماع السَّلف على ذلك، كما ذَكَر ذلك الأوزاعيُّ وغيره، وعلى هذا فيَكون الكِتاب، والسُّنَّة، والإجماع، والعقل، والفِطرة، كل هذه الأَدلَّة قد تَطابَقت على أن الله تَعالى في السماء، وأَنَّه جَلَّ وعلا عالٍ بذاته، كما أَنَّه عالٍ بصِفاته، ولكن يَجِب أن يُعلَم أن كونه في السماء لا يَعنِي أن السماء تُظِله وأنها مُحيطة به، فإن

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧)، من حديث معاوية ابن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨)، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الله تَعالى أَعظَم مِن أن يُظِله شيء مِن خَلْقه، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غَنِيٌّ عما سِواه، وكل شَيء مُفتقِر إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر:٤١]. وقوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج:٦٥]. فلا يُمكِن أن تُظِله السماء، وعلى هذا يَزول المَحظور -الذي أَظُن أَنَّه قد شُبِّه على هذا السَّائل- بأَنَّه إذا قُلنا بأنَّ الله في السماء لزِم أن تَكون السماء مُظِلة له عَزَّوَجَلَّ، وليس الأمر كذلك.

فإن قال قائل: قوله: «في السماء» قد يُفهِم أن السماء تُحِيط به؛ لأن (في) للظرفية، والمَظروف يكون الظَّرْف مُحيطًا به.

فالجواب: أن ذلك ليس بصحيح؛ لأن السماء بمَعنى العُلُو، وقد وَرَد ذلك في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [البقرة:٢٢]. والماء يَنزِل مِن السحاب، والسحاب مُسخَّر بين السماء والأرض، فيَكون مَعنى قوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: أَنزَل مِن العُلُو، ويَكون مَعنى قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]. أي: مَن في العلو.

وهنا وَجْه آخَر بأن نَجعَل (في) بمَعنى (على) ونَجعَل السماء هي السقف المَحفوظ، ويَكون مَعنى ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي مَن على السماء، وإذا كان عالٍ عليها فلا يلزم أن تكون محيطة به، ولا يمكن أن تكون محيطة به، و(في) تَأتي بمَعنى (على)، كما في قوله تَعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ [النحل:١٥]. أي: على الأرض، وكما في قَوْله تَعالى عن فِرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١]. أي: على جُذوع النَّخل، فبِكُل هذا يَزول الإشكال والوهم الذي قد يَعترِي مَن لم يَتدبَّر دَلالة الكِتاب والسُّنَّة في هذه المَسألة العظيمة، ولا رَيبَ أن مَن أَنكَر أن الله في السماء هُو مُكذِّب

بالقرآن والسُّنَّة وإجماع السَّلف، فعَليه أن يَتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يَتدَبَّر دَلالة الكِتاب والسُّنَّة على وجه مُجرَّد عن الهوى، ومُجرَّد عن التقليد؛ حتى يَتبيَّن له الحقُّ، ويَعرِف أن الله عَزَّوَجَلَّ أَعظَم وأَجلُّ مِن أن يُحيط به شيء مِن مَخلوقاته.

أما قَوله تَعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس:٣] فإن الاستِواء بمَعنى: العُلو، كما في قوله تَعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ [الزخرف:١٣] أي: تَعلو عليها، وكما في قوله تَعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون:٢٨] أي: عَلَوْت.

فالاستِواء في اللغة العربية بمَعنى: العُلُو، ولا يَرِد بمَعنَى الاستِيلاء والمِلك أبدًا، ولو كان هذا صحيحًا لبيَّنه الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن، ولو في مَوضِع واحد، والاستِواء على العرش ذُكِر في القرآن في سبعة مَواضِع ما فيها مَوضِع واحد عبر عنه بالاستِيلاء أبدًا، ولو كان بمَعنى الاستِيلاء لعبَّر عنه في بعض المَواضِع حتى يُحمَل الباقي عليه، وليس في سُنَّة رسول الله ﷺ حرف واحد يَدُلُّ على أن استِواء الله على عرشه بمَعنى: استِيلائه عليه، وليس في كلام السَّلف الصالح والأَئمَّة أن استِواء الله على العرش بمَعنى: استِيلائه عليه.

والمَعروف عنهم أنه: بمَعنى العُلُو والاستِقرار والارتِفاع والصعود، هكذا نُقِل عن السَّلف، وعلى هذا فيَكون المَعنى الصحيح في قوله تَعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] وما أَشبَهها مِن الآيات: أن الرحمن على العرش عَلا عُلوًّا خاصًّا يَليق بجلاله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ولا يَستلزِم ذلك أن يَكون الله تَعالى مُحتاجًا إلى العرش، بل إنه لا يَقتضِي ذلك أبدًا، فإنه قد عُلِم أن الله تَعالى غَنيٌّ عمَّا سِواه، وأن كل ما سِواه مُحتاج إليه، فنَرجو مِن الأخ السامِع للجواب الأول أن يَرِد إليه هذا

الجواب؛ حتى يَتبيَّن له الحقُّ بأن يُجرِّد نفسه قبل كل شيء مِن التقليد؛ حتى يَكون قلبه سليمًا على الفطرة التي فطَر الله الناس عليها.

س(١١٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: عن المَعية في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤] هل هي مَعيَّة ذاتية أو مَعيَّة عِلْم وإحاطة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نَحْن نَعلَم أن الله فوق كل شيء، وأنَّه استوى على العرش، فإذا سمِعنا قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ فلا يُمكِن أن يَفهَم أحَد أنَّه مَعَنا على الأرض، لا يَتصوَّر ذلك عاقل فضلًا عن مُؤْمِن، ولكنه مَعنا سبحانه وهو فوق العرش فوق سمواته.

ولا يُستغرَب هذا فإن المَخلوقات -وهي لا تُنسَب للخالق- تَكون في السماء ونَقول: إنَّها مَعنا. فيقول شيخ الإسلام[(١)]: تَقول العرَب: ما زِلْنا نَسير والقمَر معنا، ومع ذلك فالقمَر مَكانه في السماء. فالله مَع خَلْقه، ولكنه في السماء، ومَن زَعَم بأنَّه مَع خَلْقه في الأرض -كما تَقول الجهميةُ- فأرى أنَّه كافِر يَجِب أن يَتوب إلى الله، ويَقدُر ربَّه حَقَّ قَدْره، ويُعظِّمه حق تَعظِيمه، وأن يَعلَم أنَّه سبحانه وسِع كُرسِيُّه السَّموات والأرض، فكيف تَكون الأرض محَلًّا له؟

وقد جاء في الحديث: «**مَا السَّمَواتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ إلا كَحَلَقَةٍ أُلْقِيَتْ فِي فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ**»[(٢)]. والحَلقة صَغيرة، مع أن العَرْش مخلوق

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٠٣).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (٣٦١)، وابن بطة في الإبانة (٧/ ١٨١)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٦)، من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والكرسِيُّ مَخلوق، فما بالُك بالخالق سُبحانه؟! فكيف يُقال: إن الأَرْض تَسَع الله سُبحانه أو أنَّه في الأرض، ومِن مَخلوقاته سُبحانه ما وسِع السَّموات والأرض؟ ولا يَقول عن رَبِّ العزة مِثل هذه المقولات إلا مَن لا يَقدُر الله حَقَّ قَدْره، ولم يُعظِّمه حَقَّ تَعظيمه. بل الربُّ عَزَّوَجَلَّ فوق كل شيء مُستوٍ عَلى عَرشِه، وهو سُبحانه بكُل شيء عليم.

س(١١٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل سبَق أَحَد شيخ الإسلام ابن تيميَّة وتلميذَه ابنَ القيم في أن المعيَّة حَقيقية تَليق بالله يُنزَّه فيها الباري عن أن يَكون مُختلِطًا بالخَلْق أو حالًّا في أَمكِنتهم؟ وعن الحديث القدسي: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ...»[١]؟ وعن قول ابن القَيِّم في الصواعِق -مُختصرها[٢]- «فهو قريب مِنَ المُحسِنِين بذاته ورحمته» هل هو صحيح؟ وهل سبَقه أحد في ذلك؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: لا أَعلَم أَحَدًا صرَّح بذلك، لكن الذي يَظهَر أن الكلام فيها كغَيرها مِن الصِّفات، تُفهَم على حقيقتها مع تَنزِيه الله تَعالى عمَّا لا يَليق به، كما يَفهَم الاستِواء والنزول وغيرهما؛ ولهذا لم يَتكلَّم الصحابة فيما أَعلَم بلفظ الذات في الاستِواء والنزول، أي: لم يَقولوا: استَوى على العرش بذاته، أو يَنزِل إلى السماء الدنيا بذاته؛ لأن ذلك مَفهوم مِن اللفظ، فإن الفعل أُضِيف إلى الله تَعالى، إما إلى الاسم الظاهر أو الضمير، فإذا أُضِيف إليه كان الأصل أن يُراد به ذات الله عَزَّوَجَلَّ،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) ينظر: مختصر الصواعق (ص:٤٨٢).

لكن لما حدَث تَحرِيف مَعنى الاستِواء والنزول احتاجوا إلى تَوكيد الحقيقة بذِكْر الذات.

وكذلك لما حدَث القول بالحلول وشبَّه القائلون به بآيات المَعيَّة بيَّن السَّلف بُطلان تَلبِيسهم، وأنَّه لا يُراد بها أنَّه مَعهم بذاته مُختلِطًا بهم، كما فهِم أولئك الحُلوليَّة، وأن المُراد بها بَيان إحاطته بالخَلْق عِلْمًا، وذكَروا العِلْم؛ لأنَّه أَعمُّ الصِّفات مُتعلَّقًا، ولأنها جاءت في سِياقه.

والمُهِمُّ أن هذه المَسألة -كغيرها مِن مَسائل الصِّفات- تُجرَى على ظاهِرِها على ما يَليق بالله عَزَّوَجَلَّ، وما ورَد عن السَّلف فإنه داخِل في معناها؛ لأنَّه مِن لوازِمه، واقتَصروا عليه خوفَ المَحذور، وإلا فلا يَخفَى أن حقيقة المَعيَّة أَوسَع مِن العِلْم وأَبلَغ، ولظُهور هذه المَسألة وأنها لم تَخرُج عن نَظائِرِها لم يَكُن فيها كلام عن الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنهُم اللهم إلا ما ذُكِر عن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا ذكَره ابنُ أبي حاتم في تفسيره[1] عنه، قال: «هُو على العرش، وعِلْمه معهم»، ثم اشتَهر ذلك بين السَّلف حين انتَشر تَفسير الجهميَّة لها بالحلول.

وأما سُؤالكم عن الحديث القدسي: **«وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ»**[2]. فأنت تَرى أن الله تَعالى ذَكَر في الحديث عبدًا ومَعبودًا، ومُتقرِّبًا ومُتقرَّبًا إليه، ومُحِبًّا ومَحبوبًا، وسائِلًا ومَسؤولًا، ومُعطِيًا ومُعطًى، ومُستعِيذًا ومُستَعاذًا به، ومُعيذًا

---

(١) ينظر: الدر المنثور للسيوطي (٨/ ٤٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ.

ومُعاذًا، فالحديث يَدُلُّ على اثنَيْن مُتبايِنَين، كل واحِد مِنهما غير الآخَر، فإذا كان كذلك لم يَكُن ظاهـر قولِه: «كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَيَدَهُ وَرِجْلَهُ» أن الخالِق يَكون جُزءًا مِنَ المَخلوق أو وَصفًا فيه -تَعالى الله عن ذلك-، وإنَّما ظاهِره وحقيقته أن الله تَعالى يُسدِّد هذا العبد في سمْعه، وبَصَره، وبَطْشه، ومَشيه، فيَكون سَمْعه لله تَعالى إخلاصًا، وبه استِعانة، وفيه شَرْعًا، واتِّباعًا، وهكذا بَصَره، وبَطْشه، ومَشْيه.

وأمَّا سُؤالكم عن قول ابن القيم في الصواعِق (مُختصرها)، فهو قريب مِن المُحسنِين بذاته، ورَحمته، فهل يَصِحُّ؟ وهل سبَقه أَحَد في ذلك؟

فإن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قاله أخذًا بظاهر قوله تَعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]. فهذه الضمائر: ﴿عِبَادِي﴾، ﴿عَنِّي﴾، ﴿فَإِنِّي﴾، ﴿قَرِيبٌ﴾، ﴿أُجِيبُ﴾، ﴿دَعَانِ﴾، ﴿لِي﴾، ﴿بِي﴾، كلُّها تَعود إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فكما أنَّه نَفسه المَعبود، المسؤول عنه، المُجيب لدعوة الداعِي، الواجب الإيمان به، فهو القريب كذلك، ولا يَلزَم مِن ذلك الحلول؛ لأن الله تَعالى ليس كمِثله شيء في جميع صِفاته، فهو قريب في عُلُوه.

وقد سَبَقه إلى مِثل ذلك شيخه شيخ الإسلام ابن تيميّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال في شرح النزول (ص٥٠٨ جـ٥) مِن مجموع الفتاوى: «ولهذا لما ذَكَر الله سُبحانه قُرْبَه مِن داعيه وعابِديه قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]. فهنا هو نفسه سبحانه القريب الذي يُجيب دَعوة الداع...» إلى أن قال (ص:٥١٠): «وأما قُرْب الرب قربًا يَقوم به بفِعْله القائم بنَفْسه فهذا تَنفيه الكُلابيَّة، ومَن يَمنَع قِيام الأفعال الاختيارية بذاته، وأمَّا السَّلَف

وأئمَّة الحديث والسُّنَّة فلا يَمنَعون ذلك، وكذلك كثير مِن أهل الكلام» اهـ.



س(١٢٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن إثبات العَينَين لله تَعالى، ودليل ذلك؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الجواب على ذلك يَتحرَّر في مَقامَين:

المَقام الأوَّل: أن لله تَعالى عَينَين، فهذا هو المَعروف عن أهل السُّنَّة والجماعة، ولم يُصرِّح أحَد مِنهم بخِلافه فيما أَعلَم. وقد نَقَل ذلك عنهم أبو الحسن الأشعري في كتابه: «اختلاف المُصلِّين ومَقالات الإسلامِيِّين»[1]. قال: مَقالة أهل السُّنَّة وأصحاب الحديث. فذكر أشياء ثم قال: «وأن له عَينَين بلا كيف كما قال تَعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]». نَقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية (ص٩٠/ ٥ مِن مَجموع الفتاوى لابن قاسم)، ونقل عنه أيضًا مثله في (ص:٩٢) عن كتابه: «اختِلاف أهل القِبلة في العرْش». ونقل عنه أَيضًا مثله في (ص:٩٤) عن كتابه: «الإبانة في أصول الدِّيانة». وذكَر له في هذا الكتاب ترجمة باب بلفظ: «باب الكلام في الوجه، والعينين، والبصر، واليدين». ونقل شيخ الإسلام في هذه الفتوى (ص:٩٩) عن الباقِلاني في كتابه: «الإبانة». قوله: صِفات ذاته التي لم يَزَل ولا يَزال مُتَّصِفًا بها هي الحياة والعِلْم، إلى أن قال: «والعَينان واليدان».

ونقل ابنُ القيِّم (ص:١١٨،١١٩،١٢٠) في كتابه: «إجماع الجيوش الإسلامية على غزو المُعطلة والجَهمية» عن أبي الحسن الأشعري وعن الباقِلاني في كتابيه:

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٢٦).

«الإبانة» و«التمهيد» مِثلما نقل عنه شيخ الإسلام، ونقل قبل ذلك في (ص:١١٤) عن الأشعري في كتابه: (الإبانة) أنَّه ذكر ما خالَفَت به المُعتزِلة كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ، وإجماع الصحابة، إلى أن قال: «وأنكروا أن يَكون لله عَينان مع قوله تَعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾».

وقال الحافِظ ابن خزيمة في: كتاب «التَّوْحيد وإثبات صِفات الرب» (ص:٣٠) بيان النبي ﷺ الذي جعله الله مُبيِّنًا عنه في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]. فبَيَّن النبي ﷺ، أن لله عَينَين، فكان بَيانه مُوافِقًا لبيان مُحكَم التَّنزِيل، ثم ذكَر الأدلة، ثم قال في (ص:٣٥): «نحن نَقول: لربنا الخالق عَينان يُبصِر بهما ما تَحت الثرى».

وقال في (ص:٥٥-٥٦): «فتَدبَّروا يا أُولِي الألباب ما نَقوله في هذا الباب في ذِكْر اليَدين؛ ليَجريَ قولنا في ذكر الوجه والعَيْنَين؛ تَستَيْقِنوا بهداية الله إيَّاكم، وشرحِه جل وعلا صُدورَكم للإيمان بما قَصَّه الله عَزَّوَجَلَّ في مُحكَم تَنزِيله، وبعلى لسان نَبيِّه ﷺ، مِن صِفات خالِقنا عَزَّوَجَلَّ، وتَعلَّموا -بتَوفيق الله إيَّاكم- أن الحق والصواب والعَدْل في هذا الجِنس مَذهبًا مَذهبُ أهل الآثار ومُتَّبِعي السُّنَن، وتَقِفوا على جهْل مَن يُسمِّيهم مُشبِّهة» اهـ.

فتَبيَّن بما نَقلْنا أن مَقالة أهل السُّنَّة والحديث أن لله تَعالى عَيْنَين تَليقان بجَلاله وعظمته لا تُكيَّفان ولا تُشبِهان أَعينَ المَخلوقِين؛ لقوله تَعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]. روى عثمان بن سعيد الدَّارِمي (ص:٤٧) مِن ردِّه على المَرِيسي بسنده عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨]. فوَضَع أُصبَعه للدعاء على عَيْنَيه وإبهامه على أُذُنَيْه.

المَقام الثَّاني: في ذِكْر الأدلة على إثبات العَينين:

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: باب قول الله تعالى: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه:٣٩] وقوله جل ذكره: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]. ثم ساق بسنده حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ذُكِر الدَّجَّال عِند النبي ﷺ، فقال: «**إِنَّهُ لا يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ -وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنَيهِ- وَإِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنبَةٌ طَافِيَةٌ**»[1].

وقدِ استَدَلَّ بحَديث الدَّجَّال على أن لله تَعالى عَينين: عثمانُ بنُ سعيد الدَّارِمي في كتابه: «الرد على بِشرٍ المَرِيسي» الذي أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية. وقال: «إِنَّ فِيهما مِن تَقرير التَّوْحيد والأَسْماء والصِّفات بالعَقْل والنَّقْل ما ليس في غَيرهما» يَعنِي هذا الكتاب وكتابه الثَّاني: «الردُّ على الجهمية» قال الدارِمي في الكتاب المَذكور: «(ص:٤٣) ط أنصار السُّنَّة المحمدية»، بعد أن ساق آيَتَيْ صِفة العَيْنَين: ثم ذَكَر رسول الله ﷺ الدَّجَّال فقال: «**إنه أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**»، قال: والعَوَر عند الناس ضِد البَصر، والأعور عِندهم ضِد البَصير بالعَيْنَيْن. وقال في (ص:٤٨): ففي تَأْوِيل قول رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**» بيان أَنَّه بَصير ذُو عَينَين، خِلاف الأعور.

واستَدَلَّ به أيضًا الحافِظ ابن خُزَيمة في كتاب التَّوحيد كما في (ص:٣١، وما بعدها).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾، رقم (٧٤٠٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، رقم (١٦٩)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ووجه الاستِدلال به ظاهِر جدًّا؛ فإن النبي ﷺ أراد أن يُبيِّن لأُمَّته شيئًا ممَّا يَنتَفِي به الاشتِباه عليهم في شأن الدَّجَّال في أمر محسوس يَتبيَّن لذَوِي التفكير العالِين بالطرق العَقلِية وغيرهم، بذِكْر أن الدَّجَّال أَعْور العين والرب سبحانه لَيس بِأَعوَرَ، ولو كان لله تَعالى أكثرُ مِن عَيْنَين لكان البيان به أولى؛ لظُهوره وزِيادة الثَّناء به على الله تَعالى، فإن العَين صِفة كَمال، فلو كان لله أَكثَر مِن اثنتَين كان الثَّناء بذلك على الله أبلغَ.

وتَقرير ذلك أن يُقال: ما زاد على العَينَين فإما أن يَكون كمالًا في حق الله تَعالى أو نَقْصًا، فإن كانَ نَقْصًا فهو مُمتَنِع على الله تَعالى لامتِناع صِفات النَّقْصِ في حقه، وإن كان كمالًا فكيف يُهمِله النبي ﷺ، مع كونه أبلغَ في الثَّناء على الله تَعالى؟ فلمَّا لم يَذْكُرْه النبي ﷺ عُلِم أنَّه ليس بثابِت لله عَزَّوَجَلَّ، وهذا هو المَطلوب.

فإن قيل: تَرَكَ ذِكْره مِن أجل بيان نَقْص الدجال بكونه أَعورَ.

قُلنا: يُمكِن أن يُذكَر مع بَيان نَقْص الدجال، فيَجْمَع بين الأمرَين حتى لا يَفوت ذِكْر كَمال صِفة الله عَزَّوَجَلَّ.

واعْلَم أن النبي ﷺ ذَكَر هذه العَلامة الحسِّية ليُبيِّن نَقْصَ الدجَّال، وأنَّه ليس بصالِح لأن يَكون ربًّا، ولظِهورها لجَميع الناس؛ لكونها علامة حِسِّية بخِلاف العلامات العقلية، فإنها قد تَحتاج إلى مُقدِّمات تَخفَى على كثير مِن الناس، لا سيَّما عند قوة الفِتنة واشتِداد المِحْنة، كما في هذه الفِتْنة فِتْنة الدجَّال، وكان هذا مِن حُسْن تَعليمه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حيث يَعدِل في بيانه إلى ما هو أظهَر وأَجلَى مع وجود علامات أخرى.

وقد ذكر ابنُ خُزَيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب (التَّوْحيد) (ص:٣١) حديثًا ساقه في ضِمن الأدلَّة على أن النبي ﷺ بيَّن أن لله تَعالى عَينَيْن، فساقه بسَنده إلى أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه يَقرَأ قوله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ إلى قوله: ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨]. فيَضَع إِبهامه على أُذُنه، والتي تَليها على عَينه. ويَقول: هكذا سمِعت رسول الله ﷺ يَقرؤُها ويَضَع أُصبُعيه[١].

وقد سبَقت رِواية الدارمي له بلفظ التَّثنِية، وذكَر الحافِظ ابنُ حجر في الفتح (ص:٣٧٣/ ج١٣، ط. خطيب) أن البيهقي ذكر له شاهِدًا مِن حديث عُقبةَ بنِ عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: سمِعت رسول الله ﷺ يقول على المِنبَر: «إِنَّ رَبَّنَا سَمِيعٌ بَصِيرٌ» وأَشار إلى عَيْنَيه. وسنده حَسَن. اهـ.

وقد ذكَر صاحِب مُختصر الصواعق (ص:٣٥٩، ط. الإمام) قُبَيل المِثال السادس حديثًا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاةِ فَإِنَّهُ بَيْنَ عَيْنَيِ الرَّحْمَنِ»[٢]. الحديثَ، لكنه لم يَعزُه، فلْيُنظَرْ في صِحَّته.

وبهذا تَبيَّن وجوبُ اعتِقاد أن لله تَعالى عَيْنَين؛ لأَنَّه مُقتَضى النَّصِّ، وهو المَنقول عن أهل السُّنَّة والحديث.

فإن قيل: ما تَصنَعون بقوله تَعالى: ﴿أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السُّنَّة، باب في الجهمية، رقم (٤٧٢٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ١٨٠) رقم (١٢٨)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (١/ ٧٠)، وأبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٢٠)، رقم (١٩٠٨)، كلهم من طريق إبراهيم الخوزي، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، مرفوعًا. وإبراهيم الخوزي متروك الحديث، انظر تهذيب الكمال (٢/ ٢٤٣).

[المؤمنون:٢٧]، وقوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤] حيث ذكَر الله تَعالى العين بلفظ الجمع؟

قلنا: نَتلقَّاها بالقَبول والتَّسلِيم، ونَقول: إن كان أقلُّ الجمع اثنَيْن -كما قِيل به، إما مُطلَقًا أو مع الدليل- فلا إشكال؛ لأن الجمع هنا قد دَلَّ الدليل على أن المُراد به اثنَتان فيَكون المُراد به ذلك، وإن كان أقلُّ الجمع ثلاثةً فإنَّنا نَقول: جمعُ العين هنا كجَمْع اليد في قوله تَعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾ [يس:٧١]. يُراد به التَّعظِيم والمُطابَقة بين المُضاف والمُضاف إليه وهو -نا- المُفيد للتَّعظيم دون حقيقة العدد، وحِينَئِذٍ لا يُصادِم التَّثنِية.

فإن قيل: فما تَصنَعون بقوله تَعالى يُخاطِب موسى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه:٣٩] حيث جاءت بالإفراد؟

قلنا: لا مُصادَمة بينها وبين التَّثنِية؛ لأن المُفرَد المُضاف لا يَمنَع التَّعدُّد فيما كان مُتعَدِّدًا، ألا تَرى إلى قوله تَعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل:١٨]. وقوله تَعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٢٣١]. فإن النِّعمة اسم مُفرَد، ومع ذلك فأَفْرَادُها لا تُحصَى.

وبهذا تَبيَّن ائتِلاف النصوص واتِّفاقها وتَلاؤُمُها، وأنها -ولله الحمد- كلها حق، وجاءت بالحق، لكنها تَحتاج في بعض الأحيان إلى تَأمُّل وتَفكير، بقَصْد حَسَن، وأداة تامَّة، بحيث يَكون عند العبد صِدْق نية بطلَب الحق، واستعداد تامٌّ لقَبوله، وعِلْم بمَدلولات الأَلفاظ ومَصادر الشرع ومَوارده، قال الله تَعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]. فحثَّ على تَدبُّر القرآن الكريم، وأشار إلى أنَّه بتَدبُّره يَزول عن العبد

ما يَجِد في قلبه مِن الشُّبُهات، حتى يَتبيَّن له أن القرآن حَقٌّ يُصدِّق بَعضُه بَعضًا. والله المُستَعان.

س(١٢١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: عمَّا ذكَره الرازي مِن أن ظاهِر قوله تَعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه:٣٩] يَقتضِي أن يَكون موسى مُستَقِرًّا على تلك العَين لاصِقًا بها مُستعلِيًا عليها. وأن قوله تَعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود:٣٧] يَقتضِي أن تَكون آلة تِلك الصَّنعة هي تِلك العَين.

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ما ذكَره الرازي مِن أن ظاهِر قوله تَعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه:٣٩] يَقتضِي أن يَكون مُوسى مُستقِرًّا على تِلك العين، لاصِقًا بها، مُستَعلِيًا عليها، وأن قوله تَعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود:٣٧] يَقتضِي أن تَكون آلة تِلك الصَّنْعة هي تِلك العَيْن.

أقول: إن ادِّعاءه أن ذلك ظاهِر الآيَتَين ادِّعاء باطل؛ لأن هذا المَعنى الذي ادَّعى أنَّه ظاهر الكلام مَعنًى باطِلٌ، لا يَقوله عاقل، كما اعتَرف به هو، فإذا كان مَعنًى باطِلًا لا يَقوله عاقل فكيف يَسوغ لمُؤْمِن -بل لعاقِل- أن يَقول: إن هذا ظاهِر كلام الله تَعالى؟!

إن مَن جوَّز أن يَكون هذا ظاهِر كلام الله عَزَّوَجَلَّ فقد قدَح في الله عَزَّوَجَلَّ وفي كلامه الكريم، حيث جعَل مَدلوله معنًى باطلًا، لا يَقوله العُقَلاء، وإذا تَعذَّر أن يَكون هذا المَعنى الباطل ظاهِرَ هذا الكلام تَعيَّن أن يَكون ظاهِره مَعنًى آخر يَليق بالله تَعالى، وهو في الآية الأولى: أن تربية موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على عين الله تَعالى

ويَنظُر إليه بعَينه، كما تَقول: جرى هذا الشيء على عَيْني، أي: حصَل وأنا أُشاهِده وأَراه بعَينِي.

والمَعنى في الآية الثَّانية: أن صُنْع نُوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ السفينةَ كان بعَيْن الله تَعالى أي: مَصحوبًا بعَيْنه يَراه الله تَعالى بعَيْنه، فيُسدِّده ويُصلِح صَنيعه، كما تَقول: صَنَعت هذا بعَيني، أي: صَنَعته وأنا أَرْعاه بعَيْني، وإن كانت آلةُ الصُّنع اليد أو الآلة. وتَقول: كتَبْته بعَيْني، أي: كتَبْته وأنا أَنظُر إليه بعيني، وإن كانت الكِتابة باليد أو بالآلة.

وهذا التعبير لهذا المَعنى تَعبير عربي مَشهور، والقرآن الكريم نزَل بلِسان عربي مُبين، فهو محَمول على ما تَقتضِيه اللغة العربية، إلا أن يَكون هناك حقيقة شرعيةٌ انتَقَل المَعنَى إليها كالصلاة والصيام ونحوها، فيُحمَل على الحقيقة الشرعية. وكتاب التأسيس الذي نَقَل السَّائل منه هذه الكلمات قد نَقَضه شيخ الإسلام ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ، فليتَ السَّائلَ يَحصُل على نسخة مِن نَقْضِه.

س(١٢٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عمَّن يَقول: إن كون الدجَّال أعورَ لا يُثبِت أن الله ذو عَيْنَين، وإنَّما يُثبِت أنَّه يَرى كل شيء يَمُر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لو تَأمَّل القائل حديثَ الدجَّال لرأى أنَّه يَدُل دَلالة واضِحة على أن الله تَعالى له عَينان اثنَتان فقط، ففي صحيح البخاري عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال في الدجَّال: «**أَعْوَرُ العَيْنِ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنبَةٌ طَافِيَةٌ**»(١).

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾، رقم (٧٤٠٧).

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ ذَكَر الدجّال فقال: «**إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلا وَإِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنبَةٌ طَافِيَةٌ**»[(١)].

ووجه الدَّلالة مِن الحديث: أنَّه لو كان لله تعالى أكثرُ مِن عينَين لكان الزائِد كمالًا بلا شكٍّ؛ لأنَّه لا يُمكِن أن يَتَّصِف الله تعالى بما لَيس بكمال، وهذا الكَمال يَحصُل به التَّمييز فيَقول: إن الله له أَعيُن، فلو كان ثابِتًا لكان ذِكْره هو الواجِبَ؛ لأنَّه أبلغُ في وصف الربِّ بالكَمال مع التمييز.

وقد نَقَل أبو الحسن الأشعري وغيره أن هذا هو ما عليه أهل السُّنَّة، أعنِي: إثباتَ أن الله تَعالى له عَينان فقط، وإنما جُمِعت في قوله تَعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤] لأنَّها أُضيفت إلى اسم جَمْع، فكان جَمْعها أولى مِن أجل التناسُب بين المُتضايِفَين، كما جُمِعتِ اليدُ في قوله تَعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس:٧١] مِن أَجْل التناسُب بين المُتضايِفَين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصواعق (١/ ٢٥٤): «إن دَعوَى الجهمِي أن ظاهِر القرآن يَدُلُّ على أن لله تَعالى أَيديًا كثيرةً على جَنْب واحد، وأعيُنًا كثيرة على وَجْه واحد، عَضْنٌ للقرآن، وتَنقُّص له وذَمٌّ، ولا يَدُلُّ ظاهِر القرآن ولا باطنه على ذلك بوجهٍ ما، ولا فِهمَه مَن له عَقْل. إلى أن قال: «فهَذا الأشعري والناس قَبْله وبعده ومَعه لم يَفهَموا مِن الأَعْيُن أَعيُنًا كثيرة على وجه، ولا أَيديًا كثيرة على شِقٍّ واحد، حتى جاء هذا الجَهمِي فعضَنَ القرآن وادَّعى أن هذا ظاهِره، وإنَّما قَصَد هذا وأمثالُه التَّشنِيع على مَن بَدَّعه وضَلَّله مِن أهل السُّنَّة والحديث» اهـ.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، رقم (١٦٩)، من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

س(١٢٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما الأمور التي يَجِب تَعليقها بالمَشيئة، والأمور التي لا يَنبَغي تَعليقُها بالمَشيئة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: كل شيء مُستقبَل فإن الأفضَل أن تُعلِّقه بالمَشيئة؛ لقول الله تَعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف:٢٣-٢٤]. أما الشيء الماضي فلا يُعلَّق بالمَشيئة إلا إذا قَصَد بذلك التعليل.

فمثلًا: لو قال لك شخص دخل شَهْر رَمضان هذا العامَ ليلةَ الأحد إن شاء الله. فلا يَحتاج أن نَقول: إن شاء الله؛ لأنَّه مَضَى وعُلِم. ولو قال لك قائل: لَبِسْت ثوبي إن شاء الله. وهو لابِسُه فلا يَحسُن أن يُعلِّق بالمَشيئة؛ لأنَّه شيء مَضى وانتَهى إلا إذا قَصَد التعليل، أي: قَصَد أن اللبس كان بمَشِيئة الله، فهذا لا بأس به.

فلو قال قائل حين صلَّى: صَلَّيْت إن شاء الله، إن قصَد فِعل الصلاة فإن الاستِثْناء هنا لا يَنبَغِي؛ لأنَّه صلَّى، وإن قصَد إن شاء الله الصلاة المَقبولة، فهنا يَصِح أن يَقول: إن شاء الله؛ لأنَّه لا يَعلَم أَقُبِلت أم لم تُقبَل.



س(١٢٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن أقسام الإرادة.

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الإرادة تَنقسِم إلى قِسْمين:

القِسْم الأوَّل: إرادة كونية.

القِسْم الثَّاني: إرادة شرعية.

فما كان بمَعنى المَشيئة فهو إرادة كونِيَّة.

وما كان بمَعنى المحبَّة فهو إرادة شرعِيَّة.

مثال الإرادة الشرعية: قوله تَعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء:٢٧]؛ لأن ﴿يُرِيدُ﴾ هنا بمَعنى: يُحِبُّ، ولا تَكون بمَعنى المشيئة؛ لأنَّه لو كان المَعنى: «والله يَشاء أن يَتوب عليكم» لتاب على جميع العباد، وهذا أمر لم يَكن، فإن أكثر بني آدم مِن الكفَّار، إِذَنْ قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ يَعني: يُحِبُّ أن يَتوب عليكم، ولا يَلزَم مِن محَبَّة الله للشيء أن يَقَع؛ لأن الحكمة الإلهية البالغة قد تَقتَضِي عدم وقوعه.

ومِثال الإرادة الكونية: قوله تَعالى: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡ﴾ [هود:٣٤]؛ لأن الله لا يُحِبُّ أن يُغوِي العباد، إِذَنْ: لا يَصِحُّ أن يَكون المَعنى: إن كان الله يُحِبُّ أن يُغوِيَكم، بل المَعنى: إن كان الله يَشاء أن يُغوِيَكم.

ولكن بقِي لنا أن نَقول: ما الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية مِن حيث وقوع المُراد؟

فنَقول: الكونية لا بُدَّ فيها مِن وقوع المُراد، إذا أراد الله شَيئًا كونًا فلا بدَّ أن يَقَع: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

أما الإرادة الشرعية: فقد يَقَع المُراد وقد لا يَقَع، قد يُرِيد الله عَزَّوَجَلَّ هذا الشيء شَرْعًا ويُحِبُّه ولكن لا يَقَع؛ لأن المَحبوب قد يَقَع وقد لا يَقَع.

فإذا قال قائل: هلِ الله يُريد المَعاصيَ؟

فنَقول: يُريدها كونًا لا شَرْعًا؛ لأن الإرادة الشرعية بمَعنى المَحبَّة، والله لا يُحِبُّ المَعاصِيَ، ولكن يُريدها كونًا، أي: مَشِيئة، فكل ما في السَّموات والأرض فهو بمَشيئة الله.

س(١٢٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن الإلحاد في أَسْماءِ اللهِ تَعالى وأنواعه؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الإلحاد في اللغة: هو المَيْل، ومِنه قول الله تَعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣]. ومِنه اللحْد في القبر، فإنه يُسمَّى لحدًا لَمْيْله إلى جانب مِنه، ولا يُعرَف الإلحاد إلا بمَعرِفة الاستِقامة؛ لأَنَّه كما قيل: بضِدِّها تَتبيَّن الأشياء. فالاستِقامة في باب أَسْماء الله وصفاته: أن نُجرِيَ هذه الأَسْماء والصِّفاتِ على حقيقتها اللائقة بالله عَزَّوَجَلَّ، مِن غير تَحريف، ولا تَعطِيل، ولا تَكيِيف، ولا تَمْثِيل، على القاعدة التي يَمشِي عليها أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب، فإذا عرَفنا الاستِقامة في هذا الباب فإن خِلاف الاستِقامة هو الإلحاد، وقد ذكَر أهل العِلْم للإلحاد في أَسْماء الله تَعالى أنواعًا يَجمَعها أن نقول: هو المَيْل بها عما يَجِب اعتِقاده فيها.

وهو على أنواع:

النوع الأَوَّل: إنكار شيء مِن الأَسْماء أو ما دَلَّت عليه مِن الصِّفات، ومثاله: مَن يُنكِر أن اسم الرحمن مِن أَسْماء الله تَعالى كما فعَل أهل الجاهلية، أو يُثبِت الأَسْماء، ولكن يُنكِر ما تَضمَّنَته مِن الصِّفات، كما يَقول بعض المُبتدِعة: إن الله تَعالى رحيم بلا رحمة، وسميع بلا سمْع.

النوع الثَّاني: أن يُسمَّى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بما لم يُسمِّ به نفْسَه.

ووجه كونه إلحادًا: أن أَسْماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى توقِيفيَّة، فلا يَحِلُّ لأحَد أن يُسمِّيَ الله تَعالى باسم لم يُسمِّ به نفْسه؛ لأن هذا مِن القول على الله بلا عِلْم، ومِن

العُدوان في حقِّ الله عَزَّوَجَلَّ، وذلك كما صنَع الفلاسِفة فسَمَّوا الإله بالعِلَّة الفاعِلة، وكما صنَع النصارى فسموا الله تَعالى باسم الأبِ، ونحو ذلك.

النوع الثَّالث: أن يَعتَقِد أن هذه الأَسْماء دالَّة على أوصاف المَخلوقِين، فيَجعَلها دالَّة على التَّمثِيل.

ووجه كونه إلحادًا: أن مَنِ اعتَقَد أن أَسْماء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ دالَّة على تَمْثِيل الله بخَلْقه فقد أَخرَجها عن مَدلولها، ومال بها عن الاستِقامة، وجعل كلام الله وكلام رسوله ﷺ دالًّا على الكفر؛ لأن تَمْثِيل الله بخَلْقه كُفْر؛ لكونه تَكذِيبًا لقوله تَعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ولقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]. قال نُعَيمُ بنُ حَمَّاد الخزاعي شيخ البخاري رحمهما الله: «مَن شَبَّه اللهَ بخَلْقه فقد كَفَر، ومَن جحَد ما وَصَف الله به نفسه فقد كَفَر، وليس فيما وصَف الله به نفْسَه تَشبِيه».

النوع الرابع: أن يَشتَقَّ مِن أَسْماء الله تَعالى أَسْماءً للأصنام، كاشتِقاق اللاتِ مِن الله، والعُزَّى مِن العَزِيز، ومَناة مِن المَنَّان.

ووجه كونه إلحادًا: أن أَسْماء الله تَعالى خاصة به، فلا يَجوز أن تُنقَل المعاني الدالَّة عليها هذه الأَسْماء إلى أحَد مِنَ المَخلوقِين ليُعطى مِنَ العِبادة ما لا يَستَحِقُّه إلا الله عَزَّوَجَلَّ. هذه أنواع الإلحاد في أَسْماء الله تَعالى.



س(١٢٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن اسم الله تَعالى الجبَّار؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الجبَّار له ثلاث مَعانٍ:

الأول: جبْر القوة، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الجبَّار الذي قَهَر الجبابرة، ويَغلِبهم بجَبَروته وعَظمَتِه، فكل جَبَّار وإن عظُم فهو تحْت قَهْر الله عَزَّوَجَلَّ وجَبرُوته وفي يَده وقَبضَته.

الثَّاني: جَبْر الرحمة، فإنه سُبحانه يَجبُر الضعيف بالغِنَى والقوة، ويَجبُر الكسير بالسلامة، ويَجبُر المُنكسِرة قلوبُهم بإزالة كَسرِها، وإحلال الفَرَج والطُّمأنينة فيها، وما يَحصُل لهم مِن الثواب والعاقِبة الحميدة إذا صبَروا على ذلك مِن أَجله.

الثَّالث: جبر العُلو فإنه سبحانه فوق خَلْقه عالٍ عليهم، وهو معَ عُلُوه عليهم قريب مِنهم، يَسمَع أقوالهم، ويَرى أفعالهم، ويَعلَم ما تُوسوِس به نفوسهم.
قال ابن القيم في النونية في مَعنى الجبَّار(١):

وَكَذَلِكَ الجَبَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ ... وَالجَبْرُ فِي أَوْصَافِهِ قِسْمَانِ
جَبْرُ الضَّعِيفِ وَكُلِّ قَلْبٍ قَدْ غَدَا ... ذَا كَسْرَةٍ فَالجَبْرُ مِنْهُ دَانِ
وَالثَّانِي جَبْرُ القَهْرِ بِالعِزِّ الَّذِي ... لا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ مِنْ إِنْسَانِ
وَلَهُ مُسَمَّى ثَالِثٌ وَهْوَ العُلُوّ ... فَلَيْسَ يَدْنُو مِنْهُ مِنْ إِنْسَانِ
مِنْ قَوْلِهِمْ جَبَّارَةٌ لِلنَّخْلَةِ الْـ ... ـعُلْيَا الَّتِي فَاتَتْ لِكُلِّ بَنَانِ



(١) ينظر: نونية ابن القيم (٤/ ١٨٠).

س(١٢٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هـل مِن أَسْـماء الله تعـالى (الحيُّ القيُّوم)؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا شكَّ أن مِن أَسْماء الله الحسنى «الحي القيوم»، بل ورَد أنهما اسم الله الأعظم؛ لتَضمُّنِهما مَعانيَ أَسْماء الله وصفاته الذاتية والفِعْلية، وهما مَذكوران في ثلاث آيات مِن القرآن الكريم: في آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وفي أول سورة آل عمران: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران:٢]، وفي سورة طه: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ﴾ [طه:١١١]. وآية الكرسيِّ أعظم آيةٍ في كِتاب الله، مَن قرأها في ليلة لـم يَزَل عليه مِن الله حافِظ، ولا يَقرَبه شيطان حتى يُصبِح.

س(١٢٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عمَّا جاء في الترغيب والترهيب عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مرَّ النبي ﷺ بأبي عيَّاش وهو يُصلِّي ويَقول: «اللهُمَّ إنِّي أَسألُك بأن لك الحَمْد، لا إله إلا أنت يا حَنَّان، يا مَنَّان، يا بَديعَ السَّموات والأرض...» رواه الإمام أحمد، واللفظ له، ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه، فهل الحنَّان مِن أَسْماء الله تَعالى؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لقد راجَعْت الأصول: مسند أحمد، وأبي داود، والنسائي، وابن ماجه، فقد أَورَده الإمام أحمد في المُسند في عِدَّة مَواضِعَ مِن الجزء الثَّالث، (ص:١٢٠، ١٥٨، ٢٤٥، ٢٦٥)، وأورده أبو داود في الجزء الأول، باب الدعاء (ص:٣٤٣)، وأورده النسائي في الجزء الثَّالث، باب الدعاء بعد الذِّكر (ص:٤٤)،

وأَورَده ابن ماجه في الجزء الثَّاني، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم (ص:١٢٦٨)، وليس فيهن ذِكْر الحنَّان، سِوى طريق واحدة عند الإمام أحمد فيها الحنَّان دُون المَنَّان، وهي التي في (ص:١٥٨)، وليست باللفظ المَذكور في الترغيب، واللفظ المَذكور في الترغيب ليس فيه عند أحمدَ سِوى ذِكْر المَنَّان، وقد رَأيت كلامًا لشَيخ الإسلام ابن تَيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنكَر فيه أن يَكون الحنَّان مِن أَسْماء الله تَعالى، فإذا كانت الرِّوايات أكثرُها بعدَم إثباته، فالذي أَرى أن يُتوقَّف فيه. والله أعلم.

س(١٢٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل مِن أَسْماء الله عَزَّوَجَلَّ «المنَّان»، «المُنتَقِم»، «الهادي»، «المُعِين»؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أما المَنَّان فقد صح عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وأما المُنتقِم، فليس مِن أَسْماء الله؛ لأن الله تَعالى لم يَذكُر هذا الوصف لنفسه إلا مُقيَّدًا، وكلُّ وَصْف جاء مُقيَّدًا فهو ليس مِن أَسْماء الله؛ لأن أَسْماء الله كمال على الإطلاق لا تَحتاج إلى تَقييد، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إنما ذَكَر المُنتقِم في مُقابلة الإجرام، فقال: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢]، وحِينئِذٍ لا يَكون المُنتقِم مِن أَسْماء الله.

أما «الهادي»، فبعض العُلَماء أَثبَته مِن أَسْماء الله وبعضُهم قال: بل هذا مِن أوصاف الله وليس اسْمًا.

و«المُعين» كذلك ليس مِن أَسْماء الله، ولكنه مِن صِفاته، فإنه هو الذي يُعين مَن شاء مِن عباده.

ومِن العُلَماء مَن قال: إنه مِن أسمائه؛ لأنَّه دالٌّ على مَعنًى حسَن، وليس فيه نقص بوجه مِن الوجوه.

والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يَقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

س(١٣٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل الدَّهْر مِن أَسْماء الله؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الدهْر ليس مِن أَسْماء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ومَن زعَم ذلك فقد أخطأ، وذلك لسببين:

السبب الأوَّل: أن أَسْماءه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حُسنَى، أي: بالِغة في الحُسْن أكمَلَه، فلا بُدَّ أن تَشتمِل على وَصْف ومَعنًى هو أحسن ما يَكون مِن الأوصاف والمَعاني في دَلالة هذه الكلمة؛ ولهذا لا تَجِد في أَسْماء الله تَعالى اسمًا جامِدًا، والدهر اسم جامِد لا يَحمِل مَعنًى، إلا أنَّه اسم للأَوْقات.

السبب الثَّاني: أن سِياق الحديث يَأبى ذلك؛ لأنَّه قال: «**أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ**»، والليل والنهار هما الدهر، فكيف يُمكِن أن يَكون المُقلَّب -بفَتح اللام- هو المُقلِّب -بكسر اللام-؟!

س(١٣١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل مِن أَسْماء الله «الحقُّ»؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نعم، مِن أَسْماء الله تَعالى الحق، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج:٦]. وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:٢٥]، ولكن

نَسمَع كثيرًا مِن الناس إذا أراد أن يَستشِهد بآية قال: قال الحقُّ. والأولى: أن يُعبِّر بما كان السَّلف يُعبِّرون به فيَقول: قال الله، حتى كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا حدَّث عن الله عَزَّوَجَلَّ بحديث قال: «قال الله تعالى».

فالذي يَنبَغِي لنا: أن نَتَّبع ما كان عليه سَلَفنا في مِثل هذه الأمور، وإذا أَرَدْنا أن نَستَشهِد بآية قُلنا: قال الله تَعالى.

س(١٣٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل (الحنَّان، المَنَّان، المُحسِن)، مِن أَسْماء الله؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الحنَّان لـم يَثبُت أنه مِن أَسْماء الله، وأما المَنَّان فثابِت أنه مِن أَسْماء الله، والمُحسِن أيضًا مِن أَسْماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ ولهذا ما زال الناس يُسمُّون عبدالمحسن، عبدالمنَّان، والعُلَماء يَعلَمون بذلك ولا يُنكِرونها.

س(١٣٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل الحَفِيُّ مِن أَسْماء الله؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ذكَر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في القرآن الكريم قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم:٤٧]، ولا أَعلَمها ورَدت مُطلَقة في أَسْماء الله عَزَّوَجَلَّ، بل هي مُقيَّدة، وبَدَلًا مِن أن يَدعُوَ الإنسان بقوله: يا حَفيُّ احتَفِ بي، يَقول: يا رحيمُ ارحَمْني، وإذا كان عن ذَنْب يَقول: يا غَفورُ اغفِرْ لي، وما أشبه ذلك.



س(١٣٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن قول النبي ﷺ في الحديث القدسي: قال الله تعالى: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»(١)؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: قوله في الحديث المُشار إليه في السؤال: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ»، أي: أنَّه سبحانه يَتأذَّى بما ذَكَر في الحديث، لكن لَيست الأذيَّة التي أَثبَتَها الله لنفسه كأذيَّة المَخلوق، بدليل قوله تَعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]. فقَدَّم نفْيَ المُماثَلة على الإثبات؛ لأجْلِ أن يَرِد الإثبات على قلْب خالٍ مِن تَوهُّم المُماثَلة، ويَكون الإثبات حِينَئذٍ على الوجه اللائق به تعالى، وأنَّه لا يُماثِل في صِفاته، كما لا يُماثِل في ذاته، وكل ما وصَف الله به نفسه ليس فيه احتِمال للتَّمثِيل؛ إذ لو أَجَزْت احتِمال التمثِيل في كلامه سبحانه وكلام رسوله ﷺ في صِفات الله، لأجزتَ احتِمالَ الكفْر في كلام الله سبحانه وكلام رسوله ﷺ؛ لأن تَمثيل صِفات الله تَعالى بصِفات المَخلوقِين كُفْر؛ لأنَّه تَكذيب لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وقوله: «**أَنَا الدَّهْرُ**» أي: مُدبِّر الدهر ومُصرِّفه، كما قال الله تَعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠]، كما قال في الحديث: «**أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»، والليل والنهار هما الدهْر.

ولا يُقال بأن الله نَفسَه هو الدهر، ومَن قال ذلك فقد جَعَل المَخلوق خالِقًا، والمُقلَّب مقلِّبًا.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾، رقم (٤٨٢٦)، ومسلم: كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سب الدهر، رقم (٢٢٤٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإن قيل: أليس المَجاز ممنوعًا في كلام الله وكلام رسوله ﷺ وفي اللغة؟

أجيب: بلى، ولكن الكلِمة حقيقة في مَعناها الذي دلَّ عليه السياق والقرائن، وهنا في الكَلام محذوف تَقدِيره: «وأنا مُقلِّب الدهْر»؛ لأنَّه فسَّره بقَوله: «أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، ولأن العَقْل لا يُمكِن أن يَجعَل الخالِق الفاعِل هو المَخلوقَ المَفعولَ.

س(١٣٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كيف نَجمَع بين قولِ النبي ﷺ: «الْمُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»[(١)]، وبين قوله ﷺ: «ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ السَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ»[(٢)]؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: كلمة «بِشِمَالِهِ» اختَلف فيها الرُّواة:

فمِنهم: مَن أَثبَتَها.

ومِنهم: مَن أَنكَرها، وقال: لا تَصِحُّ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأصل هذه التَّخطِئة هو ما ثَبَت في صحيح مسلم أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**الْمُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**». وهذا يَقتَضِي أنَّه ليس هناك يَدٌ يَمينٌ ويَدٌ شِمال، ولكن قد روى مسلم في صحيحه إثباتَ الشِّمال لله تعالى، فإذا كانت مَحفوظة فهي عِندي لا تُنافِي «**كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**»؛ لأن المَعنى أن اليد الأخرى ليسَت كيَد الشِّمال بالنسبة للمَخلوق ناقِصة عن اليَدِ اليُمنَى،

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الإمام العادل، رقم (١٨٢٧)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٧٨٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فقال: «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ» أي: ليس فيهما نقص. فلمَّا كان الوهم ربما يَذهَب إلى أن إثبات الشمال يَعنِي النقص في هذه اليد دون الأخرى قال: «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»، ويُؤيِّده قوله: «المُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ»، فإنَّ المَقصود بيان فَضلِهم ومَرتَبتِهم، وأنهم على يَمين الرَّحمن سبحانه.

وعلى كلٍّ: فإن يَديه سبحانه اثنَتان بلا شَكٍّ، وكل واحدة غيرُ الأُخرى، وإذا وَصَفنا اليد الأُخرى بالشِّمال فلَيس المُراد أنها أَنقَصُ مِن اليَد اليُمنَى، بل كِلْتا يَديه يَمين.

والواجب علينا أن نَقول: إن ثبَت عن رسول الله ﷺ نُؤمِن بها، وإن لم تَثبُت فنَقول: كِلْتا يَديه يَمين.

س(١٣٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى: ما مَعنى قول النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا الحَديث -أَعنِي: قول النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»(١)- ثابت في الصحيح، ومِن المَعلوم أَنَّه لا يُراد به ظاهِره بإجماع المُسلِمين والعُقلاء؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ وسِع كُرسِيُّه السَّموات والأرض، والسَّموات والأرض كلها بالنِّسبة للكُرْسي -مَوضِع القَدَمَين- كحلَقة أُلقِيَت في فَلاة مِن الأرض، وفَضْل العَرْش على الكُرسي كفَضل الفَلاة على هذه الحلقة، فما ظَنُّك بربِّ العالَمين؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، رقم (٦٢٢٧)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، رقم (٢٨٤١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لا أَحَدَ يحيط به وَصفًا ولا تخيُّلًا، ومَن هذا وَصْفُه لا يُمكِن أن يَكون على صورة آدمَ، سِتُّون ذِراعًا، لكن يُحمَل على أحَد مَعنيَين:

الأوَّل: أن اللهَ خَلَق آدمَ على صورةٍ اختارها، وأَضافها إلى نَفسِه تَعالى تَكريمًا وتَشريفًا.

الثَّاني: أن المُراد خَلَق آدمَ على صورته تعالى مِن حيثُ الجملة، ومجرَّد كونه على صورته لا يَقتضي المماثلة، والدليل قوله ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم عَلَى أَضْوَأِ كَوْكَبٍ فِي السَّماءِ**»(١). ولا يلزم أن تَكون هذه الزُّمرة مماثِلةً للقَمر؛ لأن القَمر أكبرُ مِن أَهل الجنة بكثير، فإنهم يَدخُلون الجنة طولهم سِتُّون ذِراعًا، فليسوا مِثل القمَر.

س(١٣٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: عما أضافه الله تَعالى إلى نفْسه، مِثل وجه الله، ويَد الله، ونحو ذلك؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: أَقسام ما أَضافَه الله إلى نَفسِه ثلاثة:

القسم الأول: العين القائمة بنفسِها، فإِضافتها مِن باب إضافة المَخلوق إلى خالِقه، وهذه الإضافة قد تَكون على سبيل العموم، كقوله سبحانه وتَعالى: ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾ [العنكبوت:٥٦]. وقد تَكون على سبيل الخصوص لشرفيته، كقوله تَعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج:٢٦]. وقوله:

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم (٣٢٥٤)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، رقم (٢٨٣٤/ ١٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴾ [الشمس:١٣]. وهذا القِسم مخلوق.

القِسم الثَّاني: العين التي يَقوم بها غَيرُها، مِثل قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١]. فإضافة هذه الروحِ إلى الله مِن باب إضافة المَخلوق إلى خالِقه تَشريفًا، فهي روح مِن الأرواح التي خلَقَها الله، وليست جُزْءًا مِنَ الله؛ إذ إن هذه الروحَ حَلَّت في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو عَينٌ مُنفَصِلة عنِ الله، وهذا القِسْم مخلوق.

القسم الثَّالث: أن يَكون وَصْفًا محضًا يكون فيه المضاف صِفة الله، وهذا القِسْم غير مخلوق؛ لأن جميع صِفات الله غير مخلوقة، ومِثاله قُدْرة الله، وعِزَّة الله، وهو في القرآن كثير.

س(١٣٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن حُكْم إضافة الحوادث إلى صِفة مِن صِفات الله.

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إضافة الحوادث إلى صِفة مِن صِفات الله بمَعنى أَنَّه مِن مُقتَضى هذه الصفة لا بأس به، مِثل أن نَقول: اقتضَت حِكمة الله أن يُعذِّب الظالم، أو: أَوجَب القضاء والقَدَر أن يَشقَى فلان أو يَسعَد فلان، ويَدُلُّ لذلك قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ سَبَقَ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ شَيْءٌ لَسَبَقَتْهُ الْعَيْنُ**»[1].

أما إذا أُضِيفتِ الحوادث إلى صِفة مِن صِفات الله وكأن الصفة هي التي فعَلت دون الموصوف فلا يَجوز؛ لأن المؤثر هو الله تَعالى، وهو الخالِق المدبِّر لجميع الأُمور.

---

(١) أخرجه مسلم -بمعناه-: كتاب السلام، باب الطب والمرض، رقم (٢١٨٨)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

س(١٣٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل أهل السُّنَّة يُؤوِّلون اليَدَ في قوله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠]؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: يَنبَغِي أن نَعلَم أن التَّأوِيلَ عِند أهل السُّنَّة ليس مَذمومًا كلُّه، بلِ المذموم مِنه ما لم يَدُل عليه دليل، وما دَلَّ عليه الدليل يُسمَّى تَفسِيرًا، سواء كان الدليل مُتَّصِلًا بالنصِّ، أو مُنْفَصِلًا عنه، فصرْف الدليل عن ظاهره ليس مَذمومًا على الإطلاق.

ومِثال التأوِيل بالدليل المتَّصِل: ما جاء في الحديث الثابت في صحيح مسلم في قوله تَعالى في الحديث القدسي: «**عَبْدِي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، وَمَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي**»، فظاهِر هذا الحديث: أن الله نفْسَه هو الذي جاع وهو الذي مَرِض! وهذا غير مُراد قطعًا، ففسّر هذا الحديث بنفس الحديث، فقال: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا جَاعَ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، وَعَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ**»(١). فالذي صرَف ظاهِر اللفظ الأول إلى هذا المعنى هو الحديث القُدسي نفسه، فلا يُقال: إن صرْف ظاهِر اللفظ الأول إلى هذا المعنى الثَّاني تَأْوِيل مَذموم.

وقال تَعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨]. ظاهر اللفظ أنَّك إذا بَدَأت القِراءة لم تَستَعِذْ، لكن قد دَلَّ الدليل المنفصِل على أن مَعنى (إذا قرأت) أي: إذا أَرَدْتَ أن تَقرَأَ، لكن عبَّر عن الإرادة بالفِعل؛ لِيُبَيِّن أن المراد بذلك الإرادة المقترِنة بالفِعل لا الإرادة السابقة، ولو أراد التعبِير بالفِعْل لكان الإنسان إذا أراد في الصباح أن يَقرَأ في المساء قلنا له: استَعِذ بالله مِن الشيطان

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب فضل عيادة المريض، رقم (٢٥٦٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الرَّجيم؛ لأَنَّك ستَقْرَأ في آخِر الليل، لكن لـمَّا عبر بالفِعل عَنِ الإرادة دَلَّ على أن الإرادة هي الإرادة التي يَقترِن بها الفِعْل.

فإذا فهِمنا هذه القاعدة -وهي أن التَّأوِيل الذي قام الدليل عليه ليس مَذمومًا- عرَفنا الجوابَ عن الآية التي ساقها السَّائل.

فهل الصحابة في صُلْح الحديبيَة كانوا يُبايِعون الله؟ هم في الحقيقة كانوا يُبايِعون النبي ﷺ مُباشرة، وذلك في قوله سبحانه: ﴿يُبَايِعُونَكَ﴾، لكن لما كان الرسول ﷺ مُبلِّغًا عن الله سبحانه صارت مُبايَعة الرسول كمُبايَعة الله، وصار الذي يُبايِعه كأنما يُبايع اللهَ.

وقوله تَعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠] المعلوم أن يَدَ الله حقيقة ليسَت فوق أَيديهم، وأن التي فوق أيديهم عند المبايَعة هي يَد الرسول ﷺ، لكن الرسول كان مُبلِّغًا عن الله.

ويجوز أن نَقول: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ على سبيل العُلُوِّ المطلَق، فالله سبحانه عالٍ بذاته فوق كُلِّ شيءٍ. والله أَعلَم.

س(١٤٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل يُوصَف اللهُ بالمكْر؟ وهل يُسمَّى به؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: لا يُوصَف الله تَعالى بالمكر إلا مُقيَّدًا، فلا يُوصَف الله تَعالى به وصْفًا مُطْلَقًا، قال الله تَعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

ففي هذه الآية دَليل على أن لله مَكْرًا، والمكْر هو التَّوصُّل إلى إِيقاع الخَصْم مِن حيثُ لا يَشعُر. ومِنه جاء في الحديث الذي أَخرَجه البخاري: «الحَرْبُ خَدْعَةٌ»(١).

فإن قِيل: كَيف يُوصَف الله بالمكر مع أن ظاهِره أنَّه مَذموم؟

قيل: إن المكر في محَله محمود يَدُلُّ على قوَّة الماكِر وأنَّه غالِب على خَصْمه؛ ولِذلك لا يُوصَف الله به على الإطلاق، فلا يَجوز أن تَقول: «إن اللهَ ماكِر»، وإنما تَذكُر هذه الصِّفة في مَقام يَكون مَدْحًا، مِثل قوله تَعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال:٣٠]. وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:٥٠]. ومِثل قوله تَعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٩٩]. ولا تَنفِي عنه هذه الصِّفة على سبيل الإطلاق، بل إِنها في المقام التي تَكون مَدحًا يُوصَف بها، وفي المقام التي لا تَكون مَدْحًا لا يُوصَف بها.

وكذلك لا يُسمَّى الله به، فلا يُقال: إن مِن أَسْماء الله الماكِر، والمكْر مِنَ الصِّفات الفِعْلِيَّة؛ لأنها تَتعَلَّق بمَشيئة الله سبحانه.

س(١٤١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل يُوصَف اللهُ بالخيانة والخِداع، كما قال الله تَعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢]؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أمَّا الخيانة فلا يُوصَف الله بها أَبدًا؛ لأنها ذم بكُلِّ حال؛ إذْ إنها مَكْر في مَوضِع الائْتِمان، وهو مَذموم، قال الله تَعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد، باب الحرب خَدعة، رقم (٣٠٢٨)، ومسلم: كتاب الجهاد، باب جواز الخداع في الحرب، رقم (١٧٤٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ [الأنفال:٧١]. ولم يَقُل فخانهم.

وأمَّا الخِداع فهو كالمكْر يُوصَف الله تَعالى به حين يَكون مَدْحًا، ولا يُوصَف به على سبيل الإطلاق، قال الله تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢].

س(١٤٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عما جاءَ في كِتاب شرح العَقيدة الواسِطيَّة مِن أن صِفة (الحي) مَسبوقة بالعَدَم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: حياة الله عَزَّوَجَلَّ حياة كاملة، لم تُسبَق بعَدَم، ولا يَلحَقها زوال، وشرح العقيدة الواسطية الذي قرأ فيه هذا السَّائل أن حياةَ الله عَزَّوَجَلَّ تُسبَق بعَدَم خطأ بلا شَكٍّ، وهذا خطأ مَطبَعِيٌّ فيما يَظهَر؛ لأنَّه إذا قِيل: حياة كامِلة. فالحياة الكامِلة لا تُسبَق بعَدَم، فحياة الله عَزَّوَجَلَّ حياة كامِلة مُتضمِّنة لجميع الصِّفات الكامِلة، فلم تُسبَق بعدَم، ولا يَلحَقها زوال.

س(١٤٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل يُوصَف الله تَعالى بالنِّسيان؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: للنِّسيان مَعنَيان:

أحدهما: الذُّهول عن شيء مَعلوم، مِثْل قوله تَعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]. ومِثل قَوله تَعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه:١١٥]. على أَحَد القَوْلَين، ومثل قوله ﷺ: «**إِنَّما أَنا**

بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَما تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي»(١). وقوله ﷺ: «**مَنْ نَامَ عَنْ صَلاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا**»(٢). وهذا المعنى للنِّسيان مُنْتَفٍ عنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بالدَّلِيلَين: السَّمْعي، والعَقْلي.

أما السَّمْعي: فقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [طه:١١٠]. وقوله عن موسى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٥٢]؛ فقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: مُستَقْبَلهم، يَدُلُّ على انتِفاء الجهل عن الله تَعالى، وقوله: ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: ماضيَهم، يُدُلُّ على انتِفاء النِّسْيان عنه. والآية الثَّانية دَلالتها على ذلك ظاهِرة.

وأما العقلي: فإن النِّسْيان نَقْص، والله تَعالى مُنزَّه عن النَّقْص مَوصوف بالكمال، كما قال الله تَعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل:٦٠]. وعلى هذا فلا يَجوز وصْف الله بالنِّسيان بهذا المعنى على كل حال.

والمعنى الثَّاني للنِّسيان: الترْك عن عِلْم وعَمْد، مِثل قوله تَعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤] الآيةَ، ومِثل قوله تَعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه:١١٥] على أحَد القَولَين. ومِثل قوله ﷺ في أقسام أهل الخيل: «**وَرَجُلٌ رَبطَهَا تَغنِّيًا وَتعفُّفًا، وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي رِقَابِهَا وَظُهُورِهَا،**

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب التوجه إلى القبلة، رقم (٤٠١)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم (٥٧٢/ ٨٩) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب من نسي صلاة فليصلِّ إذا ذكر (٥٩٧)، ومسلم: كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة، رقم (٦٨٤)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَهِيَ لَهُ كَذَلِكَ سِتْرٌ»(١). وهذا المعنَى مِن النِّسيان ثابِت لله تَعالى عَزَّوَجَلَّ، قال اللهُ تَعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ [السجدة:١٤]. وقال تَعالى في المنافِقِين: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة:٦٧].

وفي صحيح مُسلم في كِتاب الزهد والرقائق عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالوا: يا رسول الله، هل نَرَى ربَّنا يوم القيامة؟ فذكر الحديث، وفيه: «أَنَّ اللهَ تَعالى يَلْقَى العَبْدَ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَما نَسِيتَنِي»(٢).

وترْكه سبحانه للشيء صِفةٌ مِن صِفاته الفِعْلية الواقعة بمَشيئَته التابِعة لحِكْمَته، قال الله تَعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة:١٧]. وقال تَعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف:٩٩]. وقال: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً﴾ [العنكبوت:٣٥]. والنُّصوص في ثُبوت التَّرْك وغيره مِن أَفعاله المتَعلِّقة بمَشيئَته كثيرة مَعلومة، وهي دالَّة على كَمال قُدْرته وسُلْطانه. وقِيام هذه الأفعال به سبحانه لا يُماثِل قِيامها بالمَخْلوقِين، وإن شارَكه في أصل المعنَى، كما هو مَعلومٌ عِند أهل السُّنَّة.



---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المساقاة، باب شرب الناس والدواب من الأنهار، رقم (٢٣٧١)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم (٩٨٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، رقم (٢٩٦٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(١٤٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: قال تَعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣]، فهل هنا الله عَزَّوَجَلَّ أَثْبَت لنَفْسه لِسانًا، وما تَفسِيركم لهذه الآية وبالأخَصِّ لكَلِمة (لسان) في قوله: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: قوله تَعالى: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ لا يَلزَم مِنه إثبات اللسان لله تَعالى.

ومَعنى الآية: أن هذا القرآن بِلُغة العرَب ولِسانهم، كقوله تَعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣]. وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٣- ١٩٥]. أي: بِلُغة عرَبية.

حُرِّر في ١٩/ ١/ ١٤١٨هـ.



س(١٤٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل نَفهَم مِن حديث: «إِنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا» -المتَّفَق عليه[١]- أن الله يُوصَف بالملَل؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: مِن المعلوم أن القاعِدة عِند أهل السُّنَّة والجماعة أننا نَصِف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بما وصَف به نَفْسه مِن غير تمثِيل ولا تكييف. فإذا كان هذا الحديث يَدُلُّ على أن لله مَلَلًا فإن مَلَلَ الله ليس كمِثل مَلَلِنا نحن، بل هو مَلَل ليس فيه شيء مِنَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، رقم (١١٥١)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم، رقم (٧٨٢)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

النَّقْص، أما مَلَل الإنسان فإن فيه أشياءَ مِن النَّقْص؛ لأنَّه يَتْعَب نَفْسيًّا وجِسْميًّا مما نَزَل به لعَدَم قوَّة تَحمُّله، وأما مَلَلُ الله -إن كان هذا الحديث يَدُلُّ عليه- فإنه مَلَل يَليق به عَزَّوَجَلَّ، ولا يَتضمَّن نَقْصًا بوَجه مِن الوُجوه.

س(١٤٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن قوله تَعالى: أَعوذ بالله مِن الشيطان الرجيم ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء:١٤٢] لأنَّني قرَأْتُ بعض التفاسير وخَشِيت أن يَكون في بعضها ما يخالِف مَذهَب أهلِ السُّنَّة والجماعة، وكذلك في قوله تَعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة:١٥] نُريد الجوابَ الشافيَ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أُحِبُّ أن أُنبِّه على قول السَّائِل، إنه يَسأَل عن قوله تَعالى: أَعوذ بالله مِن الشيطان الرَّجيم ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء:١٤٢]، فإن ظاهر لَفْظه أن أَعوذ بالله مِن الشيطان الرجيم مِن مَقول الله، والذي يَنبَغي إذا أراد أن يَستَعيذ الإنسان بالله مِن الشيطان الرجيم أن يُقدِّمها على قول الله، فيَقول مَثلًا: أَسأَل عن هذِه الآيَة ثُمَّ يَذكُرها، أو يَقول: أَعوذ بالله مِن الشيطان الرجيم، ما مَعنى قوله تَعالى كذا وكذا.

وأمَّا بالنِّسبة لسؤاله: فإن مَذهَب أهل السُّنَّة والجماعة أن يُوصَف الله تَعالى بما وصَف به نفسَه، وبما وصَفه به رَسوله ﷺ بدون تحرِيف، بل يُجرَى الكلامُ على ظاهِره؛ لأن المتكلِّم به -وهو الله عَزَّوَجَلَّ- أَعلَم بنفسه وبغَيره، ولأنَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَصدَق القائِلين، وكلامه أَفصَح الكلام وأَبيَنه، ومُراده عَزَّوَجَلَّ مِن عِباده أن يَهتَدوا ولا يَضِلُّوا.

وكذلك رسول الله ﷺ هو أَعلَم الناس برَبه، وكلامه أَصدَق كلام الخَلْق، وأَفصَحه، ومُراده ﷺ هِداية الخَلْق دون ضَلالهم، وهذه الصِّفات الأربَع: العِلْم، والصِّدْق، والفَصاحة، وإرادة الخَير، إذا تَوافَدت في كلام فقَدْ بلَغ الغاية في وجوب الأخْذ بمَدلوله على ظاهِره، ولا يَجوز أن يُحرَّف إلى غير الظاهِر.

وبِناءً على هذه القاعِدة العَظيمة نَقول: إنَّ كُلَّ ما وَصَف الله به نفْسَه مِنَ الصِّفات فهو حقٌّ على ظاهِرها، ففي الآيَة الأُولى التي ذَكَرها قال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنِ المنافِقِين: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء:١٤٢] قال ذلك عَزَّوَجَلَّ؛ لِيُبيِّن أن خِداعهم ومَكرَهم دون خِداع الله تَعالى لهم ومَكرِه بهم، فهو كقوله: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠].

والخِداع ليس وصْفًا مُطلَقًا بالنسبة لله، ولكنه وصْف في مُقابَلة مَن يُخادِعونه؛ لِيُبيِّن أنَّه عَزَّوَجَلَّ أَقدَر مِنهم على الخِداع والمكْر، وهذا -لا شكَّ- يَدُلُّ على القوَّة، وعلى ضَعْف المقابِل، وليس به أيُّ نقْص يَتوجَّه إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ ولهذا نَرى الناس إذا أرادوا أن يَخدَعوا شخْصًا فعرَف خِداعهم وخادَعهم عِلموا أنَّه أَقوَى مِنهم وأشَدُّ، فالخِداع في مُقابَلة المخادِع صِفة كَمال وليس صِفة نَقْص.

ويُذكَر أنَّ عليَّ بنَ أبي طالِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لـما بارَز عَمرَو بنَ ود وخرَج إليه عمرٌو، قال عليٌّ: إني لم أَخرُج لأُبارِز رَجُلَين. فالتَفَت عمرٌو يَظُن أنَّه قد لحِقه آخَرُ، فلما التَفَت ضرَبه عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتَّى أَهلَكه فهذا مِن الخِداع الجائز؛ لأن عَمرَو بنَ وُدٍّ إنَّما خرَج مِن أَجْل أن يَقتُل عَليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحرب خَدْعة، فخَدَعه عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذه الكلِمة حتَّى قَضى عليه، ويُعَدُّ هذا مِن قُدْرة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقوَّته في خِداع خَصْمه.

ولهذا نَقول: إن الخِداع والاستِهزاء والمكْر والكَيْد الذي وصَف الله به نفْسَه إنَّما يُوصَف الله به في مُقابِل مَن فعَل ذَلك لا على سَبيل الإطلاق؛ ولهذا نُنبِّه على مَسألة يَقولها بعضُ العامَّة، يَقولون: «خانَ اللهُ مَن يَخونُ» فيَظنُّون أن الخِيانة مِثل الخِداع، وهذا ليس بصحيح؛ لأن الخِيانة خِداع في غير مَوضِعه، ومَكْر في غير مَوضِعه، فلا يَجوز أن يُوصَف الله بها؛ ولهذا قال اللهُ تَعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٧١] ولم يَقُلْ: فخانهم؛ لأن الخِيانة وصْف لا يَليق بالله تَعالى مُطلَقًا؛ لأنَّه مَذموم على كل حالٍ.

أمَّا قوله تَعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة:١٥] فهذه الآية كما قُلْنا في الآية الأولى: في قوله تَعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢]، وكما أَشَرْنا إلى آية ثالثة في قوله تَعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠]، وإلى آية رابِعة: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق:١٥-١٦].

س(١٤٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: مَذهَب أَهْل السُّنَّة والجماعة أن كُلَّ صِفة مِن صِفات الله التي أَثبَتَها لنفسه نُثبِتُها إليه، مِن غير تَأوِيل، ولا تَعطِيل، ولا تَشبِيه، ولا تَمثِيل، فكيف نُفسِّرُ الآيات الكَرِيمات قوله تَعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢]، وقوله تَعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق:١٥-١٦]، وقوله تَعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة:١٥]؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: مَذهَب السَّلف الصالِح الذي عليه الصحابة وأَئمَّة المسلِمين مِن بعدهم هو: أن الله تَعالى يُوصَف بما وَصَف به نَفْسه في كِتابه، أو وَصَفه به

رَسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم، مِن غير تَحرِيف، ولا تَعطِيل، ولا تَكيِيف، ولا تَمثِيل، وهذا هو المذهَب الحقُّ الذي دَلَّ عليه السَّمْع والعَقْل، أي: دَلَّ عليه الشرع والعَقْل؛ وذلك لأن صِفاتِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مجهولة لنا، لا نَعلَم مِنها إلا ما أَخبَرَنا الله به عن نَفْسه، وما أَخبَرنا به عن نَفْسه فهو حق؛ لأَنَّه خَبر صادِق ممَّن هُو أَعلَم بنَفْسه مِن غيره، ولأننا لا نُدرِك ما يَجِب لله تَعالى، وما يَجوز، وما يَستَحيل عليه على وجه التَّفصِيل إلا عن طريق الكِتاب والسُّنَّة، وعلى هذا فما وصَف الله به نَفْسه وجَب علينا قَبوله والإيمان به، لكنَّنا لا نُحِيط به على وَجْه الحقيقة، بمَعنَى أَنَّنا لا نُدرِك كَيفيَّته.

فمثلًا: استِواء الله على عَرْشه أَثبَته الله تَعالى لنَفْسه في سَبعة مَواضِعَ مِن كِتابه العزيز، فنحن نَعلَم عنِ الاستِواء على الشيء أَنَّه العُلُوُّ عليه، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف:١٢-١٣]، ولكنَّنا لا نَعلَم كيفيَّة استِواء الله تَعالى على عَرْشه، يَعنِي: فلا نَعلَم على أيِّ صِفةٍ هو.

ولهذا لـما سُئِل الإمام مالكٌ -رحمة الله عليه- عن ذلك فقال له رجُل: يا أبا عبدِالله، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، كيف استوى؟ فأَطرَق مالكٌ برأسه حتى جعَل يَتصبَّبُ عرَقًا مِن شِدَّة ما سَمِع مِن السؤال وهَيبته وتَعظيمه لله عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ قال: «الاستِواء غير مجهول، والكيف غير مَعقول، والإيمان به واجِب، والسؤال عنه بِدعة»[1].

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٦).

يَعني: أن الاستِواء غير مجهول في اللغة العربية، بل هو مَعلوم، فإن اللغة العربية تَدُلُّ على أن استَوى على الشيء بمَعنى: علا عليه، والقرآن نَزَل باللغة العربية كما قال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥]. وقال تَعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣] أي: صَيَّرْناه باللسان العربي مِن أَجْل أن تَعقِلوه وتَفهَموه.

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الاستِواء غير مجهول**» أي: مَعلوم المعنَى، واضِح المعنى.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والكيف غير مَعقول**» أي: أن عُقُولنا أَقصَر وأَحقَر مِن أن تُدرِك كيفيَّة استِواء الله على عرشه، وهكذا بَقيَّة الصِّفات لا يُمكِن لعُقولنا القاصِرة أن تُدرِك كيفيَّتها.

وقوله: «**والإيمان به واجِب**» أي: الإيمان بالاستِواء على ما تَقتَضِيه اللغة العَرَبية واجِب؛ لأن الله أَخبَر به عن نَفْسه، فوَجَب علينا قَبوله والإيمان به.

وقوله: «**والسؤال عنه**» أي: عَنِ الاستِواء، أيْ: عن كيفيَّته.

وقوله: «**بِدْعة**» أي: أنَّه مِن دَيدَن أَهل البِدَع، وهو أَيضًا بِدعة لكون الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لم يَسألوا عنه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالقاعِدة العريضة للسَّلَف الصالِح وأئمَّة المسلِمين هي: الإيمان بكُلِّ ما وَصَف الله به نفسه، أو وصَفه به رَسوله ﷺ، مِن غير تحريف، ولا تَعطيل، ولا تَكييف، ولا تمثِيل.

واعْلَم أن صِفاتِ الله تَعالى تَنقسِم إلى قِسْمَين:

قِسْم: كَمال مُطلَق بكل حال، فيُوصَف الله به وَصْفًا مُطلَقًا على كل حال،

كالسَّمْع، والبَصَر، والعِلْم، والقُدْرة، والكلام وما أَشبَهَها.

وقِسْم آخَرُ: لا يَكون كَمالًا على كل حال، لكنَّه كَمال في مَوضِعه كالآيات التي ذَكَرها السَّائِل، فإن الله لا يُوصَف بها مُطلَقًا، أي: على سَبيل الإطلاق، وإنما يُوصَف بها حيث تَكون كَمالًا كما سيَتَبيَّن إن شاء الله مِنَ الكلام على كل آيةٍ وحدها:

فقوله تَعالى في الآية الأولى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ أي: المنافِقين؛ لأن المنافِقين ﴿إِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة:١٤] أي: مُستَهْزِؤُون بالمؤْمِنين، حيث نَقول لهم: إنَّنا آمَنَّا، وهم لم يُؤمِنوا، فقال الله تَعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٥]، فقابَل استِهْزاءَهم بالمُؤمِنين باستِهْزائه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بهم، وذلك حيث مَكَّن لهم، وأَمهَلَهم، واستَدْرَجَهم مِن حيثُ لا يَعلَمون، فهذا استِهْزاء في مُقابَلة استِهْزاء، واستِهْزاء الله تَعالى أَعظَم وأَكبر مِن استِهْزائِهم بالمؤمِنين.

والآية الثَّانية: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ وهذه أَيضًا في المنافِقين ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢]. وفي آية أُخرَى قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة:٩] والمخادَعة وَصْف محمود إذا وقَع في محلِّه؛ ولهذا قِيل: الحرْب خَدْعة، فهؤلاء المنافِقون يخادِعون الله والذين آمَنوا ويُغرونهم، ويَرونهم أنهم مُؤْمِنون وهم غير مُؤْمِنين خِداعًا ومَكْرًا وكَيْدًا، فيَقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ وذلك بإِمْهاله لهم، واستِدْراجه لهم، وحقْن دِمائِهم ومُعامَلَتهم مُعامَلة المسلِمين، لكنه عَزَّوَجَلَّ سيُرِيهم العَذاب الأَلِيم حين يَنتَقِلون مِن الدُّنيا إلى الآخرة، وهذا -لا شَكَّ- خِداع بهم، حيث يُعامِلهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُعامَلة الرضى، وهم على العكس مِن ذلك.

الآية الثَّالثة: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق:١٥-١٦]. ﴿إِنَّهُمْ﴾ يَعني: المكذِّبين للرسول ﷺ يَكيدون للنبي ﷺ كَيْدًا عَظيمًا، ولكن اللهَ تَعالى يَكيدُ بهم كَيْدًا أَعظَمَ، وتَأمَّلْ قوله تَعالى: ﴿يَكِيدُونَ﴾ حيث أَتَت بصِيغة الجمع، ﴿وَأَكِيدُ﴾ حيث أَتَتْ بصِيغة الإفراد، فإن كَيد الله تَعالى أَعظَم مِن كيد جميع كُيودهم مَهما بَلَغت، والكَيْد والمكْر مُتَقارِبان، ومَعناهما: الإِيقاع بالخَصْم مِن حيث لا يَشعُر، وقد كاد اللهُ تَعالى لنَبيِّه ﷺ مع هؤلاء المشرِكين المكذِّبين به كَيدًا عَظيمًا، كما هو مَعلوم مِن قراءة سيرة النبيِّ صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم.

وفي الآية الأَخيرة: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠]. هذه أَيضًا كقوله تَعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق:١٥-١٦] يَعنِي: أن الكُفَّار يَمكُرون بأَولِياء الله عَزَّوَجَلَّ، ولكنَّ اللهَ تَعالى يَمكُر بهم، فيُقابِلُهم بما هو أَعظَم وأَشَدُّ مِن مَكْرِهم، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾، أي: أَعظَمهم وأَشدُّهم.

والمكْر هو: الإِيقاع بالخَصْم مِن حيث لا يَشعُر، فهو دَليل على القوَّة والعِلْم والقُدْرة، فيَكون في مُقابَلة الفاعِل صِفة مَدْح وكَمال، لكن لا يُوصَف الله تَعالى بأَنَّه ماكِر على سَبيل الإِطلاق، أو بأَنَّه خادِع، أو بأَنَّه كائِد، أو بأَنَّه مُستَهْزِئ على وَجه الإطلاق، بل يُقال: إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ماكِر بمَن مكَر به، ومُستَهزِئٌ بمَن يَستهزِئ به، وهكذا.



س(١٤٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هـل نُثبِت صِفـة المـلَلِ لله عَزَّوَجَلَّ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: جـاء في الحـديث عن النبـي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قـوله: «**إِنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**»(١). فمِن العُلَماء مَن قال: إن هذا دَليل على إثبات المَلَلِ له، لكِن مَلَل الله ليس كمَلَل المخلوق؛ إذ إن مَلَل المخلوق نَقْص؛ لأَنَّه يَدُلُّ على سَأَمه وضَجَره مِن هذا الشيء، أما مَلَل الله فهو كَمال وليس فيه نَقْص، ويجرِي هذا كسائِر الصِّفات التي نُثبِتها لله على وجه الكَمال وإن كانت في حقِّ المخلوق ليست كَمالًا.

ومِن العُلَماء مَن يَقول إن قوله: «**لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**» يُراد به بَيان أَنَّه مَهْما عمِلْتَ مِن عمَل فإن الله يُجازِيك عليه، فاعْمَل ما بَدا لكَ فإن اللهَ لا يَمَلُّ مِن ثَوابك حتَّى تَمَلَّ مِن العَمَل، وعلى هذا فيَكون المراد بالمَلَل لازِم المَلَلِ.

ومِنهم مَن قال: إن هذا الحديث لا يَدُلُّ على صِفة المَلَلِ لله إطلاقًا؛ لأن قَول القائِل: لا أَقوم حتَّى تَقوم، لا يَستلزِم قِيام الثَّاني، وهكذا أيضًا: «لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا» لا يَستَلزِم ثُبوتَ المَلَل لله عَزَّوَجَلَّ.

وعلى كل حال يجِب علينا أن نَعتَقِد أن الله تَعالى مُنَزَّه عن كل صِفة نَقْص مِن المَلَل وغيره، وإذا ثَبَت أن هذا الحديث دَليل على المَلَل فالمراد به: مَلَل ليس كمَلَل المخلوق.



(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، رقم (١١٥١)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم، رقم (٧٨٢)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

س(١٤٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن أنواع التَّعطِيل؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: التَّعطِيل نَوعان:

الأول: تَعطِيل تَكذيبٍ وجَحْدٍ، وهذا كُفْر. ومِثاله: رجُل قال: إن اللهَ لم يَستوِ على العَرْش. فهذا جُحود وتَكذِيب؛ لأن الله تَعالى يَقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. ومَن كَذَّب خَبر الله فهو كافِر.

الثَّاني: تَعطيل تَأوِيل، وهذا هو مُعترَك الخلاف بين العُلَماء هل يحكَم على مَن عَطَّل تَأويلًا بالكفر أو لا؟ ومِثاله: رجُل أَثبَت أن الله على العرش استَوى، لكن قال: أَقول: إن مَعناه: استَولى. فهذا تَعطيل تَأوِيل، وهذا قد لا يَكفُر به الإنسان، ولهذا لا نُكفِّر مَن فسَّر الاستِواء بالاستِيلاء.

وهذا النوع في الحقيقة فيه تَفصيل: فأحيانًا يَكون الإنسان مُبتدِعًا غير كافِر، وأحيانًا يَكون مُبتدِعًا كافرًا، حسَب ما تَقتَضِيه النصوص الشرعية في ذلك.



س(١٥٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن حُكْم إِنكار شيء مِن أَسْماء الله تَعالى أو صِفاته؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الإنكار نَوعان:

النوع الأول: إنكار تَكذِيب، وهذا كُفْر بلا شَكٍّ، فلو أن أَحَدًا أَنكَر اسمًا مِن أَسْماء الله، أو صِفة مِن صِفاته الثابِتة في الكتاب والسُّنَّة، مِثل أن يَقول: ليس لله يَدٌ، فهو كافِر بإجماع المسلِمين؛ لأن تَكذِيب خَبر الله ورسوله كُفْر مخرِج عن المِلَّة.

النوع الثَّاني: إِنكار تَأْوِيل، وهو أَلا يجحَدَها، ولكن يُؤَوِّلها، وهذا نَوعان:

الأول: أن يَكون لهذا التأوِيل مُسوِّغ في اللغة العربية، فهذا لا يُوجِب الكُفْر.

الثَّاني: أَلَّا يَكون له مُسوِّغ في اللغة العربية، فهذا مُوجِب للكُفْر؛ لأَنَّه إذا لم يَكُن له مُسوِّغ صار تَكذِيبًا، مِثل أن يَقول: ليس لله يَدٌ حقيقة، ولا بمَعنى النِّعمة، أو القوة. فهذا كافِر؛ لأَنَّه نَفاها نَفيًا مُطلَقًا، فهو مُكذِّب حقيقة، ولو قال في قوله تَعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]: المراد بيَديه السَّموات والأَرض. فهو كافِر؛ لأَنَّه لا يَصِحُّ في اللغة العربية، ولا هو مُقتَضى الحقيقة الشرعية، فهو مُنكِر مُكذِّب.

لكن إن قال: المراد باليَدِ النِّعْمة أوِ القُوَّة فلا يَكفُر؛ لأن اليَدَ في اللغة تُطلَق بمَعْنَى النِّعمة، قال الشاعِر(١):

وَكَمْ لِظَلامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ ... تُحَدِّثُ أَنَّ المَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ

«مِن يد» أي: مِن نِعمة؛ لأن المانوية يَقولون: إن الظُّلْمة لا تُحدِث الخير، وإنما تُحدِث الشرَّ.

س(١٥١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن حُكْم مَن يَعتقِد أن صِفاتِ الخالِق مِثل صِفات المخلوق؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الذي يَعتَقِد أن صِفاتِ الخالِق مِثل صِفات المخلوق ضالٌّ؛ ذلك أن صِفاتِ الخالِق لا تُماثِل صِفات المخلوقِين بنصِّ القرآن الكريم، قال الله

---

(١) البيت للمتنبي؛ ديوانه (١/ ٣٠٢/ شرح البرقوقي).

تَعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] ولا يَلزَم مِن تَماثُل الشيئَين في الاسم أو الصِّفة أن يَتماثَلا في الحقيقة، هذه قاعِدة مَعلومة.

أَلَيس للآدَمِيِّ وَجه، وللبَعير وَجه؟ اتَّفَقا في الاسم، لكن لم يَتَّفِقا في الحقيقة، وللجَمَل يَدٌ، وللذَّرَّة يَدٌ، فهلِ اليَدان مُتَماثِلَتان؟

الجواب: لا. إِذَنْ: لماذا لا تَقول: لله عَزَّوَجَلَّ وجه ولا يُماثِل أَوْجُهَ المخْلوقِين، ولله يَدٌ ولا تُماثِل أَيْدي المخلوقِين؟! قال الله تَعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]. وقال: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء:١٠٤] هل هناك يَدٌ مِن أَيدِي المخلوقِين تَكون كهذه اليَدِ؟ لا. إِذَنْ يجِب أن نَعلَم أن الخالِق لا يُماثِل المخلوقَ، لا في ذاته، ولا في صِفاته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]؛ ولذلك لا يجوز أبدًا أن تَتخَيَّل كيفيَّةَ صِفة مِن صِفات الله، أو أن تَظُنَّ أن صِفاتِ الله كمِثل صِفاتِ المخلوق.

س(١٥٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: تَوْحيد الأَسْماء والصِّفات هو الإيمان بكل ما ورَد في القرآن والأحاديث الصحيحة مِن صِفات الله ووصْفه بها على الحقيقة، وعَدَم التَّعرُّض لـها بِشيء مِن (التَّكيِيف، والتَّمثِيل، والتَّشبِيه، والتَّأْوِيل، والتَّحرِيف، والتَّعطِيل)، أُرِيد -مِن فَضْلكَ- شَرْح الأَلفاظ التي بين القَوْسَين والتَّمثِيل عليها؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: التَّكْيِيف: مَصدرُ كيَّف، بمَعنى: ذَكَر الكيفية.

والتَّكييف هو: ذِكْر كيفية الصِّفة.

ومِثاله أن يَقول: إن كيفية يَدِ الله تَعالى على كيفية مُعيَّنة، سواء ذكَر كيفية تَشابُه يَدِ المخلوق، أَمْ ذَكَر كيفيَّةً لا تُشابِه ذَلِك.

وأمَّا التَّمثِيل: فهو الحكْم بمَثِيل للشيء.

مِثل أن يَقول: إن لله يَدًا مِثْل أَيدِي المخلوقِين.

أو يَقول: إن استِواء الله على عَرْشه مِثْل استِواء المخلوق على السرير ونحو ذلك.

وأما التَّشبِيه: فهو الحُكْم بمُشابِهٍ للشيء.

والفَرْق بَينه وبينَ التَّمثِيل: أن المِثْل هو المساوِي مِن كلِّ وَجْه، وأما المشابِه فهو المقارِب.

وأمَّا التأوِيل: فإنه في اصطِلاح المتأخِّرين: صرْف اللفْظ عنِ الاحتِمال الراجِح إلى الاحتِمال المرجوح، فإن كان الدليل صَحيحًا فهو تَأوِيل صحيح، وإلا فلا.

أو بتَعبِير آخَرَ هو: صرْف اللفْظ عن ظاهِره إلى مَعنًى مَرجوح.

مثاله: صرْف مَعنَى اليَد المتبادِر في إطلاقها إلى مَعنَى النِّعْمة، وصرْف مَعنَى الوجه إلى مَعنَى الثواب، ونَحو ذلك، وهذا التأوِيل غير صَحيح؛ لأنَّه ليس عليه دَليل صحيح، ويُطلَق التَّأوِيل على مَعنيَين آخَرين وهما:

أ- التَّفسير، كما يُقال: تَأوِيل هذه الآية كذا وكذا، ومِنه قوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»(١) يَعنِي: ابنَ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، رقم (١٤٣)، ومسلم: كتاب فضائل

ب- **العاقِبة** التي يَؤول إليها الشيء، ومِنه قوله تَعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف:٥٣] أي: إلا عاقِبته وما يَؤول إليه أَمْره.

وأمَّا التَّحرِيف: فهو في اللغة: التَّغيِير.

وفي الشرع: تَغيير النُّصوص لَفظًا أو مَعنًى.

فأمَّا التَّغيِير اللفْظِيُّ فهو: أن يُبدَل اللَّفْظ بلَفْظ آخَرَ، أو يُغيرَ إعرابه، أو نَحوه.

مثل: تَغيِير بعْض المعتزِلة قوله تَعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤] إلى قوله: «وكلم اللهَ موسى تكليمًا» بنَصْب الجلالة؛ ليَكون الكلامُ صادِرًا مِن موسى لله لا مِن الله لموسى.

وأما التَّغيِير المعنَوِيُّ فهو: إبقاء اللفْظ بحاله، لكن يَصرِفه عن مَعناه المراد به.

مِثل: تحريف مَعنَى مجيءِ الله ونُزوله، إلى مجيء أَمْره ونُزول أَمْره، ونَحو ذلك.

وأمَّا التَّعطِيل: فهو في اللغة التَّخْلِيَة والتَّجرِيد، ومِنه قوله تَعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [الحج:٤٥] أي: مُخلاة، وقولهم: «جِيدٌ عطل» أي: مخلى مجرَّد مِن الحليِّ.

وأَمَّا في الشرْع فهو: «أن يُعطَّل اللهُ عما يجِب له، مِن الأُلُوهِيَّة، والرُّبُوبِيَّة، والأَسْماء، والصِّفات».

مِثالُه في الأُلُوهِيَّة: ما فَعَله المشرِكون، حيث أَشرَكوا مَعَ الله في عِبادته.

ومِثاله في الرُّبُوبيَّة: أن يُعتَقَد أن مَع الله شريكًا في خَلْقه.

= الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، باب من فضائل عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رقم (٢٤٧٧)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. دون قوله: «**وعلمه التأويل**»، وأخرجه أحمد (١/ ٢٦٦) بلفظه.

وأمَّا الأَسْماء والصِّفات فتَعطِيلها: إما بنَفيِها كما هو ظاهِر، وإمَّا باعتِقاد التَّشبِيه، فإن اعتِقاد أن الله مُشابِه لخلْقه فيها هو تَعطِيل عما يجِب له مِن الكَمال المقدَّس، والله أَعلَم.

| س(١٥٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: أيهما أَوْلى: التَّعبِير بالتَّمثِيل أم التَّعبِير بالتَّشبِيه؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: التَّعبِير بالتَّمثِيل خير مِن التَّعبِير بالتَّشبِيه؛ لوجوه ثلاثة:

الوجه الأوَّل: أن نَفيَ التَّمثِيل هو الذي ورَد في القرآن الكريم، ولم يَرِد في القرآن نَفيُ التَّشبِيه، واللفظ الذي هو التَّعبِير القُرآني خير مِنَ اللفْظ الذي هو التعبير الإنساني، قال الله تَعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١].

الوجه الثَّاني: أن التَّشبِيه لا يَصِحُّ نَفيُه على الإطلاق؛ لأنَّه ما مِن شَيئَين إلا وبينهما قَدْر مُشترَك اتَّفَقا فيه، وإن اختَلفا في الحقيقة، فللهِ وُجود، وللإنسان وُجود، ولله حياة، وللإنسان حياة، وهذا الاشتِراك في أصل المعنَى -الحياة- نوع مِن التَّشابُه، لكن الحقيقة أن صِفات الخالِق ليست كصِفات المخلوق، فحياة الخالِق ليست كحياة المخْلوق، فحياة المخلوق ناقِصة مَسبوقة بعدَم، ومَلحوقة بفَناء، وهي أَيضًا ناقِصة في حَدِّ ذاتها، يَومًا يَكون طيبًا، ويومًا يَكون مريضًا، ويَومًا يَكون مُتكدِّرًا، ويومًا يَكون مَسرورًا، وهي أيضًا حياة ناقِصة في جميع الصِّفات، البصر ناقِص، السمع ناقِص، العِلْم ناقِص، القوَّة ناقِصة، بخِلاف حياة الخالِق جَلَّ وَعَلَا فإنها كامِلة مِن كل وَجه.

الوجه الثَّالث: أن بعض أهل التعطيل يُسمُّون المثبِتِين للصِّفات مُشبِّهة، فإذا قُلْتَ: مِن غير تَشبِيه، فهِم هؤلاء أن المراد مِن غَير إثبات صِفة؛ ولذلك نَقول: إن التَّعبِير بقولنا: مِن غير تمثِيل، أَولى مِن التَّعبِير بالتَّشبِيه.

س(١٥٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن الفَرْق بين التَّشبِيه والتَّمثِيل في الأَسْماء والصِّفات؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: التَّشبِيه والتَّمثِيل في الأَسْماء والصِّفات بينهما فَرْق؛ ولهذا يَنبَغي أن نَقول: «مِن غير تَحرِيف، ولا تَعطِيل، ولا تَكييف، ولا تَمثِيل»، بدل قول: «مِن غير تَأوِيل، ولا تَعطِيل، ولا تَكْيِيف، ولا تَشبِيه».

فالتَّعبِير بالتَّمثِيل أَوْلى لأُمور:

أولًا: أنَّه الموافِق للَّفْظ القُرآني في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]. ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل:٧٤] ولم يَقُل: ليس كشَبَهه شيء، ولا قال: فلا تَضرِبوا لله الأَشباهَ.

ثانيًا: أن التَّشبِيه صار وَصْفًا يختَلِف الناس في فَهْمه، فعِنْد بعض الناس إِثبات الصِّفات يُسمَّى تَشبِيهًا، ويُسمُّون مَن أَثبَت صِفةً لله مُشبِّهًا، فتَجِد ذلك عِند المعتَزِلة، كما يَقول الزَّمخشريُّ في تَفسيره الكشَّاف[1]: وقالَتِ المشبِّهة، ويَقصِد أهلَ السُّنَّة والجماعة.

ثالثًا: أن نَفْي التَّشبِيه على الإطلاق بين صِفات الخالِق وصِفات المخلوق

---

(١) ينظر: الكشاف (٢/ ٣٤٢).

لا يَصِحُّ؛ لأَنَّه ما مِن صِفَتَين ثابِتَتَين إلا وبَينهما اشتِراك في أَصْل المعنَى، وهذا الاشتِراك نَوع مِن المشابهة: فالعِلْم مَثلًا؛ للإنسان عِلْم، وللربِّ سُبحانه عِلْم، فاشترَكا في أصل المعنَى، لكن لا يَستَويان، أما التَّمثِيل فيَصِحُّ أن تَنفِي نَفيًا مُطلَقًا.

وأيضًا فلا يُقال: مِن غير تَأوِيل، بل: مِن غير تحرِيف؛ لأن التَّأْوِيل في أَسْماء الله وصِفاته ليس مَنْفِيًّا على كل حال، بل ما دَلَّ عليه الدليل فهو تَأوِيل ثابِت وهو بمَعْنَى التفسير، وإِنَّما المنفِيُّ هو التَّحرِيف، وهو صرْف اللفْظ عن ظاهِره بغير دليل، كما صَنَع أَهْل التَّعطِيل الذين اختَلَفوا فيما نَفَوا وأَثبَتوا مِن أَسْماء الله وصِفاته:

فمِنهم: مَن أَثبَت الأَسْماء وبعض الصِّفات ونفى أَكثَر الصِّفات.

ومِنهم: مَن أَثبَت الأَسْماء ونَفَى الصِّفاتِ كلَّها.

ومِنهم: مَن نَفَى الأَسْماء والصِّفاتِ كلَّها.

ومِنهم: مَن نَفَى كلَّ إِثْبات وكلَّ نَفْي، فقال: لا تَصِفِ اللهَ بإثباتٍ ولا نَفْي.

وأهل السُّنَّة بَريئون مِن هذا، ويُثبِتون لله تَعالى كل ما أَثبَته لنَفْسه مِن الأَسْماء والصِّفات.

وكذلك فقد جاء النصُّ بذَمِّ التحرِيف في قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة:١٣] ولم يَقُلْ: يُؤَوِّلون، والتِزام الألفاظ الشرعيَّة التي جاء بها الكِتاب والسُّنَّة أَولى مِن إِحداث أَلفاظ أُخرى؛ لأن ما جاء في الشرع أَسَدُّ وأَقوى.



س(١٥٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى: عنِ الحِكْمة مِن إيجاد الكِرام الكاتِبِين مع أن الله يَعلَم كلَّ شيء؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نَقول في مِثْل هذه الأُمور: إنَّنا قد نُدرِك حِكْمتها، وقد لا نُدرِك، فإن كثيرًا مِن الأشياء لا نَعلَم حِكْمتها، كما قال الله تَعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيـلًا﴾ [الإسراء:٨٥].

فإن هذه المخْلوقات لو سَألَنا سائِل: ما الحِكمة أن الله جعَل الإبل على هذا الوَجْه، وجَعَل الخَيْل على هذا الوَجْه، وجَعَل الحَمِير على هذا الوَجْه، وجعَل الآدَميَّ على هذا الوَجْه، وما أَشبَه ذلك؟ لو سَألَنا عن الحِكْمة في هذه الأُمور ما عَلِمناها.

ولو سُئِلنا ما الحِكْمة في أن الله عَزَّوَجَلَّ جعَل صلاة الظهر أربعًا، وصَلاة العصر أَرْبعًا، والمغرِب ثلاثًا، وصلاة العِشاء أَرْبعًا، وما أشبهَ ذلك؟ ما استطَعْنا أن نَعلَم الحِكْمة في ذلك، وبهذا عَلِمنا أن كثيرًا مِن الأمور الكونية، وكثيرًا مِن الأُمور الشرعيَّة تخفى علينا حِكمتُها، وإذا كان كذلك فإنا نَقول: إن التِماسَنا للحِكْمة في بعض الأشياء المخْلوقة أوِ المشروعة: إن مَنَّ الله علينا بالوُصول إليها فذاك زِيادة فَضْل وخَيرٍ وعِلْم، وإن لم نَصِل إليها فإن ذلك لا يَنقُصُنا شَيئًا.

ثُمَّ نَعود إلى جواب السؤال وهو: ما الحِكْمة في أن الله عَزَّوَجَلَّ وكَّل بنا كِرامًا كاتِبين يَعلَمون ما نَفعَل؟

فالحِكْمة مِن ذلك بَيان أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَظَم الأشياء وقَدَّرها، وأَحكَمها إحكامًا مُتْقَنًا، حتى إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جعَل على أَفعال بني آدَمَ وأَقوالهم كِرامًا كاتِبِين مُوكَّلِين بهم يَكتُبون ما يَفعَلون، مع أنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عالِمٌ بما يَفعَلون قبل أن يَفعَلوه، ولكن كُلُّ هذا مِن أَجْل بيان كَمال عِناية الله عَزَّوَجَلَّ بالإنسان وكَمال حِفْظه تَبَارَكَ وَتَعَالَى،

وأن هذا الكون مُنظَّم أَحسنَ نِظام ومُحكَم أَحسَنَ إِحكام. والله عليم حَكيم.

س(١٥٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن صِفة الهَرْولة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: صِفة الهرولة ثابِتة لله تَعالى كما في الحديث الصحيح الذي رواه البُخاري ومُسلِم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**»(١). فذَكَر الحديث، وفيه: «**وإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»، وهذه الهَرْوَلة صِفة مِن صِفات أَفعاله التي يجِب عَلينا الإيمان بها مِن غَير تكييف ولا تمثِيل؛ لأَنَّه أَخبر بها عن نَفْسه، وهو أَعلَم بنَفْسه، فوَجَب عَلينا قَبولها بدون تَكْييف؛ لأن التَّكْييف قولٌ على الله بغَير عِلْم، وهو حَرام، وبدون تَمثِيل؛ لأن الله يَقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

س(١٥٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن حُكْم سَبِّ الدَّهْر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: سَبُّ الدَّهْر يَنقَسِم إلى ثلاثة أَقسام:

القِسْم الأَوَّل: أن يَقصِد الخبر المحْض دون اللوم، فهذا جائِز مِثْل أن يَقول: تَعبنا مِن شِدَّة حَرِّ هذا اليوم، أو بَرْده، وما أشبهَ ذلك؛ لأن الأعمال بالنِّيَّات، واللفظ صالِح لمجرَّد الخبر.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التَّوْحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ الآية، رقم (٧٤٠٥)، ومسلم: كتاب التوبة، باب الحث على ذكر الله تعالى، رقم (٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

القِسْم الثَّاني: أن يَسُبَّ الدهْر على أنَّه هو الفاعِل، كأن يَقصِد بسبِّه الدهْرَ أن الدهْرَ هو الذي يُقلِّب الأمور إلى الخير أو الشر، فهذا شرْك أكبر؛ لأنَّه اعتَقَد أن مع الله خالِقًا، حيث نَسَب الحوادِث إلى غير الله.

القِسْم الثَّالث: أن يَسُبَّ الدهْر وهو يَعتَقِد أن الفاعِل هو الله، ولكن يَسُبُّه لأنَّه محلُّ هذه الأُمور المكروهة، فهذا محرَّم؛ لأنَّه مُنافٍ للصبر الواجِب، وليس بكُفْر؛ لأنَّه ما سَبَّ الله مباشرةً، ولو سَبَّ الله مباشرةً لكان كافِرًا.

| س(١٥٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: كيف نَجمَع بين قوله ﷺ فيما يَروِيه عن ربِّه عَزَّوَجَلَّ: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ! يَسُبُّ الدَّهْرَ...» الحديثَ[1]، وبينَ قول الرسول ﷺ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا...»[2] الحديثَ؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: حديث: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا**» لا أَدرِي عن صِحَّته، والَّذي أَظُنُّ أَنَّه ضَعيف، ولكن على تَقدير صِحَّته فلَيس هذا مِن باب السَّبِّ، إنما هو مِن باب الخبر، وأنَّه لا خَيرَ فيها إلا عالِمٌ ومُتَعلِّم، أو ذِكْر الله وما والاه، وأما سَبُّ الدَّهْر فهو عَيْبه ولوْمُه والتَّسَخُّط مما وقَع فيه، وإضافة هذا الشيء إلى الدهْر مع أن الأَمْر كُلَّه بيَد الله عَزَّوَجَلَّ كما جاء في الحديث نفْسِه: «**وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ**».

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾، رقم (٤٨٢٦)، ومسلم: كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سب الدهر، رقم (٢٢٤٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الزهد، باب من هوان الدنيا على الله عَزَّوَجَلَّ، رقم (٢٣٢٢)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، رقم (٤١١٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(١٥٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن هـذه العِبـارات: «هـذا زَمان أَقْشر»، أو «الزَّمَن غَدَّار»، أو «يا خَيْبة الزَّمَن الذي رَأَيْتُك فيه»؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذه العِبارات التي ذُكِرت في السؤال تَقَع على وجهين:

الوجه الأول: أن تَكون سَبًّا وقَدْحًا في الزمَّن، فهذا حرام، ولا يجوز؛ لأن ما حصَل في الزمَن فهو مِنَ الله عَزَّوَجَلَّ، فمَن سَبَّه فقد سَبَّ الله؛ ولهذا قال اللهُ تَعالى في الحديث القُدُسيِّ: «**يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ! يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»[١].

والوجه الثَّاني: أن يَقولها على سَبيل الإِخْبار، فهذا لا بَأْس به، ومِنه قوله تَعالى عن لوط عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود:٧٧]. أي: شَديد، وكل الناس يَقولون: هذا يوم شَديد، وهذا يَوم فيه كذا وكذا مِنَ الأُمور. وليس فيه شيء.

وأمَّا قول: «هذا الزمَن غَدَّار» فهذا سَبٌّ؛ لأنَّ الغَدْر صِفة ذَمٍّ، ولا يجوز.

وقول: «يا خَيْبة اليَوم الَّذي رَأيتُكَ فيه» إذا قصد: يا خَيبَتي أنا، فهذا لا بَأْس فيه، وليس سبًّا للدَّهْر. وإن قَصَد الزَّمَن أو اليوم فهذا سَبٌّ فلا يجوز.



(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾، رقم (٤٨٢٦)، ومسلم: كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سب الدهر، رقم (٢٢٤٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(١٦٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: سمِعتُ مِن المُعلِّمة أن أَسْماء الله وصِفاتِه على وزن فَعِيل مِن صِيَغ المبالَغة فهل هذا صَحيح؟ وهل يَصِحُّ القَوْل بأن أَسْماء الله وصِفاتِه مِن صِيغ المبالَغة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أَسْماء الله تَعالى وصِفاته التي جاءت في القرآن وغير القرآن منها ما هو صِفة مُشبَّهة، ويَعني العُلَماء بالصِّفة المشبَّهة الصِّفة اللازِمة للموصوف التي لا يَنفَكُّ عنها.

وذلك مِثل: العزيز، الحكيم، السميع، البَصير، وما أشبَهَها، فهذه صِفة مُشبَّهة بمعنى: أنها صِفة لازِمة لا تَنفَكُّ عن الله عَزَّوَجَلَّ.

ومن أَسْماء الله ما يكون صِيغةَ مبالَغة، ومعنى صِيغة المبالَغة: أنها دالَّة على الكثرة، وليس المعنى أَنَّه مبالَغ فيها دون إرادة الحقيقة، مثل الرزَّاق، فإن الرزَّاق من أَسْماء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وجاء بهذه الصِّيغة للدلالة على كثْرة مَن يَرزُقه الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه ما مِن دابَّة في الأرض إلا على الله رِزْقها، ولكثرة رِزْقه الذي يُعطيه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لمن يَشاء، كما قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد:٢٦].

ولعلَّ الطالِبة فهِمت من قول المدرِّسة: «صِيغة مبالَغة» أنها صِيغة مبالَغ فيها ولا تَعني الحقيقة، وليس هذا هو المرادَ؛ بل مراد العُلَماء مِن قولهم: «صيغة مبالَغة»: أنها دالَّة على الكثرة، وبهذا التَّفصيل لمعنى المبالَغة يَزول الإشكال، فإذا قلنا مثلًا: إن الرزَّاق من أَسْماء الله وهو صِيغة مبالَغة، فليس معناه أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يرزُق، بل مَعناه أنَّه كثير الرزْق.



س(١٦١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما حُكم الخَوْض في ذات الله؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا يُمكِن الخوض في ذات الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الوصول إلى معرِفة حقيقة ذات الله عَزَّوَجَلَّ مُستحِيلة، ومَن رامَ ذلك فقد يَقَع في هلاك وشقاء، نَعَم، يُفكِّر ويَتأمَّل في أَسْماء الله وصِفاته، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

س(١٦٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: لقد سمِعت بيتًا لأحَد السَّلَف الصالِح، ولكن التبَس عليَّ الشطر الأخير وشككت فيه مِن الناحية العقائدية فأرجو مِن فضيلة الشيخ أن يُبيِّن لي معنى هذا البيت، وهل هو صحيح من ناحية الاعتِقاد أم لا؟ البيت هو:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلا تَقُلْ ... خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

إلى أن قال:

وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفُلُ طَرْفَةً ... وَلا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ(١)

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذانِ البَيتان صحيحان، فإذا خلا الإنسان يومًا مِن الدهْر فلا يَقُل: إني خلَوت؛ لأن عليه رَقيبًا مِن الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، فالإنسان مَهْما اختفى عن الناس فإنه لن يَخفَى

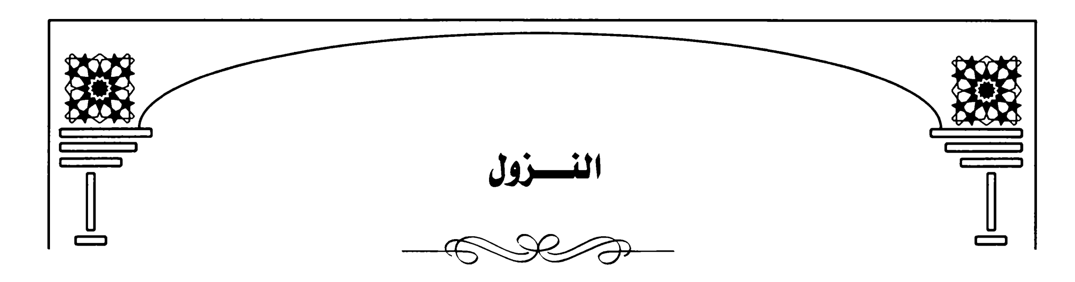
---

(١) انظر: عيون الأخبار لابن قتيبة (٢/ ٣٢)، وينظر في نسبته: حاشية تفسير ابن جرير (١/ ١٠٨) للشيخ محمود شاكر.

على الله، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران:٥].

ولا تَظُنَّ أَنَّك إذا اختَفَيت فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَغفُل عنك، أو لا يَعلَم بك، فإن الله تعالى يَقول: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٧٤]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم:٤٢]، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ محيط بكلِّ شيء عِلمًا، يَعلَم ما كان، وما يكون، وما لم يكُن لو كان كيف يكون، ويَعلَم ما ظهَر وما بطَن.





النـــزول

س(١٦٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يبقى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فيَقُولُ: مَنْ يَدْعُوني فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُني فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُني فَأَغْفِرَ لَهُ؟»[1]. رواه البخاري؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا الحديث عظيم، ذَكَر بعض أهل العِلْم أنَّه بلغ حدَّ التَّواتر عن النبي ﷺ، ولا شَكَّ أنَّه حديث مُستفِيض مَشهور، وقد شرَحه شيخ الإسلام ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ بكِتاب مُستقِلٍّ[2]؛ لما فيه مِن الفوائد العظيمة.

ففيه ثُبوت النزول لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لقوله: «يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا»، والنُّزول مِن صِفات الله الفِعْليَّة؛ لأنَّه فِعْل، وهذا النزول نُزول الله نفسِه حقيقة؛ لأن الرسول ﷺ أَضافه إلى الله، ونحن نَعلَم أن الرسول ﷺ أَعلَمُ الناس بالله، ونَعلَم كذلك أن الرسول ﷺ أَفصَح الخَلْق، ونَعلَم كذلك أنَّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَصدَق الخَلْق فيما يُخبِر به، فليس في كلامه شيء مِن الكذِب، ولا يُمكِن أن يَتقوَّل على الله تعالى شيئًا لا في أسمائه، ولا في صِفاته، ولا في أَفعاله، ولا في أَحكامه، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١١٤٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مطبوع باسم: شرح حديث النزول، وطبع أيضا ضمن مجموع الفتاوى (٥/ ٣٢١).

بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ﴾ [الحاقة:٤٤-٤٦]. ونَعلَم كذلك أن رسول الله ﷺ أَنصَح الخَلْق، وأَنَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يُساوِيه أَحَد مِن الخلْق في النصيحة للخَلْق.

ونَعلَم كذلك أَنَّه ﷺ لا يُريد مِن العِباد إلا أن يَهتدوا، وهذا مِن تمام نُصحه أَنَّه لا يُريد مِنهم أن يَضلُّوا، فهو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أَعلَم الخلْق بالله، وأَنصَح الخلْق للخَلْق، وأَفصَح الخَلْق فيما يَنطِق به، وكذلك لا يُرِيد إلا الهِداية للخَلْق، فإذا قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا**»، فإن أيَّ إنسان يَقول خِلاف ظاهر هذا اللفظ قدِ اتَّهم النبي ﷺ:

- إما بأَنَّه غير عالم، فمثلًا إذا قال: المراد يَنزِل أَمرُه. نَقول: أنت أَعلَم بالله مِن رسول الله ﷺ؟! فالرسول يَقول: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا**»، وأنت تقول: يَنزِل أَمرُه، أأنت أَعلَم أم رسول الله؟!

- أو أَنَّه اتَّهمه بأَنَّه لا يُريد النُّصح للخَلْق، حيث عمَّى عليهم فخاطَبهم بما يُرِيد خِلافه، ولا شكَّ أن الإنسان الذي يُخاطِب الناس بما يُريد خِلافه غير ناصِح لهم، أو نَقول: أنت الآن اتَّهمْت الرسول ﷺ بأَنَّه غير فَصيح، بل هو عَيِيٌّ يُرِيد شيئًا، ولكن لا يَنطِق به، يُرِيد يَنزِل أَمْر ربِّنا، ولكن يَقول: يَنزِل رَبُّنا؛ لأَنَّه لا يُفرِّق بين هذا وهذا، فكلامُك هذا لا يَخلو مِن وَصمة الرسول ﷺ. فعليك أن تَتَّقيَ الله، وأن تُؤمِن بما قال الرسول ﷺ مِن أن الله تعالى نفسَه يَنزِل حقيقة.



س(١٦٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل يَستلزِم نُزول الله عَزَّوَجَلَّ أن يَخلوَ العرْش مِنه أو لا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نقول: أصل هذا السؤال تَنَطُّع، وإيراده غير مَشكور عليه مُورِده؛ لأننا نَسأَل هل أنت أَحرَص مِنَ الصحابة على فهم صِفات الله؟!

إن قال: نَعَم. فقد كذَب.

وإن قال: لا. قلْنا: فلْيَسَعْك ما وَسِعهم، فهُمْ ما سألوا الرسولَ ﷺ وقالوا: يا رسول الله إذا نزَل هل يَخلو مِنه العَرْش؟ وما لك ولهذا السؤال، قل: يَنزِل. واسْكُتْ!.

وأمَّا يخلو منه العَرْش أو ما يَخلو، فهذا ليس إليك، أنت مَأمور بأن تُصدِّق الخبر، ولا سيَّما ما يَتعلَّق بذات الله وصِفاته؛ لأَنَّه أَمْر فوق العُقول.

فإذَنْ نَقول: هذا سُؤال تَنطُّعٍ أصلًا لا يَرِد، وكل إنسان يُرِيد الأدَب كما تَأدَّب الصحابة مع رسول الله ﷺ فإنه لا يُورِده.

فإذا قُدِّر أن شَخصًا ابْتُلِيَ بأن وَجد العُلَماء بَحثُوا في هذا واختَلَفوا فيه.

فمِنهم مَن يَقول: يَخلو.

ومِنهم مَن يَقول: لا يَخلو.

ومِنهم مَن تَوقَّف.

فالسبِيل الأَقـوَم في هـذا هـو: التَّوقُّف، ثم القول بأَنَّه لا يَخلو مِنه العرش، وأَضعَف الأَقوال القَولُ بأَنَّه يَخلو مِنه العرش، فالتَّوقُّف أَسلَمُها، وليس هذا مِمَّا

يَجِب عَلينا القول به؛ لأن الرسول ﷺ لم يُبَيِّنه، والصحابة لم يَستَفسِروا عنه، ولو كان هذا مما يَجِب علينا أن نَعتَقِده لبَيَّنه الله ورسوله ﷺ بأي طريق، ونَحن نَعلَم أنَّه أحيانًا يُبيِّن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الحقَّ مِن عِنده، وأحيانًا يَتوقَّف فيَنزِل الوحيُ، وأحيانًا يَأتِي أَعرابِيٌّ فيَسأَل عن شيء، وأحيانًا يَسأَل الصحابة أَنفُسهم عن الشيء، كل هذا لم يَرِد في هذا الحديث، فإِذَنْ لو تَوقَّفنا وقلنا: الله أَعلَم. فليس علينا سَبيل؛ لأن هذا هو الواقِع.

س(١٦٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل إذا نَزَل تُقِلُّه السماءُ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا لا يكون؛ لأنَّك لو قلت: إن السماءَ تُقِلُّه. لزِم أنَّه يَكون مُحتاجًا إليها، كما تَكون أنت محتاجًا إلى السَّقف إذا أَقلَّكَ، ومعلوم أن الله غنِيٌّ عن كل شيء، وأن كل شيء محتاج إلى الله، فإِذَنْ نَجزِم بأن السماءَ لا تُقِلُّه؛ لأنها لو أَقلَّتْه لكان محتاجًا إليها، وهذا مُستحِيل على الله عَزَّوَجَلَّ.

س(١٦٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل السماء الثَّانية فما فوقها تكون فوقه إذا نَزَل إلى السماء الدنيا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا، ونَجزِم بهذا؛ لأننا لو قُلْنا بإمكان ذلك لبَطَلَتْ صِفة العُلُوِّ، وصِفة العُلُو لازِمة لله، وهي صِفة ذاتِية لا تَنتَفِي عن الله، ولا يُمكِن أن يكون شيء فوقه. حِينَئذٍ يَبقَى الإنسان مُنبَهِتًا كيف يَنزِل إلى السماء الدنيا ولا تُقِلُّه ولا تَكون السَّموات الأُخرى فوقه، هل يُمكِن هذا؟!

الجواب: إذا كُنْت مُنْبَهِتًا من هذا فإنما تَنْبَهِت إذا قِسْت صِفات الخالِق بصِفات المخلوق، صحيح أن المخلوق إذا نَزل إلى المِصباح صار السَّطْح فوقه وصار سطح المِصباح يُقِلُّه، لكن الخالِق لا يُمكِن أن يُقاس بخَلْقه، فلا تَقُل: كيف ولِـمَ.

فإِذَنْ هذان السُّؤالان: هلِ السماء تُقِلُّه؟

الجواب: لا؛ لأنك إن فَرَضت هذا لزِم أن يَكون الله مُحتاجًا إلى السماء، والله تعالى غَنِيٌّ عن كلِّ شيء، وكل شيء مُحتاج إليه.

والسؤال الثَّاني: هل تَكون السَّموات فوقه ما عَدا السماءَ الدُّنيا؟

الجواب: لا؛ لأنك لو فَرَضتَ ذلك لزِم انتِفاء صِفة العُلُو لله، مع أن العُلُو مِن صِفات الله الذاتيَّة التي لا يَنفكُّ عنها.

فالسؤال هذا مِن أَصله بِدْعة، كما قال مالك للَّذي سَأله عنِ الاستِواء: كيف استَوى؟ قال: «السُّؤال عنه بِدْعةٌ» يَعني: لأنَّه ما سأَل الصحابة عنه، فأنت الآن ابتَدَعْتَ في دِين الله، حيث سَأَلْت عن أَمْرٍ دِينيٍّ ما سأل عنه الصحابة، وهُم أَفضَل مِنك، وأَحرَص منك على العِلْم بصفات الله.

لكن مع ذلك لـو قال: أنا يُساوِرُني القَلَق، أخشَى أن أَعتقِد بصفات الله ما لا يَجوز، فبَيِّنوا لي وأَنقِذوني، فحينئذٍ نُبيِّن له؛ لأن الإنسان قد يُبتَلى بمِثْل هذه الأُمور، ويَأتِيه الشيطان ويُوسوِس له، ويَقول: كيف؟ وكيف؟ حتى يُؤدِّي به إلى أَحَد مَحذورَين: إمَّا التمثِيل، وإمَّا التَّعطيل، فإذا جاءَنا يَسأَل ويَقول: أَنقِذوني، ما زال هذا يَتردَّد في خاطِري، ما يَكفِيني أن تَقولوا: بِدْعة. كيف أُذهِب ما في خاطري وقلبي؟ نَقول: نُبيِّن لك.

س(١٦٧): **سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل الَّذي يَنزِل هو الله عَزَّوَجَلَّ أَوْ لا؟**

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ذَكَرنا فيما سبَق أن الذي يَنزِل هو الله نفسُه، هكذا قال رسول الله ﷺ، وهو أَعلَم الخَلْق به، وأَنصحُهم، وأَفصَحهم مَقالًا، وأَصدَقهم فيما يَقول، فهو أَعلَم، وأَنصَح، وأَفصَح، وأَصدَق، وكل هذه الصِّفات الأربع موجودة في كلامه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فوالله ما كذَب في قوله: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا**» ولا غَشَّ الأُمَّة ولا نَطَق بعيٍّ، ولا نَطَق عن جهل ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ**﴾ [النجم:٣]، بل هو الصادِق المصدوق ﷺ يقول: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا عَزَّوَجَلَّ**».

لكن قال بَعض الناس: إن الذي يَنزِل أَمرُ الله.

وقال آخَرون: الذي يَنزِل رحمة الله.

وقال آخَرون: الذي يَنزِل مَلَك مِن ملائِكة الله.

سبحان الله! هل الرسول ﷺ ما يَعرِف أن يُعبِّر هذا التعبير، ولا يَعرِف أن يقول: تَنزِل رحمةُ الله، أو يَنزِل أَمرُ الله، أو يَنزِل مَلَك مِن ملائِكة الله؟!

الجواب: يَعرِف أن يُعبِّر، ولو كان المراد يَنزِل أَمْره، أو رحمته، أو مَلَكه، لكان الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُلبِّسًا على الأمَّة حين قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا**»، ولم يَكُن مُبيِّنًا للأُمَّة، بل مُلبِّسًا عليهم؛ لأن الذي يَقول لك: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا**» وهو يُريد يَنزِل أَمرُه هل وضَّح لكَ وبَيَّن، أو غَشَّك ولبَّس عليك؟

الجواب: غَشَّك ولبَّس عليك، فإِذَنِ الذي يَنزِل هو الرب عَزَّوَجَلَّ.

وهذا التحريف، ولا نقول: هذا التَّأوِيل، فالقول بأن مِثل هذا التحرِيف تَأوِيل

تَلطِيف للمسألة، وكل تَأوِيل لا يَدُلُّ عليه دليل فهو تَحريف، نَقول: هذا التَّحريف لا شكَّ أنَّه باطِل، فإذا قلنا: إن الذي يَنزِل أَمرُ الله في ثلث الليل، فمُقتَضاه:

أولًا: أنَّه في غير ثلُث الليل لا يَنزِل أَمرُ الله، وأَمرُ الله نازِل في كل لحظة ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة:٥].

ثانيًا: أَمرُ الله ما يَنتهِي بالسماء الدنيا، قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾. وليس إلى السماء الدنيا فقط، فبَطَل هذا التحريف، مِن جهة أن الأَمْر لا يَختَصُّ بهذا الجزء مِن الليل، وأن الأَمْر لا يَنتهِي إلى السماء بل يَنزِل إلى الأرض.

ورحمة الله -أيضًا- نَفس الشيء، نقول: رحمة الله عَزَّوَجَلَّ تَنزِل كلَّ لحظة، ولو فُقِدَت رحمة الله مِن العالَم لحظةً لهلَك، فكلُّ لحظة تَنزِل الرحمة وتَنزِل إلى الأرض، إِذَنْ ما الفائِدة لنا بنُزول الرحمة إلى السماء فقط، إذا لم تَصِلنا الرحمة فلا فائِدة لنا منها، فبَطَل تَفسيره بالرَّحمة، بل ما يَترتَّب على تفسيره بالأَمر أو الرحمة مِن اللوازِم الفاسِدة أَعظَم مِمَّا يَتوهَّمه مَن صَرَف اللفْظَ إلى الأَمْر أو الرحمة مِن المفاسِد في تَفسيره بنُزول الله نَفسِه.

ثالثًا: هل يُمكِن للأمر أوِ الرَّحمة أن تَقول: مَن يَدعوني فأَستجِيبَ له، إلخ؟

الجواب: لا يُمكِن أن تقول رحمةُ الله: مَن يَدعُوني. ولا يُمكِن أن يَقول أَمرُ الله: مَن يَدعُوني. فالذي يَقول هو الله عَزَّوَجَلَّ، كذلك إذا قِيل: إن الَّذي يَنزِل مَلَك مِن مَلائِكته، نقول: الملَكُ إذا نَزَل إلى السماء الدنيا لا يُمكِن أن يَقول: مَن يَدعوني. أبدًا، لو قال الملك: مَن يَدعُوني. صار مِن دُعاة الشِّرْك؛ لأن الذي يُجيب الداعِيَ إذا دَعاه هو الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يُمكِن للمَلَك أن يقول هكذا، حتَّى لو فُرِض أن الله

أَمَره أن يقول لقال: مَن يَدعو اللهَ فيَستَجِيبَ له. ولا يُمكِن لَمَلَكٍ مِن الملائِكة -وهم لا يَعصون اللهَ- أن يَقول: مَن يَدعوني فأَستجِيبَ له. وبهذا بَطَل تَحريف هذا الحديثِ إلى هذا المعنى أن يَكون النازِل مَلَكًا.

وتَحريف نُصوص الصِّفات مِنَ القرآن والسُّنَّة يَجرِي فيها هذا المجرَى، يَعني: أن كل التَّحرِيفات إذا تَأمَّلْتَها وَجدْتَ أنَّه يَترتَّب عليها مِنَ المفاسِد أَضعاف ما يَترتَّب على المفاسِد التي تَوهَّموها لو أَجرَوا اللفظ على ظاهِره.

ولهذا نَجِد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سلِموا مِن هذا، فلا يُوجَد عنهم حرف واحِد في تَحريف نُصوص الصِّفات؛ لأَنَّه ليس فيها إشكال عندهم، يُجرونها على ظاهِرها، كما يُجرون آياتِ الأحكام على ظاهِرها، والغريب أن هؤلاءِ الذين يُحرِّفون في نُصوص الصِّفات -وهم لا يَستَطِيعون أن يَعقِلوها- لو حرَّف أَحَد في نُصوص الأحكام -مع أن الأحكام مَربوطة بالمصالِح، والمصالِح للعُقول فيها مَدخَل- لو حرَّف أحَد في نُصوص الأحكام لأَقاموا عليه الدُّنيا، وقالوا: ما يُمكِن أن تُخرِج اللفظَ عن ظاهِره. مع أن الأحكام مَربوطة بالمصالِح، والمصالِح للعَقل فيها مجال.

لكن صِفات الله غير مَربوطة بهذا، صِفاتُ الله طرِيقُها الخبرُ المجرَّد، يَعني: ما فيه تَلقٍّ في صِفات الله -نَفيًا أو إثباتًا- إلا مِن الكِتاب والسُّنَّة، ومَع ذلك نَجِد مَن يَلعَب بنُصوص الكِتاب والسُّنَّة فيما يَتعلَّق بصِفات الله، ويُحرِّفها حينما يَرى أن العَقْل يَقتَضي ذلك، مع أن العقل الذي يَدَّعِي أنَّه يَقتَضِي ذلك، عقْلُ مَن؟ عَقل زَيدٍ أو عمرٍو أو بكرٍ...، كلُّ واحِد منهم له عَقْل يقول: هذا هو الحقُّ؛ ولهذا تَجِدهم يَتَناقَضون، بل إن الواحِد منهم يَنقُض كلامه بعضُه بعضًا، يُؤلِّف كتابًا

فيَنقُض به ما في الكِتاب الأَوَّل، وهكذا.

حُجَجٌ تَهَافَتُ كَالزُّجَاجِ تَخَالُـهَا ... حَقًّا وَكُلٌّ كَـاسِرٍ مَكسُـورُ(١)

فهم يَتَناقَضون؛ لأنهم على غير بُرهان، وعلى غير أساس.

فلهذا نَقول: الطريق السليم والمنهَج الحكيم هو ما درَج عليه السَّلَف مِن إِجراء هذه النُّصوص على ظاهِرها.

فإذا قال قائِل: ظاهِرها التَّمثِيل.

قلنا له: أَخطَأْتَ، ليس ظاهِرها التمثيل، وكَيفَ يَكون ظاهِرها التَّمثِيل وهي مُضافة إلى الله تَعالى، والله لا يُماثِله أحَدٌ في ذاته فكذلك في صفاته؟! فمَثلًا: قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧]، إذا قال: أَنا لا أُثبِت الوَجْه حقيقةً؛ لأن ظاهِره التَّمثِيل.

نقول: أَخطَأْتَ، ليس ظاهِره التَّمثِيل؛ لأن الله تَعالى لم يَذكُر وَجْهًا مُطلَقًا حتَّى يُحمَل على المعهود، وإنَّما ذكَر وجهًا مُضافًا إلى ذاته ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾، فإذا كان مضافًا إلى ذاته وأنت تُؤمِن بأنَّ ذاتَه لا تُماثِل ذوات المخلوقِين وجَب أن يَكون وجْهُه لا يُماثِل أَوجُهَ المخلوقِين. والله أَكبَر عليك لو قيل: يَد الفِيل، ما فهمت أَنَّها كيَدِ الهِرَّة؛ لأنها أُضيفَت إلى الفِيل، وليَسَت يَدًا مُطلَقة حتَّى تَقول: تَشترِك مع غيرها، فلا يُمكِن أن تَفهَم من قول القائِل: يَد فِيلٍ، أنَّه كقول القائِل: يَدُ هِرٍّ، أَبَدًا، فكَيف تَفهَم إذا قِيل: يَد الله، أنها كيَدِ زَيدٍ أو عَمرٍو؟! أبدًا ما يُمكِن أن تَفهَم هذا.

---

(١) غير منسوب؛ ينظر: الغنية عن الكلام وأهله للخطابي (ص:٤١).

فكل مَن قال: إن ظاهِر نُصوص الصِّفات التمثِيل فإنه كاذِب، سَواء تَعمَّد الكذِب أم لم يَتعمَّده؛ لأَنَّه حتى الذي يَقول عن تَأوِيلٍ خاطِئٍ يُسمَّى كاذِبًا، أليس الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قد قال لأبي السنابِلِ لما أُخبِر بأنَّ أبا السنابِل قال لسُبَيعَةَ الأسلميةِ: لن تَنكِحي حتَّى يَمضِيَ عليكِ أربعةُ أَشهُر وعَشرٌ. قال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كَذَبَ أَبُو السَّنَابِلِ»[1]. مع أنَّه ما تَعمَّد الكذِب، لكنه قال قولًا خاطِئًا.

فنحن نَقول: هذا كاذِب، سواء تَعمَّد أم لم يَتعمَّدْ، فليس في نُصوص الصِّفات -ولله الحمد- ما يَقتَضِي التَّمثِيل، لا عَقْلًا ولا سَمْعًا، ثم إن لدَينا آيةً مِن كِتاب الله عَزَّوَجَلَّ تَمحو كلَّ ما ادُّعِي أن فيه تَمثيلًا، وهي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]. فأنت إذا جاءك نَصُّ إِثباتٍ فاقْرِنه بنَصِّ هذا النفي، ولا تُؤمِنْ ببعض الكِتاب وتَكفُرْ ببعض، بلِ اقْرِنه به.

فمثلًا: قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧] نقول: وليس كمِثل وجْه الله شيء؛ لأن اللهَ يَقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]. وعلى هذا فَقِسْ، والأَمْر -ولله الحمد- ظاهر جدًّا، ولولا كثرةُ الناس الذين سَلَكوا هذا المسلَك، أَعنِي: مَسلَكَ التأوِيل في قولهم والتحريف فيما نَرى، لولا كثرَتهم لكان الأَمْر غيرَ مُشكِل على أَحَد إطلاقًا؛ لأنَّه واضِح ليس فيه إشكال.

فلهذا نَقول: يَجِب علينا أن نُؤمِن بأن الله عَزَّوَجَلَّ يَنزِل إلى السماء الدنيا هو نفسُه، كما نُؤمِن بأنَّه هو نفسُه الذي خلَق السَّموات، وأَضاف الخلْق إليه، ويَنزِل إلى السماء هو؛ لأن الإضافة في «يَنزِل» كالإضافة في «خَلَق، ويَخلُق» ولا فرْق،

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٤٧)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فالنازِل هـو الله، والخالِق هـو الله، والرازِق هـو الله، والباسِط هـو الله، وهكذا، ولا فرْق بينهما.

والإنسان المُؤْمِن الذي يَتَّقِي الله عَزَّوَجَلَّ لا يُمكِن أن يُحرِّف ما أَضافه الله إلى نفسه ويُضيفه إلى أَمْر آخَر، وإذا أَدَّاه اجتِهاده إلى ذلك فإنه يَكون مَعذورًا لا مَشكورًا؛ لأن هناك فرْقًا بين المسعى المشكور، وهو ما وافَق الحقَّ، وبين العمَل المعذور، وهو ما خالَف الحقَّ، لكن نَعرِف مِن صاحِبه النُّصْحَ، إلا أنَّه التبَس عليه الحقُّ، فإن في هؤلاءِ المؤوِّلة الذين نَرى أن عملهم تَحريف، فيهم مَن يُعلَم مِنه النصيحة لله، ولكِتابه، ولرَسوله ﷺ، وللمُسلِمين، لكن التبَس عليهمُ الحقُّ فضَلُّوا الطريق في هذه المسألة.

وفي قوله: «**فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ**» في هذا إِثبات القول لله وأنَّه بحَرْف وصَوْت؛ لأن أَصلَ القول لا بُدَّ أن يَكون بصوت، ولو كان قولًا بالنَّفْس لقيَّده الله، كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ﴾ [المجادلة:٨]، فإذا أَطلَق القول فلا بُدَّ أن يَكون بصوت، ثم إن كان مِن بُعْد سُمِّي نِداءً، وإن كان مِن قُرْب سُمِّي نَجاءً.

فإذا قال قائِل: نحن لا نَسمَع هذا القول؟

فنقول: أَخبَرَنا به مَن قَولُه عندنا أَشَدُّ يَقينًا مِمَّا لو سمِعنا، وهو الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، نَعلَم عِلْم اليَقين بأن الله يقول بخَبَر أَصدَق الخلْق ﷺ، ونحن لو سمِعنا قولًا لظنَنَّا أنَّه وَجْبَةُ شيءٍ سَقَطَ، أو حَفيف أَشجار مِن رِياح، فنَتَوهَّم فيما نَسمَع، لكن ما قاله رَسول الله ﷺ لا نَتوهَّم فيه، فيكون خَبَرُ الرسول ﷺ عندنا

بمَنزِلة ما سمِعنا بآذانِنا، بلْ أَشدَّ يَقينًا، إذ صَحَّ عنه، وهذا الحديث قد صَحَّ عنه، فهو مُتواتِر أو هو مشهور مُستَفِيض عند أهل السُّنَّة والحديث.

فلِذلكَ نَقول: إن الله يَقول هذا، فيَنبغِي لك وأنت تَتَهجَّد لله في هذا الزمَن مِن الليل أن تَشعُر بأن الله يُنادِي يقول: مَن يدعوني فأَستَجيبَ له، فتَدعو الله تعالى وأنت مُوقِن بهذا، والدُّعاء أن تقول: «يا رَبِّ» فهذا دُعاء.

وقوله: «**مَنْ يَسْأَلُنِي**» أي: مَن يَطلُب مِنِّي شيئًا مثل أن تَقول: «يا رَبِّ أَسأَلُكَ الجنَّة» فهذا سؤال، واجتَمع في قول القائِل: يا ربِّ، أَسأَلُكَ الجنةَ. الدعاءُ والسؤالُ.

وقوله: «**مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**» أي: مَن يَطلُب مني المغفرة مثل أن تَقول: يا رَبِّ، اغْفِرْ لي. فهذا استِغْفار.

وإذا قال القائِل: «اللَّهُمَّ إِني أَسأَلُكَ الجَنَّةَ» فقوله: «اللَّهُمَّ» دُعاء؛ لأن أَصلَها: يا الله.

وقوله: «أَسأَلُكَ الجنَّة» هذا سؤال، فيَكون فيه سُؤال ودُعاء. وفي حديث أبي بكر الذي علَّمه إيَّاه النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[(١)]. فهذا مُتَضمِّن لثلاثة:

الدعاء في قوله: «اللَّهُمَّ».

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، رقم (٨٣٤)، ومسلم: كتاب الذكر، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم (٢٧٠٥)، من حديث أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والاستِغْفار في قوله: «فاغْفِرْ لي».

وفي قوله: «وارْحَمْني» دُعاء بالرحمة.

قوله: «**مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**» «مَن» هنا اسم استِفهام، والمراد به: التَّشوِيق، وليس المراد به الاستِخْبار؛ لأن اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَعلَم، لكن المراد به التَّشويق، يُشوِّق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عِبادَه أن يَسألوه، وأن يَدعوه، وأن يَستغفِروه، وفي هذا غاية الكرَم والجود مِنَ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أنَّه هو الذي يُشوِّق عِباده إلى سُؤاله، ودُعائه، ومَغفرته، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف:١٠].

انظر إلى هذا الخِطاب الرفيق الشَّيِّق ففيه التَّشوِيق والرِّفْق ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ولم يَقُل: «يا أيها الذين آمنوا، آمِنوا بالله» ما قال هكذا، وإن كان قالها في آيات أُخرى، لكن في هذه الآية ما قال هكذا؛ لأن المقام يَقتَضِي ذلك، فالسورة كُلُّها سُورة جِهاد مِن أَوَّلِها إلى آخِرِها ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف:١٤].

المهمُّ أن في هذا الحديث وأَمثاله مِن كَرَم الله عَزَّوَجَلَّ ما هو ظاهِر لَمِن تَأمَّله، وأهمُّ شيء فيما تَكلَّمْنا عليه مَسألة الصِّفات، فأنا أُكرِّر أن تَلتَزِموا فيها ما التَزمه السَّلَف، وأن لا تَحيدوا يَمينًا ولا شِمالًا، ولا تَسأَلوا عمَّا لم يَسألْه السَّلَف، فإن هذا مِن التَّنَطُّع والتَّكلُّف والابتِداع في دِين الله، وإني أَقولُ لكم: إن الإنسان كُلَّما تَعمَّق في هذه الأُمور فأَخشَى أن يَنقُص في قلبه مِن إجلال الله وعَظَمته بقَدْر ما حصَل مِن هذا التَّعمُّق في البحث في هذه الأُمور.

واسأَلِ العاميَّ، فالعامِيُّ إذا ذَكَرْتَ الله عنده اقشَعرَّ جِلْده، وإذا ذَكَرت نُزوله إلى السماء الدُّنيا اقْشَعرَّ جِلْده، لكن أُولَئك الذين يَتعمَّقون في الصِّفات، ويُحاوِلون أن يَسألوا حتى عن الأَظافِر -نسأَلُ الله لنا ولهمُ الهِداية- هؤلاء إذا ذُكِر عِندهم حَديث النُّزول بَدؤُوا يُورِدون على أنفسِهم، أو على غيرِهم، كيفَ تَكون الحالُ وثُلُث الليل يَتنَقَّل على الكُرة الأَرضِيَّة؟ وكيف تَكون الحال حين نُزوله بالنِّسبة للعُلُوِّ وبالنِّسبة للعَرْش؟

ونحو ذلك مِن الأسئلة التي تَشطَح بهم عن تَعظِيم الله عَزَّوَجَلَّ، وهؤلاء بلا شَكٍّ سينقُص مِن إجلال الله عَزَّوَجَلَّ في قُلوبهم بقَدْر ما حاوَلوا مِن التَّعمُّق في هذه الأُمور، وليس إجلالنا لله عَزَّوَجَلَّ كإِجلال الصحابة، ولا قريبًا مِنه، وليس حِرْصُنا على العِلْم بصِفات الله كحِرْص الصحابة، وهم ما سَألوا هذه الأسئلةَ.

ولذلك وأنا أَنصَحُكم لله وأَرجو مِنكم: ألا تَتعمَّقوا في هذه الأُمور فتَسألوا عن أشياءَ لم يَسأَلْ عنها الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. خُذوا ما جاء في كِتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، واتْرُكوا ما عدا ذلكَ؛ لئلَّا يُوقِعَكم الشيطان في أَمْر تَعجِزون عن التَّخلُّص منه، قد يُوقِعكم في التَّمثِيل ويُلزِمكم إلزامًا بأن تَعتَقِدوا ذلك؛ لأن الإنسان الذي يَتعمَّق إلى هذا الحد يُخشى عليه، خُذوا ما جاء في الكِتاب وصحيح السُّنَّة، واحمَدوا الله على العافِية، واسلُكوا سَبيل السابِقين، والله أَعلَم.



س(١٦٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: كيف نَجمَع بين حديث أبي هريرة في النُّزول وبين الواقِع، إذِ الليل عندنا مثلًا نهارٌ في أمريكا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: سؤالكم عن الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا** تَبَارَكَ وَتَعَالَى **كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»[1]. هذا لفظ البخاري في باب الدعاء والصلاة مِن آخِر الليل. فتسألون: كيف يُمكِن الجمع بين هذا الحديث وبين الواقع، إذِ الليل عِندنا مثلًا نهارٌ في أمريكا؟

فجوابه: أنَّه لا إِشكال في ذلك -بحمْد الله تعالى- حتى يُطلَب الجمْع، فإن هذا الحديث من صِفات الله تعالى الفِعليَّة، والواجب علينا نحو صِفات الله تَعالى: سواء أكانت ذاتية كالوجه واليدين، أم معنوِيَّة كالحياة والعِلْم، أم فِعليَّة كالاستِواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا، فالواجِب علينا نحوها ما يَلي:

١- الإيمان بها على ما جاءت به النصوص مِن المعاني والحقائق اللائقة بالله تعالى.

٢- الكفُّ عن محاولة تَكيِيفها تَصوُّرًا في الذِّهْن، أو تَعبيرًا في النُّطْق؛ لأن ذلك من القول على الله تعالى بلا عِلْم. وقد حرَّمه الله تعالى في قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١١٤٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣]. وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٦].

ولأن الله تعالى أَعظَم وأَجلُّ من أن يُدرِك المخلوق كُنْهَ صِفاته وكيفيَّتها، ولأن الشيء لا يُمكِن إدراكه إلا بمُشاهَدَته، أو مُشاهَدة نظيره، أو الخبر الصادق عنه، وكل ذلك مُنتَفٍ بالنسبة لكيفيَّة صِفات الله تعالى.

٣- الكفُّ عن تَمثِيلها بصفات المخلوقين، سواء كان ذلك تَصوُّرًا في الذِّهْن، أم تَعبيرًا في النطق؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

فإذا علِمت هذا الواجب نحو صِفات الله تعالى لم يَبقَ إشكال في حديث النزول ولا غيره من صفات الله تعالى؛ وذلك أن النبي ﷺ، أَخبَر أُمَّته أن الله تعالى يَنزِل إلى السماء الدنيا حين يَبقَى ثلث الليل الآخِرُ مخاطِبًا بذلك جميعَ أُمَّته في مَشارِق الأرض ومَغارِبها، وخبره هذا من عِلْم الغَيْب الذي أَظهَره الله تعالى عليه، والذي أَظهَره عليه -وهو الله تعالى- عالِمٌ بتَغيُّر الزمن على الأرض، وأن ثلث الليل عِند قوم يَكون نِصف النهار عند آخَرين مثلًا.

وإذا كان النبي ﷺ يُخاطِب الأُمَّة جميعًا بهذا الحديث الذي خَصَّص فيه نزول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بثلث الليل الآخِر فإنه يَكون عامًّا لجميع الأُمَّة، فمَن كانوا في الثلث الآخِر من الليل تَحقَّق عندهم النزول الإلهي، وقلنا لهم: هذا وقتُ نُزول الله تعالى بالنِّسبة إليكم، ومَن لم يكونوا في هذا الوقت فليس ثَمَّ نزول الله تَعالى بالنسبة إليهم، والنبي ﷺ حدَّد نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا بوقت خاصٍّ، فمتى كان ذلك الوقت كان النزول، ومتى انتَهى انتَهى النزول، وليس في ذلك أيُّ إشكال.

وهذا وإن كان الذِّهْن قد لا يَتصوَّره بالنسبة إلى نزول المخلوق، لكن نُزول الله تعالى ليس كنُزول خَلْقه حتى يُقاس به، ويُجعَل ما كان مستحيلًا بالنسبة إلى المخلوق مستحيلًا بالنسبة إلى الخالِق.

فمَثَلًا: إذا طلع الفجر بالنسبة إلينا، وابتدأ ثُلُث الليل بالنسبة إلى مَن كانوا غَرْبًا قلنا: إن وقت النُّزول الإلهي بالنسبة إلينا قدِ انتهى. وبالنسبة إلى أولئك قدِ ابتدأ، وهذا في غاية الإمكان بالنسبة إلى صِفات الله تعالى، فإن الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح حديث النُّزول: «فالنُّزول الإلهِيُّ لكل قوم مقدارَ ثُلُث ليلهم، فيَختلِف مقداره بمَقادِير الليل في الشَّمال والجنوب، كما اختَلف في المشرِق والمغرِب، وأيضًا فإنه إذا كان ثلث الليل عند قوم فبعده بلَحْظة ثلث الليل عند ما يُقارِبهم منَ البلاد، فيَحصُل النزول الإلهي الذي أَخبَر به الصادِق المصدوق أيضًا عند أُولئِك إذا بقِي ثلث ليلهم، وهكذا إلى آخر العمارة»[1] اهـ. كلامه رحمه الله.

س(١٦٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: مِن المعلوم أن الليل يَدور على الكُرَة الأَرضية، والله عَزَّوَجَلَّ يَنزِل إلى السماء الدنيا حين يَبقى ثلث الليل الآخِرُ، فمُقتَضى ذلك أن يَكون كلَّ الليل في السماء الدنيا، فما الجواب عن ذلك؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الواجب علينا أن نُؤمِن بما وصَف الله وسمَّى به نفسه في كتابه

(١) ينظر: شرح حديث النزول، كما في مجموع الفتاوى (٥/ ٤٧٥).

وعلى لِسان رسوله ﷺ، مِن غير تَحريف، ولا تَعطيل، ولا تَكييف، ولا تَمثيل، فالتَّحريف في النُّصوص، والتَّعطيل في المعتقَد، والتَّكييف في الصِّفة، والتَّمثِيل في الصِّفة أيضًا، إلا أنَّه أَخصُّ مِن التَّكييف؛ لأنَّه تَكييف مُقيَّد بمُماثلة.

فيَجِب أن تَبرَأ عَقِيدَتنا من هذه المحاذِير الأربعة. ويَجِب على الإنسان أن يَمنَع نفسه عن السؤال بـ«لِمَ»؟ و«كيف»؟ فيما يَتعلَّق بأَسْماء الله وصِفاته، وكذا يَمنَع نفسه عن التفكير في الكيفية، وهذا الطريق إذا سلَكه الإنسان استراح كثيرًا، وهذه حال السَّلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ؛ ولهذا جاء رجل إلى مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ قال: يا أبا عبدالله «الرحمنُ على العَرْش اسْتَوَى» كيف استوَى؟

فأَطرَقَ برأسه وعَلَتْه الرحضاء وقال: «الاستِواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجِب، والسؤال عنه بِدْعة، وما أُراكَ إلا مُبتَدِعًا»[1].

وهذا الذي يَقول: إن الله يَنزِل إلى السماء الدنيا حين يَبقَى ثلث الليل الآخرُ كل ليلة، فيَلزَم من هذا أن يَكون كل الليل في السماء الدنيا؛ لأن الليل يَدور على جميع الأرض، فالثلث يَنتقِل مِن هذا المكان إلى المكان الآخر.

جوابنا عليه أن نَقول: هذا سُؤال لم يَسأَله الصحابة رِضوان الله عليهم ولو كان هذا يَرِد على قلب المُؤمِن المُستَسلِم لبيَّنه الله ورسوله ﷺ، ونَقول: ما دامَ ثلث الليل الأخيرُ في هذه الجهة باقيًا فالنُّزول فيها مُحقَّق، ومتى انتهى الليل انتَفى النُزول، ونَحن لا نُدرِك كيفية نُزول الله ولا نُحيط به عِلْمًا، ونَعلَم أنَّه سبحانه ليس كمِثْله شيء، وعلينا أن نَستَسلِم وأن نَقول: سمِعْنا، وآمَنَّا، واتَّبَعنا، وأَطعْنا. هذه وظيفتنا.

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٦).

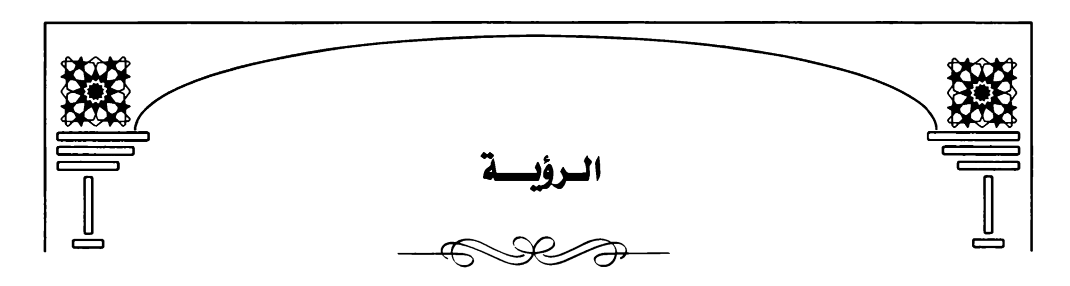
س(١٧٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عمَّا جاء في صحيفة... مِن قول الكاتِب: «إن نُزول الله تَعالى يَكون في وقت لا يَدرِيه إلا هو»؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لقد وَدِدْت أن الكاتب لم يَستعجِل بكِتابة مثل هذا الجواب؛ لأن المَقام خطير، حيث يَتعلَّق بصِفة مِن صِفات الله تعالى، وهذه الجُملة التي وقَع عنها السؤال لعلَّها سهو أو سَبْقة قلَمٍ، فإن نُزول الله تعالى في وقت معلوم، حدَّده وعيَّنه رسول الله ﷺ بثلث الليل، وهو واضِح لا إِشكالَ فيه، ولا يَقَع فيه إشكال إلا على من تَصوَّر أن نُزول الله تعالى كنُزول المخلوقِين.

أما مَن قَدَرَ اللهَ تعالى حقَّ قَدْره، وعلِم أن النبي ﷺ لا يَنطِق بمِثل هذه الأُمور الغَيْبية إلا بما أَظهَره الله عليه، وأنَّه صادِق فيما أَخبَر به من ذلك، فإنه لن يُشكِل عليه هذا الحديث، فإنه يَقول: نُزول الله تعالى ليس كنُزول غيره، فإنه يَكون نازِلًا إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخِرِ بالنسبة لمن كانوا في ذلك الوقت، وليس نازِلًا بالنسبة لمن لم يَكونوا فيه، هذا مُقتَضى الحديث، وليس فيه إِشكال.

لذا أرجو أن يَكون فيما كتَبْتُ كِفاية، وأن يُعيد الكاتب كِتابة الجواب حَسْبما يَتبَيَّن له مِن هذه الكِتابة التي هي مُقتَضى الحديث وعين دَلالته، لا أَقول: لمن تَأمَّله؛ لأنَّه بمُنتَهى الوضوح بدون تَأمُّل. والله الموفِّق.





الرؤية

س (١٧١): **سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن مَذهَب السَّلَف في رُؤية الله عَزَّوَجَلَّ؟ وعمَّن يَزعُم «أن اللهَ لا يُرى بالعين وأن الرُّؤية عِبارة عن كَمال اليَقِين»؟**

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: يَقول الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن الكريم حين ذَكَر القيامة ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]. فأضاف النَّظَر إلى الوجوه، والذي يُمكِن به النَّظَر في الوجوه العين، ففي الآية دليل على أن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يُرى بالعين، ولكن رُؤيَتنا لله عَزَّوَجَلَّ لا تَقتَضي الإحاطة به؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه:١١٠].

فإذا كنَّا لا يُمكِن أن نُحيط بالله عِلْمًا -والإحاطة العِلْمية أَوسَع وأَشمَل مِن الإحاطة البَصَرية- دَلَّ ذلك على أنَّه لا يُمكِن أن نُحيط به إحاطة بَصَرية، ويَدُل لِذلك قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣]. فالأبصار وإن رأَتْه لا يُمكِن أن تُدرِكه، فالله عَزَّوَجَلَّ يُرَى بالعين رُؤية حقيقية، ولكنه لا يُدرَك بهذه الرؤية؛ لأنَّه عَزَّوَجَلَّ أَعظَم مِن أن يُحاطَ به.

وهذا هو الذي ذَهَب إليه السَّلَف، ويَرون أن أَكمَل نَعيم يَنعَم به الإنسان أن يَنظُر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ؛ ولهذا كان مِن دُعاء النبي ﷺ: «**أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ**»(١). قال: «**لَذَّةَ النَّظَرِ**»؛ لأن لهذا النَّظَر لذةً عظيمةً لا يُدرِكها إلا مَن أَدرَكها

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٤)، والنسائي: كتاب صفة الصلاة، باب نوع آخر من الدعاء بعد الذكر،

بنِعمة مِن الله وفَضْل منه، وأرجو الله تعالى أن يَجعلَني وإيَّاكم مِنهم.

فهذه هي حقيقة الرُّؤية التي أَجمَع عليها السَّلَف.

أمَّا مَن زَعَم: أن الله لا يُرَى بالعين، وأن الرُّؤية عِبارة عن كَمال اليَقين.

فإن قوله هذا باطِل مُخالِف للأدلَّة ويُكذِّبه الواقِع؛ لأن كَمال اليقين موجود في الدنيا أيضًا، قال النبي ﷺ في تفسير الإِحسان: «**الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١). وعِبادَتك لله كأَنَّك تَراه، هذا هو كمال اليقين، فدَعوَى أن النُّصوص الوارِدة في الرُّؤية تَعنِي كمالَ اليقين؛ لأن المُتيقِّن يَقينًا كامِلًا كالذي يُشاهَد بالعين دَعوَى باطِلة وتَحريف للنُّصوص، وليس بتَأْوِيل؛ بل هو تَحريف باطِل يَجِب رَدُّه على مَن قال به، والله المُستَعان.

* * *

س(١٧٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: هل ثَبَت أن النبي ﷺ رأى الله عَزَّوَجَلَّ في اليَقَظة وفي المنام؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: رُؤية الله عَزَّوَجَلَّ في اليَقظة لم تَثبُت، حتَّى ما رُوِي عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ رَأَى ربَّه بعَيْنه(٢)، ولا يُمكِن لأَحد أن يَرى اللهَ تَعالى في الدنيا بعَيْنه يَقظةً؛ لأن موسى لما قال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ قال الله له: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ

= رقم (١٣٠٥)، من حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، رقم (٥٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، رقم (٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، من تفسير سورة النجم، رقم (٣٢٧٨).

دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٣].

أما في المنام، فقد ورَد حديث في السُّنن صحَّحه كثير مِن الحفَّاظ أن النبي ﷺ رأى ربَّه في المنام(١)، وقد شرَح ابن رجب هذا الحديثَ في رسالة مُختَصرة، فأُحيلُ السَّائل عليها(٢).

س(١٧٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عما جاء في شرْح لمعة الاعتِقاد من قول فَضيلته: «رؤية الله في الدنيا مُستحِيلة». وقد ذكَر الشنْقيطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أن رُؤية الله عَزَّوَجَلَّ بالأبصار جائِزة عَقْلًا في الدنيا والآخرة، وأما شَرْعًا فهي جائِزة وواقِعة في الآخِرة، وأمَّا في الدُّنيا فمَمنوعة شَرْعًا. وما نَقَله النووِي عن بعض أهل العِلْم مِن أن رُؤية الله تعالى في الدنيا جائزة، فنَرجو مِن فَضيلتكم تَوضيحَ ذلك؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ما ذَكَرته في شَرح لُمعة الاعتِقاد لا يُنافي ما ذَكَره الشَّيْخ الشنْقيطي وغيره من أن رُؤْية الله تعالى في الدُّنيا مُمكِنة، فإنَّ قَولي: «إنه مستحيل» أي: بحسَب خبر الله عَزَّوَجَلَّ بأنَّه لن يَراه، إذ لا يُمكِن أن يَتخلَّف مدلول خبره تعالى، وقد جاءت بمِثل ذلك السُّنَّة، حيث قال النبي ﷺ وهو يَتحدَّث عن الدجَّال: «**وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا**»(٣). أخرجه مسلم.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٦٨)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب من تفسير سورة (ص)، رقم (٣٢٣٤)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) هي: اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد، رقم (١٦٩)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ثم اعلَم أن المُستحِيل في حقِّ الله تعالى نوعان:

أحدهما: مُستحيل لكونه لا يَليق بجلاله، كالجهل والعجْز ونحوهما، فهذا لا يُمكِن لَمن عَرَف الله تعالى وقَدَره حقَّ قَدْره أن يَخطُر بباله جوازه أو يَنطِق لسانه بسُؤاله.

الثَّاني: مُستحيل بالنِّسبة لغيره لكَمال صِفات الله تعالى، كرُؤية الإنسان ربَّه في الدنيا، فإن هذا مُستحيل؛ لكون البشَر لا يُطيق أن يَرى الله تعالى في الدنيا لنَقْص حياة البشر حينئذٍ؛ ولذلك تَكون الرُّؤية مُمكِنة يوم القِيامة؛ لأن حياة البشَر حينَذاك أكمَل.

وعلى كل حال فقَدْ دلَّتِ النُّصوص وإجماع السَّلف على أن الله تعالى لم يَرَه أَحَد في الدنيا يَقظةً، وإن كان قد رُوِي عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما ظاهره أن نبيَّنا محمدًا ﷺ رأى الله تعالى[1]، فالله أَعلَم.

س(١٧٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما قَولُ أَهْل السُّنَّة والجماعة في رُؤية المسلِم لربه عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: قول أهل السُّنَّة والجماعة في رُؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يوم القيامة ما قالـه الله عن نفسه، وما قالـه عنه رسوله ﷺ، فالله تعـالى قال في كتابه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ يَعني: يوم القيامة ﴿نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. ناضِرة الأولى بمعنى: حسنة.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٦٨)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب من تفسير سورة (ص)، رقم (٣٢٣٤)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والثَّانية: مِن النَّظَر بالعين؛ لأنَّه أَضاف النظَر إلى الوجوه، فالوجوه محَلُّ العَينَيْن التي يكون بهما النَّظَر، وهذا يَدُلُّ على أن المراد: نَظَر العين، ولو كان المراد: نَظَر القلب وقوَّة اليَقين لقال: «قلوب يومئذ ناضِرة، إلى ربها ناظرة» ولكنه قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

ومِن ذلك قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]. فالزِّيادة فسَّرها أَعلَم الخَلْق بمُراد الله رسولُ الله ﷺ بأنها: النَّظَر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ(١).

ومِن ذلك قوله تعالى في الفُجَّار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]. فحَجَب هؤلاء الفجارَ عن الله يومئذ -يعني: يومَ القيامة- يَدُل على أن غيرَهم يَنظُرون إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولو كان غيرهم لا يَنظُر إلى الله لم يَكُن بينهم وبين الفُجَّار فَرْق.

ومِن ذلك قوله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام:١٠٣]. فإن هذه الآيةَ تَدُل على أن الله تعالى يُرَى بالأبصار، ودليل ذلك أنَّه نَفَى الإدراك، وهذا يُدُل على وجود أَصْل الرُّؤية، ولو كان أَصْل الرُّؤية غير ثابت ما صَحَّ أن يَنفِي الإدراك.

ولا يَصِح أن يُستَدَل بهذه الآيةِ على امتِناع رُؤية الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الآية إنَّما نَفَت ما هو أَخصُّ من الرُّؤية، وهو الإدْراك، ونفْيُ الأخصِّ يَستلزِم وجودَ الأعمِّ، وهو الرُّؤية، والله عَزَّوَجَلَّ يُرَى يوم القِيامة ولكن الأبصار لا تُدرِكه، وهذا بالنسبة لما جاء في القُرآن.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، رقم (١٨١)، من حديث صهيب الرومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أما السُّنَّة: قد ثبت عن النبي ﷺ ثُبوتًا مُتواتِرًا لا شكَّ فيه إثبات رُؤية الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة، أي: أنَّه يُرَى سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فمن ذلك قوله ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ عَلَى أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا**»(١). والأحاديث في هذا مُتواتِرة كما قال بعض العُلَماء في نظم شيء من المُتواتِر(٢):

مِمَّا تَـوَاتَرَ حَـدِيثُ مَـنْ كَـذَبْ ... وَمَـنْ بَنَـى للهِ بَيْتًـا وَاحْتَسَـبْ
وَرُؤْيَـةٌ شَفَاعَـةٌ وَالحَـوْضُ ... وَمَسْـحُ خُفَّـيْنِ وَهَـذِي بَعْـضُ

فهذا هو قول أَهل السُّنَّة والجماعة: أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى يُرَى يوم القِيامة بالبَصر رُؤْية حقيقية، لكنه مع هذه الرُّؤْية لا يُمكِن إدراكُه عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّه عَزَّوَجَلَّ أَعظَم مِن أن تُدرِكه الحواسُّ، أو الأَفهام، أوِ الخواطِر.

ولكن يَبقَى النَّظَر متى تكون هذه الرُّؤْية؟

والجواب: أن نَقول: هذه الرُّؤيةُ تكون في عرَصات القيامة، قبل دُخول الجنة، وتكون كذلك بعد دُخول الجَنَّة.

وهل يَراه كلُّ الناس في عرَصات القيامة أم ماذا؟

الجواب: أن نقول: أما الكُفَّار الخلَّص فإنَّهم لا يَرون اللهَ عَزَّوَجَلَّ؛ لقول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

وأمَّا المُنافِقون فإنَّهم يَرون الله في عرَصات القِيامة ثُمَّ لا يَرونه بعد ذلك، وهذا أَعظَم وأَشَدُّ حسرةً عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم (٥٢١).
(٢) البيتان للتاودي في حاشيته على صحيح البخاري، كما في نظم المتناثر للكتاني (ص:١٨-١٩).

وأمَّا المُؤمِنون فإنَّهم يَرون الله تعالى في عرَصات القِيامة، كما يَرونه بعد دُخول الجنَّة، أَسأَل اللهَ تعالى أن يَجعَلني وإخواني المسلِمين مِمَّن يَنظُر إلى الله عَزَّوَجَلَّ، إنه على كل شيء قدير.

س(١٧٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: حصَل خِلاف في مَسألة رُؤية النبي ﷺ لربِّه عَزَّوَجَلَّ، فما القولُ الراجِحُ في ذلك؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: القول الراجِح في هذه المسأَلة: أن النبي ﷺ لم يَرَ ربَّه؛ لأنَّه نفسَه صلوات الله وسلامه عليه سُئِل: هل رَأَيت ربَّك؟ فقال: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**»، وفي رِواية: «**رَأَيْتُ نُورًا**».

والله عَزَّوَجَلَّ قدِ احتَجَب عن عِباده بحُجَب النُّور، فلا يُمكِن اختِراقها، كيف وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن ربِّه عَزَّوَجَلَّ: «**حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[١]. فإذا كان النبي ﷺ نفسَه نَفَى أن يَكون رَأَى اللهَ فلا يُمكِن بعد ذلك أن يَدَّعِيَ مُدَّعٍ أن النبي ﷺ رَأَى ربَّه.

وما ذُكِر عن عبدالله بنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ رأى ربَّه[٢]، فقد قال عنه شيخ الإسلام ابن تيميَّة[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ: إن ابن عبَّاس لم يُصرِّح أن النبي ﷺ رأى

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «**إن الله لا ينام**»، رقم (١٧٩)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٦٨)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب من تفسير سورة (ص)، رقم (٣٢٣٤)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٣٣٥).

ربَّه بعَينه يَقَظةً، وأن قوله: «إنه رآه» أي: بفُؤاده، وهو كِناية عن العِلْم اليَقينِي الذي يَكون في القَلْب حتَّى كأنَّه رآه بالعين.

وما قاله شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الحقُّ، ولن يَتمكَّن أحَد في الدنيا أن يَرَى ربَّه يَقظةً أبدًا؛ ولهذا لما قال موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ شوقًا إلى الله عَزَّوَجَلَّ، قال الله له: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣]. فعَلَّق الرب عَزَّوَجَلَّ على أَمْر مُستحِيل؛ لأنَّه يَستحِيل على الجبَل أن يَصمُد لرُؤية الله عَزَّوَجَلَّ وهو جبَل أَصمُّ حجَرٌ غليظٌ قاسٍ، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾ انْدَكَّ الجبَل أمام موسى يُشاهِده بعينه، فصعِق عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مِن هَوْل ما رَأَى.

فقال سبحانه: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، فشَكَر اللهُ له وقال: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٤٤].

فالمُهِمُّ أنَّه لا يُمكِن لأحَدٍ أن يَرَى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَقظةً في الدنيا، ولن يَستطيع أَحَد أن يَثبُت لذلك.

أمَّا في الآخِرة: فقد دَلَّ القرآن، والسُّنَّة المتواتِرة، وإجماع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ على أن الله تعالى يُرَى في الآخِرة رُؤيةً حقيقيَّةً بالعين، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]. وهذا صريح بأن الإنسان يَرَى رَبَّه بعَيْنه؛ إذ إن ما تَحصُل به الرُّؤيا هو العين، وهي موجودة في الوَجْه، لكن أَضاف

الله تعالى النَّظَر إلى الوَجْه؛ لأن هذه النَّظرةَ إلى الربِّ عَزَّوَجَلَّ يحصُل بها سُرُور في القلب ونور الوجه، حتَّى كأن الوَجْه كلَّه يَنظُر إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ لتأثُّره بهذه النَّظْرة التي أَسأَل اللهُ تعالى ألا يَحرِمَني وإِخواني مِنها.

ومِن الأَدلَّة على أن اللهَ تعالى يُرَى في الآخِرة قول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]. فالحُسنَى هي: الجنة. والزيادة هي: النَّظَر إلى وَجْه الله كما فسَّرها بذلك أَعلَم الخَلْق بالله وآياته محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسَلَّم[1].

واستَدَلَّ العُلَماء بقوله تعالى في أهل الجنَّة: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]. فقالوا: إن هذا المَزيد هو الزِّيادة التي ذُكِرت في الآية السابقة وهو النَّظَر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ.

واستَدَلُّوا أيضًا بقول الله عَزَّوَجَلَّ في الأبرار: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٢٣]. قالوا: إنَّهم يَنظُرون الله عَزَّوَجَلَّ، ويَنظُرون ما أَعَدَّ الله لهم مِن النَّعيم؛ لقَوْله في الفُجَّار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، فلَمَّا حجَب الفجَّار في حال الغضَب جعَل النَّظَر للأَبرار في حال الرِّضا، فهذه أَرْبَع آيات مِن كتاب الله.

أَمَّا السُّنَّة عن رسول الله ﷺ -الَّذي هو أَعلَم الخَلْق بالله وأَشدُّهم تَنزِيهًا لله- فقد تَواتَرتِ السُّنَّة عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بثُبوت رُؤية الله تعالى في الجنَّة، حتَّى إنَّ الرسول ﷺ قال ذلك بوَجْه صريح أَصرحَ مِن الشمس في رابِعة النهار، حيث قال ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**».

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، رقم (١٨١)، من حديث صهيب الرومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَانًا كَما تَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَها حِجابٌ**»[1].

وأمَّا أقوال الصَّحابة: فقد أَجْمَع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ على ثُبوت رُؤْية الله تَعالى في الآخِرة، فما مِنهم أحد قال -ولا بحَرْف واحِد- إن الله تعالى لا يُرَى في الآخِرة، وهذه أقوالهم مَأثورةً في كتُب السُّنَّة، فما مِنهم أَحَد نَفَى أن يُرَى اللهُ تعالى في الآخرة، بل كلُّهم مُجمِعون على هذا، حتى إن بَعض أَهلِ العِلْم قال: مَن أَنكَر رُؤيةَ الله تعالى في الآخِرة فهو كافِر؛ لوُضوح الأَدلَّة فيها، وصراحتها، وإجماع الصَّحابة عليها، وإِجماع الأَئِمَّة المَتبوعِين عليها، ولم يَرِد عن أَحَد مِنهم إنكارُها.

أَسأَل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لي ولإخواني النظَر إلى وجه الله الكريم، وأَسأَل الله الهِداية لمن أَنكَروا هذه الرؤيةَ العظيمةَ التي هي أَلذُّ ما يَجِده أَهلُ الجنَّة في الجنَّة، والله على كل شيء قَدير.

س(١٧٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما القول الصحيح في رُؤيَة الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: رُؤية الله تعالى يوم القيامة ثابِتة بالقرآن، والسُّنَّة، وإجماع السَّلَف:

فمِن أَدلَّة ذلك في كِتاب الله قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل السجود، رقم (٨٠٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]. وناظِرة الثَّانية: مِن النظَر بالعين؛ ولهذا أُضيف النَّظَر إلى الوجوه التي هي مَحَلُّ الأعيُن، ومِن ذلك قول الله تبارَكَ وتعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]. فقد فسَّر النبي ﷺ الحُسنَى: بالجنَّة، والزيادة: بالنظَر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ(١).

ومِن ذلك قول الله تبارَكَ وتعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]. وهذا في جَزاء الفُجَّار، وهذا دَليل على أن الأَبرار يَرَون الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله تعالى لما حَجَب هؤلاءِ في حال السُّخْط، كان المفهوم أن الله تعالى لا يَحجُب الأبرار في حال الرِّضى.

ومِن ذلك قول الله تبارَكَ وتعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]. فإن المزيد يَنبَغِي أن يُفَسَّر بما فُسِّرت به الزِّيادة في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، والذي فَسَّر الزيادة بأنها النظَر إلى وجه الله هو النبي ﷺ، ولا شكَّ أن النبي ﷺ أَعلَم الناس بمُراد الله تعالى في كلامه.

وأمَّا السُّنَّة: فالأَحاديث في ذلك مُتواتِرة عن النبي ﷺ، فقد تَواتَر عن النبي ﷺ أن الله يُرَى بالعين يوم القيامة، فمِن ذلك قولُ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ عَلَى أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا**»(٢). والصلاة التي قبل طُلوع الشمس هي صلاة الفَجْر، والتي قبل غُروبها هي صلاة العصر، وهاتان الصَّلاتان أَفضَل الصَّلوات، ولهذا قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ صَلَّى**

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، رقم (١٨١)، من حديث صهيب الرومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم (٥٢١).

البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ»[1]. وقد صرَّح النبي ﷺ في أحاديث أُخرى تَصريحًا بالِغًا مِن أقوى التَّصريحات، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عَيانًا بِأَبْصارِكُمْ، كَما تَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيسَ دُونَها سَحابٌ»**[2].

وأَمَّا إِجماع السَّلَف: فهو أمر مَشهور لا يَخفَى على أَحَد؛ ولهذا صرَّح بعض العُلَماء بأن مَن أَنكَر رُؤيةَ الله في الجنة فهو كافِر؛ لأَنَّه كذَّب القرآن، والسُّنَّة، وخالَف إجماعَ السَّلَف، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]. ولولا أَنَّنا نُفضِّل الدعاء للمُنكِرين على الدعاء عليهم، لقلنا: نَسأَل الله تعالى أن يَحتجِب عن مَن أَنكروا رُؤْيَته في الآخِرة، ولكنَّنا لا نُفضِّل ذلك، بل نقول: نَسأَل الله تعالى الهِدايةَ لِمَن التَبَس عليه الأَمْر، وأن يُقرَّ ويُؤمِن بما جاء في الكِتاب والسُّنَّة. والعجَب أن مِن الناس مَن يُنكِر رُؤية الله في الآخرة؛ لشُبهة يَأتِي بها مِن القرآن أو مِن السُّنَّة، أو بشُبهة عقلِيَّة لا أَساس لها مِن الصِّحَّة.

فمِن شُبَهِهم قولهم: إن رُؤية الله تعالى غير مُمكِنة في الآخرة؛ لأن موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال كما ذكَر الله ذلك عنه بقوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣]. وقرَّروا دليلهم ذلك بأن (لن) تُفيد التأبِيد، والتأْبِيد يَقتَضِي أن يكون هذا عامًّا في الدنيا والآخرة، فيكون قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ أي: في

(١) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، رقم (٥٧٤)، ومسلم: كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، رقم (٦٣٥)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل السجود، رقم (٨٠٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الدُّنيا وفي الآخرة، ولا شكَّ أن هذا لَبس، وإِلْباس، وتَخبِيط؛ لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إنَّما سَأَل اللهَ الرؤيةَ في تلك الساعةِ، بدليل أن الله تعالى قال له: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣].

وسُؤال موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الرُّؤْية يَدُلُّ على إِمكانها؛ إِذْ لَوْ لم تَكُن مُمكِنة عَقْلًا ما سَألها موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لكن الإنسان في الدنيا لا يَستطِيع أن يَرى الله عَزَّ وَجَلَّ؛ وذلك لقُصوره وضَعْفه؛ ولهذا قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا**»(١). ويَدُلُّ لهذا أن الله تعالى لما تَجلَّى للجبَل انْدكَّ الجبَل، وهو الحجَر الأَصمُّ، فكيف يُمكِن لجِسْم ابنِ آدَمَ الضعيفِ أن يَثبُت لرُؤية الله عَزَّ وَجَلَّ في هذه الدنيا؟! أما في الآخرة فشَأْنها غير شَأْن الدنيا، ففي الآخرة مِن الأمور ما لا يُمكِن إطلاقًا في الدنيا.

فمَثلًا: دُنُوُّ الشمس قدْر مِيل يوم القيامة، فلو حَدَث ذلك في الدنيا لاحترَقتِ الأرض ومَن عليها. وكون الناس في الموقف يوم القِيامة يَعرَقون، فيَختَلِفون في العرَق، فمِنهم مَن يَصِل إلى كعبَيه، ومِنهم مَن يَصِل إلى رُكبَتَيه، ومِنهم مَن يَصِل إلى حِقْوَيه، وهذا أمر لا يُمكِن في الدنيا، لكنه في الآخرة مُمكِن. وكون الناس يَمشُون على الصِّراط، وهو كما جاء في مُسلم مِن قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ**»(٢) أمر لا يُمكِن في الدنيا، ويُمكِن في الآخرة، وكون الناس

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد، رقم (١٦٩)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يَقِفون خَمسِين ألفَ سنة لا يَأكُلون، ولا يَشرَبون حُفاة عُراة غُرْلًا هذا لا يُمكِن في الدنيا، وأَمكَن في الآخرة. فإذا كانت رُؤية الله في الدنيا لا تُمكِن، فإنه لا يَلزَم مِن ذلك ألا تُمكِن في الآخرة.

وأما دَعواهم أن (لن) تُفيد التَّأْبيدَ فدَعوَى غير صحيحة، فإن الله تعالى قال في اليهود: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:٩٥]. أي: لن يَتمنَّوُا الموت، وقال عن أهل النار يوم القيامة: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧]، أي: ليُهْلِكْنا ويُمِتْنا حتى نَستريح، فهنا تَمَنَّوُا الموت، وسَأَلوا الله تعالى أن يَقضِي عليهم، ولكن لا يَتسنَّى لهم ذلك، فقال تعالى: ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾؛ ولهذا قال ابن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في الكافية(١):

وَمَنْ رَأَى النَّفْيَ بِلَنْ مُؤَبَّدا فَقَوْلَهُ ارْدُدْ وَسِواهُ فَاعْضُدا

فالعقيدة التي سار عليها السَّلَف يَجِب على كل مُؤْمِن أن يُؤمِن بأن الله تَعالى يُرَى يومَ القيامة، ورُؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الجنَّة إذا دَخلها أهلها، فإن الله تعالى يَكشِف لهم كما شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، فيَرَوْنه.

وأمَّا في عرَصات القيامة، فلا يَراه الكافِرون، وإنما يَراه المؤمِنون والمنافِقون، ثم يَحتَجِب الله تعالى عن المنافِقين.

والخُلاصة في هذه المسألة: أنَّه يَجِب علينا أن نُؤمِن بأن الله تعالى يُرى يوم القيامة رُؤية حقٍّ بالعين.

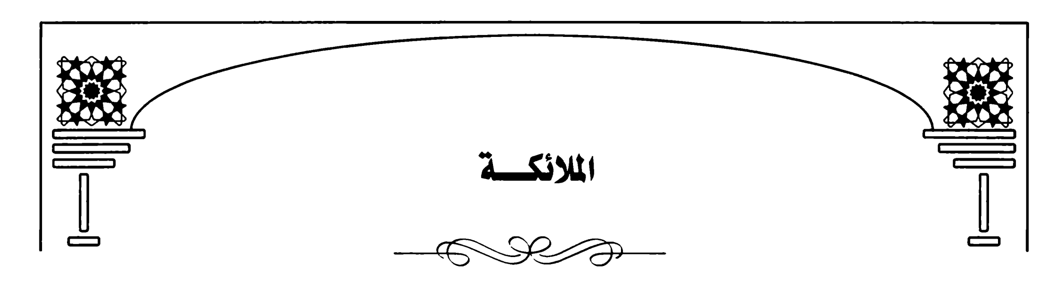
فإن قال قائِل: وإذا رُئِي هَل يُدرَك كما يُدرِك الرائي وَجه مَرئِيِّه؟

---

(١) ينظر: شرح الكافية الشافية (٢/ ١٠٥).

قلنا: لا، ولا يُمكِن أن يُدرَك؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]. والعجَب أن المنكِرين لرُؤية الله في الآخرة استَدلُّوا بهذه الآية على أنَّه لا يُرَى، وهو استِدلال غريب؛ فإن الآية تَدُلُّ على أنَّه يُرَى أكثر مما تَدُلُّ على أنَّه لا يُرَى، بل إنه ليس فيها دَلالة إطلاقًا على أنَّه لا يُرَى؛ لأن الله تعالى إنما نَفى الإدراك، والإدراك أَخصُّ مِن الرُّؤيا، ونفْيُ الأَخصِّ لا يَستلزِم نفيَ الأَعمِّ، بل إنما يَقتضِي وجودَ الأَعَم، فنَفْي الإدْراك دليل على وجود أَصل الرُّؤية؛ ولهذا جعَل السَّلَف هذه الآيةَ مِن الأَدلَّة على ثُبوت رُؤية الله عَزَّوَجَلَّ في الآخرة، وهو استِدلال صحيح واضِح.





س(١٧٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: أَيُّهما أَفضَل الملائكةُ أمِ الصالِحون منَ البَشَر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذه المسألة -وهي المفاضَلة بين الملائكة وبين الصالِحين مِن البَشر- محَل خِلاف بين أهل العِلْم، وكلٌّ مِنهم أَدلى بدَلْوه فيما يَحتجُّ به مِن النُّصوص.

ولكنَّ القَول الراجِح أن يُقال: إن الصالِحين مِن البَشَر أَفضَل مِن الملائِكة باعتِبار النِّهاية، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُعِدُّ لهم مِن الثواب ما لا يَحصُل مِثله للمَلائكة فيما نَعلَم، بل إن الملائِكة في مَقرِّهم -أَي: في مَقَرِّ الصالِحين، وهو الجَنَّة- يَدخُلون عليهم من كل باب ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٤].

أَمَّا باعتِبار البِداية فإن الملائِكة أَفضَل؛ لأَنَّهم خُلِقوا مِن نور، وجُبِلوا على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ والقُوَّة عليها كما قال الله تعالى في ملائكة النَّار: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠]. هذا هو القول الفَصْلُ في هذه المسألة.

وبعد، فإن الخَوضَ فيها وطلَبَ المفاضَلة بين صالِحي البَشَر والملائكة مِن فُضول العِلْم الذي لا يَضطَرُّ الإنسان إلى فَهْمه والعِلْم به، والله المستعان.

س(١٧٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: ما هِي أَهميَّة الإيمان بالملائكة؟ وكيف نُؤمِن بهم؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: الإيمان بالملائِكة أَهمِّيته عظيمةٌ؛ لأن الإيمانَ بهم أحَد أَركان الإيمان السِّتَّة؛ كما قال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمانِ**» قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١).

أما كيفية الإيمان بالملائكة فنَقول: نُؤمِن بأنهم عالَم غَيبيٌّ، خُلِقوا مِن نور، وجَعَل الله مِنهم رُسلًا، ومِنهم عُبَّادًا، وهم على قوَّة عظيمة، ولا سِيَّما جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد وَصَفه الله بأنَّه ذو قوة فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:١٩-٢١]، وهم في وَظائِفهم أقسامٌ:

فمِنهم: مَلائِكة مع الإنسان عن اليَمين وعن الشِّمال، يَكتُبون أعماله الحسنة والسيِّئة.

ومِنهم: مَلائِكة يَحفَظون الإنسان مِن أَمْر الله عَزَّوَجَلَّ، يَتعاقَبون بالليل والنهار، هؤلاء في الليل، وهؤلاء في النهار، ويَجتَمِعون في صلاة الفجر وصلاة العصر.

ومِنهم: ملائكة مُوكَّلون بقَبْض الأرواح.

ومِنهم: مَلائِكة مُوكَّلون بسُؤال الأموات بعد الدَّفْن، فهم عالَم غَيبيٌّ عظيم، قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**أَطَّتِ السَّماءُ، وَحُقَّ لَها أَنْ تَئِطَّ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام، رقم (٨/ ١).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٧٣)، والترمذي: كتاب الزهد، باب في قول النبي ﷺ: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا**»، رقم (٢٣١٢)، من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والأَطِيطُ هو: صَرير رَحْل البَعير إذا حُمِّل وصار البعير يَمشي، فإنه يَكون له صَرير.

يَقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَطَّتِ السَّماءُ، وَحُقَّ لَـهَا أَنْ تَئِطَّ، لَيْسَ فِيها مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابعَ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ للهِ، أَوْ راكِعٌ، أَوْ سَاجِدٌ».

وأخبر النبي ﷺ عن البيت المعمور الذي في السماء السابعة أنَّه يَدخُله كلَّ يَوم سَبعون أَلف مَلَك لا يَعودون إليه في اليوم الثَّاني، بل يَأتي غيرهم إلى يوم القيامة(١)، أو إلى ما بعد ذلك، الله أَعلَم.

فالمَلائِكة جُنود لا يَعلَمهم إلا الله عَزَّوَجَلَّ، فنُؤمِن بما عرَفنا مِن أسمائهم، ونُؤمِن بما عرَفنا مِن أَوصافهم، ونُؤمِن بما عرَفنا مِن وظائفهم، وما عدا ذلك فاللهُ أَعلَم.

س(١٧٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: مِمَّ خُلِقَ الملائكةُ؟ وما هي أَوصافُهم؟

فأَجَابَ بِقَوْلِهِ: الملائكة عالَم غَيبيٌّ خلقَهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِن نور، وكلَّفهم بما شاء مِن العبادات والأَوامِر، واصطَفى مِنهم رُسُلًا كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٥].

فمِنهم: الرُّسُل المُوكَّلون بالوَحْي، كجِبريلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٢٠٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات، رقم (١٦٢)، من حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومِنهم: الرُّسُل الموكَّلون بقَبْض أرواح بني آدَمَ، كما قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١].

ومِنهم: الكَتَبة الذين يَكتُبون أعمال بني آدمَ.

ومِنهم: الحفَظة الذين يَحفَظونهم مِن أَمْر الله.

ومِنهم: السيَّاحون الذين يَسيحون في الأرض يَتلَمَّسون حِلَق الذِّكْر، إلى غير ذلك مما جاء في الكتاب والسُّنَّة مِن أعمالهم ووظائفهم.

وأمَّا أَوْصافهم: فقد ثَبَت عن النبي ﷺ أنَّه رأى جِبريلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وله سِتُّ مئةِ جَناح قد سَدَّ الأُفُق، ولكن مع هذا له قُدرة بإِذْن الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون على صورة إنسان كما جاء جبريل إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على صورة رجُل، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرَى عليه أَثَر السفَر، ولا يَعرِفه أحَد مِن الصحابة، فجلَس إلى النبي ﷺ وأَسنَد رُكْبتَيه إلى رُكبتَيه، ووضع كَفَّيْه على فَخِذَيه، وسأل النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، وعن الساعة وأَشراطها(١)، وكما جاء إليه بصورة دِحيةَ الكلبيِّ(٢)، وكما أَخبَرنا النبي ﷺ في قِصَّة الثلاثة مِن بني إسرائيل: الأَبرَص، والأَقرَع، والأَعمَى، وأن المَلَك جاء إلى كل واحد منهم، وسأَلَه عن أَحبِّ ما يكون إليه، ثم بعد أن أَنعَم الله عليهم بإزالة العُيوب وبالمال،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، رقم (٥٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، رقم (٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦٣٤)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رقم (٢٤٥١)، من حديث أسامة ابن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

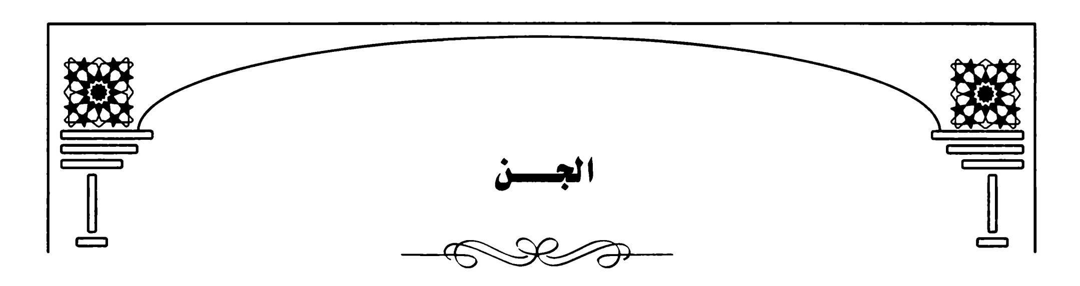
عاد إليهم المَلَك بصورة كل واحد منهم قبل أن يَزول عنه العَيب ويَحصُل له الغِنى[1]، والقِصَّة مَعروفة مشهورة.

ثم إن الملائكة عليهم الصلاة والسلام لهم قُدرة عَظيمة وسرعة عظيمة في الطَّيَران، والوصول إلى الغايات، أَلَمْ تَرَ إلى قول سليمان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ [النمل:٣٨]، أي: عَرْش بَلْقِيس، وهو السَّرير الذي تَجلِس عليه وهو عرْش عظيم ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل:٣٩-٤٠]. قال أَهْل العِلْم: إن هذا الرجل دعا الله عَزَّوَجَلَّ فحَمَلتِ الملائكة العَرْش حتَّى وَضَعَتْه عند سليمان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ثم أَلَم تَرَ إلى الإنسان يَموت فتَقبِض الملائكة رُوحه وتَصعَد بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ إذا كان مُؤمِنًا إلى ما فوق السَّموات، وتُعاد إليه روحُه إذا دُفِن في قبره، وكل هذا يَدُلُّ على أن الملائِكة عليهم الصلاة والسلام لهم قوَّة عظيمة، وسُرعة عظيمة، ومَن أَراد أن يَقِف على شيء من أَوصافِهم وأَحوالِهم فلْيَرْجِع إلى الكتُب المصنَّفة في ذلك، ومِنها كتاب البداية والنهاية لابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع، رقم (٣٤٦٤)، ومسلم: كتاب الزهد والرقائق، رقم (٢٩٦٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.



الجـــن

س(١٨٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هلِ الجِنُّ مِن الملائِكة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الجِنُّ لَيسوا مِن الملائِكة؛ لأن الملائِكة خُلِقوا مِن نور، والجِنُّ خُلِقوا مِن نار، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر:٢٧]، وثَبَت عن النبي ﷺ أن الملائكة خُلِقوا مِن نور[1]. ولأن الملائكة كما وَصَفهم الله تعالى بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٧]، والجِنُّ فيهم المؤمِن، والكافِر، والطَّيِّع، والعاصي، قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف:٣٨]، وقال عن الجِنِّ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝١٤ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٤-١٥]، وقال عنهم أيضًا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن:١١]؛ ولأنَّ الملائكة -كما قال أهل العلم- صمد لا يَأكُلون ولا يَشرَبون، والجِنُّ يَأكُلون ويَشرَبون، فقد ثَبَت عن النبي ﷺ أَنَّه قال للجِنِّ الذين وفدوا إليه: «**لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ تَجِدُونَهُ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا**»[2]. فتَبيَّن بهذه الأَدلَّة أن الملائِكة ليسوا مِن الجِنِّ.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، رقم (٢٩٩٦)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم (٤٥٠)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فأَمَّا قـوله سُبحانَهُ وَتَعالَى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الحجر:٣٠-٣١]، فإنَّما استَثْناه؛ لأنَّه كان مَعهم حينذاك وليس مِنهم، ويُبيِّن ذلك قولُه تعالى في سورة الكهف: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠]، فعَلَّل فِسقَه عن أَمْر رَبِّه بكَوْنه مِن الجِنِّ، ولو كان الملائِكة مِن الجِنِّ لأَمكَن أن يَفسُقوا عن أَمْر رَبِّهم كما فَسَق إِبليسُ، وهذا الاستِثْناء يُسمَّى استِثْناءً مُنقَطِعًا كما يَقول النَّحويون: «جاء القومُ إلا حِمارًا»، وهو كلامٌ عربيٌّ فصيحٌ، فاستثْنَى الحِمار مِنَ القوم وإن لم يَكُن منهم.

س(١٨١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى: هل إبليسُ مِن الملائِكة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إبليسُ ليسَ مِن الملائِكة؛ لأن إبليس خُلِق مِن نار، والملائكة خُلِقَت مِن نور، ولأن طَبيعة إبليسَ غيرُ طبيعة الملائكة؛ فالملائِكة وَصفهم الله تعالى بأنهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]، ووَصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠]، أما الشَّيْطان فإنه على العكس مِن ذلك، فإنه كان مُستكبِرًا، كما قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤]، ولكن لما وجَّه الخطاب إلى الملائكة بالسجود لآدَمَ، وكان إبليسُ مِن بَينِهم -أي: مَعهم- مُشارِكًا لهم في العِبادة، وإن كان قلبه -والعِياذُ بالله- مُنطَوِيًا على الكفْر والاستِكْبار صار الخِطاب مُتوجِّهًا إلى الجميع؛ فلِهذا صحَّ استِثْناؤه مِنهم فقال تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ وإلا فأَصلُه ليس مِنهم بلا شكٍّ، كما قال تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠]، والله أَعلَم.

س(١٨٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما الفَرْق بين الجِنِّ والشياطينِ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الشياطينُ يَكونون مِن الجِنِّ والإِنْس، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢]، بل يَكون الشيطان مِن غير العُقَلاء، كما قال النبي ﷺ: «الكَلْبُ الأَسْوَدُ شَيْطَانٌ»[(١)].

وأمَّا الجِنُّ فإنَّهم مِن ذُرِّية إِبليسَ، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف:٥٠].

س(١٨٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: نَحن نَعرِف أن إِبليسَ هو أبو الشياطينِ، فكيف تَتكاثَرُ الشياطين؟ وكيف تَتناقَص؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا شَكَّ أن إبليسَ هو أبو الجِنِّ؛ لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن:١٥]، وقوله عن إِبليسَ وهو يُخاطِب ربَّ العِزة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي، رقم (٧٨٩)، من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف:٥٠] فهذه الأُمورُ أَدلَّتها واضِحة أن الشيطان له ذُرِّية، وأن الجِنَّ ذُرِّيته، ولكن كيف يَكون ذلك؟ هذا ما لا عِلْم لنا به، وهو مِن الأمور التي لا يَضُرُّ الجهْل بها، ولا يَنفَع العِلْم بها. والله أَعلَم.

س(١٨٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل مِن الجِنِّ صالِحون وجِنٌّ شياطينُ؟ وهَل يَظهَرون للإنسان؟ وكيف نَتجَنَّب ظُهورَهم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا شكَّ أن الجِنَّ كالإنس، فيهم الصالِحون، وفيهم المسلِمون، وفيهم الكافِرون، وفيهم الأولياء الذين آمَنوا بالله وكانوا يَتَّقون، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في سورة الجن عنِ الجن أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الجن:١١]، وقالوا أيضًا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٤-١٥]، وفي الجن مَن يُحِبُّ الصالِحين مِن الإنس، وربَّما يُخاطِبهم ويَنتفِع بهم بالنصيحة والتعليم، وفي الجن فُسَّاق وكُفَّار يُحِبُّون الفاسِقِين والكافِرين، ويُبغِضون المؤمِنين وأهل الاستِقامة، وفي الجِن مَن يُحِبُّ العُدوان على الإنس والأذِيَّة.

وهم في الأَصْل: عالَمٌ غَيبيٌّ لا يَظهَرون للإنس، لكن ربما يَظهَرون أحيانًا، ويَراهم الإنس، ورُبما يَتشكَّلون بأَشكال مُؤذِية مُزعِجة؛ لأَجْل أن يُروِّعوا الإنس، ولكن الإنسان إذا تَحصَّن بالأَوْراد الثابِتة عن رسول الله ﷺ كَفاه اللهُ شَرَّهم.

ومِن ذلك قِراءة آية الكرسيِّ، وهي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ

إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

فإن هذه الآيةَ العظيمةَ مَن قرَأها في ليلة لم يَزَلْ عليه مِنَ الله حافِظ، ولا يَقرَبه شيطانٌ حتى يُصبِح(١)، لكن لا بدَّ أن يَكون القارِئ مُؤمِنًا بها، مُؤمِنًا بأثَرها، مُؤمِنًا بأن الله تعالى يَحفَظه بها مِن كل شيطان، أما مَن قَرَأها وهو غافِل، أو مَن قَرَأها مُجرِّبًا غير مُوقِن بأثَرها، فإنه لا يَنتَفِع بها.

س(١٨٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: هل للجِنِّ تَأثير على الإنس؟ وما طريق الوِقاية مِنهم؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: لا شكَّ أن الجِنَّ لهم تَأثير على الإنس بالأذيَّة التي قد تَصِل إلى القَتْل، ورُبَّما يُؤذونه برمي الحِجارة، ورُبَّما يُروِّعون الإنسان، إلى غير ذلك مِن الأشياء التي ثَبَتَت بها السُّنَّة ودلَّ عليها الواقِع، فقد ثَبَت أن الرسول ﷺ أذِن لبعض أصحابه أن يَذهَب إلى أهله في إحدى الغَزوات -وأَظُنها غزوة الخَنْدق- وكان شابًّا حديث عَهْد بعُرْس، فلما وصَل إلى بيته وإذا امرَأَتُه على الباب، فأَنكَر عليها ذلك، فقالت له: ادْخُل. فدخَل فإذا حيَّة مُلتوِية على الفِراش، وكان معه رُمْح فوَخَزها بالرُّمْح حتى ماتت، وفي الحال -أي: الزمَن الذي ماتت فيه الحية- مات الرجُل، فلا يُدرَى أَيُّهما أَسبَق موتًا: الحية أمِ الرجل، فلما بلَغ ذلك النبي ﷺ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلًا فترك الوكيل شيئًا، رقم (٢٣١١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نَهى عن قَتْل الجِنَّان التي تَكون في البيوت، إلا الأَبتَرَ وذا الطُّفْيَتَيْنِ(١).

وهذا دليل على أن الجنَّ قد يَعتَدون على الإنس، وأنهم يُؤذُونهم، كما أن الواقِع شاهد بذلك، فإنه قد تَواتَرت الأخبار واستَفاضَت بأن الإنسان قد يَأتي إلى الخَرِبة فيُرمَى بالحِجارة، وهو لا يَرَى أَحَدًا مِن الإنس في هذه الخَرِبة، وقد يَسمَع أصواتًا، وقد يَسمَع حَفيفًا كحَفيف الأشجار، وما أشبهَ ذلك مما يَستوحِش به ويَتأذَّى به.

وكذلك أيضًا قد يَدخُل الجِنِّيُّ إلى جسَد الآدمِيِّ، إما بعِشْق، أو لقَصْد الإيذاء، أو لسَبَب آخَرَ مِن الأسباب، ويُشير إلى هذا قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥].

وفي هذا النَّوع قد يَتحدَّث الجِنِّيُّ من باطِن الإِنسيِّ نفسِه ويُخاطِب مَن يَقرَأ عليه آياتٍ مِن القرآن الكريم، ورُبَّما يَأخُذ القارِئ عليه عهدًا ألا يَعود، إلى غير ذلك مِن الأُمور الكثيرة التي استَفاضَت بها الأَخبار وانتَشَرَت بين الناس، وعلى هذا فإن الوِقاية المانِعة مِن شرِّ الجنِّ أن يَقرَأ الإنسان ما جاءت به السُّنَّة مما يُتحصَّن به مِنهم، مِثْل آية الكرسيِّ، فإن آية الكرسيِّ إذا قرَأها الإنسان في ليلة لم يَزَل عليه مِن الله حافِظ، ولا يَقرَبه شيطان حتَّى يُصبِح. والله الحافِظ.



(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾، رقم (٣٢٩٧-٣٢٩٨)، ومسلم: كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها، رقم (٢٢٣٣)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

س(١٨٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: هل للجِنِّ حَقيقة؟ وهل لهم تَأثِير؟ وما علاجُ ذلك؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أمَّا حقيقة حياة الجنِّ فالله أَعلَم بها، ولكننا نَعلَم أن الجنَّ أَجسام حقيقية، وأنهم خُلِقوا من النَّار، وأنهم يَأكُلون ويَشرَبون ويَتَزاوجون، ولهم ذُرِّية، كما قال الله تعالى في الشيطان: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ [الكهف:٥٠]، وأنهم مُكلَّفون بالعِبادات، فقد أَرسَل إليهم النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وحَضروا واستَمَعوا القُرآنَ، كما قال الله تَعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن:١-٢]، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣٠]، إلى آخِر الآيات.

وثبَت عن النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أنَّه قال للجِنِّ الذين وفَدوا إليه وسأَلوا الزاد قال: «**لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ تَجِدُونَهُ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا**»(١). وهم -أَعنِي: الجنَّ- يُشارِكون الإنسان إذا أَكَل ولم يَذكُر اسمَ الله على أَكْله؛ ولهذا كانت التَّسمِية على الأكلِ واجِبةً، وكذلك على الشرب كما أَمَر بذلك ﷺ(٢).

وعليه فإن الجِنَّ حقيقة واقعة، وإِنْكارَهم تكذيب للقرآن وكُفْر بالله عَزَّوَجَلَّ،

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم (٤٥٠)، من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام، رقم (٥٣٧٦)، ومسلم: كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب، رقم (٢٠٢٢)، من حديث عمر بن أبي سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وهم يُؤمَرون، ويُنهَون، ويَدخُل كافِرُهم النار كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف:٣٨]، ومُؤمِنهم يَدخُل الجنة أيضًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:٤٦-٤٩]. والخِطاب للجِنِّ والإنس؛ ولقوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام:١٣٠] إلى غير ذلك مِن الآيات والنُّصوص الدَّالَّة على أنهم مُكلَّفون، يَدخُلون الجَنَّة إذا آمَنوا، ويَدخُلون النار إذا لم يُؤمِنوا.

أمَّا تَأثِيرهم على الإنس فإنَّه واقِع أيضًا، فإنَّهم يُؤثِّرون على الإنس، إمَّا أن يَدخُلوا في جسَد الإنسان فيُصرَع ويَتألَّم، وإمَّا أن يُؤثِّروا عليه بالتَّروِيع والإِيحاش، وما أَشبَه ذلك.

والعِلاج مِن تَأثِيرهم بالأَوْراد الشرعيَّة مِثل قِراءة آية الكرسيِّ، فإنَّه مَن قَرأ آيةَ الكرسي في ليلة لم يَزَلْ عليه مِنَ الله حافِظٌ، ولا يَقرَبه شيطان حتى يُصبِح.

س(١٨٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل يَجوز للإنسان أن يَدعوَ الله أن يَهدِيَ شَيطانه؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا يَجوز أن يَدعُوَ أَحَد بهذا؛ لأَنَّه يُنافي حِكمة الله وقَضاءَه وقَدَرَه، فإن الله سبحانه قَضى بحِكْمته على إبليسَ اللعنةَ إلى يوم الدِّينِ.

س(١٨٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عـن حُكْـم خِدْمـة الجـنِّ للإنْس؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ذَكَر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في المجلَّد الحادي عشَرَ من مجموع الفَتاوى ما مُقتَضاه أن استِخدام الإنس للجنِّ له ثَلاث حالات:

الأولى: أن يَستخدِمه في طاعة الله، كأن يَكون نائِبًا عنه في تَبلِيغ الشَّرْع.

فمثلًا: إذا كان له صاحِب مِن الجِنِّ مُؤمِن يَأخُذ عنه العِلْم، فيَستَخدِمه في تَبليغ الشرْع لنُظَرائه مِن الجِنِّ، أو في المعونة على أُمور مَطلوبة شَرْعًا، فإنه يَكون أَمْرًا محمودًا أو مَطلوبًا، وهو مِن الدَّعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والجنُّ حَضَرُوا النبيَّ ﷺ، وقرَأَ عليهمُ القرآن ووَلَّوا إلى قومِهم مُنذِرِين، والجنُّ فيهم الصُّلَحاء، والعُبَّاد، والزُّهَّاد، والعُلَماء؛ لأن المنذِر لا بُدَّ أن يَكون عالِمًا بما يُنذِر عابِدًا.

الثَّانية: أن يَستَخدِمهم في أُمور مُباحة، فهذا جائِز بشرْط أن تَكون الوَسِيلة مُباحةً، فإن كانت مُحَرَّمة فهو مُحرَّم، مِثل ألا يَخدُمه الجنِّيُّ إلا أن يُشرِك بالله، كأن يَذبَح للجِنِّي، ويَركَع له أو يَسجُد، ونحو ذلك.

الثَّالثة: أن يَستَخدِمهم في أمور مُحرَّمة، كنَهْب أَموال الناس، وتَروِيعهم، وما أَشبَه ذلك، فهذا مُحرَّم؛ لما فيه مِن العُدوان والظُّلْم، ثم إن كانتِ الوَسِيلة مُحرَّمة أو شِركًا كان أَعظَمَ وأَشَدَّ.



س(١٨٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن حُكْم سُؤال الجِنِّ وتَصدِيقهم فيما يَقولون.

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: سُؤال الجَنِّ وتَصدِيقُهم فيما يَقولون قال عنه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى: إن مَن يَسأَل الجنَّ، أو يَسأَل مَن يَسأَل الجِنَّ، على وجْه التَّصدِيق لهم في كل ما يُخبِرون به، والتَّعظيم للمَسؤُول، فهو حرام.

وأمَّا إن كان لِيَمتحِنَ حاله ويَختَبِر باطِنَ أَمْره، وعِنده ما يُميِّز به صِدْقه مِن كَذِبه، فهذا جائز، ثم استَدَلَّ له. ثم ذكَر ما رُوِي عن أبي موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّه أَبطَأَ عليه خبر عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وكان هناك امرأةٌ لها قَرِين -أي: صاحب- مِن الجِنِّ، فسأله عنه، فأَخبَره أنَّه تَرَك عُمَر يَسِمُ إِبلَ الصَّدَقة.

س(١٩٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: من المعلوم أن مِن الجِنِّ مَن هُم صالحون، كما ثبت ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الجن:١١]، فهل يَجوز الاستِعانة بهم فيما فوق قُدْرة الإنسان؟ وهل يُؤثِّر على عقيدة المسلِم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا شكَّ أن الجنَّ كما ذكر السَّائِل وعلى ما استَدَلَّ به من أن فيهم الصالِحَ، وفيهم دون ذلك، كما في الآية الكريمة التي ذَكَرها السَّائل، وفيهم أيضًا المسلِم والكافِر، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٤-١٥].

ومن المعلوم أن الصالِح منهم لا يَرضى بالفِسْق، ولا يُعين عليه، وكذلك

المسلم لا يَرضى بالكفر ولا يُعين عليه؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام:١٣٠]، فكافِرهم يَدخُل النار كما تُفيده هذه الآية، والآية التي في سورة الجن ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾ [الجن:١٥].

ومُؤمِنهم يَدخُل الجنة على القول الراجِح مِن أقوال أهل العِلْم؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:٤٦-٤٧]، فأَخبَر أن لمن خاف مَقام ربِّه جَنَّتين، وخاطب بذلك الجن والإنس في قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، وقد سَمَّى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ المؤمِنين منهم إخوة لنا حين نَهى عن الاستِنْجاء بالعظام وقال: «إِنَّهَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ»[1]. يعني: مِن الجنِّ.

وأما الاستِعانة بهم، فإني أُحيل السَّائِل على ما ذَكَره شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتاوى جمع الشيخ عبدالرحمن بنِ قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ صفحة ثلاث مئة وسبعة، مجلد أحد عشر، وما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه النُّبوَّات، صفحة مئتين وستين، إلى مئتين وسبعة وستين، ففيه كفاية.

س(١٩١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل يَصِحُّ ما يَذكُره الناس مِن أن الجِنَّ يَتصوَّرون في صورة طيور وقِطط وغيرها مِن الحيوانات؟ وهل في تَشكُّلهم بهذه الصُّوَر تَغيير لخَلْق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم (٤٥٠)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا الذي ذَكَرْته أَمر مَشهور بين الناس أن الجِن قد يَتشكَّلون بشكل شيء مُشاهَد ومَرئِيٍّ، وربما يَشهَد له الحديث الثابت في الصحيح[1] أن رجلًا شابًّا مِن الأنصار كان حديث عَهْد بعُرْس، فجاء ذات ليلة فوجَد أهله على الباب، فسأَلهم: ما السبب؟ فذكرتْ له ما في الفِراش، فذهَب إلى فِراشه فوجَد فيه حيَّة، فأَخَذ رُمحًا فطعَنها، فماتت هذه الحيَّة، ثم مات الرجل فورًا، فلا يُدرَى أَيُّهما أَسرعُ موتًا الرجل أم الحيَّة، ثم إن النبي ﷺ نهى عن قَتْل الحيَّات التي تكون في البيوت، إلا الأَبتَرَ، وذا الطُّفْيَتَين[2].

وهذا يَدُلُّ على أن هذا كان جِنًّا، وأَنَّه قد تَصوَّر بصورة الحية، والحكايات في ذلك كثيرة ومشهورة، ولكن هذا الحديث الصحيح قد يَشهَد لصِحَّتها، وكما أَنَّه يَتصوَّر الملائكة عليهم الصلاة والسلام بأَشكال ليست على هَيئَتِهم التي خُلقوا عليها.

فإن جِبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يَأتِي إلى النبي ﷺ أحيانًا بصُورة دِحيةَ الكَلْبي، وجاء إليه مرة بصورة رجُل شديد بَياض الثِّياب، شديد سَواد الشعْر، لا يُرَى عليه أَثَر السفر، ولا يَعرِفه أحَد مِن الصحابة، وجلس إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فأَسنَد رُكبَتَيْه إلى رُكْبَتَيه، ووضَع كَفَّيه على فَخِذيه، جِلسة المتأدِّب، ثم سأل النبي ﷺ الأسئلة المشهورة في الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة وأَشراطها، ثم

(١) أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب قتل الحيات، رقم (٢٢٣٦)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾، رقم (٣٢٩٧-٣٢٩٨)، ومسلم: كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها، رقم (٢٢٣٣)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال النبي ﷺ: «**هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»[1].

ومِن المعلوم أن قُدرَتهم على التشكيل بهذا الشَّكْل إنما هي مِن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو الذي أَقدَرَهم على ذلك، فلا يَبعُد أن يكون الجنُّ هكذا يَستطِيعون أن يَتصوَّروا، أو يَتشَكَّلوا للناس بأشكال مُتعدِّدة، هذا الذي ظهَر لي في هذه المسألة.

س(١٩٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل الجن يَعلَمون الغَيْب؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الجِنُّ لا يَعلَمون الغَيْب، ولا يَعلَم مَن في السَّموات والأرض الغَيْب إلا الله، واقْرَأ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ:١٤]، ومَنِ ادَّعى عِلْم الغَيْب فهو كافِر، ومَن صَدَّق مَن يَدَّعِي عِلْم الغَيْب فإنه كافِر أيضًا؛ لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]، فلا يَعلَم غيب السَّموات والأرض إلا الله وحده، وهؤلاء الذين يَدَّعون أنهم يَعلَمون الغَيْب في المستقبَل كل هذا مِن الكَهانة، وقد ثَبَت عن النبي ﷺ: «**أَنَّ مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**»[2] فإن صَدَّقه فإِنَّه يَكون كافرًا؛ لأَنَّه إذا صَدَّقه بعِلْم الغَيْب فقد كذَّب قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، رقم (٥٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، رقم (٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب تحريم إتيان الكهان، رقم (٢٢٣٠)، من حديث بعض زوجات النبي صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلم ورَضِي اللهُ عنهُنَّ.

س(١٩٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هناك مَن يُحضِر الجِنَّ بطَلاسِمَ يَقولها ويَجعَلهم يُخرِجون له كنوزًا مَدفونة في الأرض مُنْذُ زمنٍ بعيد، فما حُكْم هذا العمَل؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا العمَل ليس بجائِز، فإن هذه الطلاسمَ التي يُحضِرون بها الجنَّ ويَستَخْدِمونها بها لا تَخلو من شِرْك في الغالب، والشِّرْك أَمْره خَطير، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢]. والذي يَذهَب إليهم يُغرِيهم ويَغرُّهم، يُغرِيهم بأنفسهم وأنهم على حقٍّ، ويَغُرُّهم بما يُعطِيهم مِن أموال.

فالواجب مُقاطَعة هؤلاءِ، وأن يَدَع الإنسان الذَّهاب إليهم، وأن يُحذِّر إخوانه المسلمين مِن الذَّهاب إليهم، والغالِب في أمثال هؤلاءِ أنهم يَحتالون على الناس ويَبتَزُّون أموالهم بغير حق، ويَقولون القول تَخَرُّصًا ثم إن وافَق القَدَر أَخذوا يَنشُرونه بين الناس ويَقولون: نحن قُلْنا وصار كذا، ونحن قُلْنا وصار كذا، وإن لم يُوافِق ادَّعَوا دعاوَى باطِلة أنها هي التي مَنَعَت هذا الشيء.

وإني أُوجِّه النصيحة إلى مَنِ ابْتُلِي بهذا الأمر، وأقول لهم: احْذَروا أن تَمتَطوا الكذِب على الناس والشِّرك بالله عَزَّوَجَلَّ وأَخذَ أموال الناس بالباطل، فإن أَمَد الدُّنيا قريب، والحِساب يوم القيامة عسير، وعليكم أن تَتوبوا إلى الله تعالى مِن هذا العمَل، وأن تُصَحِّحوا أعمالكم، وتُطيِّبوا أموالكم، والله الموفِق.



س(١٩٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هَل هناك دليل على أن الجِنَّ يَدخُلون الإِنس؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نعم، هناك دليل مِن الكِتاب والسُّنَّة على أن الجن يَدخُلون الإنس، فمِن القرآن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥]. قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يَقومون مِن قُبورهم يوم القيامة إلا كما يَقوم المصروع حال صَرَعه وتَخبُّط الشيطان له».

ومن السُّنَّة قوله ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ**»[(١)].

وقال الأَشعَري في مقالات أهل السُّنَّة والجماعة: «إنهم -أي: أهل السُّنَّة- يَقولون: إن الجِنِّي يَدخُل في بَدَن المصروع». واستَدَلَّ بالآية السابقة.

وقال عبدالله بن الإمام أحمد: «قُلْت لأبي: إن قومًا يَزعُمون أن الجني لا يَدخُل في بدن الإِنسي. فقال: يا بُني، يَكذِبون، هو ذا يَتكلَّم على لسانه»[(٢)].

وقد جاءت أَحادِيث عن رسول الله ﷺ، رواها الإمام أحمد والبيهقي، أنَّه أُتِي بصَبِي مجنون، فجَعَل النبي ﷺ يقول: «**اخْرُجْ عَدُوَّ اللهِ، اخْرُجْ عَدُوَّ اللهِ**»، وفي بعض ألفاظِه: «**اخْرُجْ عَدُوَّ اللهِ، أَنَا رَسُولُ اللهِ**»[(٣)]. فبَرَأَ الصبيُّ.

فأَنت تَرَى أن في هذه المسألة دليلًا مِن القرآن الكريم ودليلين من السُّنَّة، وأَنَّه قول أهل السُّنَّة والجماعة وقول أَئِمَّة السَّلَف، والواقع يَشهَد به، ومع هذا لا نُنكِر أن يَكون للجنون سبب آخَرُ، مِن توتُّر الأعصاب، واختِلال المخ، وغير ذلك.



(١) أخرجه البخاري: كتاب الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه (٢٠٣٨)، ومسلم: كتاب السلام، باب يستحب لمن رئي خاليا بامرأة، رقم (٢١٧٥)، من حديث صفية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.
(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ١٢).
(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٧٢)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٢٠)، من حديث يَعلى بن مُرَّة.

قال فضيلة الشيخ جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرَ الجزاء:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق الجِنَّ والإنس ليَعبدوه، وشَرَع لهم ما تَقتضِيه حِكْمته ليُجازِيَهم بما عمِلوه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلْك وله الحمد، وكان الله على كل شيء قديرًا، وأشهد أن مُحمدًا عبده ورسوله، المبعوث إلى الإنس والجِنِّ بَشيرًا ونذيرًا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تَبِعهم بإحسان وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

والجن عالَم غَيبي خُلِقوا مِن نار، وكان خَلْقهم قبل خَلْق الإنس كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر:٢٦-٢٧]، وهم مُكلَّفون، يُوجَّه إليهم أمر الله تعالى ونَهيُه، فمنهم المؤمِن، ومِنهم الكافِر، ومنهم المطيع، ومنهم العاصي، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٤-١٥]، وقال: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن:١١]، أي: جماعات مُتفرِّقة وأهواء، كما يكون ذلك في الإنس، فالكافِر منهم يَدخُل النار بالإجماع، والمؤمِن يَدخُل الجنة كالإنس، قال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:٤٦-٤٧]. والظُّلْم بينهم وبين

الإنس مُحَرَّم، كما هو بين الآدميِّين. لقوله تعالى في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلا تَظَالَـمُوا**»(١). رواه مسلم.

ومع هذا فإنهم يَعتَدون على الإنس أحيانًا، كما يَعتَدِي الإنس عليهم أحيانًا، فمِن عدوان الإنس عليهم أن يَستَجمِر الإنسان بعَظْم أو رَوْث، ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُم أن الجِنَّ سألوا النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ الزاد، فقال: «**لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَـحْمًا، وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ**». وقال النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**فَـلا تَسْتَنْجُوا بِـهِـمَا؛ فَـإِنَّهُمَا طَعَـامُ إِخْوَانِكُمْ**»(٢).

ومِن عُدوان الجن على الإنس أنهم يَتسَلَّطون عليهم بالوَسْوسة التي يُلقُونها في قُلوبهم؛ ولهذا أَمَر الله تعالى بالتَّعوُّذ من ذلك فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١-٦]. وتَأَمَّلْ كيف قال الله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ فبَدَأ بذِكْر الجن؛ لأنَّ وَسوَسَتَهم أَعظَم، ووُصولهُم إلى الإنسان أَخفَى.

فإن قُلت: كيف يَصِلون إلى صُدور الناس فيُوَسْوِسون فيها؟

فاستَمِع الجواب مِن محمد ﷺ حين قال لرجُلَين مِن الأنصار: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا**» أو قال:

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (٢٥٧٧)، من حديث أبي ذر الغفاري.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم (٤٥٠)، من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

«شَيْئًا»(١). وفي رواية: «**يَبْلُغُ مِنِ ابْنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِ**»(٢).

ومِن عُدوان الجن على الإنس أنهم يُخيفونهم، ويُلقُون في قُلوبهم الرُّعْب، ولا سِيَّما حين يَلتَجِئُ الإنس إليهم، ويَستَجِيرون بهم، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا﴾ [الجن:٦]، أي: خَوفًا وإِرْهابًا وذُعْرًا.

ومِن عُدوان الجن على الإنس أن الجِنِّيَّ يَصرَع الإِنْسِيَّ فيطرَحه، ويَدَعه يَضْطَرِب حتى يُغمَى عليه، وربَّما قادَه إلى ما فيه هَلاكه، مِن إِلْقائه في حُفرة، أو ماء يُغرِقه، أو نار تُحرِقه، وقد شَبَّه الله تعالى آكِلي الرِّبا عِند قِيامهم من قبورهم بالمصروع الذي يَتَخبَّطه الشيطان، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥]. قال ابن جرير: «وهو الذي يَتَخبَّطه فيَصرَعه». وقال ابن كثير: «إلا كما يَقوم المصروع حال صَرَعه، وتَخبُّط الشيطان له». وقال البَغوِي: «يَتَخَبَّطه الشيطان، أي: يَصرَعه، ومعناه: أن آكِل الرِّبا يُبعَث يوم القيامة كمثل المَصروع».

وروى الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٧١-١٧٢) عن يَعلى بنِ مُرَّةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن امرأةً أَتَتِ النبي ﷺ، بابْنٍ لها قد أَصابَه لَمٌ، فقال النبي ﷺ: «**اخْرُجْ عَدُوَّ اللهِ، أَنَا رَسُولُ اللهِ**». قال: فَبَرَأَ الصَّبيُّ، فأَهْدَت أُمُّه إلى النبي ﷺ كَبْشَين وشيئًا مِن أَقِطٍ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه (٢٠٣٨)، ومسلم: كتاب السلام، باب يستحب لمن رئي خاليا بامرأة...، رقم (٢١٧٥)، من حديث صفية رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الاعتكاف، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد، رقم (٢٠٣٥)، ومسلم: كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خاليًا بامرأة وكانت زوجته، رقم (٢١٧٥)، من حديث صفية رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

وسَمْن، فأَخَذ النبي ﷺ الأَقِطَ والسَّمْن وأَحَد الكَبْشَين ورَدَّ عليها الآخَر، وإسناده ثِقات[١]. وله طرق قال عنها ابن كثير في تاريخه (البداية والنهاية)[٢]: «فهذه طُرُق جَيِّدة مُتعدِّدة، تُفيد غَلَبة الظَّنِّ أو القَطْع عِند المُتبحِّرين أن يَعلى بنَ مُرَّةَ حدَّث بهذه القصة في الجُملة».

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو أحد تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيميَّة البارِزِين في كتابه (زاد المعاد) (٤/ ٦٦): «الصَّرَع صَرَعان: صَرَع مِن الأَرواح الخبيثة الأرضية، وصَرَع مِن الأَخلاط الرَّدِيئة، والثَّاني هو الذي يَتكلَّم فيه الأَطِبَّاء في سَببه وعِلاجه. وأَمَّا صَرَع الأرواح فأَئِمَّتهم (أي: الأطِبَّاء) وعُقلاؤُهم يَعترِفون به، ولا يَدفَعونه. وأمَّا جَهَلة الأطبَّاء وسَقَطهم وسِفْلتهم، ومَن يَعتَقِد الزندقة فضيلةً، فأُولَئِك يُنكِرون صَرَع الأرواح، ولا يُقِرُّون بأنها تُؤثِّر في بدَن المصروع، وليس مَعهم إلا الجهل! وإلا فَلَيس في الصِّناعة الطِّبِّيَّة ما يَدفَع ذلك، والحِسُّ والوُجود شاهِدان به، ومَن له عَقْل ومَعرِفة بهذه الأرواح وتَأْثِيراتها يَضحَك مِن جَهْل هَؤلاء وضَعْف عُقولهم».

وطريق التَّخلُّص مِن هذا النوع مِن الصَّرَع في أمرين: وِقاية، وعِلاج:

فأمَّا الوِقاية: فتكون بقِراءة الأَوراد الشرعية مِن كتاب الله تعالى وصحيح سنة رسول الله ﷺ، وبقُوَّة النَّفْس وعَدَم الجَرَيان وراءَ الوَساوِس والتخيُّلات التي لا حقيقة لها؛ فإن جَرَيان الإنسان وراء الوَساوِس والأَوْهام يُؤدِّي إلى أن تَتعاظَم هذه الأَوْهام والوَساوِس حتَّى تكونَ حقيقة.

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٦): رجاله رجال الصحيح.

(٢) ينظر: البداية والنهاية (٩/ ١٥).

وأما العِلاج -أَعني: عِلاج صرَع الأَرواح-: فَقَدِ اعتَرَف كِبار الأطبَّاء أن الأَدوِية الطَّبيعية لا تُؤثِّر فيه. وعلاجه بالدُّعاء، والقِراءة، والمَوعِظة، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يُعالِج بقِراءة آية الكُرسيِّ والمُعوِّذتَين، وكثيرًا ما يَقرَأ في أُذُن المَصروع: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥]. قال تِلْميذه ابنُ القيِّم: «حدَّثني أَنَّه قَرأ مَرَّة هذه الآيَةَ في أُذُن المَصروع فقالت: الرُّوح: نَعَم. ومَدَّ بها صوته! قال: فأَخَذْت له عَصًا وضَرَبْته بها في عُروق عُنُقه حتى كَلَّت يَدي مِنَ الضَّرْب. وفي أثناء ذلك قالتْ: أَنا أُحِبُّه. فقُلْت لها: هو لا يُحِبُّكِ. قالت: أَنا أُرِيد أنْ أَحُجَّ به. فقُلت لها: هو لا يُرِيد أن يَحُجَّ مَعكِ. قالت: أَنا أَدَعُه كَرامةً لكَ. قُلت: لا، ولكِن طاعةً لله ورسوله. قالت: فأَنا أَخرُج. فقَعَد المصروع يَلتَفِتُ يَمينًا وشِمالًا، وقال: ما جاء بي إلى حَضْرة الشيخ؟»[(١)]. هذا كلام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن شيخه.

وقال ابن مُفلِح في كتاب: (الفروع)، وهو مِن تَلاميذ شيخ الإسلام أيضًا: «كان شيخُنا إذا أُتِيَ بالمصروع وَعَظَ مَن صَرَعه، وأَمَره ونَهاه، فإنِ انتَهى وفارَق المصروع أَخَذ عليه العَهْد ألا يَعودَ، وإن لم يَأْتَمِرْ ولم يَنتَهِ ولم يُفارِقْ ضَرَبه حتى يُفارِقَه»[(٢)]، والضرْب في الظاهِر على المصروع، وإنَّما يَقَع في الحقيقة على مَن صَرَعه. وأرسل الإمام أحمد إلى مَصروع ففارَقه الصارِع، فلما مات أحمد عاد إليه.

وبهذا تَبَيَّن أن صَـرَع الجن للإنـس ثابِت بمُقتَضى دَلالة الكِتاب والسُّـنَّة والواقِع.

---

(١) ينظر: زاد المعاد (٤/ ٦٨-٦٩).

(٢) ينظر: الفروع (٢/ ٤٦٦).

وأَنكَر ذَلك المعتزِلة. ولولا ما أُثِير حول هذه المسأَلَة مِن بَلْبَلة وجِدال أدَّى إلى جَعْل كِتاب الله تعالى دالًّا على مَعانٍ تَخْيِيلِيَّة لا حقيقةَ لها، ولولا أن إِنكار هذا يَستَلزِم تَسفِيه أَئِمَّتنا وعُلَمائنا مِن أهل السُّنَّة أو تكذِيبهم، أَقولُ: لولا هذا وهذا ما تَكَلَّمْتُ في هذه المسألة؛ لأَنها مِن الأُمور المعلومة بالحِسِّ والمشاهَدة، وما كان مَعلومًا بالحِسِّ والمشاهَدة لا يَحتاج إلى دليل؛ لأن الأُمور الحِسِّية دَليل بنفْسها، وإِنكارُها مُكابَرة أو سَفْسَطة. فلا تَخدَعوا أَنفُسكم ولا تَتَعَجَّلوا، واستَعِيذوا بالله مِن شُرور خَلْقه مِن الجنِّ والإِنس، واستَغْفِروه وتُوبوا إليه، إنه هو التَّوَّاب الرَّحيم.

س(١٩٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: هل الجنُّ أَسلَموا بِرسالة محمد ﷺ وآمَنوا بالرُّسُل مِن قَبلُ؟ هل فرِض علَيهمُ الحج؟ وإن كان كذلك، فأَين يَحُجُّون؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إنَّ الجِنَّ مُكلَّفون بلا شكٍّ، مُكلَفُّون بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإن مِنهم المسلِم والكافِر، ومِنهم الصالِح ومَن دون ذلك، كما ذكر الله تعالى في سورة الجنِّ عنهم، حيث قالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن:١١]، وقالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٤-١٥].

وقَدْ صَرَف الله نَفَرًا مِن الجنِّ إلى رسول الله ﷺ، فاستَمَعوا القرآنَ وآمَنوا به، وذَهَبوا دُعاةً إلى قومِهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ

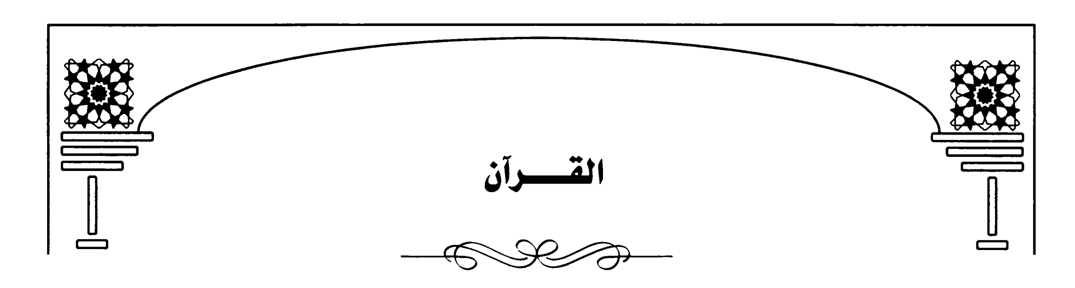
ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣٢].

وهذا يَدُلُّ على أن الجن كانوا مُؤمِنين بالرُّسُل السابِقين، وأنهم يَعلَمون كتُبهم؛ لقولهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف:٣٠]، وقد ثَبَت عن النبي ﷺ أنَّه أَكرمَ وفْدَ الجنِّ الذين وفَدوا إليه بأن قال: «**لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ تَجِدُونَهُ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا، وَكُلُّ بَعْرَةٍ فَهِيَ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ**». ولهذا نهى النبي ﷺ عن الاستِجْمار بالعِظام وعن الاستِجْمار بالرَّوث، وقال: «**إِنَّ العِظَامَ زَادُ إِخْوَانِكُمْ مِنَ الجِنِّ**»(١).

والظاهِر أنهم مُكلَّفون بما يُكلَّف به الإنس مِنَ العِبادات، ولا سِيَّما أُصولُها كالأَرْكان الخَمسة، وحِجُّهم يكون كحِجِّ الإِنس زَمنًا ومَكانًا، وإن كانوا يَختَلِفون عن الإنس في جِنس العِبادات التي لا تُناسِب حالَهُم، فتكون مُختَلِفة عن التَّكليف الذي يُكلَّف به الإنس. والله أَعلَم.



(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم (٤٥٠)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



القـــرآن

س (١٩٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن عَقيدة السَّلف في القُرآن الكريم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: عَقيدة السَّلِف في القرآن الكريم كعَقيدَتهم في سائِر أَسْماء الله وصِفاته، وهي عَقيدة مَبنِيَّة على ما دَلَّ عليه كِتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وكُلُّنا يَعلَم أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وصَف القرآن الكريم بأَنَّه كَلامه، وأَنَّه مُنزَّل مِن عِنده، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة:٦]. والمراد -بلا ريبٍ- بِكلام الله هنا القرآن الكريم.

وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل:١٠٢]. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل:٧٦]. فالقُرآن كلام الله تعالى لَفظًا ومَعنًى، تَكلَّم الله به حقيقة، وأَلقاه إلى جِبريلَ الأمينِ، ثُمَّ نزَل به جِبريلُ على قلْب النبي ﷺ؛ ليَكونَ مِنَ المُنذِرين بلِسانٍ عربيٍّ مُبينٍ.

ويَعتَقِد السَّلف أن القُرآن مُنزَّل، نَزَّله الله عَزَّوَجَلَّ على محمد ﷺ مُنَجَّمًا -أي: مُفرَّقًا- في ثلاث وعشرين سَنةً حسَب ما تَقتَضِيه حِكْمة الله عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ إن النزول يَكون ابتِدائيًّا، ويَكونُ سَببيًّا، بمَعنى: أن بَعضَه يَنزِل لسبب مُعيَّن اقتَضى نُزولَه، وبَعضه يَنزِل بغير سَبَب، وبعضه يَنزِل في حكاية حالٍ مَضَتْ للنبي ﷺ وأصحابه، وبعضه يَنزِل في أحكام شَرْعيَّة ابتدائِيَّة على حسَب ما ذَكَره أهل العِلْم في هذا الباب.

ثُمَّ إِن السَّلَف يَقولون: إن القرآن مِن عِند الله ابتِداءً، وإليه يَعود في آخِر الزَّمان، هذا قول السَّلَف في القرآن الكريم.

ولا يَخفَى علينا أن الله تعالى وصَف القرآن الكريم بأَوصاف عظيمة؛ وصَفه بأَنَّه حَكيم، وبأَنَّه كريم، وبأَنَّه عظيم، وبأَنَّه مجيد، وهذه الأوصاف التي وصَف الله بها كلامه تكون لِمَن تَمَسَّكَ بهذا الكتاب وعمِل به ظاهرًا وباطِنًا، فإن الله تعالى يَجعَل له مِنَ المجْد، والعظمة، والحِكْمة، والعِزَّة، والسُّلْطان، ما لا يَكون لِمَن لم يَتمسَّك بكِتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

ولهذا أَدعو مِن هذا المِنبَر جميع المسلِمين حُكَّامًا ومَحكومين، عُلَماءَ وعامةً، إلى التَّمسُّك بكِتاب الله عَزَّوَجَلَّ ظاهِرًا وباطِنًا حتى تكون لهمُ العِزَّة، والسعادة، والمَجْد، والظُّهور في مَشارِق الأرض ومَغارِبها، وأَسأَل الله تَعالى أن يُعيننا على تحقيق ذلك.

س(١٩٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن فِتنة القول بخَلْق القرآن؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: في عهْد الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقَبْله ظهَرت فِتنة خَلْق القرآن، وكان يَقوم بها المعتزِلة، فيَقولون: إن كلام الله عَزَّوَجَلَّ مَخلوق مِن جُملة المَخلوقات وليس وَصْفًا مِن أَوصاف الله عَزَّوَجَلَّ، فهو غير قائِم بالله، بل هو مَخلوق مُنفَصل عن الله، فلا يُفرِّقون بين السماء وبين كلام الله، ولا بين الأرض وبينَ كلام الله، فالكُلُّ -كما يَقولون- مَخلوق، وكذلك الأَنعام والمطر، فالكُلُّ مُنزَّل.

ولا شكَّ أَنَّه يَلزم على قولهم لوازمُ باطِلةٌ، فيَلزَم أن يَصِحَّ قول مَن يَقول: كلام النَّاس هو كلام الله؛ لأن كلام الناس مَخلوق، ويَلزَم على ذلك إِبطال التَّقسِيم في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، فإن الأَمْر إِنَّما يَكون عن طريق الكلام، فإذا صار الكَلام مَخلوقًا فالكُلُّ مَخلوق، وليس هناك خَلْق وأَمْر، بل ليس هناك إلا خَلْق. ويُؤدِّي كذلك إلى إبطال دَلالة القُرآن الكريم، وله لوازِمُ كَثيرة ذَكَرها أهل العِلْم في الكتُب المطوَّلة.

وقدِ امتُحِن الإمام أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من أهل العِلْم؛ لأنَّ المأمون -وكان خَليفةَ المسلِمين- تَزعَّم قِيادة هذا القول، ودعا الناس إليه، وكما هو مَعلوم إذا التزَم الحاكِم شَيئًا يَصعُب على الناس الخُروج عنه، فلَمْ يَصبِر على مُخالَفة هذا إلا أفذاذٌ قَليلون مِن الرِّجال، وكان هو الذي صمَد صُمودًا تامًّا كامِلًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ ولهذا انصَبَّ عليه العذاب والحبْس واشتَهَر بهذا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحمى الله به عقيدة أهل السُّنَّة مِن القَول بخَلْق القرآن، فبَقِي الناس -والحمد لله- يَقولون: القرآن كلامُ الله مُنزَّل غير مَخلوق.

س(١٩٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: يُلاحَظ أن الأساتِذة في المدارِس وفي دَرْس القرآن الكريم يَكتُبون المادَّة: قُرآنٌ كريم، وقد قال بعْض طلَبة العِلْم: إن ذلك لا يَجوز؛ لأن المادَّة مَخلوقة، فيُكتَب بدلًا عنها الدَّرْس: قُرآن كريم، فأَرْجو من فَضيلتكم إِيضاحَ الحقِّ في هذه المسألة، أَثابَكُمُ الله؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الذين يُعبِّرون عن الدُّروس بكَلِمة (المادَّة) لا يَعنُون بذلك ذاتَ المدرُوس، ولكن هي بمَعنَى: الدرس.

والذي أَرى -خَوفًا مِن الملاحَظة التي ذَكَرها بعضُ الإخوة- أن يُكتَب الدَّرْس حتَّى لا يَحصُل اشتِباه، ولا شكَّ أن القرآن كلامُ الله مُنزَّل غير مَخلوق كما هو مَذهَب أَهل السُّنَّة؛ لدَلالة الأَدِلَّة عليه.

كتبه محمد الصالح العُثَيْمِين

في ١/ ٩/ ١٤١١هـ.



س(١٩٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: جاء في بعض الأحاديث أن القرآن يَشفَع للعَبْد، يَقول: يا ربِّ مَنَعتُه النَّوم باللَّيْل فشَفِّعْنِي فيه[١]. فكَيفَ الجمعُ بين ذلِك وبين أن القُرآن كَلامُ اللهِ غيرُ مَخلوق، والحديث فيه أن القرآن يَقولُ: يا رَبِّ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا الحديث إذا صَحَّ؛ لأنَّ بَعض أهل العِلْم ضَعَّفه[٢]، لكن إذا صَحَّ هذا الحديثُ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قادِر على أن يَكون هذا القرآنُ الكريمُ يُمثَّل جَزاؤه وأَجرُه بشيء يَتكَلَّم فيَتكلَّم، كما أن الموت -وهو مَعنًى مِن المعاني- يُمثَّل يومَ القيامة على صورة كَبْش، فيُذبَح بين الجنة والنار، يَشهَده أهل الجنة وأهل النار، فالمعنَى الذي هو عمَل الإنسان وهو قِراءته، وثَواب الإنسان على هذه القِراءة قد يَجعَله الله شَيئًا يَنطِق ويَتكلَّم، ويَقول: يا ربِّ. هذا إن صَحَّ الحديثُ.



---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٤)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) ينظر: مجمع الزوائد (١٠/ ٣٨١).

س (٢٠٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: إن كان الله عَزَّوَجَلَّ لم يَزَلْ مُتكلِّمًا إذا شاء، وأن الكلام صِفة له قائِمة بذاته يَتكلَّم بها بمَشيئَته وقُدْرته. فهل القرآن الكريم الذي هو كلام الله عَزَّوَجَلَّ عند نُزوله على نبينا محمد ﷺ كان الله عَزَّوَجَلَّ قد قاله في وَقْته، أم كان كاتِبه عِنده في اللوح المحفوظ قبل خَلْق السَّموات والأرض، ثُمَّ أَنزَله على نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ وهل عِندَما أَنزله الله عَزَّوَجَلَّ إلى جِبريلَ هل كَلَّمه كلامًا به أَمْ أَوحَى إليه وَحْيًا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الظاهِر أن الله تَكلَّم بالقرآن حين إِنزاله على محمد ﷺ؛ لأن الله تَعالى يَتكَلَّم عن حوادِثَ وَقَعتْ بلَفْظ الماضِي، مِثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران:١٢١]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة:١]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٧٤]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة:١٩].

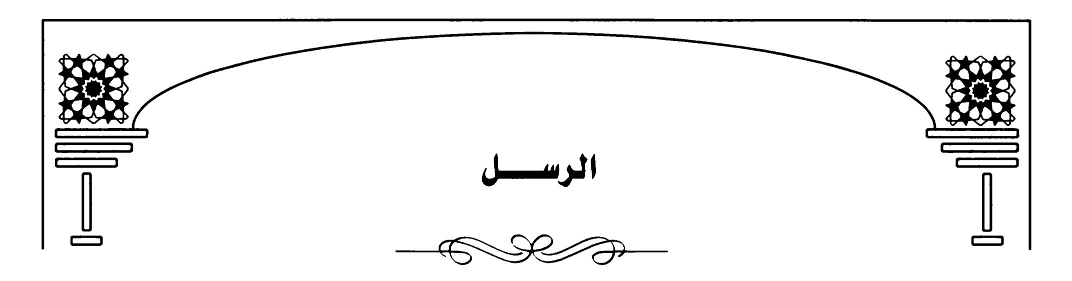
س (٢٠١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: قَرَأْتُ في كتابٍ أن أهل السُّنَّة والجماعة قالوا بأن مَن قال: إن القُرآن مُحدَثٌ. فهو كافر، وأن القُرآن ليس مَخلوقًا، فما مَعنى أن القرآن لَيس مُحدَثًا وليس مَخلوقًا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أَمَّا مَن قال: «إن القُرآن مَخلوق» فهو مُبتَدِع ضالٌّ؛ لأن القرآن كَلام الله عَزَّوَجَلَّ، وكَلام الله مِن صِفاته، وصِفات الخالِق غير مَخلوقة، وقد أَنكَر أَئمَّة أهل السُّنَّة على مَن قال: إِن القُرآن مَخلوق إنكارًا شديدًا، وحَصَلت بذَلكَ

الفِتنةُ المشهورةُ التي جَرَت في زمن إمام أَهل السُّنَّة أحمدَ بنِ حنبلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حتَّى إِن بَعضَهم -أي: بعض الأَئمَّة- أَطلَق الكُفْر على مَن قال: إن القرآن مَخلوق. ولا شكَّ أن مَن قال: إن القرآن مَخلوق. فقد أَبطَل الأمر والنهيَ؛ لأَنَّه إذا كان مَخلوقًا فمَعناه أَنَّه شيء خُلِق على هذه الصورة المُعيَّنة، فهو كالنُّقوش في الجُدران والورِق وشَبَهها لا يُفيد شَيئًا، إِذْ ليس أمرًا ولا نهيًا، ولا خَبرًا ولا استِخْبارًا.

وأمَّا مَن قال: «إن القرآن مُحدَث» فليس بمُبتَدِعٍ وليس بضالٍّ، بل قد قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء:٢]. نعم، لو كان المخاطَب لا يَفهَم مِن كلِمة (مُحدَث) إلا أَنَّه مَخلوق، فهنا لا نُخاطِبه بذلك، ولا نَقول: «إنه مُحدَث»؛ خشية أن يَتوهَّم ما ليس بجائِز.





الرسـل

س(٢٠٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: هل الأنبياء المذكورون في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ﴾ [النساء:١٦٣] رُسُل أم لا؟ ومَن أَوَّل الرُّسُل؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: النَّبِيُّون المذكورون في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [النساء:١٦٣]. كلُّهم رُسُل؛ لقوله تعالى في سياقها: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، وكُلُّ مَن ذُكِر في القرآن مِن النَّبِيِّين فهُم رُسُل؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَ﴾ [غافر:٧٨].

وأَوَّل الرسُل نوح عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وآخِرُهم محمد ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [النساء:١٦٣]. وقد ثَبَت في حديث الشفاعة أن الناس يَأتون نُوحًا فيقولون له: أَنْتَ أَوَّلُ رَسولٍ أَرسَلَه اللهُ إلى أَهْلِ الأَرْضِ(١)؛ ولقَوله تعالى في محمد ﷺ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠]. وإذا كان خاتَم النَّبِيِّين فهو خاتَم الرُّسُل قطعًا؛ إِذْ لا رسالة إلا بنُبوَّة؛ ولهذا يُقال: كُلُّ رسولٍ نَبِيٌّ، ولَيس كُلُّ نَبِيٍّ رَسولًا.

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾، رقم (٣٣٤٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (١٩٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

س(٢٠٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل الرسُل عليهم الصلاة والسلام سواءٌ في الفضيلة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الرسُل عليهم الصلاة والسلام ليسوا سواءً في الفضيلة؛ لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٥٣]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء:٥٥].

ويَجِب علينا أن نُؤمِن بجميع الرسُل أنهم حَقٌّ، صادِقون فيما جاؤُوا به، مُصدَّقون فيما أُوحِيَ إليهم؛ لقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:١٣٦]، ولأن هذا طريق النبي ﷺ والمؤمِنين، قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٨].

فلا نُفرِّق بين أَحَد مِن الرسُل في الإيمان به، وأَنَّه صادِق، مَصدوق، ورِسالتُه حقٌّ، ولكِن نُفرِّق في أَمرَين:

الأَوَّل: الأَفضليَّة فنُفضِّل بعضهم على بعض، كما فَضَّل الله بعضهم على بعض، ورَفَع بعضَهم درجاتٍ، لكن لا نَقول ذلك على سبيل المفاخَرة، أو التَّنَقُّص للمَفضول، كما في صحيح البخاري أن يَهودِيًّا أَقسَم فقال: لا والذي اصطَفَى مُوسى على البشَر، فلَطَم وجْهَه رَجُل مِن الأنصار حين سمِعه، وقال: تَقول هذا ورسول الله ﷺ بين أَظهُرنا؟! فذَهَب اليهوديُّ إلى رسول الله ﷺ، وقال: إِنَّ لي ذِمَّةً وعَهدًا، فما بال فلانٍ لَطَم وَجهِي؟ فقال النبي ﷺ للأنصاريِّ: «**لِمَ لَطَمْتَ**

وَجْهَهُ؟» فذَكره، فغضِب النبي ﷺ، حتى رُئِيَ في وجهه، ثمَّ قال: «**لا تُفَضِّلوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ**»(١).

وكما في صحيحه أيضًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**لا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّى**»(٢).

الثَّاني: الاتِّباع، فلا نَتَّبع إلا مَن أُرسِل إلينا، وهو محمد ﷺ؛ لأن شريعة النبي ﷺ نَسَخَت جميعَ الشرائع؛ لقَولِه تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

س(٢٠٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل هناك فَرْق بين الرسول والنبيِّ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نعم، فأَهْل العِلْم يَقولون: إن النبيَّ هو: مَن أَوحَى الله إليه بشَرْع ولم يَأْمُرْه بتَبلِيغه، بل يَعمَل به في نَفسِه دون إلزامٍ بالتَّبليغ.

والرسول هو: مَن أَوحى الله إليه بشَرْع وأَمَره بتَبلِيغه والعمَل به. فكلُّ رسولٍ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، رقم (٣٤١٤)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، رقم (٢٣٧٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾، رقم (٣٣٩٥)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، رقم (٢٣٧٧)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

نَبيٌّ، وليس كُلُّ نبيٍّ رسولًا، والأنبياء أَكثَر مِن الرُّسُل، وقد قَصَّ الله بعض الرُّسُل في القرآن ولم يَقْصُصِ البعضَ الآخَرَ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [غافر:٧٨].

وبِناءً على هذه الآية يَتبيَّن أن كل مَن ذُكِر في القرآن مِن الأنبياء فهو رسولٌ.



س(٢٠٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: قُلْتُم في الفتوى السابقة: إن النبيَّ مَن أُوحِي إليه بالشرْع ولم يُؤْمَر بتَبليغه، أمَّا الرسول فهو مَن أُوحِي إليه بالشَّرْع وأُمِر بتَبلِيغه، ولكن كيف لا يُؤمَر النبيُّ بتَبليغ الشَّرْع وقد أُوحِي إليه؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أَوحَى الله إلى النبي بالشَّرْع مِن أَجْل إِحياء الشَّرْع، بمَعنى أن مَن رآه واقتَدى به واتَّبَعه دون أن يُلزَم بإبلاغه.

ومِن ذلك ما حَصَل لآدمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإنَّ آدمَ كان نَبيًّا مُكلَّمًا، كما جاء ذلك عن رسول الله ﷺ(١)، ومع هذا فليس مِن الرُّسُل؛ لأنَّه قد دَلَّ القرآن، والسُّنَّة، وإجماع الأُمَّة على أن أول رسول أَرسَله الله هو نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وآدمُ لا بدَّ أن يَكون مُتعَبِّدًا لله بوحْيٍ مِن الله، فيَكون قد أُوحِي إليه، ولَمْ يُؤْمَر بالتَّبليغ؛ ولهذا لا يُعَدُّ مِن الرُّسُل.



(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٧٨)، من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

س (٢٠٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: مَن أَوَّل الرُّسُل؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: أَوَّل الرُّسُل عليهم الصلاة والسلام نُوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وآخِرُهم محمد ﷺ، وأمَّا قبل نُوح فلَمْ يُبعَث رَسولٌ، وبهذا نَعلَم خطَأَ المُؤَرِّخين الذين قالوا: إن إدريسَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان قَبْل نُوح؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول في كتابه: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [النساء:١٦٣]، وفي الحديث الصحيح في قِصة الشفاعة: «**أَنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ إِلى نُوحٍ فيَقُولونَ لَهُ: أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلى أَهْلِ الأَرْضِ**»[1]. فلا رَسولَ قَبلَ نوحٍ، ولا رسولَ بعدَ محمد ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

وأمَّا نُزول عيسى ابنِ مَريمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ[2] في آخِر الزمان فإنَّه لا يَنزِل على أنَّه رَسول مُجدِّد، بل يَنزِل على أنَّه حاكِم بشَريعة النبي ﷺ؛ لأن الواجِب على عيسى وعلى غيره مِن الأنبياء الإيمانُ بمحمد ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١]. وهذا الرسولُ المُصدِّق لما مَعهم هو محمد ﷺ، كما صحَّ ذلك عن ابن عبَّاسٍ وغيره.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾، رقم (٣٣٤٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (١٩٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب قتل الخنزير، رقم (٢٢٢٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم، رقم (١٥٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٢٠٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما الفَرْق بين الأنبياء والرسُل؟ وهل تُوجَد كتُب غير الكتُب الأربعة التي نَزَلَت على الأنبياء؟ وما هي الصُّحُف التي أُنزِلت على إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: جميع مَن ذُكِروا في القرآن مِن النَّبيِّين رُسُل، حتَّى وإن ذُكِروا بوَصْف النبوة؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر:٧٨]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء:١٦٣]. إلى أن قال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]. فكل نَبيٍّ ذُكِر في القرآن فإنَّه رَسول.

لكن ذَكَر العُلَماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ أن النبيَّ هو: الذي أَوحَى الله إليه بالشرْع ولم يُؤمَر بتَبليغه، وإنما أَوحَى الله إليه بالشرْع لأَجْل أن يَتعبَّد به، فيُحيِي شريعة مَن قَبْله، أو يُجدِّد شريعة إذا لم يَكُن مَسبوقًا بشريعة مِن قَبلُ.

فمِن الأَوَّل: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة:٤٤].

ومِن الثَّاني: وهو أن يَكون الوحْيُ الذي أُوحِي إلى النبوة نُبوةً بلا رِسالة: آدمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإنه كان نَبِيًّا ولم يَكُن رسولًا، ومع ذلك فهو لم يُجدِّد شَرْعًا قَبْله، وإنما تَعبَّد لله تعالى بما أَوحَى إليه مِن الشرْع، فتَبِعه على ذلك أولاده، فلَمَّا كثُر الناس واختَلَفوا، بعَث الله النبيين مُبشِّرين ومُنذِرين، وأَنزَل معهم الكِتاب.

وأوَّل رَسول بعثَه الله عَزَّوَجَلَّ هو: نوحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومعه كِتاب بلا شكٍّ، وآخِر الرسل والأنبياء محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فكُلُّ رسول معه كِتاب، ولكنَّنا لا نَعلَم مِن الكتُب السابقة إلا التَّوراة، والإنجيل، والزَّبور، وصُحُف إبراهيم، وصُحُف موسى عليهما الصلاة والسلام، وقدِ اختَلَف العُلَماء في صحُف مُوسى هل هي التَّوراة أم غيرُها؟ والله أَعلَم.

س(٢٠٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل آدمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رسول أم نبيٌّ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: آدمُ ليس برَسولٍ، ولكنه نبيٌّ، كما جاء في الحديث الذي أَخرَجه ابنُ حِبَّانَ في صحيحه أن النبي ﷺ سُئِل عن آدمَ: أَنبيٌّ هو؟ قال: «**نَعَمْ، نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ**». ولكنه ليس برسولٍ، والدليل قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة:٢١٣]. وقوله ﷺ في حديث الشفاعة: «**إِنَّ النَّاسَ يَذْهَبُونَ إِلى نُوحٍ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إِلى أَهْلِ الأَرْضِ**»[1]. وهذا نَصٌّ صريحٌ بأن نُوحًا أَوَّلُ الرسُل.

س(٢٠٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن عقيدة المسلمين في عيسى ابنِ مَريمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾، رقم (٣٣٤٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (١٩٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: عقيدة المسلمين في عيسى ابنِ مَريمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أنَّه أَحد الرسُل الكِرام، بل أحَد الخمسة الذين هم أُولوا العَزْم وهم: محمد ﷺ، وإبراهيم، ونوحٌ، وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام، ذكَرهم الله في موضِعين في كتابه في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب:٧]، وفي سورة الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:١٣].

وأن عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَشَرٌ مِن بني آدمَ مخلوق مِن أُمٍّ بلا أَبٍ، وأنَّه عبدالله ورسوله، فهو عبدٌ لا يُعبَد، ورسول لا يُكذَّب، وأنَّه ليس له مِن خصائص الرُّبُوبيَّة شيء.

بل هو كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف:٥٩]، وأنَّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يَأْمُر قومَه بأن يَتَّخِذوه وأُمَّه إلَهَيْنِ مِن دون الله، وإنما قال لهم ما أَمَره الله به: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة:١١٧]، وأنَّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خُلِق بكلمة اللهِ عَزَّوَجَلَّ، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩]، وأنَّه ليس بينه وبين محمد ﷺ رسولٌ، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:٦].

ولا يَتِمُّ إيمان أَحَد حتَّى يُؤمن بأن عِيسى عبدالله ورسوله، وأنَّه مُبَرَّأٌ ومُنزَّه عما وصَفه به اليهود الذين قالوا: «إنه ابنُ بَغِيٍّ وأنَّه نَشَأ مِن الزِّنا» والعِياذُ بالله،

وقد بَرَّأه الله تعالى من ذلك، كما أنهم -أي: المسلمين- يَتبرَّؤُون من طريق النصارى الذين ضَلُّوا في فَهم الحقيقة بالنسبة لعيسى ابنِ مريمَ، حيث اتَّخذوه وأُمَّه إلَهَيْن مِن دون الله، وقال بَعضُهم: إنه ابنُ الله، وقال بعضُهم: إنه ثالثُ ثلاثةٍ.

أَمَّا فيما يَتعلَّق بقَتْله وصَلْبه، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد نَفَى أن يكون قد قُتِل أو صُلِب نَفْيًا صريحًا قاطِعًا، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٥٧-١٥٩].

فمَنِ اعتَقَد أن عِيسى ابنَ مَريمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قُتِل وصُلِب فقد كذَّبَ القُرآن، ومَن كذَّب القُرآن فقد كَفَر.

فنَحن نُؤمِن بأن عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يُقتَل ولم يُصلَب، ولكنَّنا نَقول: إن اليَهود باؤُوا بإِثْم القَتْل والصَّلْب، حيث زعَموا أنهم قَتلوا المسيح عيسى ابنَ مريمَ رسولَ الله، وهم لم يَقتُلوه حقيقة، بل قَتَلوا مَن شُبِّه لهم، حيث أَلقَى الله شَبَهه على واحد مِنهم فقَتَلوه وصَلَبوه، وقالوا: إننا قَتَلْنا المسيح عِيسى ابنَ مَريمَ رسولَ الله، فاليَهود باؤُوا بإِثْم القَتْل والصَّلْب بإقرارهم على أَنفُسهم، والمسيح عيسى ابنُ مَريمَ بَرَّأه الله مِن ذلك وحفِظه ورَفَعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنده إلى السماء، وسوف يَنزِل في آخِر الزمان[1] إلى الأرض فيَحكُم بشريعة النبي ﷺ، ثم يَموت في الأرض، ويُدفَن فيها، ويَخرُج منها كما يَخرُج سائر بني آدَمَ؛ لقول الله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ

(١) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب قتل الخنزير، رقم (٢٢٢٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم، رقم (١٥٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه:٥٥]، وقوله تعالى: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف:٢٥].

س(٢١٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن وصْف النبي ﷺ بحَبيب الله؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: النبي ﷺ حبيب الله لا شكَّ، فهو حابٌّ لله، ومحبوبٌ لله، ولكن هناك وَصْف أَعلى مِن ذلك، وهو خَليل الله، فالرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خليل الله، كما قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**»[(١)]؛ ولهذا مَن وصَفه بالمحبَّة فقط فإنه نَزَّله عن مَرتَبته، فالخِلَّة أَعظَم مِن المحبَّة وأَعلى، فكلُّ المؤمنين أَحِبَّاء الله، ولكن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في مَقامٍ أَعلى مِن ذلك؛ وهي الخِلَّة، فقدِ اتَّخذه الله خليلًا كما اتَّخذ إبراهيم خليلًا، لذلك نَقول: إن محمدًا رَسول الله ﷺ خليل الله، وهذا أَعلى مِن قولنا: حبيب الله؛ لأَنَّه مُتضمِّن للمَحبَّة وزِيادة؛ لأَنَّه غاية المحبَّة.

س(٢١١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن حُكْم جَعْل مَدْح النبي ﷺ تجارة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: حُكْم هذا مُحرَّم، ويَجِب أن يُعلَم أن المديح للنبي ﷺ ينقسِم إلى قِسْمين:

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد، على القبور، رقم (٥٣٢)، من حديث جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أحدهما: أن يَكون مَدحًا فيما يَستحِقُّه ﷺ، بدون أن يَصِل إلى درجة الغُلُوِّ، فهذا لا بأس به، أي: لا بَأس أن يُمدَح رسول الله ﷺ بما هو أَهلُه مِن الأَوْصاف الحميدة الكامِلة في خُلُقه وهَدْيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والقِسْم الثَّاني: مِن مَديح الرسول ﷺ، قِسْم يَخرُج بالمادِح إلى الغُلُوِّ الذي نهى عنه النبي ﷺ وقال: «**لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُاللهِ وَرَسُولُهُ**»[1]. فمَن مَدَح النبي ﷺ بأَنَّه غِياث المستَغِيثِين، ومُجيب دَعوةِ المُضطَرِّين، وأَنَّه مالِك الدنيا والآخِرة، وأَنَّه يَعلَم الغَيْب، وما شابَه ذلك مِن أَلفاظ المديح، فإن هذا القِسْم مُحرَّم، بَل قد يَصِل إلى الشِّرْك الأكبر المُخرِج مِنَ المِلَّة، فلا يَجوز أن يُمدَح الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بما يَصِل إلى دَرَجة الغُلُوِّ لنَهْي النبي ﷺ عن ذلك.

ثم نَرجِع إلى اتِّخاذ المديح الجائز حِرْفة يَكتَسِب بها الإنسان، فنَقول أيضًا: إن هذا حَرام ولا يَجوز؛ لأن مَدْح الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بما يَستَحِقُّ وبما هو أَهْلٌ له ﷺ، مِن مَكارِم الأخلاق والصِّفات الحميدة والهَدْي المستقيم مَدحُه بذلك مِن العِبادة التي يُتقرَّب بها إلى الله، وما كان عِبادةً فإنه لا يَجوز أن يُتَّخذ وَسيلة إلى الدنيا؛ لقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥-١٦]، والله الهادي إلى سَواء الصِّراط.



---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، رقم (٣٤٤٥)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

س(٢١٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: لَدَينا أُناسٌ يقولون: إِن عبدَالله أبَا الرسول مُحمدٍ ﷺ في النار. وأُناسٌ يَقولون: لا بل أَبو الرسول محمدٍ ﷺ هو في الجنة؛ لأَنَّه أبو نَبيٍّ، فما القول الصحيحُ؟ وهل عليَّ إِثمٌ في هذا السؤال؟ وإذا كان عليَّ إِثم فهل له كفَّارة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أولًا: ليس عليك إِثْمٌ في هذا السؤال، لكن هذا السؤال ليس مِن الأَسئِلة التي يُستَحسَن أن يُسأَل عنها؛ لأنها لا فائِدة مِنها إِطلاقًا، ولكن بعد السؤال عَنها لا بُدَّ مِنَ الجواب.

فيقال: إن أَبَا النبيِّ ﷺ مات على الكُفْر وهو في النار، كما ثبت في الصحيح أن رجلًا جاء إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقال: يا رسول الله، أَينَ أبي؟ قال: «**أَبُوكَ فِي النَّارِ**» فلَمَّا انصرَفَ دَعاهُ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقال له: «**أَبِي وَأَبُوكَ فِي النَّارِ**»[1] وهذا نَصٌّ مِنَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعلى هذا فيكون أَبو النبيِّ ﷺ كغيره مِن الكُفَّار، فيكون في النار.

والأَخُ السَّائل يقول: إن بَعض الناس يَقولون: ليس في النار؛ لأَنَّه أبو نَبيٍّ، وهذا لا يَمنَع إذا كان أَبا نَبيٍّ أن يَكون في النار، فهذا آزَرُ أبو إبراهيم كان كافِرًا وكان في النار؛ ولهذا لـمَّا استَغْفَر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤].



(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار، رقم (٢٠٣)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

س (٢١٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى: عمَّن قال: إن تَزَوُّج النبي ﷺ كان لغَرَضَين: أحدهما: مَصلَحة الدعوة، والثَّاني: التَّمشِّي معَ ما فَطَره الله عليه مِنَ التَّمتُّع بما أَحَلَّ الله له؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: مِن المعلوم أن النبيَّ ﷺ بشَرٌ، أَكرَمه الله تعالى بالنبوة والرِّسالة إلى الناس كافَّة، وأن اتِّصافه بما تَقتَضِيه الطبيعة البشَرية مِن الحاجة إلى الأكل، والشرب، والنوم، والبول، والغائِط، ومُدافعة البَرْد، والحرِّ، والعَدُوِّ، ومن التَّمتُّع بالنكاح، وأَطايِب المأكول والمشروب، وغيرها مِن مُقتَضَيات الطبيعة البشَرية، لا يَقدَح في نُبوَّته ورِسالته، بل قد قال الله له: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الأنعام:٦].

وقال هو عن نَفْسه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ**»[(١)]. وانتِفاء عِلْم الغَيْب، وطُروء النِّسيان على العِلْم قُصور في مَرتَبة العِلْم مِن حيثُ هو عِلْم، لكن لما كان مِن طبيعة البَشَر الذي خَلَقه الله ضعيفًا في جميع أُموره، لم يَكُن ذلك قُصورًا في مَقام النُّبُوَّة، ونَقْصًا في حقِّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولا رَيبَ أن شَهوة النِّكاح مِن طبيعة الإنسان، فكمالُها فيه من كَمال طبيعته، وقوَّتها فيه تَدُلُّ على سلامة البِنية واستِقامة الطبيعة؛ ولهذا ثَبَت في صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: «كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ -يَعنِي: النَّبيَّ ﷺ- أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلاثِينَ»[(٢)]. يعني على النساء، وهذا -والله أَعلَم- لِيَتَمَكَّن مِن إدراك ما

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب التوجه إلى القبلة، رقم (٤٠١)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم (٥٧٢/ ٨٩) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الغسل، باب إذا جامع ثم عاد، رقم (٢٦٨)، من حديث أنس بن مالك.

أَحَلَّ الله مِنهن بلا حَصْرٍ ولا مَهْر، ولا وَلِيٍّ، فيَقوم بحُقوقِهن، ويَحصُل بكَثرَتِهنَّ ما حَصَل مِن المصالِح العَظيمة الخاصَّة بهِنَّ والعامَّة للأُمَّة جميعًا، ولولا هذه القوَّة التي أَمَدَّه الله بها ما كان يُدرِك أن يَتزَوَّج بكل هذا العَدَد، أو يَقوم بحَقِّهن مِن الإحصان والعِشْرَة.

ولو فُرِض أن النبي ﷺ، تَزوَّج امرأةً لُمجرَّد قَضاء الوَطَر مِن الشَّهوة والتَّمشِّي مع ما تَقتَضيه الفِطرة -بلِ الطبيعة- لم يَكُن في ذلك قُصور في مَقام النبوة، ولا نَقْص في حَقِّه ﷺ، كيف وقد قال ﷺ: «**تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ**»[1]. بل قد قال الله له: ﴿**لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ**﴾ [الأحزاب:٥٢].

لكنَّنا لا نَعلَم حتَّى الآنَ أن رسول الله ﷺ تَزوَّج امرأةً لمجرَّد قَضاء الوَطَر مِن الشهوة، ولو كان كذلك لاختار الأَبْكار الباهِرات جَمالًا، الشابَّات سِنًّا، كما قال لجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين أَخبَره أنَّه تَزَوَّج ثَيِّبًا، قال: «**فَهَلَّا بِكْرًا تُلاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟**»[2]. وفي رِواية: «**وَتُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ**»[3]. وفي رواية: «**مَا لَكَ وَلِلْعَذَارَى وَلِعَابِهَا**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، رقم (٥٠٩٠)، ومسلم: كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين، رقم (١٤٦٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب تستحد المغيبة، رقم (٥٢٤٧)، ومسلم: كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين، رقم (٧١٥)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب النفقات، باب عون المرأة زوجها في ولده، رقم (٥٣٦٧)، ومسلم: كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح البكر، رقم (٧١٥/ ٥٦)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب تزويج الثيبات، رقم (٥٠٨٠)، ومسلم: كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح البكر، رقم (٧١٥/ ٥٥)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

رواه البخاري، وإنما كان زَواجه ﷺ: إمَّا تَأليفًا، أو تَشرِيفًا، أو جَبرًا، أو مُكافأَةً، أو غير ذلك مِنَ المقاصِد العَظيمة. وقدْ أَجمَلَها في فتح الباري (ص:١١٥ ج٩)، المطبعة السَّلَفية، حيث قال: «وَالذِي تَحصَّل مِن كَلام أهل العِلْم في الحِكْمة في استِكْثاره مِن النِّساء عَشَرَة أَوجُهٍ:

أَحدُها: أن يَكثُر مَن يُشاهد أَحوالَه الباطِنةَ، فيَنتَفِي عنه ما يَظُنُّ به المشرِكون مِن أنَّه ساحِر أو غير ذلك.

ثانيها: لتَتَشرَّف به قَبائِل العرب بمُصاهَرته فيهم.

ثالثها: الزيادة في تَألُّفِهم لذلك.

رابعها: الزيادة في التَّكليف؛ حيث كُلِّف ألا يَشغَلَه ما حُبِّب إليه مِنهن عن المبالَغة في التَّبلِيغ.

خامسها: لتكثُر عَشيرته مِن جِهة نِسائه فتَزداد أَعوانه على مَن يُحارِبه.

سادسها: نَقْل الأَحكام الشرعيَّة التي لا يَطَّلِع عليها الرِّجال؛ لأن أَكثَر ما يَقَعُ مع الزَّوْجة مِمَّا شَأنَّه أن يَختَفي مِثله.

سابعها: الاطِّلاع على محَاسِن أَخلاقه الباطِنة. فقد تَزوَّج أُمَّ حبيبة وأَبوها يُعادِيه، وصَفيةَ بعدَ قَتْل أَبِيها وعَمِّها وزَوْجها، فلو لم يَكُن أَكمَلُ الخَلْق في خُلُقه لنَفِرْن منه، بل الذي وَقَع أنَّه كان أحبَّ إليهنَّ مِن جميع أَهلِهِنَّ.

ثامنها: ما تَقدَّم مَبسوطًا مِن خَرْق العادة له في كثرة الجِماع مع التَّقلُّل مِن المأكول والمشروب وكثرة الصِّيام والوِصال. وقد أَمَر مَن لم يَقدِر على مُؤَن النكاح بالصوم، وأَشار إلى أن كَثْرته تَكسَر شهوته، فانْخَرَقت هذه العادة في حَقِّه ﷺ.

تاسِعها وعاشرها: ما تَقدَّم عن صاحب الشِّفاء من تَحصِينهنَّ والقِيام بحُقوقِهنَّ. اهـ.

قلت: الثامنة حاصِلة؛ لأن الله أَعطاه قوَّة ثلاثين رجُلًا كما سبق.

وثَمَّ وَجه **حادي عَشرَ**: وهو إِظهار كَمال عَدْله في مُعامَلتِهنَّ؛ لِتتأَسَّى به الأُمَّة في ذلك.

وثاني عشر: كثرة انتِشار الشريعة، فإن انتِشارَها مِن عدَدٍ أَكثرُ مِن انتِشارِها مِن واحدة.

وثالث عشر: جَبْر قلْب مَن فات شَرَفُها، كما في صفيةَ بنتِ حُيَيٍّ وجُويريَةَ بنتِ الحارث سيِّد بني المصطَلِق.

ورابع عشر: تَقرير الحُكْم الشرعيِّ وانتِشال العقيدة الفاسِدة التي رَسَّخَت في قلوب الناس مِن مَنْع التَّزوُّج بزَوجة ابنِ التَّبنِّي، كما في قصة زَينبَ، فإن اقتِناع الناس بالفعل أَبلَغُ مِنِ اقتِناعهم بالقول، وانظر اقتِناع الناس بحَلْق النبي ﷺ رأسَه في الحديبيَة ومُبادرَتهم بذلك حين حَلَق بعد أن تَباطَؤُوا في الحَلْق مع أَمْره لهم به.

وخامس عشر: التَّأْليف وتَقوية الصِّلة كما في أَمْر عائِشةَ وحفصةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فإن النبي ﷺ شدَّ صِلَّته بخُلَفائه الأربعة عن طرِيق المصاهَرة، مع ما لبعضهم مِن القَرابة الخاصَّة، فتَزوَّج ابنتَي أبي بكر وعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وزوَّج بناتِه الثلاثَ بعثمانَ وعليٍّ رضي الله عن الجميع، فسُبحان من وهَب نَبيَّه ﷺ هذه الحِكَمَ، وأَمدَّه بما يُحقِّقها قَدَرًا وشَرْعًا، فأَعطاه قوَّة الثلاثين رجُلًا، وأَحلَّ له ما شاء مِن النساء، يُرجِي مَن يشاء مِنهنَّ، ويُؤوِي إليه مَن يَشاء، وهو سبحانه الحكيم العليم.

وأَمَّا عدَم تَزوُّجه بالواهِبة نَفسَها، فلا يَدُلُّ على أَنَّه تَزوَّج مَن سِواها لمجرَّد الشَّهْوة وقَضاءِ وَطَر النكاح.

وأما ابنةُ الجَوْن، فلَمْ يَعدِل عن تَزوُّجها، بل دَخَل عليها وخلا بها، ولكنَّها استعاذت بالله منه، فتَرَكها النبي ﷺ، وقال: «**لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيمٍ، فَالحَقِي بِأَهْلِكِ**»[١]. ولكن هل تَزوَّجها النبي ﷺ لمجرَّد جَمالها وقَضاءِ وطَر النكاح أو لأَمْر آخَر؟ إن كان لأمرٍ آخَرَ سقَط الاستِدلال به على أن النبي ﷺ كان يَتزوَّج لمُجرَّد قَضاء الوطَر، وإن كان لأجل قضاء الوَطَر، فإن مِن حِكْمة الله تعالى أن حال بينه وبين هذه المرأة بسبب استِعاذَتها منه.

وأَمَّا سَودةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقد خافَت أن يُطلِّقها النبي ﷺ لكِبَر سِنِّها فوَهَبت يومها لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[٢]، وخَوْفها منه لا يَلزَم مِنه أن يَكون قد همَّ به. وأما ما رُوِي أَنَّه طَلَّقها بالفِعل فضَعيف لإرساله[٣].

وأَمَّا زَواجه ﷺ بزينبَ فلَيس لجَمالها، بل هو لإزالة عَقيدةٍ سائدةٍ بين العرب، وهي امتِناع الرجُل مِن تَزوُّج مُفارِقةِ مَن تَبنَّاه، فأَبطَل الله التَّبنِّيَ وأَبطَلَ الأَحكامَ المترتِّبَةَ عليه عند العرب، ولما كانت تِلك العقيدةُ السائدةُ راسِخةً في نُفوس العَرب كان تَأثُّر القولِ في اقتِلاعها بَطيئًا، وتَأثيرُ الفِعل فيها أَسرَعَ، فقَيَّض الله سبحانه بحِكْمته البالِغة أن يَقَع ذلك مِن النبي ﷺ، في تَزوُّجه بمُفارَقة مَولاه زيدِ بنِ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطلاق، باب من طلق وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق، رقم (٥٢٥٤)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب المرأة تهب يومها، رقم (٥٢١٢)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٧٥)، من حديث عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللَّهُ، مرسلًا.

حارثةَ الذي كان تَبنَّاه مِن قبلُ؛ ليَطمَئِنَّ المسلمون إلى ذلك الحُكْم الإلَـهي، ولا يَكون في قلوبهم حَرَجٌ منه، وقد أَشار الله تعالى إلى هذه الحِكْمة بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب:٣٧].

ثم تَأمَّلْ قوله تعالى: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾. فإنه يُشعُر بأن تَزوِيجها إيَّاه لم يَكُن عن طلَبٍ منه أو تَشوُّف إليه، وإنما هو قَضاءٌ مِن الله لتَقرير الحُكْم الشرْعيِّ وتَرسِيخه وعدَم الحرَج مِنه، وبهذا يُعرَف بُطلانُ ما يُروَى أن النبي ﷺ أَتى زَيدًا ذاتَ يَومٍ لحاجة فرَأَى زَينبَ فوَقَعتْ في نفسه وأَعجَبَه حُسنُها، فقال: «**سُبْحَانَ اللهِ مُقَلِّبَ القُلُوبِ!**». فأَخبرَت زَينبُ زَيدًا بذلك ففَطِن له فكَرِهها وطلَّقها بعد مُراجعة النبي ﷺ، وقوله: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ**».

فهذا الأَثَر باطِل مُناقِض لما ذكَر الله تعالى مِن الحِكمة في تَزوِيجها إيَّاه، وقد أَعرَض عنه ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فلَمْ يَذكُره، وقال: أَحبَبْنا أن نَضرِب عنها -أي: عنِ الآثار الوارِدة عن بعض السَّلف- صَفْحًا؛ لعَدَم صِحَّتها، فلا نُورِدها، ويَدُلُّ على بُطلان هذا الأَثَر أنَّه لا يَليق بحال الأنبياء فَضلًا عن أَفضَلِهم وأَتقاهُم لله عَزَّوَجَلَّ، وما أَشبَهَ هذه القِصَّةَ بتَلفيقِ قِصَّة داود عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وتُحيله على التَّزوُّج بزَوجةِ مَن ليس له إلا زَوجةٌ واحِدةٌ، على ما ذُكِر في بعض كتُب التفسير عند قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ [ص:٢١]، إلى آخر القصة.

فإنَّ مَن عَلِم قَدْر الأنبياء وبُعدَهم عَن الظُّلْم والعُدوان والمَكْر والخديعة عَلِم أن هذه القصةَ مَكذوبةٌ على نبي الله داود عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ.

والحاصِل: أنَّه وإن جاز للنبي ﷺ أن يَتزوَّج لمجرَّد قَضاءِ الوَطَر مِن النكاح وجمالِ المرأة، وأن ذَلكَ لا يَقدَح في مَقامه، فإنَّنا لا نَعلَم أن النبي ﷺ تَزوَّج زَواجًا استَقَرَّت به الزوجة وبَقِيَت معه مِن أَجْل هذا الغرَض. والله أَعلَم.

| س(٢١٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: لماذا وَجَّه الله الخِطاب إلى الرسول ﷺ في قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس:١٠٦] مع أن النبي ﷺ مَعصوم مِن الشِّرْك؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: الخِطاب هنا للرَّسول ﷺ، في ظَهْر سياق الآية.

وقال بعضُ العُلَماء: لا يَصِحُّ أن يَكون للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لأن الرسول ﷺ يَستحيل أن يَقَعَ مِنه ذلك، والآية على تَقدير «قل»، وهذا ضَعيف؛ لإِخراج الآيةِ عن سِياقها.

والصواب: أنَّه إمَّا خاصٌّ بالرسول ﷺ، والحُكْم له ولغَيرِه، وإمَّا عامٌّ لكُلِّ مَن يَصِحُّ خِطابه، ويَدخُل فيه الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكونه يُوجَّه إليه مِثلُ هذا الخطابِ لا يَقتَضِي أن يَكون ذلك مُمكِنًا مِنه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥]، فالخِطاب له ولجَميع الرُّسُل، ولا يُمكِن أن يَقَع، فلا يُمكِن أن يَقَع منه ﷺ -باعتبار حاله- شِرْكٌ أبدًا.

والحِكمة مِنَ النَّهي: أن يَكون غيرُه مُتأسِّيًا به، فإذا كان النهي مُوجَّهًا إلى مَن لا يُمكِن أن يَقَع مِنه باعتِبار حاله، فهو إلى مَن يُمكِن منه مِن بابِ أَوْلى.

س(٢١٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما مَعنَى قول النبي ﷺ: «رُؤْيَا المُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»؟ ومَن الذي تَصدُق رُؤياه؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: مَعنى قوله ﷺ: «**رُؤْيَا المُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»(١): أن رُؤيا المؤمن تَقَع صادِقة؛ لأنها أَمثال يَضرِبها المَلَك للرائِي، وقد تَكون خَبرًا عن شيء واقِع، أو شيء سيَقَع فيَقَع مُطابِقًا للرُّؤْيا، فتكون هذه الرُّؤيا كوَحْيِ النُّبوة في صِدْق مَدلُولها، وإن كانت تَختَلِف عنها؛ ولهذا كانت جُزْءًا مِن سِتَّةٍ وأَرْبَعِين جُزْءًا مِنَ النُّبوَّة، وتَخصيص الجزء بستَّةٍ وأَرْبعِينَ جُزْءًا مِنَ الأمور التَّوقِيفيَّة التي لا تُعلَم حِكْمتها، كأعداد الرَّكَعات والصلوات.

وأمَّا الذي تَصدُق رُؤياه فهو الرجُل المؤمِن الصدوق إذا كانت رُؤياه صالحة، فإذا كان الإنسان صدوقَ الحديث في يَقَظته وعنده إيمان وتَقوَى فإن الغالِب أن الرؤيا تَكون صادِقة، ولهذا جاء هذا الحديث مُقيَّدًا في بعض الروايات بالرُّؤيا الصالِحة مِنَ الرجُل الصالِح، وفي صحيح مسلم مِن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**أَصْدَقُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا**»(٢).

ولكن ليُعْلَم أن ما يَراه الإنسانُ في مَنامه ثلاثةُ أَقسامٍ:

القِسْم الأول: رُؤيا حقٍّ صالحةٌ، وهي التي أَخبَر عنها النبي ﷺ أنها جُزء مِن سِتَّة وأربعين جُزءًا من النبوة، وغالبًا ما تَقَع، ولكن أحيانًا يَكون وقوعها على صِفة ما رآه الإنسان في مَنامه تمامًا، وأَحيانًا يَكون وقوعُها على صِفة ضَرْب

(١) أخرجه البخاري: كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، رقم (٦٩٨٧)، ومسلم: كتاب الرؤيا، رقم (٢٢٦٤)، من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم: كتاب الرؤيا، رقم (٢٢٦٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأَمثال في المنام، يُضرَب له المَثَل ثُمَّ يَكون الواقِع على نَحوِ هذا المَثَل وليس مُطابِقًا له تمامًا، مثل ما رأى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قُبَيل غزوة أُحُد أن في سَيفه ثُلْمةً، ورأى بَقَرًا تُنحَر[1].

فكان الثُّلمة التي في سيفه استِشهاد عَمِّه حمزةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأن قَبيلةَ الإنسان بمَنزِلة سيفه في دِفاعهم عنه ومُعاضَدته ومُناصرَته، والبَقَر التي تُنحَر كان استِشْهاد مَنِ استُشهِد مِنَ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأن في البقَر خَيرًا كثيرًا، وكذلك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا أَهلَ عِلْم ونَفْع للخَلْق وأعمالٍ صالحةٍ.

القِسْم الثَّاني: الحُلْم، وهو ما يَراه الإنسان في مَنامه مما يَقَع له في مُجرَيات حياته، فإن كثيرًا مِن الناس يَرَى في المنام ما تُحدِثه نفسُه في اليَقَظة وما جرى عليه في اليَقَظة، وهذا لا حُكْم له.

القِسْم الثَّالث: إفزاعٌ مِن الشيطان، فإن الشيطان يُصوِّر للإنسان في مَنامه ما يُفزِعه مِن شيء في نفسه، أو ماله، أو في أَهْله، أو في مُجتَمَعه؛ لأن الشيطان يُحِبُّ إحزان المؤمِن، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة:١٠].

فكل شيء يُنكِّد على الإنسان في حياته ويُعكِّر صَفوَه عليه فإن الشيطان حريص عليه، سواءٌ ذلك في اليَقَظة أو في المنام؛ لأن الشيطان عَدُوٌّ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦].

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦٢٢)، ومسلم: كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، رقم (٢٢٧٢)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا النوع الأخير أَرشَدنا رسول الله ﷺ إلى التَّحرُّز مِنه، فأَمَر مَن رَأى في مَنامه ما يَكرَه أن يَستعِيذ بالله مِن الشيطان، ومِن شرِّ ما رأى، وأن يَتفُل عن يَساره ثلاث مراتٍ، وأن يَنقلِب على جَنْبه الآخَر، وأن لا يُحدِّث أحَدًا بما رأى(١)، فإذا فَعَل هذه الأمورَ فإن ما رآه مما يَكرَه في مَنامه لا يَضُرُّه شيئًا.

وهذا يَقَع كثيرًا مِن الناس، ويَكثُر السؤال عنه، لكن الدواء له ما بَيَّنه النبي ﷺ، كما في حديث جابرٍ عند مسلم: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كانَ عَلَيْهِ**»(٢). وكما في حديث أبي سعيدٍ الخدري عند البخاري: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ فَإِنَّهَا لا تَضُرُّهُ**»(٣).

وكما في حَديث أبي قَتادةَ عند مسلم قال: كُنتُ أَرى الرُّؤيا فتُمرِضُني، حتى سمِعت رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلا يُحَدِّثْ بِهَا إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِنْ رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهَا، وَلا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ**»(٤). وفي حديث أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ**»(٥). أخرجه مسلم.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التعبير، باب إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها، رقم (٧٠٤٤)، ومسلم: كتاب الرؤيا، رقم (٢٢٦١)، من حديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الرؤيا، رقم (٢٢٦٢).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله، رقم (٦٩٨٥).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الرؤيا، رقم (٢٢٦١).

(٥) أخرجه مسلم: كتاب الرؤيا، رقم (٢٢٦٣).

فأَمْر النبي ﷺ مَن رَأى مَا يَكرَه بأُمور:

١- أن يَبصُق عن يَساره ثلاثًا.

٢- أن يَستَعيذ بالله مِن شرِّ الشيطان ثلاثًا.

٣- أن يَستَعيذ بالله مِن شرِّ ما رأى.

٤- أن يَتحوَّل عن جَنْبه الذي كان عليه إلى الجنْب الآخَر.

٥- أن لا يُحدِّث بها أَحدًا.

٦- أن يَقومَ فيُصلِّي.

س(٢١٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كيف نَجمَع بين قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥٣]، **وقوله تعالى:** ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:١٣٦]؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء:٥٥]. فالأَنبياء والرُّسُل لا شكَّ أن بعضهم أَفضَل مِن بعض، فالرُّسُل أَفضَل مِنَ الأنبياء، وأُولو العَزْم مِنَ الرُّسُل أَفضَل ممَّن سِواهم.

وأُولو العَزْم مِن الرُّسُل همُ الخَمسة الذِين ذَكرهم الله تعالى في آيتين مِن القرآن؛ إحداهما في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب:٧]. محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابنِ مريمَ.

والآية الثَّانية في سورة الشُّورى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [الشورى:١٣]. فهؤلاءِ خمسةٌ وهم أَفضل ممَّن سِواهم.

وأمَّا قوله تعالى عن المؤمِنِين: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥]. فالمعنَى لا نُفرِّق بينهم في الإيمان، بل نُؤمِن أن كلَّهم رُسُلٌ مِن عِند الله حقًّا، وأنهم ما كَذَبوا، فهم صادِقون مُصدَّقون، وهذا مَعنَى قولِه: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ أي: في الإيمان، بل نُؤمِن أن كلَّهم عليهم الصلاة والسلام رُسُل مِن عِند الله حقًّا.

لكن في الإيمان المُتضمِّن للاتِّباع هذا يَكون لمن بَعدَ الرسول ﷺ خاصٌّ بالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لأنَّه ﷺ هو المتَّبَع؛ لأن شَرِيعته نَسخَت ما سِواها مِنَ الشرائِع، وبهذا نَعلَم أن الإيمان يَكون للجَميع، كلهم نُؤمِن بهم، وأنهم رُسُل الله حقًّا، وأن شريعته التي جاء بها حقٌّ.

وأمَّا بعد أن بُعِث الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنَّ جميعَ الأديان السابقة نُسِخَت بشريعته ﷺ، وصار الواجِب على جميع الناس أن يَنصُروا محمدًا ﷺ وحده، ولقد نَسَخ الله تعالى بحِكْمته جميعَ الأديان سِوى دينِ الرسول ﷺ؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨]. فكانتِ الأديان سِوى دِين الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كلُّها مَنسوخةً، لكن الإيمان بالرُّسُل وأنهم حَقٌّ، هذا أَمْر لا بدَّ منه.

س(٢١٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن مُعجِزات الرسول ﷺ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: مُعجِزات النبي ﷺ هي: الآيات الدَّالَّة على رِسالته ﷺ، وأنَّه رسول الله حقًّا كثيرةٌ جدًّا، وأَعظَم آياتٍ جاء بها هذا القرآنُ الكريمُ، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥٠-٥١].

فالقُرآنُ العظيمُ أَعظمُ آيةٍ جاء بها رسول الله ﷺ، وأَنفَع لمن تَدبَّرَها واقتَدى بها؛ لأنها آيةٌ باقِية إلى يوم القيامة.

أمَّا الآيات الأخرى الحِسِّيَّة التي مَضَت وانْقَضَت أو لا تَزال تَحدُث فهي كثيرة، وقد ذَكَر شيخ الإسلام ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملةً صالِحة مِنها في آخِر كتابه «الجواب الصحيح لمن بدَّل دِين المسيح»، هذا الكتاب الذي يَنبَغي لكل طالِبِ عِلْم أن يَقرَأَه؛ لأنَّه بين فيه شَطْح النصارى الذين بَدَّلوا دِينَ المسيح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وخَطأَهم وضَلالَهم وأنهم لَيسوا على شيء مما كانوا عليه فيما حَرَّفوه وبَدَّلوه وغَيَّروه، والكِتاب مَطبوع وبإمكان كل إنسان الحصولُ عليه، وفيه فوائد عظيمة مِنها ما أَشَرْتُ إليه، بيانُ الشيء الكثير مِن آيات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «البداية والنهاية» ذَكَر كثيرًا مِن آيات النبي ﷺ، فمَن أَحَبَّ فلْيَرْجِع إليه.



س(٢١٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: يَزعُم البعض أن نبي الله الخضِر عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يَزال حَيًّا، وأنَّه إذا مَرَّ على إنسان وطلَب مِنه الإحسانَ فقدَّمه له إن كان ذلك الإنسان فقيرًا صار غَنِيًّا، ويَأتي إلى الناس بهيئة المجانِينِ كي لا يَعرِفوه، وصار كثير مِن الناس يُقدِّمون الإحسانَ لكل مَن يَأتِيهم بمِثل تلك الهيئة ظنًّا مِنهم أن يَكون هو الخضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهل هذا الزَّعْم وارِد في سُنَّة النبي ﷺ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الكلام على هذا السؤال مِن وَجهَين:

أولًا: قول السَّائل: «أن نبي الله الخضِر» وجَزْمه بأنَّه نبيٌّ، هذا محَلُّ خِلاف بين أهل العِلْم، هل كان الخضِر نَبِيًّا، أو كان وَلِيًّا أَعطاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مِن الكَرامات ما عَلِم به مآل ما جرى بينه وبين موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟

والراجِح: أنَّه ليس بنبيٍّ، وأنَّه وَلِيٌّ مِن أَولياء الله؛ لأَدلَّة ليس هذا مَوضِعَ بَسطِها.

الوَجْه الثَّاني: مِن حيث بَقاء هذا الرجل -أَعْني: الخضِرَ- إلى الآنَ، فإن هذا لا يَصِحُّ إطلاقًا؛ لأَنَّه لو كان الخضِر حيًّا لكان يَجِب عليه أن يَأتِي إلى النبي ﷺ ويُؤمِن به ويَتَّبِعه، ولو كان حَيًّا على فرض أن يَكون حيًّا لكان قدْ مات أَيضًا؛ لأن النبي ﷺ حدَّث أصحابه في آخِر حياتِه أنَّه على رَأْس مِئة سَنَة لا يَبقَى على وَجْه الأَرض ممَّن هو عليها ذلك اليوم أَحَدٌ.

فلو فُرِض أن الخضِر قد بَقِي إلى الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لكان لا يُمكِن أن يَبقَى بعد المِئة سَنة التي أَخبَر عنها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعليه فإن الخَضِر لا وُجود له، وليس بمَوجود، ثُمَّ إن هذا الزَّعْم الباطِل الذي

يَقتَضِي السُّخْرية والاستِهزاء به، حيث يَقول: إنه يَأتي إلى الناس بصورة المجنون؛ لئلا يُعرَف، وأن مَن آتاه شيئًا وأَهدَى إليه شيئًا فإنَّه يُصبِح غنيًّا.

فإن هذا باطِل مِن أَبطَل الباطِل، ويَجِب على المؤمِن أن يَعتقِد بأن الخَضِر ليس بموجود؛ للدَّلِيلَين اللَّذين أَشَرْنا إليهما فيما سبَق:

مِن أنَّه لو كان موجودًا لم يَسَعْه إلا أن يَأتي للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ويُؤمِن به ويَتَّبِعه.

والثَّاني: أنَّه لو كان موجودًا لكان يَموت قبل أن تَأْتي المِئةُ سَنةٍ التي أَخبَر عنها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

س(٢١٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ذُكِر في بَعض كتُب السيرة أن للنبي ﷺ بَعضَ الخوارِق والمعجِزات فما مَدى صِحَّة هذه المعجِزات؟ وهل ورَدَت أَحادِيثُ تَدُلُّ عليها؟ وألا تَرَون أن هذه الآياتِ مجرَّدة له عنِ الأحوال البشريَّة؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: المعجِزة عند أَهلِ العِلْم هي: «أَمْر خارِق للعادة يُظهِره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على يَدِ الرسول تَأْييدًا له».

وقد سَمَّاها أَكثرُ أَهلِ العِلْم: بالمعجِزات، والأَولى أن تُسمَّى: بالآيات التي هي العَلامات على صِدْق الرسول ﷺ وصِحَّة ما جاء به، كما سَمَّاها الله عَزَّوَجَلَّ بذلك، وهي أَبيَن وأَظهَر مِن المعجِزات -أي: مِن هذا اللفظ-، فالأولى: أن تُسمَّى مُعجِزات الأنبياء بآيات الأنبياء.

والآيات التي جاء بها النبي ﷺ آياتٌ كثيرة حِسِّيَّة ومَعنوِيَّة، أَرضيَّة وأُفقيَّة، أخلاقية وعَمَلية، فهي مُتنوِّعة، وأَعظَمها وأَبيَنها كِتاب الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥٠-٥١].

ومِن آيات الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الأُفقية أَن رجُلًا دخَل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطُب، فقال: يا رسول الله هَلَكَتِ الأَموال، وانقطَعَتِ السُّبُل، فادْعُ الله يُغِيثُنا. فـرَفَع النبي ﷺ يديـه وقـال: «**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**» وقال أنسٌ -وهو راوي الحديثِ-: وما واللهِ في السماءِ مِن سَحاب ولا قَزْعة- أي: قِطعة غَيْم- وما بيننا وبين سَلْع من بيت ولا دار -وسَلْع جبَل مَعروف في المدينة تَخرُج مِن نحوه السُّحُب- قال أنس: فخَرَجَت مِن وَرائه سَحابة مِثْلُ التُّرْس، فلَمَّا تَوسَّطَتِ السماءَ انتَشَرَت، ورعَّدت، وبرَّقت، ثم أَمطَرت، فما نزل النبي ﷺ مِن مِنبَره إلا والمطر يَتحادَر مِن لِحيَته، وبَقِي المطر يَنزِل أُسبوعًا كاملًا، وفي الجمعة الثَّانية دخَل رَجُل -أو الرجُل الأول- فقال: يا رسول الله غَرِق المال، وتهَدَّم البِناء فادْعُ الله أن يُمسِكها عنَّا. فرَفَع النبي ﷺ يديه وقال: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ، وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**»(١).

وجعل يُشير ﷺ إلى النواحي، فما أَشار إلى ناحِية إلا انْفَرَجتْ، فخَرَج الناس يَمشُون في الشمس.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة (٩٣٣)، ومسلم: كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، رقم (٨٩٧)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ومَن أَراد المزيد مِن ذلك فلْيَرْجِع إلى ما كتَبه الحافِظ ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب البداية والنهاية، وإلى ما ذَكَره مِن قَبلِه شيخُ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كِتاب الجواب الصحيح لمن بدَّل دِين المسيح، وكتبَ غيرُهما كَثيرٌ مِن أهل العِلْم في هذه الناحية.

وآيات الأنبياء فيها ثلاث فوائِدُ:

الأُولى: الدَّلالة على ما تَقتَضِيه مِن صفات الله عَزَّوَجَلَّ مِن القُدْرة، والحِكْمة، والرحمة، وغير ذلك.

الثَّانية: تَأْيِيد الرُّسُل عليهمُ الصلاة والسلام، وبَيان أَنهم صادِقون فيما جاؤوا به.

والثَّالثة: رحمة الخَلْق، فإن الخَلْق لو لم يُشاهِدوا هذه الآياتِ مِن الأنبياء لأَنْكروا وكذَّبوا، فتَأْتِي هذه الآياتُ ليَزْدادوا طُمأنينةً، ويَقبَلوا ما جاءت به الرُّسُل، ويُذعِنوا ويَنقادوا له، والله عليم حكيم.

وأما قول السَّائل: أفلا تَكون هذه الآياتُ مجرَّدة له عن الأحوال البشرية؟

فإنَّنا نَقول له: لا، هذه الآياتُ لا تُخرِجه عن كونه بَشَرًا؛ ولهذا لـمَّا سَها النبي ﷺ في صلاته قال لهم: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ**»(١). فبَيَّن النبي ﷺ أَنَّه بَشَر، وأَنَّه يَلحَقه ما يَلحَق البَشَر مِن النِّسيان وغير النِّسيان أيضًا، إلا أَنَّه ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب التوجه إلى القبلة، رقم (٤٠١)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم (٥٧٢/ ٨٩) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

تَميَّز عن البَشَر بالوَحْي الذي أَوحاه الله إليه، وبما جَبَله عليه اللهُ تعالى مِن مَكارِم الأَخلاق، ومَحاسِن الأعمال، مِن الصبر، والكرَم، والجود، والشجاعة، وغير ذلك مما كان به أَهلًا للرسالة، والله أَعلَم حيثُ يَجعَل رِسالَته.

وليُعْلَم أن الرسولَ ﷺ لا يَعلَم الغَيْب ولا يَملِك لنَفْسه نَفعًا ولا ضَرًّا، ولا يَملِك ذلك لغيره أيضًا، فقد قال الله له: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأنعام:٥٠]. وقال الله له: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴿٢١﴾ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن:٢١-٢٣].

وبهذه يَتبيَّن أن مَن دعا الرسولَ ﷺ، واستَنْجَد به بعد وَفاته، واستَغاث به فإنه على ضَلال مُبينٍ، قد صرَف الأَمْر إلى غير أهله، فإن الأَهْل بالدُّعاء والاستِغاثة هو رب العالَمِين عَزَّوَجَلَّ قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف:٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

فيا أَخي المسلِمَ: لا تَدْعُ غيرَ الله، فما بِكَ مِن نِعمة فمِنَ الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا مسَّك الضُّرُّ فلا تَلْجأْ إلا لله عَزَّوَجَلَّ، كما قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢].

لا والله، لا إله إلا الله الذي يَكشِف السُّوء، ويُجيب المُضطَرَّ إذا دَعاه، ويَجعَل مَن شاء مِن عِباده خُلَفاء الأرض، فاتَّقِ اللهَ في نفسِك، وضَعِ الحقَّ في نِصابه، ولا تَغْلُ في دِينِك غيرَ الحقِّ فتكونَ مُشابِهًا لأهل الكتاب مِن اليهود والنصارى.

س(٢٢٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما الرَّدُّ على من قال: كان سلامُ الرسول ﷺ ليلةَ المِعراج على الأنبياء وردُّهم عليه، كان بالرُّوح، أم بالجَسَد، أم بِهِما مَعًا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: السُّؤال لا يَنبَغِي أن يُصاغ على هذه الصِّفة، بل يُقال: هل العُروج بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم والإسراء به إلى بيت المَقدِس، هل هو برُوحه، أو برُوحه وجَسده؟

والجواب: أنَّه برُوحه وجَسده، أُسرِي به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقظةً لا مَنامًا برُوحه وجَسَده؛ لأن الله تعالى قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١]. ولم يَقُلْ: برُوح عَبْده.

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة النجم: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم:١-١٠]. إلى آخِر الآيات، كلها تَدُلُّ على أن النبي ﷺ عُرِج به ببَدَنه يَقظانَ وليسَ بِنائِمٍ، ويَدُلُّ لذلك مِن الواقِع أن قُريشًا لـما

أَخبَرَهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم[1] بما رَأَى في تِلك الليلة صاحوا عليه، وكذَّبوه، وأَنكروا ذلك غايةَ الإنكار، ولو كانت برُوحه، أو رُؤيا رآها لَمَا أَنْكروا هذا عليه؛ لأن العَرَب لا يُنكِرون المَرائي، والإنسان يَرَى في مَنامه أَنَّه سافَر إلى أبعد شيء، وأَنَّه فعَل وفعل وفعل، مع أَنَّه لو كان يَقظانَ ما حصَل له ذلك.

فالحاصل: أن القول الراجِح -بلِ المُتعَيِّن- أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أُسرِي به برُوحه وجَسدِه يَقظانَ وليسَ بنائِمٍ.

س(٢٢١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عنِ الإسراء والمِعراج برسول الله ﷺ، هل صعِد إلى سِدْرة المُنتَهى برُوحه وجَسَده، أم رُوحِه فقط؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: المِعراج الذي حَصَل للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان بجَسَده وروحِه، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١]. وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم:١-١٠].

والعبدُ -وكذلك الصاحِبُ- لا يَكون إلا في الرُّوح والجسَد، فالنبي ﷺ أُسرِي به بجَسَده ورُوحه، وعُرِج به إلى السَّموات حتى بلَغ مُستَوًى بجَسده

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب حديث الإسراء، رقم (٣٨٨٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم، رقم (١٦٤)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ورُوحه ﷺ، ولو كان ذلك برُوحه فقط ما أَنكَرَت قُريشٌ ذلك؛ إذ إِنَّ المناماتِ يَقَع مِنها شيء كثير مِن جِنْس هذا، ولكنه كان ﷺ قد أُسرِي به بجَسدِه ورُوحِه وعُرِج به إلى السَّموات كذلك.

س(٢٢٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما العِبرُ والمواعِظ مِنَ الإسراء والمِعراج؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أُحيلُ السَّائلَ إلى ما كتَبه أهل العِلْم في ذلك؛ لأنَّ حديثَ المِعراج حديثٌ طويل يَحتاج إلى مجالِسَ، ولكن لِيَرْجِعْ إلى ما كَتَبه ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب البداية والنهاية في قِصَّة المعراج، وما كتَبه العُلَماء في الحديث على ذلك كفَتح الباري، وشرْح النووي على صحيح مسلم، وغيرها مِن الكتُب، وإنما نُشير إشارةً مُوجَزةً لقِصَّة المِعراج:

فالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أَسرَى به الله تعالى ليلةً مِنَ المسجد الحرام إلى المسجد الأَقْصى، كان نائِمًا في الحِجْر فأُسرِي به مِن هناك.

والحِجْر هو: الجُزْء المُقتَطَع مِن الكَعبة والمقَوَّس عليه بالجدار المعروف، أُسرِي به من هناك عَلَيهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى بيت المقدس، وجُمِع له الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وصلَّى بِهِم إمامًا، ثم عَرَج به جبريل إلى السماء الدنيا فاستَفْتح ففُتِح له، ثم الثَّانية، ثم الثَّالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة.

وجَد في الأولى آدمَ، ووجد في السابعة إبراهيمَ عَلَيهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ووصَل إلى مَوضِعٍ لم يَصِلْه أَحَد مِن البَشر، وصل إلى مَوضِع سَمِع فيه صريف الأَقلام التي

يُكتَب بها القَدَر اليَومِيُّ، إلى سِدْرة المنتهى، ورأى مِن آيات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ما لو رآه أحَد سِواه لزاغَ بَصَرُه ولخبل عَقْله، لكن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ثبَّت هذا النبيَّ الكريمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتى رأى مِن آيات ربه الكُبرى، وفرَض الله عليه الصلواتِ خمسين صلاة في كل يوم وليلة.

وقيَّض الله موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حين مَرَّ به رسول الله ﷺ أن يَسأَل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ماذا فَرَض الله عليه وعلى أُمَّته؟ فأَخبَره بأن الله تعالى فرَض عليه خمسين صلاةً في كل يوم وليلة، فقال له: إن أُمَّتَك لا تُطيق ذلك، ارجع إلى ربِّكَ فاسأله التخفيفَ.

فما زال نَبيُّنا صلوات الله وسلامه عليه يُراجِع اللهَ حتى استَقَرَّت الفريضة خمسَ صلوات في كل يوم وليلة، بدلَ خمسين صلاةً، لكنها بنِعمة الله وفَضْله كانت خمس صلوات بالفِعل وخمسين في الميزان، فإذا صلَّينا خمس صلوات فكأننا صلَّينا خمسين صلاة، والحمد لله رب العالَمِين.

وفي قِصة فرْض الصلوات في هذه الليلة التي هي أَعظَم ليلة في حق الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأنها خَمسون صلاة، وأنها فُرِضت مِن الله إلى رسوله بدون واسطة، فيه دليل على عناية الله تعالى بهذه الصلوات، ومَحبَّته لها، وأنها أَعظَم الأعمال البدنيَّة في الإسلام؛ ولهذا كان تارِكها كافِرًا مُرتَدًّا خارِجًا عن الإسلام.

وقدِ اختَلَف الناس في ليلة المِعراج والإسراء: هل هما في ليلة واحدة، أو في ليلَتَيْن؟ وهل كان الإسراء برُوحه، أو بدَنه ورُوحه؟

والصواب: أنهما في ليلة واحدة، وأنَّه أُسرِي بالرسول ﷺ برُوحه وبدَنه.

ثم انقَسَم الناس في ليلة المعراج في أيِّ ليلة هي، وفي أيِّ شهر هي؟

وأَقرَب الأقوال: أنها كانت قبل الهِجرة بثلاث سنوات، وأنها كانت في ربيعٍ الأولِ، وليست في رجب، وقدِ ابتَدَع بعض الناس في هذه الليلة بِدَعًا لم تكُن مَعروفة عند السَّلَف، فصاروا يُقيمون ليلة السابع والعشرين مِن رجب احتِفالًا بهذه المُناسَبة، ولكن لم يَصِحَّ أن ليلة الإسراء والمِعراج كانت في رجب، ولا أنها في ليلة سَبعٍ وعشرين منه، فهذه البِدعةُ صارَت خطَأً على خطَأٍ.

وهي خَطأٌ مِن الناحية الدِّينية؛ لأنها بِدْعة، فإن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يَحتَفِل بها، ولا الخُلَفاء الراشدون، ولا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولا أئمَّة المُسلِمين مِن بعدهم.

وخطأٌ مِن الناحية التارِيخيَّة؛ لأنها لم تَصِحَّ أنها في سبعٍ وعِشرِين مِن رجب.



س(٢٢٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: عمَّن يَعتَقِد أن النبي ﷺ نورٌ مِن نُور الله وليس ببَشَر، وأنَّه يَعلَم الغَيْب، ثم هو يَستَغِيث به ﷺ مُعتَقِدًا أنَّه يَملِك النَّفْعَ والضُّرَّ، فهل تَجوز الصلاة خَلْف هذا الرجل أو مَن كان على شاكِلته؟ أَفيدونا جزاكمُ الله خيرًا.

فأَجابَ بقَوْلِهِ: مَنِ اعتقَد أن النبي ﷺ نُور مِن الله وليس ببَشَر وأنَّه يَعلَم الغَيْب فهو كافِر بالله ورسوله، وهو مِن أعداء الله ورسوله، وليس مِن أَولياء الله ورسوله؛ لأن قوله هذا تَكذيب لله ورسوله، ومَن كذَّب الله ورسولَه فهو كافِر، والدَّليل على أن قوله هذا تَكذيب لله ورسوله قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف:١١٠].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]. وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام:٥٠]. وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨]. وقوله ﷺ: «**إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَما تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي**»(١).

ومَنِ استَغاث برسول الله ﷺ مُعتَقِدًا أنَّه يَملِك النَّفْع والضُّرَّ فهو كافِر مُكذِّب لله تعالى مُشرِك به؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن:٢١-٢٢]. وقوله ﷺ لأَقاربه: «**لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**» كما قال ذلك لفاطمةَ وصَفيةَ عَمةِ رسول الله ﷺ(٢).

ولا تَجوز الصلاة خَلْف هذا الرجُل ومَن كان على شاكِلته، ولا تَصِحُّ الصلاة خَلْفه، ولا يَحِلُّ أن يُجعَل إمامًا للمُسلِمين.



(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب التوجه إلى القبلة، رقم (٤٠١)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم (٥٧٢/ ٨٩) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب؟، رقم (٢٧٥٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، رقم (٢٠٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٢٢٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: ما حُكْم الغُلُوِّ في محبَّة الرسول الكريم ﷺ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الغُلُوُّ في محبَّة الرسول ﷺ -بمَعنَى أن يَتجاوَز الإنسانُ الحدود، ويَقول: إن ذلك مِن محبَّة الرسول- مُحرَّم؛ لأن النبي ﷺ نَهى عنِ الغُلُوِّ فيه[1].

ثم إن الذي يَغلُو في الرسول عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ويَرفَعه فوق مَنزِلته التي أَنزَله الله عَزَّوَجَلَّ مُدَّعِيًا أنَّه يُحِبُّه قد كذَّب نفسَه؛ لأن المُحِبَّ يَأخُذ بنصائِح حبيبه، ويَتَّبع حبيبَه، ولا يُخالِف حبيبه، والغالي في الرسول عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُخالِف للرسول ﷺ، فكيف يَدَّعي حُبَّ الرسول وهو يَعصِي الرسولَ؟!

ولهذا نَقول: مَن كان للرسول عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَشدَّ اتِّباعًا فهو أَصدَق محبَّةً، ومَن خالَف الرسول عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقد نَقَص مِن محبَّة الرسول بقَدْر ما خالَف فيه الرسول، فلا يُغترُّ بهؤلاء الغُلاة الذين يَغلُون برسول الله ﷺ ويَنتَحِلون أحاديثَ لا زِمامَ لها، بل هي مما يُعلَم بالضرورة مِن دِين الإسلام أنها مَوضوعة مَكذوبة، فلا يُغترَّ بهؤلاء، ويُقال لهم كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١].

وأَمَّا إِنشاد القَصائد الحزينة، وهزُّ الرُّؤوس عِندها، والتَّصفيق والخِفَّة بزَعْم أن هذا مِن تَعظيم الرسول ﷺ، فكُلُّ هذا مُخالِف لهَدْي الرسول عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإن كُنْت صادِقًا في محبَّته صلوات الله وسلامه عليه فعَلَيك باتِّباعه، فلا تَتَقاصَر عنه، ولا تَتجاوَزْه، فكل خير في الاتِّباع، وكل شرٍّ في الابتِداع.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، رقم (٣٤٤٥)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإذا أَردْتَ أن تَزِنَ عَملَك بمِيزان قِسْط فانظُر إلى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين هم أَقرَب إلى الحقِّ مِن غيرهم، وأَقرَب إلى رسول الله ﷺ مِن غيرهم؛ حيث عايَشوه وناصَرُوه، وشرَّفهمُ الله تعالى بصُحبته، هل عمِلوا هذا العمَلَ؟

إذا كانوا عمِلوه فهم على حقٍّ، وإذا لم يَعمَلوه فهو باطِل؛ لأنَّه لا يُمكِن لخَلَف الأُمَّة أن يَكونوا خيرًا مِن سَلَف الأُمَّة، وكيف يُمكِن ذلك وقد قال النبي ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١).

فالحذر مما أحدث في دين الله من البدع التي مضمونها الغلو في رسول الله ﷺ، مع استِحضار قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]. فرِضا الله عن الأَتْباع لا يَكون إلا إذا اتَّبَعوا بإحسان، والاتِّباع بإحسان هو: ألا يُقصِّر الإنسان عن هَديهم ولا يَتجاوَز هَديَهم.

س(٢٢٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل كان النبي ﷺ يَقرَأ أَم كان أُمِّيًّا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: النبي ﷺ كان أُمِّيًّا؛ لقول الله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ﴾ [الأعراف:١٥٨]. ولقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم (٢٦٥٢)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٣/ ٢١٢) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت:٤٨]. فهو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان أُمِّيًّا لا يَقرَأ ولا يَكتُب، فلمَّا نَزَل عليه القرآن صار يَقرَأ.

ولكن هل كان يَكتُب؟

والجواب أن نَقول: هذا مَوضِع خِلاف بين أهل العِلْم.

فمِنهم مَن قال: إن النبي ﷺ بعد أن أُنزِل عليه الوحيُ صار يَقرَأ ويَكتُب؛ لأن الله إنما قيَّد انتِفاء الكِتابة قبل نُزول القرآن، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت:٤٨]، وأمَّا بعد ذلك فقد كان يَكتُب.

ومِنَ العُلَماء مَن قال: إنه لم يَزَلْ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ غير كاتِب حتَّى توفَّاه الله.

س(٢٢٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل يُرَى النبي ﷺ في الرُّؤيا؟ وهل مِن شَرْط أن يَراه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إيمانُ العَبْد؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نَعَم، الإنسان قد يَرَى النبي ﷺ في المنام، وليس مِن شرْط الإيمان أن يَرَى الإنسان النبي ﷺ، ولا مِن مُقتَضَيات الإيمان أن يَرَى النبي ﷺ، بل قد يَراه الإنسان المؤمِن، وقد لا يَراه، وكونه يَرَى النبي ﷺ لا يَدُلُّ على أنَّه أَكمَل الناس إيمانًا، وكونه لا يَراه لا يَدُلُّ على ضَعْف إيمانه، ولكن المُهِمَّ أننا لا نَحكُم بأنَّه رأى النبي ﷺ حتى يَراه على صِفَته التي هو عليها ﷺ، فأمَّا إن رأى شخْصًا ووَقَع في نفسه أنَّه النبي ﷺ، أو سمِع مَن يَقول: إنه النبي ﷺ، فإن ذلك لا يَدُل على أنَّه هو النبي ﷺ إذا لم يَكُن على الأوصاف التي كان عليها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا شرْطٌ لا بُدَّ مِنه وهو: أن يَكون المَرْء الذي رآه الإنسان أَوصافُه تَنطبِق تمامًا على أَوصاف النبي ﷺ، فإن بَعْض الناس يَرَى شخصًا يَقَع في نفسه أو يَسمَع قائِلًا يَقول: إن هذا رسول الله، وليس هو رسولَ الله ﷺ؛ لأن أَوصافه لا تَنطَبِق على أَوصاف الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

س(٢٢٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل ما كان يَفعَله الرسول مِنَ الأُمور الخاصَّة به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُعتبَر مِنَ السُّنَّة ويُثاب فاعِلها؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الأُمور الخاصَّة بالرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خاصَّة به، وليس فيها تَعلُّق لغَيره، ومِنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الأحزاب:٥٠].

فالنّكاح بالهِبة لا يَنعقِد ولا يَصِحُّ إلا لرسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لأن اللهَ قال: ﴿خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

ومِثله: الوِصال في الصَّوْم، وهو: ألا يُفطِر الإنسان بين اليومين، مَنهِيٌّ عنه إلا للرَّسول ﷺ؛ ولهذا لـمَّا نَهى النبي ﷺ عن الوِصال، قالوا: يا رسول الله، إِنَّك تُواصِل فقال: «إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ»(١) فبيَّن الرسول ﷺ أن الأُمَّة لا تُساوِيه بهذا

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب بركة السحور، رقم (١٩٢٢)، ومسلم: كتاب الصيام،

الحُكْم، فما كان خاصًّا بالرسول ﷺ فهو خاصٌّ به، لا يَشمَل حُكْمه الأُمَّةَ.

وأمَّا ما لم يَقُم دليل على الخصوصيَّة به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فإن أَصلَه أن الأُمَّة تَتأَسَّى برسول الله ﷺ فيما فعَل؛ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]. وهذه أُمور تَعبُّديَّة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾.

أمَّا الأُمور العادِيَّة: ففِعْل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لها يَدُلُّ على إِباحتها، ولكنها تَكون مِن العادة، فلا يُحكَم عليها بأنها سُنَّة مَطلوبة بعَيْنها.

وأَمَّا الأُمور التي يَفعَلها النبي ﷺ على سبيل الجِبِلَّة والطبيعة مِثل: الأكل والشرب والنَّوْم، فهذا ليس له حُكْم؛ لأَنَّه يَفعَله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بمُقتَضى الطبيعة والجِبِلَّة، لكن قد يَكون هذا النوع يَشتَمِل على أَمْر مَشروع، مثل: النَّوْم على الجَنْب الأيمنِ، ومِثل الأكل باليمين، والشرب باليمين، وما أَشبَه ذلك.

فالحاصل: أن أَفعال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَسَّمها أهل العِلْم إلى أَقسامٍ مُتعَدِّدةٍ، والبحث فيها مُطوَّل ومَذكور في كتُب أُصول الفِقه، فمَن أَحَبَّ أن يُراجِعه فلْيُراجِعْه هناك.

س(٢٢٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما مَعنى «مُكَلَّم» في حديث: «أَنَبِيًّا كَانَ آدَمُ؟»؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: قد تَقرَّر أن السؤال مُعاد في الجواب، فالرجُل الذي سأل النبي

= باب النهي عن الوصال في الصوم، رقم (١١٠٢)، من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: أَنَبِيًّا كان آدَمُ؟ أَجابه النبي ﷺ بقوله: «نَعَمْ». أي: كان نَبِيًّا[1].

وعلى هذا فيَكون «مُكَلَّم» مِن باب تَوكيد نُبوَّته، أي: كان نَبِيًّا ومُكَلَّمًا أيضًا، وقِصَّة تَكليم الله له مشهورة في الكتاب والسُّنَّة.

س(٢٢٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: لِمَ لَمْ يَكُن آدَمُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **رسولًا مع أن ذُرِّيَّته في حاجة إلى مَن يَأمُرُهم ويَنهاهم؟**

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا سؤال مُهِمٌّ جِدًّا وما رَأيت أحدًا تَكلَّم عليه، وسوف أَذكُر -بحول الله- ما يَمُنُّ به الله عليَّ بصَدَده، فإن كان صوابًا فمِن الله، وله الحمد والمنة، وإن كان خطأً فمِنِّي والله ورسوله بَرِيئان منه.

فأَقول وبالله التَّوفِيق: إن الرسالة أَمْر ضَروري للإنسان لا يُمكِن أن تَستَقيم أُموره الدِّينيَّة والدُّنيويَّة إلا بها، وكلَّما كانت الحال إليها أَحوَجَ كان تَحصيلُها أبلَغَ ضرورةٍ وأَمسَّ حاجةٍ.

ولما كان الناس حين خُلِق أبيهم في قِلَّة، ولم يَكُن لديهم مِن عِمارة الأرض وزَهرة الدُّنيا ما يُوجِب اشتِغالهم به، وصدَّهم عن مُقتَضى الفِطرة التي خُلِقوا عليها، كانت نُبوة أَبيهم وعِلْمه بما يُوحَى إليه كافيةً في رَشادِهم، فإنه مِن السهْل عليهم أن يُقلِّدوا أَباهم حينذاك؛ لوجود الأسباب وانتِفاء الموانِع.

فإن الفِطْرة التي خُلِقوا عليها، وعدَم ما يَشغَلُهم عنِ العمَل بمُقتَضاها يُوجِب أن يَكونوا مُقلِّدين لأَبيهم في عمَله الذي أُوحِيَ إليه.

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٧٨)، من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وأيضًا: لو بعَث الله آدمَ إليهم لكان في ذلك فوات للخِصِّيصة التي ادَّخَرها الله لنبيِّنا محمد ﷺ مِن عُموم الرسالة، وإن كان هذا قد يُمكِن الجواب عنه: بأن محمدًا ﷺ بُعِث إلى الثَّقَلَين الجن والإنس، بخِلاف آدمَ لو فُرِضَت رِسالته، فإنَّما تَكون رِسالته إلى الإنس فقط، وهذا -أَعنِي: كونَ رِسالة النبي ﷺ عامَّةً للجِنِّ والإنس- كافٍ في تَخصِيصه.

وأيضًا: فإن في عَدَم إرسال الرسول إليهم في ذلك الوقت فائِدةً، وهي: أن يَتَبَيَّن للناس أَنَّه لولا وُجود الموانِع والعوائِق لكان الناس بفِطْرتهم سَريعي الانقِياد إلى الحقِّ والعِبادة، ولذلك كلَّما كثُرَتِ الأسباب والعوائِق عن اتِّباع الرُّسُل كان أبعدَ للعبد مِنِ اتِّباعِهم، فأكثَرُ مَن يَمتَنِع عن اتِّباع الأنبياء هم: المَلأ، والأشراف، ونحوه مِن ذَوِي الرئاسة.

ولـمَّا طال الأمَد وكثُر الناسُ وكثُرَتِ الأسباب المُؤَدِّية إلى الإعراض عن الشرْع، واختَلَف الناس، بعَث الله النبيين مُبشِّرين ومُنذِرين، فكان أولَ رَسول بعثَه الله تعالى نوحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثم تَتابَع الرُّسُل بعد ذلك، ولله الحمد.

س(٢٣٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن وصْف الرسول ﷺ بأنَّه رَحمةٌ للعالَمِين، وهل يُطلَق على الرسول ﷺ بأنَّه كريم وعَليم ورَحيم وحكيم ممَّا هو مِن صِفات وأَسْماء الله عَزَّوَجَلَّ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أما وصْف النبي ﷺ بأنَّه رَؤوف رحيم فهذا قد جاء في القُرآن الكريم، لكنه مُقيَّد بالمُؤمِنين، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

وأمَّا كونه رحمةً، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]. لكن ليس مَعنى الآية أنَّه هو الرحمة، بل مَعناه: إن الله رحِمَ به الخَلْق، فما أَرسلْناك إلا لنَرْحَم الخَلْق بكَ، فإن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو الدالُّ على الله عَزَّوَجَلَّ المُبيِّن شرِيعَتَه الداعِي إليها، فكان بعْثُه وإِرساله رحمةً للعالَمِين في الدنيا والآخِرة.

وأمَّا قول السَّائل: هل يُطلَق على الرسول ﷺ مما هو مِن صِفات وأَسْماء الله عَزَّوَجَلَّ؟

فالجواب: لا نَقول به؛ لأن مِن أَسْماء الله وصِفاته ما يَختَصُّ به عَزَّوَجَلَّ، فالله هو الجبَّار، والمتكبِّر، والقُدُّوس، وما أَشبَهها، وذلك مما لا يَصِحُّ أن يُوصَف بها أَحَد سِوى الله عَزَّوَجَلَّ.

س(٢٣١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: يَفهَم البعض بأن الرسول ﷺ مَعصوم مِنَ الخطأِ، بدليل قوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم:٣]، ولكن ما وَقَع للرسول ﷺ مِثْل السهو في الصلاة هل يَدُلُّ على وقوع الخطأِ مِنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا السَّائِلُ لا شكَّ أنَّه يُؤمِن بأن محمدًا رسول الله، وإذا كان يُؤمِن بأن محمدًا رسول الله ﷺ فكَفَى، وما وَقَع مِنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فإنه لا يُنافِي الرسالة، فالسهو وَقَع منه في الصلاة، ولكنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال:

«إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ»(١). وعدم العِلْم وقَع مِنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقد صلَّى ذاتَ يوم بأصحابه وعليه نَعْلاهُ، وفي أثناء الصلاة خَلَع النَّعلَين، فخَلَع المسلِمون نِعالهم، فلمَّا سلَّم سَأَلهم: لماذا؟ قالوا: يا رسولَ الله، رَأيناك خَلَعْت نَعليكَ فخَلَعْنا نِعالَنا. فقال: «إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي وَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَذَرًا فَخَلَعْتُهُمَا»(٢).

فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم صلَّى في نَعليه ولم يَعلَم أن فيهما قَذَرًا، وهذا أيضًا مِن طبيعة البَشَر أن الإنسان جاهِل، وهو الأصل في الإنسان، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨].

ونبيُّ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم قد يَجتَهِد في أَفعاله ولا يَكون اجتِهاده مُصيبًا، لكنه حين فِعْله للشيء الذي صَدَر مِنه عنِ اجتِهاد هو مُصيب، كما في قول الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس:١-١١]. فهذا وقَع اجتِهادًا مِنَ النبي ﷺ بأن يَنصَرِف إلى هؤلاء الكُبَراء الذين جاؤوا إليه مِن قُرَيشٍ يَرجو إسلامَهم ويَنتفِع بإسلامهم قَومُهم والمسلِمون جميعًا.

ومِثل قول الله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب التوجه إلى القبلة، رقم (٤٠١)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم (٥٧٢/ ٨٩) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٩٢)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل، رقم (٦٥٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [التوبة:٤٣]، فاجتَهَد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعفا عنهم؛ لمحَبَّته ﷺ للعَفْو، وأَخَذ الناس بظَواهِرِهم، وهو حين عفا عنهم مُصيب، لكن بَيَّن الله عَزَّوَجَلَّ له أن الحِكْمة هي الانتِظار، وهذا لا يَخدِش بالرسالة، فالنِّسيان مِن طَبيعة الإنسان، وعدَمُ العِلْم هو أصل الإِنسان أَنَّه لا يَعلَم، وإذا وقَع مِنَ الرسول ﷺ مِثلُ هذا فإِنَّه والله لا يَخدِش بالرِّسالة.

وأَمَّا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ [النجم:٣]، فالمعنَى: أَنَّه ﷺ لا يَنطِق نُطقًا صادِرًا عن هوًى، وإنَّما نُطْقه إمَّا:

عن وَحْي مِن الله.

وإمَّا عنِ اجتِهاد.

فليس كغَيره ممن يَنطِق عن الهوَى، ويَتكلَّم بما يَهوى، سواء كان الحقَّ أو غيرَ الحقِّ.

وإني أَنصَح هذا السَّائِلَ وغيرَه: ألا يَتعمَّقوا في مِثل هذه الأُمور فيُلقِي الشيطان في قُلوبهم شرًّا، فالإنسان غيرُ آمِن مِن الشيطان، أَلَيس النبي ﷺ ذاتَ ليلة وهو مُعتكِف قام يَقلِب صفيةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا حين جلَست عِنده ساعة مِن الليل في مُعتكفه، فقام يَقلِبها عَلَيهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ -أي: يَمشي مَعها- فأَبصَر به رَجُلان مِنَ الأنصار فأَسرَعا خوفًا وخَجلًا مِنَ النبي ﷺ وحياءً، فقال: «**عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ**» فقالا: سبحان الله. قال: «**نَعَمْ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا**»، أو قال: «**شَرًّا**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه (٢٠٣٨)، ومسلم: كتاب السلام، باب يستحب لمن رئي خاليا بامرأة، رقم (٢١٧٥)، من حديث صفية رَضِيَٱللَّهُعَنهَا.

فانظُر إلى رسول الله ﷺ خاف أن يُلقِي الشيطان في قُلوبِهما ما لا يَليق به عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهما مِنَ الصحابة رِضوان الله عليهم، فالبَحْث في هذه الأُمور والتَّعمُّق فيها قد يَكون خَطَرًا على الإنسان وهو لا يَشعُر.

فالأَولى بالإنسان: أن يَدَع البحث في هذه الأمور، وأن يَشهَد بأن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو أَبعَد الناس أن يَقول عن هوًى أو أن يَحكُم بالهوى، بل هو الصادِق الأَمين عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ثم إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مَعصومون مِن كلّ ما يُخِلُّ بالإِخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، فلم يَقَع مِنهم الشِّرْك، ومَعصومون عن كل ما يُخِلُّ بالمَروءة والخُلُق، فلم يَقَع منهم ما يُنافي ذَلك.

وأمَّا بعض الذُّنوب: فيَقَع منهم، لكن مِن خَصائصهم أنَّهم مَعصومون من الاستِمرار فيها وعدَم التوبة، وإذا تاب الإنسان مِن الذَّنْب فكَمَنْ لا ذَنْب له، بل قد تَكون حاله بعد التَّوبة مِنَ الذَّنْب أَكمَل مِن حاله قبل أن يَفعَل الذَّنْب.

وبهذه المُناسبةِ أَوَدُّ أن أُبيِّنَ: أن ما ذُكِر في الإسرائيليات عن داود عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في قِصَّة الخَصْمَين الذين اختَصَما عنده وقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِى بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص:٢٣-٢٤].

في بعض الإسرائيليات أن داودَ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان له أَحَد الجنود، وكان عِند هذا الجندي امرأةٌ أَعجَبَت داودَ وأرادَها، فطلَب مِن هذا الجُندي أن يَذهَب

للجِهاد؛ لعله يُقتَل فيأخُذ زوجته، فهذه قصة مَكذوبة، ولا يَجوز لأحَد أن يَنقِلها إلا إذا بَيَّن أنها كذِب، ولا يَجوز اعتِقادها في نبيٍّ مِن أنبياء الله، فهذه لا تَليق ولا مِن عامَّة الناس، فكيف بنبيٍّ؟! ولا أَستبعِد أن هذه مِن دَسائِس اليهود الذين دَسُّوها على المسلِمين؛ ليُفسِدوا بذلك دِينَهم.

والقَضيَّة هي: أن هذا الرجل مع خَصْمه عنده نَعجةٌ واحِدة، أي: أُنثَى من الضأْن، وكان أَخوه -أي: خَصْمه- عنده تِسْع وتِسعون نعجةً فقال له: أنت ليس عِندك إلا واحدة لا تُغنِي شَيئًا، وأنا عندي تِسع وتِسعون وباقِي واحدة وتَكتمِل المئة، والإنسان يَنظُر إلى تَكميل العدَد. فطلَب منه هذه الواحدةَ، وجَعل يُورِد عليه الحُجَج حتَّى غَلَبه في الحُجَج، فاختَصما إلى داودَ.

فإذا قال قائِل: ما تَقول في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص:٢٤].

فالجواب سَهْل: داود عَلَيْهِ السَّلَامُ جعَلَه الله خليفةً في الأرض يَحكُم بين الناس، وكونه يَدخُل مِحرابه -أَي: مُتعبَّده- ثم يُغلِق الباب خِلاف ما كُلِّف به، وهو مُجتَهِد في ذلك لا شكَّ، ثم إنه حَكَم على الخَصْم قبل أن يَسمَع حُجَّة الآخر المَحكوم عليه، فلما قال الخَصْم: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص:٢٣-٢٤].

فحَكَم قبل أن يَسمَع حُجَّة الخصْم، ولعله مِن أَجْل أن يُسرِع للتَّفرُّغ للعِبادة، فلمَّا جاءت هذه القِصَّة، وأَخَذ بقول الخَصْم، وكان قد أَغلَق الباب ظَنَّ داودُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن الله تعالى أَرسَل هذَينِ الخصْمَينِ اختِبارًا له، كما ذَكَر الله عنه بقوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ﴾.

فإن قال قائِل: ما تَقولون في قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لِهِنْدٍ حين شَكَتْ زَوجَها أبا سُفيانَ أَنَّه رجُل شحيح لا يُعطِيها وولَدَها ما يَكفِيهم، فقال: «**خُذِي مِنْ مَالِهِ مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالمَعْرُوفِ**». فحكَم لها.

فالجواب: أن حُكْم النبي ﷺ فُتْيا، وليست قَضاءً بين خَصْمَين؛ لأن خَصْمها لم يَحضُر، فهو أَفتاها على صورة القَضيَّة بدون مُحاكَمة ومُخاصَمة.

س(٢٣٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مَعصومون مِنَ الخَطَأِ حتَّى في غير أمور الشريعة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يَتكلَّمون بوَحْي منَ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وهمْ مَعصومون مِن كلِّ خطأ يُخِلُّ بصِدْقهم وأَمانتهم، وهذا هو محَلُّ الثِّقة فيهم.

وأمَّا ما نَتَج عنِ اجتِهاد مِنهم: فإنهم قد يُخطِئون فيه، فإن نوحًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سأَلَ ربَّه أن يُنجِيَ ابنه، فقال الله له: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٦].

ورسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حرَّم ما أَحَلَّ الله له اجتِهادًا منه، فقال الله له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [التحريم:١-٢]. وعفا عن قَوم استَأْذَنوه في الجِهاد، فقال الله له: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة:٤٣].

لكنهم مَعصومون مِن الإقرار على الخطأ، فلو حَصَل مِنهم خَطأ في اجتِهاد اجتَهَدوه عليهم الصلاة والسلام فإن الله تعالى يَعصِمهم مِنَ الاستِمرار فيه، بخِلاف غيرهم فإنَّهم لا يُعصَمون مِن ذلك.

س(٢٣٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: هل هناك فَرْق بين المعجِزات وآيات الأنبياء؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: آيات الأنبياء هي المعجِزات، وسَمَّاها بعض المتأخِّرين مُعجِزاتٍ، والصواب أنَّها آياتٌ؛ لأنَّها جمَعَت بين أَمرَين:

بين كون البَشَر لا يَستَطيعون مِثلها، وهذا إعجاز.

وكونها دَليلًا على نُبُوَّة هذا النبي ورِسالته، وهذه آية وعَلامة.

ولهذا يَنبَغِي: أن نُسمِّيَ ما تَأتي به الأنبياء مِن المعجِزات، نُسمِّيها: آياتٍ، كما سَمَّاها الله تعالى في كِتابه.

وهناك مُعجِزات وليست بآيات لكنها مِن الشياطين، فالساحِر رُبَّما يُرى طائرًا في الجوِّ، وهذا مُعجِز لا يَستطيع البشَر أن يَفعَلوه، لكنه مِن فِعْل الشياطين.

وهناك كرامات يُكرِم الله بها مَن شاء مِن عِباده الأولياء والصالِحين تكون مُعجِزة، لكنها آية على صِحَّة ما كان عليه هذا الوَلِيُّ، وعلى صِحَّة الشريعة التي كان يَعمَل بها.

ولهذا نَقول: كُل كَرامة لوليٍّ فهي آية للنبي الذي يَتَّبِعه هذا الوليُّ؛ لأنها شاهِد مِن الله على صِدْقه، وكرامات الأولياء مَوجودة في الأُمَم السابقة، وفي هذه الأُمَّة، ولا تَزال فيها إلى يوم القيامة.

ففي الأُمَم السابقة أصحاب الكهف اعتَزَلوا قومهم المشرِكين، فهَيَّأ الله لهم غارًا، وألقى عليهم النوم ثلاثَ مئةِ سنةٍ وازدادوا تِسعًا، وفي هذه المُدَّة لم يَتغَيَّرْ منهم شيء، فلم يَحتاجوا لطَعام، ولا لشراب، ولا لبَول، ولا لغائِط، ولم تَنْمُ أَظافِرُهم ولا شُعورهم، كأنَّما ناموا يَومًا واحِدًا؛ ولهذا لما بَعثَهمُ الله عَزَّوَجَلَّ وأيقظهم: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:١٩]. مما يَدُلُّ على أنهم لم يُصِبهم شيء مِنَ العَوارِض البَشرِيَّة لا جُوع، ولا عَطَش، ولا بَول، ولا غائِط، ولا نُمُوُّ شُعور ولا أَظفار، حتى صَلَحت أَحوال القرية وماتَت سلاطِينهم التي تُعينُهم على الشِّرْك.

وكذلك مريمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَجاءَها المَخاض إلى جِذْع النَّخْلة فقيل لها: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم:٢٥]. ففعَلت فتَساقَط الرُّطَب مِن فوقٍ إلى الأرض، ولا تَفسَد مع أنها رُطَب ليِّنة، واصطِدامها على الأرض يُوجِب أن تَتقطَّع، لكن تَبقى كأنها مجنِيَّة، كأن رَجلًا خرَفها.

فهذه مِن الكَرامات التي أَكرَم الله بها مَن شاء مِن عِباده، والكرامات في هذه الأُمَّة مَوجودة.

كما جاء أن سَارِيَةَ بْنَ زُنَيْمٍ كان أَميرًا على سَرِيَّة في العراق، وكان عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَخطُب الناس يومَ الجمُعة فسَمِعوه يَقول: يا ساريةُ! الجبلَ، يا سارِيةُ! الجبلَ. فأَمير المؤمنين يَخطُب ثم يَقول هذا الكلام، ما هذا؟! فأَخبرَهم أنَّه كشِف له عن هذا في سَرِيَّته والعدُوُّ مُحيط به، فناداه عمرُ: يا ساريةُ الجبَلَ. يَعني: ارْجِعْ إلى الجبَل، فسمِع سارِيةُ، فهذه ثلاثة أشياء: كُشِف لعمَر فشاهَدَهم، وناداهم، فسمِعوه، ولَجَؤُوا إلى الجبل بقِيادة السُّلطان وهو على مِنبرٍ[1]، وهذه مِن كرامات الله عَزَّوَجَلَّ لمَن شاء مِن عِباده.

ولهذا كان مِن مَذهَب أهل السُّنَّة والجماعة: التَّصدِيق بكَرامات الأَولياء.



س(٢٣٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل هناك خَصائِص اختَصَّ الله عَزَّوَجَلَّ بها الرسولَ ﷺ ولم تَكُن لغيره مِن أفراد أُمَّته؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نَعَم، الخصائِصُ التي اختُصَّ بها النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وليست لأُمَّته كثيرة جِدًّا، وقد ذَكَر الفقهاء رَحِمَهُمُ اللَّهُ في كِتاب النِّكاح خصائِصَ كثيرةً للنبي ﷺ، فمَن أَحبَّ أن يَرجِع إليها فلْيَفْعَل.

ومِن ذلك ما ذكَره الله تعالى في القرآن حيث قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا

---

(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٩/ ١٢٧) رقم (٦٧)، والبيهقي في الاعتقاد (ص٣١٤)، وانظر تاريخ الطبري (٤/ ١٧٨-١٧٩).

لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٠]. فهُنا بَيَّن الله عَزَّوَجَلَّ أن النِّكاح بالهِبة لا يَحِلُّ إلا للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

كما أن هذه الأُمَّة خَصَّها الله تعالى بخَصائصَ لم تكُن لغيرها مِن الأُمَم، كما في حديث جابر بنِ عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الثابتِ في الصحيحَين عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِياءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّما رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي**»(١). وذَكَر تمام الحديث.

فالحاصِل: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَختَصُّ مَن شاء مِن عِباده بأحكام شرعيَّة وغيرها مما لا يَكون لغيره.

س(٢٣٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل تَجوز الصلاة على الأنبياء الآخرين غير محمد ﷺ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: تَجوز الصلاة على الأنبياء السابِقين عليهم الصلاة والسلام، بل تَجوز الصلاة على غير الأنبياء مِن المُؤمِنين إن كانت تَبَعًا؛ بالنَّصِّ والإجماع،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التيمم، رقم (٣٣٥)، أخرجه مسلم: كتاب المساجد، باب جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، رقم (٥٢١)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

كما في قوله ﷺ حين سُئِل: كيف نُصلِّي عليك؟ قال: «**قَولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كَما صَلَّيْتَ عَلى إِبْرَاهِيمَ وَعَلى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[1]. وآلُ النبي ﷺ في هذه الجُمْلة هم: المُتَّبِعون لشريعته مِن قرابته وغيرِهم، هذا هو القول الراجح.

وإن كان أَوَّل وأَولَى مَن يَدخُل في «آل مُحمدٍ» همُ: المُؤمنون مِن قَرابة النبي ﷺ، لكن مَع ذلك هي شامِلة لكُلِّ مَن تَبِعه وآمَن به؛ لأَنَّه مِن آله وشِيعته.

والصلاة على غير الأنبياء تَبَعًا جائِزةٌ بالنَّصِّ والإِجماع، لكن الصلاة على غير الأنبياء استِقْلالًا لا تَبَعًا، هذه مَوضِع خِلافٍ بين أهل العِلْم: هل تَجوز أو لا؟

والصحيح: جَوازها، وأَنَّه يَجوز أن تَقول لشخص مُؤمِن: «صلى الله عليه»، وقد قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى للنبي ﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٣]. فكان النبي ﷺ يُصلِّي على مَن أَتى إليه بزكاته؛ وقال: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى آلِ أَبِي أَوْفَى**»[2] حينما جاؤوا إليه بصَدَقاتهم.

إلا إذا اتُّخِذت شِعارًا لشَخْص مُعيَّن كلَّما ذُكِر قيل: صلى الله عليه، فهذا لا يَجوز لغير الأنبياء، مِثل لو كنَّا كلَّما ذكَرنا أبا بكر قُلْنا: صلى الله عليه، أو كلَّما ذكَرنا عمرَ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ، رقم (٦٣٥٧)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، رقم (٤٠٦)، من حديث كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب هل يصلى على غير النبي ﷺ، رقم (٦٣٥٩)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن أتى بصدقته، رقم (١٠٧٨)، من حديث عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قلنا: صلى الله عليه، أو كلَّما ذكَرنا عثمانَ قلنا: صلى الله عليه، أو كلَّما ذكَرنا عليًّا قلنا: صلى الله عليه، فهذا لا يَجوز: أن تُتَّخَذ شِعارًا لشخْص مُعيَّن.

س(٢٣٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما هو رأْيُ الدِّين في القصائد التي تَمدَح الرسول ﷺ وتُمجِّده، وإلقائِها في المناسبات الدِّينيَّة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا التَّعبير وهو: ما رَأْي الدِّين، أو ما هو رَأْي الإسلام، أو ما أَشبَه ذلك، لا أُحِبُّ أن يُعرَض في سؤال.

فأولًا: كلِمة (رَأْي الدِّين): الدِّين في الحقيقة ليس رَأْيًا، والدِّين ليس فِكْرًا، إنما الدِّين عَقيدة وشريعة مِن الله عَزَّوَجَلَّ، لا مجَال للرأي فيها، ولا مجَال للفِكْر فيه.

ولهذا نحن نَنتَقِد هؤلاءِ الذين يَقولون: «هذا فِكْر إسلامي» وما أشبهَ ذلك، الإسلام ليس فِكْرًا، وليس رَأْيًا مِن الأفكار والآراء، إنَّما هو شريعة مِن لَدُنْ حكيم خَبير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نعَمْ لنا أن نَقول: إن المُفكِّر مُسلِم، وما أَشبَه ذلك؛ لأن الرجُل له فِكْر ويُفكِّر كما أَمَر الله تعالى بالتفكير في خلق السَّموات والأرض، لكن كوننا نُعبِّر عن الدِّين: بأنَّه فِكْر أو بأنَّه رَأْي وما أَشبَهَ ذلك، فهذا مِن هذه الجهة خَطأٌ.

وخطأٌ مِن جِهة أُخرى، وهو: أنَّه لا أُحِبُّ أن يُوجَّه السؤال لشخص قابِلٍ للخَطأِ والصواب بعِبارة: ما حُكْم الإسلام في كذا؟ لأن هذا الفَرْد إذا أَجاب وكان خَطأً لم يَكُن ذلك حُكْمَ الإسلام.

فالذي يَنبَغِي أن يُقال مثلًا: ما هو الحُكْم، أو ما رَأْيك في كذا، وما أَشبَه ذلك، ثم يُجيب على حَسَب ما يَراه مُعتمِدًا في ذلك على كتاب الله وسُنَّة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أمَّا بالنسبة لسؤال السَّائِل: عن القصائد التي يُمدَح فيها الرسول رسول الله ﷺ: فإن رسول الله ﷺ -بأبي هو وأُمي- مُستَحِقٌّ لكل مَدْح وتَعظيم يَليق به على أنَّه نبيٌّ مُرسَل مِن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو خاتَم النَّبيِّين، وآخِر المُرسَلِين، وسيِّد الخَلْق أجمعين، فهو مُستحِقٌّ لكل ما يُقال مِن وصْف يَليق به ﷺ، سواء قيل ذلك نَظْمًا أم نَثْرًا، ولكن القصائد التي تُخرِجه عمَّا يَنبغِي أن يَكون له مِن الغُلُوِّ المفرِط الزائد الذي نَعلَم أنَّه هو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَكرَهه ولا يَرضاه كما نهى عن ذلك، فإننا نَرى أنَّه لا يَجوز لإنسان أن يَتلوها، أو يَعتقِد ما فيها مِن هذا الغُلُوِّ، ومِن ذلك -على ضرب المَثَل- ما جاء في قَصيدة البُوصِيري البُردة التي يَقول فيها يُخاطِب النبي ﷺ:

فَإِنَّ مِنْ جُـودِكَ الـدُّنْيَا وَضَرَّتَهَـا ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

ولا شكَّ أن هذا شِرْك، بل هو مِن أَعظَم الشرْك؛ حيثُ إنه جَعَل ما يَختَصُّ بالرَّبِّ جعَله للنبي ﷺ وسَلَبَ حقَّ الله فيه، فإذا كان مِن جُود الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الدُّنيا وضرَّتها -وهي الآخرة- فما بَقِي لله تعالى مِن شيء، وإذا كان مِن عُلومه -أي: بعض العلوم التي يَعلَمها- عِلْم اللوح والقَلَم فما بَقِي لله تَعالى عِلْم، ومِثْل هذه المقالات التي تَبلُغ إلى هذا الحدِّ أو إلى ما دُونه مما لا يَليق للمُسلِم أن يَقوله في نبيِّه ﷺ فإنَّه لا يَجوز لأحَد أن يَتكلَّم به لا نَظمًا ولا نَثْرًا.

أَمَّا القصائِد التي تُبيِّن صِفاتِه الحميدةَ وشريعتَه الكامِلة وما أَشبَه ذلك فإنها لا بأسَ بها، بل إننا نَقول: إن تَلاوتَها تَكون مِن العِبادة؛ لما في ذلك مِن كونها تُغذِّي محبَّة النبي ﷺ في القَلْب وتَعظيمه وتَعزيره كما أَمَر الله به: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح:٩]، إن جَعلْنا اللام للأمر وإلا فلِلتَّعليل، ومَعنى ذلك: أن هذا أَمر مَقصود للشرْع.

ومَعنى: (تُعزِّروه) أي: تُعظِّموه، لكن بما يَليق به، وبشرْط: ألا تُجعَل هذه القصائدُ في مناسبة خاصَّة تَعود كلَّ سَنَةٍ، كما يَفعَله البعض في ليلة عِيد المَوْلد التي ابتَدَعوها في شريعة الله وفي دِينه، واتَّخذوها عِيدًا يَتكرَّر كلَّ عام يَذكُر فيها مَدائِح النبي ﷺ، ويَبتَدِع فيه صِفاتٍ وصِيَغًا مِن الصلوات على النبي ﷺ، فهَذه بِدْعة لا أَصلَ لها في الشَّرْع.

ولهذا كانَت هذه البِدْعة -أعني: بِدْعة عِيد الميلاد- مِن المُنكَرات التي يَجِب على المسلمين أن يَحذَروا منها، وأن يَبتَعِدوا عنها، ولو كان فيها خيرٌ لسَبَق إليها مَن هو أَحَبُّ ومَن هو أَولى بنا كالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابِعِين لهم بإحسان وتابعيهم، فإنهم لـم يَحتَلِفوا بليلة عِيد المَوْلد ولم يُشِيروا إليها لا مِن قريب ولا مِن بَعيد، ولا شكَّ أن الذين يَشرَعونها والذين ابتَدَعوها هم في الحقيقة مُنتَقِصون لشريعة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وللنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولا شكَّ أَنَّهم يُريدون بها التَّقرُّب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والتَّقرُّب إلى الله عَزَّوَجَلَّ عِبادة، والدِّين كَمَل مِن جميع الوجوه في عباداته القَوْلية والفِعْلية، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

فأَيُّ رجُل يَبتَدِع مِن العِبادات ما لم يَكُن عليه النبي ﷺ وأصحابه، سواء كان ذلك في العقيدة، أو في القول، أو في العمَل، لا شكَّ أَنَّه حقيقة أَمْره ولِسان حاله يَقول: إن الدِّين لم يَكمُل، وأنا كَمَّلته بما أَحدَثْته مِن هذه العبادة التي أَتقرَّب بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ لهذا يَجِب على كل مَنِ ابتَدَع شيئًا يَتقرَّب به إلى الله مِن ذِكْر قولي، أو فِعلي، أو مَدْح للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أو غيره، يَجِب عليه أن يَنظُر في الأمر

مرَّة ثانية، وأن يَعرِف أنَّه بابتِداعه هذا طعَن في دِين الله، حيث يَراه ناقِصًا ويَحتاج إلى تَكميل بما أَحدَثه فيه، وأَسأَل الله أن يَجعَلنا وإخوانَنا المسلِمين لله مُخلِصين، ولنَبيِّه ﷺ مُتَّبِعين.

س(٢٣٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى: هل يَجوز تَخصيص مَدْح النبي ﷺ ورسوله بقَصائدَ تُلقَى ليلة الجمعة وليلة الاثنين؟ وهل يُثاب فاعِله؟ وما هو المدْح الَّذي يَجوز للنبي ﷺ والَّذي لا يَجوز إطلاقًا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: مَدْح النبي ﷺ بما فيه مِن الخِصال الحَميدة والمناقِب العظيمة والأخلاق الكامِلة، هذا أَمْر مَشروع ومَحمود؛ لما فيه مِن الدَّعوة إلى دِين الرسول ﷺ وإلى تَعظيم الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومحبَّته، وكل هذا مِن الأُمور المَقصودة شَرْعًا.

وأَمَّا مَدْحه بالغُلُوِّ الذي كان يَنهَى عنه ﷺ، فهذا لا يَجوز بكل حال، كما لو مَدَحه بقول القائل:

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

فإن مثل هذا الغلو لا يجوز، وهو محرم.

أَمَّا المَدْح الجائز بما ذكَرنا في أوَّل الجواب، فإنه لا يُخصَّص بلَيلة مُعيَّنة أو في يوم مُعيَّن، بحيث كُلَّما أَتَت هذه الليلة أو هذا اليوم قِيلَت هذه القَصائدُ والمدائِحُ؛ فإن تَخصيص الشيء بزمَن لم يُخصِّصه به الشرْع، أو بمكان لم يُخصِّصه به الشرْع، فإنه مِن البِدَع التي نَهى عنها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



س(٢٣٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عـن رجُـل رَأَى في مَنامـه الرسول ﷺ فهل هذه رُؤْيةٌ حقيقيَّة أم خَياليَّة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: رُؤية النبي ﷺ حقٌّ، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: فإن الشيطانَ لا يَتمثَّل به[1]، ولكن يَجِب أن تُنزَّل أَوصاف المَرئِيِّ على ما جاءت به الأَحادِيث عن رسول الله ﷺ مِن أَوْصافه ﷺ، فإن طابَقَتِ الأَوْصاف أوصافَ النبي ﷺ فإنه حَقٌّ، وإن خالَفَت فإنَّما رآه ليس هو النبيَّ ﷺ، وهذه المسألة كثيرًا ما يَقَع فيها بعضُ الناس، فيَرَون خَيالًا فيَعتَقِدونه النبي ﷺ، أو يُقال لهم: إنه النبي ﷺ، ثمَّ إذا وَصَفوا ما رأَوْا فإذا أَوْصافه تُخالِف أَوصاف النبي ﷺ، وبهذا يَتبَيَّنُ أن ما رَأَوْه ليس بصحيح، فلا بُدَّ أن يَعرِف أن أَوصاف الذي رآه في المنام مُطابِقة لأَوْصاف النبي ﷺ، فإن لم تكُن مُطابِقة فإن ما رآه ليس هو النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

س(٢٣٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن بعْض الرسُل الذين تَعاصروا في وَقْت واحِد؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الرسُل عليهم الصلوات والتسليم المتَعاصِرون مِنهم: إبراهيم وأولادُه إسماعيلُ وإسحاقُ ويَعقوبُ ويُوسُفُ ولوطٌ، ومِنهم: يحيى وزكريا وعيسى، ومِنهم: موسى وهارونُ، ومنهم: داود وسليمان.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام، رقم (٦٩٩٣)، ومسلم: كتاب الرؤيا، باب قول النبي ﷺ: **«من رآني في المنام فقد رآني»**، رقم (٢٢٦٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٢٤٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: مَن أفضلُ الأنبياء بعد الرسول محمد ﷺ؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: أَفضل الرسُل أُولو العَزْم الذين ذكَرهم الله تعالى في مَوضِعَين مِن كِتابه: في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب:٧]، وفي سورة الشُّورى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣].

والمَشهور: أن أَفضَلهم محمد، ثم إبراهيمُ، ثم موسى، ثم عيسى، ونوحٌ عليهمُ الصلاة والسلام.

س(٢٤١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: هل محمدٌ ﷺ أَفضَل الخَلْق على الإطلاق، أَم أَفضَلُ البَشَر فقَطْ؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: الجوابُ الذي أَعلَمه مِن ذلك: أنَّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سيِّد ولَد آدَمَ، كما ثبَت ذلك عنه في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم أنَّه قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»(١).

وأمَّا أنَّه أَفضَل الخَلْق على الإطلاق: فلا يَحضُرُني الآنَ دَليل في ذلك، لكن

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، رقم (٢٢٧٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بَعض أَهل العِلْم صرَّح بأنَّه أَفضَل الخلْق على الإطلاق، كما في قول صاحِب الأُرجوزة:

وَأَفْضَـلُ الخَلْـقِ عَـلَى الإِطْـلاقِ ... نبيُّنَـا فَمِـلْ عَـنِ الشِّـقَاقِ

والمُهِمُّ: أن محمدًا عبدُ الله ورسوله أَرسَله الله تعالى إلى الثَّقَلَين الإنسِ والجنِّ هادِيًا ومُبشِّرًا ونَذيرًا، فعلينا أن نُؤمِن به؛ تَصدِيقًا لأَخباره، وامتِثالًا لأَوامِره، واجتِنابًا لنواهِيه، هذا هو الذي يَنفَع الإنسان في دِينه ودُنياه، ومَعاشِه ومَعادِه.

س(٢٤٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: يَقولون بأن الرسول ﷺ مَخلوق مِن نور هل هذا كلامٌ صحيحٌ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا الكلام باطِل، فإن محمدًا صلى الله عليه وعلى آله وسلم مِن بني آدَمَ، وسِلسلة آبائه وأَجداده مَعلومة، وهو نَفسُه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قد صرَّح بما أَمَر الله به، فقد قال الله تعالى له: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]، وقال ﷺ عن نفسِه: «**إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ**»[(١)].

فقد خُلِق عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِن طين كما هو شأن بَني آدَمَ كلِّهم، والَّذِين خُلِقوا مِن نُورٍ هُمُ الملائِكةُ.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب التوجه إلى القبلة، رقم (٤٠١)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم (٥٧٢/ ٨٩) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإن المَخلوقاتِ ثلاثةُ أقسام:

الأوَّل: قِسْم خُلِقوا مِن نار، وهو إبليس وذُرِّيَّته.

والثَّاني: قِسْم خُلِقوا مِن النُّور، وهمُ الملائِكة.

والثَّالِث: قِسْم خُلِقوا مِن طين، وهم آدَمُ وبنوه.

وليس هناك قِسْم رابع، فهذا الحديث أو الأثَر أو القَوْلة المشهورة أن نبِيَّنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم خُلِق مِن نُورٍ كذِبٌ لا أَصلَ له.

س(٢٤٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هناك أُناس غَلَوْا في الرسول ﷺ وتَجاوَزوا الحدَّ في مَحبَّته، وهُناك أُناسٌ فَرَّطوا وتَساهَلوا في مَحبَّته، كيف نُوجِّه مِثلَ هَؤلاءِ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: كلُّهم أَخطؤُوا لا الذين فرَّطوا، ولا الذين أَفرَطوا، والخطَرُ عَظيم على الجميع.

أمَّا الذين غَلَوا: فيُخشَى عليهم مِن الإِشراك به؛ ولهذا ادَّعى بعضهم أن الرسول ﷺ يَعلَم الغَيْب، وأَنَّه يَشفِي المريض، وأَنَّه يُزِيل الكُرُبات، فصاروا يَدْعُونه، فالتَحَقوا بذلك بالمُشرِكِين وهم لا يَشعرُون.

وأمَّا الطَّرَف الثَّاني: وهمُ الذين فرَّطوا في مَحبَّته وطاعته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فإنه يُخشَى عليهم مِن التهاوُن في الشريعة شيئًا فشيئًا حتى يُقضَى عليها، ولهذا المحِبُّ له حقيقةً هو المتَّبع لسُنَّته بدون غُلُوٍّ ولا تَفرِيط.

س(٢٤٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: كيف تَتَحقَّق مَحبَّة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: تَتحقَّق مَحبَّة الرسول ومَحبَّة الله عَزَّوَجَلَّ باتِّباع الرسول ﷺ، فكل مَن كان أَتبعَ لرسول الله كان أَحرى بمَحبَّة الله تعالى ومَحبَّة رسوله، يَقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

وعلامة مَحبَّة الرسول ﷺ: أن يَتحرَّى الإنسان سُنَّته فيَتَّبِعها ولا يَزيد فيها ولا يَنقُص، وعلى هذا فالذين يَبتَدِعون بِدَعًا تَتعلَّق بالنبي ﷺ ويَدَّعون أن ذلك مِن مَحبَّته وتَعظيمه هم في الحقيقة لم يُحِبُّوه ولم يُعظِّموه؛ وذلك لأن حقيقة المَحبَّة والتَّعظيم أن تَتَّبع سُنَنَه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأن لا تَزيد في شَرْعه ولا تَنقُص مِنه.

وأمَّا مَن أَراد أن يُحدِث في شَرْع الله ما ليس منه فإن مَحبَّته لله ورسوله ﷺ قاصِرة بلا شَكٍّ؛ لأن كَمال الأدَب والتَّعظيم أن لا تَتقدَّم بين يَدَيِ الله ورسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:١-٢]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].



س(٢٤٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: قِيل: إن سَيِّدَنا محمدًا ﷺ جاءَه مَلَكٌ وفَتَح صَدْره ومَلأَه نورًا، فما مَدَى صِحَّة هذا الكلام؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا الكلام صحيح[1]؛ فإن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حين عُرِج به جاءَه جبريلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فشَقَّ ما بَين نَحْرِه إلى أَسفل بَطْنه، واستَخرَج قلْبَه فمَلأَه حِكْمة وإيمانًا، وليس نُورًا، ولكن مَلأَه حِكْمة وإيمانًا، والإيمان والحِكْمة مِن النُّور المعنَوِيِّ.

س(٢٤٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما صِحَّة القولِ: بأن نَبيَّنا محمدًا ﷺ خُلِق مِن نُور، وأن آدمَ خُلِق مِن نور محمد، فهل هذا القول صَحيح؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا القول مِن أَبطَل الباطِل، وهو كذِب مُخالِف لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات:١٣]، ولقَوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ﴾ [المؤمنون:١٢-١٣]، والنبي ﷺ مِن بني آدَمَ، وهو سيِّد ولَد آدَمَ، وهو مَخلوق مِن نُطْفة أَبيه، وأَبوه مَخلوق مِن نُطفة جَدِّه، وهكذا إلى أن يَصِل الخَلْق إلى آدَمَ الذي خَلَقه الله مِن سُلالة مِن طين.

والعجَب أن هؤلاء الذين يَأْتون بهذه الأكاذيب تَعظيمًا لرسول الله ﷺ بعضُهم عِنده تَهاوُن في دِينه واتِّباعه لرسول الله ﷺ، ولعلَّهم يَجهَلون أن النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٢٠٧)، مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم (٥٢١).

نَهى عن الغُلُوِّ فيه وحذَّر مِنه كما قال ﷺ، وإن نَصيحَتِي لهؤلاء أن يَتَلقَّوا مُعتَقَدهم مِن كِتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ وأن يَعلَموا أن محمدًا رسول الله ﷺ بَشَر مِثلُنا، كما أَمَره الله أن يَقول ذلك ويُعلِنه على الملأ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف:١١٠].

فقد تميَّز ﷺ بالوَحْي وبما جَبَله الله عليه مِن مَكارِم الأخلاق، وبأَنَّه أَتقى الناس لله، وأَعبَد الناس لله، لكنه بَشَرٌ، وهو ﷺ أَعلَم بأَنَّه بَشَر مِثلُنا يَنسَى كما نَنسَى، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَما تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي**»(١) انظر التَّواضُع العَظيم مِنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حيثُ أَخبَر أَنَّه بَشَر يَنسَى، ومع ذلك قال: «**فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي**».

ولن يَنقُص ذلك مِن قَدْره شيئًا، بل هو أَكمَل الخلْق إِيمانًا، وتَقوَى، وزُهدًا، وخُلُقًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومَن أَراد أن يُحشَرَ تحت لِوائه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يوم القِيامة فلْيكُن تحت لواء سُنَّته في الدنيا، ولا يَتعَدَّ حُدود الله، ولا يُقصِّرْ عنها، فلا غُلُوَّ ولا تَفريطَ، فهذا الواجب علينا.

ولقد قال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِنبيِّه ﷺ: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [آل عمران:٣١]، فمَن كان صادِقًا في دَعوى المَحبَّة لله أو المَحبَّة لرسول الله ﷺ فلْيَتَّبِعِ الرسول ﷺ، وبذلك يُقيم بَيِّنة على صِدْق دَعواه، وأَمَّا أن يَدَّعِي أَنَّه مُتَّبع للرسول مُحِبٌّ للرسول وهو يَقول في الرسول ما ليس حقيقة، ويَبتَدِع في دِينه ما لم يَشرَع، فإن البَيِّنة تُخالِف دَعواه.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب التوجه إلى القبلة، رقم (٤٠١)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم (٥٧٢/ ٨٩) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٢٤٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: يُوجِد في القرآن الكريم سُورة سُمِّيَت بسُورة لُقْمانَ، فلِماذا سُمِّيَت بذلك؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: سُمِّيت بسورة لُقمانَ؛ لأَنَّه ذَكَر فيها قِصَّة لُقمانَ وعِظَته لابنِه، وتِلك الوصايا التي ذكرها له، والسورة تُسمَّى باسْمِ ما ذُكِر فيها أَحيانًا، كما يُقال: سورة البَقَرة، وسُورة آل عمران، وسُورة الإسراء، وما أَشبَه ذلك.

س(٢٤٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل لُقمانُ المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان:١٢] مِنَ الأنبياء؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الصحيح: أَنَّه ليس بِنَبيٍّ، وأن الله تعالى آتاه الحِكْمة، وهي: مُوافَقةُ الصوابِ مع العِلْم.

وقولنا: «مع العِلْم» للتِّبيان، وإلا فلا صوابَ إلا بِعِلْم، فالصواب أَنَّه ليس مِنَ الأنبياء، وإنما هو رَجُل آتاه الله الحِكْمة، ومَن أُوتِي الحِكْمة فقَد أُوتِيَ خيرًا كثيرًا.

س(٢٤٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل الخضِر عَلَيْهِ السَّلَامُ حيٌّ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الخضِر ليس بحَيٍّ؛ لأَنَّه لو كان حيًّا لوَجَب عليه أن يُؤمِن بالرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأن يُجاهِد معه، ولم يَكن شيء مِن ذلك، فالخضِر كغيره مِن البَشَر مات في وقته فيما يَظهَر لنا، وكذلك ليس الخضِر بنبيٍّ، وإنما هو: رجُل آتاه الله تعالى عِلْمًا لا يَعلَمه موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لأن موسى

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: إِنَّه لا أَحَدَ في الأرض أَعلَمُ منه[1]، فأَراه الله عَزَّوَجَلَّ هذه الآيةَ أن موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإن كان لَدَيْه عِلْم كثير مِن شريعة الله فإنه قد يَفوتُه شيءٌ مِنَ العِلْم لا يَعلَمُه.



(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب ما ذكر في ذهاب موسى في البحر إلى الخضر، رقم (٧٤)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، رقم (٢٣٨٠)، من حديث أُبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.



س(٢٥٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل أشراطُ السَّاعة الكُبرى تأتي بالتَّرتيب، وهلِ الحيواناتُ تشعُر بعلامات القِيامة دون الإنس والجنِّ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أشراط السَّاعة الكبرى بعضها مرتَّبٌ ومعلومٌ، وبعضها غيرُ مرتَّبٍ ولا يُعلَم ترتيبُه، فمِمَّا جاء مرتَّبًا: نزول عيسى ابنِ مريمَ، وخروج يأجُوجَ ومأجُوجَ، والدَّجَّال، فإنَّ الدَّجَّال يُبعث ثم يَنزل عيسى ابنُ مريمَ فيقتله، ثم يخرج يأجُوجُ ومأجُوجُ[1].

وقد رتَّب السَّفَّارينيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في عقيدته[2] هذه الأشراط، لكن بعض هذا التَّرتيب تطمئنُّ إليه النَّفس وبعضها ليس كذلك.

والترتيب لا يهمنا، وإنَّما يهمنا أنَّ للسَّاعة علاماتٍ عظيمةً إذا وقعت فإنَّ السَّاعة تكون قد قرُبت، وقد جعَل الله للسَّاعة أشراطًا؛ لأنَّها حدثٌ هامٌّ يحتاج النَّاس إلى تنبيههم لقُرب حُدوثه.

ولا نَدري هل تَشعُر البهائم بذلك، ولكن البهائم تُبعث يوم القيامة وتُحشر ويُقتصُّ من بعضها لبعض، فيُقتصُّ للشَّاة الجَلحاءِ مِنَ القَرناءِ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٢٩٣٧)، من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) العقيدة السفَّارينية (ص:٧٦).

س(٢٥١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن علامات السَّاعة المتبقية؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: علامات السَّاعة منها ما وقع، وفيها ما هو مُستقبل، ومن علامات السَّاعة التي وقعت بعثةُ النَّبيِّ ﷺ[1] وكونُه خاتم النَّبيِّين؛ لأنَّ كونه خاتم النبيين يُؤذِن بقُرب انتهاء الدُّنيا، والأمر كذلك، فإنَّ الرَّسول ﷺ خطب النَّاس ذات يوم في آخر النَّهار وقال: «**إنَّه لم يبقَ مِنَ الدُّنيا إلا مِثْلُ مَا بَقِيَ مِنْ يَومِكُمْ هَذَا**» وكانتِ الشَّمس على رؤوس النَّخل[2]، أي: قريبةً من الغروب.

ومنها ما أشار إليه النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حين سأله جبريل: متى السَّاعة؟ قال: «**مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**» قال له جبريل: أخبرني عن أماراتها. قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ يَتَطَاوَلُونَ في البُنْيَانِ**»[3].

ومنها انتشار الرِّبا، وقد وقع وانتشر كثيرًا بين الأمة الإسلامية.

ومنها فساد أحوال النَّاس، فإنَّ كثيرًا من بلاد المسلمين فيها شرٌّ كثير ومعاصٍ مُعْلَنَة، نَسأَل الله العافية والسَّلامة، وقد صنَّف العلماءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ في علامات السَّاعة كتُبًا مُستقِلَّةً أو ضمنَ كتابٍ يَشتمِل عليها وعلى غيرها، فنُرشِد السَّائل إلى مراجعتها.



---

(١) لما أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «**بُعثت أنا والساعة كهاتين**»، رقم (٦٥٠٤)، ومسلم: كتاب الفتن، باب قرب الساعة، رقم (٢٩٥١)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**».

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الفتن، باب ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، رقم (٢١٩١)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مطولًا، دون قوله: كانت الشمس على رؤوس النخل. وهي في رواية البغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٤١) (٤٠٣٩).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، رقم (٨)، من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٢٥٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن أحاديث خروج المهديِّ، هل هي صحيحةٌ أو لا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أحاديث المهديِّ تَنقسِم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: أحاديثُ مكذوبةٌ.

القسم الثاني: أحاديثُ ضعيفةٌ.

القسم الثَّالث: أحاديثُ حسَنةٌ، لكنَّها بمجموعها تَصِل إلى درجة الصِّحَّة، على أنَّها صحيحٌ لغيره.

وقال بعض العلماء: إنَّ فيها ما هو صحيح لذاته، وهذا هو **القسم الرَّابع**.

ولكنَّه ليس المهديَّ المزعوم الذي يُقال: إنَّه في سرداب في العراق، فإنَّ هذا لا أصل له، وهو خرافةٌ ولا حقيقةَ له، ولكنَّ المهديَّ الذي جاءتِ الأحاديثُ بإثباته رجلٌ كغيره من بني آدمَ يُخلق ويُولد في وقته، ويَخرُج إلى النَّاس في وقته، فهذه هي قصة المهديِّ، وإنكاره مطلقًا خطأ، وإثباته مُطلَقًا خطأ، كيف ذلك؟

إثباته على وجه يَشمَل المهديَّ المنتظَر الذي يُقال: إنَّه في السِّرداب هذا خطأ؛ لأنَّ اعتقاد هذا المهدي المختفي خَبَلٌ في العقل، وضلال في الشَّرع، وليس له أصل، وإثبات المهدي الذي أخبر به النَّبيُّ ﷺ، وتَكاثَرت فيه الأحاديث، والذي سيُولَد في وقته، ويخرج في وقته، هذا حقٌّ(١).



(١) انظر أحاديث المهدي في مسند الإمام أحمد (٣/ ٢١-٥٢)، «سنن أبي داود» (٤٢٧٩-٤٢٩٠)، «سنن الترمذي» (٢٢٣٠-٢٢٣٢)، «سنن ابن ماجه» (٤٠٨٢-٤٠٨٨).

س(٢٥٣): **سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: في صحيح مسلم أنَّ من أشراط السَّاعة نارًا تخرج من أرض الحجاز تُضيءُ أعناق الإبل ببُصَرى[1]، فهل خرجت هذه النَّار؟ ومتى؟**

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نعم خرَجت هذه النَّار في يوم الجمعة الموافق خامسَ جُمادى الآخرة سنة ٦٥٤ أربعٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ للهجرة، واستمرت شهرًا أو أكثر، وكان خروجها شرقيَّ المدينة تِلقاء أُحُد، فملأت تلك الأودية طول أربعةِ فراسخ في عرض أربعةِ أميال، امتدَّ ضَوؤها إلى تَيْماءَ بحيث كتب النَّاس على ضَوئها في اللَّيل، حتَّى كأنَّ في بيت كلِّ منهم مصباحًا، ورُئِي سَناها من مكةَ المكرمة، ورأى أهل بُصرى (بلدة بالشام بينها وبين دِمشقَ نحو ثلاث مراحل) صفحات أعناق إبلهم في ضوء هذه النَّار، وقد سبق هذه النَّارَ زلزالٌ من أول الشَّهر المذكور، وقد وُصفت هذه النَّار بأبيات منها[2]:

بَحْرٌ مِـنَ النَّـارِ تَجْرِي فَوْقَـهُ سُفُنٌ ... مِنَ الهضَابِ لَـها فِي الأَرْضِ إِرْسَاءُ

كَـأَنَّما فَوْقَـه الأَجْبَـالُ طَافِيَـةً ... مَـوْجٌ عَلَيْـهِ لِفَـرْطِ الـبَهْجِ وَعْثَـاءُ

يُـرَى لَهَـا شَرَرٌ كَالقَصْـرِ طَائِشَـةٌ ... كَأَنَّهَـا دِيمَـةٌ تَنْصَـبُّ هَطْـلَاءُ

مِنْهَـا تَكَـاثَفَ فِي الجـوِّ الـدُّخَانُ إِلَى ... أَنْ عَادَتِ الشَّمْسُ مِنْهُ وَهْيَ دَهْمَاءُ

قَدْ أَثَّـرَتْ سَـفْعَةً فِي البَـدْرِ لَفْحَتُهَـا ... قَلِيلَـةُ الـتَّمِّ بَعْـدَ النُّـورِ لَـيْلَاءُ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب خروج النار، رقم (٧١١٨)، ومسلم: كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، رقم (٢٩٠٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: البداية والنهاية (١٧/ ٣٣٧).

س(٢٥٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: جاءت الأحاديث في السُّنَّة بذِكْر المهدي فهل يَجوز لنا سؤالُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يَخرجَ المهديُّ. وعن كلمة «المنتظَر» جاءت عند ذِكْر المهديِّ فهل لها أصل؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: المهديُّ ورَدت فيه أحاديثُ انقسمت إلى أربعة أقسام:

١- أحاديثُ موضوعة مكذوبةٌ عن الرَّسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

٢- وأحاديثُ ضعيفةٌ.

٣- وأحاديثُ حسنةٌ.

٤- وأحاديثُ صحيحة لغيرها.

والصَّحيحُ: «أنَّه سيَخرُجُ إذا اقتضت حكمةُ الله عَزَّوَجَلَّ خُروجَه، حين تُملأ الأرض جورًا وظلمًا»[1]، وانتبه لكلمة (تُملأ الأرض) يعني: لا يبقى فيها عدل ولا إحسان.

فإذا مُلِئَت الأرض جورًا وظلمًا لم يبقَ عدل ولا إحسان، حينئذٍ يَبعث الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ المهديَّ، فيُبيِّن للنَّاس الحقَّ ويدعوهم إلى الحقِّ، ويهديهم الله عَزَّوَجَلَّ على يديه، هذا هو الصَّحيح وهو مُعتقَد أهل السُّنة والجماعة.

وللشَّيخ عبدالمحسن العبَّاد محاضرة في مجلة (الجامعة الإسلامية) عندما كان الشَّيخُ عبدالعزيز بن باز رئيسًا للجامعة، وهي محاضرة قيِّمة أُحيلُ السَّائل عليها حتى يَتبيَّن له حُكْم خروج المهديِّ[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٧٠) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) انظر: مجلة الجامعة الإسلامية عدد ٤٥ (ص:٣٢٣).

أما كلمة: (المَهْدِيّ المنتظَر): فهذا هو مهديُّ الرَّافضة الذي يدَّعُون أنَّه في سرداب في العراق، وأنَّه حيٌّ، وأنَّه يَنتظِر الفرج، وأنَّه سوف يخرُج، وجُهَّالُهم -كما نقل عنهم السَّفَّارينيُّ[1] رَحِمَهُ اللَّهُ- يخرُجون في صباح كلِّ يوم عند هذا السِّرداب، ومعهم فَرَسٌ، ورُمح، وماء، وعَسَل، وخُبْز، وكل يوم يقولون: نَنتَظِر خروجه في هذا الصَّباح؛ من أجل أن يُفطِر بالخبز والعسل والماء، ثم يَركَب الفرس برمحه، ويخرُج إلى ناس فيُقاتِل الظَّلَمة؛ لأنَّ عند كثير منهم أنَّ كلَّ النَّاس ظالمون، ويَتَّهِم الرَّافضة أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويَقولون: إنَّهم ظلموا عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأخذوا منه الخلافةَ واغتصبوها منه، فهم ظلمة وليسوا خلفاءَ، والخليفة المستحِقُّ للخلافة هو: عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومِنْ عجبٍ أنِّي رأيت للشَّهرستانيِّ في كتاب «المِلَل والنِّحَل» قولًا عجبًا، حيث قال: إنَّ أبا بكر وعمر ظلمةٌ، وإنَّ عليًّا ظالم أيضًا؛ لأنَّه لم يَأخُذ بالثَّأر لنفسه، نَسأَل الله العافية.

فصار هؤلاء الصَّحابة رضوان الله عليهم عند الشِّرْذمة ظلمة، أمَّا عامَّة الرَّافضة فلا يقولون بهذا، بل يَقولون: إنَّ أبا بكر وعمر كانا ظالِمَين مُغتصِبَين للخلافة، وإنَّ عليَّ بن أبي طالب هو الخليفة.

ولا شكَّ أنَّ قول الرَّافضة مرفوضٌ؛ بدليل قول عليِّ بن أبي طالب نفسِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنَّه صحَّ عنه بالنَّقل المتواتر أنَّه قال على مِنبر الكوفة: «خيرُ هذه الأُمَّة بعد نبيِّها أبو بكر ثم عمر»[2]، يُعلنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا تمام الإنصاف وتمام الحقِّ

---

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٧٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٠٦).

والعدل منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكن مَن يدَّعون أنَّهم أَتباعه خالفوا طريقَه في هذا، وهو قد بايع لأبي بكر، وبايع لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وآزرهما، وكان معهما، بل قد بايع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]، وهذا معروف في السِّيَر والتَّاريخ.

وعليه: فإرداف كلمة «المُنتظَر» بكلمة «المهديّ» مأخوذةٌ عن الرَّافضة.

ونحن نقول: إنَّ هذا المهديَّ -أعني: مهديَّ أهل السُّنَّة لا مهديَّ الرَّافضة- سوف يَخرُج إذا اقتضت حِكْمة الله تعالى ذلك، بحيث تُملأ الأرض ظلمًا وجورًا.

وأمَّا قول السَّائل: هل يجوز سؤال الله أن يَخرُجَ المهديُّ؟

فنَقول: فيه رائحة مِن فِرْقة الرَّافضة؛ لأنَّ مَن يدعو بهذا الدُّعاء يَعتقِد أنَّ الأرض مملوءة ظلمًا وجورًا، والأرض الآن -والحمد لله- ليست مملوءة ظلمًا وجورًا، بل الأرض الآن -والحمد لله- فيها أُناس يَحكُمون بالعدل، ويَقضون بالحقِّ، ويُقيمون الشَّريعة بحسب المستطاع، سواءً كانوا مِن أفراد الشعوب أو من حُكَّام الشعوب، وهذا أَمْر يَعرِفه كل واحد.

بل إنَّ النَّاس اليوم -ولا سيما الشعوبُ- خيرٌ مِنْهم بالأمس، فقد ظهر -ولله الحمد- فئاتٌ مُتعدِّدة في البلاد الإسلامية، كلها تُنادِي بالإسلام وتطبق من الإسلام ما استطاعت، فالإسلام -ولله الحمد- في مستقبل خير ورفعة في هذه الأزمنة، بل حتَّى في الأمم الكافرة، كأمريكا، وفرنسا، وإنجلترا، وغيرها، ففيها

= وأخرج البخاري: كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذًا خليلًا**»، رقم (٣٦٧١)، عن محمد ابن الحنفية قال: قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب قصة البيعة، رقم (٣٧٠٠)، من حديث عمرو بن ميمون رَحِمَهُ اللَّهُ.

فئات كثيرة مسلمة تدعو للإسلام، والآن الإسلام له وزنُه، حتى في أمريكا الإسلام له وزنه في الوقت الحاضر، والحمد لله، وحتى إنَّ رئيس أمريكا هنَّأ مُسلمِي أمريكا بعيد الفطر هذا العام ومسلمي جميع العالم كما نُقِل عنه، وهذا يَدُلُّ على أنَّ الإسلام الآن أصبح له وزنه.

وما ذكر من هؤلاء الطغاة -أعني: من طغاة الكفرة- أنَّ الإسلام يُهدِّد البشرية، فهذا من وحي الشيطان، فالإسلام يَهدي البشرية ولا يُهدِّد البشرية، أيُّ نظامٍ أحسنُ من دِين الله؟! ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

س(٢٥٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: مَن هم يأجُوجُ ومأجُوجُ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: يأجُوجُ ومأجُوجُ أمَّتان مِن بني آدمَ مَوجودتان، قال الله تعالى في قصَّة ذي القرنين: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ [الكهف:٩٣-٩٨].

ويقول النَّبيُّ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا آدَمُ، قُمْ فَابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ**» إلى أنْ قال رسولُ الله ﷺ: «**أَبْشِرُوا؛ فَإِنَّ مِنْكُمْ وَاحِدًا، وَمِنْ يَأْجُوجَ**

ومَأْجُوجَ أَلْفًا»[(١)]، وخروجُهم الذي هو من أشراط السَّاعة وجدت بوادرُه في عهد النَّبيِّ ﷺ، ففي حديث أم حَبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: خرج رسول الله ﷺ يومًا فَزِعًا مُحْمَرًّا وجهُه يَقول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَومَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بِأُصْبُعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا**»[(٢)].

س(٢٥٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما صِحَّةُ القولِ بأن أول علامات السَّاعة الكبرى هي طلوع الشَّمس من مَغربها؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا ليس بصحيحٍ، طلوع الشَّمس مِن مَغربها مُتأخِّر؛ لأنَّ الدَّجَّال، ويأْجُوجَ ومأْجُوجَ، ونزول عيسى، كلها قبل طلوع الشَّمس من مغربها.

س(٢٥٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن الدَّجَّال، ولماذا حذَّر الأنبياء أقوامهم منه، مع أنَّه لا يَخرج إلَّا في آخر الزَّمان؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أعظمُ فتنةٍ على وجه الأرض منذ خلق آدم إلى قيام السَّاعة هي فتنة الدَّجَّال، كما قال ذلك النَّبيُّ ﷺ[(٣)]؛ ولهذا ما من نبيٍّ من نُوح إلى محمَّد

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، رقم (٦٥٣٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب يقول الله تعالى لآدم: أخرج بعث النار، رقم (٢٢٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب يأجوج ومأجوج، رقم (٧١٣٥)، ومسلم: كتاب الفتن، باب اقتراب الفتن، رقم (٢٨٨٠)، من طريق زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٤٥) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

صلوات الله عليهم وسلامه إلَّا أنذَر قومه به[1]؛ تَنويهًا بشأنه، وتَعظيمًا له، وتَحذيرًا منه، وإلَّا فإنَّ الله يَعلَم أنَّه لن يَخرُج إلا في آخر الزَّمان، ولكنْ أمر الرُّسُل أن يُنذِروا قومهم إيَّاه من أجل أن تَتبيَّن عظمته وفَداحته، وقد صحَّ ذلك عن النَّبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقال: «**إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ** -صلوات الله وسلامه عليه، يَعني: أكفيكم إيَّاه-، **وإِلَّا فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ واللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»[2]، نِعْمَ الخليفةُ ربُّنا جلَّ وعلا.

فهذا الدَّجَّال شأنه عظيم، بل هو أَعظَم فِتنةٍ -كما جاء في الحديث- منذ خُلق آدمُ إلى أن تقوم السَّاعة، فكان حرِيًّا بأن يُخَصَّ من بين فتن المحيا في التَّعوُّذ من فِتنته في الصَّلاة: «**أَعُوذُ باللهِ مِنْ عَذَابِ جهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المسِيحِ الدَّجَّالِ**»[3].

وأمَّا الدَّجَّال فهو مأخوذ من الدَّجَلِ، وهو التمويه؛ لأنَّ هذا مُمَوِّهٌ، بل أعظم مُمَوِّه، وأشد النَّاس دَجَلًا.



(١) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٧١٢٧)، ومسلم: كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد، رقم (١٦٩)، من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٢٩٣٧)، من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، رقم (١٣٧٧)، ومسلم: كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، رقم (٥٨٨).

س(٢٥٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: من هم يَأجوجُ ومأجوجُ الذين ذُكِرُوا في القرآن؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: يأجُوجُ ومأجوجُ قبيلتان عظيمتان كبيرتان من بني آدمَ؛ لقول رسول الله ﷺ في الحديث الصَّحيح: «**إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ يُنَادِي اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: يَا آدَمُ. فَيَقُولُ: لَبَّيكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَخْرِجْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُ مِئَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ**». يَعْنِي: هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ فِي النَّارِ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَوَاحِدٌ فِي الجَنَّةِ- فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى الصَّحَابَةِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنَا ذَلِكَ الوَاحِدُ؟ فَقَالَ ﷺ: «**أَبْشِرُوا فَإِنَّكُمْ فِي أُمَّتَيْنِ مَا كَانَتْ فِي شَيْءٍ إِلَّا كَثَّرَتَاهُ: يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، مِنْكُمْ وَاحِدٌ، وَمِنْهُمْ تِسْعُ مِئَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ**»[1]. فهما قبيلتان عظيمتان، لكنَّهما من أهل الشَّرِّ والفساد.

والدَّليل على ذلك: أمران: أمر سابق، وأمر مُنتظَر.

فأمَّا الأمر السَّابق: فما حكاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن ذي القرنين أنَّه بَلَغَ السَّدَّين ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف:٩٣-٩٤]، إلى آخر ما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، والشَّاهد من هذا قولهم: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وطلبوا من ذي القرنين أن يَجعَل بينهم وبينهم سدًّا.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾، رقم (٦٥٣٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب يقول الله تعالى لآدم: أخرج بعث النار، رقم (٢٢٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وليس فيه: «**فإنكم في أمتين ما كانت في شيء إلا كثرتاه**»، وإنما أخرجها الطبري في تهذيب الآثار (مسند ابن عباس)، رقم (٧١٤) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأمَّا الشَّرُّ والفساد المُنتظَر: فهو ما جاء في حديث النَّوَّاس بن سَمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَّويل «**أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُوحِي إِلَى عِيسَى أنَّه أَخْرَجَ عبادًا لله لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَعِيثُونَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا، وَأَنَّهُمْ يَحْصُرُونَ عِيسَى وَمَنْ مَعَهُ فِي الطُّورِ**»[(١)].

وَهَذَا هُوَ الفساد المُرتَقَب منهم، فسيَخرُجون في آخر الزمان من كلِّ حَدَب يَنسِلون، ويَعيثون في الأرض فسادًا، حتى يَدْعو عيسى ابنُ مريمَ ربَّه عليهم، فيُصبِحون موتى كنفس واحدة، هؤلاء هم يأجُوجُ ومأجُوجُ.

وأمَّا ما يُذكَر في الإسرائيليات من أنَّ بعضهم طويل طولًا مُفرِطًا، وأنَّ بعضهم قصير قِصَرًا مُفرِطًا، وأنَّ بعضهم لديه آذان يَفترِش إحدى الأذنين ويَلتحِف بالأخرى، وما أشبه ذلك، فإنَّ كلَّ هذا لا صحَّةَ له.

بل الصَّحيح: الذي لا شكَّ فيه أنَّهم كغيرهم من بني آدم أجسادهم، وما يُحسُّون به، وما يَشعُرون به، فهم بشر كسائر البشر، لكنَّهم أهل شرٍّ وفساد.

س(٢٥٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما المقصود بيأجُوجَ ومأجُوجَ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: المقصود بيأجوجَ ومأجوجَ: أنَّهما قبيلتان من بني آدمَ، كما جاء في ذلك الحديث عن النَّبيِّ ﷺ[(٢)] وما ورد في بعض الكتب من أنَّ منهم القصير جدًّا،

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٢٩٣٧)، من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، رقم (٦٥٣٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب يقول الله تعالى لآدم: أخرج بعث النار، رقم (٢٢٢)،

والصغير، ومنهم الكبير، ومنهم الذي يَفترِش أذنًا من أُذنيه ويَلتحِف بالأخرى، وما أشبهَ ذلك، فكلُّ هذا لا أصلَ له، وإنَّما هم من بني آدمَ، وعلى طبيعة بني آدمَ، لكنَّهم كانوا في وقت ذي القرنين، كانوا قومًا مُفسِدين في الأرض، فطلب جيرانُهم من ذي القرنين أن يَجعَل بينهم وبينهم سدًّا؛ حتى يَمنَعهم من الوصول إليهم وإفسادهم في أرضهم، وفعلَ ذلك وقالَ: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف:٩٦]، ففعلوا فما استطاعوا أن يَظْهَروه وما استطاعوا له نقبًا، فكفى اللهُ جيرانَهم شرَّهم.

ثم إنَّه في آخر الزَّمان وبعد نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَخرُجون ويَنتشِرون في الأرض، ويُحاصِرون عيسى ابنَ مريمَ والمؤمنين معه في جبل الطور، ثم يُلقِي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في رقابهم دودة تأكل رقابهم، فيُصبِحون فَرسى -جمع: فريسة- يعني: موتى كلهم ميتةَ رجل واحد، ويَقِي اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عيسى وأصحابه شرَّهم.

س(٢٦٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: يقول الله عَزَّوَجَلَّ في سورة الكهف: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف:٩٤]. **فمَن هم يأجُوجُ ومأجُوجُ؟ وأين يُوجدون؟**

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: يأجُوجُ ومأجُوجُ ذكرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾

= من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وليس فيه: «**فإنكم في أمتين ما كانت في شيء إلا كثرتاه**»، وإنما أخرجها الطبري في تهذيب الآثار (مسند ابن عباس)، رقم (٧١٤) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف:٩٣-٩٤]، وهاتان قبيلتان من بني آدمَ، كما ثبت به الحديث الصَّحيح عن النَّبيِّ ﷺ: «**أَنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا آدَمُ. فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ. فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُ مِئَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ**». فشقَّ ذلك على الصَّحابة وقالوا: يا رسول الله، أَيُّنا ذلك الواحد؟ -يَعنُون: الذي ينجو من النَّار- فقال رسول الله ﷺ: «**أَبْشِرُوا، فَإِنَّكُمْ فِي أُمَّتَينِ -أو قال: بين أُمَّتَين- مَا كَانَتَا فِي شَيْءٍ إِلَّا كَثَّرَتَاهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ**»(١).

وهذا دليل واضح على أنَّهما قبيلتان من بني آدمَ، وهو كذلك.

أمَّا قول السَّائل: أين يُوجدون؟

فنقول: هم موجودون الآن، وظاهر الآية الكريمة أنَّهم في شَرْق آسيا؛ لأنَّ الله قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف:٩٠-٩٤]، فظاهر سياق الآيات الكريمات: أنَّهم كانوا في الشَّرق، ولكن هؤلاء الأُمَّتان سيكون آخر الزمان

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، رقم (٦٥٣٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب يقول الله تعالى لآدم: أخرج بعث النار، رقم (٢٢٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وليس فيه: «**فإنكم في أمتين ما كانت في شيء إلا كثرتاه**»، وإنما أخرجها الطبري في تهذيب الآثار (مسند ابن عباس)، رقم (٧١٤) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لهم دور كبير في الخروج على النَّاس؛ لما جاء في حديث النَّوَّاس بن سَمْعانَ الذي رواه مسلم في صحيحه: «**أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُوحِي إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ: يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ**»[1].

فخُروجهم الكبير المُنتشِر الذي يَظْهرُ به فسادُهم أكثر مما هم عليه الآن سيكون في آخر الزَّمان، وذلك في وقت نزول عيسى ابنِ مريمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

س(٢٦١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن وقت خروج المسيح الدَّجَّال؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: خروج المسيح الدَّجَّال من علامات السَّاعة، ولكنَّه غير مُحَدَّدٍ؛ لأَنَّه لا يَعلَم متى تكون السَّاعةُ إِلَّا اللهُ، فكذلك أشراطُها لا نَعلَم منها إِلَّا ما ظهر، فوقت خروجه غير معلوم لنا، لكنَّنا نَعلَم أنَّه من أشراط السَّاعة.

س(٢٦٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن مكان خروج الدَّجَّال؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: يخرج من المشرق من جهة الفتن والشَّرِّ، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**الفِتْنَةُ هَاهُنَا**»[2] وأشار إلى المشرق، فالمشرق منبع الشَّرِّ والفتن، يخرج من المشرق من خُرَاسَانَ، مارًّا بأَصْفَهَانَ، داخلًا الجزيرة من بين الشَّام والعراق، ليس له همٌّ

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٢٩٣٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس، رقم (٣٢٦٧)، ومسلم: كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق، رقم (٢٩٠٥)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

إلا المدينة؛ لأنَّ فيها البشير النَّذير عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فيُجِبُّ أن يَقضي على أهل المدينة، ولكنَّها مُحرَّمةٌ عليه كما ثبت عن النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْهَا مَلَائِكَةٌ يَحْفَظُونَهَا**»(١)، هذا الرجل يَخرُج خَلَّةً بين الشام والعراق، ويَتبَعه من يَهُود أَصْفَهَانَ سبعون ألفًا؛ لأنَّهم جنودُه، فاليهود من أخبث عباد الله، وهو أضلُّ عباد الله، فيَتْبعونه ويُؤوونه ويَنصرونه، ويكونون مسالحَ له -أي: جنودًا مجنَّدين- هم وغيرهم ممن يَتبَعهم، قال النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا**»(٢).

يُثبِّتنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لأنَّ الأمر خطير، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ سَمِعَ بالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَواللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ؛ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ**»(٣). يأتيه الإنسان ويقول: لن يُضلَّني، ولن أَتأثَّر به. ولكنْ لا يَزال يُلقِي عليه من الشُّبُهات حتى يتَّبِعَهُ والعياذُ بالله.



---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب لا يدخل الدجال المدينة، رقم (١٨٧٩)، من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه البخاري: كتاب الحج، باب لا يدخل الدجال المدينة، رقم (١٨٨١)، ومسلم: كتاب الفتن، باب قصة الجساسة، رقم (٢٩٤٣)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٢٩٣٧)، من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٤٣١)، وأبو داود: كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، رقم (٤٣١٩).

س(٢٦٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن دعوة الدَّجَّال وما يدعو إليه؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ذكر أنَّه أوَّل ما يخرج يدعو إلى الإسلام ويقول: إنَّه مسلم، وينافح عن الإسلام، ثم بعد ذلك يَدَّعي النُّبَّوةَ وأنَّه نبيٌّ، ثم بعد ذلك يَدَّعي أنَّه إله، فهذه دعوته: نهايتها بداية فرعون وهي ادِّعاء الرُّبوبية.

س(٢٦٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن فتنة الدَّجَّال؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: مِن حِكْمة الله عَزَّوَجَلَّ أنَّه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يُعطي الدَّجَّال آياتٍ فيها فِتنٌ عظيمة، فإنَّه يَأتي إلى القوم يَدعوهم فيتَّبعونه، فيُصبحون وقد نبتت أراضيهم، وشبِعت مواشيهم، فتَعود إليهم أطولَ ما كانت ذُرًى، وأسبغَ ضُروعًا، وأمدَّ خَواصرَ -يعني: أنَّهم يعيشون برغَدٍ-؛ لأنَّهم اتَّبعوه.

ويأتي القوم فيَدعوهم فلا يتَّبعونه، فيُصبِحون مُمحِلِين ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم، وهذه فتنة عظيمة، لا سيما في الأعرابِ، ويمرُّ بالخَرِبة فيَقول: أَخرِجي كنوزك. فتُخرِجُ كنوزها تتبعه كيَعَاسِيبِ النَّحل[1]؛ من ذهب وفضة وغيرها بدون آلات وبدون أي شيء، فتنة من الله عَزَّوَجَلَّ، فهذه حاله ومعاملته مع أهل الدُّنيا لمن يُريد التَّمتُّع بالدُّنيا أو يَيأَس فيها.

ومن فِتنته أنَّ الله تعالى جعل معه جنَّةً ونارًا بحسب رؤيا العين، لكن جنَّته

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٢٩٣٧)، من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نارٌ، ونارُه جنَّةٌ، فمَن أطاعه أدخله هذه الجنَّة فيما يَرَى النَّاس، ولكنَّها نار محرِقةٌ -والعياذ بالله- ومن عصاه أدخله النَّار فيما يراه النَّاس، ولكنَّها جنَّةٌ وماءٌ عذبٌ طيِّبٌ(١).

إِذَنْ: يَحتاج الأمر إلى تَثبيت من الله عَزَّوَجَلَّ، فإن لم يُثبِّتِ اللهُ المرءَ هلَك وضلَّ، فيَحتاج إلى أن يُثبِّت الله المرء على دِينه ثباتًا قويًّا.

ومِن فِتنته أنه يَخرج إليه رجلٌ من النَّاس مُمتلئ شبابًا، فيقول له: أنت الدَّجَّال الذي ذكَر لنا رسولُ الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فيدعوه فيَأبى أن يتَّبعه، فيَضربه ويَشجُّه في المرة الأولى، ثم يقتله ويقطعه قطعتين ويمشي بينهما تحقيقًا للمُباينة بينهما، ثم يدعوه فيقوم يتهلَّل وجهُه ويقول: أنت الدَّجَّال الذي ذَكَر لنا رسولُ الله ﷺ، ثم يأتي ليقتله فلا يُسلَّط عليه، يَعجِز عن قتله، ولن يُسلَّط على أحد بعده، فهذا من أعظم النَّاس شهادةً عند الله(٢)؛ لأنَّه في هذا المقام العظيم الرَّهيب الذي لا نَتصوَّره نحن في هذا المكان لا يُتصوَّر رهبته إلا مَن باشره، ومع ذلك يُصرِّح على الملأ إعذارًا وإنذارًا بأنَّك أنت الدَّجَّال الذي ذكَر لنا رسول الله ﷺ، هذه حاله وما يدعو إليه.



(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا﴾، رقم (٣٣٣٨)، ومسلم: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٢٩٣٦)، من حديث أبي هريرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة، رقم (٧١٣٢)، ومسلم: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٢٩٣٨)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِوَاللَّهُعَنْهُ.

س(٢٦٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن مِقدار لُبْث الدَّجَّال في الأرض؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: مِقدار لُبْثه في الأرض: أربعون يومًا فقط، لكنْ يومٌ كسَنَة، ويوم كشهر، ويوم كجُمعة، وسائر أيامه كأيامنا، هكذا حدَّث النَّبيُّ ﷺ، قال الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، هذا اليوم الذي كسَنَة، أتكفينا فيه صلاةُ يوم واحد؟ قال: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»(١)، انظُروا إلى هذا المِثال لنَأخُذ منه عِبرةً كيف كان تَصديق أصحاب رسول الله ﷺ لرسول الله ﷺ، فما ذهبوا يُحرِّفون، أو يُؤوِّلون، أو يقولون: إنَّ اليوم لا يُمكِن أن يَطول؛ لأنَّ الشَّمس تَجري في فلكها ولا تتغير، ولكنَّه يطول لكثرة المشاقِّ فيه وعظمِها فهو يَطُول؛ لأنَّه مُتْعِبٌ -بكسر العين- ما قالوا هكذا كما يَقول بعض المُتحَذْلِقين، ولكنْ صدَّقوا بأنَّ هذا اليوم سيكون اثنَيْ عشَر شهرًا حقيقة بدون تحريف وبدون تَأويل، وهكـذا حقيقة المؤمن يَنقاد لـما أَخبر الله به ورسوله ﷺ من أمور الغيب وإنْ حار فيها عقلُه.

لكنْ يجب أن تَعلَم أنَّ خبر الله ورسوله ﷺ لا يكون في شيءٍ محالٍ عقلًا، لكنْ يكون في شيء تحارُ فيه العقول؛ لأنَّها لا تدركه، فالرَّسول ﷺ أخبر أنَّ أوَّل يوم من أيام الدَّجَّال كسنة، لو أنَّ هذا الحديث مرَّ على المتأخرين الذين يدَّعون أنَّهم همَ العقلاء لقالوا: إن طوله مجازٌ عما فيه من التَّعب والمشقَّة؛ لأنَّ أيام السُّرور قصيرة، وأيام الشُّرور طويلة، ولكنَّ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من صفائهم وقبولهم سلَّموا في الحال، وقالوا بلسان الحال: إنَّ الذي خلق الشَّمس وجعلها تجري في

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٢٩٣٧)، من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أربع وعشرين ساعةً في اليوم واللَّيلة قادِرٌ على أن يَجعلها تَجرِي في اثنَيْ عشرَ شهرًا؛ لأنَّ الخالق واحد عَزَّوَجَلَّ فهو قادِرٌ؛ ولذلك سَلَّمُوا.

وقالوا: كيف نُصلِّي؟ ما سألوا عن الأمر الكونيِّ؛ لأنَّهم يَعلَمون أنَّ قدرة الله فوق مُستواهم، سألوا عن الأمر الشرعيِّ الذي هم مُكلَّفون به، وهو الصَّلاة، وهذا والله حقيقة الانقياد والقبول، قالوا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسَنَة، أَتكفِينا فيه صلاة يوم؟ قال: «**لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ**»(١).

وسبحان الله العظيم إذا تَأمَّلت تَبيَّن لك أنَّ هذا الدِّين تامٌّ كامل، لا يُمكِن أن تكون مسألة يحتاج النَّاس إليها إلى يوم القيامة إلا وُجِدَ لها أصلٌ، كيف أَنطقَ اللهُ الصَّحابة أن يَسألوا هذا السُّؤال؟

أنطقهم الله حتَّى يكون الدِّين كاملًا لا يحتاج إلى تكميل، وقد احتاج النَّاس إلى هذا الآن في المناطق القطبية، يبقى اللَّيل فيها ستة أشهر والنَّهار ستة أشهر، فنحتاج إلى هذا الحديث، انظر كيف أفتى الرَّسول ﷺ هذه الفتوى قبل أن تقع هذه المشكلة؛ لأنَّ اللهَ تعالى قال في كتابه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة:٣].

والله لو نَتأمَّل الكلمة: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ لعلِمنا أنَّه لا يُوجد شيء ناقص في الدِّين أبدًا، فهو كامل من كل وجه، لكن النَّقص فينا: إمَّا قصور في عقولنا، أو في أفهامنا، أو في إراداتٍ ليست منضبطةً يكون الإنسان يُريد أن ينصر قوله فيَعمَى عن الحقِّ -نسأل الله العافية- فلو أنَّنا نظرنا في علم، وفهم، وحسن نيَّة

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٢٩٣٧)، من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لوجدنا أنَّ الدِّين -ولله الحمد- لا يحتاج إلى مُكمِّل، وأنَّه لا يُمكِن أن تَقَع مسألة صغيرة ولا كبيرة إلا وُجد حلُّها في الكتاب والسُّنَّة، لكنْ لما كثُر الهوى وغلب على النَّاس صار بعض النَّاس يَعمَى عليهم الحقُّ ويَخفى عليهم، وتَجدهم إذا نزلت فيهم الحادثة التي لم تَكُن مَعروفةً من قبل بعينها، وإن كان جِنسها معروفًا، تجدهم يختلفون فيها أكثر من أصابعهم، إذا كانت تَحتَمِل قولين وُجدتْ فيها عشرةٌ، كلُّ هذا؛ لأنَّ الهوى غلب على النَّاس الآن، وإلَّا فلو كان القصد سليمًا والفهم صافيًا والعلم واسعًا لتبيَّن الحقُّ.

على كلِّ حالٍ، أقول: إنَّ الرَّسول ﷺ أخبر أنَّ الدَّجَّال يبقى أربعين يومًا، وبعد الأربعين يومًا ينزل المسيح عيسى ابنُ مريمَ الذي رفعه اللهُ إليه، وقد جاء في الأحاديث الصَّحيحة: «**أَنَّهُ يَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، وَاضِعًا كَفَّيهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَهُ إِلَّا مَاتَ**»[1].

وهذه من آيات الله، فيلحق الدَّجَّال عند باب لُدٍّ في فلسطين فيقتله هناك، وحينئذٍ يَقضي عليه نهائيًّا، ولا يقبل عيسى عَلَيهِ ٱلسَّلَامُ إِلَّا الإسلام، لا يقبل الجزية، ويَكسِر الصليب، ويَقتُل الخنزير، فلا يُعبد إِلَّا الله، وعلى هذا فالجزية التي فرضها الإسلام جعل الإسلام لها أمدًا تنتهي إليه عند نُزُولِ عِيسَى، ولا يُقال: إنَّ هذا تشريع من عيسى عَلَيهِ ٱلسَّلَامُ؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ أخبر بذلك مُقرًّا له، فوَضْعُ الجزية عند نزول عيسى عَلَيهِ ٱلسَّلَامُ من سُنَّة الرَّسول ﷺ؛ لأنَّ سُنَّة الرَّسول ﷺ قوله، وفعله،

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٢٩٣٧)، من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وإقراره، وكونه يَتحدَّث عن عيسى ابنِ مريمَ مُقِرًّا له فهذا من سُنَّتِه، وإِلَّا فإِنَّ عيسى لا يأتي بشرع جديد ولا أحد يأتي بشرع جديد، ليس إِلَّا شرع محمد ﷺ إلى يوم القيامة، هذا ما يَتعلَّق بالدَّجَّال. نَسأَل اللهَ أن يُعيذنا وإِيَّاكم من فِتنته.

س(٢٦٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل الدَّجَّال مِن بني آدَمَ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الدَّجَّال مِن بني آدَمَ، وبعض العلماء يقول: إِنَّه شيطان، وبعضهم يقول: إنَّ أباه إِنسيٌّ وأمَّه جِنِّيَّةٌ؛ وهذه الأقوال ليست صحيحة.

فالذي يظهر: أنَّ الدَّجَّال من بني آدَمَ، وأَنَّه يحتاج إلى الأكل والشرب وغير ذلك؛ ولهذا يقتله عيسى قتلًا عاديًّا كما يُقتلُ البشر.

س(٢٦٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن الدُّعاء الوارد في آخر التَّشهُّد في الصَّلاة قبل السَّلام: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ» فمن هو المسيح الدَّجَّال؟ وما هي فتنته؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا الدُّعاء الذي ذكر السَّائل أَمَر به نَبيُّنا محمَّد ﷺ في قوله: **«إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ باللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: أَعُوذُ باللهِ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ»**(١)، فهذه الأربع

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، رقم (١٣٧٧)، ومسلم: كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، رقم (٥٨٨).

أمر النَّبيُّ ﷺ بالاستعاذة منها بعد التَّشهُّد، وقبل السَّلام.

أمَّا من هو المسيح الدَّجَّال وفتنته؟ فنقول: المسيح الدَّجَّال رجل يَخرُج في آخر الزَّمان يَدَّعي الرُّبوبيَّة، ويُعطيه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من الآيات ما يكون سببًا للفتنة؛ امتِحانًا من الله تعالى واختبارًا، والدَّجَّال رجلٌ أعورُ؛ ولهذا سُمِّي: «المسيح» لمسح إحدى عينيه، ومعه جنَّةٌ ونار، فمن أطاعه أدخله الجنَّة التي معه، ولكنَّه لا يَجِد جنَّة وإنَّما يَجِد نارًا، ومن عصاه أدخله النَّار التي معه، ولكنَّه لا يَجِدها نارًا وإنَّما يَجِدُها ماءً عذبًا طيِّبًا أو جنَّة كما ورد في بعض ألفاظ الحديث(١).

ويَمكُث في الأرض أربعين يومًا، اليوم الأول بمِقدار سَنَة، والثَّاني بمقدار شهر، والثَّالث بمِقدار أسبوع، وبقية الأيام كأيامنا، وقد سأل الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ رسول الله ﷺ عن هذا اليوم الذي كسَنَة: هل تكفي فيه صلاةٌ واحدة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ**»(٢) أي: أنَّ هذا اليوم الأوَّلَ من أيام الدَّجَّال يُصلَّى فيه صلاةُ سنةٍ كاملة؛ لأنَّهُ عن سنة كاملة؛ واليوم الثَّاني: يُصلَّى فيه صلاةُ شهر؛ واليوم الثالث: يُصلَّى فيه صلاةُ أسبوع، وبقية الأيام تُصلَّى في كل يوم خمس صلوات.

ثم إنَّ هذا الدَّجَّال -مع ما يحصل من فِتنته العظيمة- يُوفِّق اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المؤمنين فيَعرفونه بعلامته، فإنَّه مَكتوبٌ بين عينيه: «كافر»، يَقرؤُها كلُّ مؤمن الكاتب وغير الكاتب، ويعمى عنها من ليس بمؤمن ولو كان قارئًا، ثم إنَّه أيضًا

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٢٩٣٤)، من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٢٩٣٧)، من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يُؤتى إليه برجل ليفتتن به، فيقول هذا الرجل: أشهد أنَّك الدَّجَّال الذي أخبرنا عنك رسول الله ﷺ. فيقطَعُه الدَّجَّال قطعتين، ثم يمشي بينهما، ثم يقف فيدعو هذا الرجل المقتول المفرَّقَ قطعتين، فيقوم هذا الرجلُ حيًّا، والنَّاس ينظرون إليه، فيقول له: أتشهد أنِّي الله؟ فيقول: أشهد أنَّك الدَّجَّال الذي أخبرنا عنك رسول الله ﷺ. فيقطعه مرة أخرى، ثم يعود فيدعوه فيقوم، ويقول: أشهد أنَّك أنت الدَّجَّال الذي أخبرنا عنك رسول الله ﷺ، فيريد أن يقتله كما قتله المرتين الأُولَيَين، ولكنَّه يَعجِز عنه، فيَأخُذ به ويُلقيه في النَّار، ولكنَّه -كما أسلفنا- النَّار التي معه جنَّةٌ وماء عذب كما جاء به الحديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

ونهاية هذا الدَّجَّال أنَّ عيسى ابنَ مريمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يَنزِل من السَّماء؛ لأنَّ عيسى ابنَ مريمَ قد رفعه الله تعالى إلى السَّماء حيًّا لم يَمُت، ثم يَنزِل في آخر الزمان، فيَقتل هذا المسيح الدَّجَّال، وتَنتهِي فتنته.

س(٢٦٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: قرأت في بعض الكتُب عن الدَّجَّال، فهل هو ابن صيَّاد أم لا؟ وكذلك في صحيح مسلم أنَّ الرَّسولَ ﷺ رأى رجُلًا يطوف بالبيت وفيه صفات الدَّجَّال، فلما سأل عنه قيل: هذا هو الدَّجَّال[2]، مع أنَّ الدَّجَّال لا يَدخُل مكَّةَ والمدينة، نَرجو الإفادة؟

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٢٩٣٤)، من حديث حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ﴾، رقم (٣٤٤٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم، رقم (١٦٩)، من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الصَّحيح: أنَّ ابن صيَّاد ليس هو الدَّجَّال الذي يَخرُج في آخر الزَّمان، وإنَّما هو دَجَّال من الدَّجَاجِلَةِ، يُشبِه الكُهَّان في تخرُّصه وتَخمينه، ولكنَّه ليس هو الدَّجَّال الذي يَخرُج في آخر الزَّمان ويَقتُله عيسى ابنُ مريمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وأما رُؤية النَّبيِّ ﷺ من قيل له أنَّه هو الدَّجَّال يَطوف بالبيت، فإنَّ الممتنِع على الدَّجال إنَّما هو دخُوله في اليقظة، فإنَّه لا يَدخُل الدَّجَّال الذي سيُبعث في آخر الزَّمان في مكةَ أو المدينة، وهذا في اليقظة، والأحكام الشَّرعية تَختلف في اليقظة وفي المنام.

* * *

س(٢٦٩): سُئِل فَضِيلَةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل الدَّجَّال موجودٌ الآنَ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الدَّجَّال غيرُ موجودٍ؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ خطب النَّاس في آخر حياته وقال: «**إِنَّهُ عَلَى رَأْسِ مِئَةِ سَنَةٍ لَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مِمَّنْ هُوَ عَلَيْهَا اليَوْمَ أَحَدٌ**»[1]. وهذا خبر، وخبر النَّبيِّ ﷺ لا يَدخُله الكذب، وهو مُتلقًّى من الوحي؛ لأنَّ النَّبيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يَعلَم مثل هذا الغيب، فهو غير موجود، ولكنَّ الله يبعثه متى شاء.



(١) أخرجه البخاري -بمعناه-: كتاب العلم، باب السمر في العلم، رقم (١١٦)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: «**لا تأتي مئة سنة، وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم**»، رقم (٢٥٣٧)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

س(٢٧٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ذكرتم في الفتوى السَّابقة أنَّ الدَّجَّال غير موجود الآن، وهذا الكلام ظاهِره يَتعارَض مع حديث فاطمةَ بنتِ قيس في الصحيح عن قصة تميم الداريِّ، فنرجو من فضيلتكم التكرم بتوضيح ذلك.

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ذكرنا هذا مُستدلِّين بما ثبت في الصَّحيحين عن النَّبيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال: «**إِنَّه عَلَى رَأْسِ مِئَةِ سَنَةٍ لَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مِمَّنْ هُوَ عَلَيْهَا اليَوْمَ أَحَدٌ**»[1].

فإذا طبَّقنا هذا الحديث على حديث تميم الداريِّ صار مُعارِضًا له؛ لأنَّ ظاهر حديث تميم الداريِّ[2] أنَّ هذا الدَّجَّال يبقى حتى يَخرُج، فيكون مُعارِضًا لهذا الحديث الثَّابت في الصَّحيحين، وأيضًا فإنَّ سياق حديث تميم الداريِّ في ذِكْر الجسَّاسة في نفسي منه شيء: هل هو من تعبير الرَّسول ﷺ أو لا.



س(٢٧١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن قول بعض أهل العلم: إنَّ الرُّسُل الذين أَنذَروا أقوامهم الدَّجَّال لم يُنذِروهم بعينه، وإنَّما أَنذَروهم بجنس فتنته؟

---

(١) أخرجه البخاري -بمعناه-: كتاب العلم، باب السمر في العلم، رقم (١١٦)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: «**لا تأتي مئة سنة، وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم**»، رقم (٢٥٣٧)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب قصة الجساسة، رقم (٢٩٤٢)، من حديث فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا القول ضعيف، بل هو نوع من التَّحريف؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ أخبر بأنَّه ما من نبيٍّ إلا أَنذَر به قومه بعينه، كما في صحيح مسلم أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ»[1]، وسبق لنا بيان الحكمة مِن إنذار الرُّسُل به، ولكنْ يَجِب علينا أن نَعلَم أنَّ جنس هذه الفتنة موجود حتى في غير هذا الرَّجل، يُوجد من بني آدمَ الآن من يُضِلُّ النَّاس بحاله ومقاله وبكلِّ ما يَستطيع، وتجد أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بحكمته أعطاه بيانًا وفصاحة ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال:٤٢].

فعلى المرء إذا سمِع مثل هذه الفِتَن التي تكون لأهل البِدَع من أُناس يَبتَدِعون في العقائد، وأناس يَبتَدِعون في السُّلوك وغير ذلك، يَجِب عليه أن يَعرِض هذه البِدَع على الكتاب والسُّنَّة، وأن يَحْذَرَ ويُحذِّرَ منها، وألَّا يَغترَّ بما تُكسى به مِن زخارف القول؛ فإنَّ هذه الزَّخارفَ كما قيل فيها:

حُجَجٌ تَهافَتُ كَالزُّجَاجِ تَخَالُـهَا حَقًّـا وَكُـلٌّ كَـاسِرٌ مَكْسُـورُ

فالدَّجَّال المُعيَّن لا شكَّ أنَّ فتنته أعظم شيء يكون، لكن هناك دجاجلة يُدجِّلون على النَّاس ويُموِّهون عليهم، فيَجِب الحذرُ منهم، ومعرفة إراداتهم ونواياهم؛ ولهذا قال تعالى في المنافقين: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤]، مع أنَّه قال: ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون:٤]، يعني: بيانه، وفصاحته، وعِظَمُه يَجُرُّك جرًّا إلى أن تَسمَع، لكنْ كأنَّهم خشُب مُسنَّدة، حتى الخشُب ما هي قائمة بنفسها، بل مُسنَدة تقوم على الجدار، فهي لا خير فيها.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٢٩٣٣)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٧١٣١)، بنحوه.

فهؤلاء الذين يُزيِّنون للنَّاس بأساليب القول، سواء في العقيدة، أو في السُّلوك، أو في المنهج، يَجِب الحذرُ منهم، وأن تَعرِض أقوالهم وأفعالهم على كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، فما خالفهما فهو باطل مهما كان، ولا تَقولَنَّ: إنَّ هؤلاء القوم أُعطُوا فصاحةً وبيانًا لِيَنصُروا الحقَّ، فإنَّ الله تعالى قد يَبتلي فيُعطي الإنسان فصاحة وبيانًا وإن كان على باطل، كما ابتلى اللهُ النَّاسَ بالدَّجَّال وهو على باطل بلا شكٍّ.

س(٢٧٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: في حديث عن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمْ الشَّعْرُ، وَحَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ صِغَارَ الأَعْيُنِ، حُمْرَ الوُجُوهِ، ذُلْفَ الأُنُوفِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ»[1]، فمَن هؤلاء المذكورون في الحديث؟ وهل هـمُ التَّتار؟ وما معنـى: «ذُلْفَ الأُنُوفِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ»؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا الحديث يُفسِّره الحديثُ الآخر، وهو ما رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المُسْلِمُونَ التُّرْكَ، قَومًا وُجُوهُهُمْ كَالمَجَانِّ المُطْرَقَةِ، يَلْبَسُونَ الشَّعْرَ، وَيَمْشُونَ فِي الشَّعْرِ**»[2]؛ فعلى هذا اللفظ يكون المراد بهم: التُّرك.

وعلى اللفظ الذي ذُكِر في السُّؤال يكون المراد: قِتال التُّرك وغيرهم، فيحتمل

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد، باب قتال الترك، رقم (٢٩٢٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، رقم (٢٩١٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أنَّهُمُ التَّتار، أو قوم سيأتون بعد. ومعنى قوله: «**ذُلْفَ الأُنُوفِ**»، فذَلف الأنف: قصره وانبطاحه، ومعنى قوله: «**كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ**» فالمجانُّ: جمع مِجَنٍّ وهو التُّرس.

والمطرقة: التي أُلبست طِرَاقًا، أي: جلدًا يغشاها، شبَّه وجوههم في استدارتها وكثرة لحمها بالمجانِّ المطرقة.

س(٢٧٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: طالعت في مجلة في ذِكْر المسيح عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث جاء في هذه المجلة ما نصُّه: «وجملة القول أنَّه ليس في القرآن نصٌّ صريح في أنَّ عيسى رُفِع بروحه وجسده إلى السَّماء حيًّا حياة دُنيوية، وليس فيه نصٌّ صريح بأنَّه يَنزِل من السَّماء». ثم ذكر في المجلة: «وأمَّا من يُنكِر الآن وجود المسيح حيًّا بروحه وجسده فقد عُلِم حُكْمُه مما تَقدَّم، وهو أنَّ هذه المسألة ليست من أصول عقائد الإسلام التي تُلقَّن لمن يَدخُل فيه ولأهله» فما رأيكم في هذا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: في هذا الكلام الذي ذكَره صاحب [.....] رَحِمَهُ اللَّهُ خطأ وصواب، فأمَّا الصَّواب فقوله: «ليس في القرآن نصٌّ صريح بأنَّه يَنزِل من السَّماء» لكنْ في السُّنَّة ما ظاهره ذلك، حيث عبر بلفظ: «**يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**»(١)، والنُّزول إنَّما يكون من أعلى، وهذا هو المَعروف عند أهل السُّنَّة والجماعة أنَّه يَنزِل من السَّماء.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب في فتح قسطنطينية، رقم (٢٨٩٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأمَّا قوله: «ليس في القرآن نَصٌّ صريح في أنَّه رُفِع بروحه وجسده» فهذا غريب من صاحب [...] عفا الله عنه فالقرآن يقول الله فيه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٧-١٥٨]، فهذا دليل على أنَّه لم يُقتَل، وهو كالنَّصِّ في أنَّه رُفِع حيًّا بروحه وجسده، فإنَّ الإضافة إلى الشَّخص إنَّما تعني الشَّخص بروحه وجسده؛ ولذلك كان أصحُّ الأقوال في معنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران:٥٥] أنَّ المراد بها: وفاة النَّوم.

وأمَّا قوله: «وأمَّا مَن يُنكِر الآن وجود المسيح حيًّا بروحه وجسده...» إلخ فاعلم أنَّ هذه المسألة كما ذكر ليست من أصول الدِّين، وإنَّما الذي هو من أصول الدِّين: أن نُؤمِن بأنَّ عيسى عبد الله ورسوله، لكنْ متى فهم الإنسان من القرآن أنَّ عيسى مرفوعٌ حيًّا بروحه وجسده ثم أَنكَر ذلك فقد كفَر؛ لأنَّه كذَّب القرآن، ومكذِّبُ القرآن كافر.

وحاصل ما أراه في هذه المسألة: أنَّ عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رُفِع إلى الله تعالى حيًّا بروحه وجسده، وأنَّ هذا ليس بمُمتنع عقلًا، وأنَّه يَنزِل من السَّماء في آخر الزَّمان حيًّا يحكم بشريعة النَّبيِّ ﷺ، وهذا هو ظاهر النُّصوص، فيَجب اعتماد من ظهر له ذلك عليه. والله أعلم.



س(٢٧٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن حُكْم مَن أَنكَر حياة الآخرة، وزعم أنَّ ذلك من خرافات القرون الوسطى؟ وكيف يُمكِن إقناع هؤلاء المُنكِرين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: مَن أَنكَر حياة الآخرة وزعَم أنَّ ذلك مِن خُرافات القرون الوسطى فهو كافِر؛ لقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام:٢٩-٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين:١٠-١٧]، وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان:١١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت:٢٣].

وأمَّا إقناع هؤلاء المُنكِرين فبما يأتي:

أولًا: أنَّ أَمْر البعث تَواتَر به النَّقل عن الأنبياء والمُرسَلين في الكتُب الإلهية، والشَّرائع السَّماوية، وتَلقَّته أممهم بالقبول، فكيف تُنكِرونه وأنتم تُصدِّقون بما يُنقَل إليكم عن فيلسوف أو صاحب مبدأ أو فكرة، وإن لم يَبلُغ ما بلغه الخبر عن البعث، لا في وسيلة النَّقل، ولا في شهادة الواقع؟!

ثانيًا: أنَّ أمر البعث قد شهد العقل بإمكانه، وذلك مِن وجوه:

١- كلُّ أحد لا ينكر أن يَكون مخلوقًا بعد العدم، وأنَّه حادث بعد أن لم يكن، فالذي خلقه وأحدثه بعد أن لم يكن، قادرٌ على إعادته بالأَولى، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]، وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

٢- كلُّ أحد لا يُنكر عظمة خلق السَّموات والأرض؛ لكبرهما وبديع صنعتهما، فالذي خلقهما قادرٌ على خلق النَّاس وإعادتهم بالأولى، قال الله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر:٥٧]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف:٣٣]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨١-٨٢].

٣- كلُّ ذي بصَر يُشاهِد الأرض مجدبةً ميتة النَّبات، فإذا نزل المطر عليها أخصبت وحيي نباتها بعد الموت، والقادر على إحياء الأرض بعد موتها قادرٌ على إحياء الموتى وبعثهم، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:٣٩].

ثالثًا: أنَّ أمر البعث قد شهِد الحِسَّ والواقع بإمكانه فيما أخبرنا الله تعالى به من وقائع إحياء الموتى، وقد ذكَر الله تعالى مِن ذلك في سورة البقرة خمس حوادثَ منها، قوله: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٥٩].

رابعًا: أنَّ الحِكْمة تَقتَضي البعث بعد الموت لتُجازى كل نفس بما كسبت،

ولولا ذلك لكان خلق النَّاس عبثًا لا قيمةَ لَهُ، ولا حكمةَ منه، ولم يكن بين الإنسان وبين البهائم فرق في هذه الحياة، قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٥- ١١٦]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه:١٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٣٨-٤٠]، وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧].

فإذا بُيِّنت هذه البراهينُ لمُنكِري البعث وأَصرُّوا على إنكارهم فهم مُكابِرون مُعانِدون، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ مُنقلب ينقلبون.

س(٢٧٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل عذاب القبر على البدن أو على الرُّوح؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الأصل أنَّه على الرُّوح؛ لأنَّ الحُكْم بعد الموت للروح، والبدن جثَّةٌ هامدة، ولهذا لا يحتاج البدنُ إلى إمدادٍ لبقائه، فلا يأكل ولا يشرب، بل تأكله الهوامُّ، فالأصل أنَّه على الرُّوح، لكنْ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إنَّ الرُّوح قد تتَّصل بالبدن فيُعذَّب أو يُنعَّم معها[1].

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٤).

وإنَّ لأهل السُّنَّة قولًا آخرَ بأنَّ العذاب أو النَّعيم يكون للبدن دون الرُّوح، واعتمدوا في ذلك على أنَّ هذا قد رُئي حِسًّا في القبر فقد فُتحت بعض القبور ورُئي أثر العذاب على الجسم، وفتحت بعض القبور ورُئي أثر النَّعيم على الجسم.

وقد حدَّثني بعض النَّاس أنَّهم في هذا البلد هنا في عنيزة كانوا يَحفرون لسور البلد الخارجي، فمرُّوا على قبر فانفتح اللَّحد فوُجِد فيه ميتٌ قد أَكلت كفنَه الأرضُ وبقي جسمه يابسًا لكنْ لم تأكل منه شيئًا، حتى إنَّهم قالوا: إنَّهم رأوا لحيته وفيها الحنَّاء وفاح عليهم رائحةٌ كأطيبِ ما يكون من المِسْك، فتَوقَّفوا وذهبوا إلى الشَّيخِ، وسألوه فقال: دَعوه على ما هو عليه واجنبوا عنه، احفروا من يمين أو من يسار.

فبِناء على ذلك قال العلماء: إنَّ الرُّوح قد تَتَّصل في البدن فيكون العذاب على هذا وهذا، وربما يُستأنَس لذلك بالحديث الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «**إِنَّ القَبْرَ لَيَضِيقُ عَلَى الكَافِرِ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ**»[1]، فهذا يَدُلُّ على أنَّ العذاب يكون على الجِسْم؛ لأنَّ الأضلاع في الجِسْم، والله أعلم.



س(٢٧٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن تحضير الأرواح، وهل هذا موجود حقيقةً أم خرافة، وما يقال: إنَّ هناك أشخاصًا يُحضِّرون أرواح الأموات، ويَلتَقون معهم ويُكلِّمونهم، فهل هذا صحيح؟

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٦) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٤٦٠) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بنحوه.

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا التَّحضير لأرواح الموتى لا يصحُّ، ولا يمكن أن يكون ثابتًا، وإذا قُدِّرَ أنَّ أحدًا زعم أنَّه حضَّر روح فلان وخاطبها وخاطبته، فإنَّ هذا شيطان يخاطبه بصوت ذلك الميِّت، فإنَّ الأرواح بعد الموت محفوظة، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١]. أي: لا يُفرِّطون في حفظ هذه الروح، ثم إنَّ الأرواح تكون بعد الموت في مَقرِّها، ولا يمكن أن تَحضُر إلى الدُّنيا بأي حال من الأحوال.

وتَعاطِي مثل هذا العمل مُحرَّم؛ لما فيه من الكذب، والدَّجل، وغشِّ النَّاس، وأكل المال بالباطل، فالواجب الحذر منه، والتَّحذير أيضًا لما فيه من المفاسد الكثيرة العظيمة.

س(٢٧٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما هو اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة في الحياة البرزخية؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: مَذهَب أهل السُّنَّة والجماعة في الحياة البرزخية: أنَّ الإنسان إذا دُفِن وتَولَّى عنه أصحابه أَتاه مَلكان فأجلساه، وسألاه عن ثلاثة أشياءَ: مَنْ ربُّك، وما دِينك، ومَن نبيُّك؟

فيُثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثَّابت في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة -جعلنا الله وإخواننا المسلمين منهم- فيقول المؤمن: ربي اللهُ، وديني الإسلامُ، ونبيِّي محمَّد. وأمَّا المنافق فإنَّه يقولُ: هـا، هـا، لا أدري، سمعت النَّاس يقولـون شيئًا فقلتُه.

ثم يبقى المؤمن منعَّمًا في قبره، والمنافق معذَّبًا في قبره، والعذاب يكون في الأصل على الرُّوح؛ ولهذا يُحِسُّ بالعذاب ولو تمزَّق بدنه وأكلته السِّباع، وربما تتَّصل الرُّوح بالبدن ويكون العذاب على الرُّوح والبدن جميعًا، ومسائلُ الآخرة كلُّها أمورُ غيبٍ، لا نَطَّلع على شيء منها إِلَّا عن طريق الوحي.

ولهذا لا يَنبغي لنا أن نَتعمَّق في السُّؤال عنها؛ لأَنَّنا سنَصِل إلى باب مسدود، ولن نصل إلى شيء من التَّفاصيل إلا عن طريق الكتاب والسُّنَّة، وقد ثبَت في الصحيحين عن عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم مرَّ بقبرَين فقال: «**إِنَّهما لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِير**» يعني: أَنَّهما لا يُعذَّبَانِ في أمرٍ شاقٍّ عليهما، بل هو أمر سهل «**أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لا يَسْتَبْرِئُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخرُ فَكَانَ يَمْشِي بالنَّمِيمَةِ**»[1].

يعني: بنقل كلام النَّاس بعضهم ببعض؛ ليُفسِد بينهم ويُفرِّقَ بينهم، فأمر بجريدة رَطْبَة فشقَّها نصفين، فجعل على كل قبر واحدة، فقالوا: لِـمَ صَنعتَ هذا يا رسول الله؟ قال: «**لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**».

ففي هذا دليل واضح على ثُبوت عذاب القبر، وأنه قد يَنقطِع، وقد يُخفَّفُ، وأخذ بعض أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ مِن هذا أَنَّه ينبغي: أن يُوضع على القبر جريدة رطْبة كما فعل النَّبيُّ ﷺ بهذين القبرين، لكن هذا مأخذٌ ضعيف جدًّا؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ ما كان يَضَع الجريدَتَين أو الجريدة الواحدة في كل من قُبِر، لكنْ وضعها على هذين القبرين اللَّذين يُعذَّبان، فوضعُ شيءٍ من هذا على القبر يُبرهِنُ على إساءة

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، رقم (٢١٦)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول، رقم (٢٩٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الظَّنِّ بصاحب القبر، وأنَّه الآن يُعذبُ، وهو بدعة؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ إذا فعل شيئًا لسبب فإنَّه لا يَقتضِي أن يكون عامًّا في كل شيء، بل فيما ثبت في هذا السَّبب، ثُمَّ هذا السَّبب ليس أمرًا معلومًا بحيث نعلم أنَّ هذا الرجل يُعذَّب في قبره فنضع له الجريدة، بل هو مجهول، وهو عذاب القبر؛ فلهذا ينهى أن يوضع على القبر شيء من الزُّهور، أو شيء من الأغصان، أو شيء من الجريد؛ لأنَّ ذلك كله من البِدَع، ومتى قصد به التَّخفيف من العذاب عن هذا القبر صار إساءةَ ظنٍّ بصاحبه.

س(٢٧٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: ما هي عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الحياة البرزخية؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: عقيدتهم في الحياة البرزخية ما جاء في الكِتاب والسُّنَّة من الأدلة على أنَّ الإنسان يُعذَّب في قبره ويُنعَّم بحسب حاله، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في آلِ فرعونَ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣].

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ

﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٨٣-٩٦].

وهذه الحياة التي يكون فيها النَّعيم أو العذاب حياة برزخية، ليست كحياة الدُّنيا، فلا يحتاج فيها الحيُّ إلى ماء، ولا طعامٍ، ولا هواء، ولا وِقاية من بَرْد، ولا وِقاية من حَرٍّ، فهي حياة لا نَعلَم كيفيتها، بل هي مِن أمور الغيب التي لا يَعلَمها إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ أو مَن وصل إليها وحصل له بها حقُّ اليقين، ونحن نقول في صلواتنا ما أَمَرنا به نبيُّنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من الدُّعاء في آخر الصَّلاة: «**أَعُوذُ باللهِ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المسِيحِ الدَّجَّالِ**»(١).

س(٢٧٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن قوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٠]، وما تدلُّ عليه الآية مِن الحياة البرزخية.

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الحياة البرزخية هي الحياة التي تكون بين موت الإنسان وقيام السَّاعة، والإنسان قد يُقبَر فيُدفَن في الأرض، وقد يُلقَى في البحر فتأكله الحيتان، وقد يُلقَى في البرِّ فتأكله الطيور والوحوش، ومع ذلك فإنَّ كلَّ واحد من هؤلاء يَناله من الحياة البرزخية ما يناله.

والحياة البرزخية من عالم الغيب، فلولا أنَّ اللهَ ورسولَه ﷺ أخبرانا بما يكون

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، رقم (١٣٧٧)، ومسلم: كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، رقم (٥٨٨).

فيها ما علمنا عنها، ولكنَّ الله تعالى أخبرنا في كتابه، ورسوله ﷺ أخبرنا في سُنَّته بما لا نعلمه عن هذا الأمر.

فالحياة البرزخية: يكون فيها العذاب ويكون فيها النَّعيم، إمَّا على الروح وحدها، أو تَتَّصِل بالبدن أحيانًا، لكن هذا العذاب ليس من عالم الشَّهادة؛ ولهذا يُعذَّب الإنسان في قبره، ويضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه، أو يُفسح له في القبر، ويُنعَّم فيه، ويُفتح له باب من الجنَّة، يأتيه من روحها ونعيمها، ولو أنَّنا كشفنا القبر لوجدنا الميِّت كما دفناه بالأمس، لم تَختلِف أضلاعه، ولم نجد رائحة من روائح الجنَّة، ولا شيئًا من هذا؛ لأنَّ هذه الحياة حياة برزخية غير معلومة لنا، وليست من عالم الشَّهادة.

وأضرب لهذا مثلًا يُقرِّب ذلك: بحال الإنسان النائم، فهو يرى في منامه أنَّه يذهب ويجيء، ويبيع ويشتري، ويُصلي، ويزور قريبًا له، ويعود مريضًا، وهو في منامه مُضطَجِعٌ عندك، ما كأنَّه رأى شيئًا من ذلك، ومع ذلك هذا النَّائم يَرى، وهكذا أيضًا الحياة البرزخية، الميِّت يرى فيها ما يرى، ويُنعَّمُ فيها ويُعذَّبُ، لكنْ في جانب الحسِّ لا يُشاهَد شيءٌ من هذا؛ وذلك أنَّ النَّوم أخو الموت في الواقع، لكن الموتَ أشدُّ وأعظمُ عمقًا في مثل هذه الأمور.

والنَّفس لها تَعلُّق بالبدن على وجوه أربعة:

الأول: تَعلُّقها بالبدن في حال الحمل.

الثاني: تَعلُّقها في حال الحياة الدُّنيا، وتَعلُّقها في حال الحياة الدُّنيا يكون في حال اليقظة، وفي حال النَّوم، ويَختلِف هذا عن هذا.

الثَّالث: تَعلُّقها بالبدن في البرزخ.

الرابع: تَعلُّقها بالبدن بعد البعث.

وهذا الأخير هو أكمل التَّعلقات؛ ولهذا لا تُفارِق الروح البدن، لا بنَوم، ولا بموت؛ إذ لا موت بعد البعث ولا نوم، وإنَّما هي حياة دائمة وحياة يقظة، لكنْ إمَّا في نعيم دائم -نسأل اللهُ أن يجعلني وإخواني من هؤلاء-، وإمَّا في جحيم دائم -والعياذ بالله-، كما قال تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف:٧٥]، وأمَّا أهل النَّعيم فهم في نعيم دائم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٤]، وقوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف:٧١].

وما ذكرنا من أنواعِ تَعلُّقِ الروح بالبدن فإنَّ لكلٍّ مِن هذه الأنواع خاصِّيَّة ليست للأخرى.

س(٢٨٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما المراد بالقبر؟ هل هو مَدفَن الميِّت أو البرزخ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أصل القبر مَدفَن الميِّت، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عبس:٢١]، قال ابن عباس: أيْ: أكرَمَهُ بدفنه.

وقد يراد به: البرزخ الذي بين موت الإنسان وقيام السَّاعة وإن لم يُدفَن، كما قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٠]. يعني مِن وراء الذين

ماتوا؛ لأنَّ أول الآية يَدُلُّ على هذا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠].

ولكن هل الدَّاعي إذا دعا: «أعوذُ بالله من عذاب القبر» يريد من عذاب مدفن الموتى، أو من عذاب البرزخ الذي بين موته وبين قيام السَّاعة.

والجواب: يريد الثاني؛ لأنَّ الإنسان -في الحقيقة- لا يدري هل يموت ويُدفن أو يموت وتأكله السِّباع، أو يحترق ويكون رمادًا ما يدري، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان:٣٤]، فاستَحضِرْ أنَّك إذا قلت: «من عذاب القبر» أيْ: من العذاب الذي يكون للإنسان بعد موته إلى قيام السَّاعة.

س(٢٨١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل عذاب القبر يَختَصُّ بالرُّوح أم بالبدن؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: عذاب القبر ثابت بكتاب الله وسُنَّة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أمَّا في كتاب الله: فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣]، وفي قوله تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

وأمَّا الأحاديث التي فيها عذاب القبر فهي كثيرة: ومنها الحديث الذي يَعرِفه الخاصُّ والعامُّ من المسلمين، وهو قول المُصلِّي في التَّشهُّد في الصَّلاة بما أمرنا به نبيُّنا محمد ﷺ بقوله: «**أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(١).

وعذاب القبر في الأصل: على الرُّوح وربما تَتَّصل بالبدن أحيانًا، ولا سيَّما حين سؤال الإنسان عن ربه ودِينه ونَبيِّه حين دفنه، فإنَّ روحه تُعاد إلى جسده، لكنَّها إعادة برزخية لا تَتعلَّق بالبدن تَعلُّقها به في الدنيا، فيسأل الميِّت عن ربه ونَبيِّه ودِينه، فإذا كان كافرًا أو مُنافقًا قال: هاه، هاه، لا أدري، سمعت النَّاس يقولون شيئًا فقلته. فيُضرَب بمِرْزَبَّة من حديد فيَصيح صيحة يَسمَعها كل شيء إلَّا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصَعِق.

س(٢٨٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عندما يُدْفَن الميت في قبره، هل تُردُّ الرُّوح إلى جسده؟ وإذا كانت تُرد الرُّوح إلى الجسد في القبر فكيف يكون ذلك؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ثبَت عن رسول الله ﷺ أنَّ الميِّت إذا مات فإنَّها تُعاد روحه إليه في قبره، ويُسأَل عن ربِّه ودِينه ونَبيِّه، فيُثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثَّابت في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة، فيقول المؤمنُ: ربِّي الله، وديني الإسلام، ونبيِّي محمَّدٌ.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، رقم (١٣٧٧)، ومسلم: كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، رقم (٥٨٨).

وأمَّا الكافر أو المنافق فإنَّه إذا سُئِل يقول: هـا، هـا، لا أدري، سمعت النَّاس يقولون شيئًا فقلته.

وإعادة الرُّوح إلى البدن في القبر ليست كحصول روح الإنسان في بدنه في الدُّنيا؛ لأنَّها حياة برزخية ولا نَعلَم كُنْهَهَا، إذْ أَنَّنا لم نُخْبَرْ عن كُنْهِ هذه الحياة، وكلُّ الأمور الغيبيَّة التي لم نُخبر عنها فإنَّ واجبنا نحوها التَّوقُّف، لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

س(٢٨٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل عذاب القبر ثابت؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: عذاب القـبر ثابت بصريح السُّنَّة، وظاهـر القرآن، وإجماع المسلمين، هذه ثلاثة أدلة:

أمَّا صريح السُّنَّة: فقد قال النَّبيُّ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**»(١).

وأمَّا إجماع المسلمين: فلأنَّ جميع المسلمين يَقولون في صلاتهم: «**أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ جهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ**»(٢)، حتى العامَّة الذين ليسوا من أهل الإجماع ولا من العلماء.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، رقم (٢٨٦٧)، من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالها مرة واحدة، وأخرجه أبو داود رقم (٤٧٥٣) من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالها مرتين أو ثلاثة.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، رقم (١٣٧٧)، ومسلم: كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، رقم (٥٨٨).

وأما ظاهر القرآن فمثل قوله تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]، ولا شكَّ أنَّ عرضهم على النَّار ليس من أجل أن يطلعوا عليها، بل من أجْلِ أن يصيبهم من عذابها.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ الله أكبرُ، إنَّهم لشَحِيحُون بأنفسهم ما يريدون أن تخرج: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣]، فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ و«أل» هنا: للعهد الحضوريِّ، اليوم يعني: اليوم الحاضر الذي هو يوم وفاتهم: ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

إِذَنْ: فعذاب القبر ثابت بصريح السُّنَّة، وظاهر القرآن، وإجماع المسلمين، وهذا الظَّاهر من القرآن يَكاد يكون كالصَّريح؛ لأنَّ الآيتين اللَّتين ذكرناهما كالصَّريح في ذلك.

س(٢٨٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل عذاب القبر يَشمَل المؤمن والعاصي، أو هو خاصٌّ بالكفار؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: عذاب القبر المستمر يكون للمنافق والكافر، وأمَّا المؤمن العاصي فإنَّه قد يعذب في قبره؛ لأنَّه ثبت في الصَّحيحين من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبيَّ ﷺ مرَّ بقبْرَين فقال: «**إنَّهما لَيُعذَّبانِ وَمَا يُعذَّبانِ في كَبيرٍ؛ أمَّا أَحَدُهُما**

فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَولِ، وأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»[1]، وهذا معروف: أَنَّهما كانا مُسلِمَين.

س(٢٨٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن عذاب القبر وأسباب النجاة منه، وهل يُلقَّن الميت بعد الفراغ من دفنه فيُقال لَهُ: إذا سألك الملَكان مَنْ ربُّك؟ فقل: ربِّي الله، وما نبيُّك؟ وما دِينك؟ هل صحيح أنَّ الميِّت يسمعُهم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إذا دُفن الميِّت وتولَّى عنه أصحابه فإنَّه يَسمَع قَرْع نِعالهم وقد تمَّ توديعُه، وحينئذٍ يَأتيه الملَكان فيَسألانه عن ربِّه ودِينه ونَبيِّه، فإن أجاب بالصَّواب فُسِّح له في قبره، وفُتِح له باب إلى الجنَّة، ونادى منادٍ من السَّماء: أن صدق عبدي. وإن توقف وقال: لا أدري. فإنَّه يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعُه، وينادي منادٍ من السَّماء: أن كَذَبَ عبدِي. ويُفتح له باب إلى النَّار، فيأتيه من حَرِّها وسَمومها.

وأمَّا الأسباب المُنجِّية مِنْ عذاب القبر: فهي كثيرة تنحصر فِي أنَّ الأسباب الواقية من عذاب القبر هي القيام بطاعة الله، فيفعل ما أمر الله به، ويترك ما نهى الله عنه.

ومن الأسباب الواقية من عذاب القبر: التَّعوُّذ بالله من عذاب القبر، ولهذا أمرنا النَّبيُّ ﷺ أن نَتعوَّذ من عذاب القبر أمرًا عامًّا، فقال: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ**

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، رقم (٢١٦)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول، رقم (٢٩٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

القَبْرِ»[١]، وأمرنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن نتعوذ بالله من عذاب القبر أمرًا خاصًّا بعد التشهد الأخير، حيث قال ﷺ: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ التَّشَهُّدَ الآخِرَ** -أو قال: **الأَخِير**- **فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»[٢].

ومن أسباب عذاب القبر: عدم التَّنَزُّه من البول، والمشي بين النَّاس بالنميمة، كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: مرَّ النَّبيُّ ﷺ بقبرين فقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَبْرِئُ مِنَ البَوْلِ** -أو قال: **لا يَستَنْزِهُ مِنَ البَوْلِ**-، **وأَمَّا الثَّانِي فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»، ثم أخذ جريدة رَطْبة فشقَّها نصفين، وغرز في كل قبرٍ واحدةً، قالوا: لِـمَ صنعتَ هذا يا رسول الله؟ قال: «**لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»[٣]، فبَيَّن النَّبيُّ ﷺ عذابهما بأنَّ أحدهما لا يَستبرِئ من البول، وأنَّ الثَّاني كان يَمشي بالنَّميمة.

والنميمة هي: نقل كلام النَّاس فيما بينهم على سبيل الإفساد، فيأتي للشَّخص ويقول: قال فلان فيك كذا وكذا؛ ليُلقِي العداوة بينهما.

وبهذه المناسبة أَوَدُّ أن أُنبِّه على شيء يَفعَله بعض النَّاس: فإنَّه إذا فَرغ مِن دَفْن الميِّت وَضع عليه غُصنًا أخضرَ من جريد النَّخل أو غيره اقتداءً برسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، رقم (٢٨٦٧)، من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالها مرة واحدة، وأخرجه أبو داود رقم (٤٧٥٣) من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالها مرتين أو ثلاثة.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، رقم (١٣٧٧)، ومسلم: كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، رقم (٥٨٨).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، رقم (٢١٦)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول، رقم (٢٩٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حيث وضع الجريدة التي شقَّها نصفين على كل قبر واحدة، فإنَّ هذا الذي يفعله بعض النَّاس بِدْعة؛ لأنَّ رسول الله ﷺ ما كان يَفعَله على قبر كلِّ ميِّت، وأيضًا فإنَّ الرَّسول ﷺ فعَله لسبب وهو: أنَّ أصحاب القبرين يُعذَّبان، فما يُدري هذا الرَّجل أنَّ صاحبه يُعذَّب حتى يَضَع عليه هذا الغُصن الأخضر، وأيضًا فإنَّ وضع هذا الغصن الأخضر شهادة بالفعل على أنَّ صاحب القبر يُعذب، فيكون في ذلك إساءة ظنٍّ بصاحب القبر، لكن بعض النَّاس لا يتأمَّلون ماذا يَتفرَّع على أفعالهم من المفاسد، فتَجِدهم يأخذون بظاهر الحال، ولا يَتأمَّلون حق التأمُّل.

س(٢٨٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: إذا لم يُدفَن الميِّت فأكلته السِّباع، أو ذَرَته الرِّياح، فهل يُعذب عذاب القبر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نعم، ويكون العذاب على الرُّوح؛ لأنَّ الجسد قد زال وتلِف وفنِي، وإن كان هذا أمرًا غيبيًّا لا أستطيع أن أجزِم بأنَّ البدن لا يناله من هذا العذاب ولو كان قد فنِيَ واحترق؛ لأنَّ الأمر الأخرويَّ لا يَستطيع الإنسان أن يَقيسه على المُشاهَد في الدُّنيا.

س(٢٨٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كيف نُجيب مَن يُنكِر عذاب القبر ويَحتَجُّ بأنَّه لو كشف القبر لوُجِد لم يَتغيرْ ولم يَضِقْ ولم يتَّسع؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: يجاب مَن أَنكَر عذاب القبر بحُجَّة أنَّه لو كشف القبر لوُجِد أنَّه لم يَتغيَّر بعدة أجوبة، منها:

أولًا: أنَّ عذاب القبر ثابِت بالشَّرْع، قال الله تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]، وقوله ﷺ: «**فَلَوْلَا أَنْ تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ**». ثُمَّ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ**». قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ. فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**». قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ[1]، وقول النَّبيِّ ﷺ في المؤمن: «**يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ**»[2] إلى غير ذلك من النُّصوص، فلا يجوز معارضة هذه النُّصوص بوهم من القول، بلِ الواجبُ التَّصديق والإذعان.

ثانيًا: أنَّ عذاب القبر على الرُّوح في الأصل، وليس أمرًا محسوسًا على البدن، فلو كان أمرًا محسوسًا على البدن لم يَكُن مِن الإيمان بالغيب ولم يَكُن للإيمان به فائدة، لكنَّه مِن أمور الغيب، وأحوال البرزخ لا تُقاس بأحوال الدُّنيا.

ثالثًا: أنَّ العذاب والنَّعيم وسَعة القبر وضيقه إنَّما يُدرِكه الميِّت دون غيره، والإنسان قد يرى في المنام وهو نائم على فراشه أنَّه قائم وذاهب وراجع، وضارب ومضروب، ويرى أنَّه في مكان ضيق مُوحِش، أو في مكان واسع بَهيج، والذي حوله لا يرى ذلك ولا يَشعُر به.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، رقم (٢٨٦٧)، من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالها مرة واحدة، وأخرجه أبو داود رقم (٤٧٥٣) من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالها مرتين أو ثلاثة.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، وأبو داود: كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣)، من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه أحمد (٣/ ٣)، والترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٤٦٠)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والواجب على الإنسان في مثل هذه الأمور أن يَقول: سمعنا وأطعنا، وآمنَّا وصدَّقنا.

س(٢٨٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل عذاب القبر دائم أو مُنقطِع؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أمَّا إن كان الإنسان كافرًا -والعياذ بالله- فإنَّه لا طريق إلى وصول النَّعيم إليه أبدًا، ويكون عذابه مُستَمِرًّا.

وأمَّا إن كان عاصيًا وهو مؤمن، فإنَّه إذا عُذِّب في قبره يُعذَّب بقدر ذنوبه، وربما يكون عذابُ ذنوبه أقلَّ من البرزخ الذي بين موته وقيام السَّاعة، وحينئذٍ يكون منقطعًا.

س(٢٨٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: الذين يَغتابون النَّاس هل يُعذَّبون في القبر، أم يُؤجَّل العذاب ليوم القيامة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أمَّا الذين يمشون بالنَّميمة فيُعذبون في قبورهم كما في حديث ابن عباس[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبيَّ ﷺ مرَّ بقبرَيْن يُعذَّبان، وفيه: أنَّ أحدهما كان يمشي بالنميمة.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، رقم (٢١٦)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول، رقم (٢٩٢)، من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأمَّا الغيبة فيمكن أن يُعذب في قبره، ويمكن أن يعفو الله عنه، أو يُؤخِّر عذابه إلى يوم القيامة، هذا بالنسبة لحقِّ الله، أمَّا بالنسبة لحقِّ الشَّخص الذي اغتابه فيُؤخذ من أعمال الجاني يوم القيامة. والله أعلم.

كتبه محمد الصَّالح العُثَيْمين

في ٢٧/ ١٠/ ١٣٩٢هـ.

س(٢٩٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل يُخفَّفُ عذاب القبر عن المؤمن العاصي؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نعم، قد يُخفَّفُ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ مرَّ بقبرَيْن فقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَبْرِئُ -أو قال: لا يَستترِ مِن البَوْل-، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**». ثم أخذ جريدة رَطْبة فشقَّها نصفين فغرز في كل قبرٍ واحدةً وقال: «**لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»(١). وهذا دليل على أنَّه قد يخفف العذاب.

ولكنْ ما مناسبة هاتين الجريدَتَين لتخفيف العذاب عن هذين المعذَّبَينِ؟

١- قيل: لأنَّهما -أيْ: الجريدَتَين- تُسبِّحان ما لم ييبسا، والتَّسبيح يُخفِّف من العذاب على الميت، وقد فرَّعوا على هذه العلة المُستنبطَةِ -التي قد تكون مُستبعدةً- أنَّه يُسنُّ للإنسان أن يذهب إلى القبور ويُسبِّحُ عندها من أجل أن يُخفَّفَ عنها.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، رقم (٢١٦)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول، رقم (٢٩٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢- **وقال بعض العلماء**: هذا التَّعليل ضعيف؛ لأنَّ الجريدَتَين تسبِّحان سواءً كانتا رَطْبتَين أم يابسَتَين؛ لقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ [الإسراء:٤٤]. وقد سُمِع تسبيح الحصى بين يديِ الرَّسول ﷺ، مع أنَّ الحصى يابس، إِذَنْ ما العلَّة؟

العلَّة: أنَّ الرَّسول ﷺ ترجَّى من الله عَزَّوَجَلَّ أن يخفف عنهما من العذاب ما دامت هاتان الجريدتان رَطْبتَين، يعني أنَّ المدة ليست طويلة وذلك من أجل التحذير عن فعلهما؛ لأنَّ فِعلهما كبير كما جاء في الرواية: «**بَلَى إِنَّه كَبِيرٌ**» أحدهما: لا يستبرِئُ من البول، وإذا لم يستبرِئْ من البول صلَّى بغير طهارة.

والآخر: يمشي بالنَّميمة يُفسِد بين عباد الله -والعياذ بالله- ويُلقي بينهم العداوة والبغضاء، فالأمر كبير، وهذا هو الأقرب، أنَّها شفاعة مؤقتة؛ تحذيرًا للأُمَّة، لا بُخلًا من الرَّسول ﷺ بالشَّفاعة الدَّائمة.

ونَقول استِطرادًا: إنَّ بعض العلماء عفا الله عنهم قالوا: يُسَنُّ أن يَضَع الإنسان جريدة رَطْبة، أو شجرة، أو نحوها على القبر؛ ليخفف عنه، لكن هذا الاستِنباط بعيدٌ جدًّا، ولا يجوز أن نَصنَع ذلك لأمور:

أولًا: أنَّنا لم يُكشف لنا أنَّ هذا الرجل يُعذَّب، بخلاف النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثانيًا: أنَّنا إذا فعلنا ذلك فقد أسأنا إلى الميِّت؛ لأنَّنا ظننَّا به ظنَّ سُوء أنَّه يُعذَّب، وما يدرينا فلعله يُنعَّم، لعلَّ هذا الميت مِمَّن منَّ الله عليه بالمغفرة قبل موته لوجود سبب من أسباب المغفرة الكثيرة، فمات وقد عفا ربُّ العباد عنه، وحينئذٍ لا يستحقُّ عذابًا.

ثالثًا: أنَّ هذا الاستنباط مخالف لما كان عليه السَّلف الصَّالح الذي هم أعلم النَّاس بشريعة الله، فما فعل هذا أحد من الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فما بالُنا نحن نفعله؟!

رابعًا: أنَّ الله تعالى قد فتح لنا ما هو خير منه، فكان النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: «**اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ واسْأَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ**»[1].

س(٢٩١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما مدى صحَّة ما يُقال: بأن من يموت في رمضانَ أو يوم الجمعة لا يُعذَّب عذاب القبر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: عذاب القبر ثابت لكل من يَستحِقُّه، سواءً مات في يوم الجمعة، أو في رمضانَ، أو في أيِّ وقت آخرَ.

ولهذا المسلمون يقولون في صلاتهم بما أرشدهم نبيُّنا محمد ﷺ: «**أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا والمَماتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»[2]، إلَّا أنَّ من مات مجاهدًا في سبيل الله فإنَّه لا يأتيه الملَكان اللَّذان يَسألانه عن دِينه وربه ونبيِّه؛ لأنَّ بارقة السُّيوف على رأسه أكبر امتحان له واختبار، وأكبر دليل على أنَّه مؤمن، وإلَّا لما عرَّض رقبته لأعداء الله.

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت، رقم (٣٢٢١)، من حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، رقم (١٣٧٧)، ومسلم: كتاب المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، رقم (٥٨٨).

س(٢٩٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل الميت يُبصِر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الميِّت لا يُبصِر البصرَ المعروف في الدُّنيا؛ لأنَّه قد فقد الإحساس بموته، لكنَّه يُبصِر ما يراه في قبره من عالَم الآخرة، ويُفسح له في قبره مَدَّ البصر إن كان مؤمنًا، ويَرى الملَكين يسألانه عن ربِّه، ودِينه، ونبيِّه.

وأمَّا ما يتعلق بأمور الدُّنيا: فإنَّه لا يُبصِره؛ لأنَّه قد حُجب عن أمور الدُّنيا بموته.

س(٢٩٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: إذا تُوفِّيَ المسلم هل يَذهَب إلى الجنَّة، وكذلك الكافر، هل يُذهَب به إلى النَّار بعد وفاته، أو يَبقَى في القبر إلى يوم القيامة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: جسم الميت يَبقَى في الأرض في مكانه الذي دُفِن فيه إلى يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس:٥١]. وقال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٠]. فهو باقٍ في الأرض.

وأمَّا الرُّوح فإنَّها تكون في الجنَّة أو تكون في النَّار، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢]، فبيَّن أنَّ هذا القول يَكون عند الوفاة، فمعنى ذلك: أنَّهم يَدخُلون الجنَّة يوم وفاتهم، وهذا لا يكون إلا للرُّوح ولا يكون للبدن، وقد ثبت عن النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «**أَنَّ المَيِّتَ فِي قَبْرِهِ إِذَا كَانَ مُؤْمِنًا يُفْتَحُ لَهُ بَاب إِلَى الجنَّة، وَيَأْتِيهِ مِنْ**

رَوحِهَا وَنَعِيمِهَا»(١).

وأمَّا الكافر فإنَّ روحه يُذهَب بها إلى العذاب، قال الله تعالى عن آل فرعونَ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]، وفيها قراءة: «ويوم تَقوم السَّاعة وأدخلوا آل فرعونَ أشدَّ العذاب».

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال:٥٠-٥١]، فهذا دليل على أنَّ الميِّت المؤمن يَلقَى جزاءه في الجنَّة مِن يوم موته، والكافر يَلقَى عذابه في النَّار مِن يوم موته، وهذا بالنسبة للرُّوح.

أمَّا البدن: فإنَّه يَبقَى في الأرض إلى يوم القيامة، وقد تَتَّصِل الرُّوح به مُعذَّبةً أو مُنعَّمة، كما تَدُل على ذلك الأحاديث.



(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣)، والترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٤٦٠)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دون قوله: «**ويأتيه من روحها ونعيمها**»، وأخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣)، من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: «**فيأتيه من روحها وطيبها**»، وانظر: كتاب الروح، لابن القيم (ص:٧٤).

س(٢٩٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل عذاب القبر من أمور الغيب أو من أمور الشَّهادة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: عذاب القبر من أمور الغيب، وكم من إنسان في هذه المقابر يُعذَّب ونحن لا نَشعُر به، وكم جارٍ له مُنعَّمٍ مفتوحٍ له باب إلى الجنَّة ونحن لا نشعُر به، فما تحت القبور لا يَعلَمه إلَّا علَّام الغيوب، فشأن عذاب القبر مِن أمور الغيب، ولولا الوحي الذي جاء به النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما علمنا عنه شيئًا؛ ولهذا لما دخلت امرأة يهودية إلى عائشة وأخبرتها أنَّ الميِّت يُعذَّب في قبره[1] فزعت، حتى جاء النَّبيُّ ﷺ وأخبرته وأقرَّ ذلك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولكن قد يُطلِع الله تعالى عليه مَن شاء مِن عباده، مثل ما أَطلَع نبيَّه ﷺ على الرَّجلين اللَّذين يُعذَّبان، أحدهما يمشي بالنَّميمَة، والآخر لا يستنزِهُ من البول[2].

والحكمة من جعله من أمور الغيب هو:

أولًا: أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أرحَمُ الراحمين، فلو كنَّا نطَّلع على عذاب القبور لتَنكَّد عيشنا؛ لأنَّ الإنسان إذا اطَّلع على أنَّ أباه، أو أخاه، أو ابنه، أو زوجه، أو قريبه يُعذَّب في القبر ولا يَستطيع فِكاكه، فإنَّه يَقلَق ولا يستريح، وهذه من نعمة الله سبحانه.

ثانيًا: أنَّه فضيحة للميِّت فلو كان هذا الميِّت قد سَتَر الله عليه ولم نَعلَم عن ذنوبه بينه وبين ربه عَزَّوَجَلَّ، ثم مات وأطلعنا الله على عذابه، صار في ذلك فضيحةٌ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الكسوف، باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف، رقم (١٠٤٩)، ومسلم: كتاب الكسوف، باب ذكر عذاب القبر في صلاة الخسوف، رقم (٩٠٣)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، رقم (٢١٦)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول، رقم (٢٩٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عظيمة له، ففي ستره رحمة من الله بالميِّت.

ثالثًا: أنَّه قد يَصعُب على الإنسان دفنُ الميِّت كما جاء عن النَّبيِّ ﷺ: «**لَولَا أَلَّا تَدَافَنُوا لَسَأَلْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**»(١)، ففيه أنَّ الدَّفن ربما يصعُب ويشقُّ ولا ينقاد النَّاس لذلك، وإن كان من يَستحِقُّ عذاب القبر عُذِّب ولو على سطح الأرض، لكنْ قد يتوهم النَّاس أنَّ العذاب لا يكون إلَّا في حال الدَّفن فلا يدفن بعضهم بعضًا.

رابعًا: أنَّه لو كان ظاهرًا لم يكن للإيمان به مَزِية؛ لأنَّه يكون مُشاهَدًا لا يُمكِن إنكاره، ثُمَّ إنَّه قد يَحمِل النَّاس على أن يُؤمِنوا كلُّهم؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر:٨٤]، فإذا رأى النَّاس هؤلاء المدفونين وسمعوهم يَتصارَخون لآمَنوا وما كَفَر أحَد؛ لأنَّه أيقَن بالعذاب، ورآه رأي العين فكأنَّه نزل به، وحِكَمُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عظيمة، والإنسان المؤمن حقيقة هو الذي يَجزِم بخبر الله أكثر مما يَجزِم بما شاهده بعينه؛ لأنَّ خبر الله عَزَّوَجَلَّ لا يَتطرَّق إليه احتمال الوهم ولا الكذب، وما تَراه بعينك يُمكِن أن تَتوهَّم فيه، فكم مِن إنسان شهد أنَّه رأى الهلال، وإذا هي نجمة، وكم مِن إنسان شهد أنَّه رأى الهلال وإذا هي شعرة بيضاء على حاجبه، وهذا وهم، وكم مِن إنسان يرى شبحًا ويقول: هذا إنسان مُقبل. وإذا هو جِذْع نخلة، وكم مِن إنسان يَرى السَّاكِن مُتحرِّكًا والمتحرك ساكنًا، لكن خبر الله لا يَتطرَّق إليه الاحتمال أبدًا.

نسأل الله لنا ولكم الثَّبات، فخبر الله بهذه الأمور أقوى مِن المشاهدة، مع ما في السِّتر من المصالح العظيمة للخَلْق.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، رقم (٢٨٦٧)، من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٢٩٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن صِحَّة ما وَرَد من أنَّ الميِّت إمَّا في علِّيِّين أو في سِجِّين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نعم هكذا جاءت به السُّنَّة أنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى يقول في الرجل الفاجر كما ذكر النَّبيُّ ﷺ في الحديث: «**اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى**»، وإذا كان من الأبرار قال: «**اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ**»(١).

وهكذا في الآخرة النَّاس إمَّا في سِجِّين وإمَّا في عِلِّيِّين، إمَّا في الجنَّة وإمَّا في النَّار، قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم:١٤-١٦]، وقال الله تَبَارَكَوَتَعَالَى: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧].

وإنَّني بهذه المناسبة أُنبِّهُ على مسألة يقولها بعض النَّاس وهم لا يَشعُرون، وهي أنَّهم إذا تحدَّثوا عن شخص مات قالوا: «ثُمَّ نُقِل إلى مَثواه الأخير»، يَعنون بذلك: القبر، وهذا غلَط واضح؛ لأنَّ القبر ليس هو المثوى الأخير، بلِ المثوى الأخير إمَّا الجنَّة وإمَّا النَّار.

أمَّا القبر: فإنَّ الإنسان يأتيه ثم يَنتقِل عنه، وما مَجيئه في القبر إلَّا كزائرٍ بَقِي مدَّةً ثم ارتحل، وقد ذُكِر أنَّ بعض الأعراب سمع قارئًا يَقرَأ قول الله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر:١-٢]، فقال هذا الأعرابي: والله لنُبعثَنَّ؛ لأنَّ الزَّائر ليس بمُقيم.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، وأبو داود: كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣)، من حديث البراء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ولهذا يَجِب الحذَر مِن إطلاق هذه الكلمة «انتَقل إلى مَثواه الأخير»؛ لأنَّ مضمونها إنكار البَعْث، ونحن نَعلَم أنَّ المسلم إذا قالها لا يُريد هذا المضمون، لكنَّها تَجري على لسانه تَقليدًا لمن قالها من حيث لا يَشعُر، فالواجب الحذر منها والتحذير منها.

س(٢٩٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هـل سـؤال الميِّت في قـبره حقيقي، وأنَّه يَجلِس في قبره ويُناقِش؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: سؤال الميِّت في قبره حقيقيٌّ بلا شكٍّ، والإنسان في قبره يُجلَس ويُناقَش ويُسأَل.

فإن قال قائل: إنَّ القبر ضَيِّق فكيف يُجلَس؟!

فالجواب:

أولًا: أنَّ الواجب على المؤمن في الأمور الغيبية أن يَقبَل ويُصدِّق، ولا يسأل كيف؟ ولِـمَ؟ لأنَّه لا يسأل عن (كيف) و(لِـمَ) إلا مَن شكَّ، وأمَّا مَن آمن وانشرح صدره لأخبار الله ورسوله ﷺ، فيُسلِّم ويقول: الله أعلم في كيفية ذلك.

ثانيًا: أنَّ تَعلُّق الروح بالبدَن في الموت ليس كتَعلُّقها به في حال اليَقَظة، فللرُّوح في البدن شؤون عظيمة لا يُدرِكها الإنسان، وتَعلُّقها بالبدن بعد الموت لا يُمكِن أن يُقاس بتَعلُّقها به في حال الحياة، وها هو الإنسان في منامه يَرى أنَّه ذهب، وجاء، وسافر، وكلَّم أناسًا، والتقى بأناس أحياء وأموات، ويرى أنَّ له بستانًا جميلًا، أو دارًا مُوحِشة مُظلِمة، ويرى أنَّه راكبٌ سيارةً مُريحة، ويَرى مرَّة أنَّه

راكبٌ سيارةً مُقلِقة، كلُّ هذا يُمكن مع أنَّ الإنسان على فراشه ما تغير، حتى الغطاء الذي عليه لم يتغير، ومع ذلك فإنَّنا نُحِسُّ بهذا إحساسًا ظاهرًا.

فتَعلُّق الرُّوح بالبدن بعد الموت يُخالِف تَعلُّقها به في اليقظة أو في المنام، ولها شأن آخرُ لا نُدرِكه نحن، فالإنسان يمكن أن يُجلَس في قبره ويُسأَل، ولو كان القبر محدودًا ضيقًا.

هكذا صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ(١)، فمنه البلاغ، وعلينا التَّصديق والإذعان، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

س(٢٩٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كيف يقوم النَّاس من قبورهم يوم القيامة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: يقوم النَّاس من قبورهم حُفاة عُراة غُرْلًا بُهمًا.

أمَّا (حُفاةً) فمعناه: أنَّه ليس في أقدامهم نعال، ولا خفاف، ولا جواربُ.

وأمَّا (عُراةً) فمعناه: أنَّه ليس عليهم ثياب، بلِ العورات بادية كما خرجوا من بطون أمَّهاتهم، فإنَّهم يَخرجون من بطون الأرض كما قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، وأبو داود: كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣)، من حديث البراء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأخرجه أحمد (٣/ ٣)، والترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٤٦٠)، من حديث أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

أمَّا (غُرْلًا) فمعناه: غير مَختونِين، فالقَلْفَةُ التي تُقطع في الختان في الدُّنيا وهي: الجلدة التي على رأس الذَّكر تُعاد يوم القيامة حتى يَخرُج النَّاس من قبورهم كما خرجوا من بطون أمَّهاتهم غير مَختونِين.

وأمَّا (بُهمًا) فمعناه: أنَّه ليس معهم مال يُعرفون به، فلا درهم، ولا دينار، ولا متاع، ولا شيء، ولا يَبقَى إلا الأعمال الصالحة، هكذا يَخرُج النَّاس من قبورهم لربِّ العالمين جلَّ وعلَا.

س(٢٩٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كيف السُّؤال في القبر بعد ممات الإنسان؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: السُّؤال أنَّه يَأتيه مَلَكان فيَسألانه: مَن ربُّك؟ وما دِينك؟ ومَن نَبيُّك؟ فيُثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثَّابت، فيَقول المؤمِن: ربِّي الله، ودِيني الإسلام، ونَبيِّي محمد. وأما المرتاب، أو المنافِق فيقول: ها، ها، لا أدري، سمعت النَّاس يقولون شيئًا فقلته. فيضرب بمَرْزَبَة مِن حديد فيَصيح صيحة يَسمَعها كلُّ شيء إلا الثقلين.

س(٢٩٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عذاب القبر هل يَقَع على الرُّوح والبدَن معًا أم على الرُّوح فقط؟ وفي حال وقوعه على الرُّوح والبدن كيف يكون في حال انقراض الجسم وتَحوُّله إلى تُراب مع إيماننا بأنَّ أمور الغيب ليست كأمور الشَّهادة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الصَّواب من أَقوال أهل العِلم: أنَّ العذاب على الرُّوح أصالةً، وقد تَتَّصل بالبدن وهذا في حال ما إذا كان البدن باقيًا، أمَّا في حال انقراضه فيكون على الرُّوح فقط، والله أعلم.

حرِّر ٢٥/ ٣/ ١٣٩٧هـ.



س(٣٠٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: كيف تَدنو الشَّمس يوم القيامة من الخلائق مقدار مِيل ولا تُحرِقهم، وهي لو دَنَت عما هي عليه الآن بمِقدار شِبْر واحد لاحترقَتِ الأرض؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إنَّ وظيفة المؤمن -وهذه قاعدة يَجِب أن تُبنَى عليها عقيدتنا- فيما ورَد من أخبار الغيب، القبول والتَّسليم وأن لا يُسأَل عن (كيف) و(لِـمَ)؛ لأنَّ هذا أمر فوق ما تَتصوَّره أنت.

فالواجب عليك أن تَقبَل وتُسلِّم وتقول: آمنَّا وصدقنا، آمنا بأنَّ الشَّمس تَدنو من الخلائق يوم القيامة بمِقدار ميل، وما زاد على ذلك من الإيرادات فهو مِن البِدَع؛ ولهذا لما سُئِل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن استِواء الله: كيف استوى؟ قال: «السُّؤال عنه بِدْعة»، هكذا أيضًا كلُّ أمور الغيب السُّؤال عنها بدعة، وموقف الإنسان منها القبول والتَّسليم.

جواب الشقِّ الثَّاني:

بالنسبة لدُنوِّ الشَّمس من الخلائق يوم القيامة فإنَّنا نقول: إنَّ الأجسام تبعث يوم القيامة، لا على الصِّفَة التي عليها في الدُّنيا من النَّقص وعدم التَّحمُّل، بل هي

تُبعث بعثًا كاملًا تامًّا، ولهذا يَقِف النَّاس يوم القيامة يومًا مِقداره خمسون ألف سَنةٍ، لا يَأكُلون ولا يَشرَبون، وهذا أمر لا يُحتَمل في الدُّنيا، فتَدنو الشَّمس منهم وأجسامهم قد أُعطِيَت مِن القوَّة ما يَتحمَّل دُنوَّها، ومن ذلك ما ذكرناه من الوقوف خمسين ألف سَنَةٍ لا يحتاجون إلى طعام ولا شراب، فالأجسام يومَ القيامة لها شأن آخَرُ غيرُ شأنها في هذه الدُّنيا.

س(٣٠١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن حياة البرزخ، وهل الإنسان يكون بجسده وروحه فيها؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: حياة البرزخ حياة بين حياتَين، وأنواع الحياة الثلاثة: الدُّنيا، والبرزخ، والآخرة؛ تَكون من أدنى إلى أعلى.

فحياة البرزخ أَكمَل من الحياة الدُّنيا بالنسبة للمُتَّقين؛ لأنَّ الإنسان يُنعَّم في قبره، ويُفتَح له باب إلى الجنَّة، ويُوسَّع له مَدَّ البصر.

وحياة الآخرة -وهي الجنَّة- التي هي مَأوَى المُتَّقين أَكمَل وأَكمَل بكثير من حياة البرزخ.

وكذلك يُقال بالنسبة للكافر، فيقال له: إنَّ حياته في قبره أَشدُّ عذابًا ممَّا يَحصُل له من عذاب الدُّنيا، وعذابه في النَّار التي هي مأوى الكافرين أشدُّ وأشدُّ.

فحياة البرزخ في الواقع حياة بين حياتين في الزَّمن، وفي الحال، فحال الإنسان فيها بين حالين دُنيا وعُليا، وكذلك الزَّمن كما هو معروف.

أمَّا هل تكون الحياة البرزخية بالرُّوح والبدن؟

فنقول: هي قَطعًا بالرُّوح بلا شكٍّ، ثم قد تَتَّصل بالبدن أحيانًا إن بَقِي ولم تَأكُله الأرض، ولم يَحترِق ويَتطايَر في الهواء، وقد لا تَتَّصل، هذا هو القول الرَّاجح في نعيم القبر أو عذابه أَنَّه في الأصل على الرُّوح وقد تَتَّصل بالبدن، لكن ما يكون عند الدَّفن فالظَّاهر: أَنَّه يكون على الرُّوح والبدن جميعًا؛ لأَنَّه جاء في الأحاديث ما يدلُّ على ذلك من أنَّ الميِّت يُجلَس في قبره ويُسأَل، ويُوسَّع له في قبره، ويَضيق عليه حتى تَختلِف أضلاعُه، وكلُّ هذا يَدُل على أنَّ النَّعيم، أو العذاب عند الدَّفن يكون على البدن والرُّوح.

س(٣٠٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: يُذْكَر أنَّ الكافر عندما يُوضَع في قبره يأتيه مُنكَر ونكير في حال مخيفة ومُرعِبة، فهلِ المُؤمِن يرى مُنكَرًا ونكيرًا بنفس الصورة التي يراها الكافر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: من المعلوم أنه لا يستوي المؤمن والكافر فيما يتعلق بعذاب القبر ونعيمه، وأنَّ المؤمن يُنعَّم في قبره، ويُوسَّع له فيه، ويُنوَّر له فيه، ويُفتح له فيه باب إلى الجنَّة.

وأمَّا الكافر فإنَّه يُعذَّب في قبره، ويضيق عليه فيه حتى تختلف أضلاعه -والعياذ بالله- ويُفتح له باب إلى النَّار.

وأمَّا المسألة حين السُّؤال فإنَّ الميِّت يأتيه مَلَكان يسألانه عن ثلاثة أشياء: عن ربِّه، ودِينه، ونبيِّه، فأما المؤمن فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيِّي محمد.

وأمَّا المرتاب فيقول: ها، ها، لا أدري، سمعت النَّاس يقولون شيئًا فقلته.

س(٣٠٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ورد في الحديث الصَّحيح أنَّ الميِّت عندما يُوضَع في قبره يُسأَل عن ثلاث: مَن ربُّك؟ وما دِينك؟ ومَن نبيُّك[1]؟ بينما ورَد عن الرَّسول ﷺ بأن يُنتظَر عند الميِّت بعد دفنه مِقدار ما تُنحَر الجَزُور، والأسئِلة التي يسأل عنها في القبر لا تَستغرِق سوى دقيقتين أو ثلاث دقائق، فهل هناك أسئِلة أخرى تَستغرِق مقدار نحْر الجَزُور؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لم يَرِد عن النَّبيِّ ﷺ أنَّ النَّاس يَمكُثون عند القبر بمِقدار ما تُنْحَرُ الجزُورُ، وإنَّما جاء ذلك عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

أمَّا الوارد عن النَّبيِّ ﷺ، فإنَّه كان إذا فرغ مِن دفن الميت وقف عليه وقال: «**اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَاسْأَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ**»[3]، فالَّذي أمر به النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن نقف إذا فرَغْنا مِن دفن الميت، وأن نقول: اللَّهُمَّ اغفر له، اللهم ثبِّتْه. ثلاث مرات، ثم نَنصرف هذا هو الوارد، فليُقتَصرْ عليه.



(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، أبو داود: كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣)، من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، رقم (١٢١).

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت، رقم (٣٢٢١)، من حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٣٠٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: قرأت في كتابٍ يُسمَّى (دقائق الأخبار) ما يفيد بأنَّ الإنسان بعد الموت يَدخُل عليه في القبر مَلَك اسمه دومان، فيقول له: اكتُبْ عَمَلَك. فيقول: أين قلمي وحِبري ووَرَقي؟ فيمسك سبَّابةَ يده اليمنى ويقول: هذا قلمك. ويُشير إلى فمه مِن هنا حِبرك، ويَقطَع قطعة من جِلْد يده ويقول: هذا ورَقك. وروى الكثير مما يَحدُث بعد الموت مثل استِئذان الرُّوح من ربها بعد أسبوع وتَعود إلى البيت التي كانت تعيش فيه، فهل يَصِحُّ ما ذكره مُؤلِّف هذا الكتاب؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا غير صحيحٍ، بل هو باطلٌ، والأمور الغيبيَّة لا يجوز الاعتماد على شيء لم يَثبُت فيها عن الله تعالى ورسوله ﷺ؛ لأنَّ الأمور الغيبية لا يَطَّلع عليها إلا اللهُ عَزَّوَجَلَّ، أو من أَطلَعه الله عليه ممَّن اصطفاه من الرُّسُل، قال الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

وما ذكره هذا المُؤلِّف ممَّا يكون للإنسان بعد موته فهو باطل لا أصل له.

وإنِّي أُحذِّر أخي السَّائل من قراءة مثل هذه الكتُب، وما أكثرَ أنواعَها في الوعظ، والتَّرغيب والتَّرهيب، وكثيرٌ منها فيها أحاديث لا زِمام لها، وإنَّما يَقصد واضعوها أن يُقوُّوا رغبة النَّاس في الخير أو يُحذِّرُوهم من الشَّرِّ، وهذا خطأ، أرجو الله أن يعفو عنهم إذا كان صادرًا عن حسن النيَّة، فالحذرَ الحذرَ من مثل هذه الكتب، وما صحَّ من سُنَّة رسول الله ﷺ ففيه كفايتنا عن هذه.



س(٣٠٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن كيفية النَّجاة من فِتنة القبر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: النَّجاة من فِتنة القبر بأن يموت الإنسان على الإسلام، فإنَّه إذا مات على الإسلام أنجاه الله؛ لأنَّه إذا سُئِل: مَن ربُّك؟ ما دِينك؟ مَن نبيُّك؟ فسيجيب بالصَّواب، وحينئذٍ ينجو.

أما مَن مات على نفاق -نسأل الله أن يعيذنا وإخواننا من النِّفاق- فإنَّه لن يُجيب، فإذا سُئِل المنافق: مَن ربُّك؟ ما دِينك؟ مَن نَبيُّك؟ قال: ها، ها، لا أدري، سمعت النَّاس يقولون شيئًا فقلته. فهذا لا ينجو من الفتنة، ويُعذَّب في قبره، والعياذ بالله.

س(٣٠٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: قلتم فيما تقدم: إنَّ الأجسام تُبعث يوم القيامة لا على الصِّفة التي هي عليها في الدُّنيا، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:٢٩]، فنأمَل من فضيلتكم توضيح ذلك؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا لا يُشكِّل على ما قلنا؛ لأنَّ المراد بقوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ من حيث الخَلْق فهو كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]، فالمعنى: أنَّه كما بدأ خلقكم وقَدَر عليه فإنَّكم تَعودون كذلك بقدرة الله عَزَّوَجَلَّ.



س(٣٠٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل صحيح أنَّ يوم القيامة يُخفَّف على المؤمن حتى يكون قصيرًا جدًّا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا شكَّ أنَّ المؤمن يُخفَّف عنه ذلك اليوم حتى يكون يسيرًا جدًّا، ودليل ذلك في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان:٢٦]، وقال تعالى: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر:١٠]، وقال تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر:٨]، وكلُّ هذا يدل أنَّ هذا اليوم يكون يسيرًا على المؤمنين، وبقدر ما يكون الإيمان عند العبد يكون اليسر في ذلك اليوم؛ لأنَّ الجزاء من جنس العمل، نسأل الله أن ييسر علينا وعلى إخواننا المسلمين أهوال ذلك اليوم.

س(٣٠٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: يُقال: إنَّه إذا قامتِ القيامة فإنَّ المسلمين الذين هم مُؤدُّون للشَّريعة الإسلامية تأتيهم ريح يموتون إلا الكفار، فهم يرون أهوال يوم القيامة والأشياء التي تحصل حين قيام السَّاعة، فما مدى صحَّة ذلك؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ليس هذا بصحيح؛ بل إذا قامت السَّاعة فإنَّ جميع النَّاس مسلمُهم وكافرُهم يشاهدون هذا اليوم العظيم، وينالهم ما ينالهم من شدائده وهمومه وكروبه وغمومه، ولكنَّ الله تعالى يَسَّره على المسلم، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان:٢٦]، وقال تعالى: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر:١٠]، فاليوم عسير وشديد، وعسره وشدته على الجميع، ولكنَّ هذا العسر والشدة ييسر على المؤمنين ويكون غير شاقٍّ عليهم، بخلاف الكافرين.

| س(٣٠٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: كيف نَجمَع بين قول النَّبيِّ ﷺ: «مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ»[(١)] رواه البخاري من حديث عائشة، ومناقشة المؤمن في قوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ. حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّه هَلَكَ قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ. فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ» الحديث رواه البخاريُّ[(٢)]؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ليس في هذا إشكال؛ لأنَّ المناقشة معناها: أن يُحاسَب فيُطالَب بهذه النِّعَم الَّتي أعطاه الله إيَّاها؛ لأنَّ الحساب الذي فيه المناقشة معناه: أنَّك كما تأخذ تُعطِي، ولكنَّ حساب الله لعبده المؤمن يوم القيامة ليس على هذا الوجه، بل إنَّه مجرد فضل من الله تعالى إذا قرَّره بذنوبه وأقرَّ واعترف قال: «سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ» وكلمة «نُوقِشَ» تدلُّ على هذا؛ لأنَّ المناقشة الأخذ والردُّ في الشيء والبحث على دقيقه وجليله، وهذا لا يكون بالنِّسبة لله عَزَّوَجَلَّ مع عبده المؤمن، بل إنَّ الله تعالى يجعل الحساب للمؤمن مَبنيًّا على الفضل والإحسان، لا على المناقشة والأخذ بالعدل.



(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب من نُوقش الحساب عذب، رقم (٦٥٣٦)، ومسلم: كتاب الجنة، باب إثبات الحساب، رقم (٢٨٧٦)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المظالم، باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، رقم (٢٤٤١)، ومسلم: كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل، رقم (٢٧٦٨)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

س(٣١٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كيف يُحاسَب الكافرُ يوم القيامة وهو غير مطالب بالتَّكاليف الشَّرعية؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا السؤال مبنيٌّ على فهم ليس بصحيح، فإنَّ الكافر مُطالَب بما يُطالَب به المؤمن، لكن غير ملزم به في الدُّنيا، ويدل على أنَّه مُطالَب قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [المدثر:٣٩-٤٦]، فلولا أنَّهم عُوقبوا بترك الصَّلاة، وترك إطعام المساكين ما ذكَروه؛ لأنَّ ذِكْره في هذه الحال لا فائدة منه، وذلك دليل على أنَّهم يُعاقبون على فروع الإسلام.

وكما أنَّ هذا هو مقتضى الأثر فهو أيضًا مقتضى النَّظَر، فإذا كان الله تعالى يُعاقِب عبده المؤمن على ما أَخلَّ به من واجب في دِينه، فكيف لا يُعاقِب الكافر؟

بل إنِّي أَزيدك أنَّ الكافر يُعاقَب على كلِّ ما أَنعَم الله به عليه من طعام وشراب وغيره، قال تعالى: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة:٩٣].

فمنطوق الآية: رَفْع الجُناح عن المؤمنين فيما طعِموه.

ومفهومها: وقوع الجُناح على الكافرين فيما طعِموه، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٢]، فإنَّ

قوله: ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ دليل على أنَّ غير المؤمن ليس له حقٌّ في أن يَستمتِع بها في الدُّنيا.

أقول: ليس له حقٌّ شرعيٌّ، أمَّا الحقُّ بالنَّظر إلى الأمر الكوني وهو أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلقها وانتفع بها هذا الكافر، فهذا أمر لا يُمكِن إنكاره، فهذا دليل على أنَّ الكافر يُحاسَب، حتى على ما أكل مِن المُباحات وما لبس، وكما أنَّ هذا مقتضى الأثر فإنَّه مقتضى النَّظر، إذْ كيف يَحِقُّ لهذا الكافر العاصي لله الذي لا يؤمن به، كيف يحق له عقلًا أن يَستمتِع بما خلقه الله عَزَّوَجَلَّ وما أنعم الله به على عباده؟!

وإذ تبيَّن لك هذا فإنَّ الكافر يُحاسَب يوم القيامة على عمله، ولكنَّ حساب الكافر يوم القيامة ليس كحساب المؤمن؛ لأنَّ المؤمن يُحاسَب حسابًا يسيرًا، يَخلو به الربُّ عَزَّوَجَلَّ ويُقرِّره بذنوبه حتى يَعترِف ثم يقول له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «**قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ**»[1]، أمَّا الكافر -والعياذ بالله- فإنَّ حسابه أن يُقرَّر بذنوبه ويُخزَى بها على رُؤوس الأشهاد: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [هود:١٨].

س(٣١١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل يوم الحساب يوم واحد؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: يوم الحساب يوم واحد، ولكنَّه يوم مِقداره خمسون ألف سنةٍ، كما قال الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب المظالم، باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، رقم (٢٤٤١)، ومسلم: كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل، رقم (٢٧٦٨)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:١-٤]، أي: أنَّ هذا العذاب يَقَع للكافِرين في يوم كان مِقداره خمسين ألف سَنَة.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ وَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ، وَجَبِينُهُ، وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ**»[1]، وهذا اليوم الطويل هو يوم عسير على الكافرين، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان:٢٦]، وقال تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر:٩-١٠].

ومفهوم هاتين الآيتين: أنَّه على المؤمن يسير، وهو كذلك، فهذا اليوم الطَّويل بما فيه من الأهوال والأشياء العظيمة يُيسِّره الله تعالى على المؤمن، ويكون عسيرًا على الكافر، وأسأل الله تعالى أن يجعلني وإخواني المسلمين ممَّن يَسَّره الله عليهم يوم القيامة.

والتَّفكير والتَّعمُّق في مثل هذه الأمور الغيبية هو من التَّنطُّع الذي قال النَّبيُّ ﷺ فيه: «**هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ**»[2]، ووظيفة الإنسان في هذه الأمور الغيبية التَّسليم وأَخْذ الأمور على ظاهر مَعناها دون أن يَتعمَّق أو يحاول

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم (٩٨٧/ ٢٤).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم (٢٦٧٠/ ٧)من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

القياس بينها وبين الأمور في الدُّنيا؛ فإنَّ أمور الآخرة ليست كأمور الدُّنيا، وإن كانت تُشبِهها في أصل المعنى وتُشارِكها في ذلك، لكن بينهما فرق عظيم.

وأَضرِب لك مثلًا بما ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الجنَّة من النَّخل، والرُّمَّان، والفاكهة، ولحم الطير، والعسل، والماء، واللَّبن، والخمر وما أَشبَه ذلك مع قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧]، وقوله في الحديث القدسي: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»(١)، فهذه الأسماء الَّتي لها مُسمَّيات بها في هذه الدُّنيا لا تعني أنَّ المُسمَّى كالمُسمَّى وإن اشتركا في الاسم وفي أصل المعنى، فكلُّ الأمور الغيبية التي تُشارِك ما يُشاهَد في الدُّنيا في أصل المعنى لا تَكون مماثلة له في الحقيقة، فينبغي للإنسان أن يَنتبِه لهذه القاعدة، وأن يَأْخُذ أمور الغيب بالتَّسليم على ما يقتضيه ظاهِرها من المعنى، وألَّا يُحاوِل شيئًا وراء ذلك.

ولهذا لما سُئِل الإمام مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، كيف استوى؟ أَطرَق رَحِمَهُ ٱللَّهُ برأسه حتى علاه الرُّحضاء -أي: العَرَق- وصار يَتصبَّب عرَقًا؛ وذلك لعِظَم السُّؤال في نفسه، ثم رفع رأسه وقال قولته الشهيرة التي كانت مِيزانًا لجميع ما وصف الله به نفسه، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»(٢). اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، رقم (٣٢٤٤)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، رقم (٢٨٢٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٦).

فالسؤال المُتعمِّق في مثل هذه الأمور بِدْعةٌ؛ لأنَّ الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ -وهم أشدُّ مِنَّا حِرصًا على العلم وعلى الخير- لم يسألوا النَّبيَّ ﷺ مثل هذه الأسئِلة، وكفى بهم قُدوةً، وما قلته الآن بالنسبة لليوم الآخر يجري بالنِّسبة لصفات الله عَزَّوَجَلَّ التي وصف بها نفسه من العلم، والقدرة، والسَّمع، والبصر، والكلام وغير ذلك، فإنَّ مسمَّيات هذه الألفاظ بالنِّسبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ لا يُماثِلُها شيء مما يُشارِكها في هذا الاسم بالنسبة للإنسان، فكلُّ صِفة فإنها تابِعة لموصوفها، فكما أنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا مثيل له في ذاته فلا مثيل له في صفاته.

وخلاصة الجواب: أنَّ اليوم الآخر يوم واحد، وأنَّه عسير على الكافرين ويسير على المؤمنين، وأنَّ ما ورد فيه من أنواع الثَّواب والعِقاب أَمْر لا يُدرَك كُنْهُهُ في هذه الحياة الدُّنيا، وإن كان أصل المعنى فيه معلومًا لنا في هذه الحياة الدُّنيا.

س(٣١٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كيف نَجمَع بين قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة:٢٥]، وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ [الانشقاق:١٠]؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الجمع بينهما أن يُقال: يأخذه بشماله، لكن تُخلَع الشِّمال إلى الخلف من وراء ظهره، والجزاء من جنس العمل، فكما أنَّ هذا الرجل جعل كتاب الله وراء ظهره أُعطِيَ كتابَه يوم القيامة من وراء ظهره جزاءً وفاقًا.



س(٣١٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كيف نجمع بين القول القاضي بأن الذي يُوزن يوم القيامة هو العمل، وقول النَّبيِّ ﷺ عندما انكشفت ساق عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللهِ إِنَّهَا لَأَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ»[1]؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الجواب على هذا:

أن يُقال: إمَّا أن يكون هذا خاصًّا بعبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أو يُقال: إنَّ بعض النَّاس يُوزَن عملُه وبعض النَّاس يُوزَن بدنُه.

أو يُقال: إنَّ الإنسان إذا وزن فإنَّما يَثْقُل ويَرجَح بحسب عمله، والله أعلم.



س(٣١٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ورد حديث عن صفة الصِّراط جاء فيه: أنَّ طوله مسيرة مئة عام في الاستواء، ومئة عام في الطُّلوع، ومئة عام في الهبوط، وأنَّه على متن جهنم، فهل هذا الحديث صحيح؟ وإن لم يكن كذلك فما هي حقيقته؟ ومتى يُؤذَن لمن تجاوزه بدخول الجنَّة؟ وما حُكْم مَن أَنكَر وجوده؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الصِّراط حقٌّ، واعتقاد وجوده واجب، وهو مما يَعتقِده أهل السُّنَّة والجماعة.

والصِّراط عبارة عن: جسر ممدود على متن جهنم، أدقُّ من الشَّعر، وأحدُّ من السَّيف.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١١٤) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (١/ ٤٢٠) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأمَّا كون طوله كما ذكر السَّائل، فإنِّي لا أعلم في ذلك حديثًا صحيحًا عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا الصِّراط يَعبُر النَّاس عليه على قَدْر أعمالهم: فمنهم السَّريع، ومنهم: البطيء، على حسب سيرهم على صراط الله المستقيم في هذه الدُّنيا، فمن كان مستقيمًا على الصِّراط في هذه الدُّنيا مُسابقًا إلى الخيرات كان مستقيمًا على صراط الآخرة سابقًا فيه، ومن كان دون ذلك في الاستِقامة على صراط الله المستقيم في الدُّنيا كان دون ذلك في عبور الصِّراط.

وربما يَمرُّ بعض النَّاس به فيُلقَى في جَهَنَّم، ويُعذَّب فيها بقدر عمله، ثم ينجو بفضل الله وكرمه.

وأمَّا الكافرون: فإنهم لا يَعبُرُون على هذا الصِّراط، وإنَّما يُحشَرُون إلى جَهنَّم، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم:٨٦]، فالكُفَّار يُحشَرُون إلى جَهنَّم بدون أن يَعبُروا على الصِّراط؛ لأنَّهم لم يكونوا عابِرين على الصِّراط في هذه الدُّنيا فيكون جزاؤهم أن يحشروا إلى النَّار بدون أن يعبروا على هذا الصِّراط، وأول من يَجوز بأُمَّته محمَّد ﷺ ثم بعد هذا الصِّراط يُوقَفُون على قنطرة بين الجنَّة والنَّار ويُقتصُّ لبعضهم من بعض، ثم يدخلون الجنَّة[1] بعد أن يشفع النَّبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى ربِّه في فتح أبواب الجنَّة، فيشفع إلى الله عَزَّوَجَلَّ أن يفتح أبواب الجنَّة فتُفتح، ويكون أولَ من يدخلها محمَّد ﷺ[2].

(١) أخرجه البخاري: كتاب المظالم، باب قصاص المظالم، رقم (٢٤٤٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٤٤) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

| س(٣١٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما حُكْم مَن أَنكَر وجود الصِّراط؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: حُكْم مَن أنكَر وجوده إن كان جهلًا فإنَّه يُعلَّم حتى يَتبيَّن له، فإذا بُلِّغ بالأحاديث الواردة في ذلك فإنَّه يَجِب عليه أن يَعتقِده، فإن أنكَره مع علمه أنَّ النَّبيَّ ﷺ أخبر به كان مرتدًّا كافرًا؛ لتكذيبه رسول الله ﷺ.

| س(٣١٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما صفة الصِّراط عند المرور عليه؟ وهل ورَد له صِفة معينة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الصِّراط هو: جسر يُوضع على النَّار يَعبُر منه المؤمنون إلى الجنَّة -جعلنا الله وإيَّاكم منهم-، فيمرُّ النَّاس به على قدر أعمالهم، إمَّا كلَمْح البصر، أو كالبرق، أو كالرِّيح، أو كالفرس الجوَاد، أو كالإبل؛ ومنهم: من يَزحَف زحفًا؛ ومنهم: من يُكردَس في نار جهنَّم، ويُعذَّب بقَدْر ذنوبه.

أمَّا صفته: فقد ورد أنَّه أحدُّ من السَّيف، وأدقُّ من الشَّعر.

وذهب بعض أهل العلم: إلى أنَّه طريق واسع واستَدلُّوا بقول النَّبيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إِنَّه دَحْضٌ وَمَزِلَّةٌ»[1]، وهذا لا بدَّ أن يكون واسعًا يَسلُكه النَّاس، وليس المهمُّ أن نعرف هل هو واسع أو ضيق؟ إنَّما المهمُّ أن نعرف كيف يسير النَّاس عليه؟ ولماذا اختلف سير النَّاس عليه: فبعضهم كلمح البصر، وبعضهم: كالبرق، وبعضهم: يزحف، وبعضهم: يُلقَى في النَّار؟

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٩) من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

والجواب: أنَّه اختلف سير النَّاس عليه كما ذكرنا؛ لأنَّ هذا على حسب أعمالهم في الدنيا، وتَلقِّيهم لشريعة الله، فمن كان مُسرِعًا لتَلقِّي شريعة الله مُسارِعًا في الخيرات كان عبوره على الصراط يسيرًا خفيفًا سريعًا.

ومن كان مُتباطِئًا في شريعة الله وقبولها صار سيره على الصِّراط كعمله جزاءً وِفاقًا.

س(٣١٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ذكر بعض المُتحدِّثين أنَّ الصِّراط طوله ثلاثة آلاف سنة، فهل هذا ثابت؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ليس بثابت.

س(٣١٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل الميزان واحد أو متعدِّدٌ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: اختلف العلماء في الميزان هل هو واحد أو متعدِّدٌ على قولين؛ وذلك لأنَّ النُّصوص جاءت بالنِّسبة للميزان مرة بالإفراد، ومرة بالجمع.

ومثال الجمع قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ [الأنبياء:٤٧]، وذلك في قوله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة:٦].

ومثال الإفراد قوله ﷺ: «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، رقم (٦٤٠٦)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم (٢٦٩٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال بعض العلماء: إنَّ الميزان واحد وأنَّه جُمِعَ باعتبار الموزون، أو باعتبار الأمم فهذا الميزان تُوزَن به أعمال أمَّة محمَّد، وأعمال أمَّة موسى وأعمال أمَّة عيسى، وهكذا، فجُمع الميزان باعتبار تعدد الأُمَم.

والذين قالوا: إنَّه مُتعدِّد بذاته قالوا: لأنَّ هذا هو الأصل في التَّعدُّد، ومن الجائز أنَّ الله تعالى يَجعَل لكل أمَّة ميزانًا، أو يجعل للفرائض ميزانًا، وللنَّوافل ميزانًا.

والذي يظهر -والله أعلم-: أنَّ الميزان واحد، لكنَّه مُتعدِّد باعتبار الموزون.



س(٣١٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كيف تُوزَن الأعمال وهي أوصاف للعاملين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: القاعدة في ذلك كما أسلفنا أنَّ علينا أن نُسلِّم ونَقبَل، ولا حاجة لأن نقول: كيف؟ ولِـمَ؟

ومع ذلك فإنَّ العلماء -رحمهم الله تعالى- قالوا في جواب هذا السُّؤال: إنَّ الأعمال تُقلَب أعيانًا، فيكون لها جسم يوضع في الكفَّة فيَرجَح أو يخفُّ، وضربوا لذلك مثلًا بما صحَّ به الحديث عن النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَنَّ المَوتَ يُجعَلُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى صُورَةِ كَبْشٍ فيُنادَى: أَهْلُ الجَنَّة، يَا أَهْلَ الجَنَّةِ. فَيَطَّلِعُونَ وَيَشْرَئِبُّونَ، ويُنَادَى: يَا أَهْلَ النَّارِ. فَيَطَّلِعُونَ وَيَشْرَئِبُّونَ، مَا الَّذي حَدَثَ؟ فَيُؤْتَى بِالمَوتِ عَلَى صُورَةِ كَبْشٍ فَيُقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوتُ. فَيُذْبَحُ المَوتُ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ**

فَلَا مَوْتَ»[1]. ونحن نعلم جميعًا أنَّ الموت صِفة، ولكنَّ الله تعالى يَجعَله عينًا قائمًا بنفسه، وهكذا الأعمال تُجعل أعيانًا فتُوزن. والله أعلم.

س(٣٢٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن الشَّفاعة وأقسامها؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الشَّفاعة: مأخوذة من الشَّفع، وهو: ضِدُّ الوِتر، وهو جعل الوتر شفعًا، مثل أن تجعل الواحد اثنين، والثَّلاثة أربعة، وهكذا، هذا من حيث اللُّغة.

أمَّا في الاصطِلاح: فهي «التَّوسُّط للغير بجلب منفعة أو دفع مَضرَّة» يعني: أن يكون الشَّافع بين المشفوع إليه والمشفوع له واسطة لجلْب منفعة إلى المشفوع له، أو يَدفَع عنه مَضرَّة.

والشَّفاعة نوعان:

النَّوع الأوَّل: شفاعة ثابتة صحيحة، وهي التي أَثبتَها الله تعالى في كتابه، أو أثبتها رسوله ﷺ، ولا تَكون إلا لأهل التَّوحيد والإخلاص؛ لأنَّ أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا رسول الله، مَن أَسعَد النَّاس بشفاعتك؟ قال: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، تفسير سورة مريم، باب قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾، رقم (٤٧٣٠)، ومسلم: كتاب الجنة، باب: النار يدخلها الجبارون، رقم (٢٨٤٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم (٩٩).

وهذه الشَّفَاعة لها شروط ثلاثة:

الشَّرط الأول: رِضا الله عن الشَّافع.

الشَّرط الثَّاني: رِضا الله عن المشفوع له.

الشَّرط الثَّالث: إذن الله تعالى للشَّافع أن يَشفَع.

وهذه الشُّروط مُجْملَة في قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦]، ومفصَّلة في قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ [طه:١٠٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، فلا بدَّ من هذه الشُّروط الثَّلاثة حتى تَتحقَّق الشَّفاعة.

ثم إنَّ الشَّفاعة الثَّابتة ذَكَر العلماء رحمهم الله تعالى أنَّها تَنقسِم إلى قسمين:

القسم الأول: الشَّفاعة العامة، ومَعنى العموم: أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يأذن لمن شاء من عباده الصَّالحين أن يَشفَعوا لمن أَذِنَ الله لهم بالشَّفاعة فيهم، وهذه الشَّفاعة ثابتة للنَّبيِّ ﷺ، ولغيره مِن النَّبيِّين، والصِّدِّيقين، والشُّهداء، والصَّالحين، وهي أن يشفع في أهل النَّار من عصاة المؤمنين أن يخرجوا من النَّار.

القسم الثاني: الشَّفاعة الخاصَّة: التي تَختَصُّ بالنَّبيِّ ﷺ وأعظمها الشَّفاعة العُظمى التي تكون يوم القيامة، حين يَلحَق النَّاس من الغمِّ والكرب ما لا يُطيقُون، فيطلبون من يَشفَع لهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ أن يُريحَهم من هذا الموقف العظيم، فيذهبون إلى آدمَ، ثم نوحٍ، ثم إبراهيمَ، ثم موسى، ثم عيسى، وكلُّهم لا يَشفَع، حتى تنتهي إلى

النَّبيِّ ﷺ(١) فيقوم ويشفع عند الله عَزَّوَجَلَّ أن يُخلِّص عباده من هذا الموقف العظيم، فيجيب الله تعالى دعاءه، ويَقبَل شفاعته، وهذا من المقام المحمود الذي وعده الله تعالى به في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ [الإسراء:٧٩].

ومن الشفاعة الخاصَّة بالرَّسول ﷺ: شفاعته في أهل الجنَّة أن يَدخُلوا الجنَّة، فإنَّ أهل الجنَّة إذا عَبَروا الصِّراط أُوقِفوا على قنطرة بين الجنَّة والنَّار فتمحِّص قلوب بعضهم من بعض حتى يُهذَّبوا ويُنقَّوا، ثم يُؤذَن لهم في دخول الجنَّة؛ فتُفتَح أبواب الجنَّة بشفاعة النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

النَّوع الثَّاني: الشَّفاعة الباطلة التي لا تَنفَع أصحابها، وهي ما يَدَّعيه المُشرِكون من شفاعة آلهتهم لهم عند الله عَزَّوَجَلَّ فإنَّ هذه الشَّفاعة لا تَنفَعهم كما قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]؛ وذلك لأنَّ الله تعالى لا يرضى لهؤلاء المشركين شِرْكهم، ولا يمكن أن يَأذَن بالشَّفاعة لهم؛ لأنَّ لا شفاعة إلا لمن ارتضاه الله عَزَّوَجَلَّ، واللهُ لا يَرضى لعباده الكفر ولا يُحِب الفساد، فتَعلُّق المشركين بآلهتهم يَعبدونها ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، تَعلُّق باطل غير نافع، بل هذا لا يَزيدهم من الله تعالى إلا بُعدًا، على أنَّ المشركين يَرجون شفاعة أصنامهم بوسيلة باطلة؛ وهي عِبادة هذه الأصنام، وهذا مِن سَفههم أن يُحاوِلوا التَّقرُّب إلى الله تعالى بما لا يَزيدهم منه إلا بُعدًا.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾، رقم (٣٣٤٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (١٩٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

س(٣٢١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن قول النَّبيِّ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: شَفَعَتِ المَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ المُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّار فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَومًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيرًا قَطُّ»[1]. رواه مسلم، ما معنى قوله: «لَمْ يَعْمَلُوا خَيرًا قَطُّ»؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: معنى قوله: «لَمْ يَعْمَلُوا خَيرًا قَطُّ» أنَّهم ما عملوا أعمالًا صالحة، لكن الإيمان قد وقَر في قلوبهم، فإمَّا أن يكون هؤلاء قد ماتوا قبل التَّمكُّن من العمل، آمنوا ثم ماتوا قبل أن يَتمكَّنوا من العمل، وحينئذٍ يَصدُق عليهم أنَّهم لم يعملوا خيرًا قط.

وإمَّا أن يكون هذا الحديث مقيدًا بمثل الأحاديث الدَّالة على أنَّ بعض الأعمال الصَّالحة تَركُها كفر، كالصَّلاة مثلًا، فإنَّ مَن لم يُصلِّ فهو كافر، ولو زعم أنَّه مؤمن بالله ورسوله، والكافر لا تَنفَعه شفاعة الشَّافِعِين يوم القيامة، وهو خالد مُخلَّد في النار أبَدَ الآبدين والعياذ بالله.

فالمهم أنَّ هذا الحديث إمَّا أن يكون في قوم آمَنوا ولم يَتمكَّنوا من العمل فماتوا فور إيمانهم فما عمِلوا خيرًا قطُّ.

وإمَّا أن يكون هذا عامًّا ولكنَّه يُستثنى منه ما دلَّتِ النُّصوص الشَّرعيَّة على أنَّه لا بدَّ أن يَعمَل، كالصَّلاة، فمن لم يُصلِّ فهو كافر، لا تَنفَعه الشَّفاعة ولا يَخرُج من النَّار.

---

(١) أخرجه البخاري -بمعناه-: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾، رقم (٧٤٣٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٣٢٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: عن صحَّة ما ذُكِر أنَّ الرَّسول ﷺ يَشفَع لمن صلى ثمانين صلاة مُتتابِعة بالمسجد النَّبويِّ مع إدراك تكبيرة الإحرام؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا لا أَعرِف عن صحَّته شيئًا، ولكن شفاعة الرَّسول ﷺ لها أسباب أخرى كثيرة، منها:

أنَّ من أجاب المؤذِّن ثم بعد فراغه صلَّى على النَّبيِّ ﷺ، وسأل الله له الوسيلة فإنَّها تَحِلُّ له، أو تَجِب له شفاعة النَّبيِّ ﷺ كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الوْسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»**(١).

س(٣٢٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: عن مصير أهل الفترة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الصَّحيح أنَّ أهل الفترة قِسمان:

القسم الأول: مَن قامت عليه الحُجَّة وعرَف الحقَّ، لكنَّه اتَّبع ما وجد عليه آباءه، وهذا لا عُذْر له فيكون مِن أهل النَّار.

القسم الثَّاني: مَن لم تَقُم عليه الحُجَّة فإنَّ أمره لله عَزَّوَجَلَّ ولا نَعلَم عن مصيره وهذا ما لم يَنصَّ الشَّارع عليه، أمَّا مَن ثبَت أنَّه في النَّار بمُقتضى دليل صحيح فهو في النَّار.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن، رقم (٣٨٤)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

س(٣٢٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: عن مصير أطفال المُؤمنين، وأطفال المشرِكين الذين ماتوا صغارًا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: مصير أطفال المؤمنين الجنَّة؛ لأنَّهم تَبَع لآبائهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١].

وأمَّا أطفال غير المؤمنين يعني: الطِّفل الذي نَشَأ مِن أبوين غير مُسلِمَين فأصحُّ الأقوال فيهم أن نَقول: الله أعلم بما كانوا عامِلين، فهم في أحكام الدُّنيا بمَنزِلة آبائهم.

أمَّا في أحكام الآخرة: فإنَّ الله تعالى أَعلَم بما كانوا عامِلين كما قال النَّبيُّ ﷺ[١] والله أعلم بمصيرهم، هذا ما نَقوله، وهو في الحقيقة أمر لا يَعنِينا كثيرًا، إنَّما الذي يَعنينا هو حُكْمهم في الدُّنيا وأحكامهم في الدُّنيا -أعني: أولاد المشركين- أحكامهم في الدُّنيا أنَّهم كالمشركين لا يُغسَّلون، ولا يُكفَّنون، ولا يُصلَّى عليهم، ولا يُدفَنون في مَقابِر المسلمين. والله أعلم.

س(٣٢٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: ما مصير أطفال المشركين أو الكفار الذين يَموتون، هل هم في النَّار أم في الجنَّة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أطفال المشركين والكفار إذا كان الأمُّ والأبُ كلاهما كافر،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم (١٣٨٣)، ومسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم (٢٦٦٠)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فإنَّ هؤلاء الأولاد لهم حكم الكفار في الدُّنيا فلا يُغسَّلون، ولا يُكفَّنون، ولا يُصلَّى عليهم، ولا يُدفَنون في مقابر المسلِمِين.

أمَّا في الآخرة: فأصحُّ أقوال أهل العلم في ذلك أنَّهم لا يُعلَم مصيرُهم، وأنَّ عِلْمهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّهم مُمتحَنُون في يوم القيامة بما أراده الله، فإنَّ امتَثَلُوا وأطاعوا دخلوا الجنَّة، وإلا فهم في النَّار.

س(٣٢٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: هل يَشفَع الابن الصَّالح والولد الصَّالح لوالدَيْه في الآخرة؟ وكيف تَكون الشَّفاعة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أمَّا الأولاد الصغار الذين ماتوا وهم صغار فإنَّه قد ثَبَت عن النَّبيِّ ﷺ أنَّهم يَكونون سِترًا وحِجابًا مِن النَّار لوالديهم[(١)].

وأمَّا البالِغون: فيَشفَعون لآبائهم في الحال التي يُؤذَن لهم فيها.

ومِن الشَّفاعة: الدُّعاء للمَيِّت، فإنَّ الدُّعاء للميِّت شفاعة له؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «**مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشرِكُونَ بِاللهِ شيئًا إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ**»[(٢)]، وهذا يَدلُّ على أنَّ الدُّعاء للغير شفاعة له، ومن ثَمَّ قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ،**

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٢٩)، والترمذي: كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من قدم ولدا، رقم (١٠٦١)، وابن ماجه: كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده، رقم (١٦٠٦)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه، رقم (٩٤٨)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(١).

فذَكَرَ الدُّعاء؛ لأنَّ الدُّعاء شفاعة للمَدعوِّ له، فأنا أَحثُّ إخواننا على كثرة الدُّعاء لوالديهم أحياءً أم أمواتًا؛ لأنَّ ذلك طريق الأولاد الصَّالحين الذين امتثلوا قول الله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٤].

| س(٣٢٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما مصير أولئك الذين ماتوا قبل بعثة النَّبيِّ ﷺ كأبيه وأمه؟ وما مصير هؤلاء الذين هم في أصقاع بعيدة من العالم في العصر الحاضر ممَّن لم يَبلُغْه عن الإسلام شيئًا؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: هؤلاء وأمثالهم اختلف العلماء فيهم اختلافًا كثيرًا.

وأصحُّ الأقوال: أنَّهم يُمتحَنُون يوم القيامة بتكليفهم فيما يشاء الله أن يُكلِّفهم به، فإنِ امتثلوا دخلوا الجنَّة، وإلا فهم في النَّار، هذا في غير مَن علم أنَّهم في النَّار، فأمَّا مَن عُلِم أنَّهم في النَّار فأمرهم ظاهر، كعمرو بن لُحيٍّ الخُزاعيِّ، ومنهم أبو الرَّسول ﷺ، فقد ثبَت في صحيح مسلم أنَّ رجلًا سأل رسول الله ﷺ أين أبي؟ قال: **«فِي النَّارِ»** فلمَّا أَدبَر الرَّجل ناداه فقال: **«أَبِي وَأَبُوكَ فِي النَّارِ»**(٢).

وأمَّا أمُّه فقد روى الإمام أحمد عن بُريدةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«إِنِّي**

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار، رقم (٢٠٣)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

سَأَلْتُ رَبِّي فِي الاسْتِغْفَارِ لِأُمِّي، فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ رَحْمَةً لَـهَا مِنَ النَّارِ»(١)، وفي رواية: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّي، فَأَذِنَ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي الاسْتِغْفَارِ لَـهَا، فَلَمْ يَأْذَنْ لِي»(٢).

وقولك في السُّؤال: «ممَّن لم يَبلُغه عن الإسلام شيئًا»، الصواب: (شيءٌ) فاعل (يَبلُغ).

س(٣٢٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: إذا كانت الجنَّة عَرْضها كعَرْض السَّموات والأرض، فأين تَكون النَّار في هذا الكون الذي ليس فيه إلا السَّموات والأرض؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: قبل الجواب على هذا يَجِب أن نُقدِّم مُقدِّمة وهي: أن ما جاء في كتاب الله وما صحَّ عن رسوله ﷺ، فإنَّه حقٌّ ولا يُمكِن أن يُخالِف الأمر الواقع، فإنَّ الأمر الواقع المحسوس لا يُمكِن إنكاره، وما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة فإنَّه حقٌّ لا يُمكِن إنكاره، ولا يُمكِن تَعارُض حقَّين على وجه لا يُمكِن الجمع بينهما، وقد ثبَت في القرآن أنَّ الجنَّة عَرْضها كعَرْض السَّماء والأرض، قال الله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد:٢١]، وفي الآية الأخرى: ﴿عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وهذا حقٌّ بلا ريبٍ.

وفي مسند الإمام أحمد أنَّ هِرقلَ كتَب للنَّبيِّ ﷺ، فقال: إذا كانت الجنَّة عرضها

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٥)، من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٤١)، وأخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه عَزَّوَجَلَّ في زيارة قبر أمه، رقم (٩٧٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

السَّموات والأرض، فأين تكون النَّار؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «**إذا جاء اللَّيل، فأين يكون النَّهار؟**»[(١)]، فإن صحَّ هذا الحديث فوجهه أنَّ السَّموات والأرض في مكانهما، والجنَّة في مكانها في أعلى علِّيِّين، كما أنَّ النَّهار في مكان واللَّيل في مكان، وإن لم يَصِحَّ الحديث فإنَّ في كون الجنَّة عَرْضها السَّموات والأرض لا يَعنِي أنَّها قد ملأتهما، ولكن يعني أنَّ الجنَّة عظيمة السَّعة عرضها كعرض السَّموات والأرض.

ثم إنَّ قول السَّائل: «إنَّ هذا الكون ليس فيه إلا السَّموات والأرض» ليس بصحيح فهذا الكون فيه السَّموات والأرض، وفيه الكُرْسي والعرش، وقد كان النَّبيُّ ﷺ يقول بعد رفعه من ركوعه: «**مِلْءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**»[(٢)]، فهناك عالَم غير السَّموات والأرض لا يَعلَمه إلا الله، كذلك نحن نعلم منه ما علَّمنا الله تعالى، مثل العرش، والكرسي، والعرش هو أعلى المخلوقات والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قدِ استوى عليه استِواءً يَليق بجلاله وعظمته.

س(٣٢٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما الجنَّة التي أَسكَنها الله عَزَّوَجَلَّ آدمَ وزوجَه؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الصَّواب أنَّ الجنَّة التي أسكنها الله تعالى آدَمَ وزوجَه هي الجنَّة التي وُعِدَ المتَّقون؛ لأنَّ الله تعالى يَقول لآدَمَ: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]، والجنَّة عند الإطلاق هي جنَّة الخُلْد التي في السَّماء؛ ولهذا ثبت في الحديث

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٤١).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، رقم (٤٧٦)، من حديث عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عن النَّبيِّ ﷺ أنَّ آدمَ وموسى تَحاجَّا فقال له موسى: «لِـمَ أَخْرَجْتَنَا ونَفْسَكَ مِنَ الجَنَّةِ؟»[1]. والله أعلم.

س(٣٣٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ذُكِر للرِّجال الحُور العِين في الجَنَّة، فما للنِّساء؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في نعيم أهل الجَنَّة: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت:٣١-٣٢]، ويقول تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف:٧١].

ومِن المعلوم أنَّ الزواج مِن أَبلَغ ما تَشتهيه النُّفوس، فهو حاصل في الجَنَّة لأهل الجَنَّة ذكورًا كانوا أم إناثًا، فالمرأة يُزوِّجها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الجَنَّة بزوجها الذي كان زوجًا لها في الدُّنيا، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [غافر:٨].



(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في القدر، رقم (٤٧٠٢)، من حديث عمر بن الخطاب. والحديث أصله متفق عليه، أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾، رقم (٤٧٣٨)، ومسلم: كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم (٢٦٥٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٣٣١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما الفرق بين الكوثر والحوض؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الفرق بينهما أنَّ الكوثر: نهر في الجنَّة، أعطاه الله تعالى نبيَّه ﷺ.

وأمَّا الحوض: فإنَّه في عَرَصَات القيامة يُصَبُّ عليه مِيزابان من الكوثر، هذا الحوض عظيم، طوله شهر، وعرضه شهر، يَرِدُه المؤمنون من أُمَّة محمَّد صلى الله عليه وعلى آله وسلم -جعلنا الله وإيَّاكم ممَّن يَرِدُه ويَشرَب منه- وماؤه أشدُّ بياضًا من اللبن، وطعمه أحلى مِن العسل، ورِيحه أطيبُ من ريح المسك، وآنيته كنجوم السَّماء في حسنها وكثرتها(١).

س(٣٣٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن الحوض المورود؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الحوض المورود: حوض يَكون في عَرَصَاتِ القيامة للنَّبيِّ ﷺ، طوله شهر، وعرضه شهر، وآنيته كنجوم السماء في الكثرة والجمال، وماؤه أشد بياضًا من اللَّبن، وأحلى من العسل، وأطيب من رائحة المسك، يُصبُّ عليه ميزابان من الكوثر الذي في الجنَّة الذي أُعطيه النَّبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر:١-٣].

أمَّا أثره: فمَن شرِب منه شَربةً واحدة لم يَظمأْ بعدها أبدًا، اللهمَّ اجعلنا ممن يَشرَب منه يا ربَّ العالمين.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، رقم (٢٣٠٠)، من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٣٣٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: جاء في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ أن يُمْنَع أناسٌ مِن وُرود الحوض، فمَنْ هؤلاء الممنوعون؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الممنوع مِن الشُّرب مِن حوض النَّبيِّ ﷺ يوم القيامة كلُّ مَن أحدث في دِين الله ما ليس منه؛ لأن النَّبيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُقال له: «**لَا تَدْرِي مَاذَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**».

وكلَّما كان الإنسان أقوى في اتِّباع الرَّسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان وروده أضمنَ؛ ولهذا قيل: من وَرَد على شريعته فشَرِب، ورَد على حوضه فشرب، ومَن لا فلا، ولكلٍّ درجاتٌ مما عمِلوا.

س(٣٣٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: المُتحابُّون في الدُّنيا هل يَلتقون في الآخرة كحال لِقائهم في الحياة الدُّنيا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إذا كانوا من أهل الجنَّة ومِن المتَّقين فإنَّهم يَتلاقَون مثله في الآخرة ولا تَزول المودَّة بينهم؛ لقول الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧].

أمَّا إذا كانوا مِن الأشقياء -والعياذ بالله- فإنَّ الأخِلَّاء في الدُّنيا يكونون في الآخرة أعداءً كما تَدُلُّ عليه هذه الآية: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

وإنِّي بهذه المناسبة: أَنصَح إخواني المسلمين أن يَنتَقوا أَخِلَّاءهم وأصحابهم وأصدقاءهم ولا يَصطحبوا إلا مَن هو معروف بالخير والبعد عن الشَّرِّ ومعروف

عنه الصَّلاح والاستِقامة، والبعد عن المزالق، فإنَّ المرء على دِين خليله، وإنَّ الإنسان إذا صحب شخصًا مستقيمًا في دِينه وخلُقه اكتسب منه دِينًا وخُلُقًا، وإذا صحب شخصًا على خلاف ذلك اكتسب منه ما كان عليه، وقد ضرب النَّبيُّ ﷺ مثلًا للجليس الصَّالح وجليس السوء فقال: **«مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ كَحَامِلِ المِسْكِ، إِمَّا أَنْ يَبِيعَكَ، وَإِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رَائِحَةً طَيِّبَةً، وَمَثَلُ جَلِيسِ السُّوءِ كَنَافِخِ الكِيرِ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رَائِحَةً كَرِيهَةً»**[1].

وكثير من النَّاس مَن يعبدون الله على حرْفٍ أي: أنَّهم ليسوا مُستَقيمِين استِقامة تامَّة، فإذا وُفِّقوا بأصحابٍ ذوي خُلُق ودِين هداهمُ الله واستقاموا، وكم مِن أناس على جانب من الخير والعمل الصالح، فإذا خالَطوا وصاحبوا أَحَدًا غير مُستقيم فإنَّهم يَكتَسبون منه عدَم الاستِقامة، فيَحصُل لهم منهم منَ الانحِراف شيء كثير.

س(٣٣٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: إذا كانت المرأة مِن أهل الجنَّة ولم تَتزوَّج في الدُّنيا، أو تَزوَّجت ولم يَدخُل زوجها الجنَّة فمَن يكون لها؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الجواب يُؤخَذ مِن عموم قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت:٣١-٣٢]، ومن قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف:٧١]. فالمرأةُ إذا كانت مِن أهل الجنَّة ولم تَتزوَّج أو كان زوجها ليس من

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم (٥٥٣٤)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين، رقم (٢٦٢٨)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أهل الجنَّة، فإنَّها إذا دخلت الجنَّة فهناك مِن أهل الجنَّة مِن لم يَتزوَّجوا مِن الرِّجال، وهم -أعني: مَن لم يَتزوَّجوا مِن الرِّجال- لهم زَوجات مِن الحُور ولهم زَوجات مِن أهل الدُّنيا إذا شاؤوا واشتَهَت ذلك أنفسهم.

وكذلك نقول: بالنسبة للمرأة إذا لم تَكُن ذات زَوج، أو كانت ذات زَوج في الدُّنيا ولكنَّه لم يَدخُل معها الجنَّة أنَّها إذا اشتَهَت أن تَتزوَّج فلا بُدَّ أن يكون لها ما تَشتَهيه لعموم هذه الآيات.

ولا يَحضُرني الآن نصٌّ خاصٌّ في هذه المسألة، والعِلْم عند الله تعالى.



س(٣٣٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل الأوصاف التي ذُكِرت للحُور العِين تَشمَل نِساء الدُّنيا في الآخرة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الذي يَظهَر لي: أنَّ نِساء الدُّنيا يكنَّ خيرًا مِن الحُور العِين، حتى في الصِّفات الظاهرة، والله أعلم.

ونحن نقول لأخينا السَّائل: هذه أسئِلة لا وجهَ لها، فأنت إذا كنت من أهل الجنَّة ودخلت الجنَّة فستَجِد فيها ما تشتهيه الأنفس، وتَلَذُّ الأعيُن، وستَجِد فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُن سمِعت، ولا خطر على قلب بشَرٍ، وهذه التَّساؤلات التي هي مِن أمور الغيب السُّؤال عنها مِن التَّنطُّع في دِين الله، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ المُتنطِّعُونَ، هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم (٢٦٧٠/ ٧)من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

س(٣٣٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما منزلة المرأة في الجنَّة مع وجود الحور العين؟ وماذا بالنِّسبة لزوجها؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا شكَّ أنَّ الزَّوجات يكنَّ مع أزواجهنَّ في الآخرة، يقول الله عَزَّوَجَلَّ في دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [غافر:٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١].

ولا شكَّ أنَّ الزَّوجة مع زوجها في الجنَّة لها مقام عظيم عالٍ، حتى إنَّ بعض العلماء قال في دعاء الميِّت (وأبدلها زوجًا خيرًا من زوجها) أنَّ المعنى: اجعل زوجها لها في الجنَّة خيرًا مما هو عليه في الحياة الدُّنيا، ثم إنَّ قول الله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف:٧١]، وهذا شامل لكل ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين، فليس فيها كَدَرٌ، ولا نَصَبٌ، ولا همٌّ، ولا غمٌّ فلتُبشرِ النِّساء بالخير، ولتَعلمْ أنَّ الجنَّة ليس فيها مما في الدُّنيا من الغيرة والتَّأذِّي.

س(٣٣٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل الحُور العِين خاصَّةٌ للرِّجال فقط؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا شكَّ أنَّ الجنَّة فيها ما تَشتهيه الأنفس وتَلذُّ الأعين للرِّجال وللنِّساء، وليَقرأِ السَّائل قول الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ

وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٣٥]، وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران:١٩٥].

فما ثبت للرِّجال من الأجور على الأعمال الصَّالحة فهو ثابت للنِّساء، وما ثبت من الأوزار على الرِّجال فهو ثابت للنِّساء، لكن هناك أحكام تختصُّ بالرِّجال، وأحكام تختص بالنِّساء، بدليل من الكتاب والسُّنَّة، فإذا كان هناك دليل يَدلُّ على اختصاص الرِّجال بحكم، أو اختصاص النِّساء بالحكم، فليكن هذا على مقتضى الدَّليل.

| س(٣٣٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: إذا كانت المرأة لـها زوجان في الدُّنيا فمَع مَن تَكون منهما؟ ولماذا ذكر الله الزَّوجات للرِّجال ولم يذكر الأزواج للنِّساء؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إذا كانت المرأة لـها زوجان في الدُّنيا فإنَّها تُخيَّر بينهما يوم القيامة في الجنَّة.

وإذا لم تَتزوَّج في الدُّنيا فإنَّ الله تعالى يُزوِّجها ما تَقَرُّ به عينُها في الجنَّة، فالنَّعيم في الجنَّة ليس مقصورًا على الذُّكور، وإنَّما هو للذُّكور والإناث، ومن جملة النَّعيم الزَّواج.

وقول السَّائل: «إنَّ الله تعالى ذكر الحُور العِين وهنَّ زوجات، ولم يذكر للنِّساء أزواجًا».

فنقول: إنَّما ذكر الزَّوجات للأزواج؛ لأنَّ الزَّوج هو الطَّالب وهو الرَّاغب في المرأة؛ فلذلك ذُكِرَت الزَّوجات للرِّجال في الجنَّة وسكت عن الأزواج للنِّساء، ولكن ليس مقتضى ذلك أنَّه ليس لهنَّ أزواجٌ بل لهن أزواج من بني آدمَ.

س(٣٤٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما معنى قول الرَّسول ﷺ: «سَيْحَانُ وجَيْحَانُ وَالفُرَاتُ والنِّيلُ، كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الجَنَّةِ»[1]؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البداية والنهاية: «وكأنَّ المراد -والله أعلم- من هذا أنَّ هذه الأنهار تُشبِه أنهار الجنَّة في صَفائها وعُذوبتها وجَريانها»[2] اهـ.

وعلى هذا فيكون الكلام على سبيل المجاز[3]، وليست من أنهار الجنَّة حقيقةً؛ لأنَّ منبعها من الأرض معلوم محسوس، وكلام الشَّارع لا يخالف المحسوس أبدًا، والله أعلم.



(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنة، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة، رقم (٢٨٣٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) البداية والنهاية (١/ ٥٧).

(٣) هذا على القول بإثبات المجاز، وانظر كلام شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما يتعلق بالمجاز في: شرح الأصول من علم الأصول (ص:١١٩-١٢٠).

س(٣٤١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: كيف رأى النَّبيُّ ﷺ أحوال أهل الجنَّة وأحوال أهل النَّار ليلة الإسراء والمعراج، مع أنَّ السَّاعة لم تَقُم بعد؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إنَّ النَّبيَّ ﷺ أخبرنا بذلك، وأنَّه رأى الجنَّة والنَّار، ورأى أقوامًا يُعذَّبون وأقوامًا يُنعَّمون، والله أعلم بكيفية ذلك؛ لأنَّ أمور الغيب لا يدركها الحِسُّ، فمثل هذه الأمور إذا جاءت يجب علينا أن نؤمن بها كما جاءت، وأن لا نَتعرَّض لطلب الكيفية. ولِـمَ؟؛ لأنَّ عقولنا أقصرُ وأَدنَى من أن تدرك هذا الأمر، فقد أخبر النَّبيُّ ﷺ عن أمور لا يمكن إدراكها بالعقل، فقد أخبر ﷺ بأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ينزل إلى السَّماء الدُّنيا حين يبقى ثلث اللَّيل الآخِر كلَّ ليلة[1]، ومعلوم الآن أنَّ ثلث اللَّيل يدور على الكرة الأرضية، فإذا انتقل من جهة حلَّ في جهة أخرى، فقد تقول: كيف ذلك؟

فنقول: عليك أن تُؤمِن بما أخبرك به النَّبيُّ ﷺ ولا تَقُل: كيف؟ لأنَّ عقلك أدنى وأَقصرُ من أن يحيط بمثل هذه الأمور الغيبية، فعلينا أن نَستسلِم ولا نقول: كيف؟ ولِـمَ؟

ولهذا قال بعض العلماء كلمة نافعة، قال: «قل: بِمَ أمر الله؟ ولا تقل: لِمَ أمر الله؟» والله وليُّ التَّوفيق.



---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١١٤٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٣٤٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: امرأة ولدت طفلًا ميِّتًا وقيل لها: إنَّه يأتي يوم القيامة كبيرًا. وهل لها أجر على المشقَّة في الحمل والوضع؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا نعلم كيف يأتي هذا الطِّفل يوم القيامة، ولكن قد ثبت في الحديث أنَّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**»[1]، وكما قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، **فالحُفاة:** ليس عليهم نِعال ولا خِفاف؛ **والعُراة:** ليس عليهم ثياب؛ **والغُرل:** جمع أغرلَ، وهو الذي لم يُختَن، أي أنَّ جِلدة الختان تَعود يوم القيامة.

وأمَّا هل لها أجر على ما حصل لها من المشقَّة على حمله والتَّعب في وضعه؟

فجوابه أن نقول: إنَّ لها أجرًا في ذلك؛ فإنَّه لا يُصيب الإنسان مِن هم ولا غم، ولا أذًى إلا كفَّر الله عنه، حتَّى الشَّوكة إذا أصابته وحصل فيها ألم، فإنَّه يكفر به عنه من سيئاته، وإذا صبر واحتسب الأجر من الله كان له مع تكفير السَّيئات زيادة في حسناته على صبره، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠]، فالمصائب التي تصيب الإنسان تكفير، ومع الصبر عليها واحتساب الأجر تكون مع التَّكفير زيادة في الحسنات.



(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، رقم (٦٥٢٧)، ومسلم: كتاب الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم (٢٨٥٩)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

س(٣٤٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل المسلم إذا دخل الجنَّة يَتعرَّف على أقاربه الذين في الجنَّة؟ وهل يَذكُر أهله بعد موته ويَعرِف أحوالهم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أما الشقُّ الأول من السُّؤال، وهو: إذا دخل أحد الجنَّة هل يتعرف على أقاربه؟

فجوابه: نعم يتعرف على أقاربه وغيرهم، من كلِّ ما يأتيه سرور قلبه؛ لقول الله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف:٧١]، بل إنَّ الإنسان يَجتمِع بذُرِّيَّته في منزلة واحدة إذا كانت الذُّرِّيَّة دون منزلته، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِىٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١].

وأمَّا الشقُّ الثَّاني من السُّؤال: وهو معرفة الميِّت ما يصنعه أهله في الدُّنيا، فإنَّني لا أعلم في ذلك أثرًا صحيحًا يُعتمَد عليه، ولكن بعض الوقائع تدل على أنَّ الإنسان قد يعرف ما يجري على أهله، فقد حدثني شخص أنَّه بعد موت أبيه أضاع وثيقة له وصار يَطلُبها ويَسأل عنها، فرأى في المنام أنَّ أباه يُكلِّمه من نافذة المجلس، ويقول له: إنَّ الوثيقة مَكتوبة في أوَّل صفحة من الدفتر الفلانيِّ، لكن الورقة مُلصَقة بجلدة في الدَّفتر، فافتح الورقة تجد الوثيقة في ذلك المكان. ففعل الرَّجل ورآها كما ذكر أبوه، وهذا يدل على أنَّ الإنسان قد يكون له علم بما يصنعه أهله من بعده.



س(٣٤٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل الرَّجل يتعرف على أولاده في يوم القيامة إذا كانوا سعداء؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إذا كان الأولاد سعداء والأب من السُّعداء فإنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول في كتابه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِيِٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١].

يعني: أنَّ الإنسان إذا كان له ذُرِّيَّة وكانوا من أهل الجنَّة فإنَّهم يتَّبعون آباءهم، وإن نزلت درجاتهم عن الآباء، ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ أي: ما نقصنا الآباء، ثم قال سبحانه: ﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ بل الآباء بقي ثوابهم مُوفَّرًا، ورفعت الذُّرِّيَّة إلى مكان آبائها، هذا ما لم يخرج الأبناء عن الذرية بحيثُ ينفردون بأزواجهم وأهليهم، فيكون هؤلاء لهم فضلهم الخاصُّ، ولا يلحقون بآبائهم؛ لأنَّنا لو قلنا: كل واحد يلحق بأبيه، ولو كان له أزواج وكان منفردًا بنفسه. لكان أهل الجنَّة كلُّهم في مرتبة واحدة؛ لأنَّ كل واحد من ذرية من فوقه، لكن المراد بالذُّرِّية: الذين كانوا معه ولم يَنفرِدوا بأنفسهم وأزواجهم وأولادهم، فهؤلاء يرفعون إلى منزلة آبائهم، ولا ينقص الآباء من عملهم من شيء.



س(٣٤٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل يَلتقِي الزَّوجان في الجنَّة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نعم إذا دخل الرَّجل وزوجته الجنَّة فهي زوجته لا تَتعدَّاه، وهو أيضًا لا يَتعدَّاها إلا فيما أعطاه الله تعالى من الحُور العِين، أو من نساء الجنَّة اللَّاتي ليس لهنَّ أزواج في الدُّنيا، وإذا كان للمرأة زوجان ودخلا الجنَّة فإنَّها تُخيَّر

بينهما، فمن اختارت فهو زوجها، وفي الحديث: أَنَّهَا تَخْتَارُ أَحْسَنَهُمَا خُلُقًا[1].

س(٣٤٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: يُذكَر أنَّ الزَّوجين الصَّالحين إذا كانا من أهل الجنَّة، فإنَّهما يكونان زوجين في الجنَّة أيضًا فهل يصحُّ ذلك؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نعم، هذا صحيح، فإذا مات رجل وزوجته وكانا من أهل الجنَّة فإنَّها تبقى زوجة له، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [غافر:٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١]، والذُّرِّيَّة شاملة لذُرِّيَّة الزَّوج والزَّوجة، فإذا كان الله يُلحِق بالمؤمنين ذُرِّيَّاتهم، فمعنى ذلك أن الزَّوج والزَّوجة يكونان سواءً، ويُلحِق الله بهما ذُرِّيَّتهما، وهذا من كمال النَّعيم الذي في الجنَّة، فإنَّ فيها ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطَر على قلب بشر، وفيها ما تشتهيه الأنفس، وتَلَذُّ الأعين، وهذا من كمال النَّعيم.

س(٣٤٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ أمور الغيب ليست كأمور الشَّهادة، ولكن أعتقد أنَّه لا بأس من أن أسأل هذا السؤال: رأى النَّبيُّ ﷺ موسى ليلة المعراج قائمًا يصلي في قبره، ولا بدَّ أن قد صلى به في جملة من صلى به من النَّبيين في بيت المقدس ثم رآه في السَّماء، فكيف كان ذلك؟ وإذا

(١) أخرجه البزار (٦٦٣١)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ٢٢٢) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ثبت أنَّ موسى كان قائمًا يصلي في قبره، وأعتقد أنَّ ذلك ثابت، فما الجمع بين هذا وبين حديث: «**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ**» إلا أن يكون هذا من خصائص الأنبياء؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا السُّؤال يتضمن فقرتين: أولاهما: كيف اجتمع للنبيِّ ﷺ ليلة الإسراء أنْ رأى موسى قائمًا يصلي في قبره، ثم صلى به مع النَّبيِّين، ثم رآه في السَّماء بعد ذلك، والكلُّ في ليلة واحدة؟

والثانية: ما الجمع بين قوله ﷺ: «**إِذَا مَاتَ العَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ**»[1] وبين رؤية النَّبيِّ ﷺ موسى يُصلِّي في قبره.

أمَّا الفقرة الأُولى: فإنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى موسى حقًّا في المواضع الثلاثة.

وقد اختلف العلماء: هل رأى النَّبيُّ ﷺ روحَه أم شخصه؟

فزعم بعضهم: أنَّه رأى شخصه؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ نعته لما رآه نعت الشَّبح، وقال: «**كأنَّه رَجُلٌ مِنْ أَزْدِ شَنَوءَةَ**»[2].

وقال بعضهم: بل إنَّما كانت الرُّؤية للرُّوح فقط فمثله بالجسم؛ فإنَّ الأجسام قطعًا في الأرض، ولو كانت خارجة عنها لكانت بُعِثت قبل يوم القيامة، والنَّبيُّ ﷺ أخبر «**أَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ**»[3]، وخرج

(١) أخرجه مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء، رقم (١٦٥)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٨)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة، رقم (١٠٤٧)، والنسائي: كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، رقم (١٣٧٤)،

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مرَّة بين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقال: «**هَكَذَا نُبْعَثُ**»(١).

وهذا دليل على أنَّ أجساد الأنبياء في الأرض وهذا أمر قطعيٌّ، ولا مانع من أن يمثل الله تعالى الرُّوح بالجسد.

وإذا تقرَّر هذا وأنَّ الذي رآه النَّبيُّ ﷺ ليلة الإسراء هي: أرواح الأنبياء، لا أشباحهم، سهُل الجواب عن تلك الفقرة من السؤال: بأنَّ للرُّوح شأنا غير شأن البدن، فليس نزولها وصعودها وانتقالها مشبهًا لما للبدن من ذلك، بل هو شأن آخر، فإنها تصعد وتنزل في أسرع وقت؛ ولذلك يُصعَد بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ بعد قبضها، ثم تنزل وتتصل بالبدن، وتشهد غسله، وتكفينه، والصَّلاة عليه وتقول: قدِّموني، قدموني(٢).

فالأرواح لها شؤون يعلمها خالقُها وبارئُها غير شؤون هذه الأبدان الكثيفة، وليس من المستحيل أن يرى النَّبيُّ ﷺ موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في قبره، ويصلِّي به مع الأنبياء، ويراه في السَّماء السَّادسة؛ لما قدمنا من أنَّ للرُّوح شأنًا غير شأن البدن، والله أعلم.

وأما الفقرة الثانية: فإن قوله ﷺ: «**إِذَا مَاتَ العَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ**»(٣): عامٌّ،

= وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب فضل الجمعة، رقم (١٠٨٥)، من حديث أوس بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر، رقم (٣٦٦٩)، وابن ماجه: المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، رقم (٩٩)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب قول الميت وهو على الجنازة: قدِّموني، رقم (١٣١٦)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والعامُّ يمكن تخصيصه، ولا يبعد أن يكون الله اختصَّ موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بهذه الخصيصة بأن صار يصلي في قبره بعد موته، ولعله كان كثير الصَّلاة في حياته، فشكر الله له هذا العمل فصار يعمله في قبره أيضًا، وليس من المستبعد أيضًا: أن يخصص الله أحدًا غيره بمثل ذلك.

وقد ذُكِر أنَّ بعض طلاب العلم رُئِي في قبره يَطلُب العِلْم، والله يختصُّ برحمته من يشاء، والله أعلم.

س(٣٤٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل الجنَّة والنَّار موجودتان الآن؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نعم الجنَّة والنَّار مَوجودتان الآن، ودليل ذلك من الكتاب والسُّنَّة.

أمَّا الكِتاب: فقال الله تعالى في النَّار: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١]، والإعداد بمعنى: التهيئة.

وفي الجنَّة قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، والإعداد أيضًا: التهيئة.

وأمَّا السُّنة: فقد ثبت في الصَّحيحين وغيرهما في قصة كسوف الشمس، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قام يصلي، فعُرِضت عليه الجنَّة والنَّار، وشاهد الجنَّة حتى همَّ أن يتناول منها عنقودًا، ثم بدا له أن لا يفعل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وشاهد النَّار ورأى فيها عَمرَو

ابنَ لُحَيٍّ الخزاعيَّ يَجُرُّ قُصبه في النَّار[١] -والعياذ بالله- يعني: أمعاءه قد اندلقت مِن بطنه فهو يَجُرُّها في النَّار؛ لأنَّ الرَّجُل أوَّل مَن أَدخَل الشِّرك على العرب، فكان له كِفْلٌ من العذاب الذي يصيب مَن بعده.

ورأى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ امرأة تُعذَّب في النَّار في هرَّة حبستها حتى ماتت، فلا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض[٢]، فدلَّ ذلك على أنَّ الجنَّة والنَّار موجودتان الآن.

س(٣٤٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل النَّار مؤبَّدة أو تَفنَى؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: المُتعيّن قطعًا أنَّها مُؤبَّدة ولا يكاد يُعرَف عند السَّلف سوى هذا القول، ولهذا جعله العلماء من عقائدهم، بأن نؤمن ونعتقد بأن النَّار مُؤبَّدة أَبدَ الآبدين، وهذا الأمر لا شكَّ فيه؛ لأنَّ الله تعالى ذكر التَّأْبِيدَ في ثلاثة مواضع من القرآن:

الأول: في سورة النِّساء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء:١٦٨-١٦٩].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ﴾، رقم (٤٦٢٣)، ومسلم: كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون، رقم (٢٨٥٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، رقم (٢٣٦٥)، ومسلم: كتاب الآداب، باب تحريم قتل الهرة، رقم (٢٢٤٢)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والثاني: في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥].

والثَّالث: في سورة الجنِّ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن:٢٣].

ولو ذكر الله عَزَّوَجَلَّ التأبيد في موضع واحد لكفى، فكيف وهو قد ذكره في ثلاثة مواضعَ؟

ومن العجب: أنَّ فئة قليلة من العلماء ذهبوا إلى أنَّها تفنى بِناء على عِلل عَلِيلَة لمخالفتها لمقتضى الكتاب والسُّنَّة، وحرَّفوا من أجلها الكتاب والسُّنَّة فقالوا: إنَّ ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ ما دامت موجودة، فكيف هذا؟!! وإذا كانوا خالدين فيها أبدًا لَزِم أن تكون هي مؤبدة ﴿فِيهَآ﴾ هم كائنون فيها، وإذا كان الإنسان خالدًا مُؤبَّدًا تخليده لزم أن يكون مكان الخلود مؤبدًا؛ لأنَّه لو فنِي مكان الخلود ما صحَّ تأبيد الخلود.

والآية واضحة جدًّا، والتَّعليلات الباردة المخالفة للنَّصِّ مردودة على صاحبها.

وهذا الخلاف الذي ذُكِر عن فئة قليلة من أهل العلم خِلاف مُطَّرَح؛ لأنَّه مخالف للنَّصِّ الصَّريح الذي يجب على كل مؤمن أن يعتقده، ومن خالفه لشبهة قامت عنده يُعذر عند الله تعالى، لكن مَن تَأمَّل نصوص الكتاب والسُّنَّة عرف أن القول بتأبيدها هو: الحقُّ الذي لا يَحِقُّ العدول عنه.

والحِكْمة تقتضي ذلك؛ لأنَّ هذا الكافر أفنى عمره -كل عمره- في محاربة الله عَزَّوَجَلَّ ومعصية الله والكفر به، وتكذيب رسوله ﷺ، مع أنَّه جاءه النَّذير وأعذر

وبَيَّن له الحقَّ، ودُعِي إليه، وقُوتِل عليه وأصرَّ على الكفر والباطل فكيف نقول: إن هذا لا يُؤبِّد عذابه؟! والآيات في هذا صريحة كما تقدم.

س(٣٥٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل هناك ناران: نار لأهل الكفر، ونار لأهل المعاصي الذين يُعذَّبون فيها ثم يُخرَجون؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: زعم بعض العلماء ذلك، وقال: إنَّ النَّار ناران: نار لأهل الكفر، ونار لأهل المعاصي من المؤمنين، وبينهما فرق.

ولكن هذا لا أعلم له دليلًا، لكن عذابهما يختلف، ولا شكَّ أنَّها على عصاة المؤمنين ليست كما هي على الكافرين، وكوننا نقول بالتقسيم بناء على استبعاد عقولنا أن تكون نار واحدة تؤثر تأثيرين مختلفين لا ينبغي؛ لأنَّ هذا الاستبعاد لا وجه له؛ لأمرين:

الأمر الأوَّل: أنَّ الله على كل شيء قدير، وأنَّ الله قادر على أن يجعل النَّار الواحدة لشخص سلامًا، ولآخر عذابًا.

الأمر الثاني: أنَّ أحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدُّنيا أبدًا؛ لظهور الفرق العظيم بينهما، فلا يجوز أن تقيس أحوال الآخرة بأحوال الدُّنيا لتَنفِي ما لا يَتَّسع له عقلك، بل عليك بالنسبة لأحوال الآخرة أن تُسلِّم وتَقبَل وتُصدِّق.

أليست هذه الشَّمس ستدنو من الخلائق قدر مِيل يوم القيامة؟

ولو كانت أحوال النَّاس يوم القيامة كأحوالهم في الدُّنيا لأحرقتهم؛ لأنَّ هذه الشَّمس في أَوَجها لو أنَّها نزلت ولو يسيرًا أحرقت الأرض ومَحَتْها عن آخرها، ونحن

نُحِسُّ بحرارتها الآن وبيننا وبينها مسافات عظيمة لا سيما في أيام الصَّيف حين تكون عمودية، ومع ذلك تدنو من الخلائق يوم القيامة على قدر ميل ولا يَحترِقون بها.

كذلك أيضًا في يوم القيامة النَّاس في مقام واحد، المؤمنون لهم نور يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، والكفار في ظلمة، لكن في الدُّنيا لو كان بجانبك واحد على يمينه نور وبين يديه نور، فإنَّك تنتفع به، أمَّا في الآخرة فلا.

وفي الآخرة أيضًا: يعرق النَّاس فيختلف العرق اختلافًا عظيمًا بينهم، وهم في مكان واحد:

فمن الناس: من يَصِل العرَق إلى كعبيه.

ومنهم: من يَصِل إلى ركبتيه.

ومنهم: من يَصِل إلى حَقويه.

ومنهم: من يُلجِمُه العرق، وهم في مكان واحد.

فالمهمُّ أنَّه لا يَجوز أن نقيس أحوال الآخرة بأحوال الدُّنيا ثم نذهب ونُحدِث أشياءَ لم تأت في الكتاب والسُّنَّة، كتقسيم النار إلى نارين: نار للعصاة، ونار للكافرين، فالذي بَلَغنا ووصل إليه عِلْمنا أنها نار واحدة، لكنَّها تَختلِف.



س(٣٥١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل نار جهنَّم لها اسم واحد أو أسماء مُتعدِّدة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نار جهنَّم لها أسماء مُتعدِّدة، وهذا التَّعدُّد في الأسماء؛ لاختِلاف

صفاتها، فتسمى الجحيم، وتسمى جهنَّم، ولظَى، والسَّعير، وسَقَر، والحُطَمة، والهاوية، بحسب اختلاف الصِّفات، والمسمَّى واحد، فكل ما صحَّ في كتاب الله أو سُنَّة الرَّسول ﷺ من أسمائها فإنَّه يجب على المؤمن أن يُصدِّق به ويُثبِته.

س(٣٥٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: إذا استعاذ الإنسان من عذاب جهنَّم، فهل المراد أنه يَعوذ بالله من المعاصي المؤدية إلى جهنَّم أو يَتعوَّذ بالله من جهنَّم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: يَشمَل الأمرين: فهو يَستعيذ بالله من عذاب جهنَّم، أي: مِن فِعْل الأسباب المؤدية إلى عذاب جهنَّم.

ومن عذاب جهنَّم أي: من عقوبة جهنَّم إذا فعل الأسباب التي توجب ذلك؛ لأنَّ الإنسان بين أمرين: إمَّا عصمة من الذنوب، فهذه إعاذة من فعل السَّبب، وإمَّا عفو عن الذُّنوب، وهذه إعاذة من العذاب، وقولنا: العصمة من الذُّنوب ليس معناه: العصمة المطلقة؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوابُونَ**»[1]، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَومٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**»[2].

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٩٨)، والترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٤٩٩)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، رقم (٤٢٥١)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، رقم (٢٧٤٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٣٥٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: مَن همُ الذين يُخلَّدون في نار جهنَّمَ؟ ومَن الذين يَدخلون النار ثم يَخرُجون منها للجنَّة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أما النَّاس الذين يبقون في النَّار خالدين فيها فهؤلاء هم: الكفار الذين ليس لهم حسنات كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥].

وقد ذكر الله تعالى خلود الكافرين الأبدي في القرآن في ثلاثة مواضعَ:

الأوَّل: في النِّساء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء:١٦٨-١٦٩].

والثَّاني: في سورة الجِنِّ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن:٢٣].

والثَّالث: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥].

وأمَّا مَنْ هم الذين يدخلون النَّار ثم يخرجون منها ثم يدخلون الجنَّة فهم: أهل المعاصي من المؤمنين، فهم مُستحقُّون لدخول النَّار والعذاب فيها بقدر ذنوبهم، ولكن قد يَغفِر الله لهم فلا يَدخُلون النَّار، وقد يُشفَعُ لهم فلا يَدخلون النَّار، وهناك أناس يَدخُلون الجنَّة بلا حساب ولا عذاب، وهم الذين وصفهم النَّبيُّ ﷺ بقوله: «**لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»[١].

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب من اكتوى، رقم (٥٧٠٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب

س(٣٥٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما الدَّليل من الكتاب والسُّنَّة على دخول الرَّجل المسلم العاصي النَّار ومن ثَمَّ خروجه إلى الجنَّة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الدَّليل على هذا أحاديثُ[(١)] عن النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وردت كثيرًا بأنَّ عصاة المؤمنين يَدخلون النَّار يُعذَّبون فيها بقدر ذنوبهم، ثم يخرجون منها.

ومنهم من يخرج بالشَّفاعة قبل أن يستوفي ما يستحقُّه من عقوبة.

ومنهم من يغفرُ اللهُ له بفضله ورحمته فلا يدخل النَّار.

فعصاة المسلمين ثلاثة أقسام:

قسم: يغفر الله له ولا يدخل النَّار أصلًا.

وقسم: يدخل النَّار ويُعذَّب بقدر ذنوبه، ثم يخرج.

وقسم: يدخل النَّار ويعذب ولكن يكون له الشَّفاعة فيخرج من النَّار قبل أن يستكمل ما يستحقُّه من العذاب.



س(٣٥٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل عذاب النَّار حقيقيٌّ، أو أن أهلها يكونون فيها كأنَّهم حجارةٌ لا يتألمون؟

= الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب رقم (٢٢٠)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(١) من ذلك ما أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم (٦٥٦٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: عذاب أهل النَّار حقيقي بلا ريبٍ، ومن قال خلاف ذلك فقد أخطأ وأَبْعَدَ النُّجْعَةَ، فأهلها يُعذَّبون فيها ويألمون ألَمًا عظيمًا شديدًا، كما قال تعالى في عِدَّة آيات: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٣٦]، حتى إنَّهم يَتمنَّون الموت، والذي يَتمَّنى الموت هل يقال: إنَّه يتألم أو إنَّه تأقلَم؟! لو تَأقلَم ما تَألَّمَ ولا دعا الله أن يقضِي عليه: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف:٧٧-٧٨].

إِذَنْ هم يَتألَّمون بلا شكٍّ، والحرارة النَّارية تُؤثِّر على أبدانهم ظاهرها وباطنها، قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:٥٦]، وهذا واضح أنَّ ظاهر أبدانهم يتألم وينضج، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوُجُوهَ﴾ [الكهف:٢٩]، وشَيُّ الوجه واللحم معروف، فهم إذا استغاثوا ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ بعد مدة طويلة، وهذا الماء إذا أقبل على وجوههم شَوَاها وتساقطت -والعياذ بالله-، فإذا شربوه قطع أمعاءهم ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد:١٥].

وهذا عذاب الباطن، وقال النَّبيُّ ﷺ في أهون أهل النَّار عذابًا: «**إِنَّهُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَعَلَيْهِ نَعْلَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**»(١)، أعوذ بالله، الدِّماغ يغلي فما بالُك بما دونه مما هو أقرب إلى النَّعلَين؟! وهذا دليل واضح على أنَّهم يَتألَّمون، وأنَّ هذه النَّار تُؤثِّر فيهم، وكذلك قال تعالى: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال:٥٠]،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم (٦٥٦٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب، رقم (٢١٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أي: المُحرِق، والآيات والأحاديث في هذا كثيرة واضحة تدل على بُطلان قول من قال: «إنَّهم يكونون كالحجارة لا يَتألَّمون».

س(٣٥٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه أنَّ الشياطين خُلِقت من النَّار، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ﴾ [ص:٧٦]، **وتَوَعَّدهم تعالى بعقاب النَّار، فكيف يكون عذابهم في النَّار، وهم مخلوقون من نار؟**

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: النَّار التي يُعذَّب بها الشياطين هي النَّار التي يُعذَّب بها الكفار من بني آدمَ ولا فرق بينهما، والإنسان إذا خُلِق مِن الشيء لا يَلزَم أن يكون هو الشيء، أرأيت نفسك أيُّها السَّائل خُلِقت من طين، فهل أنت طين؟ من المعلوم أن الجواب: لا، ليس الإنسان بطين، وهكذا الشَّياطين خُلِقت من نار، ولكنَّها ليست نارًا، وإذا لم تكن نارًا فإنَّها أجسام لها خصائصها التي خصَّها الله بها، وإذا كان يوم القيامة فإنَّها تُعذَّب بالنَّار.

س(٣٥٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل النَّار في السَّماء أو في الأرض؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هي في الأرض، ولكن قال بعض أهل العلم إنَّها هي: البحار.

وقال آخرون: هي في باطن الأرض، والذي يظهر: أنَّها في باطن الأرض، ولكن ما ندري أين هي من الأرض؟ نؤمن بأنَّها في الأرض وليست في السَّماء، ولكن لا نعلم في أيِّ مكان هي على وجه التَّعيين.

والدَّليل على أنَّ النَّار في الأرض ما يلي:

قال الله تعالى: ﴿**كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ**﴾ [المطففين:٧]، وسِجِّينٌ هي: الأرض السُّفلى، كذلك جاء في الحديث فيمن احتُضِر وقُبِض من الكافرين، فإنَّها لا تُفتَّح لهم أبواب السَّماء، كما جاء في حديث البرَاء بن عازبٍ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يقول: «**اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي سِجِّينٍ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ**»[1]، ولو كانتِ النَّار في السَّماء لكانت تُفتَّح لهم أبواب السَّماء ليَدخلوها؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى أصحابها يُعذَّبون فيها، وإذا كانت في السَّماء لزم من دخولهم في النَّار التي في السَّماء أن تفتح لهم أبواب السَّماء.

لكن بعض النَّاس استشكل وقال: كيف يراها الرَّسول ﷺ، ليلةَ عُرج به وهي في الأرض؟![2].

وأنا أعجب لهذا الاستشكال، إذا كنَّا ونحن في الطائرة نرى الأرض تحتنا بعيدة وندركها، فكيف لا يرى النَّبيُّ ﷺ النَّار وهو في السَّماء؟

فالحاصل: أنَّها في الأرض، وقد رُوي في هذا أحاديثُ، لكنَّها ضعيفة[3]،

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، وأبو داود: كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣)، من حديث البرَاء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) انظر الفتوى رقم (٣٤٧).

(٣) من ذلك ما أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد، باب في ركوب البحر في الغزو، رقم (٢٤٨٩)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**لا يركب البحر إلا حاج، أو معتمر، أو غاز في سبيل الله، فإن تحت البحر نارا، وتحت النار بحرا**». وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ في التلخيص (٢/ ٤٢٤):قال أبو داود: رواته مجهولون، وقال الخطابي: ضعفوا إسناده، وقال البخاري: ليس هذا الحديث بصحيح. وانظر: البعث والنشور للبيهقي: باب ما جاء في موضع الجنة وموضع النار، (٤٥١-٤٥٣).

وروي آثار عن السَّلف كابن عباس، وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(١)]، وهو ظاهر القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠]، والذين كذَّبوا بالآيات واستكبروا عنها لا شكَّ أنَّهم في النَّار.

س(٣٥٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: قرأت لفضيلتكم أنَّ النَّار في الأرض، وليست في السَّماء، ولكن أَشكَل عليَّ أن قوله: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين:٧] **ليس فيه دَلالـة على ذلك حيث إنَّ الأرض السُّفلى هي موضع كتاب الفجَّار، وليس موضع النَّار هذا، على الرغم من أنَّ العلماء لم يتَّفِقوا على ذلك الرأي، فما قولكم؟**

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: دليل أنَّ النَّار في الأرض قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ أي: أنَّهم كُتِب عليهم أن يكونوا في سِجِّين كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين:١٨]، أي: أنَّهم كتب لهم أن يكونوا في علِّيِّين، وليس المراد: أنَّ الكتاب نفسه في سِجِّين أو في عِلِّيِّين، وسِجِّين هي الأرض السَّابعة السُّفلى كما دلَّ على ذلك حديث البراء بن عازب المشهور، وفيه أنَّ الله تعالى يقول: «**اكْتُبُوا كِتَابَهُ**» أي: الكَافِر «**فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى**»[(٢)]، وليكن لديك علم

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ٢٨٢-٢٨٣)، البعث والنشور للبيهقي: باب ما جاء في موضع الجنة وموضع النار، (٢٦٤-٢٦٦).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، وأبو داود: كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣)، من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بأنَّ الأحكام قد يكون دليلها مركَّبًا من دليلين كما قال بعض العلماء: إنَّ أقل مدة الحمل ستة أشهر. مُستدِلِّين بقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف:١٥]، مع قوله تعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان:١٤]، فإذا أسقطنا عامين للفِصال بقي سِتَّة أشهر للحَمْل.

وفَّق الله الجميع للفِقه في دينه، والدَّعوة إلى الله على بصيرة.

حرر في ٢٩/ ٥/ ١٤١٦هـ.



س(٣٥٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل ما يُذكَر من أنَّ أكثر أهل النَّار النِّساء صحيح؟ ولماذا؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: هذا صحيح؛ فإنَّ النَّبيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال لـهنَّ وهو يخطب فيهنَّ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**»، وقد أُورِد على النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هذا الإشكال الذي أورده السَّائل، قلن: وبِمَ يا رسول الله؟ قال: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ**»[1]، فبيَّن النَّبيُّ ﷺ أسباب كثرتهنَّ في النَّار؛ لأنَّهنَّ يُكثرن السَّبَّ، واللَّعن، والشَّتم، ويَكفُرن العشير الذي هو الزَّوج، فصِرْن بذلك أكثر أهل النَّار.



(١) أخرجه البخاري: كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، رقم (٣٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، رقم (٨٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٣٦٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن أسماء القيامة وسبب تَعدُّدها؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الأسماء لا يُمْكِنني حصرها الآن، لكن سبب تَعدُّدها أنَّها أسماءٌ تَدلُّ على أوصاف، فهي السَّاعة، وكلمة السَّاعة تُقال في اللُّغة العربية لما يقع فيه الأمر العظيم الشديد الشاقُّ.

وتُسمَّى الحاقَّة؛ لكونها حقًّا، ووصفَها الله جَلَّجَلَالُهُ أنَّ زلزلتها شيء عظيم؛ لما فيها من الأهوال.

ووصفت بالقارعة، إلى غير ذلك من الأوصاف التي كل وصف منها يَدُلُّ على معنى لا يَدلُّ عليه الاسم الآخر أو الوصف الآخر، فهذه هي الحكمة من تَعدُّد أوصافها، وذِكرها حتى يكون ذلك أبلغَ في الإيمان بها وأقومَ للاستعداد لها.

س(٣٦١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل صحَّ حديث خروج السُّفيانيِّ في علامات السَّاعة؟ وكذا هل صَحَّت أيضًا أحاديثُ خروج الرَّايات السُّود؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: حديث السُّفيانيِّ أخرجه الحاكم في مستدركه[(١)] وقال: حديث صحيح الإسناد، ولكن الحاكم رَحِمَهُٱللَّهُ معروف بالتَّساهل بالتَّصحيح، فالله أعلم.

وأما الرَّايات السُّود فلا أدري[(٢)].

(١) المستدرك (٤/ ٥٠١-٥٠٢) عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ موقوفًا، (٤/ ٥٢٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٥)، والترمذي: كتاب الفتن، رقم (٢٢٦٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

س(٣٦٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كثيرًا ما نَسمَع أنَّ السَّاعة لا تقوم حتى يَعُمَّ الإسلام الأرض، ونسمع من جهة ثانية أنَّها لا تقوم ويبقى في الأرض من يَقول: لا إله إلا الله. فكيف نُوفِّق بين هذين القولين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: التَّوفيق بينهما أن نقول: إنَّ كلَّ واحد منهما في زمن غير زمن الآخر، فالإسلام يَعُمُّ الأرض كلَّها، ثم بعد ذلك يَندثِر هذا الإسلام ويموت المؤمنون، ولا يبقى إلا شرار الخلق وعليهم تقوم السَّاعة.

س(٣٦٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: في صحيح مسلم عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما رجع النَّبيُّ ﷺ من تَبوكَ سألوه عن السَّاعة، فقال رسول الله ﷺ: «لَا تَأْتِي مِئَةُ سَنَةٍ وَعَلَى الأَرْضِ نَفْسٌ مَنْفُوسَةٌ اليَوْمَ»[1]، فما مُراد الرَّسول ﷺ بذلك؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا الحديث فسَّره بعضهم: بِقِصَر الأعمار، وأنَّها لا تَزيد على مِئَة سنة، وفيه نظر لمخالفته للواقع.

وإنما المراد: ما من نفس موجودة حين تَكلَّم النَّبيُّ ﷺ بهذا إِلَّا لا يأتي عليها مِئَة سنة حتى تموت.

ومعنى الحديث: أنَّ هؤلاء الذين على وجه الأرض إذا ماتوا فقد قامت قيامتهم، فإن من مات فقد قامت قيامته وانتقل إلى دار الجزاء، فهذا قيام السَّاعة

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: **«لا تأتي مئة سنة، وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم»**، رقم (٢٥٣٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الذي تُسألون عنه بالنِّسبة إلى الموجودين الآنَ، ويُؤيِّد ذلك حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النَّبيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول قبل أن يموت بشهر: «**تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ، وَأُقْسِمُ بِاللهِ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِئَةُ سَنَةٍ**»(١).



(١) أخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: «**لا تأتي مئة سنة، وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم**»، رقم (٢٥٣٨)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



| س(٣٦٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عمَّن لا يُحِب دراسة العقيدة، خصوصًا مسألة القدر؛ خوفًا من الزَّلل؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذه مسألة كغيرها من المسائل المُهمَّة التي لا بدَّ للإنسان منها في دِينه ودُنياه، لا بدَّ أن يَخوض غِمارها، وأن يَستَعين بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على تحقيقها ومعرفتها حتى يَتبيَّن له الأمر؛ لأنَّه لا يَنبغِي أن يكون على شكٍّ في هذه الأمور المُهمَّة.

أمَّا المسائِل التي لا تُخلُّ بدِينه لو أجَّلها ويخشى أن تكون سببًا لانحرافه، فإنَّه لا بأس أن يُؤجِّلها مادام غيرها أهمَّ منها.

ومسائل القَدَر من الأمور المهمَّة: التي يَجِب على العبد أن يُحقِّقها تمامًا حتى يصل فيها إلى اليقين، وهي في الحقيقة ليس فيها إشكالٌ -ولله الحمد- والذي يثقل دروس العقيدة على بعض النَّاس هو أنَّهم مع الأسف الشَّديد يُرجِّحون جانب «كيف» على جانب «لِـمَ»، والإنسان مسؤول عن عمله بأداتين من أدوات الاستفهام «لـم» و«كيف»، فلِمَ عملت كذا؟ هذا الإخلاص. كيف عملت كذا؟ هذه المتابعة للرَّسول ﷺ.

وأكثر النَّاس الآن مشغولون بتحقيق جواب «كيف» غافلون عن تحقيق جواب «لـم»؛ ولذلك تَجِدهم في جانب الإخلاص لا يَتحرَّون كثيرًا، وفي جانب

المتابعة يَحرِصون على أدقِّ الأمور، فالنَّاس الآن مُهتمُّون كثيرًا بهذا الجانب، غافِلون عن الجانب المُهِمِّ، وهو: جانب العقيدة، وجانب الإخلاص، وجانب التَّوحيد.

لهذا تَجِد بعض النَّاس في مسائل الدُّنيا يسأل عن مسألة يسيرة جدًّا جدًّا وقلبه منكبٌّ على الدُّنيا غافل عن الله مطلقًا في بيعه وشرائه، ومركوبه، ومسكنه، وملبسه، فقد يكون بعض النَّاس الآن عابدًا للدُّنيا وهو لا يَشعُر، وقد يكون مُشرِكًا بالله في الدُّنيا وهو لا يَشعُر؛ لأنَّ جانب التَّوحيد وجانب العقيدة -مع الأسف- لا يُهْتَمُّ بهما، ليس من العامَّة فقط، ولكن حتَّى من بعض طلاب العلم، وهذا أمر له خطورته.

كما أنَّ التركيز على العقيدة فقط بدون العمل الذي جعله الشَّارع كالحامي والسُّور لها خطأ أيضًا؛ لأنَّنا نسمع في الإذاعات ونقرأ في الصُّحُف التَّركيز على أنَّ الدِّين هو العقيدة السَّمحاء، وما أشبه ذلك من هذه العبارات.

وفي الحقيقة: أنَّ هذا يخشى أن يكون بابًا يَلِجُ منه من يَلِج في استحلال بعض المحرَّمات بحُجَّة أنَّ العقيدة سليمة، ولكن لا بدَّ مِن ملاحظة الأمرين جميعًا ليستقيم الجواب على (لِـمَ) وعلى (كيف).

وخلاصة الجواب: أن يَجِب على المرء دراسة عِلْم التَّوحيد والعقيدة؛ ليكون على بصيرة في إلهه ومعبوده جلَّ وعلا على بصيرة في أسماء الله وصفاته، وأفعاله، على بصيرة في أحكامه الكونية والشَّرعية، على بصيرة في حكمته، وأسرار شرعه وخلقه، حتى لا يَضِل بنفسه أو يُضِل غيره.

وعلم التَّوحيد هو أشرف العلوم لشرف متعلقه؛ ولهذا سماه أهل العلم (الفقه الأكبر) وقال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[1]، وأول ما يدخل في ذلك وأولاه: علم التَّوحيد والعقيدة، لكن يَجِب على المرء أيضًا أن يَتحرَّى كيف يأخذ هذا العِلْم، ومن أيِّ مصدر يَتلقَّاه.

فلْيَأخُذْ من هذا العلم أولًا: ما صفا منه، وسلم من الشبهات. ثم ينتقل ثانيًا: إلى النَّظر فيما أُورِد عليه من البدع والشُّبهات؛ ليقوم بردِّها وبيانها مما أخذه من قبل من العقيدة الصَّافية، وليَكنِ المصدر الذي يَتلقَّاه منه كتابَ الله وسُنَّةَ رسوله ﷺ، ثم كلام الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ثم ما قاله الأئمة بعدهم من التابعين وأتباعهم، ثم ما قاله العلماء الموثوق بعلمهم وأمانتهم؛ خصوصًا شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم عليهما وعلى سائر المسلمين وأئمتهم سابغ الرَّحمة والرِّضوان.

س(٣٦٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما الفَرْق بين القضاء والقَدَر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: اختلف العلماء في الفرق بينهما:

فمنهم من قال: إنَّ القدر: «تقدير الله في الأَزَل»، والقضاء: «حكم الله بالشيء عند وقوعه»، فإذا قدَّر الله تعالى أن يكون الشَّيء المعين في وقته فهذا قدَر، فإذا جاء الوقت الذي يكون فيه هذا الشَّيء فإنَّه يكون قضاء، وهذا كثير في القرآن

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا، رقم (٧١)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم (١٠٣٧)، من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [يوسف:٤١]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ [غافر:٢٠]، وما أشبه ذلك؛ فالقدر تقدير الله تعالى الشَّيء في الأزل، والقضاء قضاؤه به عند وقوعه.

ومنهم من قال: إنَّهما بمعنًى واحد.

والراجح: أنَّهما إن قُرِنا جميعًا فبينهما فرق كما سبق، وإن أُفرِد أحدهما عن الآخر فهما بمعنًى واحد، والله أعلم.

س(٣٦٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل بين القضاء والقَدَر عموم وخصوص؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: القضاء إذا أُطلِق شمِل القدَر، والقدَر إذا أُطلِق شمِل القضاء.

ولكن إذا قيل: القضاء والقدَر صار بينهما فرْق، وهذا كثير في اللُّغة العربية؛ تكون الكلمة لها معنًى شامل عند الانفراد، ومعنًى خاصٌّ عند الاجتماع، ويقال في مثل ذلك: «إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا»، فالقضاء والقدَر: الصَّحيح أنَّهما مِن هذا النَّوع، يعني: أنَّ القضاء إذا أُفرِد شمِل القدَر، والقدر إذا أُفرِد شمِل القضاء، لكن إذا اجتمعا فالقضاء: «ما يَقضيه الله في خَلْقه من إيجاد، أو إعداد، أو تغيير»، والقدَر: «ما قَدَّره الله تعالى في الأزل» هذا هو الفَرْق بينهما، فيكون القدَر سابِقًا والقضاء لاحِقًا.



س(٣٦٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما الفرق بين القضاء والقدَر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هاتان الكلمتان مُترادِفتان إن تَفرَّقتا، ومُتبايِنتان إن اجتَمَعتا.

فإذا قيل: (القضاء) بدون أن يَقترِن به القدَر كان شاملًا للقضاء والقدَر.

وإذا قيل: (القدَر) دون أن يَقترِن به القضاء كان شاملًا للقضاء والقدَر أيضًا، وهذا كثير في اللُّغة العربية أن تكون الكلمة لها معنًى عامٌّ عند الانفراد، ومعنًى خاصٌّ عند الاقتران.

فإذا قيل: (القضاء والقدَر) جميعًا صار القضاء: ما يَقضي به الله عَزَّوَجَلَّ من أفعاله، أو أفعال الخلْق، والقدَر: ما قدَّر الله تعالى في الأزل، وكتَبه في اللَّوح المحفوظ؛ وذلك لأنَّ المقدور سبقه تَقديرٌ في الأزل، أي: كتابةٌ بأنَّه سيقع، وقضاءٌ من الله تعالى بوقوعه فعلًا، وإن شئت فقل: الكتابة قدَر، والمشيئة قضاء، والله تعالى كتب الشَّيء في اللَّوح المحفوظ ثم يَشاؤه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في الوقت الذي يَقتضي فيه حكمته وجوده فيه، فالثَّاني قضاء، والأوَّل قدَر.

فصارت هاتان الكلِمتان إنِ انفردت إحداهما عن الأخرى شمِلت مَعنَى الأخرى، وإن اجتمعتا صار لكل واحدة منهما -أي: للكلمتين- معنًى.



س(٣٦٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن الإيمان بالقضاء والقدَر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الإيمان بالقدَر هو أحَد أركان الإيمان السِّتَّة التي بيَّنها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجبريلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حين سأله عن الإيمان[1]، والإيمان بالقدَر أمر هامٌّ جدًّا،

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، رقم (٨)، من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد تنازع النَّاس في القدَر من زمن بعيد حتى في عهد النَّبيِّ ﷺ(١)، كان النَّاس يَتنازَعون فيه ويَتمارَون فيه، وإلى يومنا هذا والنَّاس يَتنازَعون فيه، ولكن الحق فيه -ولله الحمد- واضحٌ بيِّن، لا يحتاج إلى نزاع ومراء.

فالإيمان بالقدر: أن تُؤمن بأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد قدَّر كل شيء كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الأنفال:٢]، وهذا التقدير الذي قدَّره الله عَزَّوَجَلَّ تابع لحكمته، وما تَقتضيه تِلك الحكمة من غايات حميدة وعواقبَ نافعة للعباد في مَعاشهم ومَعادهم.

ويَدور الإيمان بالقدَر على الإيمان بأربع مَراتبَ:

المرتبة الأُولى: العِلْم، وذلك أن تؤمن إيمانًا كاملًا بأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد أحاط بكل شيء علمًا، أحاط بكل شيء مما مَضى، ومما هو حاضر، ومما هو مستقبل، سواء كان ذلك مما يَتعلَّق بأفعاله عَزَّوَجَلَّ، أو بأفعال عباده، فهو محيط بها جملة وتفصيلًا بعِلْمه الذي هو موصوف به أزلًا وأبدًا.

وأَدلَّة هذه المرتبة كثيرة في القرآن والسُّنَّة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران:٥]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٣]، إلى غير ذلك من الآيات

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٨)، وابن ماجه: المقدمة، باب في القدر، رقم (٨٥)، من حديث عبد الله ابن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، وهم يختصمون في القدر.

الدَّالَّة على علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بكلِّ شيء جملةً وتفصيلًا.

وهذه المرتبة مِن الإيمان بالقدَر مَن أنكرها فهو كافر؛ لأنَّه مُكذِّب لله ولرسوله ﷺ وإجماع المسلمين، وطاعن في كمال الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّ ضد العلم إمَّا الجهل وإمَّا النِّسيان، وكلاهما عيب، وقد قال الله تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما سأله فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٥١-٥٢]. فهو ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ أي: لا يجهل شيئًا مستقبلًا ﴿وَلَا يَنسَى﴾ شيئًا ماضيًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

المرتبة الثانية: الإيمان بأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كتب مقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة، فقد أخبر ﷺ بأنَّه عَزَّوَجَلَّ حينما خلَق القلَم قال له: «**اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّي وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[1]، فكتب الله عَزَّوَجَلَّ في اللَّوح المحفوظ مقاديرَ كلِّ شيء، وقد دلَّ على هذه المرتبة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠]، قال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ﴾ أي: مكتوب في كتاب، وهو اللَّوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ثم هذه الكتابة تكون مفصلة أحيانًا، فإنَّ الجنين في بطن أمِّه إذا مضى عليه أربعة أشهر يبعث إليه ملَك فيأمُره بأربع كلمات: بكَتْب رِزقه، وأجله، وعمله، وشقيٌّ أم سعيد، كما ثبت ذلك في الصَّحيح من حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ[2]، ويكتب أيضًا

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في القدر (٤٧٠٠)، والترمذي: كتاب القدر، رقم (٢١٥٥)، وفي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ﴿نٓ﴾ (٣٣١٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٢٠٨)، ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم (٢٦٤٣).

في ليلة القدر ما يكون في تلك السَّنة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان:٣-٥].

المرتبة الثَّالثة: الإيمان بأنَّ كلَّ ما في الكون فإنَّه بمشيئة الله، فكلُّ ما في الكون فهو حادث بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ، أو فيما يفعله المخلوق قال الله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:٢٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام:١٤٩]، وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود:١١٨]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر:١٦]، إلى غير ذلك من النُّصوص الكثيرة الدَّالَّة على أن فِعْله واقع بمشيئته، وكذلك أفعال الخلق واقعة بمشيئته، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣]، وهذا نصٌّ صريح في أن أفعال العبيد قد شاءها الله عَزَّوَجَلَّ، ولو شاء الله أن لا يفعَلوا لم يَفعَلوا.

المرتبة الرَّابعة: الإيمان بأنَّ الله تعالى خالق كل شيء، فالله عَزَّوَجَلَّ هو الخالق، وما سواه مخلوق، فكلُّ شيء فالله خالقه، فالمخلوقات مخلوقة لله عَزَّوَجَلَّ وما يَصدُر منها من أفعال وأقوال مخلوقة لله عَزَّوَجَلَّ أيضًا؛ لأنَّ أفعال الإنسان وأقواله من صفاته، فإذا كان الإنسان مخلوقًا كانت صفاته أيضًا مخلوقة لله عَزَّوَجَلَّ، ويدلُّ لذلك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦] فنصَّ الله تعالى على خلق الإنسان وعلى خلْق عمله قال: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وقد اختلف النَّاس في (ما) هنا، هل هي مصدرية أو موصولة؟

وعلى كل تقدير: فإنها تدل على أن عمل الإنسان مخلوق لله عَزَّوَجَلَّ.

فهذه أربع مراتبَ لا يَتمُّ الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بها.

ثم اعلم: أنَّ الإيمان بالقدر لا يُنافي فعل الأسباب، بل إنَّ فعل الأسباب مما أَمَر به الشَّرع، وهو حاصل بالقدَر؛ لأنَّ الأسباب تَنتُج عنها مسبَّباتها؛ ولهذا لما تَوجَّه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الشام علِم في أثناء الطريق أنَّه قد وقع فيها الطَّاعون[1]، فاستشار الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هل يَستمِرُّ ويَمضي في سيره أو يَرجِع إلى المدينة؟

فاختلف النَّاس عليه، ثم استقر رأيهم على أن يرجع إلى المدينة، ولما عزم على ذلك جاءه أبو عبيدة عامر بن الجراح -وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُجِلُّه ويُقدِّره- فقال: يا أمير المؤمنين: كيف ترجع إلى المدينة؟ أفِرارًا من قدر الله؟ فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَفِرُّ من قدَر الله إلى قدَر الله. وبعد ذلك جاء عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان غائبًا في حاجة له، فحدثهم أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال عن الطَّاعون: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فِي أَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهَا**».

والحاصل: أنَّ في قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَفرُّ مِن قدَر الله إلى قدَر الله» دليلًا على أنَّ اتِّخاذ الأسباب من قدَر الله عَزَّوَجَلَّ.

ونحن نَعلَم أنَّ الرجُل لو قال: أنا مؤمن بقَدَر الله وسيرزُقُني الله ولدًا بدون

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون (٥٧٢٩)، ومسلم: كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة، رقم (٢٢١٩)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

زوجة، لو قال هذا لعُدَّ مِن المجانين، كما أنه لو قال: أنا أُؤمِن بقدَر الله، ولن أسعى في طلب الرِّزق، ولم يَتَّخِذ أيَّ سبب للرِّزق، لعُدَّ ذلك من السَّفَه، فالإيمان بالقدَر إِذَنْ لا يُنافي الأسباب الشَّرعية أو الحِسِّية الصَّحيحة، أمَّا الأسباب الوهمية الَّتي يَدَّعي أصحابها أنَّها أسباب وليست كذلك فهذه لا عبرة بها، ولا يُلتفَت إليها.

ثم اعلم أنه يَرِد على الإيمان بالقدر إشكال -وليس بإشكال في الواقع- وهو أن يَقول قائِلٌ: إذا كان فِعْلِي من قدر الله عَزَّوَجَلَّ فكيف أُعاقَب على المعصية، وهي مِن تَقدير الله عَزَّوَجَلَّ؟

والجواب على ذلك: أن يُقال: لا حجَّة لك على المعصية بقدَر الله؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لم يُجبِرْك على المعصية، وأنت حين أقدمت عليها لم يكن لديك العلم بأنَّها مُقدَّرة عليك؛ لأنَّ الإنسان لا يَعلَم بالمُقدَّر إلا بعد وقوع الشَّيء، فلماذا لم تُقدِّر قبل أن تفعل المعصية أنَّ الله قدَّر لك الطاعة فتَقوم بطاعته؟! وكما أنَّك في أمورك الدُّنيوية تسعى لما ترى أنَّ فيه خيرًا وتهرب مما ترى فيه شرًّا، فلماذا لا تعامِل نفسك هذه المعاملة في عمل الآخرة؟!

ولا أعتقد أنَّ أحدًا يَسلُك الطريق الصعب، ويقول: إنَّ هذا قد قُدِّر لي. بل سوف يسلك الطريق المأمون الميسَّر، ولا فرق بين هذا وبين أن يُقال: لك للجنَّة طريق وللنَّار طريق، فإنَّك إذا سلكت طريق النَّار فأنت كالذي سلك الطَّريق المَخوف الوعر، فلماذا تَرضى لنفسك أن تسلك طريق الجحيم وتدَع طريق النَّعيم؟

ولو كان للإنسان حجة بالقدر على فِعْل المعصية لم تَنتفِ هذه الحجَّة بإرسال الرُّسُل، وقد قال الله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ

حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء:١٦٥].

واعلَمْ أنَّ للإيمان بالقدَر ثمرات جليلة على سير الإنسان وعلى قلبه؛ لأنَّك إذا آمنت بأنَّ كلَّ شيء بقضاء الله وقدَره فإنَّك عند السَّرَّاء تَشكُر الله عَزَّوَجَلَّ ولا تُعجَب بنفسك ولا ترى أنَّ هذا الأمر حصل منك بحولك وقوَّتك، ولكنَّك تُؤمِن بأنَّ هذا سبب إذا كنت قد فعلت السَّبب الذي نِلْت به ما يَسرُّك وأنَّ الفضل بيد الله عَزَّوَجَلَّ فتزداد بذلك شُكرًا لنِعَم الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ويحملك هذا على أن تقوم بطاعة الله على حسب ما أمرك الله به، وأن لا ترى لنفسك فضلًا على ربِّك، بل ترى المِنَّة لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عليك.

قال الله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧]، كما أنَّك إذا أصابتك الضَّرَّاء فإنَّك تُؤمِن بالله عَزَّوَجَلَّ وتَستسلِم ولا تندم على ذلك، ولا تلحقك الحسرة، ألم ترَ إلى قول النَّبيِّ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**الْمُؤمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجِزَنَّ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»(١).

فالإيمان بالقدر فيه راحة النَّفس والقلب، وعدم الحزن على ما فات، وعدم الغمِّ والهمِّ لما يُستقبَل، قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ [الحديد:٢٢-٢٣]، والذي لا يؤمن

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز، رقم (٢٦٦٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

بالقدر لا شكَّ أنَّه سوف يَتضجَّر عند المصائب ويَندَم، ويَفتَح الشَّيطان له كل باب، وأنَّه سوف يَفرَح ويبطر ويَغترُّ إذا أصابته السَّرَّاء، لكن الإيمان بالقدر يمنع هذا كلَّه.

س(٣٦٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: ما الفرق بين القضاء والقدَر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: القضاء والقدَر اسمان مترادفان إن تَفرَّقا -يعني: أنَّهما إذا تَفرَّقا فهما بمعنًى واحدٍ-، وإن اجتمعا فالقضاء: ما يَقضي به الله، أيْ: يحكم به بوقوعه. والقدر: ما كَتَبه الله تعالى في الأزَل.

وليُعلم أنَّ القضاء يَنقسِم إلى قسمين: قضاء شرعيٍّ، وقضاء كونيٍّ.

فالقضاء الشَّرعيُّ: يَتعلَّق بما أَحبَّه الله ورَضِيه، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣].

والقضاء الكَونيُّ: يَتعلَّق بما قدَّره الله، سواء كان مما يَرضاه أو مما لا يَرْضاه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٤].

والإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان السِّتَّة الَّتي بيَّنها رسول الله ﷺ حين سأله جبريل عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن الإيمان، فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١).

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام، رقم (٨/ ١).

فحقيقته: أن تُؤمِن بأنَّ ما أَصابَك لم يَكُن ليُخطِئَك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبَك، فما قدَّره الله عليك فلا بدَّ أن يقَع مهما عمِلت من الأسباب، وما دفع الله عنك فلا يُمكِن أن يَقَع مهما كان من الأسباب، والدُّعاء الوارد بعد الفراغ من الصَّلاة من قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ**»(١).

س(٣٧٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن مسألة القدَر، وهل أصل الفعل مُقدَّر والكيفية يُخيَّر فيها الإنسان؟ مثال ذلك: إذا قَدَّر الله تعالى للعبد أن يَبنِيَ مَسجِدًا، فإنَّه سيَبنِي لا محالةَ، لكنَّه تَرَك لعقله الخيار في كيفية البناء، وكذلك المعصية إذا قدَّرها الله فإنَّ الإنسان سيَفعلها لا محالةَ، لكن تَرَك لعقله كيفية تنفيذها، وخلاصة هذا الرأي أنَّ الإنسان مُخيَّر في الكيفية التي يُنفِّذ بها ما قُدِّر عليه، فهل هذا صحيح؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذه المسألة -أي: مسألة القدَر- محل جدَل بين البشر من قديم الزَّمان، ولذلك انقسم النَّاس فيها إلى ثلاثة أقسام: طرفين ووسط. أمَّا الطَّرفان:

فأحدهما: نظر إلى عموم قدَر الله فعمِي عن اختيار العبد، وقال: إنَّه مجبرٌ على أفعاله، وليس له فيها أيُّ اختيار، فسقوط الإنسان من السَّقف بالرِّيح ونحوها كنزوله منه مُختارًا من الدَّرج.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، رقم (٨٤٤)، ومسلم: كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، رقم (٥٩٣).

وأمَّا الطَّرف الثَّاني: فنظر إلى أنَّ العبد فاعل تارك باختياره، فعمِي عن قدَر الله، وقال: إنَّ العبد مُستقِلٌّ بأفعاله، ولا تَعلُّق لقدَر الله تعالى فيها.

وأمَّا الوسط فأبصروا السَّببَين، فنظروا إلى عموم قدَر الله تعالى وإلى اختيار العبد، فقالوا: إنَّ فعل العبد كائن بقدَر الله تعالى وباختيار العبد، وأنَّه يعلم بالضَّرورة الفرق بين سقوط الإنسان من السَّقف بالريح ونحوها، ونزوله منه مُختارًا من الدَّرج.

فالأول: من فعله بغير اختياره.

والثَّاني: باختياره، والكلُّ منهما واقع بقضاء الله وقدره، لا يقع في ملكه ما لا يريد، لكن ما وقع باختيار العبد فهو مَناط التَّكليف، ولا حُجَّة له بالقدَر في مخالفة ما كلف به من أوامر أو نواهٍ؛ وذلك لأنَّه يَقدَم على المخالفة حين يَقدَم عليها وهو لا يَعلَم ما قدَّر الله عليه، فيكون إقدامه الاختياريُّ على المخالفة هو سبب العقوبة، سواء كانت في الدُّنيا أم في الآخرة.

ولذلك لو أجبره مجبر على المخالفة، لم يثبت عليه حُكم المخالفة ولا يعاقب عليها؛ لثبوت عذره حينئذٍ. وإذا كان الإنسان يدرك أنَّ هروبه من النَّار إلى موضع يَأمَن فيه منها يكون باختياره، وأنَّ تَقدُّمه إلى بيت جميل واسع طيب المسكن ليسكنه يكون باختياره أيضًا، مع إيمانه أنَّ هروبه وتَقدُّمه المذكورَيْن واقعان بقضاء الله وقدَره، وأنَّ بقاءَه لتُدرِكه النَّار، وتَأخُّره عن سُكنى البيت يُعدُّ تفريطًا منه وإضاعة للفرصة يَستحِقُّ اللَّوم عليه؛ فلماذا لا يُدرِك هذا بالنسبة لتفريطه بترك الأسباب المنجِّية له من نار الآخرة الموجبة لدخوله الجنَّة؟!

وأمَّا التَّمثيل بأنَّ الله إذا قدَّر للعبد أن يبني مسجدًا، فإنَّه سيبني هذا المسجد لا محالة، لكنَّه ترَك لعقله الخيار في كيفية البناء، فهذا تمثيل غير صحيح؛ لأنَّه يوحِي بأنَّ كيفية البناء يَستقِلُّ بها العقل ولا تَدخُل في قدر الله تعالى، وأنَّ أصل فكرة البناء يَستقِلُّ بها القدَر ولا مَدخَل للاختيار فيها.

والحقيقة أنَّ أصل فِكرة البناء تدخل في اختيار العبد؛ لأنَّه لم يُجبر عليها، كما لا يجبر على فكرة إعادة بناء بيته الخاصِّ أو ترميمه مثلًا، ولكن هذه الفكرة قد قدَّرها الله تعالى للعبد من حيث لا يَشعُر؛ لأنَّه لا يَعلَم بأنَّ الله قدَّر شيئًا ما حتى يَقَع ذلك الشيء؛ إذ القدَر سِرٌّ مَكتوم لا يُعلَم إلا بإِطْلاع الله تعالى عليه بالوحي أو بالوقوع الحسِّيِّ.

وكذلك كيفية البناء هي بقدَر الله تعالى، فإنَّ الله تعالى قد قدَّر الأشياء كلَّها جملة وتفصيلًا، ولا يمكن أن يختار العبد ما لم يُرِده أو يُقدِّره، بل إذا اختار العبد شيئًا وفعله علِم يقينًا أنَّ الله تعالى قد قضاه وقدَّره؛ فالعبد مختار بحسب الأسباب الحسِّيَّة الظَّاهرة التي قدَّرها الله تعالى أسبابًا لوقوع فِعْله، ولا يشعر العبد حين يفعل الفعل بأنَّ أحدًا أجبره عليه، لكنَّه إذا فعل ذلك بحسب الأسباب التي جعلها الله تعالى أسبابًا علِمنا يَقينًا بأنَّ الله تعالى قد قدَّرها جملة وتفصيلًا.

وهكذا نقول في التَّمثيل بفعل الإنسان المعصية حيث قلتم في السُّؤال: إنَّ الله قدَّر عليه فعل المعصية فهو سيفعلها لا محالةَ، ولكن ترَك لعقله كيفية تنفيذها والسَّعي إليها.

فنَقول فيه ما قلناه في بِناء المسجد: إنَّ تقدير الله تعالى عليه فِعْل المعصية لا ينافي اختياره لها؛ لأنَّه حين اختياره لها لا يعلم بما قدَّر الله تعالى عليه، فهو يقدم عليها

مُختارًا لا يَشعُر بأنَّ أحدًا يُجبِره، لكنَّه إذا أقدم وفعل علِمنا أنَّ الله قد قدَّر فعله لها، وكذلك كيفية تنفيذ المعصية والسَّعي إليها الواقعة باختيار العبد لا تنافي قدَر الله تعالى، فالله تعالى قد قدَّر الأشياء كلها جملة وتفصيلًا، وقدَّر أسبابها الموصلة إليها، ولا يَشِذُّ عن ذلك شيء من أفعاله، ولا مِن أفعال العباد الاختيارية منها والاضطرارية، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ [البقرة:٢٥٣].

وبعد؛ فإنَّ الجدير بالمرء ألَّا يَبحَث في نفسه، ولا مع غيره في مثل هذه الأمور التي تُوجِب له التَّشوش، وتُوهِم معارضة الشَّرع بالقدَر، فإنَّ ذلك ليس من دأب الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم أحرص النَّاس على معرفة الحقائق، وأقربهم من مَعين إرواء الغلة وكشف الغُمَّة.

وفي صحيح البخاريِّ عن عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**». فقلنا: يا رسول الله، أفلا نَتَّكِل؟ -وفي رواية: أفلا نَتَّكِل على كِتابنا ونَدَع العمل؟- قال: «**لَا، اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**»، وفي رواية: «**اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠][1].

فنهى النَّبيُّ ﷺ عن الاتِّكال على الكِتاب وتَرْك العمل؛ لأنَّه لا سبيل إلى العِلْم به، وأمر بما يستطيعه العبد ويُمكِنُه، وهو العمل واستدَلَّ بالآية التي تدلُّ على أنَّ من عمِل صالحًا وآمن فسيُيَسَّر لليسرى، وهذا هو الدَّواء النَّاجع المُثمِر، الذي يَجِد فيه العبد بلوغ عافيته وسعادته، وحيث يُشمِّر للعمل الصَّالح المبنيِّ على الإيمان، ويَستبشِر بذلك حين يقارنه التَّوفيق لليسرى في الدُّنيا والآخرة. أسأل الله تعالى أن يُوفِّقنا جميعًا للعمل الصَّالح، وأن يُيَسِّرنا لليسرى، ويُجنِّبنا العسرى، ويَغفِر لنا في الآخرة والأولى، إنَّه جواد كريم.



(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾، رقم (٤٩٤٥)، وأخرجه مسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم (٢٦٤٧)، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٣٧١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل الإنسان مُخيَّر أو مُسيَّر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: على السَّائل أن يَسأَل نفسه: هل أَجبَره أحد على أن يَسأَل هذا السُّؤال؟ وهل هو يَختار نوع السَّيارة التي يَقتَنِيها؟ إلى أمثال ذلك من الأسئِلة، وسيَتبيَّن له الجواب هل هو مُسيَّر أو مُخيَّر؟

ثم يَسأَل نفسه هل يُصيبه الحادث باختياره؟ هل يُصيبه المرض باختياره؟ هل يموت باختياره؟ إلى أمثال ذلك من الأسئِلة، وسيَتبيَّن له الجواب هل هو مُسيَّر أو مُخيَّر؟

والجواب: أنَّ الأمور التي يَفعلها الإنسان العاقل يَفعلها باختياره بلا ريبٍ، واسمع إلى قول الله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ [النبأ:٣٩]، وإلى قوله: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢]، وإلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء:١٩]، وإلى قوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة:١٩٦] حيث خَيَّر الفادي فيما يَفدي به.

ولكن العبد إذا أراد شيئًا وفعله علمنا أنَّ الله تعالى قد أراده؛ لقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩]؛ فلِكَمال رُبوبيته لا يَقَع شيء في السَّموات والأرض إلا بمَشيئته تعالى.

ومن الأمور التي تَقَع على العبد أو منه بغير اختياره -كالمرض والموت والحوادث- فهي بمَحْض القدَر، وليس للعبد اختيار فيها ولا إرادة. والله المُوفِّق.



س(٣٧٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما القول الفصل في مسألة: الإنسان هل هو مُسيَّر وليس مُخيَّرًا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: القول الفصل في هذه المسألة أنَّ الإنسان مُخيَّر، وأنَّ له اختيارًا كما يريد، كما قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود:١٥]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير:٢٨]، وهذا أمر معلوم بالضَّرورة، فأنت الآن عندما قدَّمت لنا هذا الكتاب، هل قدَّمته على وجه الإكراه، وأنَّك تَشعُر بأنَّ أحدًا أكرَهك على تقديمه؟ أو أنَّك قدَّمته على سبيل الاختيار فأخذت الورَقة، وكتبت وأرسلت الخطاب، أو أرسَلت الكِتاب؟

فلا شكَّ في أنَّ هذا هو الواقِع، ولكنَّنا نَقول: كل ما نَقوم به من الأفعال فإنَّه مَكتوب عند الله عَزَّوَجَلَّ معلوم عنده.

أمَّا بالنِّسبة لنا فإنَّنا لا نَعلَم ما كتب عند الله إلا بعد أن يَقَع، ولكنَّنا مَأمورون بأن نَسعَى إلى فعل الخير، وأن نَهرب عن فعل الشَّرِّ، وليس في هذا إشكال أبدًا.

فمثلًا: نجد الطَّلبة يَتَّجِهون إلى الكلية مثلًا أو إلى الجامعة، فمنهم من يختار كلية الشَّريعة، ومنهم من يختار كلية أصول الدِّين، ومنهم من يختار كلية السُّنَّة، ومنهم مَن يختار كلية اللُّغة، ومنهم من يختار كلية الطِّبِّ.

فنجد أنَّ كلًّا منهم يختار شيئًا، ولا يرى أنَّ أحدًا يكرهه على هذا الاختيار، ولو كان الإنسان مجبرًا على عمله لفاتت الحِكمة من الشرائع، ولكان تعذيب الإنسان على معصيته ظلمًا، والله عَزَّوَجَلَّ مُنزَّهٌ عن الظُّلم بلا شكٍّ، فالإنسان يفعل

باختياره بلا شكٍّ، لكن إذا فعل فإنه يجب عليه أن يؤمن بأنَّ هذا الشيء مُقدَّر عليه من قبل، لكنَّه لم يعلم بأنَّه مقدر إلا بعد وقوعه.

ولهذا لما قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**» قالوا: يا رسول الله، أفلا نَدَعُ العمل ونتَّكل على الكتاب؟ قال: «**اعْمَلُوا**»، فأثبتَ لهم عملًا مرادًا «**فَكُلٌّ مُيسَّرٌ لِـمَا خُلِقَ لَهُ؛ أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠][(١)].

فالصَّواب: أنَّ الإنسان مُخيَّر.

ومعنى مُخيَّر: أنَّ له الاختيارَ فيما يَفعَل ويَذَر، لكن هذا الذي اختاره أمر مكتوب عند الله، وهو لا يعلم ما كتبه الله عليه إلا بعد أن يقع، فيعرف أنَّ هذا مكتوب، وإذا ترك الشَّيء عُلِم أنَّه ليس بمكتوب.

س(٣٧٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن حكم الرِّضا بالقدَر، وهل الدُّعاء يَرُدُّ القضاء؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أمَّا الرِّضا بالقدَر فهو واجب؛ لأنَّه مِن تمام الرِّضا بربوبية الله،

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾، رقم (٤٩٤٥)، وأخرجه مسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم (٢٦٤٧)، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فيجب على كُلِّ مُؤمن أن يَرضى بقضاء الله، ولكن المَقضِي هو الذي فيه التفصيل، فالمقضي غير القضاء؛ لأنَّ القضاء: فِعْل الله، والمقضيَّ: مفعول الله.

فالقضاء الذي هو فِعْل الله يَجِب أن نَرضَى به، ولا يَجوز أبدًا أن نَسخَطه بأيِّ حال من الأحوال.

وأمَّا المقضيُّ فعلى أقسام:

القسم الأول: ما يَجِب الرِّضا به.

القسم الثاني: ما يَحرُم الرِّضا به.

القسم الثَّالث: ما يُستَحَبُّ الرِّضا به.

فمثلًا: المعاصي من مقضيات الله، ويَحرُم الرِّضا بالمعاصي، وإن كانت واقعة بقضاء الله، فمن نَظَر إلى المعاصي من حيث القضاء الذي هو فِعْل الله يجب أن يرضى وأن يقول: إنَّ الله تعالى حكيم، ولولا أنَّ حكمته اقتضت هذا ما وقع. وأمَّا من حيث المقضيِّ، وهو معصية الله، فيجب ألا تَرضى به، والواجب أن تَسعى لإزالة هذه المعصية منك أو من غيرك.

وقسم من المقضي: يَجِب الرِّضا به مثل الواجب شرعًا؛ لأنَّ الله حكَم به كونًا وحكَم به شرعًا، فيَجِب الرِّضا به من حيث القضاء ومن حيث المقضي.

وقسم ثالث: يُستَحَبُّ الرِّضا به ويَجِب الصبر عليه، وهو ما يَقَع من المصائب، فما يَقَع من المصائب يُستَحَبُّ الرِّضا به عند أكثر أهل العلم ولا يَجِب، لكن يَجِب الصبر عليه.

والفرق بين الصَّبر والرِّضا:

أنَّ الصَّبر يكون الإنسان فيه كارهًا للواقع، لكنَّه لا يأتي بما يُخالِف الشَّرع ويُنافي الصَّبر.

والرِّضا: لا يكون كارهًا للواقع، فيكون ما وقع وما لم يَقَع عنده سواء.

فهذا هو الفرق بين الرِّضا والصَّبر؛ ولهذا قال الجمهور: إنَّ الصَّبر واجِب، والرِّضا مُستَحَبٌّ.

أمَّا قول السَّائل: هل الدُّعاء يَرُدُّ القضاء؟

فجوابه: أنَّ الدُّعاء من الأسباب التي يحصل بها المدعو، وهو في الواقع يَرُد القضاء ولا يَرُد القضاء، يعني: له جهتان:

فمثلًا: هذا المريض قد يَدعو الله تعالى بالشِّفاء فيُشفى، فهنا لولا هذا الدُّعاء لبقِي مريضًا، لكن بالدُّعاء شُفِي، إلا أنَّنا نَقول: إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد قضى بأنَّ هذا المرض يُشفَى منه المريض بواسطة الدُّعاء، فهذا هو المكتوب، فصار الدُّعاء يَرُد القدَر ظاهريًّا، حيث إنَّ الإنسان يَظُنُّ أنَّه لولا الدُّعاء لبقِي المرض، ولكنَّه في الحقيقة لا يَرُد القضاء؛ لأنَّ الأصل أنَّ الدُّعاء مكتوب وأنَّ الشِّفاء سيكون بهذا الدُّعاء، هذا هو القدَر الأصلي الذي كُتِب في الأزَل، وهكذا كلُّ شيء مقرون بسبب فإنَّ هذا السَّبب جعَله الله تعالى سببًا يَحصُل به الشيء، وقد كتب ذلك في الأزَلِ من قبل أن يَحدُث.



س(٣٧٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: لا شكَّ أنَّ الله قدَّر الآجال كما دلَّ على ذلك الكِتاب والسُّنَّة، لكن ما مَعنى قول الرَّسول ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[1]؟ وكيف يُمكِن الجمع بينهما؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: الآجال بلا شكٍّ مُقدَّرة كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس:٤٩]، ولكل نَفْس أجلٌ كما قال سبحانه: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون:١١]، وكذلك الأموال والأولاد والأحوال من نَصْر وذُلٍّ، ورخاء وضِيق، وإيمان وكفر، وطاعة ومعصية، وسفَر وإقامة، وغير ذلك، كل ذلك مُقدَّر على حسَب ما سبَق في عِلْم الله وما تَقتَضيه حِكمته، فلا يَختَصُّ التَّقدير بالآجال.

وهذه الأمور المُقدَّرة قد رَبَطها الله بأسبابها وموجباتها وجودًا أو عَدَمًا، وهدانا إلى هذه الأسباب بما ركَّبه في عقولنا فيما يُمكِن إدراكه عقلًا، وبما أوحاه إلى أنبيائه عليهم الصَّلاة والسَّلام فيما لا يُمكِن إدراكه إلا بطريق الوحي.

ثم أمرنا بسلوك الأسباب النافعة منها، وحذَّرنا من سلوك الأسباب الضَّارة؛ لأنَّ الأخذ بالسَّبب التَّامِّ يَستلزِم النَّتيجة الحتمية وهي وجود المسبَّب.

فالرِّزق مثلًا قد قدَّره الله، ومع ذلك فقد أمَرَنا بفعل السَّبب، والأولاد قد قدَّرهم الله، وأمر بالسَّبب الذي نَحصُل به عليهم، ودخول الإنسان الجنَّة أو النَّار قد قدَّره الله، وبيَّن لنا أسباب كل منها، ورغَّبنا بفعل أسباب الجنَّة، وحذَّرنا من أسباب دخول النَّار، وهكذا طول العمر وقصره جعل الله له أسبابًا كونية وأسبابًا

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، رقم (٢٠٦٧)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم، رقم (٢٥٥٧)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

شرعية، فالصِّحة ووقاية الجسم مما يَضرُّه، وتَغذيته بما يَنفَعه من أسباب طول العمر الكونية، وصلة الرَّحِم والدُّعاء من أسباب طول العمر الشَّرعية، وقد أمر الشَّارع بالسَّببَين جميعًا فقال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف:٣١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء:٢٩]، أي: لا تَفعَلوا ما كان سببًا لقَتْلكم وموتكم، وهذا هو السَّبَب الكونيُّ الحسِّيُّ.

وأمر بصِلة الرحِم وهو سبب شرعي لطول العمر، إذا عرف ذلك فقول النَّبيِّ ﷺ: «**مِنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[1]، بيان منه ﷺ بأنَّ صلة الرَّحم سبب لبسط الرِّزق، وتأخير العمر، والزِّيادة فيه، وهذا يَتضمَّن الحثَّ والتَّرغيب في ذلك، فإذا وُفِّق الإنسان لفعله فقد سلك الطَّريق إلى ذلك وفعل السَّبب، وبه نَعلَم أنَّ الله تعالى أراد له زيادة العمر والبسط في الرِّزق، وإذا خُذِل ولم يُوفَّق لذلك علِمنا بأنَّ الله تعالى لم يُرِد له زيادة عمر بهذا السَّبب، وهو صلة رَحِمه التي أمره بصلتها.

والواقع أنَّ الإشكال الذي ذَكَرت لا يَختَصُّ بمسألة الأجل، بل جميع الأشياء المُقدَّرة المربوطة بأسبابها ترِد على الإنسان فيقول: إنَّ هذا الشيء مقدَّر معلوم عند الله، فكيف يكون السَّعي سببًا في تغييره؟

والجواب عليه ما سبق بأن نقول: لا يُمكِن أن يُقدَّر للإنسان شيئان:

أحدهما: حاصل إن فعل سببَه.

والثاني: غير حاصل إن لم يفعل سببه.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، رقم (٢٠٦٧)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم، رقم (٢٥٥٧)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بل نقول: إنَّ المقدَّر شيء واحد هو الحصول إن كان المقدَّر حصوله، وحينئذٍ يُوفَّق العبد لِفعل السَّبب، أو عدم الحصول إن كان المقدَّر عدم حصوله، وحينئذٍ لا يُوفَّق العبد لفعل السَّبب، وبمعنى هذا أجاب النَّبيُّ ﷺ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حين قالوا: يا رسول الله، ألا نَتَّكل على كتابنا ونَدَع العمل؟ قال: «**لَا، اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-٧].

وبعد فإنَّ مُشكِلة القدَر لم تَزَل قديمة، ولكنَّ السَّلامة والاستِقامة أن يعمل الإنسان بالأسباب الشَّرعية والكونية التي هُدِي إليها، ويُؤمِن بما أخبر الله به مِن عموم عمله، وتقديره، وخلْقه ويَدَع ما وراء ذلك.

وقد أجاب بعض العلماء عن الحديث المذكور بأنَّ المراد به: أنَّ الله يُبارِك للإنسان في عمره لا أنَّ المراد به تأخير أجله، وهذا فاسِد مِن وجهين:

أحدهما: أنَّ سياق الحديث ولفظه يَأباه.

الثاني: أنَّ الإشكال لا يَزول به؛ لأنَّ مَعناه أنَّ الله قدَّر للإنسان في عمره حالين: حال بركة، وحال عدم بركة، وهو نظير تَقدير الأجَلَين، ولا فرق.

وأجاب بعضهم: بأنَّ المكتوب في اللَّوح المحفوظ لا يَتغيَّر، بل هو مكتوب على حسب ما يَستقِرُّ عليه الأمر في عِلْم الله، وأمَّا الصُّحُف التي في أيدي الملائكة فهي التي تَتغيَّر بالمَحوِ والإثبات والزِّيادة والنُّقصان، وهذا الجواب فيه نظَر فتَأمَّلْهُ.



س(٣٧٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل للدُّعاء تأثير في تغيير ما كتِب للإنسان قبل خَلْقه؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا شكَّ أنَّ للدُّعاء تَأثيرًا في تغيير ما كتِب، لكن هذا التغيير قد كُتِبَ أيضًا بسبب الدُّعاء، فلا تَظُنَّ أَنَّك إذا دعوت اللهَ فإنَّك تَدعو بشيء غير مكتوب، بل الدُّعاء مكتوب، وما يَحصُل به مكتوب؛ ولهذا نَجِد القارئ يَقرَأ على المريض فيُشفى، وقصة السَّريَّة التي بعثها النَّبيُّ ﷺ، فنزلوا ضيوفًا على قوم ولكنَّهم لم يُضيِّفوهم، وقُدِّر أن لَدَغت حيَّة سيِّدَهم فطلبوا مَنْ يَقرَأ عليه، فاشترط الصَّحابة أُجرةً على ذلك، فأَعطَوهم قطيعًا من الغنم، فذهب أحدهم فقرأ عليه الفاتحة، فقام اللَّديغ كأنَّما نُشِط مِن عِقال[1]، أي: كأنَّه بعير فُكَّ عِقاله، فقد أَثَّرت القراءة في شِفاء المريض.

فللدُّعاء تَأثير، لكنَّه ليس تغييرًا للقَدَر، بل هو مَكتوب بسبَبِه المَكتوب، وكلُّ شيء عند الله بقَدَر، وكذلك جميع الأسباب لها تأثير في مسبَّباتها بإذن الله، فالأسباب مَكتوبة والمسبَّبات مَكتوبة.

س(٣٧٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هناك مُشكِلة تَرِد على بعض النَّاس، وهي «كيف يُعاقِب الله على المعاصي وقد قدَّرها على الإنسان»؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذه في الحقيقة ليست مُشكلةً، وهي إقدام الإنسان على العمل السَّيِّئ ثم يعاقب عليه، هذه ليست مشكلة؛ لأنَّ إقدام الإنسان على العمل السَّيِّئ،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإجارة، باب ما يعطى في الرقية، رقم (٢٢٧٦)، ومسلم: كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية، رقم (٢٢٠١)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

إقدام باختياره، فلم يكن أحد شهَرَ سيفه أمام وجهه وقال: اعمل هذا المنكر. بل هو عمله باختياره، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣]، فالشَّاكر والكفور كلُّهم قد هداه الله السَّبيل وبيَّنه له ووضَّحه له، ولكن منَ النَّاس مَن يَختار هذا الطَّريق ومِن النَّاس مَن لا يَختاره، وتوضيح ذلك: أولًا: بالإلزام، وثانيًا: بالبيان.

أمَّا الإلزام: فإنَّنا نقول للشَّخص: أعمالك الدنيويَّة وأعمالك الأخرويَّة كلاهما سواءٌ، ويَلزَمكَ أن تَجعَلهما سواءً، ومن المعلوم أنَّه لو عرض عليك من أعمال الدُّنيا مَشروعان:

أحدهما: تَرَى لنفسك الخير فيه.

والثاني: تَرَى لنفسك الشَّرَّ فيه.

من المعلوم أنَّك تختار المشروع الأول الذي هو مشروع الخير، ولا يُمكِن أبدًا بأيِّ حال مِن الأحوال أن تختار المشروع الثَّاني، وهو مشروع الشَّرِّ، ثم تقول: إنَّ القدَر ألزمني به، إِذَنْ يَلزَمك في طريق الآخرة ما التَزَمته في طريق الدُّنيا.

ونقول: جعَل الله أمامك من أعمال الآخرة مشروعين:

مَشروعًا للشَّرِّ، وهي: الأعمال المخالفة للشَّرع.

ومشروعًا للخير، وهي: الأعمال المطابقة للشَّرع، فإذا كنت في أعمال الدُّنيا تختار المشروع الخيري، فلماذا لا تَختار المشروع الخيريَّ في أعمال الآخرة؟! إنَّه يَلزَمك في عمل الآخرة أن تختار المشروع الخيريَّ كما أنت التزمت في عمل الدُّنيا أن تَسلُك المشروع الخيريَّ، هذا طريق الإلزام.

أمَّا طريق البيان: فإنَّنا كلُّنا يجهَل ماذا قدَّر الله له، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان:٣٤]، فالإنسان حينما يَقدم على العمل يَقدم عليه باختيار منه، ليس عن علم بأنَّ الله قدَّره عليه وأَرغَمه عليه؛ ولهذا قال بعض العلماء: «إن القَدَر سِرٌّ مكتوم».

ونحن إِذَنْ حينما نُقدِم على العمل لا نُقدِم عليه على أساس أَنَّه كتِب لنا أو علينا، وإنَّما نُقدِم عليه باختيار، وحينما يَقَع نعلم أنَّ الله قدَّره علينا؛ ولذلك لا يَقَع احتجاج الإنسان بالقَدَر إلا بعد وقوع العمل، ولكنَّه لا حُجَّة له بذلك.

ويُذكَر عن أمير المؤمنين عمرَ قِصَّة -قد تَصِحُّ عنه وقد لا تَصِحُّ- رفِع إليه سارِق تَمَّت شروط القطع في سرقته، فلما أَمَر أمير المؤمنين بقطع يده قال: مهلًا يا أمير المؤمنين، والله ما سَرَقت ذلك إلا بقدَر الله. قال له: ونَحن لا نَقطَع يدَك إلا بقدَر الله. فاحتجَّ عليه أمير المؤمنين بما احتجَّ به هو على سرقته من أموال المسلمين، مع أنَّ عمر يُمكِنُهُ أن يَحتجَّ عليه بالقدَر والشَّرع؛ لأَنَّه مأمور بقطْع يده، أمَّا ذاك فلا يُمكِن أن يحتجَّ إلا بالقدَر إن صحَّ أن يحتجَّ به.

وعلى هذا فإنَّه لا يُمكِن لأيِّ أحدٍ أن يَحتَجَّ بالقدَر على مَعصية الله، وأنَّه في الواقع لا حُجَّة فيه، يَقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، فالله يقول: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ مع أنَّ ما يَعمَله النَّاس بعد الرُّسُل هو بقدَر الله، ولو كان القدَر حُجَّة ما زالت بإرسال الرُّسُل أبدًا. بهذا يَتبَيَّن لنا أثرًا ونظرًا أنَّه لا حُجَّة للعاصي بقضاء الله وقدَره؛ لأَنَّه لم يجبر على ذلك. والله الموفِّق.



س (٣٧٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: هلِ الرِّزْق والزَّواج مَكتوب في اللَّوح المحفوظ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: كلُّ شيء منذ خلَق الله القلَم إلى يوم القيامة فإنَّه مكتوب في اللوح المحفوظ؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أوَّل ما خَلَقَ القلمَ قال له: «**اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّي، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١)، وثبت عن النَّبيِّ ﷺ أنَّ الجَنِين في بطن أُمِّه إذا مضى عليه أربعة أَشهُر، بعث الله إليه ملَكًا يَنفُخ فيه الروح ويَكتُب رِزْقه، وأَجَله، وعَمَله، وشَقيٌّ أم سعيدٌ(٢)، والرِّزق أيضًا مَكتوب مُقدَّر بأسبابه لا يَزيد ولا يَنقُص.

فمِن الأسباب: أن يَعمَل الإنسان لطلب الرِّزق، كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:١٥].

ومن الأسباب: أيضًا صلة الرَّحم من برِّ الوالدين، وصلة القرابات، فإنَّ النَّبيَّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(٣).

ومن الأسباب تَقوَى الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣]، ولا تَقُل: إنَّ الرِّزق مكتوب ومُحدَّد،

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في القدر (٤٧٠٠)، والترمذي: كتاب القدر، رقم (٢١٥٥)، وفي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ﴿نٓ﴾ (٣٣١٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٢٠٨)، ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم (٢٦٤٣).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، رقم (٢٠٦٧)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم، رقم (٢٥٥٧)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولن أفعل الأسباب التي تُوصل إليه؛ فإنَّ هذا من العَجْز، والكياسة والحزم أن تَسعَى لرِزقك ولِمَا يَنفَعك في دِينك ودُنياك، قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَواهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأَمَانِيَّ**»(١).

وكما أنَّ الرِّزق مَكتوب مُقدَّر بأسبابه فكذلك الزَّواج مكتوب مُقدَّر، وقد كُتِبَ لكلٍّ من الزَّوجين أن يَكون زوجَ الآخر بعينه، والله تعالى لا يَخفى عليه شيء في الأرض ولا في السَّماء.

س(٣٧٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى: هل يُؤاخَذ الإنسان ويُعاقَب على الأخطاء والمعاصي، وقد قدَّرها الله عَزَّوَجَلَّ عليه في اللَّوح المحفوظ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نَعَم، المعاصي يُعاقَب عليها الإنسان، إلا إذا كانت دون الشِّرْك فإنَّها داخلة تحت مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ، وهذه المعاصي لا شكَّ أنَّها واقعة بعِلْم الله، ومشيئة الله، وأنَّها مكتوبة على العبد في اللَّوح المحفوظ، ومكتوبة على العبد وهو في بطن أُمِّه، ولكن هذه الكتابة ليست معلومة حتى يكون الإنسان بَنَى عمله عليها، فلو كان يَعلَمها فبَنَى عمله عليها لقلنا: إنَّ له حجةً، لكنَّه لم يَعلَمها، فمن يَعلَم أنَّ الله تعالى قدَّر له أن يَعصيَ الله، وهو لم يَعصِه حتى الآن ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان:٣٤].

ولهذا يَكون إقدام العاصي على المعصية إقدامًا بلا عِلْم أنَّ الله قدَّرها عليه

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٤)، والترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٤٥٩)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الموت، رقم (٤٢٦٠)، من حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حتى تَقَع منه، والحُجَّة لا تكون حُجَّة حتى تكون سابقة على العمَل الذي احتجَّ بها عليه؛ ولهذا قال بعض العلماء: «إنَّ القدَر سِرٌّ مَكتوم لا يُعلَم حتى يَقَع»، وهذا صحيح، فمَن يَعلَم أنَّ الله قدَّر أن يَنزِل المطر غدًا حتى يَنزِل غدًا فنعلم أنَّ الله قدَّره؟

ومن يَعلَم أنَّ فلانًا يعصي الله غدًا، حتى يَعصيَ الله هذا الرَّجل، فنعلم أنَّ الله قدَّره؟

ولهذا لا حُجَّة للإنسان العاصي بقدَر الله على شرع الله، فالشَّرع لا يُحتجُّ عليه بالقدَر أبدًا؛ ولهذا قال الله تعالى مُبطلًا هذه الدعوى -أي: دَعوى القَدَر-: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام:١٤٨]، ولو كانت الحُجَّة صحيحة لم يَستحِقُّوا أن يَذوقوا بأسَ الله، وقال الله تعالى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء:١٦٥].

ولو كان القدَر حُجَّة لم يَرْفعها إرسال الرُّسُل، ولما أخبر النَّبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**أَنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَكُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ أَوْ مِنَ النَّارِ**» قالوا: يا رسول الله، أفلا نَدَع العمل ونتَّكل؟ قال: «**اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»[1]،

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾، رقم (٤٩٤٥)، وأخرجه مسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم (٢٦٤٧)، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم قرأ ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠].

فنَحن نَقول للإنسان: القدَر عِلْمه عند الله عَزَّوَجَلَّ، وهو سِرٌّ مَكتوم، وأنت مأمور بأن تَعمَل العمل الصَّالح وأن تَتجنَّب العمل السَّيِّئ، فقُمْ بما أُمِرت به؛ اعمَل عملًا صالحًا، واجتَنِبِ العمل السَّيِّئ، وهذا هو المطلوب مِنك، ولا يُكلِّف الله نفسًا إلا وسعها.

س(٣٧٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل طريقة موت الإنسان مكتوبة عند الله عَزَّوَجَلَّ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نَعَم، يَكتُب الله ذلك كلَّه، وما مِن شيء في السَّموات ولا في الأرض إلا وهو مكتوب عند الله، قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]، وكلُّ شيء فإنَّه مَكتوب عند الله عَزَّوَجَلَّ حتى الشوكةُ تُصيب الإنسان هي مَكتوبة عند الله.

س(٣٨٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن رَجُل دخَل مع عدد مِن الفِرَق، ثم وَفَّقه الله واستقام على الحق والهُدَى، فهل الزَّمن الذي قضاه مع هذه الفِرَق يُحاسَب عليه، أم يَعفو عنه الله تعالى بالتَّوبة؟ وهل سَيره السَّابق مع هذه الفِرَق مَكتوب عليه؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: قبل الإجابة على هذا السُّؤال: أُحبُّ أن أُهنِّئَ الأخ الذي منَّ الله عليه بالاستِقامة ولزوم الصِّراط المستقيم بعد أن كان مُنحرِفًا في متاهات البِدَع والضَّلال، فإنَّ هذا مِن نِعَم الله، بل هو أكبر نِعْمة يُنعِم الله بها على العبد أن يَتوب الله عليه، فيَتوب إلى ربه ويُقلِع عن غَيِّه إلى رُشده، يقول الله عَزَّوَجَلَّ مُمتنًّا على المؤمنين بمِثل ذلك: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

ويقول تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧]، فالهِداية للإيمان مِن أكبر النِّعَم، بل هي أكبر نِعمة أنعم الله بها على العبد، فأَسأَل الله أن يُثبِّتني وإخواني المسلمين على دِينه المستقيم إنَّه جوَاد كريم.

أما بالنسبة للجواب على سؤاله، فإِنِّي أقول له: إذا تاب الإنسان من أيِّ ذَنْب كان، فإنَّ الله يَتوب عليه ويَمحو عنه سَيِّئاته؛ لأنَّ الإسلام يَهدِم ما قبله، والتَّوبة تَجُبُّ ما قبلها.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، وقال تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠].

والنُّصوص في هذا كثيرة من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، كلُّها تدلُّ على أنَّ الله إذا منَّ على العبد بالتوبة النصوح، فإن الله يتوب عليه، ويُبدِّل سَيِّئاتِه حسناتٍ إذا تاب، وآمَن، وعمِل عملًا صالِحًا، فكل ما جرى عليك مِنِ اعتِناق الطُّرُق والمذاهب الهدَّامة والزيغ والضلال، فإنه يُمحَى برجوعك إلى الحقِّ.

وأما الفقرة الثانية من السؤال وهي: أن هذا الذي عمله، هل كان مكتوبًا عليه في الأزل وبعِلْم من الله عَزَّوَجَلَّ؟

فنقول: نعم، هو مكتوب عليه في الأزل، مكتوب عليه العمل السيِّئ السابق، ومكتوب له التوبة الأخيرة التي منَّ الله بها عليه، وكل ذلك بعِلْم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠]، ويقول جَلَّ ذِكْره: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

فعِلْم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ محيط بكل شيء جملة وتفصيلًا، وهذا أمر مُتَّفق عليه بين علماء المسلمين، والحمد لله، وهو أَحَد مراتب الإيمان بالقضاء والقدَر، فإن الإيمان بالقضاء والقدَر مراتبُ أربعٌ:

الأُولى: الإيمان بعِلْم الله المحيط بكل شيء جملة وتفصيلًا.

والمرتبة الثانية: أن تؤمن بأن الله كتَب في اللوح المحفوظ مَقاديرَ كل شيء إلى أن تَقوم الساعة.

أما المرتبة الثَّالثة فهي: الإيمان بعُموم مشيئة الله.

أما المرتبة الرابعة فهي: الإيمان بعُموم خلق الله(١).

وهذه المراتب الأربع يُؤمِن بها أهل السُّنَّة والجماعة جميعها، فعلينا أن نُؤمِن بها ونُصدِّق، لكن مع ذلك نَعلَم عِلْم اليقين أن للإنسان إرادة وقُدرة فهو يريد الشيء فِعلًا وتَركًا، أي: يريد أن يفعل فيفعل إذا كان له قدْرة، ويريد أن يترك فيترك، ولكن خالق القدْرة وخالق الإرادة هو الله عَزَّوَجَلَّ.

ففِعْل العبد يُنسَب إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خَلْقًا وإرادة، ويُنسَب إلى العبد فِعلًا وكَسْبًا، مع أنه داخل تحت إرادة العبد وقدرته، فلولا أن الله تعالى أَقدَرَ العبد على الفعل ما فَعَل لعَجزه عنه، ولولا أن الله خلَق فيه الإرادة ما فعَل لعدَم وجود الإرادة.

س(٣٨١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل الكفار مكتوب عمَلهم في الأزل؟ وإذا كان كذلك فكيف يُعذِّبهم الله تعالى؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نَعَم، الكُفَّار مَكتوب عمَلهم في الأزل، ويُكتَب عمل الإنسان أيضًا عند تكوينه في بَطْن أُمِّه، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن عبدالله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: حدَّثنا رسول الله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وهو الصادِق المصدوق: **«إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يومًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ المَلَكُ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ،**

---

(١) سبق تفصيل هذه المراتب في الفتوى رقم (٣٦٨).

وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ»(١).

فأعمال الكفار مَكتوبة عند الله عَزَّوَجَلَّ معلومة عنده، والشقيُّ شقيٌّ عند الله عَزَّوَجَلَّ في الأزل، والسَّعيد سعيد عند الله في الأزل.

ولكن قد يَقول قائل كما قال السَّائل: كيف يُعذَّبون وقد كتَب الله عليهم ذلك في الأزل؟

فنقول: إنَّهم يُعذَّبون؛ لأنَّهم قد قامت عليهم الحُجَّة وبُيِّن الهُدَى مِن الضلال ورُغِّبوا في سلوك طريق الهدى وحُذِّروا من سلوك طريق الضَّلال، ولهم عقول ولهم إرادات، ولهم اختيارات؛ ولهذا نجد هؤلاء الكفار وغيرهم أيضًا يَسعَون إلى مصالح الدُّنيا بإرادة واختيار، ولا نَجِد أحدًا منهم يَسعَى إلى شيء يَضرُّه في دُنياه أو يَتهاون ويَتكاسَل في أمر نافع له، ثم يَقول: إنَّ هذا مكتوب عليَّ أبدًا. فكلٌّ يسعى إلى ما فيه المنفعة، فكان عليهم أن يَسعَوا إلى ما فيه منفعة أمور دينهم كما يَسعَون إلى ما فيه المنفعة في أمور دُنياهم، ولا فَرْق بينهما، بل إنَّ بيان الخير والشَّرِّ في أمور الدِّين في الكتُب المُنزَّلة على الرُّسُل عليهم الصَّلاة والسَّلام أكثر وأعظم من بيان الأمور الدُّنيوية، فكان عليهم أن يَسلُكوا الطرُق التي فيها نَجاتهم والتي فيها سَعادتهم، دون أن يَسلُكوا الطرق التي فيها هَلاكهم وشَقاؤهم.

ثم نقول: هذا الكافر حين أَقدَم على الكُفْر لا يَشعُر أبدًا أنَّ أحدًا أَكرَهه، بل هو يَشعُر أنَّه فعَل ذلك بإرادته واختياره، فهل كان حين إقدامه على الكفر عالمًا بما كتَب الله له؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٢٠٨)، ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم (٢٦٤٣).

والجواب: لا؛ لأنَّنا نحن لا نَعلَم أنَّ الشيء مُقدَّر علينا إلا بعد أن يَقَع، أمَّا قبل أن يَقَع فإنَّنا لا نَعلَم ماذا كُتِب؛ لأنَّه من عِلْم الغيب.

ثم نقول له: الآن أنت قبل أن تَقَع في الكفر أمامك شيئان: هداية، وضلال. فلماذا لا تَسلُك طريق الضَّلال، ثم بعد أن تَسلُكه تَحتَجُّ بأنَّ الله كتَبه؟! لأنَّنا نَقول لك: قبل أن تَدخُل هذا الطَّريق هل عندك عِلْم أنَّه مَكتوب عليك؟

فسيَقول: لا، ولا يُمكِن أن يقول: نَعَم.

فإذا قال: لا، قلنا: إذن لماذا لم تَسلُك طريق الهداية، وتُقدِّر أنَّ الله تعالى كتب لك ذلك؛ ولهذا يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥]، ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠]، ولما أخبر النَّبيُّ ﷺ أصحابه: بأنه ما من أحد إلا وقد كتب مَقعَده من الجنة ومقعده من النَّار، قالوا: يا رسول الله، ألا نَدَع العمل ونتَّكل على الكتاب؟ قال: «**لَا، اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾(١).

فهذا جوابنا على هذا السُّؤال الذي أورده هذا السَّائل، وما أكثرَ من يَحتَجُّ به من أهل الضَّلال، وهو عجب منهم؛ لأنَّهم لا يَحتجُّون بمثل هذه الحجَّة على مسائِل الدُّنيا أبدًا، بل تَجِدهم يَسلُكون في مسائل الدُّنيا ما هو أنفعُ لهم، ولا يُمكِن

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾، رقم (٤٩٤٥)، وأخرجه مسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم (٢٦٤٧)، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

لأحد أن يُقال له: هذا الطَّريق الذي أمامك طريق وَعِرٌ صعب، فيه لصوص، وفيه سِباع، وهذا الطَّـريق الثَّاني طريق سهل مُيسَّر آمِن. لا يمكـن لأحد أن يَسلُك الطَّـريق الأول، ويَدَع الطَّـريق الثَّاني مع أنَّ هذا نظير الطَّـريقين: طريق النَّار، وطريق الجنَّة.

فالرُّسُل بَيَّنت طريق الجنَّة وقالت: هو هذا، وبَيَّنت طريق النَّار، وقالت: هو هذا، وحذَّرت مِن الثَّاني ورغَّبت في الأوَّل، ومع ذلك فإنَّ هؤلاء العصاةَ يَحتجُّون بقضاء الله وقدَره -وهم لا يَعلَمونه- على معاصيهم ومَعايِبهم التي فعلوها باختيارهم، وليس لهم في ذلك حُجَّة عند الله تعالى.



س(٣٨٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن قول النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْملُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»[1] أو كما قال ﷺ، وهل يُعارِض هذا الحديث قول الله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف:٣٠]؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا الحديث حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُخبِر فيه النَّبيُّ ﷺ أنَّ الرَّجل يعمل بعمل أهل الجنَّة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذِراع؛

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم (٣٣٣٢)، ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم (٢٦٤٣).

لقُرب أجله وموته، ثم يَسبَق عليه الكتاب الأول الذي كُتِب أنَّه من أهل النَّار، فيعمل بعمل أهل النَّار -والعياذ بالله- فيَدخُلها، وهذا فيما يبدو للناس ويظهر كما جاء في الحديث الصَّحيح: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجنَّةِ فِيمَا يَبْدُو للنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»[1]، -نسأل الله العافية-، وكذلك الأمر بالنسبة للثَّاني يعمل الإنسان بعمل أهل النَّار، فيَمُنُّ الله تعالى عليه بالتَّوبة والرُّجوع إلى الله عند قرب أجله، فيعمل بعمل أهل الجنَّة فيَدخُلها.

والآية التي ذَكَرها السَّائل لا تُعارِض الحديث؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾، ومَن أَحسنَ العمل في قلبه وظاهره فإنَّ الله تعالى لا يُضيع أجرَه، لكن الأول الذي عمل بعمل أهل الجنَّة، فسبَق عليه الكِتاب، كان يَعمَل بعَمَل أهل الجنَّة فيما يَبدو للنَّاس، فيَسبِق عليه الكِتاب، وعلى هذا يَكون عمله ليس حسنًا، وحينئذٍ لا يُعارِض الآية الكريمة. والله المُوفِّق.

س(٣٨٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن الجمع بين قول الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام:١٢٥]، **وقوله:** ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:٢٩]؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد، باب لا يقال فلان شهيد، رقم (٢٨٩٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، رقم (١١٢)، من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الجمع بينهما أنَّ الله تعالى يُخبِر في بعض الآيات بأنَّ الأمر بيَده، ويُخبِر في بعض الآيات أنَّ الأمر راجِع إلى المُكلَّف، والجمع بين هذه النُّصوص أن يُقال:

إنَّ للمُكلَّف إرادةً واختيارًا وقدْرةً، وإنَّ خالق هذه الإرادة والاختيار والقُدْرة هو الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يَكون للمَخلوق إرادة إلا بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ، وقد قال الله تعالى مُبيِّنًا الجمع بين هذه النُّصوص: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩]، ولكن متى يَشاء الله تعالى أن يَهدِي الإنسان، أو أن يُضلَّه؟ هذا هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠].

واقْرأْ قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف:٥]، تَجِدْ أنَّ سبب ضلال العبد من نفسه، فهو السَّبب، والله تعالى يَخلُق عند ذلك فيه إرادة للسُّوء؛ لأنَّه هو يُريد السُّوء، وأمَّا مَن أراد الخير وسعَى في الخير وحرَص عليه فإنَّ الله تعالى يُيَسِّره لليسرى، ولما حدَّث النَّبيُّ ﷺ أصحابه: بأنَّه ما من أحد إلا وقد كُتِب مقعده من الجنَّة ومقعده من النار، قالوا: يا رسول الله، أفلا نَتَّكل على الكتاب ونَدَع العمل؟ قال: «**لَا، اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسر لِـمَا خُلِقَ لَهُ**» ثم قرأ هذه الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾[1] إلى آخر الآية.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾، رقم (٤٩٤٥)، وأخرجه مسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم (٢٦٤٧)، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

واعلمْ يا أخي أنَّه لا يُمكِن أن يُوجَد في كلام الله أو فيما صحَّ عن رسول الله ﷺ تَناقُضٌ أبدًا، فإذا قرأت نَصَّين ظاهرهما التَّناقض فأَعِدِ النَّظر مرة أخرى، فسيَتَبَيَّن لك الأمر، فإن لم تَعلَم فالواجب عليك التَّوقُّف وأن تَكِل الأمر إلى عالِمِه.

والله بكلِّ شيء عليم.

س(٣٨٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣]، فهل الإنسان مُخيَّر أو مُسيَّر؟ وهل للإنسان إرادة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الجواب على الفقرة الأولى: عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

فنَقول: إنَّ الهداية المذكورة في القرآن تَنقسِم إلى قِسْمين:

- هداية دَلالة وبَيان.
- وهداية تَوفيق وإرشاد.

فأمَّا الهداية الأُولى فهي: مثل الآية التي ساقها السَّائل، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، يعني: إنَّا بَيَّنَّا للإنسان السَّبيل والطَّريق، سواء كان شاكِرًا أو كان كفورًا، فالكلُّ بُيِّن له الحقُّ، لكن من النَّاس مَنْ مَنَّ الله عليه فشكَر والتزم بالحقِّ، ومن النَّاس مَنْ كان على خلاف ذلك.

ومن أمثلة الهداية التي يُراد بها الدَّلالة قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عن نَبيِّه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]، أي: لتَدُلُّ إلى الصِّراط المستقيم؛ لأنَّ النَّبيَّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بَيَّن وعلَّم أُمَّته الصِّراط المستقيم، وترَك أُمَّته على محَجَّة بيضاءَ، ليلُها كنهارها.

أمَّا النَّوع الثَّاني من الهداية فهو: هداية التَّوفيق والإرشاد، ومِن أمثلتها قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لنبيِّه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦].

فالمراد بهذه الهداية: هدايةُ التَّوفيق، فالنَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يَملِك أن يَهدِي أحدًا هداية تَوفيق يُوفِّقه بها إلى الإيمان والعمل الصَّالح، وهذه الآية نزلت في شأن أبي طالب[1] عمِّ النَّبيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي دعاه النَّبيُّ ﷺ إلى الهُدَى، ولكن لم يُوفَّق لذلك، فأنزل الله هذه الآية تَسليةً لرسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

وقد يُراد بالهداية الهدايتان جميعًا، أي: هِداية العِلْم والبيان، وهداية التَّوفيق والإرشاد، ومن ذلك قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في سورة الفاتحة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]، فإنَّ الآية تَشمَل هداية العلم والبيان، وهداية التَّوفيق والإرشاد، والقارئ إذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ فإنَّه يُريد بذلك المَعنيَين جميعًا، فيريد أن يُعلِّمه الله عَزَّوَجَلَّ، ويُريد أن يُوفِّقه الله تعالى لسلوك الحقِّ، هذا هو الجواب عن الجزء الأول في سؤاله.

أمَّا الجزء الثَّاني: وهو هل الإنسان مُسيَّر أو مُخيَّر، وهل له إرادة أو ليس له إرادة؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب قصة أبي طالب، رقم (٣٨٨٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله، رقم (٢٤)، من حديث المسيب بن حزن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فنقول: الإنسان مُخيَّر، إن شاء آمَن، وإن شاء كفَر، بمعنى: أنَّ له الاختيارَ، وإن كانا ليسا سواءً فلا يَستوِي الكفر والإيمان، لكن له اختيار أن يَختار الإيمان أو يَختار الكفْر، وهذا أمر مُشاهَد معلوم، فليس أحَد أَجبَر الكافر على أن يَكفُر، وليس أحد أجبر المؤمن على أن يؤمن، بل الكافر كفَر باختياره، والمؤمن آمَن باختياره، كما أنَّ الإنسان يَخرُج من بيته باختياره، ويَرجِع إليه باختياره، وكما أنَّ الإنسان يَدخُل المدرسة الفلانية باختياره، ويَدخُل الجامعة الفلانية باختياره، وكما أنَّ الإنسان يُسافِر إلى مكةَ أو إلى المدينة أو ما أشبهَ ذلك، وهذا باختياره، وهذا أمرٌ لا إشكال فيه ولا جِدال فيه، ولا يُمكِن أن يُجادِل فيه إلا مُكابِر.

نعم، هناك أشياءُ لا يُمكِن أن تكون باختيار الإنسان، كحوادثَ تَحدُث للإنسان من انقلاب سيارة، أو صِدام، أو سقوط بيت عليه، أو احتراق، أو ما أشبهَ هذا، وهذا لا شكَّ أنَّ لا اختيار للإنسان فيه، بل هو قضاء وقدَر ممَّن له الأمر.

ولهذا عاقب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الكافرين على كُفْرهم؛ لأنَّهم كَفَروا باختيارهم، ولو كان بغير اختيار مِنهم ما عُوقِبُوا، ألا تَرى أنَّ الإنسان إذا أُكرِه على الفعل ولو كان كفْرًا، أو على القول ولو كان كُفْرًا فإنَّه لا يُعاقَبُ عليه؛ لأنَّه بغير اختيار منه، وكذلك ألا تَرى أنَّ النَّائم قد يَتكلَّم وهو نائم بالكُفْر، وقد يرى نفسه ساجدًا لصنَم وهو نائم، ولا يُؤاخَذ بهذا؛ لأنَّ ذلك بغير اختياره، فالشَّيء الذي لا اختيار للإنسان فيه لا يُعاقَب عليه، فإذا عاقب الله الإنسان على فعله السَّيِّئ دلَّ ذلك على أنَّه عوقِب بحقٍّ وعدْل؛ لأنَّه فعل السَّيِّئ باختياره.

وأمَّا توهُّم بعض الناس: أنَّ الإنسان مُسيَّر لا مُخيَّر من كون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

قد قضى ما أَراد في عِلْمه الأزلي، بأنَّ هذا الإنسان مِن أهل الشَّقاء، وهذا الإنسان من أهل السَّعادة.

فإنَّ هذا لا حُجَّة فيه؛ وذلك لأنَّ الإنسان ليس عنده عِلْم بما قدَّر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، إذ إِنَّ هذا سِرٌّ مكتوم لا يَعلَمه الخَلْق، فلا تَعلَم نفسٌ ماذا تَكسِب غدًا، وهو حين يقدم على المخالفة بترك الواجب، أو فِعْل المحرم، يقدم على غير أساس وعلى غير عِلْم؛ لأَنَّه لا يعلم ماذا كتِب عليه إلا إذا وقَع منه فعلًا، فالإنسان الذي يُصلِّي لا يَعلَم أنَّ الله كتَب له أن يصلي إلا إذا صلى، والإنسان السَّارق لا يَعلَم أنَّ الله كتب عليه أن يَسرِق إلا إذا سرَق، وهو لم يجبر على السرقة، ولم يجبر المصلي على الصَّلاة بل، صلى باختياره، والسَّارق سرق باختياره، ولما حدَّث النَّبيُّ -صلَّى اللهُ عَليْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّم- بأَنَّه: «**مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**» قالوا: يا رسول الله، ألا نَدَع العمل ونَتَّكِل؟ قال: «**لَا، اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِـمَا خُلِقَ لَهُ**»(١)، فأمر بالعمل، والعمل اختياري وليس اضطراريًّا ولا إجباريًّا.

فإذا كان يَقول ﷺ: «**اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِـمَا خُلِقَ لَهُ**» فنَقول للإنسان: اعمَلْ يا أخي صالحًا حتى يَتبَيَّن أَنَّك مُيسَّر لعمل أهل السَّعادة، وكلٌّ -بلا شكٍّ- إن شاء عمِل عملًا صالحًا وإن شاء عمِل عملًا سيئًا، ولا يجوز للإنسان أن يَحتَجَّ بالقدر على الشَّرع، فيَعصي الله ويقول: هذا أمر مكتوب عليَّ فيَترُك الصَّلاة مع الجماعة ويَقول: هذا أمر مكتوب عليَّ، ويَشرَب الخمر ويقول: هذا أمر كُتِب عليَّ،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾، رقم (٤٩٤٥)، وأخرجه مسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم (٢٦٤٧)، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ويُطلِق نظره في النِّساء الأجنبيات ويَقول: هذا أمر مكتوب عليَّ.

فما الذي أَعلَمك أنَّه مكتوب عليك فعمِلته، فأنت لم تَعلَم أنَّه كُتِبَ إلا بعد أن تَعمَل، لماذا لم تُقدِّر أنَّ الله كتَبك من أهل السَّعادة فتَعمَل بعمَل أهل السَّعادة؟!

وأما قول السَّائل: هل للإنسان إرادة؟

فنقول: نعم، له إرادة بلا شَكٍّ، قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء:١٩]، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى:٢٠].

فالإنسان يَعمَل باختيار وإرادة؛ ولهذا إذا وقَع العمَل الذي فيه المخالفة من غير إرادة ولا اختيار عفي عنه، قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦]، فقال الله: قد فعلت.

وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥]، وهذا أمر -ولله الحمد- ظاهِر، ولا إشكال فيه إلا على سبيل المنازَعة والمُخاصمة، والمنازعة والمخاصمة مَنهِيٌّ عنهما إذا لم يَكنِ المقصود بذلك الوصول إلى الحقِّ، وقد خرج النَّبيُّ ﷺ ذات يوم على أصحابه وهم

يَتنازَعون في القدَر فتأَثَّر من ذلك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ(١)؛ لأنَّ هذا النِّزاع لا يُؤدِّي إلى شيء إلا إلى خصومة، وتَطاوُل كلام، وغير ذلك، وإلا فالأمر واضح، ولله الحمد.

س(٣٨٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

فأَجابَ بقَوْلِهِ: هذا مما قاله إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لقومه: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٥-٩٦]، أي: ما تَعمَلون من هذه الأصنام؛ ليُقيم عليهم الحُجَّة بأنَّها لا تَصلُح آلهة؛ لأنَّها إذا كانت مخلوقة لله تعالى فمَن الذي يَستَحِقُّ العبادة المخلوق أم الخالق؟ الجواب: الخالق.

وهل يَستحِقُّ المخلوق أن يَكون شريكًا في هذه العبادة؟ لا. فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أراد أن يُقيم الحُجَّة على قومه بأن ما عمِلوه من هذه الأصنام الَّتي نَحَتوها مخلوق لله عَزَّوَجَلَّ، فكيف يَليق بهم أن يُشرِكوا مع الله تعالى هذا المخلوق؟!

وعلى هذا فقوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (ما): اسم موصول عائدة على قوله: ﴿مَا تَنْحِتُونَ﴾ هذا وجه هذه الآية، وليس فيها أنَّه يُبرِّر شِرْكهم بالله ويقول: إنَّ عمَلكم مخلوق لله، فأنتم بَريئون من اللَّوم عليه، كلا؛ لأنَّنا لو قلنا ذلك لكان يحتجُّ لهم ولا يحتجُّ عليهم، ولكن هو يحتجُّ عليهم وليس يحتجُّ لهم.



(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٨)، وابن ماجه: المقدمة، باب في القدر، رقم (٨٥)، من حديث عبد الله ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، وهم يختصمون في القدر.

س(٣٨٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن شخص عاصٍ عندما دُعِي للحقِّ قال: «إنَّ الله لم يَكتُب لي الهداية» فكيف يُتعامَل معه؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نقول بكل بساطة: أَطَّلعت الغيب أم اتَّخَذْت عند الله عهدًا؟

إن قال: نعم. كفَر؛ لأَنَّه ادَّعَى عِلْم الغيب.

وإن قال: لا. خُصِمَ وغُلِبَ، وإذا كنت لم تَطَّلع أنَّ الله لم يَكتُب لك الهداية فاهتَدِ، فالله ما منعك الهدايةَ، بل دعاك إلى الهداية، ورغَّبك فيها، وحذَّرك من الضَّلالة، ونهاك عنها، ولم يَشأِ الله عَزَّوَجَلَّ أن يدَع عباده على ضلالة أبدًا، قال تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء:١٧٦]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٢٦]، فتُبْ إلى الله، والله عَزَّوَجَلَّ أشدُّ فرَحًا بتوبتك من رَجُل أضلَّ راحلته وعليها طعامه وشرابه وأَيِس منها، ونام تحت شجرة يَنتظِر الموت، فاستَيقَظ فإذا بخطام ناقته مُتعلِّق بالشَّجرة، فأخذ بخطام النَّاقة فرحًا وقال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ**». أخطأ من شدة الفرَح[١].

فنَقول: تُبْ إلى الله، والله أَمَرك بالاهتداء وبيَّن لك طريق الحقِّ. والله وليُّ التَّوفيق.



(١) أخرجه مسلم: كتاب التوبة، باب الحض على التوبة، رقم (٢٧٤٧)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٣٨٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن الحِكْمة مِن وجود المعاصي والكُفْر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لوقوع المعاصي والكُفْر حِكَم كثيرة منها:

١- إتمام كلمة الله تعالى حيث وعَد النَّار أن يَملأَها قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٨-١١٩].

٢- ومنها ظهور حِكْمة الله تعالى وقُدْرته حيث قسَم العباد إلى قسمين: طائعٍ، وعاصٍ.

فإنَّ هذا التَّقسيم يَتبيَّن به حكمة الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ الطَّاعة لها أهل هُمْ أهلها، والمعصية لها أهل هم أهلها، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧]، فهؤلاء أهل الطَّاعة، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٥]، وقال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥]، وهؤلاء أهل المعصية.

ويَتبيَّن بذلك قُدرته بهذا التَّقسيم الذي لا يَقدِر عليه إلا الله، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة:٢٧٢]، وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

٣- ومنها: أن يَتبيَّن للمُطيع قدْر نِعمة الله عليه بالطَّاعة إذا رأى حال أهل المعصية، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ

يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران:١٦٤].

٤- ومنها: لُجوء العبد إلى ربِّه بالدُّعاء أن يُباعِد بينه وبين المعصية، والدُّعاء عبادة لله تعالى.

٥- ومنها: أنَّ العبد إذا وقع في المعصية ومَنَّ الله عليه بالتَّوبة ازداد إنابةً إلى الله وانكسر قلبه، وربما يَكون بعد التَّوبة أَكمَل حالًا منه قبل المعصية، حيث يَزول عنه الغرور والعُجْب ويَعرِف شدَّة افتِقاره إلى ربِّه.

٦- ومنها: إقامة الجهاد، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، فإنَّه لولا المعاصي والكُفْر لم يَكُن جِهادٌ، ولا أمْرٌ بمعروف، ولا نهيٌ عن مُنكَر.

إلى غير ذلك من الحِكَم والمصالح الكثيرة، ولله في خَلْقه شُؤون.



س(٣٨٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل في مُحاجَّة آدمَ وموسى إقرار للاحتِجاج بالقدَر؟ وذلك أن آدمَ احتجَّ هو وموسى، فقال له موسى: «أَنْتَ أَبونَا خَيَّبْتَنَا، أَخرَجْتَنَا وَنفْسَكَ مِنَ الجَنَّةِ». فَقَالَ لَهُ آدَمُ: «أَتَلُومُني عَلَى شَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَني؟!» فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»[1]، أي: غلبه بالحُجَّة، وآدمُ احتجَّ بقضاء الله وقدَره؟

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في القدر، رقم (٤٧٠٢)، من حديث عمر بن الخطاب. والحديث أصله متفق عليه، أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾، رقم (٤٧٣٨)، ومسلم: كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم (٢٦٥٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا ليس احتجاجًا بالقضاء والقدَر على فِعْل العبد ومعصية العبد، لكنَّه احتِجاج بالقدَر على المصيبة النَّاتجة من فِعْله، فهو من باب الاحتجاج بالقدَر على المصائب لا على المعائب، ولهذا قال: «**خَيَّبْتَنَا، أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ**» ولم يَقُل: عصيت ربَّك فأُخرِجتْ من الجنَّة. فاحتجَّ آدمُ بالقدر على الخروج من الجنَّة الذي يَعتبِره مصيبة، والاحتجاج بالقدَر على المصائب لا بأس به، أرأيت لو أنَّك سافرت سفرًا وحصَل لك حادث، وقال لك إنسان: لماذا تُسافِر؟ لو أنَّك بقِيت في بيتك ما حصَل لك شيءٌ.

فستُجِيبه: بأنَّ هذا قضاء الله وقدَره، أنا ما خَرَجت لأجل أن أُصَابَ بالحادث، وإنَّما خرَجت لمصلحة فأُصِبت بالحادث.

كذلك آدمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هل عصى الله لأجل أن يُخرِجه من الجنَّة؟ لا.

فالمصيبة إذَنِ: التي حَصَلت له مُجرَّد قضاءٍ وقدَر، وحينئذٍ يَكون احتجاجه بالقدَر على المصيبة الحاصلة احتجاجًا صحيحًا، ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ: «**حَجَّ آدَمُ مُوسَى، حَجَّ آدَمُ مُوسَى**»، وفي رواية للإمام أحمد: «**فَحَجَّهُ آدَمُ**» يَعني: غلبه في الحُجَّة.

مثال آخرُ: رجُل أصاب ذنبًا وندِم على هذا الذَّنب وتاب منه، وجاء رجُل من إخوانه يقول له: يا فلانُ، كيف يَقَع منك هذا الشَّيء؟ فقال: هذا قضاء الله وقدَره. فهل يَصِحُّ احتجاجه هذا أو لا؟ نعم، يَصِحُّ؛ لأنَّه تاب، فهو لم يَحتَجَّ بالقدَر ليَمضيَ في مَعصيته، لكنَّه نادِم ومُتأسِّف، ونظير ذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخَل ليلة على عليٍّ بن أبي طالب وفاطمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: «**أَلَا تُصَلِّيَانِ؟**» فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله إنَّ أنفسنا بيَدِ الله، فإن شاء الله أن يَبعَثَنا بَعَثَنَا. فانْصرَف

النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يَضرِب على فَخِذه وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف:٥٤][1]، فالرَّسول ﷺ لم يَقبَلِ حُجَّته، وبَيَّن أنَّ هذا من الجدَل؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ يَعلَم أنَّ الأنفس بيَدِ الله، لكن يريد أن يكون الإنسان حازمًا فيَحرِص على أن يَقوم ويُصلِّي.

على كل حال: تَبيَّن لنا أنَّ الاحتِجاج بالقَدَر على المصائب جائز، وكذلك الاحتِجاج بالقدَر على المعصية بعد التَّوبة منها جائز، وأمَّا الاحتِجاج بالقدَر على المعصية تبريرًا لموقف الإنسان واستِمرارًا فيها فغير جائز.

س(٣٨٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: نَجِد مِن بين المسلمين من هو مصاب بالذِّلَّة، فكيف يَقَع هذا في المسلمين والله يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال:٥١]؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا السُّؤال الذي سأل عنه الأخُ يَتعلَّق بمَسألة عظيمة، وهي مَسألة القَضاء والقدَر التي يَنقسِم النَّاس فيها إلى قِسْمَين:

فمِنهم مَن وُفِّق للاستِقامة.

ومِنهم مَن يُوفَّق للضَّلالة.

وهذا هو مَحَطُّ الإشكال عند كثير من النَّاس كيف يَكون هذا ضالًّا؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل، رقم (١١٢٧)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح، رقم (٧٧٥)، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكيف يَكون هذا مُهتدِيًا؟

ولكنَّنا نُنبِّه على نُقطة مُهمَّة في هذا الباب وهي: أن مَن كان ضالًّا فإنَّ سبب ضلاله هو نفسه؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥]؛ ولقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠].

ولقول النَّبيِّ ﷺ حين حدَّث أصحابه: «**مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ**» فقالوا: أفلا نَتَّكل يا رسول الله على العمل؟ قال: «**اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»(١)، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾.

وعلى هذا فنقول: هؤلاء الذين وصَفهم السَّائل بأنَّهم أَذِلَّاءُ إنَّما أذلَّتهم المعصية، ولم يُكتَب لهم الهدى بسبب أنَّهم هم الذين تَسبَّبوا للضَّلالة، حيث لم تَكن إرادتهم صادقة في طلب الحقِّ والوصول إليه، وفي العمل به بعد وضوحه وبيانه، ولو أنَّهم كانوا أحسنوا النِّيَّة وصدَقوا العزيمة لوُفِّقُوا للحقِّ؛ لأنَّ الحق بين مُيَسَّر، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾.

فالذي أَنصَح به هذا الأخَ، ومَن على شاكلته ممَّن أَشكَل عليهم هذا الأمر: أن يَرجِعوا إلى أنفسهم، ويُحسِنوا نِيَّتهم، ويُصحِّحُوا عزيمتهم، حتى تَكون النيَّةُ سليمة، والعزيمة صادقة في طلب الحق، وحينئذٍ فأنا ضامِن أن يُوفَّقوا له؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي وعَد بذلك، فقال سبحانه: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾، رقم (٤٩٤٥)، وأخرجه مسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم (٢٦٤٧)، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وتَأمَّل أنَّ الآية جاءت «بالسِّين» الدَّالة على: قرب مَدخولها وعلى تَحقُّق مَدخولها أيضًا؛ لأنَّ السِّين كما هو مَعلوم تَدُل على هذين المَعنيَين: من قرْب مَدخولها وتَحقُّقه.

ولكن البلاء من النَّفس، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة:١٣]، فإنَّ هذا النِّسيان يَشمَل الذُّهول الذي هو ذُهول القلب عن المعلوم، وكذلك النِّسيان الذي بمَعنى التَّرْك، فهم تسلب علومهم ولا يُوفَّقون إلى العمل الصَّالح بسبب نقض الميثاق.

س(٣٩٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ذكَرتم في الفتوى السَّابقة أنَّ هؤلاء أَذلَّتهمُ المعصية، وذكَرتم قول الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾، ونَجِد الآن مِن الذين يَنتسِبون إلى الأمة الإسلامية أَذلَّ مِن الذين جاهَروا بالكُفْر وانتَهَجوا هذا المنهج، فما قولكم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نعم هذا صحيح؛ وذلك أنَّ الحقَّ عليهم في الاستِقامة أَوكَد من الحقِّ على أُولئك، ومعلوم أنَّ مَن تَدنَّس بالأرجاس وهو من أهل الولاية أَشَدُّ ممَّن تَدنَّس بها وليس مِن أهل الولاية، فإنَّ حقَّ الله على المسلمين أَعظَم مِن حقِّه على أولئك الكافرين؛ ولهذا يُلزَمون بشرائع الإسلام، فإذا تَمرَّد كان أشدَّ وأعظَمَ؛ ولهذا إذا تمَّت النِّعمة على العبد صارت مخالفته أَشدَّ وأَعظَمَ، ومن ذلك ما ورد عن النَّبيِّ ﷺ في الثلاثة الذين لا يُكلِّمهم الله يوم القيامة ولا يَنظُر إليهم ولا يُزكِّيهم

ولهم عذاب أليم، ومنهم الأُشَيمِطُ الزَّاني[1]؛ لأنَّه لا داعِيَ له للزِّنا، وهو إلى الاتِّعاظ والبعد عن هذا أولى؛ فلذلك عَظُمَ إثمُه.

فهؤلاء الأذِلَّةُ من المسلمين؛ لأنَّهم يجب عليهم من حقِّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والاستِقامة أكثر مما يَجِب على أولئك، ولهذا كانت مخالفتهم أعظمَ من مخالفة أولئك، وكان الذُّلُّ إليهم أقربَ، وقد مثَّل بعض العلماء شبيه هذه المسألة بحاشية الملِك والبَعيدين عنه، فقال: إنَّ مخالفة حاشية الملِك للملِك أشدُّ وأعظم وقعًا من مخالفة الأباعد، هكذا المسلمون مخالفاتهم تكون أعظمَ من غيرهم؛ فلذلك كان جزاؤهم أشدَّ من غيرهم.

س(٣٩١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: في صحيح مسلم[2] قال رسول الله ﷺ: احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ مُوسَى: أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ. فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً. فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى متى كان هذا التَّحاجُّ؟ وهل يجوز الاحتجاج بالقدَر؟

فَأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا أدري متى كان ذلك، وأمَّا الاحتجاج بالقدر: فإنَّه باطل لا يجوز، وقد أبطله الله تعالى وردَّه على المشركين حين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا

---

(١) أخرجه مسلم -بمعناه-: كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، رقم (١٠٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم (٢٦٥٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٤٨]، وذلك أنَّ المُحتَجَّ بالقدر يُقال له: هل كنت حين أَقدَمْت على المعصية تَعلَم أنَّ الله قدَّرها؟ وبالطَّبع سيقول: لا؛ إذْ لا أحد يَعلَم القدر إلا بعد وقوعه؛ لأنَّه قبل وقوعه غيب لا يَعلَمه إلا الله تعالى، فإذا قال: لا. قُلْنا له: إذَنْ فلماذا أَقدَمت على المعصية مع أنَّ الله قد حذَّرك عنها، وأمرك بالجِدِّ والعمل الصالح، وبيَّن لك العاقبة، عاقبة الخير وعاقبة الشر، فإقدامك على المعصية حين إقدامك عليها ليس إلا تَقديمًا لهواكَ على طاعة مولاكَ، فاحتِجاجك بعد بالقَدَر عجْز وباطل لا يُجدِي شيئًا.

فإن قيل: فبماذا تُجيبون عن الحديث المذكور في محاجَّة آدَمَ وموسى؟

قلنا: أُجيب عن ذلك بعدة أجوبة، نَذكُر منها ما يلي:

١- أنَّ آدمَ لم يَحتجَّ بالقدر على فِعله المعصيةَ التي كانت سببًا لإخراجه من الجنة، وإنَّما احتَجَّ به على إخراج الله إياه من الجنَّة الذي هو مصيبة قدَّرها الله عليه، وهو لا يَختارها، فهو مِن باب الاحتِجاج بالقدَر على المصائب لا على الذُّنوب والمعائب، وهذا جواب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١).

٢- أنَّ آدمَ لم يحتجَّ بالقدر كمبرِّر لفعله المعصية، بل قد عرف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّه فعل ذنبًا فتاب إلى الله تعالى منه واعترف بذَنْبه، واحتجاجه بالقدَر كتَندُّم على ما وقَع منه، وعلى هذا فلو وقَع مثل ذلك للمَرء حينما يفرط منه الإقدام على المعصية، أو يقع منه ترك شيء من الطاعة، ثم يَرجِع إلى ربِّه ويَتوب إليه، ويدفع لوم اللائِمين بالقدَر، ويقول: هذا قضاء الله ولا بُدَّ، ولكن أَستَغفِر الله وأَتوب إليه. فهذا جائِز.

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٣٠٣).

ويكون هناك فرق بين منِ اعترف بذَنْبه وتاب إلى ربِّه، وبين من جعل القدَر مبرِّرًا لفعله المعاصيَ وتَركه الطَّاعاتِ، وهذا جواب ابن القيم[1] تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو عندي أرجحُ، والله أعلم.

س(٣٩٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل في قَدَر الله تعالى شرٌّ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ليس في القدر شرٌّ، وإنَّما الشَّرُّ في المقدور، فمِن المعروف أنَّ النَّاس تُصيبهم المصائب وتَناهم الخيرات، فالخيرات خير، والمصائب شَرٌّ، لكن الشَّرَّ ليس في فعل الله تعالى، يعني: ليس فِعل الله وتَقديره شرًّا، الشَّرُّ في مفعولات الله لا في فِعْله، والله تعالى لم يُقدِّر هذا الشَّرَّ إلا لخير، كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١]، هذا بيان سبب الفساد، وأمَّا الحكمة فقال: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١]، إذن هذه مَصائبُ مَآلها الخير، فصار الشَّرُّ لا يُضَاف إلى الربِّ، ولكن يُضَاف إلى المفعولات والمخلوقات، مع أنَّ هذه المفعولات والمخلوقات شرٌّ من وجه وخير من وجه آخرَ، فتكون شرًّا بالنَّظَر إلى ما يَحصُل منها من الأذيَّة، ولكنَّها خير بما يَحصُل فيها من العاقبة الحميدة ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.



(١) ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر (ص:١٨).

س(٣٩٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كيف يَقضي الله كونًا ما لا يُحِبُّ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: المحبوب قِسمان:

الأوَّل: محبوب لذَاتِه.

الثاني: محبوب لغيره.

فالمحبوب لغيره قد يَكون مكروهًا لذاته، ولكن يحب لما فيه من الحكمة والمصلحة، فيكون حينئذٍ محبوبًا من وجه، مَكروهًا من وجه آخرَ، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٤]، فالفساد في الأرض -في حدِّ ذاته- مَكروه إلى الله تعالى؛ لأنَّ الله تعالى لا يُحِب الفساد ولا المفسِدين، ولكن للحِكَم التي يَتضمَّنها يكون محبوبًا إلى الله عَزَّوَجَلَّ من وجه آخرَ.

وكذلك العلو في الأرض، ومن ذلك القحط، والجدب، والمرض، والفقر، يُقدِّره الله تعالى على عباده مع أنَّه ليس محبوبًا إليه في حدِّ ذاته؛ لأنَّ الله لا يُحِب أن يُؤذِي عباده بشيء من ذلك، بل يريد بعباده اليُسْر، لكن يُقدِّره للحِكَم المُترتِّبة عليه، فيكون محبوبًا إلى الله من وجه، مَكروهًا من وجه آخرَ، قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١].

فإن قيل: كيف يُتصوَّر أن يكون الشَّيء محبوبًا من وجه ومَكروهًا من وجه آخرَ؟

أُجيب: بأنَّ هذا أمر واقِع لا يُنكِره العقل، ولا يَرفضه الحِسُّ، فها هو الإنسان المريض يُعطى جرعة من الدواء مرة كريهة الرَّائحة واللَّون فيَشربها، وهو يَكرهها لما فيها من المرارة، وكراهة اللَّون، والرَّائحة، ويُحبُّها لما يحصُل فيها من الشِّفاء، وكذا الطبيب يَكوي المريض بالحديدة المحماة على النار ويَتألَّم منها، فهذا الألم مكروه له من وجه، محبوب له من وجه آخَرَ.



س(٣٩٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عمَّن يَتسخَّط إذا نزلت به مصيبة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: النَّاس حالَ المصيبة على مراتبَ أربعٍ:

المرتبة الأُولى: التَّسخُّط، وهو على أنواع:

النَّوع الأول: أن يكون بالقلب، كأن يَسخط على ربِّه يَغتاظ مما قدَّره الله عليه، فهذا حرام، وقد يُؤدِّي إلى الكفر، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٍۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَ﴾ [الحج:١١].

النَّوع الثَّاني: أن يكون باللِّسان كالدُّعاء بالويل والثُّبور وما أَشبَه ذلك وهذا حرام.

النَّوع الثَّالث: أن يكون بالجوارح كلَطْم الخدود، وشقِّ الجيوب، ونتْف الشُّعور، وما أَشبَه ذلك، وكل هذا حرام مُنافٍ للصبر الواجب.

المرتبة الثَّانية: الصَّبر وهو كما قال الشَّاعر[١]:

وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ

فيرى أنَّ هذا الشَّيء ثقيل عليه، لكنَّه يَتحمَّله وهو يَكرَه وقوعه، ولكن يحميه إيمانه من السُّخط، فليس وقوعه وعدمه سواءً عنده، وهذه واجبة؛ لأنَّ الصَّبر واجب؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦].

المرتبة الثَّالثة: الرِّضا بأن يرضى الإنسان بالمصيبة بحيث يكون وجودها وعدمها سواءً، فلا يَشقُّ عليه وجودها، ولا يَتحمَّل لها حملًا ثقيلًا، وهذه مُستحبَّة وليست بواجبة على القول الرَّاجح.

والفرق بينها وبين المرتبة التي قبلها ظاهر؛ لأنَّ المصيبة وعدمها سواءٌ في الرِّضا عند هذا، أمَّا الَّتي قبلها فالمصيبة صعبة عليه لكن صبر عليها.

المرتبة الرَّابعة: الشُّكر وهو أعلى المراتب، وذلك بأن يَشكُر الله على ما أصابه من مصيبة، حيث عرف أنَّ هذه المصيبة سبب لتكفير سيئاته، ورُبَّما لزيادة حسناته، قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوكَةُ يُشَاكُهَا**»[٢].



(١) غير منسوب؛ ينظر: مدارج السالكين (٢/ ١٥٨). ونُسب لأبي نصر محمود بن حسين المعروف بكشاجم (ت ٣٦٠هـ تقريبًا)، بلفظ: «في كل نائبة» بدلًا من: «مر مذاقته». انظر: ديوان كشاجم (ص:٤٦٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، رقم (٥٦٤٠)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه، رقم (٢٥٧٢)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

س(٣٩٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن حكم التَّسَخُّط مِن المصائب والكوارث؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: من أصول الإيمان أن يُؤمِن الإنسان بالقدَر خيره وشره، وأن يَعلَم أنَّ ما أصابه لم يَكُن ليُخطئَه، وما أَخطأه لم يَكُن ليُصيبَه، وأنَّ الأمر كلَّه يرجِع إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّ لله الحكمة البالغة فيما أصاب العبد من خير أو شرٍّ.

والمصائب على نوعين:

النَّوع الأول: أن تَكون تكفيرًا لسيئات وقعت من المرء، وإصلاحًا لحاله كما في قوله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم:٤١].

والنوع الثاني: أن تكون المصائب ليست عقوبةً لسيئات وقعت من المرء، ولكن لزيادة رِفعة في درجاته، وليحصُل على وصف الصبر الذي أَثنَى الله على القائمين به وقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر:١٠]، ومن ذلك ما وقع للرَّسول ﷺ من المصائب التي أصابته، حتى إنَّه ليُوعَكُ كما يُوعَكُ الرَّجُلان منا[1] -أي: من المرض-، وهذا من أجل أن يَنالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أعلى مَقامات الصَّبر، وقد نال ذلك صلوات الله وسلامه عليه، فهو أعلى النَّاس صبرًا على طاعة الله، وأعلى النَّاس صبرًا على مَحارِم الله، وأعلى النَّاس صَبرًا على أقدار الله المُؤلِمة.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المرضى، باب أشد الناس بلاء الأنبياء، رقم (٥٦٤٨)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه، رقم (٢٥٧١)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وبناءً على هذا: فإنَّه يَجِب على المرء أن يَصبِر لقضاء الله وقدَره وألا يَتسخَّط؛ لأنَّ السُّخط من قضاء الله وقدَره نَقْص في الإيمان بربوبيته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إذ مُقتَضى الربوبية المطلَقة أن يَفعَل ما شاء، وانظر إلى الكرَم والفضل حيث يريد عَزَّوَجَلَّ بعَبْده ما يشاء، ومع ذلك يُثيبه على ما حصل من هذه المصائب إذا صبر واحتَسَب.

قال بعض أهل العلم: وللنَّاس في المصائب مَقاماتٌ أربعٌ: التَّسخُّط، والصَّبر، والرِّضا، والشُّكر.

أمَّا التسخُّط: فحرام، سواء كان في القلب، أو في اللِّسان، أو في الجوارح.

ويَكون التسخُّط بالقلب بأن: يرى أنَّ الله تعالى ظلَمه في هذه المصيبة، وأنَّه ليس أهلًا لأن يُصَاب، وهذا على خطر عظيم، كما قال الله تعالى: ﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ**﴾ [الحج:١١].

وأمَّا التَّسخُّط بالقول: فأن يَدعوَ بدَعوى الجاهلية، مثل: واثُبوراه! وانقِطاعَ ظهراه! وما أَشبَهَ ذلك من الكلمات النَّابية التي تُنبِئ عن سخط العبد وعدم رضاه بقضاء الله.

وأمَّا التَّسخُّط بالأفعال: بأن يَقومَ بنَتْف الشُّعور، ولَطْم الخدود، وشقِّ الجيوب، وقد تَبرَّأَ النَّبيُّ ﷺ مِن فاعل هذا فقال: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ شَقَّ الْجُيُوبَ، وَضَرَبَ الْخُدُودَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**»(١)، فالتسخُّط حرام ومِن كبائر الذُّنوب، والتَّسخُّط القلبيُّ أَعظَمُ أنواعه وأَخطَرُها.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ليس منَّا مَن شق الجيوب، رقم (١٢٩٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود، رقم (١٠٣)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

المقام الثَّاني: مَقام الصَّبر، وهو حبس النَّفس عن التَّسخُّط، وهو ثقيل على النَّفس لكنَّه واجب؛ لأنَّه إذا لم يَصبرْ تَسخَّطَ، والتَّسخُّط من كبائر الذُّنوب فيكون الصَّبر واجبًا، ولقد قال النَّبيُّ ﷺ لابنته التي كان عندها طِفْل يَجودُ بنفسه وقد حضره الموت فأرسلت إلى النَّبيِّ ﷺ رسولًا تَدْعوه للحضور، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**مُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**»(١).

المقام الثَّالث: هو الرِّضا، بأن يَرضى العبد بما قُدِّر له من هذه المصيبة رضًا تامًّا.

وقد اختَلَف العُلَماء في وجوبه، والصَّواب: أنَّه ليس بواجب، ولكنَّه سُنَّة؛ لأنَّه مُتضمِّن للصَّبر وزيادة.

والفرق بين الصَّبر والرِّضا: أنَّ المرء يكون في الصَّبر كارهًا لما وقَع لا يُحِبُّ أنَّه وقع، لكنَّه قد حبس نفسه عن التَّسَخُّط.

وأمَّا الرَّاضي: فهو غير كارهٍ لما وقَع، بلِ المصيبة وعدمها عنده سواءٌ بالنِّسبة لِفعْل الله؛ لأنَّه راضٍ رضًا تامًّا عن فِعْل الله، فهو يقول: أنا عبده وهو ربِّي، إن فعل بي ما يَسرُّني فأنا عبده وله مني الشُّكْر، وإن كان الأخرى فأنا عبده وله مني الرِّضا والصَّبر، فالأحوال عنده متساوية، وربما ينظر إلى ذلك من منظار آخرَ، وهو أن يقول: إنَّ هذه المصيبة إذا صبر عليها وكفَّر الله بها عنه وأثابه عليها صارت ثوابًا لا عقابًا، فيَتَساوَى عنده الألم والثَّواب، وفي هذا ما يُذكَر عن رابعةَ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «**يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه**»، رقم (١٢٨٤)، ومسلم: كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، رقم (٩٢٣)، من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

العدويَّةِ -فيما أظنُّ- أنَّها أصيبت أُصبعُها ولم تَتأثَّر بشيءٍ، فقيل لها في ذلك فقالت: «إنَّ حلاوةَ أَجرِها أَنسَتْنِي مَرارةَ صَبرِها».

المقام الرَّابع: مَقام الشُّكر أنَّ الإنسان يَشكُر الله عَزَّوَجَلَّ على هذه المصيبة، وهذا المَقام لا يَحصُل للإنسان عند أَوَّل صدمة؛ لأنَّ مُقتَضى الطَّبيعة يُنافي ذلك، لكن بالتَّأمُّل والتَّأنِّي قد يَشكُر الإنسان ربَّه على هذه المصيبة، وذلك بأنَّ يُقدِّر المصيبة أعظم، فيَشكُر الله تعالى أن أُصيبَ بهذه الَّتي هي أهونُ، أو يُقدِّر أنَّ ألم المصيبة ألمٌ يَزول بزَوال الحياة إن بقِيَ إلى الموت، أو يَزول قبل الممات، والأجر والثَّواب الحاصل يَبقَى، فيَشكُر الله تعالى عن ذلك.

ومثاله: رجل أُصيب بحادث في سيارة فانكَسَرَت رِجله، فهذه مصيبة، فيَتأمَّل ويَنظُر ويقول: أرأيت لو كان الانكسار في الظهر لكانت المصيبة أَعظمَ. فهو يَشكُر الله عَزَّوَجَلَّ أن كانت المصيبة في الفَخِذ دون الظَّهر، ولو كانت في السَّاق لكانت أَهونَ مما إذا كانت في الفَخِذ، وهلمَّ جرًّا، وقد يقول: هذه مُصيبة، إمَّا أن أُشفَى منها وأَعود كما كنت في الدُّنيا قبل الموت، وإمَّا أن أَموتَ فلها أجل مَحتوم مُقدَّر، لكن الأجر الحاصل عليها هو ثواب الآخرة الباقية أبَدَ الآبدين. فيَشكُر الله عَزَّوَجَلَّ على هذه المصيبة التي كانت سببًا لما هو أَبقَى وأفضلُ وأَخْيرُ، فللإنسان عند المصائب أربعة مَقامات:

الأوَّل: التَّسخُّط، وهو حرام، ومِن كبائر الذُّنوب.

والثاني: الصَّبر، وهو واجِب.

والثَّالث: الرِّضا، وهو سُنَّة مُستَحبٌّ.

والرابع: الشُّكر، وهو أعلى المقامات.

س(٣٩٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: يَحصُل من بعض المرضى الشَّكوى والتَّضايُق ممَّا هم فيه من أَلَمِ المرض فما نَصيحَتكم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نَصيحتي لإخواني المرضى ومَن أصابهم مَصائبُ في أموالهم وأهليهم أن يَصبروا ويَحتَسِبوا، ويَعلَموا أنَّ هذه المصائب ابتِلاءٌ مِن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ واختبار، كما قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥]، وإذا كان الله تعالى يَبتَلِي العبد بالنِّعم ليَختَبِرَه أيشكُر أم يَكفُر؟ فكذلك يَبتَلِي عبده بما يُضادُّ ذلك، ليَبلُوَه أيَصبرُ أم يَجزَع ويَتَسخَّط؟ ويُعين المرء على الصَّبر على ما يَحصُل عليه من الابتلاء عِدَّة أمور منها:

الأمر الأول: الإيمان بأنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ربُّ كل شيء ومليكه، وأنَّ الخلق كلَّهم خلقُه وعبيده، يَتصرَّف فيهم كيف يَشاء لحِكْمة قد نَعلَمها وقد لا نَعلَمها، فلا اعتراض عليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيما فعَل في ملكه، قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣].

الأمر الثَّاني: أن يُؤمِن بأن هذه المصائب التي تُصيبه تَكفيرًا لسَيِّئاته، فتُحطُّ عنه الخطايا، ويُغفَر له بها الذُّنوب، كما قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: إِنِّي إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنًا فحَمِدَنِي عَلَى مَا ابْتَلَيْتُهُ فَإِنَّه يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الخَطَايَا**»(١)، وقد ذكر أنَّ امرأة من العابدات أُصيبَت في أُصبعها، ولكنَّها لم تَتسَخَّط، ولم يَظهَر عليها أثر التَّشكِّي فقيل لها في ذلك فقالت: «إنَّ حلاوةَ أَجرِها أَنْستْنِي مَرارةَ صَبرِها».

ومن المعلوم أنَّ الصَّبر دَرجة عالية لا تُنال إلا بوجود شيء يُصبِّر الإنسان

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٣) من حديث شداد بن أوس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

عليه حتى يَكون من الصَّابرين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

الأمر الثَّالث: أن يَتسلَّى بما يُصيب النَّاس سواه، فإنَّه ليس وحده الذي يُصاب بهذه المصائب، بل في النَّاس من يُصاب بأكثرَ من مصيبته، ولقد كان رسول الله ﷺ -وهو أشرف الخلق عند الله- يُصاب بالمصائب العظيمة، حتى إنَّه يُوعَكُ كما يُوعَكُ الرَّجُلان مِنَّا[١]، ومع ذلك يَصبِر ويَحتسِب، وفي التَّسلِّي بالغير تَهوين عن المصائب.

الأمر الرَّابع: أن يَحتسِب الأجر على الله عَزَّوَجَلَّ بالصَّبر على هذه المصيبة، فإنه إذا احتَسَب الأجر على الله عَزَّوَجَلَّ بالصَّبر على هذه المصيبة فإنَّه مع تَكفير السيئات به يَرفَع الله له بذلك الدَّرجاتِ بِناءً على احتِسابه الأجر على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن المعلوم أنَّ كثيرًا من النَّاس مُنغمِرٌ في سيِّئاته، فإذا جاءت مثل هذه المصائب: مِن المرض، أو فُقدان الأهل، أو المال، أو الأصدقاء، أو ما أَشبَهَ ذلك هان عليه الشَّيء بالنَّظَر إلى ما لَه مِن الأجر والثواب على الصَّبر عليه واحتِساب الأجر مِن الله، وكلَّما عظُم المصاب كَثُرَ الثَّواب.

الأمر الخامس: أن يَعلَم أنَّ هذه المصائب من الأمراض وغيرها لن تَدومَ؛ فإنَّ دَوام الحال مِن المُحال، بل ستَزول إن عاجلًا وإن آجِلًا، لكن كلَّما امتدَّت ازداد الأجر والثواب.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المرضى، باب أشد الناس بلاء الأنبياء، رقم (٥٦٤٨)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه، رقم (٢٥٧١)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويَنبغِي في هذه الحال أن نَتذكَّر قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥-٦]، وأن نَتذكَّر قول النَّبيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا**»[(١)].

الأمر السَّادس: أن يكون لديه أَمَل قويٌّ في زوال هذه المصيبة، فإنَّ فتحَ الآمال يُوجِبُ نشاط النَّفس، وانشراح الصَّدر، وطُمأنينة القلب، والإنسان كُلَّما مضى عليه ساعة رأى أَنَّه أقربُ إلى الفرج وزوال هذه المصائب، فيَكون في ذلك مُنشِّطًا نفسه حتى يَنسَى ما حلَّ به.

ولا شكَّ أنَّ الإنسان الذي يَنسَى ما حلَّ به، أو يَتناساه لا يُحِسُّ به، فإنَّ هذا أمر مُشاهَد إذا غفَل الإنسان عمَّا في نفسه من مرض أو جرح أو غيره يَجِد نفسه نشيطًا ويَنسَى ولا يُحِسُّ بالألم، بخلاف ما إذا ركَّز شعوره على هذا المرض، أو على هذا الألم، فإنَّه سوف يزداد.

وأضرب لذلك مثلًا بما يَقَع للعُمَّال فتَجِد أحدهم في حال عمله ربما يَسقُط عليه حجَر يجرح قدمه، أو تُصيبه زجاجة تجرح يده، أو ما أشبه ذلك وهو مُستمِرٌّ في عمله، ولا يُحِسُّ بما أصابه، لكن إذا فرغ مِن عمله ثم تَوجَّهت نفسه إلى هذا الذي أصابه حينئذٍ يُحِسُّ به.

ولهذا لما شُكِي إلى الرَّسول ﷺ الوساوس التي يَجِدها الإنسان في نفسه قال ﷺ: «**إِذَا أَحَسَّ بِذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ -أو: إذا وَجَد ذلك فلْيَستَعِذْ بالله- ثُمَّ لِيَنْتَهِ**»[(٢)]،

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٠٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس، رقم (٣٢٧٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، رقم (١٣٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يعني: ليُعرِض عن هذا ويَتغافَل عنه فإنَّه يَزول، وهذا شيء مُشاهَد ومُجرَّب.

الأمر السَّابع: أن يُؤمِن بأنَّ الجزع والتَّسخُّط لا يُزيل الشَّيء، بل يَزيده شِدَّة وحسرة في القلب كما هو ألم في الجسد.

والنَّاس تُجاه المصائب التي تَقَع عليهم على أحوال أربع:

الحال الأُولى: الجزع: فمَن جزع وتَسخَّط ولم يَصبرْ، بل دعا بالويل والثُّبور وشقَّ الجيوب ولَطَم الخدود ونتَف الشُّعور، وصار قلبه مملوءًا غيظًا على ربِّه عَزَّوَجَلَّ فهذا خاسر في الدُّنيا والآخرة؛ لأنَّ فِعْله هذا حرام، والألم لا يَزول به فيكون بذلك خسِر الدُّنيا والآخرة، وربَّما يُؤدِّي ذلك إلى الكفر بالله عَزَّوَجَلَّ، كما قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج:١١].

الحال الثَّانية: الصَّبر على المصيبة فهذا المُصاب لا يُحِبُّ أن تَقَع المصيبة عليه، بل يَكرَهها ويَحزَن لها، لكنَّه يَصبِر فيَمنَع قلبه عن التَّسخُّط ولسانه عن الكلام وجوارحه عن الفِعال، ولكنَّه يَتجرَّع مَرارة الصَّبر، ولا يُحِبُّ أنَّ ذلك وقَع، فهذا أتى بالواجب وسلِم ونجا.

الحال الثَّالثة: أن يُقابِل هذه المصيبة بالرِّضا وانشراح الصَّدر وطُمأنينة القلب حتى كأنَّه لم يُصَب بها؛ لقوة رِضاه بالله عَزَّوَجَلَّ.

فالفرق بينه وبين الأول الذي قبله: أنَّ الأوَّل عنده كراهة لما وَقَع ويَتجرَّع مرارة الصَّبر عليه، أمَّا هذا فلا، فليس عنده كراهة ولا في نفسه مرارة، وحاله كأنَّه يقول: أنا عبد والربُّ ربٌّ، ولم يُقدِّر لي هذا إلا لحكمة. فيَرضَى تمامًا.

وقد اختَلَف العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ في هذا الرِّضا، هل هو واجِب أو مُستَحَبٌّ؟

والصَّحيح: أنَّه مُستحَبٌّ، لكنَّه صبر وزيادة، والصَّبر سبق أنَّه واجب، وأمَّا ما زاد على الصَّبر فإنَّه مُستَحَبٌّ، فالرَّاضي أكمَلُ مِن الصَّابر.

الحال الرَّابعة: الشُّكْر لله عَزَّوَجَلَّ على ما حصَل، فيَشكُر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على هذه المصيبة.

ولكن قد يَقول قائل: إنَّ هذا أمر لا يُمكِن بحسب الفطرة والطَّبيعة: أن يَشكُر الإنسان ربَّه على مُصيبة تَقَع عليه.

فيقال: نعم، لو نَظَرنا إلى مُطلَق المصيبة لكانتِ الفِطرة تأَبى أن يَشكُر الله على ذلك، ولكن إذا نظر الإنسان إلى ما يَترتَّب على هذه المصيبة مِن مغفرة الذُّنوب، وتَكفير السَّيئات، ورِفعة الدَّرجات شكَر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن ادَّخَر له مِن الأجر والثواب خيرًا مما جَرى عليه مِن هذه المصيبة، فيَكون بذلك شاكِرًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد كان مِن هَدْي النَّبيِّ ﷺ أنَّه إذا أصابه ما يَسرُّه قال: «**الحَمْدُ للهِ الَّذي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ**»، وإذا أصابه خِلاف ذلك قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**الحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**»(١).

أمَّا ما اشتَهر على لسان كثير من النَّاس من قول أحدهم إذا أُصيب بمصيبة: «الحمد لله الذي لا يُحمَد على مَكروهٍ سِواه» فهي عبارة بَشِعة، ولا يَنبَغِي للإنسان أن يَقولها؛ لأنَّ هذا يُعلِن إعلانًا صريحًا بأنَّه كارِهٌ لما قدَّر الله عليه، وفيه شيء مِن التَّسخُّط وإن كان غير صريح.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، رقم (٣٨٠٣)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ولهذا نقول: يَنبَغي لك أن تَقول ما كان النَّبيُّ ﷺ يَقول وهو: «الحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ» فوَصيَّتي المرضى ومَن أُصيبوا بمصيبة: أن يَصبِروا على ذلك، وأن يَحتَسِبوا الأجر من الله عَزَّوَجَلَّ، والله تعالى مع الصابِرِين، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

س(٣٩٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما معنى قوله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»(١) مُتَّفق عليه من حديث أنس، وهل معنى ذلك أنَّ الإنسان يَكون له عُمْر إذا وصَل رَحِمه، وعُمْر إذا لم يَصِل؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ليس معنى ذلك أنَّ الإنسان يَكون له عُمرانِ: عُمْر إذا وصل رَحِمه، وعُمْر إذا لم يصل؛ بلِ العُمْر واحد، والمقدَّر واحد، والإنسان الذي قدَّر الله له أن يَصِل رحمه سوف يَصِل رحمه، والذي قدَّر الله أن يَقطَع رحمه سوف يَقطَع رحمه ولا بدَّ، ولكنَّ الرَّسول ﷺ أراد أن يَحُثَّ الأُمَّة على فِعْل ما فيه الخير، كما نقول: مَن أَحبَّ أن يَأتيَه ولَد فلْيَتزَوَّجْ، فالزَّواج مَكتوب، والولد مكتوب، فإذا كان الله قد أراد أن يَحصُل لك ولد أراد أن تَتزَوَّج، ومع هذا فإنَّ الزَّواج والولد كلاهما مَكتوب، كذلك هذا الرِّزق مكتوب من الأصل، ومكتوب أنَّك ستَصِل رَحِمك، لكنَّك أنت لا تَعلَم عن هذا، فحثَّك النَّبيُّ ﷺ، وبيَّن لك أنَّك إذا وصلتَ الرَّحِم فإنَّ الله يَبسُط لك في الرِّزق، ويُنسَأ لك في الأثَر، وإلا فكُلُّ شيء مكتوب،

(١) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، رقم (٢٠٦٧)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم، رقم (٢٥٥٧)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

لكن لما كانت صِلة الرحِم أمرًا يَنبَغِي للإنسان أن يقوم به حثَّ النَّبيُّ ﷺ على ذلك بأنَّ الإنسان إذا أَحَبَّ أن يُبسَط له في رِزقه، ويُنسأ له في أَثَره فلْيَصِلْ رَحِمه، وإلا فإنَّ الواصِل قد كُتِبت صِلته وكُتِب أن يَكون عمره إلى حيثُ أراد الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم اعلَمْ أنَّ امتداد الأجل، وبَسْط الرِّزْق أمر نِسْبيٌّ؛ ولهذا نَجِد بعض النَّاس يَصِل رحمه، ويُبسَط له في رزقه بعض الشيء، ولكنَّ عُمْره يكون قصيرًا، وهذا مُشاهَد.

فنقول: هذا الذي كان عُمْره قصيرًا مع كونه واصلًا للرَّحِم لو لم يَصِل رحِمه لكان عُمْره أَقصرَ، ولكن الله قد كتَب في الأزل أنَّ هذا الرجُل سيَصِل رحمه، وسيَكون مُنتَهى عُمْره في الوقت الفلانيِّ.

س(٣٩٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن احتِجاج العاصي إذا نُهِي عن معصية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إذا احتجَّ بهذا احتجَجْنا عليه بقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩-٥٠]، وبقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٩٨]، فإذا أتى بآيات الرَّجاء يُقابَل بآيات الوعيد.

وليس هذا الجواب منه إلا جوابَ المتهاوِن.

فنحن نقول له: اتَّق الله عَزَّوَجَلَّ، وقُمْ بما أَوجَب الله عليك، واسأَلْه المغفرة؛ لأنَّه ليس كُلُّ أَحَد يَقوم بما أَوجَب الله عليه يقوم به على وجهه الأكمل.

س(٣٩٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: كيف يكون القضاء والقدَر مُعِينًا على زيادة إيمان المسلم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: يكون الإيمان بالقضاء والقدَر عونًا للمسلم على أمور دِينه ودُنياه؛ لأنَّه يُؤمِن بأنَّ قدرة الله عَزَّوَجَلَّ فوق كل قُدرة، وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ إذا أراد شيئًا فلن يَحول دونه شيء، فإذا آمَن بهذا فعل الأسباب التي يَتوصَّل بها إلى مَقصوده، ونحن نَعلَم فيما سبق مِن التَّاريخ أنَّ هناك انتصاراتٍ عظيمةً انتصر فيها المسلمون مع قِلَّة عَددهم وعُددهم، كل ذلك لإيمانهم بوعد الله عَزَّوَجَلَّ، وبقضائه وقدره، وأنَّ الأمور كلَّها بيَدِه سبحانه.

س(٤٠٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن قول النَّبيِّ ﷺ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ»[1] متفق عليه، وما نوع النَّفي في الحديث؟ وكيف نَجمَع بينه وبين حديث: «فِرَّ مِنَ المَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ»[2]؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: «**العَدْوَى**» انتِقال المَرَض من المريض إلى الصَّحيح، وكما يكون في الأمراض الحِسِّية يكون في الأمراض المعنوية الخُلُقية؛ ولهذا أخبر النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَنَّ جَلِيسَ السُّوءِ كَنَافِخِ الكِيرِ؛ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رَائِحَةً كريهةً**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا: كتاب الطب، باب الجذام، رقم (٥٧٠٧)، ومسلم: كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة، رقم (٢٢٢٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري معلقًا: كتاب الطب، باب الجذام، قبل رقم (٥٧٠٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم (٥٥٣٤)، ومسلم: كتاب البر والصلة،

فقوله ﷺ: «**لَا عَدْوَى**» يَشمَل العدوى الحِسيَّة والمعنوية.

و«**الطِّيَرَةُ**» هي التشاؤُم بمَرئِيٍّ، أو مسموع، أو معلوم.

و«**الهَامَةُ**» فُسِّرت بتفسيرين:

الأول: داء يُصيب المريض وينتقل إلى غيره، وعلى هذا التَّفسير يَكون عطفها على العدوى من باب عطف الخاصِّ على العامِّ.

الثاني: طَيْرٌ مَعروف تَزعُم العرب أنَّه إذا قُتِلَ القتيل فإنَّ هذه الهامَة تأتي إلى أهله وتَنعِق على رؤوسهم حتى يَأخُذوا بثأره، وربما اعتقد بعضهم أنَّها رُوحه تكون بصورة الهامة، وهي نوع من الطُّيور تُشبِه البومة -أو هي البومة- تُؤذِي أهل القتيل بالصُّراخ حتى يَأخُذوا بثَأْره، وهم يَتشاءَمون بها، فإذا وقعت على بيت أحدهم ونعقت قالوا: إنَّها تَنعِق به ليموت، ويَعتقِدون قرب أجله، وهذا باطل.

و«**صَفَر**» فُسِّر بتفاسيرَ:

الأول: أنَّه شهر صَفَر المعروف، والعرب يَتشاءَمون به.

الثاني: أنَّه داء في البطن يُصيب البعير ويَنتقِل من بعير إلى آخرَ، فيكون عطفه على العدوى من باب عطف الخاصِّ على العامِّ.

الثَّالث: صَفَر: شهر صفر.

والمراد به: النَّسيء الذي يضِل به الذين كفروا، فيُؤَخِّرون تحريم شهر المحرَّم إلى صفَر يُحِلُّونه عامًا، ويُحرِّمونه عامًا.

= باب استحباب مجالسة الصالحين، رقم (٢٦٢٨)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأرجحها: أنَّ المراد شهر صفَر حيث كانوا يَتشاءَمون به في الجاهلية، والأزمنة لا دَخْل لها في التَّأثير وفي تقدير الله عَزَّوَجَلَّ، فهو كغيره مِن الأزمنة يُقدَّر فيه الخير والشَّرُّ.

وبعض النَّاس إذا انتهى من عمَل مُعيَّن في اليوم الخامس والعشرين مثلًا من شهر صفر أرَّخ ذلك، وقال: انتهى في الخامس والعشرين من شهر صفَر الخير. فهذا مِن باب مُداواة البِدْعة بالبِدْعة، والجَهْل بالجَهْل، فهو ليس شهرَ خير ولا شرٍّ، ولهذا أَنكَر بعض السَّلف على مَنْ إذا سمِع البُومة تَنعِق قال: «خيرًا إن شاء الله»، فلا يُقال: خير ولا شرٌّ، بل هي تَنعِق كبَقية الطُّيور.

فهذه الأربعة التي نفاها الرَّسول ﷺ تَدلُّ على وجوب التَّوكُّل على الله، وصِدْق العزيمة، وألا يَضعُف المسلم أمام هذه الأمور.

وإذا ألقى المسلم باله لهذه الأمور فلا يَخلو من حالين:

الأولى: إمَّا أن يَستجيب لها بأن يُقدِم أوْ يُحجِم، فيكون حينئذٍ قد علَّق أفعاله بما لا حقيقة له.

الثانية: أن لا يَستَجيب بأن يُقدِم ولا يُبالي، لكن يبقى في نفسه نوع مِن الهمِّ أو الغمِّ، وهذا وإن كان أهونَ من الأوَّل، لكن يَجِب أن لا يَستجيب لداعي هذه الأمور مُطلقًا، وأن يَكون مُعتمِدًا على الله عَزَّوَجَلَّ.

وبعض النَّاس: قد يَفتَح المصحف لطلَب التَّفاؤُل، فإذا نظر ذِكْر النَّار قال: هذا فألٌ غير جميل، وإذا نظر ذِكْر الجنَّة قال: هذا فأل طيِّب، وهذا في الحقيقة مثل عمَل الجاهلية الذين يَستقسِمون بالأزلام.

والنَّفي في هذه الأمور الأربعة ليس نفيًا للوجود؛ لأنَّها موجودة، ولكنَّه نفي للتَّأثير، فالمُؤثِّر هو الله:

فما كان منها سببًا معلومًا فهو سبب صحيح.

وما كان منها سببًا موهومًا فهو سبب باطل، ويكون نفيًا لتأثيره بنفسه ولسببيَّته، فالعدوى موجودة، ويَدُل لوجودها قوله ﷺ: «**لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**»[(١)]، أي: لا يُورِد صاحب الإبل المريضة على صاحب الإبل الصَّحيحة؛ لِئَلا تَنتقِل العدوى.

وقوله ﷺ: «**فِرَّ مِنَ الَمجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسْدِ**».

«**الجُذَامُ**»: مرض خبيث مُعْدٍ بسرعة، ويُتلِف صاحبَه، حتى قيل: إنَّه الطَّاعون، فالأمر بالفِرار لكي لا تَقَع العدوى، وفيه إثبات العدوى لتَأثيرها، لكن تأثيرها ليس أمرًا حتْميًّا بحيث تَكون علَّة فاعلة، ولكنَّ أمر النَّبيِّ ﷺ بالفرار من المجذوم، وأن لا يُورِد مُمرِض على مُصِح، من باب تَجَنُّب الأسباب، لا من باب تَأثير الأسباب بنفسها، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥]، ولا يقال: إنَّ الرَّسول ﷺ يَنفي تَأثير العدوى؛ لأنَّ تَأثير العدوى ثابت بالواقع والأحاديث الأخرى، لكن تَأثيرها بإذن الله تعالى.

فإن قيل: إنَّ الرَّسول ﷺ لما قال: «**لَا عَدْوَى**» قال رجل: يا رسول الله، أرأيت الإبل تَكون في الرمال مثل الظباء فيَدخُلها الجمل الأجرب فتَجرَب؟ فقال

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب لا هامة، رقم (٥٧٧٠)، ومسلم: كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة، رقم (٢٢٢١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

النَّبيّ ﷺ: «**فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ؟!**»[١].

فالجواب: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أشار بقوله: «**فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ**» إلى أنَّ المرض انتَقل من المريضة إلى هذه الصَّحيحات بتَدبير الله عَزَّوَجَلَّ، فالمرض نَزَل على الأوَّل بدون عدوَى، بل نزل مِن عند الله عَزَّوَجَلَّ، والشَّيء قد يَكون له سبب معلوم، وقد لا يَكون له سبب معلوم، وجرَب الأوَّل ليس مَعلومًا إلا أنَّه بتقدير الله تعالى، وجَرَب الذي بعده له سبب معلوم، ولو شاء الله تعالى ما جَرِب.

ولهذا أحيانًا: تُصاب الإبل بالجرَب ثم يَرتَفِع ولا تموت، وكذلك الطَّاعون والكوليرا أمراض مُعدِية، قد تَدخُل البيت فتُصيب البعض فيَموتون، ويَسلَم الآخرون ولا يُصابون، فالإنسان يَعتمِد على الله ويَتوكَّل عليه، وقد جاء أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَدِمَ عليه رجلٌ مجذوم، فأخذ بيَدِه وقال له: «**كُلْ**»[٢]، أي: مِن الطعام الذي كان يَأكُل منه الرَّسول ﷺ، لقوَّة تَوكُّله ﷺ، فهذا التَّوكُّل مُقاوِم لهذا السَّبب المعدي.

وهذا الجمع الذي ذكَرنا أحسنُ ما قيل في الجمع بين الأحاديث، وادَّعى بعضهم النَّسخَ، وهذه الدَّعوى غير صحيحة؛ لأنَّ مِن شرط النَّسخ تعذُّرَ الجمع، وإذا أمكن الجمع وَجَبَ؛ لأنَّ فيه إعمالَ الدَّليلَين، وفي النَّسخ إبطال أحدهما، إعمالهما أولى من إبطال أحدهما؛ لأنَّنا اعتبرناهما وجعلناهما حُجَّة، لكن لكلٍّ واحد منهما وَجْهٌ لا يُعارِض الآخر. والله الموفِّق.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب لا صفر، رقم (٥٧١٧)، ومسلم: كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة، رقم (٢٢٢٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الطب، باب في الطيرة، رقم (٣٩٢٥)، والترمذي: كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الأكل مع المجذوم، رقم (١٨١٧)، وابن ماجه: كتاب الطب، باب الجذام، رقم (٣٥٤٢)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

س(٤٠١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل العين تُصيب الإنسان؟ وكيف تُعالَج؟ وهل التَّحرُّز منها يُنافي التَّوكُّل؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: رأيْنا في العين أنَّها حقٌّ ثابِت شرْعًا وحِسًّا، قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [القلم:٥١]، قال ابن عباس وغيره في تفسيرها: أي: يعينوك بأبصارهم.

ويقول النَّبيُّ ﷺ: «**العَيْنُ حقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ القَدَرَ سَبقَتِ العَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا**»(١)، رواه مسلم.

ومن ذلك ما رواه أحمد وابن ماجه أنَّ عامِر بن ربيعةَ مرَّ بسهل بن حُنَيف وهو يَغتسِل فقال: لم أرَ كاليوم ولا جِلْد مُخبَّأة. فما لبِث أن لُبِطَ به فأُتِي به رسول الله ﷺ، فقيل له: أَدرِك سهلًا صريعًا، فقال: «مَنْ تَتَّهِمُونَ؟» قالوا: عامر بن ربيعةَ. فقال النَّبيُّ ﷺ: «**عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ لَهُ بِالبَرَكَةِ**»، ثم دعا بماء، فأمَر عامرًا أن يَتوضَّأ فيَغسِل وجهه ويديه إلى المِرفَقين ورُكبتيه وداخلةَ إزاره، وأمَره أن يَصُبَّ عليه(٢)، وفي لفظ: «**يُكْفَأُ الإِنَاءُ مِنْ خَلْفِهِ**»(٣).

والواقع شاهد بذلك ولا يُمكِن إنكاره.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب الطب والمرضى، رقم (٢١٨٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٦)، وابن ماجه: كتاب الطب، باب العين، رقم (٣٥٠٩)، من حديث أبي أمامة بن سهل، وعند أحمد: أبو أمامة عن أبيه.

(٣) لفظ ابن ماجه رقم (٣٥٠٩).

وفي حال وُقوعها تُستعمَل العلاجات الشَّرعية وهي:

١- **القراءة:** فقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ**»[١]، وقد كان جبريلُ يَرقِي النَّبيَّ ﷺ فيقول: «**بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ**»[٢].

٢- **الاستِغسال:** كما أَمَر به النَّبيُّ ﷺ عامرَ بن ربيعة في الحديث السَّابِق، ثم يَصُب على المُصاب.

أمَّا الأَخْذ مِن فضلاته العائدة من بَوله أو غائطه فليس له أصل، وكذلك الأخذ من أثَره، وإنَّما الوارِد ما سبق من غَسْل أعضائه وداخلةِ إزاره، ولعلَّ مثلها داخلة غُترته وطاقيته وثوبه، والله أعلم.

والتَّحرُّز مِن العين مُقدَّمًا لا بأس به، ولا يُنافي التَّوكُّل، بل هو التَّوكُّل؛ لأنَّ التَّوكُّل الاعتماد على الله سبحانه مع فِعْل الأسباب التي أَباحها أو أمَر بها، وقد كان النَّبيُّ ﷺ يُعوِّذُ الحسَن والحسين ويقول: «**أُعِيذُكُما بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**»، ويقول: «**هَكَذَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُعوِّذُ إِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ**»، رواه البخاري[٣].



---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب من اكتوى، رقم (٥٧٠٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب رقم (٢٢٠)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب الطب والمرض، رقم (٢١٨٦)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، رقم (٣٣٧١)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

س(٤٠٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: اختَلَف بعض النَّاس في العَين فقال بعضهم: لا تُؤثِّر لمُخالَفتها للقرآن الكريم، فما القول الحقُّ في هذه المسألة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: القول الحقُّ ما قاله النَّبيُّ ﷺ: وهو: «**إِنَّ العَيْنَ حَقٌّ**»(١)، وهذا أمر قد شهِد له الواقع، ولا أَعلَم آياتٍ تُعارِض هذا الحديث حتى يَقول هؤلاء: إنَّه يُعارِض القرآن الكريم، بل إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد جعَل لكلِّ شيء سببًا، حتى إنَّ بعض المُفسِّرين قالوا في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ [القلم:٥١]، قالوا: إنَّ المراد هنا: العين.

ولكن على كل حال سواء كان هذا هو المراد بالآية أم غيره، فإنَّ العين ثابتة، وهي حَقٌّ ولا ريبَ فيها، والواقع يَشهَد لذلك منذ عهد الرَّسول ﷺ إلى اليوم.

ولكن من أُصيب بالعين، فماذا يَصنَع؟

والجواب: يُعامَل بالقراءة، وإذا عَلِم عائِنه فإنَّه يَطلُب منه أن يَتوضَّأ ويُؤخَذ ما يَتساقَط من ماء وُضوئه، ثم يُعطى للمعيون يُصَبُّ على رأسه وعلى ظهره ويُسقى منه، وبهذا يُشفى بإذن الله، وقد جرَتِ العادة عندنا أنَّهم يَأخُذون من العائن ما يُباشِر جسمه مِن اللِّباس مثل الطَّاقية وما أشبه ذلك، ويربصونها بالماء ثم يَسقونها المصاب، ورَأينا ذلك يُفيده حسْبما تَواتَر عندنا مِن النُّقول، فإذا كان هذا هو الواقع فلا بأس باستِعماله؛ لأنَّ السَّبب إذا ثَبَت كونه سببًا شرْعًا أو حِسًّا فإنَّه يُعتبَر صحيحًا.

أمَّا ما ليس بسبب شرعيٍّ ولا حسِّيٍّ، فإنَّه لا يَجوز اعتِماده، مثل: أولئك

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب العين حق، رقم (٥٧٤٠)، ومسلم: كتاب السلام، باب الطب والمرضى، رقم (٢١٨٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الذين يَعتمِدون على التَّمائم ونحوها يُعلِّقونها على أنفسهم؛ ليَدفَعوا بها العين، فإنَّ هذا لا أَصْل له، سواء كانت هذه من القرآن الكريم، أو من غير القرآن الكريم، وقد رخَّص بعض السَّلف في تَعليق التَّمائم إذا كانت من القرآن الكريم ودَعَتِ الحاجة إليها.

س(٤٠٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل الإصابة بالعين حقيقة، نَرجو تَوضيحَ ذلك؟ وكيف نُعالِج هذه الإصابة بالآيات القرآنية؟ وما هذه الآياتُ وفَّقكمُ الله؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الإصابة بالعين حقيقة دَلَّ عليها القرآن والسُّنَّة.

أمَّا القرآن: فإنَّه ذهب بعض المُفسِّرين إلى أنَّ معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾ [القلم:٥١] أنَّ المراد بها: العين.

وكذلك أيضًا قول الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥]، فقد ذهَب كثير من أهل العِلْم أنَّ المراد بها: العين.

وأمَّا السُّنَّة: فقد ثبَت ذلك عن النَّبيِّ ﷺ حينما قال: «**العَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ سَبَقَ القَدَرَ شَيْءٌ لَسَبَقَتْهُ العَيْنُ**»[1]، فهذا نصٌّ صريح.

ثم إنَّ الواقع يَشهَد لذلك أيضًا، ولا حاجة إلى سرْد الوقائع المعلومة لنا في هذا المَقام، لكنَّها مَعلومة عند جميع الناس.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب العين حق، رقم (٥٧٤٠)، ومسلم: كتاب السلام، باب الطب والمرضى، رقم (٢١٨٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وخير وقاية منها نوعان:

أحدهما: وقاية دافِعة.

والثَّاني: وقاية رافِعة.

أمَا الوقاية الدَّافِعة فهو: أنَّ الإنسان يَستعمِل الأَوراد الواقية من العين وغيرها مثل آية الكُرسيِّ، حيث قال الرَّسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيها: «**مَنْ قَرَأَهَا فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ**»[1]، ومثل ألا يظهر لمن اتُّهِم بالعين بمَظهَر يُخشى منه أن يُثير هذا العائن.

وأمَّا الأسباب الرَّافعة: فمنها أن يُؤمَر العائن بالاغتسال، ويُؤخَذ ما تَناثَر مِن الأعضاء أو بالوضوء، فيُؤخَذ ما تَناثَر من أعضائه فيُصَبُّ على رأس المصاب وعلى ظهره ويَشرَب منه، وحينئذٍ تَزول العين بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

س(٤٠٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل هناك آياتٌ قرآنية خاصَّة يُرقَى بها مَن أصابته العين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا أَعرِف في هذا شيئًا، ولكن كما ذكَرنا في الجواب السَّابق بقراءة آية الكُرسيِّ.



(١) أخرجه البخاري: كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلًا، رقم (٢٣١١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٤٠٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما الواجب على من عرَف مِن نفسه أنَّه يُصيب النَّاس بالعين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: يَنبغِي لمن عرف مِن نفسه أنَّه عائن أن يُكثِر التَّبْرِيكَ إذا رأى ما يَسرُّه، فيقول: تَبارَكَ الله ما شاء الله[(١)]، وما أَشبَه هذا؛ لأنَّ ذلك من أسباب الوقاية.

س(٤٠٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: كيف يَتَّقِي الإنسانُ العينَ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: العين حقٌّ ولا شكَّ فيها، ولكن للعين أَشياء تَقِي منها: دافِعة، ورافِعة.

أمَّا الأشياء الدَّافِعة: فأن يُكثِر الإنسان من الأوراد التي جاءت بها السُّنَّة مثل: قِراءة آية الكرسيِّ، والآيتين مِن آخِر سورة البقرة، وسورة الإخلاص، والفلَق، والنَّاس.

ومنها: إذا رأى أَحَدًا يَخاف عَينَه يَقول: اللَّهُمَّ إنَّا نَجعلُك في نُحورهم، ونَعوذ بك من شُرورهم.

ومنها: إذا كان الإنسان من الذين يُؤذون النَّاس، ويَعرِف من نفسه أنَّه عائن فإنَّه إذا رأى ما يُعجِبه يَقول ما أَمَر به عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في قوله ﷺ: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ لَهُ بِالبَرَكَةِ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٦)، وابن ماجه: كتاب الطب، باب العين، رقم (٣٥٠٩)، من حديث أبي أمامة بن سهل، وعند أحمد: أبو أمامة عن أبيه.

(٢) انظر التخريج السابق.

أمَّا مُعالَجَة العين بعد وُقوعها، وهو دَفْعها، فله أسباب:

منها: القراءة على الشَّخص المصاب بالعين.

ومنها: أن يُؤمَر العائن بأن يَتوضَّأ، ويُؤخَذ مما يَتناثَر من وضوئه فيُصبُّ على المُصاب ويَشرَب منه، فإنَّ هذا من أسباب ارتِفاع أثر العين عن المصاب بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

س(٤٠٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عمَّا يَفعَله بعض النَّاس خوفًا مِن العين فيَطلُب من النَّاس أن يَذكُروا الله، وعن علاج العين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: مِن الواضِح جدًّا في عهدنا القريب أنَّ النَّاس كثُر فيهم الأوهام والوساوس، فإذا أُصيبوا بشيء عادِيٍّ قالوا: هذا جِنٌّ، أو عَين، أو سِحْر، ونحن لا نُنكِر أنَّ الجنَّ قد يُسلَّط على الإنسي ويَتلبَّس به، ولا نُنكِر أنَّ الإنسان قد يُصاب بالعين، ولا نُنكِر أنَّ الإنسان يُسحَر، ولكنَّنا نُريد أن لا يكون هذا وهمًا بين النَّاس.

فإذا قدِّر: أن أحدًا أُصيب بذلك -نَسأل اللهَ لنا ولإخواننا المسلمين العافيةَ- فإنَّه يُبحَث عن علاج السِّحْر.

وعلاج السِّحر: أن يُنقَض، بأن يُعثَر عليه ثم يُتلَف.

وعلاج العين: أن يُطلَب من العائن أن يَغتسِل، ويُؤخَذ الماء الذي يَتناثَر من غسله، ويُعطَى المريض شُرْبًا ورَشًّا على بدَنه[1]، وهذا من العلاج.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٦)، وابن ماجه: كتاب الطب، باب العين، رقم (٣٥٠٩)، من حديث أبي أمامة بن سهل، وعند أحمد: أبو أمامة عن أبيه.

وعلاج الجِنِّ: بِقِراءة الآيات التي يُطرَد بها الجِنَّ، مثل آية الكرسي، وسورة الإخلاص، والفلق، والناس، ومثل بعض آيات سورة الجِنِّ، مع الاستِعانة بالله عَزَّوَجَلَّ والتَّوكُّل عليه والاعتِماد عليه، والاعتِقاد أنَّ كلامه جلَّ وعلا شِفاءٌ لما في الصُّدور، نَسأَل اللهَ لنا ولإخواننا السَّلامة مِن شَرِّ أنفسنا ومِن شَرِّ ما خَلَق.

س(٤٠٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل هناك رُقية شرْعية تُعمَل لمن أُصيب بالعين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الإصابة بالعين دَواؤها أن يُؤمَر العائن بأن يَغتسِل، وما تَساقَط من الماء الذي اغتَسَل به يَستشفِي به المُصاب أو يَتوضَّأ ويَغسِل مَغَابِنَه، وما تَناثَر منه يُؤخَذ إلى المصاب بالعين ويَستشفِي به، بدليل أنَّ النَّبيَّ ﷺ أمر عامرَ بنَ ربيعةَ أن يَتوضَّأ فيَغسِل وجهه ويديه إلى المرفقين ورُكبتيه وداخلةَ إزاره، وأمر ﷺ أن يُصَبَّ على سهل بن حُنَيف[1]، فإذا فعل المصاب بالعين ما جاءت به السُّنَّة فإنَّه بإِذْن الله يَبرَأ من إصابته بالعين.

س(٤٠٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما هو العلاج الشرْعيُّ لمَن أُصيب بالعين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: العلاج الشرعيُّ لمن أُصيب بالعين له حالان:

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٦)، وابن ماجه: كتاب الطب، باب العين، رقم (٣٥٠٩)، من حديث أبي أمامة بن سهل، وعند أحمد: أبو أمامة عن أبيه.

الحال الأُولى: أن لا يَعرِف مَن أصابه بالعين، فعِلاجه بكثرة قِراءة القرآن، ومِن ذلك قراءة سورة الفاتحة، وآية الكرسيِّ، وسورة الإخلاص، والفلق، والنَّاس، ويَقرَأ مثل قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس:٥٧]، إلى غير ذلك مِن الأدعية المناسبة.

الحال الثانية: إذا كان يَعرِف مَن أصابه بالعين، فلْيَفعَل ما أمر به النَّبيُّ ﷺ العائن[١]؛ أن يَغتسِل أو يَتوضَّأ، ويُؤخَذ الماء الذي يَتناثَر منه ويُسقَى المريض أو يُصبُّ على رأسه وعلى ظهره حتى يُشفى.

وقد كان بعض النَّاس يُتَّهَم بأنَّه أَصاب أَخاه بالعين، إمَّا لكلمة قالها، أو قرينة تَدلُّ على ذلك، فيأتي إليه المصاب أو أهله يَطلُبون منه أن يَستغسِل بالوضوء أو بالغُسْل، فيَنفرُ منهم ويَسُبُّهم ويَشتُمهم ويأبى أن يُطيع، وهذا خطأ؛ لأنَّه ربما يَكون الأمر واقِعًا، فإن كان واقِعًا حصل دفع الأذيَّة التي حصلت منه بفِعْله بنفسه، وإن لم يَكن واقِعًا فإنَّه لا يَضرُّه؛ لأنَّه إذا لم يُشفَ المريض بذلك عِلم أنَّه لم يُصِبه بالعين، وإذا شُفي بذلك عُلِم أنَّه أصابه، وسلِم مِن أذيَّة أخيه ومن العقوبة التي تَترتَّبُ على ذلك إذا كان هو الذي أصابه، وهذا لا يَضرُّه.

لكن بعض النَّاس -والعياذ بالله- تَأخُذه العِزَّة بالإثْم ويَأبى، ويقول: هل أنا عائِن؟ وما أَشبَه ذلك، وهذا خطأ، بلِ انفَعْ أخاك، إن كانتِ العين منك فتكون قد تَخلَّصت منها وشَفى الله صاحِبك، وإن لم تَكُن مِنك فإنَّه لا يَضرُّك ولم يَنفَعه ما

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٦)، وابن ماجه: كتاب الطب، باب العين، رقم (٣٥٠٩)، من حديث أبي أمامة بن سهل، وعند أحمد: أبو أمامة عن أبيه.

أَخَذ منك، وحينئذٍ يَعرِف أَنَّك بريءٌ مِن العين.

س(٤١٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما صِحَّة الحديث: «العَيْنُ حَقٌّ»[1]؟ وإن كانت كذلك فما هو العلاج الذي يَسلُكه المُؤمِن لاتِّقاء العين؟ وكيف تُصيب العينُ الإنسانَ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الحديث الذي ذكَره السَّائل صحيح، والواقع يَشهَد بأنَّ العين حقٌّ.

والعين: عبارة عن: صدور شيء من نفْس حاسد يَحسُد النَّاس على ما آتاهم الله مِن فَضْله، فالعائن شِرِّير لا يُريد من النَّاس أن يَتمتَّعوا بنِعَم الله، فإذا رأى في شخص نِعمة أنعم الله بها عليه، فإنَّ هذا الحسد الكامن في نفسه يَنطلِق حتى يُصيب ذلك المُتنَعِّم بنِعَم الله عَزَّوَجَلَّ.

والطَّريق إلى الخلاص من العين: بالنسبة للعائن أن يُبرِّك على مَن رآه مُتنعِّمًا بنِعَمِ الله فيَقول: اللَّهُمَّ بارِك على فلان، وما أَشبَهها مِن الكلمات التي تَطمئِنُّ نفسه وتَكبِت ما فيها من حسَد.

وأمَّا بالنِّسبة للرَّجل الخائف من العين فإنَّ العلاج لذلك: أن يُكثِر من قراءة الأوراد صباحًا ومساءً، كآية الكرسي، وسورة الإخلاص، وسورة الفلق، وسورة الناس، وغيرها مما جاءت به السُّنَّة، وهذا علاج للوقاية منها قبل الإصابة.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب العين حق، رقم (٥٧٤٠)، ومسلم: كتاب السلام، باب الطب والمرضى، رقم (٢١٨٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

أمَّا العلاج بعد أن يُصاب بها: فإنَّه يُؤخَذ من وضوء العائن أو مما يَغتسِل به من الماء فيُصبُّ على المصاب بالعين أو يَحثُو منه، فإذا فعل ذلك فإنَّه يَبرَأ منها بإذن الله، فيُؤمَر العائن بأن يَتوضَّأ أو يَغتسِل ويُؤخَذ ما تَناثَر من مائه ويُصبُّ على المصاب أو يَحثو منه أو يُجمَع بين الأمرين، وبذلك يَزول أثَر العين بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

س(٤١١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل تَدخُل الغِبْطَةُ في الحسَد؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الغِبطة لا تَدخُل في الحسد؛ لأنَّ الحاسد يَكرَه نِعمة الله على غيره، وقد يَتمنَّى زوال نِعْمة الله على غيره.

والغابط يَغبِط هذا الرَّجل بنعمة الله عليه، ولكنَّه لا يَتمنَّى زوالها.

س(٤١٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما هو السِّرُّ في قول: ما شاء الله تبارك الله. عند رُؤية ما يُعجِبك؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: السِّرُّ في ذلك ألا يَقَع من هذا المُشاهِد عين تُصيب المشهود؛ لأنَّ النُّفوس قد يَقَع منها ما لا يَجوز، فإذا رأى الإنسان ما يُعجِبه وخاف من حسد العين فإنَّه يَقول: ما شاء الله تَبارك الله؛ حتى لا يُصاب المشهود بالعين، وكذلك إذا رأى الإنسان ما يُعجِبه في ماله فلْيَقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله؛ لئلا يُعجَب بنفسه وتَزهو به نفسه في هذا المال الذي أَعجَبه، فإذا قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله. فقد وَكَل الأمر إلى أهله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.



س(٤١٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عما يَفعَله بعض النَّاس عندما يرى مَن يَنظُر إليه وهو يَأكُل يَرمِي قِطعة على الأرض خوفًا مِن العين، فما حُكْم هذا العمل؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا اعتِقاد فاسد، ومُخالِف لقول النَّبيِّ ﷺ: **«إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ مَا بِهَا مِنَ الأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا»**(١).

س(٤١٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عندما يَقوم النَّاس بتَعديل ثِمار النَّخيل على سعفها يَضعون بعض لِيف النَّخيل في الثِّمار الكبيرة حتى لا يَراها النَّاس، فهل يُعتبَر هذا من الشِّرْك -والعياذ بالله-؟ وهل تَجوز الصَّلاة خلف هؤلاء، مع العِلْم بأنَّني لا أَتمكَّنُ مِن المحافَظة على الجماعة إن لم أُصَلِّ خلفهم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ليس هذا مِن الشِّرْك إذا كانوا يُغطُّونها بهذا الليف خوفًا مِن العين؛ لأنَّ أَعين الحاسِدين إنَّما تَنصَبُّ على الشَّيء الفائِق، فإذا أُخفِي هذا الشَّيء لم يكُن فائقًا في أعينهم، فيَكون سببًا لَمنع العين، والسَّبب إذا كان مَشروعًا أو محسوسًا فإنَّ ممارَسته لا تُعَدُّ من الشِّرك؛ لأنَّ الأمور التي جَعَلها الله أسبابًا بها أَوحَى من شرْعه، أو بما علِم النَّاس من قدَره، فإنَّها تكون أسبابًا شرعيَّة وممارَستها ليست شِرْكًا، وعلى هذا فالصَّلاة خلف هؤلاء ليس فيها بأس.



(١) أخرجه مسلم: كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع، رقم (٢٠٣٣)، من حديث جابر ابن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



الكفر والتكفير

س(٤١٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل إنكار الخالق كُفْر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الظَّاهر أنَّ هذا السُّؤال كمَن يَسأَل: هل الشَّمس شَمْس؟ وهل اللَّيل ليل؟ وهل النَّهار نهار؟

فمَنِ الذي يُشكِل عليه أنَّ مُنكِر الخالِق لا يَكون كافرًا؟! مع أنَّ هذا -أعني: إنكار الخالق- ما وُجِد فيما سلف من الإلحاد، وإنَّما وُجِد أخيرًا، وكيف يُمكِن إنكار الخالق والأدلَّة على وجوده جلَّ وعلا أَجلَى من الشَّمس؟!

وَكَيْفَ يَصِحُّ فِي الأَذْهَانِ شَيْءٌ   إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ[1]؟!

وأدِلَّة وجود الخالِق -والحمد لله- موجودة في الفِطَرِ والعقول، والشَّاهد، والمحسوس، ولا يُنكِره إلَّا مُكابِر، بل حتى الذين أنكَروه قلوبهم مُطمئنَّةٌ بوجوده، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]، وقال جلَّ ذِكْره عن موسى وهو يُناظِر فِرعونَ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء:١٠٢]، ثم إنَّ هؤلاء الذين يُنكِرون الخالق هم في الحقيقة مُنكِرون لأنفسهم؛ لأنَّهم هم الآنَ يَعتقِدون أنَّهم ما أَوجَدوا أنفسهم، ويَعلَمون ذلك، ويَعتقِدون أنَّه ما أَوجَدتهم أُمَّهاتهم، ولا أَوجَدهم آباؤهم، ولا أَوجَدهم أحدٌ

(١) البيت للمتنبي؛ ديوانه (٣/ ٢١٥/ شرح البرقوقي).

إلا ربُّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور:٣٥]، وتَعجَّب جُبير بن مُطعم -على أنَّه لم يُؤمِن حينئذٍ- بعد أن سمِع هذه الآية يَقرؤُها النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «كَادَ قَلْبِي يَطِيرُ»[1] من كونها دليلًا قاطعًا ظاهرًا على وجود الخالِق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهؤلاء المُنكِرون للخالق إذا قيل لهم: مَن خلق السَّموات والأرض؟ ما استَطاعوا سبيلًا إلا أن يَقولوا: الذي خلَقها الله؛ لأنَّها قطعًا لم تَخلُق نفسها، وكل موجود لا بدَّ له من مُوجِد واجب الوجود، وهو الله. لو أنَّ أحدًا من النَّاس قال: إنَّ هذا القصر المَشيد المُزيَّن بأنواع الثَّريات الكهربائية وغيرها، إنَّه بَنَى نفسه. لقال النَّاس: إنَّ هذا أَمْر جنونيٌّ، ولا يُمكِن أن يكون. فكيف بهذه السَّموات والأرض، والأفلاك والنجوم السَّائرة على هذا النِّظام البديع الذي لا يَختلِف منذ أن خَلَقه الله عَزَّوَجَلَّ إلى أن يَأذَن الله بفَناء هذا العالم؟! وأَعتقِد أنَّ الأمر أَوضَح من أن يُقام عليه الدَّليل.

وبِناءً على ذلك فإنَّه لا شَكَّ أنَّ من أَنكَر الخالِق فإنَّه مُختلُّ العقل، كما أنَّه لا دِين عنده، وأنَّه كافِر لا يَرتاب أَحَدٌ في كُفْره.

وهذا الحُكْم يَنطبِق على المُقلِّدين لهذا المَذهَب الذين عاشوا في الإسلام؛ لأنَّ الإسلام يُنكِر هذا إنكارًا عظيمًا، ولا يَخفى على أحد من المسلمين بُطلانُ هذا الفِكْر وهذا المذهب، وليسوا مَعذورِين؛ لأنَّ لديهم من يُعلِّمهم، بل هم لو رَجَعوا إلى فِطَرِهم ما وَجَدوا لهذا أصلًا.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب سورة ﴿وَالطُّورِ﴾، رقم (٤٨٥٤)، من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٤١٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: مِن أفكار الملاحدة أنَّ الكون أَوجَد نفسه، ثم ما زال يَتطوَّر حتى كان كما هو عليه الآنَ، واستَدلُّوا على هذا بالميكروبات والطُّفيليات التي تَتكوَّن في الأشياء المُتعفِّنة من غير أصل لها، فبماذا نَرُدُّ عليهم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نَرُدُّ على هؤلاء بما ذكَره الله تعالى في سورة الطُّور: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾ [الطور:٣٥].

فنَسألهم أولًا: هل هم مَوجودون بعد العدَم؟ أو مَوجودون في الأزل وإلى الأبَد؟

والجواب بلا شكٍّ: أن يَقولوا: نحن موجودون بعد العدَم، كما قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان:١].

فإذا قالوا: نحن مَوجودون من العدم. قلنا: مَن أَوجَدكم؟

هل أَوجَدكم أبوكم، أو أُمُّكم، أو وُجِدتم هكذا بلا مُوجِد؟ سيقولون: لم يُوجِدنا أبونا ولا أُمُّنا؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة:٥٨-٦١].

فإذا قالوا: وُجِدنا مِن غير مُوجِد.

فنقول لهم: هذا مُستَحيل في العقل؛ لأنَّه ما من حادِث إلا وله مُحدِث، وحينئذٍ يَتعيَّن أن يكون حدوثهم بمُحدِث، وهو: الله عَزَّوَجَلَّ الواجب الوجود. وكذلك يُقال في السَّموات والأرض، نقول: من أَوجَد السمواتِ والأرضَ؟

والجواب: هو الله عَزَّوَجَلَّ، لكن السموات والأرض كانت ماءً تحت العرش، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧]، فخَلَق الله عَزَّوَجَلَّ السمواتِ والأرضَ من هذا الماء، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠]، أي: فَصَلْنَا ما بينهما ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ فهذا جواب على هؤلاء الملاحدة، فإن أَبَوْا إلا ما كانوا عليه فهم مُكابِرون ويَحِقُّ عليهم قولُ الله تعالى في آلِ فرعونَ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤].

س(٤١٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل يَجوز أن نُطلق على شخص بعينه أنَّه كافِر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نَعَم، يَجوز لنا أن نُطلِق على شخص بعينه أنَّه كافِر إذا تَحقَّقت فيه أسباب الكُفْر، فلو أنَّنا رأينا رَجُلًا يُنكِر الرسالة، أو رَجُلًا يُبيح التَّحاكُم إلى الطَّاغوت، أو رجلًا يُبيح الحُكْم بغير ما أَنزَل الله، ويَقول: إنَّه خير مِن حُكْم الله بعد أن تَقوم الحُجَّة عليه، فإنَّنا نَحكُم عليه بأنَّه كافِر، فإذا وُجِدت أسباب الكفر وتَحقَّقتِ الشُّروط وانتَفَتِ الموانع، فإنَّنا نُكفِّر الشَّخص بعينه ونُلزِمه بالرُّجوع إلى الإسلام أو القَتْل. والله أعلم.



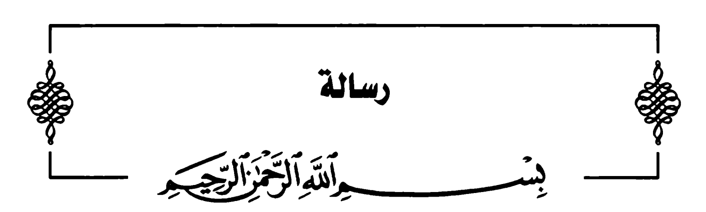
س(٤١٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل يَجوز إطلاق الكُفْر على الشَّخص المُعيَّن إذا ارتكب مُكفِّرًا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إذا تمَّت شروط التَّكفير في حقه جاز إطلاق الكُفْر عليه بعَيْنه، ولو لم نَقُل بذلك ما انطبق وصف الرِّدَّة على أحَدٍ، فيُعامَل مُعامَلة المُرتَدِّ في الدُّنيا، هذا باعتِبار أحكام الدُّنيا، أمَّا أحكام الآخرة فتُذكَر على العُموم لا على الخُصوص؛ ولهذا قال أهل السُّنَّة:

لا نَشهَد لأحد بجَنَّة ولا نار إلا لمن شهِد له النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذا نَقول: مَن صام رمضانَ إيمانًا واحتِسابًا غُفِر له ما تَقدَّم مِن ذَنْبه وما تَأَخَّر، ولكن لا نَحكُم بهذا لشخص مُعيَّن، إذ إنَّ الحُكْم المُعلَّق بالأوصاف لا يَنطبِق على الأشخاص إلا بتَحقُّق شروط انطباقه وانتِفاء مَوانِعه.





فضيلةَ الشَّيخِ/ محمد بن عُثَيْمين سلَّمه الله.

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أَبعَث لفضيلتكم -وفقكم الله- عما جاء في نَصيحتكم حول خَطَر الدّشِّ من قولكم -رعاكم الله-: «وسوف يُحرَم مِن الجنَّة...»، فقد حصَل إشكال لدى بعض الإخوة، فنأمَل مِن فضيلتكم التَّوضيح، جزاكم الله خيرًا، وبارك في أعمالكم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

وعليكم السَّلام ورحمة الله وبركاته.

الشَّهادة بالجنَّة نوعان:

شهادة لمُعيَّن بشخصه فهذه لا تَجوز إلَّا لَمن شهِد له النَّبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، مثل أن يقول: أبو بكر الصديق في الجَنَّة، فهذه شهادة حقٌّ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ شهِد له، وأمَّا إذا قلت: فلان في الجنَّة. ولم يَشهَد له النَّبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فهذا لا يَجوز.

والنوع الثَّاني: شهادة لمُعين بوصفه، فهذه جائزة إذا كان الوصف مما عُلِّق عليه دخول الجنَّة، مثل أن يَقول: كل مُتَّقٍ لله تعالى فهو في الجنَّة، لكن لو قلت في شخص معروف بالتَّقوى: هذا من أهل الجنَّة. كان غير جائز.

ومثله الشَّهادة بالنَّار هي نوعان:

شهادة لشخص بعينه فلا تَجوز إلا لمن ثَبَتت له بالكتاب أو السُّنَّة، كأبي لهب وأبي طالب.

والثاني: شهادة لُمعيَّن، فهذه جائزة بالوصف كأن تَشهَد لكل كافر بالنَّار، لكن لو قلت لكافر مُعيَّن: إنَّه في النَّار، كان غير جائز إذا لم يَثبُت ذلك في الكتاب أو السُّنَّة، ومثل ذلك الوعد والوعيد على نوعين:

مُعيَّن بوصفه.

ومُعيَّن بشخصه.

وما ذكرناه في خُطبتنا عن الدّشوش هو مِن الُمعيَّن بوصفه، فهو كقول النَّبيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً** ...»(١) إلخ.

ولا نَجزِم لشخص مُعيَّن أن يَتناوَله هذا الوعيد؛ لأنَّه يُمكِن أن يَغفِر الله، لكنَّنا نَخشَى عليه؛ فلا نَقول: زيد الذي خلف لأهله الدّشَّ قد حرَّم الله عليه الجنَّة.

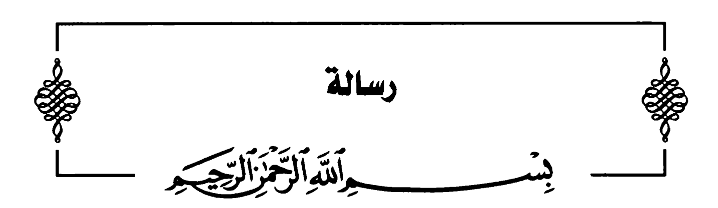
هذا والله يحفظكم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبه محمد الصَّالح العُثَيْمين

في ٢٦/ ٦/ ١٤١٧هـ.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأحكام، باب من استرعي رعية فلم ينصح، رقم (٧١٥٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، رقم (١٤٢)، من حديث معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



صاحبَ الفضيلةِ الشَّيخَ/ محمد بن صالح العُثَيْمين، حفظه الله.

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته... أما بعد:

فأَرفَع لفضيلتكم أنَّ أحدَ الإخوان أَحضَرَ صورتين[1] لفَتوى فضيلتكم في صحن استقبال الفضائيات المسمَّى الدّش، وقد ظهر اختِلاف بينهما.

لذا أَرجو أن تَتفضَّلوا بالاطِّلاع وإزالة الغُموض الحاصل في إحداهما، جعل الله ذلك في مِيزان حسناتكم، وبارك في جهودكم، ونَفَعنا والمسلمين عامَّة بعُلومكم، إنَّه سميع مجيب، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وعليكم السَّلام ورحمة الله وبركاته.

النُّسخة الأخيرة هي المُعتَمدة، وستَأتيكم -إن شاء الله- مع كتابي هذا، وإنَّما عدَّلنا فيها؛ لأنَّ بعض النَّاس فهم مِن الأولى أنَّ من خَلَّفَ الدّشَّ لأهله حُرِمَ دخول الجنَّة بعَيْنه، والحُكْم على الشَّخص بعينه في نُصوص الوعد أو الوعيد لا يَجوز إلا لمَن شهِد الله أو رسوله، كما هو معلوم عند أهل السُّنَّة والجماعة.

---

(١) انظر نص الفتوى الأولى التي صدرت عن فضيلة شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتاريخ ٢٨/ ٣/ ١٤١٧هـ، ونص الأخرى بعد تعديل شيخنا -رحمه الله تعالى- في ٢٧/ ٦/ ١٤١٧هـ في الصفحات التالية. والله الموفق.

وتقرير ما ذكَرناه في الأولى، وهي: أنَّ مَن خلف الدّشَّ لأهله، وهو قادِر على مَنْعه فقد مات وهو غاشٌّ لهم، وقد أخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّه ما مِن عبد يَسترعيه الله على رَعيَّة يَموت يَومَ يَموتُ وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرَّم الله عليه الجنَّة(١).

فالرَّجُل قدِ استَرْعاه الله ورسوله على أهله، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم:٦]، وقال النَّبيُّ ﷺ: «**الرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(٢).

ومَن تَرَكَ مثل هذه الآلة عند أهله، وكان هو الذي أتى بها، أو مَكَّن أهله من ذلك مع قُدْرته على منعهم، ومع علمه بما يُشاهِدونه من المُنكَرات العظيمة، فهل هو ناصح لهم أو غاشٌّ لهم؟

الجواب: أنَّه غير ناصِح لهم، بل غاشٌّ لهم، ولا أَظُنُّ أحدًا يَقول: إنَّه ناصِح.

وبهذا تَنطبِق عليه الأوصاف التي جاءت في الحديث، ويَستحِقُّ الوعيد الذي رُتِّب عليها، ولكن لا نَحكُم بهذا على شخص مُعيَّن بعينه؛ لأنَّ الله تعالى قد يَغفِر له، أو يَكون له حسنات كثيرة تُمحى بها الخطايا، أو يُغفَر له بدُعاء المُصلِّين عليه، أو دُعاء رجل صالح له، أو نحو ذلك، لكن في مَقام التَّحذير لا تُذكَر مثل هذه التَّخصيصات؛ لأنَّه يُقلِّل مِن هيبة التَّحذير، كما جاء في هذا الحديث، وكما

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأحكام، باب من استرعي رعية فلم ينصح، رقم (٧١٥٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، رقم (١٤٢)، من حديث معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، رقم (٨٩٣)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، رقم (١٨٢٩)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

جاء في آية القتل العمْد، وكما جاء في الوعيد بأنَّه لم يَرِح رائِحة الجَنَّة، وإن كان معه أصل الإيمان، لكن هذه العمومات والإطلاقات تُحمَل على وجوه لا يَحصُل بها تَعارُض من النُّصوص الأخرى؛ لكي تَتلاءَم النصوص ويُصدِّق بعضها بعضًا. وفَّق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبه محمد الصَّالح العُثَيْمين

في ٥/ ٨/ ١٤١٧هـ.



النَّصيحة الأولى حول الدّشّ(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في الآخرة والأولى، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله المصطفى، وخليله المُجتبى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن بهداهم اهتدى وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فهذا بعضٌ مما قاله فضيلةُ الشَّيخِ/ محمد بن صالح العُثَيْمين في التَّحذير مِن اقتِناء صحن استِقبال البَثِّ الإعلاميِّ (الدّشّ) والاحتِفاظ به (في الخُطبة الثانية من يوم الجمعة ٢٥/ ٣/ ١٤١٧هـ).

قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ**»(٢)، وهذه الرِّعاية تَشمَل الرِّعاية الكُبرى الواسعة والرِّعاية الصغرى، وتَشمَل رِعاية الرَّجُل في أهله؛ لقول النَّبيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**الرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(٣).

---

(١) وقد صحح فضيلة شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه النصيحة مرة أخرى وأجرى عليها بعض الزيادات والإيضاح تجدها بعد هذه النصيحة.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأحكام، باب من استرعي رعية فلم ينصح، رقم (٧١٥٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، رقم (١٤٢)، من حديث معقل بن يسار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، رقم (٨٩٣)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، رقم (١٨٢٩)، من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وعلى هـذا فمَن مـات وقـد خلَّف في بيته شيئًا من صحـون الاسـتقبال (الدّشوش) فإنَّه قد مات وهو غاشٌّ لرعيته، وسوف يُحرَم مِن الجنَّة كما جاء في الحديث.

ولهذا نقول: إنَّ أيَّ معصية تَترتَّب على هذا (الدّشِّ) الذي ركَّبَه الإنسان قبل موته فإنَّ عليه وِزْرها بعد موته، وإن طال الزَّمن وكثُرَتِ المعاصي.

فاحْذَر أخي المسلم، احذَر أن تُخلِّف بعدك ما يكون إثمًا عليك في قبرك، وما كان عندك من هذه (الدّشوش) فإنَّ الواجِب عليك أن تَكسِره (تُحطِّمه)؛ لأنَّه لا يُمكِن الانتفاع به إلا على وجه مُحرَّم غالِبًا، لا يُمكِن بَيعُه؛ لأنَّك إذا بِعتَه سَلَّطت المشتريَ على استعماله في معصية الله، وحينئذٍ تَكون ممَّن أَعان على الإثم والعدوان، وكذلك إن وَهَبته فأنت مُعين على الإثم والعدوان.

ولا طريق للتَّوبة من ذلك قبل الموت إلا بتكسير هذه الآلة (الدّشِّ) التي حصل فيها من الشَّرِّ والبلاء ما هو معلوم اليوم للعامِّ والخاصِّ.

احذَرْ يا أخي أن يَفجأَك الموت وفي بيتك هذه الآلة الخبيثة، احذَرْ.. احذَرْ.. احذَرْ، فإنَّ إِثمَها ستَبوء به، وسوف يَجري عليك بعد موتك.

نَسأَل الله تعالى السَّلامة والعافية، وأن يَهدِيَنا وإخوانَنا المسلمين صِراطَه المستقيمَ، وأن يَتولَّانا بعِنايته، وَيَحفظَنا من الزَّلَل برعايته، إنَّه جوَاد كريم، وصلى الله وسلَّم على نبينا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله ربِّ العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا المكتوب حول الدّشوش جُزء مِن الخطبة الثَّانية التي أَلقَيناها يوم الجمعة الخامس والعشرين من ربيع الأول عام ١٤١٧هـ، ولا مانِعَ عندي من نَشْرها، لعلَّ الله تعالى أن يَنفَع بها.

كتبه محمد الصَّالح العُثَيْمين

في ٢٨/ ٣/ ١٤١٧هـ.



النَّصيحة الثانية حول الدّشّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال فضيلةُ الشَّيخِ محمد بن صالح العُثَيْمين في مَعرِض الخطبة الثَّانية ليوم الجمعة الموافق ٢٥/ ربيع الأول ١٤١٧هـ ما نَصُّه:

وهنا مَسألة أُحِبُّ أن أُنبِّه عليها، وهي أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«مَا مِنْ رَجُلٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ عَلَى رَعِيَّةٍ يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ»**[1]، وهذه الرِّعاية تَشمَل الرِّعاية الكبرى العامَّة والرِّعاية الصغرى الخاصَّة، وتَشمَل رِعاية الرَّجُل في أهله، وعلى هذا فمَن مات وقد خلَّف في بيته شيئًا من الدّشوش فإنَّه قد مات وهو غاشٌّ لرعيته؛ لأنَّ إيجاده عندهم أو تَمكينهم منه مع القُدْرة على مَنعهم وهو يَرى أنَّهم يَستَعمِلونه في كل ما يُنقَل فيه، فإذا مات في هذه الحال فقد مات وهو غاشٌّ لهم، فيُخشَى أن يَشمَله الوعيد؛ ولهذا أقول: إنَّ أيَّ معصية تَترتَّب على هذا الدِّشِّ الذي ركَّبه الإنسان قبل موته أو مَكَّن أهله منه مع القُدْرة على منعهم، فإنَّ عليه من وِزْر هذه المعصية نصيبًا وإن طال الزَّمن، وكثُرت المعاصي.

فاحذَرْ أخي المسلم، احذَر أن تُخلِّف بعدك ما يكون إثمًا عليك في قبرك، وما كان عندك من هذه الدّشوش فإنَّ الواجب عليك أن تُكسِّره؛ لأنَّه لا يُمكِن

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأحكام، باب من استرعي رعية فلم ينصح، رقم (٧١٥٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، رقم (١٤٢)، من حديث معقل بن يسار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الانتِفاع به غالبًا إلا على وجه مُحرَّم ولا يُمكِن بيعه؛ لأنَّك إذا بِعتَه سلَّطتَ المشتريَ على استِعماله في معصية الله، وحينئذٍ تَكون ممَّن أَعان على الإثم والعدوان، لا طريق للتَّوبة من ذلك قبل الموت إلا بتكسير هذه الآلة التي حَصَل فيها من الشَّرِّ والبلاء ما هو مَعلوم اليوم للعامِّ والخاصِّ.

احذَرْ يا أخي أن يَفجأَك الموت وفي بيتك هذه الآلة، احذَرْ، احذَرْ، احذَرْ. فإنَّ إِثمَها ستَبوءُ به وسوف يَجري عليك بعد موتك، نَسأل الله السَّلامة والعافية.

اللَّهُمَّ إنا نَسألُك عِلمًا نافعًا، وعمَلًا صالحًا، ورِزقًا طيِّبًا تُغنينا به عمَّن سِواك يا ربَّ العالمين، اللَّهُمَّ يَسِّرنا لليسرى، وجنِّبنا العسرى، واغفِرْ لنا في الآخرة والأولى، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم على عبدِك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وأصحابه ومن تَبعَهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

كتبه محمد الصَّالح العُثَيْمين

في ٢٧/ ٦/ ١٤١٧هـ.



س(٤١٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: مما يُردِّده أعداء الدَّعوة السَّلفية -أهل السُّنَّة والجماعة- وخُصوصًا في هذه البلاد أنَّكم -أي: علماء هذه البلاد- وراء ظاهرة التَّكفير العام والتي ابتُلِيت بها المجتَمَعات، وللأسف وجَدْنا من أبناء هذه البلاد تَعليقًا على الحادثة المُنكَرة التي حدَثت في الرِّياض أنَّ السَّبب هو عُلَماء السَّلف؟

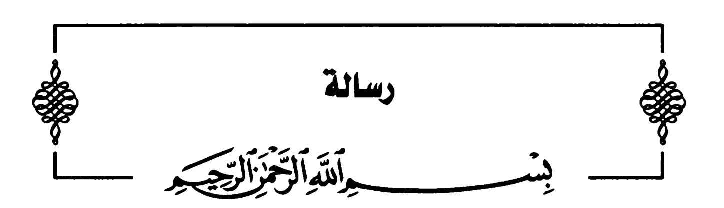
فأَجَابَ بقَوْلِهِ: مُشكلات مُجتَمَعنا كغيره من المُجتَمعات -فيما أَظنُّ- أنَّه إذا حدَث خطأ من شخص يَنتسِب إلى طائفة ما جعَلوا هذا الخطأ لجميع الطائفة، حتى ولو صرَّح بعض هذه الطائفة بأنَّهم بَريئون من هذا العمَل، وأنَّه لا علاقة لهم به، فهم يُلزِمون الطائفة بأن تَكون المسؤولة عن هذا الخطأ الذي حصَل من بعضهم، وهذا غلَط، فالعدل أن يُعطَى كلُّ ذي حقٍّ حقَّه، فمن أَساء فإساءته على نفسه، ومَن أَحسَن فإحسانه لها، وأمَّا أن يُلصَق الخطأ بالجميع إذا أَخطَأ واحد فهذا لا شكَّ أنَّه جَور مخالف للعدل، والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠]، نَعَمْ، لو تَمالَؤوا عليه وباشَره أحدهم أُخِذ الجميع بذلك.

س(٤٢٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: مِن المعروف حفِظكم الله أن عُلَماء السُّنَّة والسَّلَف أَشَد النَّاس في مواجهة المُكفِّرة بغير حقٍّ، لكن وُجِد من يَذكُر أنَّكم أنتم تُجيزون -كما قالوا- ما يَحدُث في الجزائر، ويَنسبون التَّكفير للعلماء من

أمثال سماحة الشَّيخِ عبدالعزيز بن باز وسماحتكم، وهذا مِن باب الافتِراء على أصحاب الفَضيلةِ العلماء، فنَرجو بيانَ مَوقِف أهل السُّنَّة والجماعة الحقيقيِّين من مَسألة التَّكفير؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: سبق لنا في الإجابات السَّابقة الكلام حول شُروط الحُكْم بالتَّكفير وأنَّ التَّكفير حُكْم شَرعيٌّ لا يُتلقَّى إلا من الشَّرع، وأنَّه لا بدَّ من أَمرَيْن: دَلالة النُّصوص على أنَّ هذا الشَّيء كفْر، ثم انطباق ذلك على حال الشَّخص.





الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدِّين.

سماحةَ الشَّيخِ/ محمد صالح العُثَيْمين، حفظه الله.

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد:

ظهَرت في العصر الحديث فِرقة انتشرت في أوربا وأمريكا انضَمَّ إليها عدَد مِن المُثقَّفين والمُفكِّرين والمؤلِّفين المُنتسِبين إلى الإسلام، وتَتلخَّص عقيدةُ هذه الفِرْقة بأنَّ الدِّيانات الكبرى، كاليهودية، والنصرانية، والهندوكية، والبوذية، وغيرها، هي أديان صحيحة ومَقبولة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنَّ المُخلِصين من أَتباعها يَصلِون إلى الحقِّ ويَنجُون من النار ويَدخُلون الجنة دون حاجة في كل هذا إلى الدُّخول في الإسلام، فماذا تَقول في قولهم؟ وما حُكْمهم؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وعليكم السَّلام ورحمة الله وبركاته.

يَتلخَّص الجواب على قول هؤلاء الذين يَدَّعون أنَّ الدِّيانات الكبرى صحيحة ومَقبولة عند الله تعالى في الأمور التَّالية:

أولًا: أنَّ الحاكِم على العِباد بشرائعه هو الله تعالى، فهو الذي يَحكُم بأنَّ هذا الدِّين باقٍ مَقبول عنده أو مَنسوخ بما بَعدَه غير مَقبول عنده.

ثانيًا: أنَّ محمدًا ﷺ جاء إلى النَّاس بشَرْع عامٍّ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، وكان الذين أُوتوا الكتاب يَعرِفونه كما يَعرِفون أبناءَهم، وصَدَّقه العُلَماء المُنصِفون منهم كالنَّجاشي مِن النَّصارى، وعبدالله ابن سَلَام مِن اليهود، فآمَنوا به واتَّبَعوه، وثبَت عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِمَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[(١)].

ثالثًا: أنَّ الله تعالى قال في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وهذه الجملة بمعنى: لا دِين عند الله إلا الإسلام، فهي جملة مُفيدة للحَصر، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، وهذا حُكم مِن الله تعالى الذي له الحُكْم في عباده بما شاء.

رابعًا: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أكَّدَ عموم رسالته إلى النَّاس، حيث قال: «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»[(٢)].

فمَن زعَم اليوم أنَّ الأديان الموجودة الآن مَقبولة عند الله -سوى دِين الإسلام- فقد ضادَّ الله في حُكْمه، واتَّخَذ نفسه شريكًا مع الله، وكذَّب كتاب الله ورسول الله، فيَكون بذلك كافِرًا بالله، فعَقيدتنا أنَّ الدِّين المقبول عند الله هو دِين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، وهو المُنجِّي من النَّار الموجِب لدُخول الجنَّة بوعْد الله، والله لا يُخلِف الميعاد.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام، رقم (١٥٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَالله عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التيمم، رقم (٣٣٥)، أخرجه مسلم: كتاب المساجد، باب جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، رقم (٥٢١)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَالله عَنْهُمَا.

وعقيدتنا أيضًا أنَّ جميع الأديان السَّابقة مَنسوخة بدِين الإسلام غير مَقبولة عند الله الآن، وأنَّ هذه الأديان حين كانت شرائعها قائمة أديان صحيحة مَقبولة عند الله تعالى.

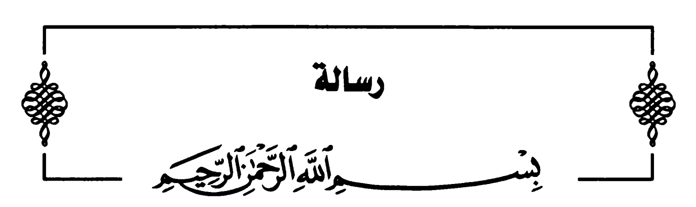
فدِين اليهود مَقبول عند الله حين كانت شريعة التوراة قائمة، فلمَّا نُسِخت بالإنجيل الذي جاء به عيسى صار الدِّين المقبول عند الله دِين النصارى الذي جاء به عيسى، فلما نُسِخَ دينُ عيسى بالقرآن الذي نَزَل على محمد ﷺ صار الدِّين المقبول عند الله دِين المسلمين الذي جاء به محمد ﷺ، وما سواه من الأديان غير مَقبول عند الله ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

وإنَّنا نُناشِد هذه الفِرْقة التي ظهرت عندكم وادَّعت هذه الدَّعوى الباطلة، أنَّ الدِّيانات غير الدِّين الإسلامي دِيانات صحيحة مَقبولة عند الله تعالى أن تَتَّقِي الله تعالى، وأن لا تَفترِيَ على الله الكذِب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

ونُناشِدها أن لا تَبهَرها حال هؤلاء الضَّالِّين والمغضوب عليهم ممَّن نَكَبوا عن الصِّراط واتَّبَعوا صراط أصحاب الجحيم وفتَح الله عليهم من الدُّنيا ما فتَح، قال الله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه:١٣١]، حمانا الله وإيَّاكم من الفِتَن، وجنَّبنا أسباب السُّخط والنِّقم. والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبه محمد الصَّالح العُثَيْمين

في ١٨/ ٤/ ١٤١٤هـ.



الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمُتَّقين، ولا عُدوان إلا على الظَّالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأَشهَد أنَّ محمدًا عبده ورسوله إلى النَّاس أَجمَعين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تَبِعهم بإحسان إلى يوم الدِّين وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد: فقد بَلغني أنَّ بعض الناس -ولا سيَّما النِّساءُ- كانوا يَدْعون الله تعالى بالمغفرة والرحمة لامرأة نَصرانيَّة (مسيحيَّة) ماتت في هذا الشهر جُمادى الأولى سنة ١٤١٨هـ بحادِث، ورُبَّما يَبكِين على موتها!.

والدُّعاء بالمغفرة والرحمة لغير أموات المسلمين حرام مُخالِف لسبيل النَّبيِّ ﷺ والذين آمَنوا؛ لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣]، وكل مَن بَلَغَتْه رسالة النَّبيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولم يُؤمِن به فهو من أصحاب الجحيم، سواءً كان من المشركين الوَثنِيِّين، أم مِن اليهود والنَّصارى، أم غيرهم، لقول النَّبيِّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ** -يعني: **أُمَّة الدَّعوة**- **يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام، رقم (١٥٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإذا كان الله تعالى نهى نبيَّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يَستغفِر لعمِّه أبي طالب مع أنَّه كان يُدافِع عن النَّبيِّ ﷺ ويَنصُره، فكيف بمَن دونه وبمَن لم يُعرَف منه نَصر للمُسلِمين ولا دِين الإسلام؟!

فالواجب على المسلم أن لا تَحمِله العاطفة على الوقوع فيما حرَّم الله عليه، وأن يَتوب إلى الله تعالى مما وقَع فيه من المخالَفة وأن يَتولَّى الله ورسوله والذين آمنوا، وأن يَتبرَّأ مِن أعداء الله تعالى كما فعَل إبراهيم الخليل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حين استغفَر لأبيه، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤].

ولْيَعلَمْ أنَّ من مات على غير الإسلام فإنَّه لا يَنفَعه ما عمِل من خير عامٍّ أو خاصٍّ؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة:٥٤]، وقالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا للنَّبيِّ ﷺ يا رسول الله: ابن جدعان كان في الجاهلية يَصِل الرَّحِم، ويُطعِم المسكين، فهل ذاك نافِعه؟ قال: «**لَا يَنْفَعُهُ، إنَّه لَمْ يَقُلْ يومًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**»[١]، وعن سلمةَ بنِ يزيدَ الجعفيِّ قال: انطلَقت أنا وأخي إلى رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: قلْنا: يا رسول الله، إنَّ أُمَّنا مُلَيكة كانت تَصِل الرَّحِم، وتَقري الضيفَ، وتَفعَل وتَفعَل، هلَكت في الجاهلية، فهل ذلك نافِعها شيئًا؟ قال: «**لَا**»، رواه الإمام أحمدُ، قال الهيثمي: رجاله رجال الصَّحيح[٢].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، رقم (٢١٤)، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٨)، وانظر كلام الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١١٩).

وإذا كان لا يَنفَعه عمَله، فعمَل غيره مِن باب أولى، وعلى هذا فلا يَحِلُّ الصَّدَقة عنه، ولا الأُضحية، ولا غيرهما مِن القُرُبات. أَسأَل الله أن يُوفِّق المُسلِمين جميعًا لما فيه رِضاه، واجتِناب سخطه إنَّه سميع الدعاء.

كتبه محمد الصَّالح العُثَيْمين

في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٤١٨هـ.



س(٤٢١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن شروط الحكم بتكفير المسلم؟ وحُكْم من عمِل شيئًا مكفِّرًا مازِحًا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: للحُكْم بتكفير المسلِم شرطان:

أحدهما: أن يَقوم الدَّليل على أنَّ هذا الشَّيء مما يُكفِّر.

الثَّاني: انطِباق الحُكْم على من فعل ذلك بحيث يكون عالمًا بذلك قاصِدًا له، فإن كان جاهلًا لم يَكفُر؛ لقوله تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا**﴾ [النساء:١١٥]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ**﴾ [التوبة:١١٥]، وقوله: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولًا**﴾ [الإسراء:١٥].

لكن إن فرَّط بتَرْك التَّعليم والتَّبيُّن لم يُعْذَر، مثل أن يَبلُغه أنَّ عمَله هذا كُفْر فلا يَتثبَّت ولا يَبحَث، فإنَّه لا يَكون معذورًا حينئذٍ.

وإن كان غير قاصِد لعمَل ما يُكفِّر لم يَكفُر بذلك؛ مثل: أن يُكرَه على الكُفْر وقلبه مُطمئِنٌّ بالإيمان.

ومثل: أن يَنغلِق فِكْره فلا يَدري ما يَقول لشِدَّة فرَح ونحوه، كما جاء في قصة الرَّجل صاحب النَّاقة عندما قال: أَنتَ عبدي وأنا ربُّك. عند مسلم من حديث أنس بن مالك رَضِيَالِلَّهُعَنهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ**

كَذَلِكَ إِذَا بِهَا قَائِمَةٌ عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ»(١).

لكن مَن عمِل شيئًا مُكفِّرًا مازِحًا فإنَّه يَكفُر؛ لأنَّه قصَد ذلك، كما نَصَّ عليه أهل العِلْم.

س(٤٢٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن حُكْم مَن يَجهَل أنَّ صرف شيء مِن الدُّعاء لغير الله شِرْك؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الجهل بالحُكْم فيما يُكفِّر كالجهْل بالحُكْم فيما يُفسِّق، فكما أنَّ الجاهل بما يُفسِّق يُعذَر بجَهْله فكذلك الجاهل بما يُكفِّر يُعذَر بجَهْله ولا فرق؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص:٥٩]، ويقول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، وهذا يَشمَل كل ما يُعذَّب عليه الإنسان، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٥].

لكن إذا كان هذا الجاهِل مُفرِّطًا في التَّعلم ولم يَسأَل ولم يَبحَث فهذا مَحلُّ نظَر؛ فالجُهَّال بما يُكفِّر وبما يُفسِّق إمَّا أن لا يَكون منهم تَفريط وليس على بالهم إلا أنَّ هذا العمل مُباح، فهؤلاء يُعذَرون، ولكن يُدعَون للحقِّ، فإن أَصرُّوا حُكِم

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب التوبة، باب الحض على التوبة، رقم (٢٧٤٧)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عليهم بما يَقتَضيه هذا الإصرار، وأمَّا إذا كان الإنسان يَسمَع أنَّ هذا مُحرَّم أو أنَّ هذا مُؤَدٍّ للشِّرك ولكنَّه تَهاوَن أو استكبَر فهذا لا يُعذَر بجهله.

س(٤٢٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل يُعذَر الإنسان بالجهل فيما يَتعلَّق بالتَّوحيد؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: العُذْر بالجهل ثابِت في كل ما يَدين به العبد ربَّه؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قال: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ حتَّى قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء:١٦٣-١٦٥]؛ ولقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء:١٥]؛ ولقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ [التوبة:١١٥]؛ ولقول النَّبيِّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِمَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١)، والنُّصوص في هذا كثيرة.

فمَن كان جاهلًا فإنَّه لا يُؤاخَذ بجهله في أيِّ شيءٍ كان من أمور الدِّين، ولكن يَجِب أن نَعلَم أنَّ مِن الجهلة مَن يكون عنده نوع من العِناد، أي: أنه يَذكُر له الحق ولكنَّه لا يَبحَث عنه ولا يَتَّبِعه، بل يَكون على ما كان عليه أشياخه ومَن يُعظِّمهم ويَتَّبعهم، وهذا في الحقيقة ليس بمَعذور؛ لأنَّه قد بلغه مِن الحُجَّة ما أدنى

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، رقم (١٥٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ.

أحوالِه أن يَكون شُبهة يَحتاج أن يبحث ليَتبيَّن له الحقُّ، وهذا الذي يُعظِّم مَن يُعظِّم مِن مَتبوعيه شأنه شأن من قال الله عنهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٢]، وفي الآية الثَّانية: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣].

فالُمهِمُّ أنَّ الجهل الذي يُعذَر به الإنسان بحيث لا يعلَم عن الحقِّ ولا يذكَر له هو رافع للإثم، والحكم على صاحبه بما يَقتضيه عمَله، ثم إن كان يَنتسِب إلى المسلمين ويَشهَد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، فإنَّه يُعتَبر منهم.

وإن كان لا يَنتسِب إلى المسلمين فإنَّ حُكمَه حُكْم أهل الدِّين الذي يَنتسِب إليه في الدُّنيا.

وأمَّا في الآخرة: فإنَّ شأنه شأن أهل الفترة يكون أمره إلى الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة.

وأصحُّ الأقوال فيهم: أنَّهم يُمتَحَنُون بما شاء الله، فمَن أَطاع منهم دَخل الجنَّة، ومَن عصى منهم دخَل النَّار، ولكن ليُعلَم أنَّنا اليوم في عصر لا يَكاد مكان في الأرض إلا وقد بَلغَتْه دَعوة النَّبيِّ ﷺ بواسطة وَسائِل الإعلام الُمتنوِّعة، واختلاط النَّاس بعضُهم ببعض، وغالبًا ما يَكون الكُفْر عن عِنادٍ.



س(٤٢٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: هل يُعذَر طلَبة العِلْم الذين دَرَسوا العقيدة على غير مَذهَب السَّلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مُحتَجِّين بأنَّ العالم الفُلانيَّ أو الإمام الفلانيَّ يَعتقِد هذه العقيدة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا لا يُعذَر به صاحبه حيث بلَغه الحقُّ؛ لأنَّ الواجب عليه أن يَتَّبع الحقَّ أينما كان، وأن يَبحَث عنه حتى يَتبيَّن له.

والحقُّ -ولله الحمد- ناصع بيِّنٌ لمن صلَحت نِيَّته وحسُن مِنهاجه؛ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يقول في كتابه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:٢٢]، ولكن بعض النَّاس -كما ذكَر الأخ السَّائل- يَكون لهم مَتبوعون مُعظَّمون لا يَتزَحْزَحون عن آرائهم، مع أنَّه قد يَنقدِح في أذهانهم أنَّ آراءَهم ضعيفة أو باطِلة، لكن التَّعصُّب والهوى يَحمِلهم على مُوافقَتهم وإن كانوا قد تَبيَّن لهم الهُدَى.

س(٤٢٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: يُوجَد مِن النَّاس مَن لا يُؤدُّون شرائع الإسلام، وإذا طُلِب مِن أحدهم تَأدِيتها قال: أنا أَشهَد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وهذا ما طُلِب من الرَّسول تَحصيله بالقِتال، فإذا قالوا ذلك فقد عصَموا دِماءَهم وأموالـهم، ولذا يَقولون: الإسلام مُجرَّد النُّطْق بكلِمة التَّوحيد فقط؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نَقول: هذا الفَهْم الَّذي ذكَره السَّائل وغيره خطأ عظيم فادِح، حيث يَظنُّون أنَّ الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله فقط.

ونقول: إنَّما هذا مِفتاح الإسلام للدُّخول فيه، وأمَّا الإسلام فإنَّه هذا مع الشَّرائع الأخرى؛ ولهذا قال النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**فَإِذَا فَعلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا**»(١).

وقاتَل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَن منَع الزكاة، ولما راجَعه عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذلك قال: الزكاة حقُّ المال، والزكاة مِن حقوق الإسلام التي لا بُدَّ منها، وكذلك الصلاة والحج والصيام، لكن مِن هذه الحقوق ما يَكون تَرْكه كُفْرًا، كما في الصلاة التي ثبَت عن النَّبيِّ ﷺ، حيث قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الكُفْرِ وَالشِّرْكِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**»(٢)، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(٣).

ومِن حقوق الإسلام ما لا يَكون تَرْكه كُفْرًا بحسب ما تَقتَضيه النُّصوص الشَّرعية.

والمُهمُّ: أنَّ الإسلام ليس مُجرَّد النُّطق بالشَّهادَتين، وكيف يَكون مُسلِمًا مَن يَقول: أَشهَد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وهو لا يَقوم لله ولا لرسوله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، رقم (٢٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، رقم (٢٢)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم (٨٢)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٤٦)، والترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، رقم (٢٦٢١)، والنسائي: كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، رقم (٤٦٣)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، رقم (١٠٧٩).

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

بالحَقِّ الواجب لهما؟! فإذا كان يَشهَد أن لا إله إلا الله، فلِماذا لا يَقوم بحقِّه؟ ولماذا لا يَعبُده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ وإذا كان يَقول: أَشهَد أنَّ محمدًا رسول الله فلماذا لا يَقوم بحقِّه؟! ولماذا لا يَتَّبِعه؟!

فلا بدَّ مِن عبادة الله، ومِن اتِّباع رسول الله ﷺ، وإلا مُجرَّد النُّطق بالشَّهادتين فإنَّه لا يَكفي، فالمُنافِقون يَشهَدون أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، ولكنَّهم لا يَأتون بأركان الإسلام؛ فلِذلكَ لم يَكونوا مُؤمِنين.

س (٤٢٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن العُذْر بالجَهْل فيما يَتعلَّق بالعقيدة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الاختِلاف في مَسألة العُذْر بالجَهْل كغيره مِن الاختِلافات الفِقهية الاجتِهادية، ورُبما يَكون اختِلافًا لفظيًّا في بعض الأحيان؛ مِن أجل تَطبيق الحُكْم على الشخص المُعيَّن، أي: أنَّ الجميع يَتَّفِقون على أنَّ هذا القول كُفْر، أو هذا الفعل كُفْر، أو هذا التَّرْك كُفْر.

ولكن هل يَصدُق الحُكْم على هذا الشخص المُعيَّن لقيام المُقتَضى في حَقِّه وانتِفاء المانع، أو لا يَنطبِق لفوات بعض المُقتضيات، أو وجود بعض الموانع؟ وذلك أنَّ الجهل بالمُكفِّر على نوعين:

الأوَّل: أن يَكون مِن شخص يَدين بغير الإسلام، أو لا يَدين بشيء ولم يَكُن يَخطُر بباله أنَّ دِينًا يُخالِف ما هو عليه، فهذا تَجري عليه أحكام الظَّاهِر في الدُّنيا، وأمَّا في الآخرة فأَمرُه إلى الله تعالى.

والقول الرَّاجح: أنَّه يُمتحَن في الآخرة بما يَشاء الله عَزَّوَجَلَّ، والله أَعلَم بما كانوا عامِلين، لكنَّنا نَعلَم أنَّه لن يَدخُل النَّار إلا بذَنْب؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

وإنَّما قُلْنا: تَجرِي عليه أحكام الظَّاهر في الدُّنيا وهي أحكام الكُفْر؛ لأنَّه لا يَدين بالإسلام فلا يُمكِن أن يُعطَى حُكْمه، وإنَّما قُلْنا بأنَّ الرَّاجح أنَّه يُمتحَن في الآخرة لأنَّه جاء في ذلك آثار كثيرة ذكَرها ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «طريق الهجرتين» عند كلامه على المَذهَب الثَّامن في أطفال المُشرِكين، تحت الكلام على الطبقة الرَّابعة عشْرة[1].

النَّوع الثَّاني: أن يكون من شخص يَدين بالإسلام ولكنَّه عاش على هذا المُكفِّر ولم يَكن يَخطُر بباله أنَّه مُخالِف للإسلام، ولا نَبَّهه أحَد على ذلك، فهذا تُجرَى عليه أحكام الإسلام ظاهِرًا، أمَّا في الآخرة فأَمْره إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وقد دَلَّ على ذلك الكِتابُ، والسُّنَّة، وأقوال أهل العِلْم.

فمِن أَدلَّة الكِتاب قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص:٥٩]، وقوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة:١١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا

---

(١) طريق الهجرتين (ص:٣٩٦) وما بعدها.

كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام:١٥٥-١٥٧]، إلى غير ذلك من الآيات الدَّالَّة على أنَّ الحُجَّة لا تَقوم إلا بعد العِلْم والبيان.

وأمَّا السُّنَّة: ففي صحيح مسلم (١/ ١٣٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ -يَعني: أُمَّة الدَّعوة- يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[1].

وأمَّا كلام أهل العلم: فقال في المغني (٨/ ١٣١): «فإن كان ممَّن لا يَعرِف الوجوب كحديث الإسلام، والناشِئ بغير دار الإسلام، أو بادية بعيدة عن الأمصار وأهل العلم، لم يُحكَم بكفره».

وقال شيخ الإسلام ابنُ تيمية في الفتاوى (٣/ ٢٢٩/ مجموع ابن قاسم): «إنِّي دائمًا -ومن جالسني يَعلَم ذلك منِّي- مِن أعظم النَّاس نهيًا عن أن يُنسَب مُعيَّن إلى تكفير، وتَفسيق، ومَعصية، إلا إذا عُلِمَ أنَّه قد قامت عليه الحُجَّة الرِّسالية التي مَن خالَفها كان كافِرًا تارة، وفاسِقًا أُخرى، وعاصيًا أُخرى، وإنِّي أُقرِّر أنَّ الله تعالى قد غَفَر لهذه الأُمَّة خطأها، وذلك يَعُمُّ الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العمَلية، وما زال السَّلَف يَتنازَعون في كثير من هذه المسائِل، ولم يَشهَد

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام، رقم (١٥٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أَحَد منهم على أحَد لا بكُفْر، ولا بفِسْق، ولا بمعصية.

إلى أن قال: «وكنت أُبيِّن أنَّ ما نُقِل عن السَّلف والأئمَّة من إطلاق القول بتكفير مَن يقول كذا وكذا فهو أيضًا حَقٌّ، لكن يَجِب التَّفريق بين الإطلاق والتعيين».

إلى أن قال: «والتَّكفير هو مِن الوعيد فإنَّه وإن كان القول تَكذيبًا لما قاله الرَّسول ﷺ، لكن الرجل قد يَكون حديثَ عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يَكفُر بجَحْد ما يَجحَده حتى تَقوم عليه الحُجَّة، وقد يَكون الرَّجُل لم يَسمَع تلك النُّصوص أو سمِعها ولم تَثبُت عنده، أو عارَضها عنده مُعارِض آخرُ أَوجَب تأويلها وإن كان مخطئًا» اهـ.

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب (١/ ٥٦) مِن الدُّرر السَّنية: «وأمَّا التَّكفير، فأنا أُكفِّر مَن عرَف دِين الرَّسول ﷺ، ثم بعدما عرَفه سَبَّه، ونهى النَّاس عنه، وعادى مَن فعَله، فهذا هو الذي أُكفِّره». وفي (ص:٦٦): «وأمَّا الكذب والبُهتان فقَولهم: إنَّا نُكفِّر بالعُموم ونُوجِب الهِجْرة إلينا على من قدَر على إظهار دِينه، فكلُّ هذا مِن الكذِب والبُهتان الذي يَصدُّون به النَّاس عن دِين الله ورسوله ﷺ، وإذا كنا لا نُكفِّر مَن عبَد الصَّنم الذي على عبْد القادِر، والصَّنم الذي على أحمدَ البدويِّ وأمثالهما؛ لأجل جَهلهم، وعدم مَن يُنبِّههم، فكيف نُكفِّر مَن لم يُشرِك بالله إذا لم يُهاجِر إلينا ولم يكفر ويقاتل؟» اهـ.

وإذا كان هذا مُقتَضى نُصوص الكتاب والسُّنة وكلام أهل العِلْم، فهو مُقتَضى حِكْمة الله تعالى ولُطْفه ورَأْفته، فلن يُعذِّب أحدًا حتى يُعذِر إليه، والعقول لا تستقل بمَعرفة ما يَجِب لله تعالى مِن الحقوق، ولو كانت تَستقِل بذلك لم تَتوقَّف الحُجَّة على إرسال الرَّسول عليهم الصَّلاة والسَّلام.

فالأصل فيمن يَنتسِب للإسلام بقاءُ إسلامه حتى يَتحقَّق زوال ذلك عنه بمُقتَضى الدَّليل الشَّرعي، ولا يَجوز التَّساهُل في تَكفيره؛ لأنَّ في ذلك محذورَينِ عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله تعالى في الحُكم، وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نَبزه به.

أمَّا الأوَّل: فواضِح، حيث حكم بالكفر على مَن لم يُكفِّره الله تعالى، فهو كمن حرَّم ما أحلَّ الله؛ لأنَّ الحُكْم بالتَّكفير أو عدمه إلى الله وحده كالحُكْم بالتَّحريم أو عَدَمه.

وأمَّا الثَّاني: فلأنَّه وصَف المسلم بوصْف مُضادٍّ، فقال: إنَّه كافِر، مع أنَّه بَريءٌ مِن ذلك، وحرِيٌّ به أن يَعود وصف الكُفْر عليه؛ لما ثبت في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**»، وفي رِواية: «**إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**»[1]، وله من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ. وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ**»[2]، يعني: رجَع عليه، وقوله في حديث ابن عمر: «**إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ**» يعني: في حُكْم الله تعالى، وكذلك قوله في حديث أبي ذَرٍّ: «**وَلَيْسَ كَذَلِكَ**» يَعني: في حُكْم الله تعالى.

وهذا هو المحذور الثاني، أَعني: عَود وصف الكفر عليه إن كان أخوه بَريئًا منه، وهو محذور عظيم يوشِك أن يَقَع به؛ لأنَّ الغالِب أن مَن تَسرَّع بوصف

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب حال إيمان من رغب عن أبيه، رقم (٦٠).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، رقم (٦١).

المسلِم بالكُفْر كان مُعجَبًا بعَمَله، مُحتَقِرًا لغيره، فيكون جامعًا بين الإعجاب بعمله الذي قد يُؤدِّي إلى حُبوطه، وبين الكِبر الموجب لعذاب الله تعالى في النَّار، كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمدُ وأبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»(١).

فالواجب قبل الحكْم بالتَّكفير أن يُنظَر في أمرين:

الأمر الأوَّل: دَلالة الكِتاب والسُّنَّة على أن هذا مُكفِّـر؛ لئلا يُفتَرى على الله الكذب.

الثَّاني: انطباق الحكم على الشخص المُعيَّن، بحيث تَتِمُّ شروط التَّكفير في حقِّه، وتَنتَفِي الموانع.

ومن أهم الشروط: أن يَكون عالمًا بمُخالَفته التي أَوجَبت كُفْره؛ لقوله تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء:١١٥]، فاشترط للعقوبة بالنَّار أن تكون المُشاقَّة للرَّسول ﷺ مِن بعد أن يَتبيَّن الهدى له.

ولكـن هل يُشتَرَط أن يَكـون عالمًا بما يَترتَّب على مخالفته مِن كُفْر أو غيره، أو يكفي أن يكون عالمًا بالمخالفة وإن كان جاهلًا بما يَترتَّب عليها؟

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤١٤)، وأبو داود: كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، رقم (٤٠٩٠)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر، رقم (٤١٧٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وأخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الكبر، رقم (٢٦٢٠)، من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بنحوه.

الجواب: الظَّاهر الثاني؛ أي أنَّ مُجَرَّد علمه بالمخالفة كافٍ في الحكم بما تَقتضيه؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ أَوجَب الكفَّارة على المُجامِع في نهار رمضانَ[(١)]؛ لعلمه بالمخالفة مع جَهْله بالكفَّارة، ولأنَّ الزَّانيَ المحصَن العالِمَ بتَحريم الزِّنا يُرجَمُ وإن كان جاهلًا بما يَترتَّب على زِناه، وربَّما لو كان عالمًا ما زنَى.

ومِن الموانع: أن يُكرَه على المُكَفِّر؛ لقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:١٠٦].

ومن الموانِع: أن يُغلق عليه فِكره وقَصده، بحيث لا يَدري ما يَقول لشِدَّة فرح، أو حزن، أو غضب، أو خوف ونحو ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥]، وفي صحيح مسلم (٢١٠٤) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب المجامع في رمضان، رقم (١٩٣٧)، ومسلم: كتاب الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان، رقم (١١١١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب التوبة، باب الحض على التوبة، رقم (٢٧٤٧)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومِن الموانِع أيضًا: أن يَكون له شُبهة تأويل في المُكفِّر، بحيث يَظنُّ أنَّه على حقٍّ؛ لأنَّ هذا لم يَتعمَّد الإثم والمخالفة، فيَكون داخِلًا في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥]؛ ولأنَّ هذا غاية جهده، فيَكون داخِلًا في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

قال في المغني (٨/ ١٣١): «وإنِ استَحلَّ قتْل المعصومين وأخْذ أموالهم بغير شُبهة ولا تَأويل، فكذلك -يَعني: يَكون كافِرًا-، وإن كان بتأويل كالخوارج فقد ذكَرنا أنَّ أكثرَ الفُقهاء لم يَحكُموا بكُفْرهم مع استحلالهم دِماء المسلمين وأموالهم، وفعلهم ذلك مُتقرِّبين به إلى الله تعالى.

إلى أن قال: «وقد عُرِف مِن مَذهَب الخوارج تَكفيرُ كثيرٍ من الصَّحابة ومَن بَعدهم، واستحلال دمائهم، وأموالهم، واعتِقادهم التَّقرُّب بقَتْلهم إلى ربِّهم، ومع هذا لم يَحكُمِ الفقهاء بكُفْرهم لِتَأويلهم، وكذلك يُخرَّج في كلِّ مُحرَّمٍ استُحِلَّ بتَأويل مثل هذا».

وفي فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/ ٣٠/ مجموع ابن القاسم): «وبِدْعة الخوارج إنَّما هي مِن سُوء فَهمهم للقرآن، لم يَقصدوا مُعارضته، لكن فهموا منه ما لم يَدُلَّ عليه، فظَنُّوا أنَّه يُوجِب تكفير أرباب الذُّنوب».

وفي (ص:٢١٠/ منه): «فإنَّ الخوارج خالَفوا السُّنَّة التي أَمَر القرآن باتِّباعها، وكفَّروا المؤمِنين الذين أمَر القرآن بمُوالاتهم... وصاروا يَتَّبِعون المُتشابِه من القرآن فيَتأولونه على غير تأويله، من غير معرفة منهم بمعناه ولا رسوخ في العلم، ولا اتِّباع للسُّنة، ولا مُراجعة لجماعة المسلمين الذين يَفهمون القرآن».

وقال أيضًا (٢٨/ ٥١٨/ من المجموع المذكور): «فإنَّ الأئِمَّة مُتَّفِقون على ذَمِّ الخوارِج وتَضليلهم، وإنَّما تَنازَعوا في تَكفيرهم على قولين مشهورين».

لكنَّه ذكر في (٧/ ٢١٧): «أنَّه لم يَكُن في الصَّحابة مَن يُكفِّرهم، لا علي بن أبي طالب ولا غيره، بل حَكَموا فيهم بحُكْمهم في المسلمين الظَّالمين المُعتَدين، كما ذكَرت الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضع».

وفي (٢٨/ ٥١٨): «أنَّ هذا هو المنصوص عن الأئمة، كأحمدَ وغيره».

وفي (٣/ ٢٨٢) قال: «والخوارج المارِقون الذين أَمَر النَّبيُّ ﷺ بقِتالهم قاتَلهم أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحَد الخلفاء الراشِدين، واتَّفَق على قتالهم أَئِمَّة الدِّين من الصَّحابة، والتَّابعين، ومَن بعدهم، ولم يُكفِّرهم عليُّ بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهما من الصَّحابة، بل جَعَلوهم مُسلِمين مع قِتالهم، ولم يُقاتِلهم عليٌّ حتى سَفَكوا الدَّم الحرام وأَغاروا على أموال المسلمين، فقاتَلَهم لدَفْع ظُلْمهم وبَغيهم؛ لا لأنَّهم كُفَّار؛ ولهذا لم يَسْبِ حريمهم ولم يَغْنَمْ أموالهم، وإذا كان هؤلاء الذين ثبَت ضلالهم بالنَّصِّ والإجماع لم يَكفُروا مع أمر الله ورسوله ﷺ بقِتالهم، فكيف بالطَّوائف المُختلِفين الذين اشتَبَهَ عليهم الحقُّ في مِسائلَ غلِط فيها مَن هو أَعلَم منهم؟!

فلا يَحلُّ لأحد مِن هذه الطَّوائف أن تُكفِّر الأخرى، ولا تَستحِلَّ دَمَها ومالها وإن كانت فيها بِدْعة مُحقَّقة، فكيف إذا كانت المكفِّرة لها مُبتدِعة أيضًا؟! وقد تَكون بِدعة هؤلاء أَغلظَ، والغالب أنَّهم جميعًا جُهَّال بحقائق ما يَختَلِفون فيه»، إلى أن قال: «وإذا كان المسلِم مُتأوِّلًا في القتال أو التَّكفير لم يَكفُر بذلك».

إلى أن قال في (ص:٢٨٨): «وقد اختلف العُلَماء في خِطاب الله ورسوله ﷺ هل يَثبُت حُكْمه في حق العبيد قبل البلاغ؟ على ثلاثة أقوال في مَذهَب أحمَدَ وغيره.

والصَّحيح: ما دلَّ عليه القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، وقوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، وفي الصَّحيحين عن النَّبيِّ ﷺ: «**مَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ العُذْرُ مِنَ اللهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ**»[1].

والحاصل: أنَّ الجاهل مَعذور بما يَقوله أو يَفعله مما يَكون كُفرًا، كما يكون معذورًا بما يقوله أو يفعله مما يَكون فِسْقًا، وذلك بالأدلة من الكتاب، والسُّنَّة، والاعتبار، وأقوال أهل العلم.



س(٤٢٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل يُعذَر الجاهل بما يَترتَّب على المخالفة؟ كمَن يَجهَل أن تَرْك الصَّلاة كُفر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الجاهل بما يَترتَّب على المخالفة غير مَعذور إذا كان عالمًا بأنَّ فِعْله مخالف للشَّرع كما تَقدَّم دليله، وبِناءً على ذلك فإنَّ تارِك الصَّلاة لا يَخفى عليه أنَّه واقع في المخالفة إذا كان ناشئًا بين المسلمين فيَكون كافِرًا وإن جهِل أنَّ التَّرك كفر، نعم، إذا كان ناشِئًا في بلاد لا يَرون كُفْر تارِك الصَّلاة وكان هذا الرَّأي هو

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «**لا شخصَ أَغْيَر من الله**»، رقم (٧٤١٦)، ومسلم: كتاب اللعان، رقم (١٤٩٩)، من حديث سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الرَّأي المشهورَ السَّائدَ بينهم فإنَّه لا يُكفَّر؛ لتَقليده لأهل العلم في بلده، كما لا يَأثَم بفِعْل مُحرَّم يَرى علماء بلده أنَّه غير مُحرَّم؛ لأنَّ فرض العامِّيِّ التَّقليدُ؛ لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء:٧]. والله الموفِّق.

س(٤٢٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: وقع الخلاف في مسألة العُذر بالجهل، فمتى يُعذَر الجاهل بجهله؟ وما هي الكتُب التي فصَّلت هذه المسألة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: العُذر بالجهل ثابت بالقرآن وثابت بالسُّنَّة، وهو مُقتَضى حِكْمة الله عَزَّوَجَلَّ ورحمته، يَقول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص:٥٩]، ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٣-١٦٥]، وقوله الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]؛ ولقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٥].

والآيات في هذا عديدة كلُّها تَدُلُّ على أنَّه لا كُفْر إلا بعد عِلْم، وهذا مُقتَضى حِكْمة الله ورحمته: إذ إنَّ الجاهل مَعذور، وكيف يُؤاخِذُهُ الله عَزَّوَجَلَّ وهو أَرحَمُ الرَّاحمين؟!

والواجب قبل الحُكْم بإطلاق التَّكفير أمران:

الأوَّل: انطِباق الحُكم على الشَّخص المُعيَّن، فتتِمَّ شروط التَّكفير في حقِّه مع انتِفاء الموانِع.

الثَّاني: العلم بمُخالفته التي تُوجِب التَّكفير.

ولْيُعْلَم أنَّ هناك مَوانعَ من التَّكفير، منها:

الإكراه على المُكفِّر؛ لقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل:١٠٦].

ومِن المَوانع: أن يغلق على فكره وقصده فلا يَدري ما يَتكلَّم به؛ لشدَّة غضب أو لشدَّة فرح، فإنَّه لا يكون كافرًا عند الله عَزَّوَجَلَّ، يَدُلُّ لهذا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ فِي فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَضَلَّهَا** -أي: ضاعت منه-، **فَطَلَبَهَا فَلَمْ يَجِدْهَا، فَاضْطَجَعَ تَحْتَ شَجَرَةٍ يَنْتَظِرُ المَوْتَ أَيِسَ مِنْهَا، فَإِذَا بِرَاحِلَتِهِ عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ**»[1].

فقول صاحب الرَّاحلة خطأ عظيم، وهو في نفسه كفْر، لكن الرَّجل ما قصَده، لكن لشدَّة الفرح سبق لِسانه إلى هذا، ولم يَكُن بذلك كافرًا؛ لأنَّه لم يَقصِد ما يقول.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب التوبة، باب الحض على التوبة، رقم (٢٧٤٧)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكذلك ما أَخبر به النَّبيُّ ﷺ عن رجل كان مُسرِفًا على نفسه وخاف مِن الله تعالى أن يُعاقِبه، فأمر أهله إذا مات أن يُحرِقوه ويُذَرُّوه في اليمِّ؛ ظنًّا منه أن يَتغيَّب عن عذاب الله، ولكن الله تعالى جَمَعه بعده وسأله لِـمَ فعَل هذا؟ قال: يا رَبِّ خوفًا منك. فغفر الله له[1]، مع أنَّه كان شاكًّا في قُدْرة الله، والشَّكُّ في قُدْرة الله كفر، لكنَّه مُتأوِّل وجاهِل، فعفا الله عنه.

وليُعْلَم أنَّ مسألة التَّكفير: أصلها وشروطها لا يَأخُذها الإنسان مِن عقله وفِكره وذَوقه فيُكفِّر من شاء ويَعصِم من شاء.

بل الأمر في التَّكفير وعدم التَّكفير إلى الله عَزَّوَجَلَّ، كما أنَّ الحكم بالوجوب أو التَّحريم أو التَّحليل إلى الله وحده، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل:١١٦]، فالأمر في التَّكفير والعِصمة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

والمقصود بالعِصمة: الإسلام، فهو الذي يَعصِم الإنسانُ به دمَه ومالَه، وهذا إلى الله وحده، فلا يَجوز إطلاق الكفر على شخص لم تَثبُت في حقِّه شروط التَّكفير، وقد ثبَت عن النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنَّ مَن دعا رجلًا بالكفْر أو قال: يا عَدوَّ الله. وليس كذلك فإنَّه يَعود هذا الكلام على قائله[2]، فيكون هو الكافر وهو عدوُّ الله.

فلْيَحذَرِ الإنسان من إطلاق التَّكفير على مَن لم يُكفِّره الله ورسوله ﷺ،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الخوف من الله، رقم (٦٤٨١)، ومسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، رقم (٢٧٥٧)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، رقم (٦١).

ولْيَحذَر من إطلاق عداوة الله على مَن لم يَكُن عدُوًّا لله ورسوله ﷺ، ولْيَحبِس لسانه فإنَّ اللِّسان آفَة الآفات.

ولهذا لما حدَّث النَّبيُّ ﷺ معاذَ بنَ جبل بما حدَّثه به عن الإسلام، قال له عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟**» قال: بلى يا رسول الله. فأمسك النَّبيُّ ﷺ بلسان نفسه وقال: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**» يعني: لا تُطْلِقْهُ، احبِسْه، قَيِّدْه، فقال: يا رسول الله، وإنا لَمُؤاخَذون بما نَتكلَّم به. يعني: هل نحن مُؤاخَذون بما نَتكلَّم به، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أو قال: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»[1].

ولهذا يَجِب على الإنسان أن يَكُفَّ لسانه عن ما حرَّم الله وأن لا يَقول إلا خيرًا؛ لقول النَّبيِّ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[2].

والخلاصة: أنَّ مسألة التَّكفير والعِصْمة ليست إلينا، بل هي إلى الله ورسوله ﷺ، فمَن كَفَّره الله ورسوله ﷺ فهو كافِر، ومَن لم يُكفِّره الله ورسوله ﷺ فليس بكافِر، حتى وإن عظُمت ذنوبه في مفهومنا وفي أذواقنا، فالأمر ليس إلينا، بل الأمر في هذا إلى الله ورسوله ﷺ، ولا بدَّ للتَّكفير من شروط معلومة عند أهل العلم.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣١)، والترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم (٢٦١٦)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، رقم (٣٩٧٣)، من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، رقم (٦٠١٩)، من حديث أبي شريح الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومِن أَوسَع ما قرأت في هذا ما كتَبه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتاويه، وفي كتُبه المُستقِلَّة، فأَنصَح السَّائل وغير السَّائل أن يَرجِع إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لأَنَّه -وأَقوَلها شهادةً عِند الله- أوفى ما رَأيت كلامًا في هذه المسألة العظيمة.

س(٤٢٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: متى يُعذَر الإنسان بالجهل ومتى لا يُعذَر به مِن ناحية العقيدة والأحكام الفقهية مَأجورِين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا السُّؤال سؤال هامٌّ، سؤال عظيم، لا يَتَّسِع المَقام لذِكْر التَّفصيل فيه؛ لأَنَّه يحتاج إلى كلام كثير، ولكن على سبيل الإجمال لدينا آياتٌ من القرآن وأحاديثُ عن رسول الله ﷺ تَدُلُّ على أنَّ الإنسان مَعذور بالجهل في كلِّ شيء، لكن قد يَكون مُقصِّرًا في طلب العلم، فلا يُعذَر، وقد تَبلُغه الحُجَّة، ولكنَّه يَستكبِر ويَستنكِر فلا يُعذَر في هذه الحال، ومِن الآيات الدَّالَّة على أنَّ الإنسان مَعذور بالجَهْل:

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، فقال الله تعالى: «**قَدْ فَعَلْتُ**»[1].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥]، وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾، رقم (١٢٦)، من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣]، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [التوبة:١١٥]، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [القصص:٥٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود:١١٧].

والآيات في هذا المعنى عديدة، وكذلك في السُّنَّة، فقد رُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الخَطأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**»[1]، ولكن قد يَكون الإنسان مُقصِّرًا بطلب العِلْم، بحيث يَتيسَّر له العلم ولكنَّه لا يَهتمُّ به ولا يَلتفِت إليه، وقد يَكون الإنسان مستكبِرًا عما بلغه من الحقِّ، فيُبيَّن له الحقُّ، ولكنَّه يقول: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:٢٢]، كما يُوجَد من كثير من العامَّة المُعظِّمين لكُبرائهم مِن أمراء أو عُلماء أو غير ذلك، يَسْتَنْكِفُون عن الحقِّ إذا دُعُوا إليه، وهؤلاء ليسوا بمَعذورِين.

فالمسألة مسألة خطيرة عظيمة يَجب التَّأنِّي فيها والتَّريُّث، وربما نَقول: لا يَقضي فيها قضاءً عامًّا، بل يَنظُر إلى كل قضية بعينها، فقد نَحكُم على شخص بكُفْره مع جهله، وقد لا نَحكُم عليه والنَّاس يَختلِفون في مدى غايتهم في الجهل: منهم الجاهل مُطلَقًا جهلًا مطبقًا لا يَدري عن شيء كأنَّه بهيمة، ومنهم من عنده فِطْنَة وحركة فِكْر لكنَّه عنده استِكبار عن الحق، ومنهم من بَيْنَ ذلك، فعلى كل حال الجواب على وجه عامٍّ فيه نظَر، ولكن تُذْكَرُ قواعدُ وتُطبَّق كلُّ حال على ما تَقتَضيه هذه الحال.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، رقم (٢٠٤٣)، من حديث أبي ذر الغِفاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

س(٤٣٠): **سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما العمل إذا أُكْرِهَ إنسانٌ على الكُفْر؟**

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إذا أُكرِه إنسان على الكُفْر ففي ذلك تَفصيل:

أولًا: أن يُوافِقَ ظاهرًا وباطنًا فيَكون بذلك كافرًا مُرتَدًّا؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:١٠٦].

ثانيًا: أن يُوافِقَ ظاهرًا لا باطِنًا ولكن يُقصَدُ التَّخلُّص مِن الإكراه، فهذا لا يكفر؛ لقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦].

ثالثًا: أن لا يُوافِقَ لا ظاهرًا ولا باطنًا ويَصبِر على القتل، فهذا جائز، وهو من الصَّبر.

لكن هل الأولى أن يَصبِر أو لا؟ فيه تفصيل:

أولًا: إذا كان الإكراه لا يَترتَّب عليه ضرَر في الدِّين للعامَّة، فإنَّ الأولى أن يُوافِق ظاهرًا لا باطِنًا، لا سيَّما إذا كان بَقاؤه فيه مصلحة للمُسلِمين كصاحب المال، أو العِلْم المُنتَفع بهما، وما أشبهَ ذلك، حتى وإن لم يَكُن فيه مصلحة، ففي بَقائه على الإسلام زيادة عمل صالح، وهو خير، وقد رُخِّصَ له بالكفر ظاهرًا.

ثانيًا: إذا كان في مُوافَقته وعدم صَبْره ضرَر على الدِّين فإنَّه يَصبِر، وقد يَجِب الصَّبر ولو قتل؛ لأنَّه من باب الصَّبر على الجهاد في سبيل الله، وليس من باب إبقاء النَّفس، ولهذا لما شَكا الصَّحابة للنَّبيِّ ﷺ ما يَجِدونه من مُضايقة المشرِكين، ذكر

لهم أنَّه كان فيمن قبلَنا مُن يُمْشَط بأمشاط الحديد ما دون عَظْمه مِن لَحْم أو عَصب ما يَصرِفه عن دِينه[1].

ولو حصل مِن الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في ذلك الوقت مُوافَقةٌ للمشركين وهم قِلَّة لحصل بذلك ضَرَر عظيم على المسلِمين.

والإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أُوذِيَ وصبر حين أَبَى أن يَقول: القرآن مخلوق. ولو وافقهم ظاهِرًا لحصل في ذلك مَضرَّة على الإِسلام.

س(٤٣١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: عن حُكْم مَن حَكَم بغير ما أَنزَل الله؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أَقول وبالله تعالى التَّوفيق، أقول وأَسأله الهِداية والصَّواب: إنَّ الحكم بما أَنزل الله تعالى مِن تَوحيد الربوبية؛ لأَنَّه تَنفيذ لحُكْم الله الذي هو مُقتَضى ربوبيته، وكمال ملكه وتَصرُّفه؛ ولهذا سمَّى الله تعالى المَتبُوعين في غير ما أَنزَل الله تعالى أربابًا لمتَّبِعيهم، فقال سبحانه: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١]، فسمَّى الله تعالى المَتبُوعين أربابًا حيث جُعِلوا مُشرِّعين مع الله تعالى، وسمَّى المُتَّبِعين عُبَّادًا حيث إنَّهم ذلُّوا لهم وأطاعوهم في مُخالَفة حُكْم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة، رقم (٣٦١٢)، من حديث خبَّاب بن الأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد قال عَديٌّ بن حاتم لرسول الله ﷺ: إنَّهم لم يَعبُدوهم فقال النَّبيُّ ﷺ: «**بَلْ إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الحَلَالَ وَأَحَلُّوا لَـهُمُ الحَرَامَ فاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ**»(١).

إذا فهمت ذلك فاعلَمْ أنَّ من لم يَحكُم بما أَنزَل الله وأراد أن يَكون التَّحاكُم إلى غير الله ورسوله ﷺ، ورَدت فيه آيات بنفي الإيمان عنه، وآيات بكُفْره وظُلْمه، وفِسْقه.

فأمَّا القِسْم الأوَّل:

فمثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٠-٦٥].

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة، رقم (٣٠٩٥)، من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فوصَف الله تعالى هؤلاء المُدَّعين للإيمان -وهم مُنافِقون- بصفات:

الأوَّل: أنَّهم يُريدون أن يَكون التَّحاكُم إلى الطَّاغوت، وهو كل ما خالف حُكْم الله تعالى ورسوله ﷺ؛ لأنَّ ما خالف حُكْم الله ورسوله ﷺ فهو طغيان واعتِداء على حُكْم مَن له الحُكْم وإليه يُرجَع الأمر كله وهو الله، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

الثَّانية: أنَّهم إذا دُعوا إلى ما أَنزَل الله وإلى الرَّسول ﷺ صَدُّوا وأَعْرَضُوا.

الثَّالث: أنَّهم إذا أُصِيبُوا بمُصيبة بما قدَّمت أيديهم، ومنها أن يعثر على صنيعهم، جاؤوا يَحلِفون أنَّهم ما أرادوا إلا الإحسان والتَّوفيق، كحال مَن يَرفُض اليوم أحكام الإسلام ويَحكُم بالقوانين المخالفة لها زعمًا منه أنَّ ذلك هو الإحسان الموافِق لأحوال العصر.

ثم حذَّر سبحانه هؤلاء المدَّعين للإيمان المتَّصفين بتلك الصِّفات بأنَّه سبحانه يَعلَم ما في قلوبهم وما يُكِنُّونه من أمور تُخالِف ما يقولون، وأمر نَبيَّه ﷺ أن يَعِظَهم ويَقول لهم في أنفسهم قولًا بليغًا، ثم بَيَّن أنَّ الحِكْمة مِن إرسال الرَّسول أن يَكون هو المُطاع المَتبوع لا غيره من النَّاس مَهما قوِيَت أفكارهم واتَّسَعت مَدارِكهم، ثم أَقسَم تعالى بربوبيته لرسوله التي هي أَخصُّ أنواع الرُّبوبيَّة والتي تَتضمَّن الإشارة إلى صِحَّة رسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَقسَم بها قسمًا مؤكَّدًا أنَّه لا يَصلُح الإيمان إلا بثلاثة أمور:

الأوَّل: أن يَكون التَّحاكُم في كل نِزاع إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثَّاني: أن تَنشرِح الصدور بحُكْمه، ولا يَكون في النُّفوس حرَج وضِيق منه.

الثَّالث: أن يَحصُل التَّسليم التَّامُّ بقَبول ما حَكَم به وتَنفيذه بدون توانٍ أو انحرافٍ.

وأما القسم الثَّاني: فمثل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧]، وهل هذه الأوصاف الثلاثة تَتنزَّل على موصوف واحد؟ بمعنى: أنَّ كلَّ من لم يَحكُم بما أَنزَل الله فهو كافر، ظالم، فاسِق؛ لأنَّ الله تعالى وصَف الكافرين بالظُّلم والفِسق، فقال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة:٨٤]، فكلُّ كافر ظالم فاسِق، أو هذه الأوصاف تَتنزَّل على مَوصوفين بحسب الحامل لهم على عدَم الحُكْم بما أَنزَل الله؟ هذا هو الأقرَب عندي، والله أعلم.

فنقول: مَن لم يَحكُم بما أَنزَل الله؛ استِخفافًا به، أو احتِقارًا له، أو اعتِقادًا أنَّ غيره أَصلَح منه، وأَنفَع للخَلْق؛ فهو كافر كُفْرًا مخرِجًا عن المِلَّة، ومن هؤلاء: مَن يَضعُون للنَّاس تَشريعات تُخالِف التَّشريعات الإسلامية لتكون مِنهاجًا يَسير النَّاس عليه، فإنَّهم لم يَضعوا تلك التَّشريعات المخالفة للشَّريعة الإسلامية إلا وهم يَعتقِدون أنَّها أصلحُ وأنفعُ للخَلْق، إذ مِن المعلوم بالضَّرورة العقلية، والجِبلَّة الفِطرية أنَّ الإنسان لا يَعدِل عن مِنهاج إلى مِنهاج يُخالِفه إلا وهو يَعتقِد فضل ما عدَل إليه ونَقْص ما عدَل عنه.

ومَن لم يَحكُم بما أَنزَل الله وهو لم يَستخِفَّ به، ولم يَحتقِرْه، ولم يَعتقِد أنَّ غيره أصلحُ منه، وأَنفَع للخلْق، وإنَّما حَكَم بغيره تَسلُّطًا على المحكوم عليه، أو انتِقامًا

منه لنفسه أو نحو ذلك؛ فهذا ظالم وليس بكافِر وتَختلِف مراتب ظلمه بحسَب المحكوم به ووسائل الحكْم.

ومَن لم يَحكُم بما أَنزَل الله لا استِخفافًا بحُكْم الله، ولا احتِقارًا، ولا اعتِقادًا أنَّ غيره أصلَحُ، وأَنفعُ للخَلْق، وإنَّما حكم بغيره؛ مُحاباةً للمحكوم له، أو مراعاة لرشوة، أو غيرها من عرض الدُّنيا؛ فهذا فاسق وليس بكافِر، وتَختلِف مَراتِبُ فسقه بحسَب المحكوم به ووسائل الحُكْم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيمن اتَّخَذوا أحبارهم ورُهبانهم أربابًا مِن دون الله أنَّهم على وجهين:

أحدهما: أن يَعلَموا أنَّهم بدَّلوا دِين الله فيَتَّبِعُونهم على التَّبديل ويَعتَقِدون تحليل ما حَرَّمَ، وتَحريم ما أَحلَّ الله اتِّباعًا لرُؤسائِهم مع عِلْمهم أنَّهم خالفوا دِين الرُّسُل فهذا كفْر، وقد جعَله الله ورسوله ﷺ شِرْكًا.

الثَّاني: أن يَكون اعتِقادهم وإيمانهم بتحليل الحرام وتَحريم الحلال -كذا العبارة المنقولة عنه- ثابتًا، لكنَّهم أَطاعوهم في مَعصية الله، كما يَفعَل المسلم ما يَفعَله من المعاصي التي يَعتقِد أنَّها معاصٍ، فهؤلاء لهم حُكْم أمثالهم من أهل الذُّنوب[1].



(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٧٠).

س(٤٣٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل هناك فرق بين المسألة المعيَّنة التي يَحكُم بها القاضي بغير ما أَنزَل الله، وبين المسائل التي تُعتبَر تَشرِيعًا عامًّا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نَعم هناك فرْق فإنَّ المسائل التي تُعتبَر تشريعًا عامًّا لا يَتأَتَّى فيها التَّقسيم السَّابق، وإنَّما هي مِن القِسم الأول فقط؛ لأنَّ هذا المُشرِّع تَشرِيعًا يُخالِف الإسلام إنَّما شرَّعه لاعتِقاده أنَّه أصلَح من الإسلام وأَنفَع للعباد كما سبقت الإشارة إليه.

والحكم بغير ما أَنزَل الله يَنقسِم إلى قِسمين:

أحدهما: أن يستبدل هذا الحكم بحكم الله تعالى، بحيث يَكون عالمًا بحُكْم الله ولكنَّه يرى أنَّ الحكم المُخالِف له أولى وأَنفَع للعباد من حُكْم الله، أو أنَّه مساوٍ لحُكْم الله، أو أنَّ العدول عن حُكْم الله إليه جائز، فيَجعَله القانون الذي يَجب التَّحاكُم إليه، فمِثل هذا كافر كُفرًا مُخرِجًا عن المِلَّة؛ لأنَّ فاعِله لم يَرضَ بالله ربًّا، ولا بمحمد رسولًا، ولا بالإسلام دينًا، وعليه يَنطبِق قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٢٦-٢٨]. ولا يَنفعه صلاة، ولا زكاة، ولا صوم، ولا حجٌّ؛

لأنَّ الكافر ببعضه كافِر به كلِّه، قال الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٨٥].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

الثَّاني: أن يَستبدِل بحكم الله تعالى حُكمًا مُخالِفًا له في قضية معيَّنة دون أن يجعَل ذلك قانونًا يجب التَّحاكُم إليه، فله ثلاث حالات:

الأولى: أن يَفعَل ذلك عالمًا بحُكم الله تعالى مُعتقِدًا أنَّ ما خالفه أَولى منه وأَنفَع للعباد، أو أنَّه مساوٍ له، أو أنَّ العدول عن حُكْم الله إليه جائز، فهذا كافِر كُفرًا مخرِجًا عن المِلَّة؛ لما سبق في القسم الأول.

الثَّانية: أن يَفعل ذلك عالمًا بحُكم الله مُعتقِدًا أنَّه أَولى وأَنفَع، لكن خالفه بقصد الإضرار بالمحكوم عليه أو نَفعْ المحكوم له، فهذا ظالم وليس بكافِر، وعليه يَتنزَّل قول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥].

الثَّالثة: أن يكون كذلك، لكن خالفه لهوًى في نفسه أو مَصلحةٍ تَعود إليه، فهذا فاسق وليس بكافِر، وعليه يَتنزَّل قول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧].

وهذه المسألة -أعني: مسألةَ الحُكْم بغير ما أَنزل الله- من المسائل الكبرى التي ابتُلِي بها حُكَّام هذا الزَّمان، فعلى المرء أن لا يَتسرَّع في الحُكم عليهم بما لا يَستحِقُّونه حتى يَتبيَّن له الحقُّ؛ لأنَّ المسألة خطيرة، نَسأل الله تعالى أن يُصلِح للمسلمين ولاةَ أمورهم وبطانتهم، كما أنَّ على المرء الذي آتاه الله العِلم أن يُبيِّنه لهؤلاء الحكام؛ لتَقوم الحُجَّة عليهم وتَبين المَحجَّة، فيَهلِك من هلك عن بيِّنة، ويَحيا مَن حيَّ عن بيِّنة، ولا يَحقِرنَّ نفسه عن بيانه، ولا يَهابَنَّ أحدًا فيه، فإنَّ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. والله وليُّ التَّوفيق.

س(٤٣٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: منْ يَحكُم بغير شريعة الله ويَعتقِد أنَّ الشَّريعة أفضلُ وأصلَحُ من القوانين، فهل يَكفُر بذلك؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: جوابنا على هذا السُّؤال أن نقول:

أولًا: إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إنَّما خلَق الخلْق لعِبادته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وعبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هي التَّذلُّل له حبًّا وتعظيمًا بإقامة شرائعه القلبية واللفظية والعملية.

ثانيًا: يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:١٠]، فلا حاكم بين العباد إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يَحِلُّ لأحد أن يَفصِل في هذه القضية عما وجَّهنا إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأنَّ مَردَّ الاختلاف إلى حُكْمه جلَّ وعلا لا إلى غيره.

ثالثًا: يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩]، فتأمَّل هذه الآية الكريمة تَجِدْ أنَّ طاعة ولاة الأمور تابع لطاعة الله ورسوله ﷺ وليس مُستقِلًّا؛ ولهذا قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾، ولم يَقُل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «أطيعوا أولي الأمر» وهذا يَدلُّ دَلالة ظاهرة على أنَّ طاعة ولاة الأمور تابع لطاعة الله، ولا يُمكِن أن يكون مُستقِلًّا، كما أنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾، ولم يَقُل تعالى: ردُّوه إلى القانون الفلانيِّ، أو الرأي الفلانيِّ، أو النَّظريَّة الفلانيَّة، أو ما أشبه ذلك، بل لا مَردَّ إلا إلى الله في كتابه وإلى رسوله في سُنَّته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

رابعًا: قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، فأقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بربوبيته لرسوله محمد ﷺ، وهي رُبوبية خاصَّة لا تُساويها أيُّ ربوبية بالنِّسبة للعباد؛ لأنَّه كلَّما كان الإنسان أَعبَد لله كانت ربوبيته لله أخصَّ، ومن المعلوم أنَّ نبيَّنا محمَّدًا ﷺ أعبد النَّاس لله، وعلى هذا فإنَّ الله أَقسَم بهذه الرُّبوبية الخاصَّة المضافة إلى رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّه لا يُؤمِن أحد إلا بهذه الشُّروط:

الشَّرط الأوَّل: في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾، فلا يُحكِّموا غيرك.

والشَّرط الثَّاني: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾، بل تَتَّسع صدورهم لذلك وتَنشرِح صدروهم به، فلا يَجِدون حرَجًا وضيقًا مما قَضَيت به.

والشَّرط الثَّالث: في قوله تعالى: ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ وبما ذكرنا من الأمور الأربعة يبين أنَّ خروج الإنسان عن التحاكم إلى الله ورسوله خِلاف ما خلَق الله العباد من أجله، وخِلاف ما أَرشَد الله إليه من أن يَكون التَّحاكُم إليه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وخِلاف ما جعل الله تعالى لولاة الأمور من الطَّاعة، وخلاف تحكيم الرَّسول عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

س(٤٣٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن حُكْم طاعة الحاكم الذي لا يَحكُم بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الحاكم الذي لا يَحكُم بكتاب الله وسُنَّة رسوله تَجِب طاعته في غير معصية الله ورسوله، ولا تَجِب محاربته مِن أجل ذلك، بل ولا تَجوز إلا أن يَصِل إلى حدِّ الكُفْر فحينئذٍ تَجِب مُنابَذته، وليس له طاعة على المسلمين.

والحُكْم بغير ما في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ يَصِل إلى الكُفْر بشرطين:

الأوَّل: أن يكون عالمًا بحُكْم الله ورسوله ﷺ، فإن كان جاهلًا به لم يَكفُر بمخالفته.

الثَّاني: أن يَكون الحامل له على الحكم بغير ما أَنزَل الله اعتِقاد أنَّه حُكْمٌ غير صالح للوقت وأنَّ غيره أَصلَحُ منه وأَنفَعُ للعباد.

وبهذين الشَّرطين يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفْرًا مُخرِجًا عن المِلَّة، لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، وتَبطُل

ولاية الحاكم، ولا يكون له طاعة على الناس، وتَجِب محاربته وإبعاده عن الحكم.

أمَّا إذا كان يَحكُم بغير ما أنزل الله وهو يَعتقِد أنَّ الحكم به -أي: بما أَنزَل الله- هو الواجب، وأنَّه أَصلَح للعباد، لكن خالفه لهوًى في نفسه أو إرادة ظلم المحكوم عليه، فهذا ليس بكافِر، بل هو إمَّا فاسِق أو ظالم، وولايته باقية، وطاعته في غير معصية الله ورسوله ﷺ واجبة، ولا تَجوز مُحارَبته أو إبعاده عن الحكم بالقوة، والخروج عليه؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ نهى عن الخُروج على الأئمَّة إلا أن نَرى كُفْرًا صريحًا عندنا فيه بُرهان من الله تعالى(١).

س(٤٣٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذه الآية قيل: إنَّها نَزلت في اليهود.

واستدلَّ مَن قال هذا القول: بأنَّها كانت في سياق تَوبيخ اليَهود، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورًا تنكرونها»، رقم (٧٠٥٦)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، رقم (١٧٠٩)، من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والقول الثَّاني: أنَّها عامَّة لليهود وغيرهم.

وهو الصَّحيح؛ لأنَّ العِبْرَةَ بعموم اللَّفظ لا بخصوص السَّبب.

ولكن ما نوع هذا الكُفْر؟

والجواب: قال بعضهم: إنَّه كُفْر دون كُفْر، ويروى هذا عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وهو كقوله ﷺ: «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[1]، وهذا كفر دون كفر؛ بدليل قول الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:٩-١٠]، فجعل الله تعالى الطَّائفتين المُقْتَتِلَتَين إخوةً للطَّائفة الثَّالثة المصلِحة، وهذا قِتال مُؤمِن لمُؤمِن، فهو كفر، لكنَّه كفر دون كفر.

وقيل: إنَّ قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ يَنطبِق على رجل حَكَم بغير ما أنزل الله بدون تَأويل مع عِلْمه بحُكْم الله عَزَّوَجَلَّ، لكنَّه حَكَم بغير ما أَنزَل الله مُعتقِدًا أنَّه مثل ما أَنزَل الله أو خيرٌ منه، وهذا كفر؛ لأنَّه استبدَل دين الله بغيره.



(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله، رقم (٤٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق»، رقم (٦٤)، من حديث عبدالله ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

س(٤٣٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن حكم الذَّبح لغير الله؟ وهل يَجوز الأكل مِن تلك الذَّبيحة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الذَّبح لغير الله شرك أَكبرُ؛ لأنَّ الذَّبح عبادة كما أمر الله به في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]، فمَن ذبَح لغير الله فهو مُشْرِكٌ شِركًا مُخرِجًا عن الملَّة -والعياذ بالله-، سواء ذبَح ذلك لملَك من الملائكة، أو لرسول من الرُّسُل، أو لنبيٍّ من الأنبياء، أو لخليفة مِن الخلفاء، أو لوليٍّ من الأولياء، أو لعالم من العُلماء، فكلُّ ذلك شِرْك بالله عَزَّوَجَلَّ ومُخرِجٌ عن الملَّة.

والواجب على المرء: أن يَتَّقي الله في نفسه، وأن لا يُوقِع نفسه في ذلك الشِّرك الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

وأمَّا الأكل من لحوم هذه الذَّبائح فإنَّه مُحرَّم؛ لأنَّها أُهِلَّ لغير الله بها، وكل شيء أُهِلَّ لغير الله به، أو ذُبِحَ على النُّصُب فإنَّه مُحرَّم كما ذكَر الله ذلك في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة:٣]، فهذه الذبائح التي ذُبِحت لغير الله مِن قِسْم المحرَّمات لا يَحِل أَكلُها.

س(٤٣٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن قوم تُصاب بَهائِمهم ببعض الأمراض فيَقومون بالنَّذْر للمَشايخ بأنواع من الأطعمة، وعند حصول الشِّفاء للبهائم يُؤدُّون النَّذر للمَشايخ فما حُكْم فِعْلهم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: النَّذر للشَّيخ عند حدوث المصائب إذا زالت المصائب مُحرَّم؛ لأنَّ هذا الشَّيخَ لا أثر له في حصول المصلحة، أو دفع المَضرَّة، أو شِفاء المريض، أو غير ذلك، بل قد يَصِل هذا إلى حدِّ الشِّرك الأكبر إذا اعتقد أنَّ الشَّيخَ بيَدِه نَفْع أو ضرر دون الله.

فالواجب على المشايِخ أن يَتنزَّهُوا عن هذا الأمر، وأن لا يُوهِموا العامَّة بأنَّ لديهم سِرًّا يَستطيعون به شِفاء المريض، وأن يَعلموا أنَّ الدُّنيا دار غُرور لا تَغرَّنهم الحياة الدُّنيا، وأنَّ الشَّيطان ربما يَخدَعهم ويُزيِّن لهم سوءَ أعمالهم، فإنَّ الشَّيطان كما وصفه الله عَزَّوَجَلَّ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦].

وعلى العامَّة أن يَبتعِدوا عن هؤلاء المشايخ، وأن لا يَعتقِدوا بهم، وأن يَعلَموا أنَّهم دجَّالون كذَّابون، ليس لديهم من الأمر شيء، وها هو النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أشرفُ خلْق الله وأعظمهم ولايةً وجاهًا عند الله يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]، فكيف بهؤلاء الدَّجَّالين الكذَّابين.

فإنَّني أُوجِّه النصيحة إلى هؤلاء المشايِخ: أن يَتَّقُوا الله عَزَّوَجَلَّ في أنفسهم وفي عباد الله.

ثم النَّصيحة لعموم النَّاس: بأن لا يَغتَرُّوا بأمثال هؤلاء، وأن يَعلَموا أنَّهم لا يَملِكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، فكيف يَملِكون لغيرهم؟!

وإذا أراد الإنسان أن يَشفَى مَريضُه، أو يَحصُل له مطلوب، أو يَرتفِع عنه مكروب، فلْيَتوجَّهْ إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فهو الذي يُجيب المُضْطرَّ إذا دعاه ويَكشِف السُّوء، وهو الذي بيده الخير وهو على كلِّ شيءٍ قدير، فليَصدُقوا مع الله حتى يَنال جزاء الصادقين، كما قال الله تعالى: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب:٢٤]، وحتى يَكون لهم قَدَم صِدْق عند الله عَزَّوَجَلَّ، وليَعلَموا أنَّهم إذا لجؤوا إلى الله واتَّقوا الله عَزَّوَجَلَّ يَسَّر لهم الأمور وكشَف عنهم الكروب، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٢-٣]، أمَّا التَّعلُّق ببَشَر مِثلهم فهو سَفَهٌ في العقل وضَلال في الدِّين.

س(٤٣٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: هل يَجوز النَّحْر للميِّت؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا نَدري ماذا يُريد السَّائل مِن النَّحر للميِّت.

فإن أَراد بالنَّحر للميِّت: التَّقرُّب إلى الميِّت بالذَّبح له، هذا شِرْك أكبرُ مُخرِج عن المِلَّة، ومَن فعله فعليه أن يتوب إلى الله مِن شِركه، فإن لم يَفعَل ومات على ذلك فإنَّ الله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

وأمَّا إن أراد بالنَّحْر للميِّت: أنَّه يَذبَح شاة ليَتصدَّق بلَحْمها عن الميِّت، فهذا جائز؛ لأنَّ الصَّدَقة عن الميِّت باللَّحْم، أو بطعام آخرَ، أو بالدَّراهم جائز.

فخُلاصة الجواب أن نَقول: يُنظَر في مراد السَّائل، فإن أراد النَّحر للميِّت تَقرُّبًا

إليه وتعظيمًا فهذا مِن الشِّرْك الذي لا يَغفِره الله إلا بتوبة.

وإن أراد بذلك أنَّه يَذبَح شاة ليَتصدَّق بلَحْمها فهذا لا بأس به.



| س(٤٣٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن حُكْم الذَّبح لغير الله؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: تَقدَّم لنا في غير هذا الموضع أنَّ توحيد العبادة هو: إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبادة، بأن لا يَتعبَّد أحد لغير الله تعالى بشيء مِن أنواع العبادة، ومن المعلوم أنَّ الذَّبح قُرْبة يَتقرَّب بها الإنسان إلى ربِّه؛ لأنَّ الله تعالى أمَر به في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]، وكل قُرْبة فهي عبادة، فإذا ذَبَح الإنسان شيئًا لغير الله تعظيمًا له، وتَذلُّلًا، وتَقرُّبًا إليه كما يَتقرَّب بذلك ويُعظِّم ربَّه عَزَّوَجَلَّ كان مُشركًا بالله عَزَّوَجَلَّ، وإذا كان مُشرِكًا فإنَّ الله تعالى قد بَيَّن أنَّه حرَّم على المشرك الجنَّة ومَأواه النَّار.

وبِناءً على ذلك نقول: إنَّ ما يَفعَله بعض النَّاس من الذَّبح للقبور -قبور الذين يَزعُمون بأنَّهم أولياءُ- شِرْك مُخرِج عن المِلَّة.

ونصيحتنا لهؤلاء: أن يَتوبوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ ممَّا صَنَعوا، وإذا تابوا إلى الله وجعلوا الذَّبح لله وحده كما يَجعَلون الصَّلاة والصِّيام لله وحده، فإنَّه يُغفَر لهم ما سبق، كما قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨]، بل إنَّ الله تعالى يُعطيهم فوق ذلك فيُبدِّل الله سيئاتِهم حسناتٍ، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠].

فنَصيحَتي لهؤلاء الذين يَتقرَّبون إلى أصحاب القُبور بالذَّبح لهم: أن يَتوبوا إلى الله مِن ذلك، وأن يَرجِعوا إليه، وأن يُخلِصوا دِينهم له سبحانه، وليُبشِروا إذا تابوا بالتوبة من الكريم المنَّان، فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَفرَح بتوبة التَّائِبين وعودة المُنيبين.

س(٤٤٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن عمل بعض النَّاس مِن ذَبحهم البهائم للأولياء، وكذلك الذَّبح عند شِراء سيارة جديدة لكي لا يَقَع عليهم حادث، وكذلك يَذبَحون عند سُكنى البيت الجديد حتى لا يُؤذيهم الجِنُّ، وكذلك يَذبَحون لخزان المياه حتى لا يَسقُط فيه أحَد، فما حُكْم عملهم؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: أمَّا الذَّبح للأولياء أو غيرهم مِن المَخلوقين فإنَّه شِرْك أكبرُ مُخرِج عن المِلَّة، وقد قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]، وهؤلاء لا تَنفَعهم صلاة ولا صدقة ولا صيام ولا حجٌّ ولا غيرها مِن الأعمال الصَّالحة؛ لأنَّ الكافِر لا يُقبَل منه أيُّ عمَل صالح؛ لقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤].

وعلى هؤلاء أن يَتوبوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ من ذلك وأن يَستقِيموا على الإخلاص،

ومَن تاب مِن الذَّنب تاب الله عليه، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان:٦٨-٧١].

وأمَّا الذَّبح عند نُزول البيت أو بِناء الخزَّان أو ما أَشبَه ذلك: فهذا سَفَهٌ وخَطأ، لكنَّه لا يَصِل إلى درجة الشِّرْك الأكبر، وعليهم أن يَكفُّوا عن هذا العمل؛ لأنَّ ذلك ليس وسيلة إلى حِفظ البيت أو الخزان أو ما أَشبَه ذلك، فهو يُشبِه التَّمائم والتَّعوُّذات التي ليست بمَشروعة.

| س(٤٤١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل تُقبَل توبة مَن سَبَّ الله عَزَّوَجَلَّ أو سبَّ الرَّسول ﷺ؟

فأَجَابَ بِقَوْلِهِ: اختُلِف في ذلك على قولين:

القول الأوَّل: أنَّها لا تُقبَل توبة مَن سبَّ الله أو سبَّ رسوله ﷺ، وهو المشهور عند الحنابلة، بل يُقْتَل كافرًا، ولا يُصلَّى عليه، ولا يُدْعَى له بالرَّحمة، ويُدفَن في محَلٍّ بعيد عن قبور المسلمين.

القول الثَّاني: أنَّها تُقبَل توبة من سَبَّ الله أو سَبَّ رسوله ﷺ، إذا علمنا صِدْق توبته إلى الله، وأقرَّ على نفسه بالخطأ، ووصَف الله تعالى بما يَستحِقُّ من صفات التَّعظيم؛ وذلك لعموم الأدلة الدَّالة على قبول التَّوبة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ

ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، ومن الكفار مَن يَسُبُّ الله ومع ذلك تُقبَل توبتهم.

وهذا هو الصَّحيح، إلا أنَّ سابَّ الرَّسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تُقبَل تَوبته ويَجِب قتله، بخِلاف مَن سبَّ الله فإنَّها تُقبَل توبته ولا يُقتَل؛ لأنَّ الله أَخبرنا بعَفْوه عن حقِّه إذا تاب العبد بأنَّه يَغفِر الذُّنوب جميعًا.

أما سابُّ الرَّسول ﷺ فإنَّه يَتعلَّق به أمران:

أحدهما: أَمْر شرعيٌّ لكونه رسول الله ﷺ، وهذا يُقبَل إذا تاب.

الثَّاني: أمر شخصيٌّ، وهذا لا تُقبَل التَّوبة فيه؛ لكونه حقَّ آدميٍّ لم يُعْلَمْ عفوه عنه، وعلى هذا فيُقتَل ولكن إذا قتل، غَسَّلناه، وكفَّنَّاه، وصلَّينا عليه، ودفَنَّاه مع المسلمين.

وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية(١)، وقد أَلَّف كتابًا في ذلك اسمه «الصَّارم المسلول في تَحتُّم قَتْل سابِّ الرَّسول»؛ وذلك لأنَّه استَهان بحق الرَّسول ﷺ، وكذا لو قَذَفه ﷺ فإنَّه يُقتَل ولا يُجلَد.

فإن قيل: أَليس قد ثبَت أنَّ مِن النَّاس مَن سبَّ الرَّسول ﷺ في حياته وقَبِلَ النَّبيُّ ﷺ توبته؟

أُجيب: بأنَّ هذا صحيح، لكن هذا في حياته ﷺ، والحقُّ الذي له قد أَسقَطه، وأمَّا بعد موته فإنَّه لا يَملِك أَحَد إسقاط حقِّه ﷺ، فيَجِب علينا تَنفيذ ما يَقتضيه سبُّه ﷺ مِن قَتْل سابِّه، وقَبول توبة السَّابِّ فيما بينه وبين الله تعالى.

---

(١) انظر: الصارم المسلول (ص:٣٠٢).

فإن قيل: إذا كان يُحتَمَل أن يَعفو عنه لو كان في حياته، أفلا يُوجِب ذلك أن نتوقَّف في حكمه؟

أُجيب: بأنَّ ذلك لا يُوجِب التَّوقُّف؛ لأنَّ المَفسَدة حصَلت بالسَّبِّ، وارتِفاع أثر هذا السَّبِّ غير معلوم، والأصل بَقاؤه.

فإن قيل: أليس الغالب أنَّ الرَّسول ﷺ يَعفو عمَّن سبَّه؟

أُجيب: بلى، ورُبَّما كان العفو في حياة الرَّسول ﷺ مُتضمِّنًا المصلحة وهي التَّأليف، كما كان ﷺ يَعلَم أعيان المنافقين ولم يَقتُلهم؛ «**لِئَلَّا يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»(١) لكن الآنَ لو علِمنا أنَّ أحدًا بعينه مِن المنافِقين لقَتَلناه، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ عدَم قتْل المُنافِق المعلوم إنَّما هو في حياة الرَّسول ﷺ فقط»(٢) اهـ.

***

س(٤٤٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل يُخَلَّدُ صاحب الشِّرك الأصغر في النَّار؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا يُخلَّد صاحب الشِّرْك الأصغر في النَّار؛ لأنَّ الشِّرْك الأصغر لا يُخرِج من المِلَّة، والذي يُخلَّد به الإنسان في النَّار -أعاذنا الله منها- إنَّما هو الشِّرْك الأكبر؛ لقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوة الجاهلية، رقم (٣٥١٨)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما، رقم (٢٥٨٤)، من حديث جابر بن عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) ينظر: زاد المعاد (٣/ ٥٦٨).

ولكن هل يَكون الشِّرْك الأصغَر داخِلًا تحت المشيئة كسائِر الذُّنوب، أو لا بدَّ فيه من تَوبة؟

والجواب: يُحتمَل أن يَكون قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨] عامًّا للشِّرْك الأصغر والأكبر، أي: أنَّه لا يُغفَر، لكن الشِّرْك الأصغر لا يُخلَّد صاحبه في النَّار.

ويُحتمَل أن يقال: إنَّ المراد بالشِّرْك في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾: الشِّرْك الأكبر، فيَكون الشِّرْك الأصغر داخِلًا تحت قوله تعالى: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وفضلُ الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أَوسعُ مما نَتصوَّر، فنَرجو أن يَكون الشِّرْك الأصغر داخِلًا تحت المشيئة.

وبهذه المناسبة: أَودُّ أن أُنبِّه إلى مسألة حول هذه الآية، أَعني: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، فإنَّ بعض المُتهاوِنين بالمعاصي إذا نُهوا عن المعصية قال: إنَّ الله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، فجميع المعاصي داخِلة تحت مشيئته، فيَتهاون بالمعصية من أجل هذا الذي ذكَره الله تعالى فيما دون الشِّرْك.

فنَقول له: أنت على كل حال مُخاطِر، فهل تَعلَم أنَّ الله تعالى يَشاء أن يَغفِر لك؟ فأنت لا تَدرِي، فرُبما تكون من الذين لا يَشاء الله أن يَغفِر لهم، فأنت مُخاطِر، والخطر أمر مَنهيٌّ عنه، ثم إنَّ هناك أدلةً أخرى مُحكمَة ليس فيها اشتِباه، وهي وجوب التَّوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فقد قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور:٣١].



س(٤٤٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن أهل الكبائر من أُمَّة محمَّد ﷺ هل يُخلَّدون في النَّار؟ وهل تَحلُّ لهم الشَّفاعة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أهل الكبائر التي دون الكفر لا يُخلَّدون في النار؛ لقول الله تَبَارَكَوَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وهم مِن أهل الشَّفاعة الذين يَشفَع فيهم النَّبيون والصِّدِّيقون والشُّهداء والصَّالحون، وهذا لا يَعني أنَّ الإنسان يَتهاوَن بالكبائر؛ فإنَّ الكبائِر ربَّما تُوجِب انطماس القلب حتى تُؤدِّي إلى الكفر -والعياذ بالله-، كما قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَى في سورة المطففين: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين:١٠-١٤]. فهذا يُشير إلى أنَّ القلوب قد يُران عليها فتَرى الحقَّ باطلًا، كما تَرى الباطل حقًّا، فعلى الإنسان أن يَستعتِب مِن كبائر ذُنوبه قبل ألَّا يَتمكَّن مِن ذلك، وأن يَتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

س(٤٤٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عمَّن سبَّ الدِّين في حال غضب هل عليه كفَّارة؟ وما شرط التَّوبة مِن هذا العمل؟ وهل يَنفسِخ نِكاح زوجته؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الحُكْم فيمن سبَّ الدِّين الإسلامي أنَّه يَكفُر، فإنَّ سبَّ الدِّين والاستِهزاء به رِدَّة عن الإسلام وكُفْر بالله عَزَّوَجَلَّ وبدِينه، وقد حكى الله عن قوم استَهزَؤوا بدِين الإسلام، حكى الله عنهم أنَّهم كانوا يَقولون: إنَّما كنَّا نَخوض

ونَلعب[1]، فبَيَّن الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ خَوضهم هذا ولعِبهم استِهزاءً بالله وآياته ورسوله، وأنَّهم كفَروا به، فقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

فالاستِهزاء بدِين الله، أو سَبُّ دين الله، أو سَبُّ الله ورسوله، أو الاستِهزاء بهما كُفْر مُخرِج عن المِلَّة.

ومع ذلك فإنَّ هناك مجالًا للتَّوبة منه؛ لقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، فإذا تاب الإنسان مِن أيِّ رِدَّة كانت توبةً نَصوحًا استَوْفت شروط التَّوبة الخمسة، فإنَّ الله يَقبَل توبته.

وشروط التَّوبة الخمسة هي:

الشَّرط الأوَّل: الإخلاص لله بتَوبته، بأن لا يَكون الحامِل له على التوبة رِياء أو سُمعة، أو خوفًا من مَخلوق، أو رجاءً لأمر يَناله من الدُّنيا، فإذا أَخلَص توبته لله وصار الحامِل له عليها تَقوى الله عَزَّوَجَلَّ والخوف مِن عِقابه ورَجاء ثوابه فقد أَخلَص لله تعالى فيها.

الشَّرط الثَّاني: أن يَندَم على ما فعل مِن الذَّنْب، بحيث يَجِد في نفسه حَسْرة وحُزْنًا على ما مَضى، ويَراه أمرًا كبيرًا يَجِب عليه أن يَتخلَّص منه.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٢٩) رقم (١٠٠٤٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٨٥-٨٦) رقم (١٧٣)، من حديث كعب بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وانظر تفسير ابن جرير (١٤/ ٣٣٣-٣٣٥).

الشَّرط الثَّالث: أن يُقلِع عن الذَّنب وعن الإصرار عليه؛ فإن كان ذَنْبه تَرْك واجب قام بفِعله وتَدارَكه إن أَمكَن، وإن كان ذَنْبه بإتيان مُحرَّم أَقلَع عنه وابتَعَد عنه، ومن ذلك إذا كان الذَّنب يَتعلَّق بالمَخلوقين، فإنَّه يُؤدِّي إليهم حقوقهم أو يَستحِلُّهم منها.

الشَّرط الرَّابع: العزم على أن لا يَعود في المستقبل، بأن يَكون في قلبه عَزْم مُؤكَّد أَلَّا يَعود إلى هذه المعصية التي تاب منها.

الشرط الخامس: أن تَكون التوبة في وقت القَبول، فإن كانت بعد فوات وقت القبول لم تُقبَل، وفوات وقت القَبول عامٌّ وخاصٌّ:

أَمَّا العامُّ: فإنَّه طلوع الشمس من مَغربها، فالتَّوبة بعد طلوع الشَّمس مِن مَغربها لا تُقبَل؛ لقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٨].

وأَمَّا الخاصُّ: فهو حضور الأجل، فإذا حضَر الأجل فإنَّ التَّوبة لا تَنفَع؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء:١٨].

فأَقول: إنَّ الإنسان إذا تاب مِن أيِّ ذَنْب -ولو كان ذلك سبَّ الدِّين- فإنَّ توبته تُقْبَلُ إذا استَوفَت الشُّروط التي ذكَرناها.

ولكن ليُعلَم أنَّ الكلمة قد تَكون كُفْرًا ورِدَّة ولكنَّ المُتكلِّم بها قد لا يَكفُر بها؛ لوجود مانع يَمنَع مِن الحُكْم بكُفره.

فهذا الرجل الذي ذكَر عن نفسه في السُّؤال: أَنَّه سبَّ الدِّين في حال غضب،

نقول له: إن كان غَضَبك شديدًا بحيث لا تَدري ما تَقول، ولا تَدري حينئذٍ أأنت في سماء أم في أرض، وتَكلَّمت بكلام لا تَستحضِره ولا تَعرِفه، فإنَّ هذا الكلام لا حُكْم له، ولا يُحكَم عليك بالرِّدَّة؛ لأنَّه كلام حصَل من غير إرادة وقصد، وكل كلام حصَل مِن غير إرادة وقَصْد فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يُؤاخِذ به، يقول الله تعالى في الأيمان: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة:٨٩]، فإذا كان هذا المُتكلِّم بكلمة الكفر في غضب شديد لا يَدري ما يَقول ولا يَعلَم ماذا خرَج مِنه فإنَّه لا حُكْم لكلامه، ولا يُحكَم بردَّته حينئذٍ.

وإذا لم يُحكَم بالرِّدَّة فإنَّ الزَّوجة لا يَنفسِخ نِكاحها منه، بل هي باقية في عصمته.

ولكن يَنبغي للإنسان: إذا أَحسَّ بالغَضَب أن يَحرِص على مُداواة هذا الغضب بما أَوصى به النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حين سأله رجُل فقال له: يا رسول الله، أَوصِني قال: «لَا تَغْضَبْ» فردَّد مِرارًا قال: «لَا تَغْضَبْ»[1]، فليُحكِم الضَّبط على نفسه، ولْيستَعِذْ بالله من الشَّيطان الرَّجيم، وإذا كان قائِمًا فلْيَجلِسْ، وإذا كان جالسًا فلْيَضطجِعْ، وإذا اشتد به الغضب فلْيَتوضَّأْ، فإنَّ هذه الأمور تُذهِب غضبه، وما أكثَرَ الذين نَدِموا ندمًا عظيمًا على تَنفيذ ما اقتَضاه غضبهم، ولكن بعد فوات الأوان.



س(٤٤٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن حُكْم الاستِهزاء بالله تعالى أو رسوله ﷺ أو سُنَّته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب، رقم (٦١١٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الاستِهزاء بالله تعالى أو برسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أو سُنَّةِ رسوله ﷺ كُفْر ورِدَّة، يَخرُج به الإنسان من الإسلام؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

فكل مَنِ استهزأ بالله، أو برسول الله ﷺ، أو بدِين رسول الله ﷺ، فإنَّه كافر مُرتَدٌّ يجب عليه أن يَتوب إلى الله تعالى، وإذا تاب إلى الله فإنَّ الله تعالى يَقبَل توبته؛ لقوله تعالى في هؤلاء المُستهزِئين: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة:٦٦]، فبيَّن الله تعالى أنَّه قد يَعفو عن طائفة منهم، ولا يكون ذلك إلا بالتوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ من كُفْرهم الذي كان باستِهزائهم بالله وآياته ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

س(٤٤٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: عن حُكْم مَن يَمزَح بكلام فيه استِهزاء بالله أو الرَّسول ﷺ أو الدِّين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا العمل -وهو الاستهزاء بالله أو رسوله ﷺ، أو كِتابه أو دِينه- ولو كان على سبيل المزح، ولو كان على سبيل إضحاك القوم، كُفْر ونِفاق، وهو نفس الذي وقَع في عهد النَّبيِّ ﷺ في الذين قالوا: ما رأينا مثلَ قُرائِنا هؤلاء أرغبَ بطونًا، ولا أكذبَ أَلسُنًا، ولا أَجبنَ عند اللقاء[1]، يعنون: رسول الله ﷺ وأصحابه القراءَ، فنَزلت فيهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

(١) أخرجه الطبري في «التفسير» (١١/ ٥٤٣).

وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة:٦٥]؛ لأنَّهم جاؤوا إلى النَّبيِّ ﷺ يقولون: إنَّما كنَّا نَتحدَّث حديث الرَّكْب نَقطَع به عَناء الطَّريق، فكان رسول الله ﷺ يقول لهم ما أمَره الله به: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

فجانب الرُّبوبية، والرِّسالة، والوحي، والدِّين جانب مُحترَم، لا يَجوز لأحد أن يَعبَث فيه، لا بالاستهزاء بإضحاك، ولا بسُخرية، فإن فعل فإنَّه كافر؛ لأنَّه يَدُلُّ على استِهانته بالله عَزَّوَجَلَّ مما صَنَع؛ لأنَّ هذا من النِّفاق، فعليه أن يَتوب إلى الله ويَستغفِر، ويُصلِح عمله، ويَجعَل في قلبه خشية الله عَزَّوَجَلَّ وتعظيمه وخوفه ومَحبَّته. والله وليُّ التوفيق.

س(٤٤٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن حكم الاستهزاء بالمُلتَزِمين بأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الاستِهزاء بالمُلتَزِمين بأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ لكونهم التزموا بذلك مُحرَّم وخطير جدًّا على المرء؛ لأنَّه يُخشى أن تكون كراهته لهم لكراهة ما هم عليه مِن الاستِقامة على دِين الله، وحينئذٍ يَكون استِهزاؤه بهم استهزاءً بطريقهم الذي هم عليه، فيُشبِهون من قال الله عنهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]، فإنَّها نزلت في قوم من المنافقين قالوا: ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء -يَعنون: رسول الله ﷺ وأصحابه- أرغب بطونًا،

ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء. فأنزل الله فيهم هذه الآية[1].

فلْيحذَرِ الذين يَسخَرون من أهل الحق لكونهم مِن أهل الدِّين، فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين:٢٩-٣٦].

س(٤٤٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن حُكْم مَن يَسخَر بالمُلتَزِمين بدِين الله ويَستهزِئ بهم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هؤلاء الذين يَسخَرون بالمُلتزِمين بدِين الله المُنفِّذين لأوامر الله فيهم نوع نِفاق؛ لأنَّ الله قال عن المنافقين: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٧٩]، ثم إن كانوا يَستهزِئون بهم من أجل ما هم عليه من الشَّرع فإن استهزاءهم بهم استهزاءٌ بالشَّريعة، والاستِهزاء بالشَّريعة كُفْر.

أما إذا كانوا يَستهزِئون بهم، يَعنون أشخاصهم وزِيَّهم بقَطْع النَّظر عما هم عليه مِن اتِّباع السُّنَّة، فإنَّهم لا يَكفُرون بذلك؛ لأنَّ الإنسان قد يَستهزِئ بالشَّخص نفسه بقَطْع النَّظَر عن عمله وفِعْله، لكنَّهم على خطر عظيم.

(١) أخرجه الطبري في «التفسير» (١١/ ٥٤٣).

والواجب: تَشجيع مَن التَزَم بشريعة الله ومعونته، وتَوجيهه إذا كان على نوع من الخطأ حتى يَستقيم على الأمر المطلوب.

س(٤٤٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: مَن سبَّ دِين الإسلام ليس عمدًا مِنه بل وقَع منه سبْق لسان، فهل يَدخُل في اللَّغو المذكور في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: مَن سبَّ دِين الإسلام فهو كافِر، سواء كان جادًّا أو مازِحًا، حتى وإن كان يَزعُم أنَّه مُؤمِن فليس بمُؤمِن.

وكيف يَكون مُؤمِنًا بالله عَزَّوَجَلَّ، وبكِتابه، وبدِينه، وبرسوله ﷺ وهو يَسُبُّ الدِّين؟!

كيف يَكون مؤمنًا وهو يَسبُّ دِينًا قال الله فيه: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وقال الله تعالى فيه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥]، وقال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]؟!

كيف يكون مؤمنًا مَن سَبَّ هذا الدِّين ولو كان مازِحًا إذا كان قد قصد الكلام؟! فإنَّ مَن سَبَّ دِين الإسلام جادًّا أو مازِحًا، فإنَّه كافر كُفْرًا مخرِجًا عن المِلَّة، وعليه أن يُبادِر بالتَّوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وسَبُّ الدين مازحًا أَشدُّ مِن سبِّه جادًّا وأعظمُ؛ ذلك لأنَّ مَن سَبَّ شيئًا جادًّا وكان هذا السبُّ واقِعًا على هذا الشَّيء، فإنَّه قد لا يَكون عند النَّاس مثل الذي سبَّه مازحًا مستهزِئًا وإن كان فيه هذا الشَّيء، والدِّين الإسلامي -والحمد لله- دِين كامل، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

وهو أعظم مِنَّة مَنَّ الله بها على عباده، كما قال تعالى: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ فإذا سَبَّه أحَد ولو مازحًا فإنَّه يَكفُر، فعليه أن يَتوب إلى الله، ويُقلِع عما صنَع، وأن يُعظِّم دِين الله عَزَّوَجَلَّ في قلبه حتى يَدين الله به، ويَنقاد لله بالعمل بما جاء في هذا الدِّين.

أمَّا مَن سبَق على لسانه: بأن كان يُريد أن يَمدَح الدِّين، فقال كلمة سبٍّ بدون قصْد، بل سبقًا على اللِّسان، فهذا لا يَكفُر؛ لأنَّه ما قصد السَّبَّ، بخلاف الذي يَقصِده وهو يَمزَح فإن هنا قصدًا وقَع في قلبه فصار له حُكْم الجادِّ.

أمَّا هذا الذي ما قصد ولكن سبق على اللِّسان فإنَّ هذا لا يَضرُّ؛ ولهذا ثبت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ**»(١)، فلم يُؤاخَذ؛ لأنَّ هذا القول الذي صدَر منه غير مَقصود له، بل سبَق على لِسانه فأخطأ مِن شِدَّة الفرح، فمِثْل هذا لا يَضرُّ الإنسان؛ لأنَّه ما قصَده.

فيَجِب أن نَعرِف الفرق بين قصْد الكلام وعدم قصْد الكلام، ليس بين قصد السَّبِّ، وعدم قصْده؛ لأنَّ هنا ثلاثَ مراتبَ:

المرتبة الأولى: أن يَقصِد الكلام والسَّبَّ، وهذا فِعْل الجادِّ كما يَصنَع أعداء الإسلام بسبِّ الإسلام.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب التوبة، باب الحض على التوبة، رقم (٢٧٤٧)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المرتبة الثَّانية: أن يَقصِد الكلام دون السَّبِّ.

بمعنى: يَقصِد ما يَدُل على السَّبِّ، لكنَّه مازحٌ غير جادٍّ، فهذا حكمه كالأول يَكون كافرًا؛ لأنَّه استِهزاء وسُخرية.

المرتبة الثَّالثة: أن لا يَقصِد الكلام ولا السَّبَّ، وإنَّما يَسبِق لسانه فيَتكلَّم بما يَدُل على السَّبِّ بدون قصْد مطلقًا، لا قصْد الكلام، ولا قصْد السَّبِّ، فهذا هو الذي لا يُؤاخَذ به، وعليه يَتنزَّل قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٥]، فإنَّه هو قول الرجل في عرض حديثه: لا والله، وبلى والله، فلم يَقصِد ما قاله، فلا يُعتبَر له حُكْم اليمين المُنعقِدة.

فكل شيء يَجري على لسان الإنسان بدون قصْد فإنَّه لا يُعتبَر له حُكْم، وقد يقال: إنَّ الإنسان قد قال في حديثه: لا والله، وبلى والله، إنَّه قصد اللفظ لكن ما قصد عقْد اليمين، فإذا كان هذا فإنَّه يُفرَّق بين حُكْم اليمين وبين الكفر، فالكُفْر ولو كان غير قاصد للسبِّ فإنَّه يَكفُر ما دامَ قصد الكلام واللفظ.

س(٤٥٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن رجل سَبَّ إنسانًا مُسلِمًا ولعَن دِينه ماذا يُحكَم عليه، وإذا كان مُتزوِّجًا فماذا عن زوجته، وقد سُئِل هذا الرجل فقال: ما صدَر مِني إنَّما هو لغْوٌ، ولم أَقصِد ما أقول، فما قولكم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: سَبُّ الدِّين ولَعْنه كُفْر؛ لأنَّ سبَّ الشيء ولَعْنه يَدُل على بُغْضه وكراهته، وقد قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٩]، وإحباط الأعمال لا يَكون إلا بالرِّدَّة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ

فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:٢١٧].

فالذي يَسُبُّ الدِّين لا شكَّ في كفره، وكونه يَدَّعي أنَّه مستهزئ وأنَّه لاعِب وأنَّه ما قصَد هذا لا يَنفي كُفْره، كما قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]، ثم نقول له: إذا كنت صادقًا في أنَّك تَمزَح أو أنت هازِل لست بجادٍّ فارْجِع الآن وتُبْ إلى الله، فإذا تُبْت قبلنا تَوبَتك، فتُبْ إلى الله واستغفِرِ الله مما جَرى مِنك، وارْجِع إلى ربِّك، وإذا تُبْت -ولو من الرِّدَّة- فإنَّك مَقبول التَّوبة.

س(٤٥١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: منْ سبَّ الدِّين في حال الغضَب هل يَكفُر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إذا كان الغضب شديدًا بحيث لا يَملِك الإنسان نفسه، فإنَّه لا يَخرُج بذلك مِن الدِّين؛ لأنَّه لا يَعِي ما يقول.

وأمَّا إذا كان يَملِك نفسه: فسَبُّ الدين كُفْر ورِدَّة، فيَجِب عليه أن يَتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ وأن يُجدِّد إسلامه.



س(٤٥٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: يَمزَح البعض مِن أجل إضحاك النَّاس بكلام على الله تعالى ورسوله ﷺ، وإذا نُصِح يَرُدُّ ويقول: أنا في مَزْح وضَحِك، فبماذا يُحكَم عليه؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إنَّ هذا العمَل وهو الاستِهزاء بالله تعالى أو برسوله ﷺ أو كتابه أو دِينه، ولو كان على سبيل المَزْح أو على سبيل إضحاك القوم.

فإنَّنا نقول: إنَّ هذا العمَل كُفْر ونِفاق، وهو نفس الذي وقَع في عهد النَّبيِّ ﷺ في الذين قالوا: ما رأينا مِثل قُرَّائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء. يَعنون: رسولَ الله ﷺ وأصحابه[1]، فنزَلت فيهم هذه الآية: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة:٦٥]؛ لأنَّهم جاؤوا إلى النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقولون: يا رسول الله، إنَّما كنَّا نَتَحدَّث حديثًا لنَقطَع به عناء الطريق. فكان رسول الله ﷺ يَقول لهم ما أمره الله به: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٦].

فجانب الرُّبوبية والرسالة والوحي والدِّين جانب مُحترَم، لا يَجوز لأحَد أن يَعبَث فيه، لا باستِهزاء ولا بإضحاك ولا بسُخرية، فإن فعَل فإنَّه كافِر؛ لأنَّه يَدُلُّ على استهانته بالله عَزَّوَجَلَّ وكُتُبه ورسوله وشَرْعه.

وعلى هذا الرجل أن يَتوبَ إلى الله عَزَّوَجَلَّ مما صنَع؛ لأنَّ هذا مِن النِّفاق، فعليه أن يَتوب إلى الله ويَستغفِرَ ويُصلِح عمَله، ويَجعَل في قلبه خشية الله عَزَّوَجَلَّ وتَعظيمه وخوفه ومحبَّته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) أخرجه الطبري في «التفسير» (١١/ ٥٤٣).

س(٤٥٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: ما حُكْم مَن يَستهزِئ بالحِجاب ولا يَأمُر أهله به؟

فأَجابَ بقَوْلِهِ: الحِجاب عبارة عن: ستْر الوجه وما تكون به الفتنة مِن بقية الأعضاء، هذا هو الحِجاب الشرعيُّ خلافًا لما يَظنُّه بعض النَّاس من أنَّ الحجاب الشرعي أن تَستُر المرأة كلَّ بدَنها إلا الوجهَ والكفَّين.

وقد دلَّت الأدلة من الكتاب والسُّنَّة على أنَّه لا يَجوز للمرأة أن تَكشِف وجهها لغير زوجها ومَحارِمها، ولنا في ذلك رسالة أَسمَيناها (رسالة الحجاب)، ولغيرنا في ذلك أيضًا رسائلُ، وقد أُلِّفت في هذا مؤلفاتٌ كثيرة، والحمد لله.

فمَنِ استهزَأ بالحِجاب، فإن كان قصده الاستِهزاء به كشريعة وسُنَّة من سُنَن الرَّسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فإنَّه على خطَر عظيم، ويُخشى أن يَكون هذا رِدَّة عن دِين الله، لأنَّ الاستِهزاء بالله وآياته ورسوله كُفْر كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

وأمَّا إن كان يَستهزِئ به لا على أنَّه شريعة لكن على أنَّه قول اختاره مَن يَفعَله ويَتحجَّب فهذا لا يَكفُر، لكنَّه أخطأ خطأً عظيمًا؛ لأنَّ الاستِهزاء بقول غيرك من أهل العِلْم -وإن كنتَ عالمًا- لا يَحِلُّ، ما دامتِ المسألة مَبنيَّةً على الاجتِهاد فإنَّه ليس اجتِهادك أَولَى بالصَّواب من اجتِهاد الآخر، وليس اجتهاده أَولَى بالصَّواب من اجتِهادِك، والصواب من اجتِهادَيكما ما وافق الكتاب والسُّنَّة.

ونحن نَعلَم أنَّ الخير كلَّ الخير بستْر الوجه عن الرجال الأجانب، بقَطْع النَّظر عن دَلالة الكِتاب والسُّنَّة والنَّظر الصَّحيح على وجوب سَتْر الوجه، لكن هو من

النَّاحية العقلية أنَّ سَتْره لا شكَّ أحفَظ للمرأة وأَبعَد للفِتنة، والإنسان العاقل إذا رأى ما وقعت فيه المجتمعات التي لا تَسترُ الوجه مِن الشَّرِّ يَعرِف أنَّ الخير كلَّ الخير في سَتر الوجه، وأنَّه واجِب عقلًا، وإن قُدِّر أنَّه ليس فيه أَدلَّة شرعية تَدُل على الوجوب، مع أنَّ فيه أَدلَّةً شرعية تَدُل على الوجوب لا شكَّ عندنا في ذلك، وانظر إلى تلك المُجتَمعات التي كشَفت بعض النِّساء فيها عن الوجوه، هل اقتَصَر نِساؤها على كشف الوجه والكفَّين فقط.

والجواب: لم يَقتَصروا على الوجه والكفَّين، بل كشَفوا الوجوه والنُّحور والشُّعور والأَذرعة والأقدام والسِّيقان، وحصل بذلك شرٌّ كثير، لكن انظُرْ إلى المرأة المُتَخمِّرة المُغطِّية لوجهها تَجِدْ أنَّها في سلامة وفي أمان وفي حِشْمة ووقار، فلا يَطمَع فيها الطامِعون ولا يَحوم حولها السَّافِلون.

ونَصيحتي لهذا الرَّجُل أن: يَتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ مما صَنَع، وأن يُلزِم أهله من بنات وأخوات وزوجات بما تَدُلُّ عليه الأدلَّة الشَّرعية من سَتر الوجه؛ حتى تَسلَم نِساؤه ويَسلَم دِينه ويَكون قد رَعاهنَّ حقَّ الرِّعاية، فإنَّ الإنسان مَسؤول عن أهله يوم القيامة، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**الرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(١).



| س(٤٥٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى: ما حُكْم الاستِهزاء بالمُلتَزِمين؟

فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: إن كان هذا الاستِهزاء بما التَزَموا به فهذا كُفْر، فلوِ استَهزَأ بالصلاة التي التزموا بها، أو الشَّرائع التي التزموا بها، فهذا كُفْر لا شكَّ فيه.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، رقم (٨٩٣)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، رقم (١٨٢٩)، من حديث ابن عمر رَضِيَالله عَنْهُمَا.

وأمَّا إذا استهزأ بالرَّجُل نفسه، فهذا لا يَصِل إلى حدِّ الكُفْر، لكنَّه لا شكَّ أنَّه آثِمٌ باستِهزائه برجل ممَّن تمسَّكوا بدينهم.

س(٤٥٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما حُكْم مَن يَستعمِل ألفاظًا مِن القرآن ويَربِطها بكلِمات عامِّيَّة ويَجعلها مجالًا للضَّحِك والمزاح؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الكُفْر لا فرْق فيه بين المازِح والجادِّ، فمتى أتى الإنسان بما يُوجِب الكُفْر فهو كافر والعِياذ بالله، ومِن أَعظَم ذلك أن يَأتِيَ بشيء يُفيد السُّخرية بالقرآن أو الاستهزاء بالقرآن، فإنَّ هذا كُفر -نسأل الله العافية-، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ في المنافقين الذين كانوا يقولون: ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء. يَعنون بذلك: رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأصحابه، فأنزل الله فيهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦][1].

فمَن أَتَى بكلِمة الكُفْر فهو كافر، سواء أتى بها جادًّا أم لاعِبًا، مازِحًا أم غير مازِح.

فعلى مَن فعل ذلك أن يَتوب لله عَزَّوَجَلَّ، وأن يَعتبِرَ نفسه داخِلًا في دِين الإسلام بعد أن خرج منه.

---

(١) أخرجه الطبري في «التفسير» (١١/ ٥٤٣).

ويَجِب على المُؤمِن أن يُعظِّم كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يُعظِّم كلام رسول الله ﷺ، كما عليه أن يُعظِّم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وأن يُعظِّم رسول الله ﷺ بما يَليق به ولا يَكون غُلوًّا فيه.

وأمَّا السُّخرية بالقرآن ورَبْط الكلِمات القرآنية وهي كلام رَبِّ العالَمِين بكلام عامِّي للسخرية، فهذا أمر خطير جدًّا -نَسأَل اللهَ العافية- قد يَخرُج به الإنسان مِن الإسلام وهو لا يَشعُر.

س(٤٥٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل يَجوز البقاء بين قوم يَسبُّون الله عَزَّوَجَلَّ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا يَجوز البقاء بين قوم يَسبُّون الله عَزَّوَجَلَّ؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠]، والله الموفِّق.

س(٤٥٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: قرأت في كُتيِّب بعنوان: صيغة الصَّلاة على سيدنا محمد فيها فوائدُ عظيمة لقَضاء الحاجات، والصيغة: «اللهم صلِّ على سيِّدنا محمد، سِرُّ حياة الوجود، والسَّبب العظيم لكل موجود، الحبيب المحبوب، شافي العِلَل، ومُفرِّج الكروب» فما رأي فَضيلتكم في هذا الدُّعاء؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: رأيي في هذا الدُّعاء أنَّه مُنكَر، ولا يَجوز للإنسان أن يَدعوَ به؛

لأنَّه وصَف النَّبيَّ ﷺ بأنَّه سِرُّ الوجود، وأنَّه شافي العِلَل، وهذا شِرْك، فالشَّافي هو الله تَبَارَكَوَتَعَالَى، والنَّبيُّ ﷺ نفسه يَقول في الدُّعاء على المريض: «**وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ**»(١).

فكيف يدَّعي هذا أنَّ النَّبيَّ ﷺ هو شافي العِلل.

فعلى مَن رأى هذا الدَّعاء: أن يُمزِّقه، وأن يُحذِّر منه.

وإنَّني بهذه المناسبة: أَودُّ أن أُحذِّر إخواني المسلمين عن ما يَتداوَله النَّاس أحيانًا، مِن ورقات يُوزِّعها أُناس مجهولون فيها أنواع من الأدعية كلُّها أَسجاعٌ غريبة تَصُدُّ النَّاس عن الأدعية التي ذكَرها الله تعالى في القرآن أو عن الأدعية الثَّابتة عن الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولهذا تَجِد النَّاس؛ لحسْن أسلوب هذه الأدعية التي تُوزَّع أحيانًا، ولكون الشَّيطان يُزيِّنها في قلوبهم، يَكبُّون عليها، ويُعرِضون عما جاء في الكتاب والسُّنَّة مِن الأدعية النَّافعة الجامعة.

وأَنصَح كل مَن وقَع في يده شيء من هذا: أن يَعرِضه على أهل العلم قبل أن يَتعبَّد الله به، وهؤلاء الذين يُوزِّعون هذه المنشورات:

إمَّا جاهلون، فهم: تحت عفو الله عَزَّوَجَلَّ، على أنِّي أَخشَى ألا يُعفَى عنهم؛ لأنَّ الواجب على الإنسان في هذه الأمور أن يَسأَل أهل العلم قبل أن يُوزِّعها.

وإمَّا مُتعمِّدُون لصدِّ النَّاس عن الأدعية الوارِدة المشروعة، إلى هذه الأدعية المصنوعة المسجوعة؛ ليُبعِدوا النَّاس عن ما جاء في الكتاب والسُّنَّة، ولا شكَّ أنَّ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المرضى، باب دعاء العائد للمريض، رقم (٥٦٧٥)، ومسلم: كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، رقم (٢١٩١)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الأدعية الوارِدة في الكِتاب والسُّنَّة خير ما يكون من الأدعية؛ لأنَّها مِن عِند الله عَزَّوَجَلَّ علَّمها عبادَهُ، ومِن عند النَّبيِّ ﷺ علَّمها أُمَّته.

فالحَذارَ الحذارَ من التَّمسُّك بهذه المنشورات، وكما تَرِد هذه المنشورات في الأدعية تَرِد أيضًا في مسائِلَ أخرى، فتُوزَّع أحيانًا منشورات منها أحاديث مكذوبة عن النَّبيِّ ﷺ، ومن المعلوم أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[1]، وقال ﷺ: «**مَنْ حَدَّثَ عَنِّي حَدِيثًا يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الكَاذِبِينَ أَوِ الكَاذِبَيْنِ**»[2]، فليُحذِّر عباد الله مِن هذه المنشورات تَوزيعًا أو طباعة أو شراءً أو بيعًا أو هديَّةً أو استِعمالًا، والعلماء -والحمد لله- مَوجودون، ويَتمكَّن الإنسان من الوصول إليهم مُشافَهة ومُباصَرة أو مُشافَهة عن طريق الهاتف.

س(٤٥٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عن حُكْم مَن سَخِر بصاحب اللحْيَة، ورافِع ثوبه عن كعبيه.

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: مَن سَخِر بصاحب اللِّحْية ورافِع ثوبه عن كعبيه، فإن قصَد السُّخرية بعمَله وهو يَعلَم أنَّه مِن شريعة الله تعالى فقد سخِر من شريعة الله تعالى، وإن قصَد السُّخرية بالشَّخص نفسه لدوافعَ شخصية فإنَّه لا يَكفُر بذلك.



(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، رقم (١١٠)، ومسلم: في مقدمة صحيحه، باب في التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ، رقم (٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: في مقدمة صحيحه (١/ ٨)، من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٤٥٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن حُكْم دُعاء المخلوق؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الدُّعاء يَنقسِم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: جائز، وهو أن تَدعو مَخلوقًا بأمر مِن الأمور التي يُمكِن أن يُدرِكها بأشياءَ محسوسة معلومة، قال ﷺ في حقوق المسلم على أخيه: «**وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ**»(١)، وقال ﷺ: «**وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ**»(٢) الحديثَ.

الثَّاني: أن تَدعو مَخلوقًا مطلقًا -سواء كان حيًّا أو ميتًا- فيما لا يَقدِر عليه إلا الله، فهذا شِرْك أكبرُ؛ لأنَّ هذا مِن فِعْل الله لا يَستطيعه البشَر، مثل: يا فلانُ اجعَلْ ما في بطن امرأتي ذكَرًا.

الثَّالث: أن تَدعو مخلوقًا لا يُجيب بالوَسائل الحسِّيَّة المعلومة، كدُعاء الأموات، فهذا شِرْك أكبرُ أيضًا؛ لأنَّ هذا لا يَقدِر عليه المَدعوُّ، ولا بدَّ أن يَعتقِد فيه الدَّاعي شيئًا سِرِّيًّا يُدبِّر به الأمور.



س(٤٦٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن رَجُل كان على جانب مِن الصَّلاح والخير ثم مات، فهل يَنفَع أو يَضُر بعد موته؟

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم ردُّ السلام، رقم (٢١٦٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد، باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر، رقم (٢٨٩١)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم (١٠٠٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: لا شكَّ أنَّ أحقَّ النَّاس بالولاية وأعظمهم ولاية هو النَّبيُّ ﷺ، وقد قال الله له آمِرًا إيَّاه أن يُبلِغ الأمَّة بأنَّه لا يَملِك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله، وقد قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨]، وأمَره كذلك أن يَقول للنَّاس بأنَّه لا يَملِك لهم مثل ذلك، فقال: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا﴾ [الجن:٢١].

فإذا كان هذا في أعظم النَّاس ولاية وأقربهم من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وهو محمَّد ﷺ، فما بالُك بمَن دونه مِن الأولياء؟! فكلُّ وليٍّ أو نبيٍّ أو ملَك فإنَّه لا يَملِك لأحَد نَفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله، والذي يَملِك ذلك ويُدبِّر الخلق هو الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا كان الوليُّ لا يَملِك الضرَر ولا النَّفع في حياته، فكذلك أيضًا لا يَملِك النَّفع ولا الضرر بعد موته مِن بابِ أَولَى.

ولهذا الأولياءُ ليس لهم حقٌّ في تدبير الكون، ولا في نَفْع الخَلْق، ولا في ضَرَر الخَلْق.

والواجب على الإنسان: أن يُعلِّق ذلك بالله عَزَّوَجَلَّ وحده؛ لأنَّه هو المالك له، ثم إنَّني أَقول لهذا السَّائل ولغيره: إنَّه يَجِب التَّحقُّقُ مِن انطباق وصف الولاية على مَن يُوصَف بها، وقد يقال: هذا وَليٌّ لله، وهو عَدُوٌّ لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّه يُضلُّ النَّاس ويصدُّهم عن دِين الله الحقِّ، ويُغريهم بما يكون على يديه مِن الخرافات والخُزَعبلات وغيرها، وميزان الولاية هو ما ذَكَره الله تعالى بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣]، فمَن كان مُؤمِنًا تَقيًّا كان لله وَليًّا.

فإذا قيل عن شخص ما: إنَّه وليٌّ، فإنَّنا نَنظُر في إيمانه وفي تَقواه لله عَزَّوَجَلَّ، وهل هو مُستقيم على شريعة الله عَزَّوَجَلَّ، حريص على اتِّباع النَّبيِّ ﷺ مُنفِّذًا لشرع الله تعالى في قوله وفعله؟ وإلا فإنَّه ليس لله بِوليٍّ وإن زعَم أنَّه وَليٌّ، فإذا كان يَأتي بأمور مُحدَثة في العبادة أو في العقيدة ويَزعُم أنَّه وليٌّ فهو كاذب في زَعْمه؛ لأنَّه ليس بتَقِيٍّ، والوَليُّ هو: المؤمِن التَّقيُّ المُتَّبع لكتاب الله وسُنَّة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

س(٤٦١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن رجل محافظ على الصَّلاة والصِّيام وظاهر حاله الاستقامة، إلا أن له حلقاتٍ يَدعو فيها الرَّسول ﷺ وعبد القادر، فما حُكْم عمَله هذا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ما ذَكَره السَّائل يُحزِن القلْب، فإنَّ هذا الرَّجل الذي وَصَفه بأنَّه يُحافِظ على الصَّلاة والصِّيام، وأنَّ ظاهر حاله الاستِقامة، قد لعِب به الشَّيطان وجعله يَخرُج مِن الإسلام بالشِّرك، وهو يَعلَم أو لا يَعلَم.

فدُعاؤه غيرَ الله عَزَّوَجَلَّ شرْك أكبرُ مخرِج عن المِلَّة، سواء دعا الرَّسولَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو دعا غيره، وغيرُه أَقلُّ منه شأنًا وأقلُّ منه وَجاهةً عند الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا كان دُعاء رسول الله ﷺ شِرْكًا فدُعاء غيره أَقبحُ وأقبحُ، من عبدالقادر أو غير عبدالقادر، والرَّسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نفسه لا يَملِك لأحد نَفْعًا ولا ضَرًّا، قال الله تعالى آمِرًا له: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن:٢١]، وقال آمرًا له: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأنعام:٥٠]، وقال تعالى آمِرًا له: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ

وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٨]، بل قال تعالى آمِرًا له: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن:٢٢]، فإذا كان الرَّسول ﷺ نفسه لا يُجيره أَحَد مِن الله فكيف بغيره؟!

فدُعاء غير الله شِرْك مُخرِج عن المِلَّة، والشِّرْك لا يَغفِره الله عَزَّوَجَلَّ إلَّا بتَوْبة مِن العَبْد لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وصاحبه في النار؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

ونَصيحتي لهذا الرجُل أن يَتوب إلى الله مِن هذا الأمر المُحبِط للعمَل فإنَّ الشِّرْك يُحبِط العمَل، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥]، فلْيَتُبْ إلى الله مِن هذا، ولْيَتعبَّدْ لله بما شرَع مِن الأذكار والعبادات، ولا يَتجاوَز ذلك إلى هذه الأمور الشِّركية، وليَتفكَّر دائمًا في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

س(٤٦٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن حُكْم دُعاء أصحاب القبور.

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الدُّعاء يَنقسِم إلى قِسمَين:

القِسْم الأوَّل: دُعاء عِبادة، ومثاله الصَّلاة، والصَّوم، وغير ذلك من العبادات،

فإذا صلى الإنسان أو صام فقد دَعا ربَّه بلسان الحال أن يَغفِر له، وأن يُجيره من عذابه، وأن يُعطيه مِن نَواله، ويَدُل لهذا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]، فجعل الدُّعاء عبادة، فمَن صرَف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله فقد كفَر كفرًا مُخرِجًا عن المِلَّة، فلو ركَع الإنسان أو سجَد لشيء يُعظِّمه كتعظيم الله في هذا الرُّكوع أو السُّجود لكان مُشرِكًا خارِجًا عن الإسلام؛ ولهذا منَع النَّبيُّ ﷺ من الانحِناء عند المُلاقاة سَدًّا لذَريعة الشِّرْك، فسُئِل عن الرجل يَلقَى أخاه أَينحَني له؟ قال: «لَا»(١).

وما يَفعَله بعض الجُهَّال إذا سلَّم عليك انحنَى لك، خَطأٌ، ويَجِب عليك أن تُبيِّن له ذلك وتَنهاه عنه.

القسم الثَّاني: دُعاء المسألة، وهذا ليس كله شِركًا بل فيه تَفصيل:

أولًا: إن كان المدعوُّ حيًّا قادِرًا على ذلك فليس بشِرْك، كقولك: اسقِني ماءً. لَمِن يَستطيع ذلك، قال ﷺ: «مَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ»(٢)، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [النساء:٨]، إن مدَّ الفقير يَدَه، وقال: ارزُقْني. أي: أَعطِني، فهو جائز، كما قال تعالى: ﴿فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾.

ثانيًا: إن كان المَدعوُّ ميِّتًا فإن دُعاءه شِرْك مُخرِج عن المِلَّة.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٩٨)، والترمذي: كتاب الاستئذان، باب ما جاء في المصافحة، رقم (٢٧٢٨)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب المصافحة، رقم (٣٧٠٢)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٦٨)، وأبو داود: كتاب الزكاة، باب عطية مَن سأل بالله، رقم (١٦٧٢)، والنسائي: كتاب الزكاة، باب من سأل بالله، رقم (٢٥٦٧)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ومع الأسف أن في بعض البلاد الإسلامية مَن يَعتقِد أنَّ فلانًا المقبور الذي بقِي جُثَّة أو أَكَلته الأرض يَنفَع أو يَضر، أو يَأتي بالنَّسل لِمَن لا يُولَد له، وهذا -والعياذ بالله- شِرْك أَكبَر مُخرِج عن المِلَّة، وإقرار هذا أَشدُّ مِن إقرار شُرْب الخمر والزِّنا واللِّواط؛ لأَنَّه إقرار على كُفْر، وليس إقرارًا على فُسوق فقط، فنَسأَل الله أن يُصلِح أحوال المسلمين.

* * *

س(٤٦٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: يَقول بعض النَّاس عند الشِّدَّة: «يا مُحَمَّدُ أو يا عليُّ، أو يا جيلانيُّ» فما الحُكْم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إذا كان يُريد دُعاء هؤلاء والاستِغاثة بهم فهو مُشرِك شِرْكًا أكبرَ مُخرِجًا عن المِلَّة، فعليه أن يَتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ وأن يَدعوَ الله وحده، كما قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦٢]، وهو مع كونه مُشرِكًا سفيه مُضيِّع لنفسه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:١٣٠]، وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف:٥].

* * *

س(٤٦٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: عمَّا يَعتقِده بعض النَّاس في الأولياء من النَّفْع والضَّرِّ، وكشْف الكُربات وقضاء الحاجات سواء الأحياء أو أصحاب القبور؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا الاعتِقاد باطِل؛ لأنَّ الذي بيَدِه النَّفع والضَّرر وكشْف الكُرُبات هو الله عَزَّوَجَلَّ وليس الأولياء، فالأولياء لا يَملِكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا فضلًا عن غيرهم، سواء كانوا أحياءً أم أمواتًا، وإنَّما الذي يُجيب دَعوة المُضطَرِّ إذا دعاه ويَكشف السُّوء هو الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا كان الأنبياء وهم سادات الأولياء وفوق مَرتَبة الأولياء، إذا كانوا هم لا يَملِكون لأنفسهم نَفْعًا ولا ضَرًّا، فما بالُك بغيرهم؟!

قال الله تعالى عن نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [هود:٣١].

وقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام:٥٠]، وقال له: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن:٢١-٢٢]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨].

فالأولياء لا يَملِكون لأَحَد شيئًا لا نَفْعًا ولا ضرًّا سواء كانوا أحياءً أو أمواتًا، فلا يَملِكون أن يَهدوا ضالًّا، ولا أن يُغنوا فقيرًا، ولا أن يَشفوا مريضًا، وإنَّما ذلك إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ فهم بأنفسهم إذا أصابهم الضَّرَر لا يَملكون دَفْعه ولا يَملِكون رَفْعه، بل هم عاجِزون عن ذلك، فكيف يَملِكون لغيرهم ذلك؟



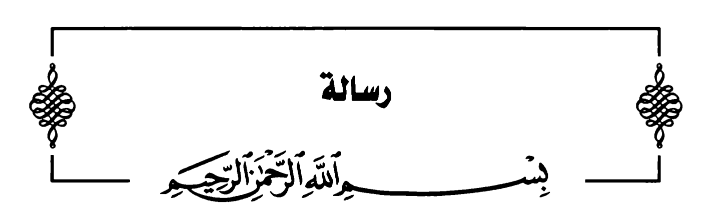
س(٤٦٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل عِبادة الإنسان لصِفَة مِن صِفات الله يُعدُّ مِن الشِّرك، وكذلك دُعاؤها؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: عبادة الإنسان لصفة مِن صفات الله أو دُعاؤه لصفة من صفات الله مِن الشِّرك، وقد ذكَر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]؛ لأنَّ الصِّفة غير الموصوف بلا شكٍّ وإن كانت هي وَصْفه، وقد تَكون لازِمة وغير لازِمة، لكن هي -بلا شكٍّ- غير الموصوف، فقُوَّة الإنسان غير الإنسان، وعِزَّة الإنسان غير الإنسان، وكلام الإنسان غير الإنسان، كذلك قُدْرة الله عَزَّوَجَلَّ ليس هي الله؛ بل هي صِفة من صفاته، فلو تَعبَّد الإنسان لصفة من صفات الله لم يَكن مُتعبِّدًا لله؛ وإنَّما تَعبَّد لهذه الصِّفة لا لله عَزَّوَجَلَّ، والإنسان إنَّما يَتعبَّد لله عَزَّوَجَلَّ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢]، والله عَزَّوَجَلَّ موصوف بجميع صفاته، فإذا عَبَدْتَ صِفة من صفاته لم تَكُن عَبَدْتَ الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله موصوف بجميع الصِّفات.

وكذلك دُعاء الصِّفة من الشِّرك، مثل أن تَقول: يا مغفرة الله اغفِري لي، يا عِزَّةَ الله أَعزِّيني، ونحو ذلك.



(١) انظر: الرد على البكري (ص:٧٩).



سماحةَ الشَّيخِ/ محمد بن صالح العُثَيْمين حفظه الله.

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

يقول سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]، وهنا يَذكُر الفلاسفة: أنَّ كل الحوادث سِواه سبحانه هالِكة، لكنَّه عبر بالصِّفة عن الموصوف؛ لأنَّ الصِّفة تَدُل على الموصوف لزومًا، ويَدُل على أنَّ الصِّفة هي عين الموصوف وإذا أُطلِقَت فالمراد بها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يَقول أحَد أنَّه لا يفنى إلا وجهه سبحانه، وهذا دليل على ما ذكرنا.

ولا يُقال: إنَّنا علِمنا أنَّ الله لا يَفنَى مِن الأدلَّة الأخرى.

وهذه الآية إنَّما خصَّت الوجه؛ لأنَّ هذا الكلام مَعناه أنَّ الآية السابقة: تَدُلُّ على معنًى باطِلٍ، وهذا مُحال وكلامه سبحانه مُنزَّهٌ عن ذلك، فهو كلام مُبين.

ثم أنتم قرَّرتم في كتابكم: القول المفيد «أنَّ الاستعاذة بالله فيما لا يَقدِر عليه إلا الله عِبادةٌ».

فلو كانت الصِّفة ليست عينَ الموصوف ولا تَدُلُّ عليه لزومًا، بل هي غيره لكانت الاستِعاذة بالصِّفة شِرْكًا، وهذا خلاف الحديث الذي في صحيح مسلم الذي أثبتَ أنَّها عبادة وليست شركًا، ولكنَّكم قلْتُم في مجموع فتاوى سماحتكم (١/ ١٦٤) أنَّ الصِّفة غير الموصوف بلا شكٍّ.

وقلتم أنها -أي: عبادة الصِّفة- شِرْك.

وقد تَقدَّم أنَّ الصِّفة هي عين الموصوف، وأنَّ التَّعبُّد لها ليس بشِرْك؛ بدليل صرف الاستعاذة لله فيما لا يَقدِر عليه إلا هو سبحانه، وأنَّه عبادة، فلو كان التَّعبُّد للصِّفة شِرْكًا لكانت الاستعاذة شِرْكًا، ويَرُده حديث صحيح.

نعم دُعاء الصِّفة والتَّعبُّد لها بِدْعة لم يَرِد به الشَّرع، لكن لا يَصِل إلى الشِّرك، ويقول السَّعديُّ في كتابه (الإرشاد): «التَّكفير حقٌّ لله ورسوله، فلا يَجوز تكفير إلَّا مَن كفَّر اللهُ ورسولُه». وورد هذا الكلام لشيخ الإسلام في الرَّدِّ على البكريِّ، وحسَب عِلمي لا دليل على أنَّه شِرْك، وأيضًا اطَّلعتُ على كلام شيخ الإسلام في الرَّدِّ على البكريِّ (ص:٩٧) يَذكُر أنَّ التَّعبُّد للصِّفة شرْك، ولكن لا دليلَ على ذلك، ويَرِد عليه ما تَقدَّم، فأرجو من سماحتكم الرَّدَّ على هذه الرسالة تحريرًا، إمَّا مُوافَقة أو مُخالَفة، مع تَبيين الحقِّ في هذه المسألة، والله يَحفَظكم ويُسدِّد خُطاكم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وعليكم السَّلام ورحمة الله وبركاته.

الصِّفة غير الموصوف، فإنَّ الحياة غير الحيِّ، والعِلْم غير العالم، والقُدْرة غير القادر، والسَّمع غير السَّامع، والبصر غير الباصِر، وهلمَّ جرًّا.

ولذلك لو عَمِي الإنسان بفَقْد بصره لم يفقد هو نفسه، فالصِّفة معنًى قائمٌ بالموصوف وليست هي الموصوف.

أمَّا التعبير بالوجه عن الذَّات مع إثبات الوجه فهو أسلوب لُغويٌّ فصيحٌ، كما يُعبَّر عن الذَّات بالرَّقَبة فيُقال: أَعتِق رقبة. والمراد: العبد كاملًا.

واعلَمْ أنَّ صِفات الله تعالى منها ما هو معنًى قائِم به: كالحياة والعِلْم والقُدْرة والعِزَّة والحكمة ونحو ذلك، فهذه لا يُعبَّر بشيء منها عن الله تعالى.

ومنها صِفات خبرية: يُعبَّر بلَفظها عن أبعاض وأجزاء فينا: كالوجه واليدين والعينين والأصابع ونحوها، وهذه قد يُعبَّر بشيء منها عن الله عَزَّوَجَلَّ كالوجه.

وأمَّا الاستِعاذة بكلمات الله تعالى: فلا دليلَ فيه على أنَّ الصِّفة عين الموصوف، بل على العكس؛ لأنَّ الأصل أنَّ المُضاف غير المضاف إليه.

والاستِعاذة بها من باب التَّوسُّل بكلماته كالتَّوسُّل بالرَّحمة في قوله ﷺ: «**بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**».

وبعلمه في قوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ**»، وقوله: «**أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ**»، وبقُدْرته في قوله: وقُدْرتك على الخَلْق؛ ولهذا لا يُقدِّر المُتوسِّل بها أنها شيء بائن مُنفصِل عن الله تعالى، بخِلاف مَن دعا الصِّفة فإنَّه يَشعُر بأنَّها شيء مُنفصِل بائن عن الله تعالى، فإذا قال: يا قُدرةَ الله أَغيثِيني، يا عزة الله انصُرِيني، يا مَغفِرة الله اغْفِري لي، فقد جعل الصِّفة إلهًا يُدعَى مِن دون الله، فهذا هو الفرق، وهو بَيِّن ظاهِر فتَأمَّلْه.

وأمَّا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في (الاستغاثة) (ص: ٨٠ من التَّلخيص) حيث قال: وأمَّا دعاء صِفاته وكلماته فكُفْر باتِّفاق المسلمين، فهل يَقول مسلم: يا كلام الله، اغْفِرْ لي وارْحمني وأَغِثنِي أو أَعنِّي، أو يا عِلْم الله أو يا قُدْرة الله أو يا عِزَّة الله أو يا عَظَمة الله، ونحو ذلك، أو سمِع من مسلم أو كافر أنَّه دعا ذلك من صفات الله أو صفات غيره أو يَطلُب من الصِّفة جلْب مَنفَعَة أو دَفْع مَضَرَّة أو إعانة أو نصرًا أو إغاثة أو غير ذلك. اهـ المقصود منه.

فكلامه واضح بيِّنٌ، وقد حكى اتِّفاق المسلمين على أنَّ دُعاءَ صفات الله وكلماته كُفْر، وهو ثِقَة في نَقْله؛ لسَعة اطِّلاعه وقوة وَرَعه وتَقواه فيَكون دليل كُفْره بالإجماع.

وأمَّا الحُكْم بالكُفْر: فلا ريبَ أنَّه إلى الله ورسوله كالحُكْم بالحِلِّ والتَّحريم والإيجاب، وليس لأحَد أن يُكفِّر أحدًا بقول قاله أو فِعْل فعَله أو تَرْك لعمَل إلَّا بدليل من الكتاب والسُّنَّة أو الإجماع، لكن إذا دلَّ الدَّليل فلا نَتهَيَّب القول بالمدلول.

وفَّق الله الجميع لما فيه رِضاه وإصلاح عِباده، وجعلنا وإيَّاكم من الهداة المُهتَدين الصَّالحين المصلِحين. والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حرر في ٢٤/ ٤/ ١٤١٦هـ.



س(٤٦٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل قول الإنسان: «يا رحمة الله» يَدخُل في دُعاء الصِّفة المَمنوع؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إذا كان مُراد الدَّاعي بقوله: «يا رحمة الله» الاستِغاثةَ برحمة الله تعالى، يَعني: أنَّه لا يَدعو نفس الرَّحمة ولكنَّه يَدعو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أن يَعُمَّه برحمته، كان هذا جائزًا، وهذا هو الظَّاهر من مُراده.

فلو سألت القائل: هل أنت تُريد أن تَدعو الرَّحمة نفسها، أو تُريد أن تَدعو الله عَزَّوَجَلَّ لِيَجلِب لك الرَّحمة؟ لقال: هذا هو مُرادي؛ أمَّا إن كان مُراده: دُعاءَ الرَّحمة نفسها، فقد سبَق جوابه ضمن جواب السُّؤال السَّابق وما قبله.

س(٤٦٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: قلتم في الفتوى السابقة: إنَّ عِبادة صفة مِن صِفات الله، أو دُعاءها مِن الشِّرْك، وقد جاء في شرح العقيدة الطَّحاوية إذا قلت: أَعوذ بعِزَّة الله، فقد عُذْتَ بصِفة مِن صِفات الله، ولم تَعُذْ بغير الله... فعلم أنَّ الذات لا يُتصوَّر انفصال الصِّفات عنها بوجه من الوجوه... وقد قال ﷺ: «أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ...»[1]، وقال: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ...»[2]، وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ...»[3]،

(١) أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم ،رقم (٢٢٠٢)، من حديث عثمان بن أبي العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، رقم (٢٧٠٨/ ٥٤) من حديث خولة بنت حكيم رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم (٤٨٦)، من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

وقال ﷺ: «وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا»(١)، وقال: «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ...»(٢)، ولا يَعوذ ﷺ بغير الله، فنأمَلُ مِن فضيلتكم التَّكرُّم بالتَّوضيح؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ما نَقَله السَّائل من كلام شارِح الطَّحاوية لا يُنافي ما ذكَرْناه، فإنَّ مِن المعلوم أنَّه لا تُوجَد ذاتٌ مجرَّدة عن صِفة أبدًا، ولو لم يَكُن فيها إلَّا صِفة الوجود، وكونه واجبًا أو ممكنًا، وكونها على صفة مُعيَّنة من صغر أو كبر أو نحو ذلك، لكان كافيًا في الدَّلالة على أنَّه لا يُمكِن وجود ذات بلا صِفة ما.

ولكن إذا عبَد الإنسان صِفة من صِفات الله أو دَعاها فإنَّ هذا يُشعِر بكون الصِّفة بائِنة عن الله تعالى مُستقِلَّة عنه، وهذا هو وجه كونه شِرْكًا.

وأمَّا ما جاء في الأحاديث التي ذكَرها شارح الطَّحاوية، مثل: **«أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ»، «أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ»، «أَعُوذُ بِرِضَاكَ»، «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ»**(٣).

فحقيقته: أنَّه استِعاذة بالله مُتوسِّلًا إليه بهذه الصِّفات المقتضية للعِياذ؛ ولهذا قال شارح الطَّحاوية على ما نقله السَّائل: ولا يَعوذ ﷺ بغير الله. وإليك ما ذكَره شيخ الإسلام ابن تيميَّة في أنَّ دُعاء صِفة من صِفات الله كُفْر قال في الصَّفحة الثَّمانين من تَلخيص كتاب الاستِغاثة ما نَصُّه:

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم (٥٠٧٤)، والنسائي: كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الخسف، رقم (٥٥٢٩)، وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى، رقم (٣٨٧١)، من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) ذكره ابن إسحاق في السيرة كما في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٠)، وعن ابن إسحاق ذكره الطبري في تاريخه (٢/ ٣٤٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٣/ ٧٣) رقم (١٨١) عن عبد الله ابن جعفر مرسلًا من طريق فيها ابن إسحاق.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص:٨٢).

«إنَّ مسألة الله تعالى بأسمائه وصفاته وكلِماته جائِز مَشروع كما جاءت به الأحاديث.

وأمَّا دُعاء صفاتِه وكلماته فكُفْر باتِّفاق المسلمين، فهل يَقول مسلم: يا كلامَ الله اغفِرْ لي، وارحمني وأَغِثني أو أَعِنِّي؟!

أو يا عِلمَ الله، أو يا قوَّة الله، أو يا عِزَّة الله، أو يا عَظَمة الله، ونحو ذلك، أو سمِع من مُسلِم أو كافر أنه دعا ذلك من صفات الله وصفات غيره، أو يَطلُب من الصِّفة جلْب مَنفعة أو دَفعَ مَضرَّة أو إعانة أو نَصْر أو إغاثة، أو غير ذلك» اهـ.

هذا واللهَ أَسألُ أن يُوفِّق الجميع لما فيه الخير لنا وللأُمَّة.



س(٤٦٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعالَى: هناك ناس في مَناطِق مختلفةٍ يَقولون عند الغضب: خُذوه يا جنُّ، أو خُذوه يا سبعة. يَدْعُون عليه بأنَّ يأخذه الجنُّ، وما إلى ذلك من هذه الأدعية، فهل هذا شِرْك محبِط للعمَل، حيث إنَّني سمِعت مِن أحد المشايخ بمَنطقتنا يَخطُب في يوم الجمعة فقال: إنَّ ذلك شِرْك. حتى ذكَر أنَّ الزَّوجة إذا لم تَتُب من ذلك أنَّها لا تَبقَى مع مسلم مُوحِّد؟ أفتونا في ذلك، جزاكم الله خيرًا.

فأَجابَ بقَوْلِهِ: الدُّعاء لا يَكون إلا لله عَزَّوَجَلَّ، فمَن دعا غير الله مِن جنِّيٍّ أو ملَك أو نبيٍّ أو وليٍّ كان مُشرِكًا، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]، فجعَل الله تعالى الدُّعاء عِبادة، وصرْف شيء من أنواع العبادة لغير الله

كُفْر وشِرْك مُخرِج عن المِلَّة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥]، ودعاء غير الله كُفر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

فأَثبَت الله تعالى في هذه الآية أمرَين مُهمَّين:

الأمر الأوَّل: أنَّ من دعا غير الله فهو كافِر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

الأمر الثَّاني: أنَّ مَن دعا غير الله فإنَّه لا يُفلِح ولا يَحصُل له مطلوبه ولا يَنجو مِن مَرهوبه، فيَكون داعي غير الله خاسرًا في دِينه ودُنياه، وإذا كان غيرَ مُفلِح فهو أيضًا غير عاقل، بل هذا غاية السَّفه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف:٥].

ومعنى الآية: أي: لا أَحَدَ أضلُّ ممن يَدعو مِن دُون الله، ولكنَّه جاء هذا النَّفي بصيغة الاستِفهام؛ لأنَّه أَبلَغ من النَّفي المحض، حيث يَكون مُشرَبًا مَعنَى التَّحدِّي.

وعلى هذا فدُعاء الجنِّ أو الشَّياطين أو الأولياء أو الأنبياء أو الصَّالحين أو غير ذلك، كلُّه شِرْك بالله عَزَّوَجَلَّ يَجِب على الإنسان أن يتوب إلى الله منه، ولا يَعود إليه، فإن مات على هذه العقيدة -أَعني: على عقيدة أنَّه يَدعو غير الله، وأنَّ هذا المدعو يَستجيب له من ملَك أو نبيٍّ أو وليٍّ أو رسول- فإنَّه يَكون مُشرِكًا يَستحِقُّ ما قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

س(٤٦٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: شخص قال في مجلس: بسم الله يا سيدي يا رسولَ الله؟ فقال له أحَدُ الإخوة: هذا شرْك. فهل هذا صحيح؟ وماذا يَجِب على القائل؟ وبماذا تُوجِّهونه مأجورين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: خطاب النَّبيِّ ﷺ لا يَجوز إلا فيما جاءت به السُّنَّة، وقد جاءت السُّنَّة بقول المُسلِّم عليه: «السَّلام عليك أيُّها النَّبيُّ ورحمة الله وبركاته».

وأمَّا قول القائل: «يا سيدي يا رسول الله» فأقلُّ ما يقال فيه: إنَّه بِدْعة.

فإن ناداه هذا النِّداء ليَستَغيث به ويَستَعين به على أمر كان شِرْكًا.

فالمسألة تحتاج إلى تفصيل:

فإذا قال: «يا سيدي يا رسول الله» والقائل يُريد أن يَستَغيث به أو يَستعين به، فهذا دُعاء غير الله عَزَّوَجَلَّ، وهو شِرْك مُخرِج من الإسلام.

وإن قال: «يا سيدي يا رسول الله السَّلام عليك» فهذا بِدْعة، فلم يَرِد عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعلى القائل بهذه المَقولة: أن يَتوب إلى الله، وألَّا يَعودَ إليها.



س(٤٧٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن رجل يَستَغيث بغير الله، ويَزعُم أنَّه وليُّ الله، فما علامات الولاية؟

فأَجَاب بقَوْلِهِ: علامات الولاية بيَّنها الله عَزَّوَجَلَّ في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]، فهذه علامات الولاية: الإيمان بالله،

وتقوى الله عَزَّوَجَلَّ «فمن كان مؤمنًا تقيًّا، كان لله وليًّا».

أمَّا مَن أَشرَك به فليس بوَليٍّ لله، بل هو عَدُو لله، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨]، فأيُّ إنسان يَدعو غير الله أو يَستَغيث بغير الله بما لا يَقدِر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّه مُشرِك كافِر، وليس بوليٍّ لله ولوِ ادَّعى ذلك، بل دَعواه: أنَّه وليٌّ مع عدَم توحيده وإيمانه وتَقواه دَعوى كاذبة تُنافي الولاية.

ونصيحتي لإخواني المسلمين في هذه الأمور ألَّا يَغتَرُّوا بهؤلاء، وأن يَكون مَرجِعهم في ذلك إلى كِتاب الله، وإلى ما صحَّ من سُنَّة النَّبيِّ ﷺ حتى يكون رَجاؤهم، وتَوكُّلهم، واعتِمادهم على الله وحده، وحتى يُؤمِّنوا بذلك لأنفسهم استقرارًا وطُمأنينة، وحتى يَحفَظوا بذلك أموالهم أن يَبتَزَّها هؤلاء المخرِّفُون، كما أنَّ في لزوم ما دَلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة في مثل هذه الأمور في ذلك إبعادًا لهؤلاء عن الاغترار بأنفسهم، هؤلاء الذين يَدعون أنفسهم أحيانًا أسيادًا، وأحيانًا أولياءَ، ولو فكَّرت أو تَأَمَّلت ما هم عليه لوجدتَ فيهم بُعدًا عن الولاية والسِّيادة، ولكنَّك تَجِد الوليَّ حقيقةً أبعدَ النَّاس أن يَدعوَ لنفسه، وأن يُحيطها بِهالة من التَّعظيم والتَّبجيل، وما أَشبَه ذلك، تَجِده مُؤمِنًا، تَقيًّا، خَفيًّا، لا يُظهِر نفسه، ولا يُحِب الإشهار، ولا يُحِب أن يَتَّجِه النَّاس إليه، أو أن يَتعلَّقوا به خوفًا أو رجاءً.

فمُجرَّد كون الإنسان يُريد من النَّاس أن يُعظِّموه، ويَحترِموه، ويُبجِّلوه، ويكون مَرجِعًا لهم، ومُتعلقًا لهم، هذا في الحقيقة يُنافي التَّقوى، ويُنافي الولاية.

ولهذا جاء في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ فيمن طلب العِلْم ليُماريَ به السُّفهاء، أو يُجاريَ به العلماء، أو ليَصرِفَ وجوه النَّاس إليه، فعليه كذا وكذا من الوعيد،

فالشَّاهد في قوله: «**أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ**»[1]، فهؤلاء الذين يَدَّعون الولاية ويُحاوِلون أن يَصرِفوا وجوه النَّاس إليهم هم أَبعَد النَّاس عن الولاية.

فنَصيحتي لإخواني المسلمين ألَّا يَغترُّوا بهؤلاء وأمثالهم، وأن يَرجِعوا إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وأن يُعلِّقوا آمالهم ورجاءهم بالله وحده.

| س(٤٧١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن رأيه فيمن تَغيَّرت لديهم المفاهيم، وصار عندهم المعروف مُنكَرًا، والمُنكَر مَعروفًا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: رأْيِي في هؤلاء الذين تَغيَّرت عندهم المفاهيم حتى رأَوُا المعروف مُنكَرًا والمُنكَر مَعروفًا، وصاروا لا يُنكِرون من المُنكَر شيئًا ولا يُقرُّون من المعروف شيئًا، رَأيِي أنَّ هؤلاء انسَلَخوا من الدِّين -والعِياذ بالله- وذلك؛ لأنَّ مَن جعل المعروف الذي من شريعة الله عَزَّوَجَلَّ مُنكَرًا فقد كفَر بالشَّريعة، وكذلك مَن جعل المُنكَر مَعروفًا فقد آمَن بالطَّاغوت، والإيمان لا يَتِمُّ إلا بالكُفْر بالطَّاغوت والإيمان بالله، فعلى هؤلاء أن يُراجِعوا أنفسهم، ويُفكِّرُوا في أمرهم، ويَعرِفوا أصلهم، ومُنتهى أمرهم، فإنَّ أصلهم العدَم، ومُنتهى أمرهم الفَناء من الدُّنيا.

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان:١]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧]،

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا، رقم (٢٦٥٤)، من حديث كعب بن مالك. وأخرجه ابن ماجه: في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، رقم (٢٥٣)، من حديث ابن عمر رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا.

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، عليهم أن يُفكِّروا أدنى تَفكير، فإن لم يُفِد فعليهم أن يُفكِّروا التَّفكير العميق في الأمر، وهم يُشاهِدون النَّاس يَذهَبون ويَجيئُون، هذا يُولَد وهذا يموت، وهذا يَمرَض وهذا يَصِحُّ، وهذا يُصاب بماله، وهذا يُصاب بأهله، ويَعلَموا أنَّه لا بقاءَ لأحد في هذه الدُّنيا، فلْيَرجِعوا إلى الله تعالى، ولْيَعرِفوا المعروف ويُنكِروا المُنكَر، ومَن تاب تاب الله عليه.

س(٤٧٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: بماذا يُحكَم على مَن أَنكَر المِعراج أو أوَّل في تفسيره له؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نَحكُم على مَن أنكَر المعراج أنَّه إن كان قد تَبيَّن له الحقُّ وعلِم ما جاء به القرآن الكريم والسُّنَّة الصَّريحة، فإنَّه يَكون بذلك كافرًا؛ لأنَّه يَكون مُكذِّبًا لله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإن كان لديه شبُهات في هذا الأمر، فإنَّه يَجِب أن تُرفَع عنه الشُّبهة حتى يَتبيَّن له الحقُّ، ثم إذا أَصرَّ بعد زوال الشُّبهة حُكِمَ بكفره أيضًا؛ لأنَّ المعراج حقٌّ ثابِت أشار الله تعالى إليه في قوله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم:١-٨]، إلى أن قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨].

وأمَّا الإسراء فهو أيضًا ثابت بنصِّ القرآن في قوله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ

بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١]، وقد تَضافَرَتِ الأحاديث الكثيرة في قِصَّة المعراج وأَنَّه حقٌّ ثابِت، ولهذا أَدخَله كثير مِن أهل العِلْم في كتب العقائد وجعله من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

ولكن بهذه المناسبة: أَودُّ أن أُبيِّن أنَّ المعراج دخل فيه أشياءُ مِن الكذب على الرَّسول ﷺ، مثل: الكتاب الذي يُنسَب إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في روايته، وهو كتاب مُتداوَل عند بعض النَّاس فيه أشياءُ مُنْكَرَةٌ موضوعة لا تَصِحُّ عن النَّبيِّ ﷺ، فعلى الإنسان أن يَكون مُحترِزًا منه مُبتعِدًا عنه.

س(٤٧٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ورد عن الرَّسول ﷺ أنَّه وجَد حلقة عِلْم وحلقة ذِكْر فجلس في حلقة العِلْم، فهل هذا صحيح؟ وهل يُعتبَر هذا دليلًا على أنَّ حِلَقَ الذِّكْر الجماعي بِدْعة، مع أنَّ الرَّسول ﷺ في هذا الحديث -إن كان صحيحًا- لم يَنهاهم عن ذلك وإنَّما اجتَنَبهم؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذا الحديث لا أَعلَم صحَّته، ولا أَظنُّه يَصِحُّ عن النَّبيِّ ﷺ(١)، ولكن الاجتماع على العِلْم لا شكَّ أنَّه من أَفضَل الأعمال؛ لأنَّ العِلْم نوع مِن الجهاد في سبيل الله، فإنَّ الدِّين إنَّما قام بالعِلْم والبيان، والقِتال لمن نابَذه وعارَضه ولم يَخضَع لأحكامه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم (٢٢٩)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وضعفه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (ص:١٨)، والبوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ٣٢).

وأمَّا الذِّكر: فإنَّ الاجتِماع أيضًا على الذِّكْر لا بأس به، ولكنَّه ليس الاجتِماع الذي يَفعَله بعض الصُّوفية، بحيث يَجتَمِعون جميعًا ويَذكُرون الله تعالى بصوت واحد أو ما أَشبَه ذلك.

أما إذا اجتَمَعوا على قراءة القرآن، أو ما أَشبَه هذا مثل: أن يَقرَأ أحَد والآخرون يُنصِتون له، ثم يُدير القراءة بينهم، فهذا ليس فيه بأسٌ ولا حرَجٌ.

س(٤٧٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما مَصير المسلِم الذي يصوم ويصلي ويزكي، ولكنَّه يَعتقِد بالأولياء أنَّهم يَضرُّون ويَنفعون، وكما أنَّه يقوم بدُعاء هذا الولـيِّ فيقول: يا فلانُ، لك كذا وكذا إذا شُفِي ابني أو بِنتي أو بالله يا فلانُ. فما حُكْم ذلك؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: تَسمية هذا الرَّجل الذي يَنذر للقبور والأولياء ويَدعوهم، تسميته: مُسلِمًا جهلٌ من المُسمِّي، ففي الحقيقة أنَّ هذا ليس بمُسلِم؛ لأنَّه مُشرِك، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]، فالدُّعاء لا يَجوز إلَّا لله وحده فهو الذي يَكشِف الضُّرَّ، وهو الذي يَجلِب النَّفْع، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢]، فهذا وإن صلَّى وصام وزكَّى، وهو يَدعو غيرَ الله ويَعبُده ويَنذر له فإنَّه مُشرِك قد حرَّم الله عليه الجنَّة، ومَأواه النَّار، وما للظَّالمين من أنصار.



س(٤٧٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمهُ اللهُ تَعَالَى: ما هي صفات الأولياء لله؟ وكيف يَكون المسلِم وَليًّا لله عَزَّوَجَلَّ؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أَولياء الله تَبَارَكَوَتَعَالَى هم الذين تَولَّوا أمره، وقاموا بشريعته، وآمَنوا به جلَّ وعلا، وكانوا من أنصار دِينه، وقد بَيَّن الله ذلك في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣]، فهؤلاء هم أولياء الله الذين آمنوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقَدَر خيره وشَرِّه، فآمَنوا إيمانًا تامًّا ويَقينًا صادِقًا، ويَتَّقون معاصيَ الله، فيَقومون بالواجب، ويَدَعُون المُحرَّم، فهم صالحون ظاهرًا وباطنًا، وما أَجملَ العبارةَ التي قالها شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «من كان مُؤمِنًا تَقيًّا كان لله وليًّا»[1]، ومِن ولاية الله الحبُّ في الله، والبُغض في الله، بأن يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّه إلا لله، ويُبغِض المرء لا يُبغِضه إلا لله.

وأمَّا ما يَذكُره بعض النَّاس الذين يَدَّعون أنَّهم أولياءُ، وهم فَسَقة فجَرة فهذا كذِب وخِداع، وقد يُجري اللهُ على أيدي هؤلاء مِن خوارق العادات ما يكون به فتنة، والخوارق هذه التي تأتي لغير الأولياء إنَّما هي من الشَّياطين، فتَأتي للمَرء بأخبار النَّاس، أو تَحمِله في الهواء، أو ما أَشبَه ذلك، ويقول: هذا من ولاية الله، وكل مَن ادَّعى ولاية الله ودعا النَّاس إلى تَعظيمه وتَبجيله فليس مِن أولياء الله؛ لأنَّ هذا تَزكيةٌ للنَّفس وإعجاب بها، وتَزكية النَّفس مِن المحرَّمات، قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢]، أي: لا تَدَّعُوا زكاءها قد يَدَّعي الإنسان أنَّه زَكيٌّ، أو يَتصوَّر أنَّه زكيٌّ وهو ليس كذلك.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢٢٤).

وأمَّا قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ فليس المراد مَن زكَّاها بلِسانه وقال: إنَّه زَكيٌّ، أو اعتَقَد زَكاءه بقلبه.

وإنَّما المراد بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ أي: فَعَل ما به تَزكو نفسُه.

وإنَّني بهذه المناسبة: أُحذِّر إخواني الذين عِندهم مَن يَدَّعي الولاية وهو أبعد النَّاس عنها لُمحادَّته لله ورسوله، فلْيحْذَرْ إخواني من هؤلاء وأمثالهم أهل الشَّعوذة واللَّعِب بعُقول النَّاس، فإنَّهم لا ولاية لهم عند الله عَزَّوَجَلَّ.

س(٤٧٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: أَسمَع عن الأولياء، وأَسمَع عن الكرامات التي تَحصُل لبعض الأتقياء، فهل لكم أن تُحدِّثونا عن صِحَّة ذلك مَأجورِين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: أولًا: يَجِب أن نَعلَم مَن هم أولياء الله.

فنقول: أولياء الله تعالى مَن ذَكَرهم الله في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣]، فمَن كان مُؤمِنًا تَقيًّا كان لله وَليًّا، سواء أَشهَره العامَّة وزَعَموه وليًّا، أم كان خَفيًّا عن النَّاس لا يُحِبُّ أن يَظهَر.

فالوليُّ هو: المُؤمِن التَّقيُّ.

ثانيًا: هل لِكُل وَليٍّ كرامة؟

والجواب: ليس لكلِّ وَليٍّ كرامة، بل من الأولياء مَن يُعطيه الله تعالى كرامة محسوسة يَشهَدها بنفسه ويَشهَدها النَّاس.

ومِن النَّاس مَن يَجعَل الله كرامته زِيادةَ إيمانه وتَقواه، وهذه الكرامة أَعظمُ من الكرامة الأولى الحسِّيَّة؛ لأنَّ هذه الكرامة أَنفعُ للعبد من الكرامة الأولى؛ إذ إِنَّ الكرامة الأولى سبب لزيادة الإيمان والتَّقوى، وأمَّا زيادة الإيمان والتَّقوى فهي الغاية، ولـهذا نَجِد أنَّ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تَقِلُّ فيهم الكرامات بالنِّسبة للتَّابعين؛ لأنَّ كرامات الصَّحابة في زِيادة إيمانهم وتَقواهم، والتَّابِعون ليسوا مثل الصَّحابة في ذلك، ولـهذا كثُرت الكرامات في عهدهم أكثرَ من الكرامات في عهد الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

والكرامات إمَّا أن تَكون: في العلوم والمكاشَفات.

وإمَّا أن تكون: في ظهور التَّأثيرات والقُدرات.

ومثال **الأوَّل**: كأن يُكشَف للإنسان عن شيء لا يَعلَمه غيره، كما ذُكِر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه كان يَخطُب النَّاس يوم الجمعة على مِنبر رسول الله ﷺ فسمِعه النَّاس يقول: «**يَا سارِيَةُ! الجبلَ، يَا سَارِيَةُ! الجبلَ**» فتَعجَّبوا من ذلك، فكان الأمر أنَّ أحد القُوَّاد حُوصِر في مواجهة بينه وبين أعدائه فكُشِف لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو على المِنبر، فخاطبه يقول: الجبلَ يا ساريَةُ. فسمِعه القائد، فانحاز إلى الجبل[1].

فهذا تَوجيه مِن القائد الأعلى عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى قائد السَّريَّة أو الجيش من مكان بعيد، وسمِعه وليس في ذلك الوقت هواتفُ هوائية ولا سِلْكية، ولكنَّها قُدرة الله عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٩/ ١٢٧) رقم (٦٧)، والبيهقي في الاعتقاد (ص:٣١٤)، وانظر تاريخ الطبري (٤/ ١٧٨-١٧٩).

فهذه كرامة في المكاشَفات، كشَف الله له ما لم يَكُن لغيره.

ومن الأمثلة أيضًا: الكرامة في القُدرة بأن يَجعَل الله تعالى للإنسان قدرة لم تَكُن لغيره، ومن ذلك ما يُذكَر في غزوات سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه كان يَغزو الفُرْس، فيَفتَح الله عليه بلادَهم بَلدًا بعد بَلَد حتى وصل إلى نهر دِجلة، فلما وصَل إلى النَّهر وجد أنَّ الفُرْس قد أَغرَقوا السُّفُن، وكسَروا الجسور، وهرَبوا إلى الجانب الشَّرقي من النهر فتوَقَّف سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ماذا يَصنَع؟

فدَعا سلمان الفارسيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وكان ذا خِبرة في أحوال الفُرْس وما يَصنَعون عند القِتال- فاستَشار سعد سَلمانَ الفارسيَّ، فقال له: يا سعدُ، ليس هناك شيء يُمكِن أن نَصنَعه إلا أن نَنظُر في الجيش هل عندهم من الإيمان والتقوى ما يُؤهِّلهم للنَّصر أو لا؟ فدَعْنِي أَسبُر القومَ وأَنظُر حالهم. فأَمهَله سعد، فجَعَل يَذهَب إلى الجيش، ويَتفَقَّد أحوالهم ويَنظُر أعمالهم، فوَجَدهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالليل يَبيتُون لربِّهم سُجَّدًا وقِيامًا، وفي النَّهار يُصلِحون أحوالهم، ويَستَعِدُّون للقِتال، فرَجَع بعد ثلاث إلى سعد بن أبي وقاص وأَخبَره الخبر، وقال: إنَّ قوم موسى لَيسوا أحقَّ بالنَّصْر مِنَّا، فقد فلَق الله لهمُ البحر، وأَنجاهم مِن فرعونَ وقومه، ونَحن سوف نَعبُر هذا النَّهر بإِذْن الله. فأَذَّن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالرَّحيل وتَقدَّم إلى النَّهر، وقال: إنِّي مُكبِّر ثلاثًا، فإذا كَبَّرت الثَّالثة فسَمُّوا واعبُروا. ففَعلوا، فجَعلوا يَدخُلُون الماء كأَنَّما يَمشون على الصَّفا: خَيْلهم ورَجْلهم وإِبِلهم، حتى عبروا النَّهر، وهو يَجري يَقذِف بزَبَده، فلما رآهم الفُرْسُ قال بعضهم لبعض: إنَّكم لا تُقاتِلون إنسًا، وإنَّما تُقاتِلون جِنًّا. فهَرَبوا من المدائن -وهي عاصمتهم- حتى دخلها المسلِمون، وفتَح الله عليهم.

فهذه كرامة قَدَروا على أمْرٍ لا يَقدِر عليه البشر بمُقتَضى قدراتهم، حيث خاضوا الماء والنَّهرُ يَمشي، هكذا ذكَر المُؤرِّخون هذه القصَّة، فهذه كرامة في القُدرة، وقِصَّة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كرامةٌ في المكاشَفات، بأنَّ الله يَكشِف له ما لا يُدرِكه غيره، وتكون الكرامة في العِلْم بأن يَفتَح الله على الإنسان من العِلْم ما لا يَفتَحه على غيره، ومن هؤلاء فيما نَظُنُّ ما فتَح الله به على شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ من العِلْم العظيم؛ العِلْم بالنَّقل، والعِلْم بالعَقْل حتى إنَّك لتكاد أن تَشُكَّ في هذه القدرة العظيمة التي أَقدَره الله عليها، وفتَح الله عليه من العِلْم.

ومن الكرامات ما حصَل لمريمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ حين حمَلَت بعيسى ابنِ مريمَ ﷺ فأَجاءَها المَخاض إلى جِذْع النَّخلة، فجلست إلى هذا الجِذْع وقالت: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم:٢٣-٢٥].

قال: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ﴾ وهي امرأة ماخِضٌ، تَهُزُّ بجِذْع النَّخلة فيَهتزُّ فَرْعها، ومن المعلوم أنَّ الهزَّ بجِذْع النخلة حسب العادة لا يُمكِن أن يَهتزَّ به فرع النَّخلة، لكنِ اهتزَّ فرع النَّخلة وتَساقَط منه الرُّطَب، والنَّخلة لا شكَّ أنَّها فوق قامة الإنسان؛ لأنَّها لو كانت بقَدْر القامة لتناوَلتِ الرُّطب بيَدِها، فهذا من آيات الله، وهو مِن كرامة مريمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ.



س(٤٧٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: تُوجَد كرامات لبعض النَّاس، ونَسمَع بأنَّ هذا الرَّجل من أولياء الله الصَّالحين، فما هي الكرامات ومن هم أولياء الله؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الكرامات خوارقُ للعادات يُجرِيها الله عَزَّوَجَلَّ على يَدِ الرَّجل الصَّالح؛ تَكريمًا له، أو إقامة دليل على أنَّ ما عليه فهو حقٌّ.

فالكرامات إمَّا: لَمصلحة الشَّخص نفسه، أو لمصلحة الدِّين.

ولكنَّها لا تكون إلا للأولياء المُتَّقين، قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

فهذا هو الوليُّ الذي قد يُظْهِرُ الله على يديه من الكرامات ما يَدلُّ على صدقِه وصِحَّة مَنهجه، وهذه الكرامات موجودة في الأُمَم السَّابقة، وموجودة في هذه الأُمَّة، ولا تَزال موجودة فيها إلى يوم القيامة.

فمِن الكرامات للأُمَم السَّابقة: ما جرى لمريمَ بنتِ عمرانَ حينما حملَت بعيسى ابنِ مريمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ [مريم:٢٣-٢٦].

فأنت ترى هذه الكرامة، فهذه امرأة في فَلاة من الأرض حامِل أَتاها المَخاض، وقد يَسَّر الله لها هذا الطَّعام والشَّراب، قال سبحانه: ﴿قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾، وفي الطَّعام قال سبحانه: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾، فهي

امرأة نُفَساءُ، والمرأة ضعيفة، ثم تُؤمَر بأن تَهُزَّ بجِذْع النَّخلة، لا في رأسها، والهزُّ بالجِذْع لا يُحرِّك النَّخلة، لكن كرامة لها تَحرَّكتِ النَّخلة.

ثم لَمَّا تَحرَّكت تَساقَطَ الرُّطبُ رطبًا جنيًّا لم يَتأثَّر بسقوطه على الأرض، مع أنَّ الغالب أنَّ الرُّطَب إذا سقط من أعلى، فإنَّه يَفسُد ويَتمزَّق بسقوطه على الأرض، لكن هذا الرُّطب الذي تَساقطَ على مريمَ تَساقطَ عليها رُطَبًا جنيًّا لم يَتأثَّر بالأرض ولم يَتمزَّق بها.

قال سبحانه: ﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾ [مريم:٢٦]، يعني: كُلِي واشرَبي قَريرةَ العين من غير خوف ولا حُزْن، فهذه مِن الكرامة.

ومن الكرامات في الأمم السَّابقة: ما جرى لأصحاب الكهف، فهم فِتيَة آمَنوا بربهم، وكرِهوا ما عليه قومهم مِن الشِّرْك بالله عَزَّوَجَلَّ، فخرَجوا عن البلد، فأَوَوْا إلى غار وناموا به ثلاث مئةٍ سِنين وازدادوا تِسعًا وهم نيام لا يَحتاجون إلى أكل ولا إلى شُرْب ولا إلى بول، ولا إلى غائط، ولم تَتمزَّق ثيابهم، ولم تَنْمُ شعورهم ولا أظفارهم، بل بَقُوا على ما هم عليه، وكلُّ هذه المُدَّة يُقلِّبهم الله تعالى ذات اليمين وذات الشِّمال؛ لِئَلَّا يَتحجَّر الدَّم على اليمين إن بَقُوا على اليمين دائمًا، أو على اليسار إن بَقُوا على اليسار دائمًا، ثم إنَّهم في كهف.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف:١٧]، فلا تَدخُل عليهم الشَّمس فلا يَسخُنون، ولا يَفسُدون من الحرِّ ولا مِن البَرْد، وهذه آية من آيات الله عَزَّوَجَلَّ، وكرامة من كرامات الله.

ومن كرامات هذه الأُمَّة: ما يُذكَر عن عمرَ بنِ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه أَرسَل سَريَّة إلى العراق، وعليها رجل يُقال له: سارية بن الحصين فحَصَره العدُوُّ، فكُشِف لعمر بن الخطاب وهو يَخطُب النَّاس يوم الجمعة عن حال هذا القائد، فسمِعه النَّاس يَقول: «**يا سَارِيَةُ! الجبلَ، يا سَارِيةُ! الجبلَ**»(1)، فسمِع ذلك ساريةُ، فانحاز بالنَّاس إلى الجبل، فسلِم وصارت العاقبة لهم، فهذه كرامة واضِحة بالنِّسبة لعمرَ وبالنِّسبة لسارية؛ فعمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كلَّم الرَّجل سارية، وسارية سمِع كلامه، وليس هناك هاتف ولا بَرقيَّة، ولكنَّها قدرة الله عَزَّوَجَلَّ.

وإذا أَردْتَ أن تَعرِف هذه الكرامات فراجع كتاب شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ (الفرقان بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشَّيطان).

وليُعلَمْ أنَّ كثيرًا ممَّن يَدَّعي الولاية اليوم تَكون دَعواه كذِبًا؛ لأنَّك إذا فتَّشتَ عن حاله وجدْتَه مِن أعداء الله لا مِن أولياء الله.

فإن قال قائل: كيف يَدَّعي أنَّه وليٌّ لله ونَراه يَجرِي على يديه الكرامات؟

قلنا: نعم إنَّه تَجرِي على أيديهم خوارقُ، لكن من أعمال الشَّيطان تُعمَل لهم الخوارق؛ من أجل أن يَضلَّ النَّاس عن عِلْم، ولهذا نَقول: إنَّ الكرامة لا تَكون إلَّا لوليٍّ، والوليُّ بينه الله عَزَّوَجَلَّ في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣]، فإذا كان مُؤمِنًا تَقيًّا فهو وليٌّ، وإلا فهو دَعِيٌّ وليس بوَليٍّ.



(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٩/ ١٢٧) رقم (٦٧)، والبيهقي في الاعتقاد (ص:٣١٤)، وانظر تاريخ الطبري (٤/ ١٧٨-١٧٩).

س(٤٧٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: نَسمَع إطلاق لفظة «وَلِيٍّ» على كثير من الناس، فهل يَصحُّ ذلك؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الولاية لا يَصحُّ إطلاقها إلا على حسب الوصف الذي جاء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وقد بَيَّن الله تعالى في كتابه حيث يقول: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣]، فبيَّن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أنَّ ولايته لا تُنال إلا بهذَيْن الوصفَيْن:

أولهما: الإيمان بما يَجِب الإيمان به.

وثانيهما: التَّقوى.

ففي الوصف الأوَّل: صلاح القلب.

وفي الوصف الثَّاني: صلاح الجسد.

فمَنِ ادَّعى ولاية الله عَزَّوَجَلَّ وقد فاته الوَصْفان أو أحدهما فإنَّه كاذب، فلو وَجَدْنا شخصًا يُجيز لنفسه أن يَركَعَ النَّاس له، وأن يَسجُد النَّاس له، أو يُجيز لنفسه أن يَستخدِم الشَّياطين بأنواع من الشِّرْك، ثم يَدَّعي بعد هذا أنَّه وَليٌّ لله.

فإنَّنا نَقول له: إنَّك كاذب؛ لأنَّ أعمالك هذه تُنافي الإيمان والتَّقوى، وما يَحصُل على يديه من خوارِقِ العادات فإنَّ ذلك لخدمة الشَّياطين له؛ لأنَّ الشَّياطين تَقوَى على ما لا يَقوَى عليه البشر، فيَستخدِم الشَّياطين ليَنالَ مَأربه في إضلال عِباد الله عن سبيل الله.

وعلى هذا فمَنِ ادَّعى الولاية ولم يَكُن مُتَّصفًا بالوَصْفين اللذين ذَكَرهما الله عَزَّوَجَلَّ، وهما الإيمان والتَّقوى، فإنَّه كاذب في دَعواه.

س (٤٧٩): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: مَن يُطلَق عليهم الأولياء عند الصُّوفية وما يُنسَب إليهم مِن الكرامات الباطلة ما قولكم في هؤلاء؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: قد سبَق مِنَّا تَوضيح ذلك في الجواب السَّابق وقلْنا: إنَّه ما يُنسَب إليهم من الكرامات وهم على ضلال، فإنَّما هي إهانات في الحقيقة وليست بكرامات؛ لأنَّها استِدْراج من الله عَزَّوَجَلَّ لهم، وهي في الحقيقة ليست كرامة، بل هي ممَّا يَخدُمهم بها الشَّياطين مِن أجل إضلال عِباد الله.

س (٤٨٠): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ناقِل الكُفْر ليس بكافِر، هل هذا صحيح أم لا؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: إن قَصَد السَّائل أنَّ هذه المَقولة حديث فنَقول: ليست بحديث.

وإن قصَد أنَّه كلام لأهل العِلْم، فهذا صحيح: أنَّ ناقِل الكفْر ليس بكافِر.

بمَعنى: أنَّ الإنسان الذي يَحكي قول الكُفَّار لا يَكفُر، وهذا أمر معلوم لأهل العلم، وحسب النَّظر أيضًا، فإنَّك إذا قلت: قال فلان: إنَّ الله ثالث ثلاثة، أو ما أشبه ذلك، فإنَّه لا يُعَدُّ ذلك كفرًا منك؛ لأنَّك إنَّما تَحكي قول غيرك.



س (٤٨١): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هل صحيح أن الصَّالحين والأولياء تَنكشِف لهم مِن أسرار القرآن ما لا يَنكشِف لغيرهم، وما ليس بمَوجود في كتُب التَّفاسير؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: ليس هناك أَحَد مخصوص في فهم القرآن، بل فَهْم القرآن يَكون لكلِّ أحَد، لكن كل مَن كان بالله أَعلمَ وله أَتقَى كان أقربَ إلى فَهْم القرآن؛ لقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧].

ولَمَّا قِيل لعليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هل عَهِد إليكم رسولُ الله ﷺ بشيء؟ يعني: من جِهة الخلافة. قال: «لا، والذي فلَق الحبَّة وبَرَأ النَّسمة، إلَّا فَهْمًا يُؤتِيه الله تعالى أحدًا مِن عِباده في كتاب الله، وما في هذه الصَّحيفة. قالوا: وما في هذه الصَّحيفة؟ قال: العَقْل، وفِكاك الأسير، وألَّا يُقتَل المسلم بالكافر»[1].

لكن هناك أُناس يَدَّعون أنَّهم أولياءُ، وأنَّه يُفتَح لهم في القرآن مَعانٍ باطنةٌ لا يَعرِفها أَحَد، ويَجعَلون ألفاظ القرآن رموزًا وإشاراتٍ لمعانٍ لا تُفهَم مِن ألفاظ القرآن بمُقتَضى اللُّغة العربية، ولا بمُقتَضى الحقيقة الشَّرعية، وهم الذين يُسمُّون أنفسهم: أهل العِلْم بالباطن، فهؤلاء لا يُقبَل قولهم في تفسير القرآن؛ لأنَّه كذِب على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فسَّروا كلامه بما لا يَدُلُّ عليه باللِّسان الذي نَزَل به وهو اللُّغة العربية، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣]، وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٤]، أي: بِلُغةٍ عربية فصيحة.

وإنَّني بهذه المناسبة: أَحثُّ إخواني -ولاسيَّما طلبةُ العِلْم- على الحِرْص على فَهْم مَعاني القرآن الكريم؛ لأنَّ القرآن الكريم نَزَل للتَّعبُّد بتِلاوته، ولتدبُّر مَعناه، والعمَل به، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو

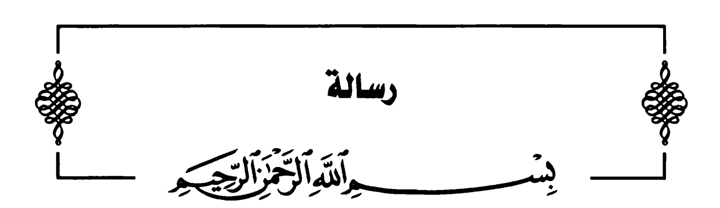
(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب كتابة العلم، رقم (١١١)، ومسلم: كتاب الحج، باب فضل المدينة، رقم (١٣٧٠)، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، وكثير من طُلاب العِلْم حريصون على فَهْم السُّنَّة التي ورَدَت عن النَّبيِّ ﷺ بحثًا وتدقيقًا ومراجعة لكلام العلماء، ولكنَّهم مُقصِّرون في تفسير القرآن وفَهْمه، وقد كان الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إذا قرؤوا عَشْر آيات من كِتاب الله لا يَتجاوَزونها حتى يَتعلَّموها وما فيها من العِلْم والعمَل، فتَعلَّموا القرآن والعِلْم والعمَل جميعًا[١].

فأُكرِّر الوصيَّة لإخواني طلاب العِلْم أن يَعتَنوا بفهم القرآن الكريم، وأن يُراجِعوا عليه كلام العلماء في تَفاسيرهم، وأَعنِي بالعلماء: العلماءَ المُوثوقَ بهم، كتفسير ابن جرير، وابن كثير، والقرطبيِّ، والشوكانيِّ، وما أَشبَههم، وكذلك تفسير شيخنا عبدالرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ، وإن كان يُوجَد في مثل تفسير القرطبيِّ بعض الشيء الذي ليس على ما يَنبغِي، وكذلك يُوجَد في تفسير ابن جرير آثارٌ ضعيفة، لكن البصيرَ يَعرِف كيف يَتصرَّف.



(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١١٧) رقم (٢٩٩٢٩)، وأحمد (٥/ ٤١٠)، والفريابي في فضائل القرآن رقم (١٦٩)، عن أبي عبد الرحمن السُّلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



فضيلةَ الشَّيخِ/ محمد بن صالح العُثَيْمين حفِظه الله وسَدَّد خُطاه.

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مما يَذكُره (الأحباش) الذين يَأخُذون بالمَذهَب الأشعريِّ في بعض مَسائِل الاعتقاد أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أَثنى على القائد الذي يَفتَح القسطنطينيَّة، ويَقولون: إنَّ الذي فتَح القسطنطينية هو (محمد الفاتح) وهو أَشعريٌّ، فما الجواب على ذلك؟

وما قَولكم فيمن يَقول: إنَّه لا يَنبَغي الحديث عن بعض القواد أصحاب الفتوحات الإسلامية ضدَّ الصَّليبيِّين ونحوهم والافتِخار بهم وهم مُخالِفون في المَذهَب الاعتقاديِّ، كصلاح الدين الأيوبيِّ، ونُور الدين زَنكي، ونحوهم؟ آمل بَيانَ ذلك وجزاك الله خيرًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

من أصول أهل السُّنَّة والجماعة: أنَّ الإنسان قد يَجتمِع فيه سُنَّة وبِدْعة، إذا لم تَكُن البِدْعة مُكفِّرة.

ومِن المعلوم أنَّ بِدْعة الأشعريَّة ليست مِن البِدَع المُخرِجة عن الإسلام، ولا مانعَ مِن الثَّناء، على مَن قام بما يَنفَع المسلمين مِن هذه الطَّائفة بما يَستحِقُّ من الثَّناء، فهو محمود على ما قام به من ذلك.

وأمَّا ما حصَل منه مِن بِدْعة، نَعلَم -أو يَغلِب على ظنِّنا- أنَّه فيها مُجتَهِد فهو دائِر بين الأجر والأجْرَين؛ لأنَّ كلَّ مُجتهِد مِن هذه الأُمَّة في حُكْم يَسوغُ فيه الاجتِهاد، فلن يَعدِم الأجْر أو الأَجرَين؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»[1].

والحكم في النَّاس وبين النَّاس إنَّما يَكون إلى الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:١٠]، وقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، وقد علِمت قول النَّبيِّ ﷺ في المُجتَهِد.

كتبه محمد الصَّالح العُثَيْمين

في ١١/ ١/ ١٤١٧هـ.



(١) أخرجه البخاري: كتاب الاعتصام، باب أجر الحاكم إذا اجتهد، رقم (٧٣٥٢)، ومسلم: كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد، رقم (١٧١٦)، من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س(٤٨٢): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: مَن كان يَنطبِق عليه حُكْم الكُفْر، هل يَجوز مُناداته بالكُفْر؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الأَولَى أن لا يُنادَى بالكُفْر؛ لأنَّ هذا يُوجِب الفِتنة والشَّرَّ، لكن يُقال: أنت إذا لم تَتُب إلى الله فإنَّك كافِر. يُبيَّن له هذا الكلام، وأمَّا مُناداته بـ(يا كافر) وما أَشبَه ذلك ممَّا يُثير الفِتنة، فهذا لا أراه -والحمد لله- ما دمنا نحن في غنًى عن هذا الأمر، وبإِمكاننا أن نَقِف معه ونَقول له: إنَّ هذا الأمر كُفْر، وارجِعْ إلى ربِّكَ، وارجِعْ إلى دِينكَ. ونَنصَحه.

س(٤٨٣): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن رجل قال لأَخيه: يا كافر؛ لأَنَّه لا يُصلِّي وذلك أثناء نِزاع بينهما وخصومة فما حُكْم ذلك مَأجورِين؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: الذي لا يُصلِّي كافِر كُفْرًا مُخرِجًا عن المِلَّة، إذا مات على الكفر، وإذا كان يومُ القيام صار مع فِرعونَ وقارونَ وهامانَ وأُبيِّ بن خلفٍ.

ولكن لا يُقال للشَّخص المُعيَّن: يا كافر، حتى تُقام عليه الحُجَّة ويَتبيَّن له أنَّ فِعله كُفْر، وهذا الذي حصل بينه وبين أخيه شِجار وقال له: «يا كافر»؛ لأَنَّه لا يُصلِّي.

نَقول له: إنَّ هذا لا يَنبغي مِنك، ولكن عِندما تُحادِثه وتَتكلَّم معه بكلام طيِّب تُبيِّن له أنَّ تَرْك الصَّلاة كُفْر، وأنَّه إن أَصرَّ على ذلك فهو كافِر، وأمَّا أن تَصِفه بالكفر حين المُنابزة والمُخاصَمة فهذا أَمْر لا يَنبَغي مِنك.

وخلاصة القول: أنَّ تارِك الصَّلاة كافِر كُفْرًا مُخرِجًا عن المِلَّة، وأنَّه إن مات

على ذلك فإنَّه ليس مِن المؤمِنين، ويُحشَر يوم القيامة مع فرعونَ وهامانَ وقارونَ وأبيٍّ بن خلف، ولكن لا يَنبغي لنا عند المُنابَزة أن نَصِفَه بالكفْر، فنقول: يا كافر، بل نُبيِّن له مع حسن الكلام والدَّعوة برِفْق وحِكْمة: أنَّ ترك الصَّلاة كفر، وأنَّه إذا أَصرَّ على تَرْكها فهو كافر، لعلَّ الله أن يَهدِيَه ويَرجِعَ إلى دِينه.

س(٤٨٤): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: في مَذهَب أهل السُّنَّة والجماعة: أنَّ مصير المؤمنين الجنَّة، وعندما نَقرأ حديث: «لَا يَدْخُلُ الجنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ»[1]، وحديث: «لَا يَدْخُلُ الجنَّةَ نَمَّامٌ»[2]، فمن كان مِن المُؤمِنين وهو واقع في النَّميمة أو قطيعة الرَّحِم لا يَدخُل الجنَّة كما هو ظاهر الحديثَين فكَيف يُجمَع بينهما؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: هذه النُّصوص وأمثالها مِن نُصوص الوعيد هي الَّتي أَوجَبت لطائفة الخوارج والمعتزِلة أن يقولوا: بخُلود أهل الكبائر في النَّار؛ لأنَّهم أَخذوا بهذه العمومات ونَسُوا عموماتٍ أخرى تُعارِضها، وهي ما ثَبَت في أَدلَّة كثيرة من أنَّ المُوحِّدين أو مَن في قلبه إيمان ولو مِثقال حَبَّة مِن خَرْدل فإنَّه لا يُخلَّد في النَّار.

كما أنَّ عمومات الأدلَّة الدالَّة على الرَّجاء، وأنَّ المؤمِن يَدخُل الجنَّة، حمَلَت المُرجِئة على ألَّا يَعتبِروا بنُصوص الوعيد.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب إثم القاطع، رقم (٥٩٨٤)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم، رقم (٢٥٥٦)، من حديث جبير بن مُطعِم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمة، رقم (٦٠٥٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة، رقم (١٠٥)، من حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولفظ البخاري: «**لا يدخل الجنة قتات**».

وقالوا: إنَّ المؤمن ولو كان فاسقًا لا يَدخُل النَّار.

فهؤلاء أَخذوا بعُمومات هذه الأدلَّة، وأُولئك أَخَذوا بعمومات أدلَّة الوعيد.

فهَدَى الله أهل السُّنَّة والجماعة إلى القول الوسَط الذي تَجتمِع فيه الأدلَّة، وهو: أنَّ فاعل الكبيرة لا يَخرُج من الإيمان، وأنَّه مُستحِقٌّ للعقوبة، ولكن قد يَعفو الله عنه فلا يُدخِلُه النَّار، وقد يُدْعَى له فيُعْفَى عن عقوبته، وقد تُكفَّر هذه العقوبة بأسباب أخرى، وإذا قُدِّر أنَّه لم يَحصُل شيء يكون سببًا لتكفيرها فإنَّه يُعذَّب في النَّار على قدْر عمَله، ثم يكون في الجنَّة، هذا هو مَذهَب أهل السُّنَّة والجماعة.

وعلى هذا فأحاديث الوعيد المُطلَقة أو العامَّة، كما في الحديثين اللَّذين أشار إليهما السَّائل في قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَا يَدْخُلُ الجنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**»، وقوله ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجنَّةَ نَـمَّامٌ**»، تحمل على أنَّ المعنى: لا يَدخُلها دخولًا مُطلَقًا، أي: دخولًا كاملًا بدون تعذيب، بل لا بدَّ أن يَتقدَّم ذلك التَّعذيب إن لم يُوجَد ما يَمحو ذلك الإثم مِن عفو الله أو غيره، فيَكون مَعنى: لا يَدخُلون الجنَّة؛ أي: الدُّخول المطلق الكامل الذي لم يُسبَق بعذاب، وبهذا تَجتمِع الأدلة.

س(٤٨٥): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما هي نَواقِض الإسلام، سواء كانت قوليَّةً أو عمليَّة أو اعتقاديَّة؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نَواقض الإسلام كلُّ ما خالَف الإسلام فهو مُناقِض له.

لكن المُناقَضة تَنقسِم إلى قِسْمين:

مُناقَضة جزئية، مُناقَضة كليَّة.

فما أَطلَق الشَّارع عليه الكُفْر نَظَرنا إن كان هذا يُناقِض الإسلام مُناقَضة كلية حسب القرائن المُقترِنة بهذا الإطلاق فهو كُفر أكبرُ مُخرِج عن المِلَّة.

وإن كان يُناقِض الإسلام في هذه المسألة الجزئية فلَيس مُناقِضًا على وجه الإطلاق.

فقول الرَّسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(١).

إذا نظرنا إلى قوله: «**قِتَالُهُ كُفْرٌ**» فيقول قائل: مَن قاتَل المسلم فهو كافِر كُفْرًا مُخرِجًا عن المِلَّة.

لكنَّنا عند التَّأمُّل نَجِد أنَّ الرَّسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**قِتَالُهُ كُفْرٌ**»، أي: أنَّ القِتال من الكفر، وليس هو الكفرَ الأكبرَ، ويُؤيِّد هذا قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:٩-١٠]، فجعَل الله عَزَّوَجَلَّ الطَّوائف الثَّلاث كلَّها إخوة: المقاتِلة الباغِية، والأُخرى المدافِعة، وكذلك المُصلِحة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾.

فيَكون هذا النَّاقِض ليس ناقِضًا بالكُلية، بل في الإنسان خصلة من خصال الكفر، وليس هو الكفرَ المُطلَق.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله، رقم (٤٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ: «**سباب المسلم فسوق**»، رقم (٦٤)، من حديث عبدالله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإذا نظَرنا إلى قول النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الكُفْرِ وَالشِّرْكِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**»[1]، وقوله ﷺ: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»[2]، علِمْنا بأنَّ الكفر في الحديثَين المراد به: الكفر الأكبر المناقض للإسلام مناقضة كلية، وذلك لوجود «بَيْنَ» في قوله ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ**» والبَيْنِيَّة تَقتضي: أن يَكون كل طرف مُنفصِلًا بائِنًا عن الطَّرف الآخر لا يَجتمِع معهم في شيء؛ لوجود الحَدِّ الفاصل الذي دَلَّت عليه البَيْنِيَّة بين الرَّجل وبين الشِّرك والكفر ترك الصَّلاة.

وكذلك قوله ﷺ: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**» يعني: العهد الذي بين المسلمين والكفار هو: الصَّلاة.

فمَن صلَّى فهو مؤمِن، ومَن لم يُصلِّ فهو كافِر، والبَيْنِيَّة تَقتَضي: الانفِصال التَّامَّ.

فالحاصل: أن نواقض الإسلام تَنقسِم إلى قِسْمين:

نواقضُ كبرى، وهي: التي يَخرُج بها الإنسان من الإسلام.

ونواقض صغرى وهي: التي لا تُخرِجه من الإسلام، ولكنَّها تكون خصلة مِن خصال الكُفْر.



(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم (١٣٤/ ٨٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٤٦)، والترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، رقم (٢٦٢١)، والنسائي: كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، رقم (٤٦٣)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، رقم (١٠٧٩).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

س(٤٨٦): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: نَأمُل مِن فضيلتكم التَّكرُّم بذِكْر بعض الأمور التي تُخرِج من المِلَّة سواء كانت هذه أقوالًا أو أعمالًا أو اعتِقادًا، وما هي الكتُب المُتخصِّصة بأمور التَّوحيد؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: لا يُمكِن أن نَحصُر الأشياء التي تُخرِج من المِلَّة؛ لأنَّها كثيرة الأفراد، لكن يُمكِن أن نَذكُر قاعدة وهي: أنَّ الَّذي يُخرِج من الملَّة يَدور على أَمرَين:

- إمَّا الإنكار.
- وإمَّا الاستِكبار.

فإمَّا أن يُنكِر الإنسان شيئًا أَخبر الله به ورُسلُه ﷺ، فيُكذِّبه أو يُنكِر حُكمًا من أحكام الشَّريعة الظَّاهرة التي أَجمَع المسلمون عليها.

وأمَّا الثَّاني وهو: الاستِكبار بأن يُقرَّ بالشَّريعة، لكن لا يَعبُد الله، فتارك الصَّلاة مثلًا كافر مع أنَّه يُؤمِن بالله ويُؤمِن بالشَّريعة ولا يُكذِّب بها، ولكنَّه استكبر فلم يُصلِّ، ولا يَلزَم أن يكون تارِك الصَّلاة يقول: إنَّه مُستكبِر، بل إذا تركها مُتهاوِنًا بلا عُذْر ولا جهل منه إذا كان بعيدًا عن المدُن الإسلامية فإنَّه في الحقيقة مُستكبِر.

فجميع أنواع الرِّدَّة تعود إمَّا إلى الإنكار أو الاستكبار لكن التَّفاصيل كثيرة جدًّا، ويُمكِن أن يُرجَع في هذا إلى ما ذكَره الفقهاء -رحمهم الله تعالى- في باب أحكام المُرتدِّ.

أمَّا أَحسَن كتُب التَّوحيد: فمِن أَحسنها كتاب التَّوحيد لشيخ الإسلام محمد ابن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهو كتاب جامع بين الدَّلائل والمَسائِل.

ومِن أَحسَن الكتُب في العقيدة: كتاب العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم إذا تَرقَّى الإنسان شيئًا فالعقيدة التَّدمُرِيَّة، ثم إذا تَرقَّى الإنسان أكثر، فالكتب المُطوَّلة مثل مُختصر الصَّواعق المرسَلة الذي أصْلُه لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغير ذلك.

والمرجِع الأصل والأوَّل هو كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وما صحَّ عن رسول الله ﷺ.



س(٤٨٧): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما هي نواقض الإسلام؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: نواقض الإسلام بمعناها الإجمالي: كلُّ ما أَوجَب الرِّدَّة فهو ناقضٌ للإسلام، فكلُّ شيء مِن قول أو فِعْل أو عقيدة يكون به الإنسان مُرتَدًّا فهو ناقض للإسلام، وأفراده لا تُحصَر لا بعشرَة ولا بعِشْرِين ولا بأكثَر، لكن الضَّابط: أنَّ كلَّ ما كان مُقتضيًا للرِّدَّة فهو من نَواقض الإسلام.

فمثلًا: كُفْر الجحود: أن يَجحَد ما يَجِب الإيمان به مثل: أن يَجحَد -والعِياذ بالله- وجودَ الله، أو الملائكة، أو الرُّسُل، أو الكتُب أو اليوم الآخر، أو القدَر خيرَه وشرَّه، فمَن فعَل ذلك فقد أتى ناقِضًا من نواقض الإسلام، فلو جحَد وجوب الصَّلاة، أو وجوب الزَّكاة، أو وجوب الصِّيام، أو وجوب الحجِّ، أو أَنكَر تحريم الزِّنا، أو تحريم الخمر، أو ما أَشبَه ذلك من المحرَّمات الظاهرة المُجمَع عليها فهذا ناقِض من نواقض الإسلام.

ومن نواقض الإسلام: الاستِهزاء بالله أو آياته أو رسوله ﷺ فهذا ناقض من نواقض الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا

نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

كذلك من نواقض الإسلام: لو استكبَرَ عما يَكون الاستكبار عنه رِدَّة، كما لو تَرَكَ الصَّلاة، وصار لا يُصلِّي لا في بيته، ولا مع الجماعة، فهذا ناقض من نواقض الإسلام.

كذلك من نواقض الإسلام: لوِ اعتَقَد في الله ما لا يَليقُ بالله فهو مُرتَدٌّ.

والحاصل: أنَّ نواقض الإسلام لا تُحصَرُ بعدَد، وإنَّما تُذكَر بحَدٍّ وهي: كلُّ ما أوجب الرِّدَّة فكلُّ ما كان رِدَّةً فهو ناقض من نواقض الإسلام، سواء كان ذلك في العقيدة أو في القول أو الفِعْل.

س(٤٨٨): سُئِل فَضِيلةُ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ما هي الأشياء التي تُحبِط العمَل؟ وهل تُحبِط جميع الأعمال منذ التَّكليف؟

فأَجَابَ بقَوْلِهِ: مُحبِطات الأعمال تَنقسِم إلى قِسْمَين:

قِسم عامٌّ.

وقِسم خاصٌّ يُبطِل كلَّ عمل بعينه.

فمِن القِسْم العامِّ المُبطِلِ لجميع الأعمال: الرِّدَّة فإذا ارتدَّ الإنسان -والعياذ بالله- عن دِين الله ومات على الكفر، فإنَّه يُحبِط جميع أعماله؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧].

أمَّا إذا ارتدَّ ثُمَّ مَنَّ الله عليه فرجَع إلى الإسلام فإنَّ عمَله لا يُحبَط.

ولهذا يَسأَل كثير مِنَ النَّاس عمَّن حجَّ الفريضة وهو يُصلِّي مع قِيامه بشعائر الإسلام، ثم أَتاه وَقْت ارتدَّ فيه عن الإسلام فترك الصَّلاة، ثمَّ مَنَّ الله عليه برجوعه إلى الإسلام، فأَقام الصَّلاة وقام بشعائِر الإسلام فيَسأَلون: هل بطَل حَجُّه الذي كان قبل رِدَّته فوجَب عليه أن يُعيده أم لا؟

والجواب: أن نَقول: لا لـم يَبطُل حجُّه، وليس عليه إعادته؛ لأنَّ الله تعالى اشتَرَط لحُبوط العمَل بالرِّدَّة أن يَموت الإنسان على الرِّدَّة.

أمَّا المُبطِلات الخاصَّة فهي: تَختَصُّ في كل عمَل بحسبه، فالوضوء مثلًا يُبطِله الحديث، والصَّلاة يُبطِلها ما تَبطُل به كالضَّحِك والكلام وشبهه، والصَّدَقة يُبطِلها المَنَّ والأذى، والصَّوم يُبطِله الأكل والشُّرب وغيرهما مِن المُفطِرات، والحجُّ يُفسِده الجِماع قبل التَّحلُّل الأوَّل.

فالمُهِمُّ أنَّ مُحبِط الأعمال الخاصَّ كثيرٌ لا حصْرَ له، ويَختلِف باختِلاف العبادات التي أَبطَلها.



فهرس الموضوعات

الموضوع **الصَّفحة**

